

جامعة الجزائر

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الحرب النفسية الفرنسية و ردود فعل الثورة الجزائرية (1955- 1960)

دراسة في أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي بالمنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة

تحت إشراف

د. / مسعودة يحيوي

من اعداد الطالب:

الأستاذة:

محمد بن داره

أعضاء لجنة المناقشة :

- أ. د. / عبد الكريم بوصفصاف : رئيسا ؛
- أ. د. / مسعودة يحيوي : مشرفا و مقرا ؛
- أ. د. / عيسى قرقب : عضوا ؛

السنة الجامعية 2007/2008

شكر وعرفان

إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة مسعودة يحيى

لتشريفها لي بالإشراف على بحثي في طرق

وعن كل ما بذلته من جهد وتبشيره عن عناء في سبيل ذلك

فأيتها أقدام شكري وامتناني

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفصل الأول : السلاح النفسي

الفصل الأول: السلاح النفسي

المبحث الأول : مفهوم السلاح النفسي و أدواته

المطلب الأول : كيف و لماذا وجد السلاح النفسي ؟

تطرح الحرب الثورية¹ مشاكل جمة للقوات النظامية. فهذه الأخيرة، في مواجهتها للعناصر و الجماعات الثورية، تجد نفسها أمام عدو خاص يتبع طريقة جديدة في الحرب تتبع من مذهب عقائدي و عسكري خاص. ففي الميدان، تجد القوات النظامية نفسها أمام عدو يعتمد أسلوباً تكتيكياً جديداً يتمثل في حرب العصابات²، يضرب أهدافه بسرعة، يتحاشى المواجهة، يتفكك، و يستعصي عن القبض و الإمساك، ثم يذوب في السكان، فهو عدو غائب حاضراً. لكن أخطر ما في هذا العدو، هو إجادته و استعماله لفنٍ حربي جديد هو الحرب النفسية، التي تعتمد على الدعاية و تستهدف من بين أهدافها المتعددة، بسط النفوذ و السيطرة على السكان من خلال أحداث شبكة من « التوطئات » تستخدم بدورها كشبكات لدعم الثوار و تسهيل حركتهم. فيغدو هؤلاء الثوار يعيشون بين السكان كما تعيش السمكة في الماء. و هكذا، و بعد أن كان السكان في الماضي مجرد مدنيين و أبرياء عزل - حيث يكون الهاجس الأول لقيادة القوات النظامية هو تجنبهم ما أمكن ويلات الصراع- يصبح هؤلاء، عن قناعة أو إكراه، طرفاً مباشراً و عدواً غير سافر يحتاج إلى معالجة خاصة. فيصبح السكان بدورهم موضوعاً للحرب و مجالاً للسجال، ويكون النصر في النهاية حليف من سيطر عليهم.

تطرح مسألة تعريف الحرب النفسية العديد من الإشكالات، التي تجعل من مصطلحي " الحرب النفسية " و "السلاح النفسي " مصطلحين لا يحققان الإجماع المطلوب. كما أن المفهوم العام الشائع لا يجعل من الحرب النفسية سوى مجرد مرادفات لأنشطة مشبوهة كالتضليل و الخداع و التسميم و غسل الدماغ، ذلك أن اتساع مفهوم الحرب النفسية واشتمالها على أساليب مختلفة في العمل، و ارتباطها و تداخلها بأنشطة أخرى كالدعاية و التضليل الاعلامي و الجاسوسية و المخابراتية و كل نشاط آخر يُمكن من ترصد الخصم والإيقاع به³، قد دفع البعض إلى تحييد مصطلح "الحرب الخفية" كمسمى لحرب لا اسم لها⁴. و في حالتنا هذه، تشير

¹ - تُعرف المصادر الفرنسية الحرب الثورية بأنها : « مذهب حربي تمت بلورته من طرف المنظرين الماركسيين اللينينيين و استخدم من طرف حركات ثورية عدة للإستيلاء على الحكم و تحقيق السيطرة التدريجية، النفسية و البدنية، على السكان باعتماد تقنيات خاصة تقوم على روحانية خاصة يتم تطبيقها وفق مسار مرحلي محدد. و هذا المذهب يتكيف مع جميع الأشكال الأخرى للحرب ». نقلاً عن :

SHAT, 1H 2518/d.1, Définition concernant les formes particulières du conflits, annexe à la causerie faite par le Colonel B. de Susbille... à la Conférence de Brazzaville, 26 Novembre – 1^{er} Décembre 1956.[12/4]

² - تعرف المصادر الفرنسية حرب العصابات « la guérilla » بأنها : « شكل من أشكال الكفاح المسلح، يستفيد من توافقات محلية، تقوم به وحدات مسلحة خفيفة قد تكون نظامية أو غير نظامية، تعتمد النشاط في الخفاء، و تتحرك في منطقة خاضعة لسيطرة الخصم ». نقلاً عن المصدر السابق.

³ - Paul VILLATOUX, L'armée française et la guerre psychologique en Indochine (1945-1955) : conception et organisation, Mémoire de D.E.A. d'histoire contemporaine des mondes étrangers et des relations internationales, sous la direction de M. le Professeur Maurice VAÏSSE, Université de Paris I - Panthéon-Sorbonne, 1996-1997, 94 p., p. 3 et 71.

⁴ - العقيد هنري جاكوان، رئيس المكتب الثاني للجيش الفرنسي اختار عنوان " الحرب الخفية " كعنوان لكتابه. أنظر :

Henri JACQUIN, La guerre secrète en Algérie, Olivier Orban, 1977.

العلاقة بين المكتب الخامس المكلف بالنشاط النفسي و الحرب النفسية و المكتب الثاني المكلف بالإستخبار و جمع المعلومات و استغلالها، العديد من التساؤلات التي تطرح بدورها قدرا ماثلا من الإشكالات، تزيد من صعوبة إيجاد تعريف مناسب لهذه الحرب.

يُعرف خبراء الحرب الفرنسيون الحرب النفسية بأنها : « حشد و استعمال منظم و مخطط لوسائل و أساليب مختلفة للتأثير في آراء و مواقف و سلوكيات الخصم، سواء كان هذا الخصم سلطة أو جيشا أو شعبا، بما يُمكن من إضعاف مقاومته و فرض إرادة مخالفة لإرادته، تخدم الأهداف الوطنية »¹.

وبخلاف المدرسة العسكرية الأنجلوسكسونية، يفرق خبراء الحرب النفسية الفرنسيون بين نشاطين في الحرب النفسية: الأول هو النشاط الموجه ضد الأعداء و الذي يستهدف أساسا القضاء علي الخصم من خلال تقويض معنوياته و زرع الشك في قيمه و يقينياته و زرع التخاذل و الخور بين عناصره، حيث يصبح النشاط هنا " حربا نفسية" بكل ما في الكلمة من معنى؛ و النشاط الثاني الموجه نحو الأصدقاء (الجيش) لتقوية معنوياتهم، و المتعاطفين لتفعيل تعاطفهم، و التحايدين لكسر تردددهم، بما يُحصن الجميع و يدفع تأثيرات الخصم عنهم و يترجم صداقاتهم و تعاطفهم إلى انخراط فعلي و علني منهم لصالح القضية الوطنية. و هذا النشاط الثاني يأخذ تسمية "النشاط النفسي"². لكن هذا التقسيم، الذي أملتة دوافع خاصة لطمأنة الرأي العام الفرنسي الذي أصبح يتخوّف من مثل هذا النشاط، ما هو إلا شكليّ في الواقع، إذ سرعان ما تؤدي اعتبارات الفعالية و النجاعة في العمل الحربي إلى زوال شبه كليّ على أرض الواقع لهذا التفريق النظري³. فليس هناك في الواقع شيء آخر غير الحرب النفسية، بكل ما تعنيه من « فرض النفس على الأخر»⁴، صديقا كان أو عدوا. و ذلك ما يؤكده التعريف الوارد في دليل ضابط النشاط النفسي بالجزائر، و هو المرجع الأساسي لهؤلاء الضباط، حيث يُعرف هذا الدليل الحرب النفسية بأنها: « التوظيف المخطط للدعاية و لكل وسيلة أخرى تصلح للتأثير في آراء و عواطف و مواقف و سلوكيات الجماعات الإنسانية، سواء كانت صديقة أو محايدة أو معادية، خدمة للمصلحة الوطنية »⁵.

من جهة أخرى يؤخذ على التعريف أعلاه غموض بعض عباراته حول "الوسائل و الأساليب المختلفة للتأثير" التي قد تُحصّر أنشطة الحرب النفسية في مجرد الدعاية و الإعلام، مما قد يوهم خطأ أن السلاح النفسي هو "سلاح إقناع" بالدرجة الأولى، و أن النجاح في استعماله يتوقف أساسا على قوة الحجة و متانتها. في حين نجد من بين وسائل و أساليب هذا السلاح أنشطة أخرى كالاختراق و الخداع و التضليل و التسميم و غسل الدماغ التي يقترن استعمالها بكثيرٍ من الإكراه و العنف. لذلك، فلا عجب أن كان من بين الانتقادات الموجهة لهذا السلاح هو أنه سلاح لـ "اغتناب الضمائر و المس بجرية و كرامة الإنسان"⁶. و إذا كان لنا أن نقدم

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psychologique, p. 43 ; SHAT, 1H 2408, Directives sur la Guerre Psychologique, p.2.

² - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psychologique, p. 44 ; voir aussi : Instruction du Ministère des Armées, du 28 juillet 1959, SHAT, 1H 2410/d.1 ; aussi SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 6 - 7. [12/7]

³ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p.14.

⁴ - SHAT, 1H 2409/D.1, Note d'information n° 2 concernant la technique de l'Action Psychologique, p.1. ; SHAT, 1H 2410/d.1, Note n° 31/R.M./10/5/Et/TS du 14 février 1959, objet : Action des 5^e Bureaux, p.1.

⁵ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, p.18. [6/14]

⁶ - SHAT, 1H 2410/d.1, L'action psychologique : légitimité et limite, (1959). [13/9]

تعريفًا بديلاً، نراه أشمل وأوسع، يتفق و استعمال الفرنسيين لهذا السلاح خلال الحرب بالجزائر، فإنه سيكون حتماً الآتي: الحرب النفسية هي كل ما يؤدي إلى القضاء على الخصم خارج ساحة القتال. فقولنا: (هي كل ما يؤدي..) يعني أن كل الوسائل مقبولة للقضاء على الخصم. في حين أن قولنا: (خارج ساحة القتال) يفيد استبعاد الأساليب التقليدية في الحروب، و من أهم هذه الأساليب المواجهة المسلحة على أرضية الميدان.

المطلب الثاني : السلاح النفسي من وجهة نظر منظريه

تتخذ الحرب النفسية كميدان نزال لها الشعب أو السكان، و بتعبير أدق الإنسان لا الأرض. وهي شكل من أشكال الحرب الباردة¹. و جبهة من جبهات الحرب الساخنة². وتستلزم ثلاثة شروط أساسية لتحقيقها هي: وجود الجماهير، و الإلزام بواقعهم الاجتماعي-النفسي، و توفر وسائل الاتصال معهم. و يتمثل عملها في التأثير و من الخارج على كل ما يمثل الوعي و اللاوعي لوسط إنساني معين، بهدف زعزعة و حذف القيم المعادية لديه، و جعله يقبل بقيم أخرى بديلة، ثم جعله يتحرك في الاتجاه المناسب لها، لذلك فهي أساساً نشاط على حساسية الكائن الحي.

تخضع الحرب النفسية لقوانين نفسية، تنضبط بها و يتوقف نجاحها عليها، من بينها:

- أولاً المعرفة و الدراسة الجيدة للوسط الإنساني المستهدف بهذا النشاط، ذلك أن تطبيق نشاط نفسي على وسط إنساني مجهول تكون مضاره أكثر من فوائده. فالنشاط النفسي لا يقوم على العفوية و ينبذ الارتجالية. و من هنا تبرز أهمية الاستعلامات للحصول على معرفة جيدة بالوسط الإنساني المستهدف و معرفة النشاط النفسي الملائم له. كما تساهم هذه المعرفة أيضاً في تسهيل عملية تنظيم هذا الوسط عندما تسمح الظروف بذلك.

- ثانياً التحضير الدؤوب و الدقيق للعمل النفسي، بإعطائه الوقت اللازم و الكافي من التحضير.

- ثالثاً وجود " أرضية أخلاقية قاعدية" تكون بمثابة الدليل و المرجع الأساسي و السند الفكري و الروحي الذي يدعم و يبرر هذا النشاط، والذي بإمكانه أيضاً استقطاب الطاقات النفسية للأفراد و المجموعات و تسخيرها لخدمة " القضية " ³.

- رابعاً التكرار و المداومة، فالحرب النفسية نشاط يأخذ في الحسبان الوقت كعامل أساسي في نجاحه وذلك من جانبين: الجانب الأول و يتمثل في الحرص على تحقيق " الاستمرارية و الانتظام "، لأن النشاط النفسي، الذي يتعرض أداءه لضعف الوتيرة أو الانقطاع، يفتح الباب على مصراعيه أمام النشاط النفسي المعادي و الدعاية المضادة. أما الجانب الثاني فيتمثل في تحيّن الوقت و المكان المناسبين

¹ - و تعرفها المصادر الفرنسية بأنها : « صراع مشتعل دوغماً فتح للعدوان بين الجيشين النظاميين للخصمين المتصارعين. هذه الحرب الباردة يمكن ممارستها على أصعدة متعددة، سياسية و اجتماعية و دبلوماسية، نفسية و إيدولوجية، و غيرها...».

SHAT, 1H 2518/d.1, Définition concernant les formes particulières du conflits, annexe à la causerie faite par le Colonel B. de Susbielle, op. cit.

² - و تعرفها المصادر الفرنسية بأنها : « حرب تنطوي على فتح العدوان بين الجيشين النظاميين التابعين للخصمين المتنازعين ». المصدر السابق.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Aspects psychologiques du conflit, p. 30-32.

لهذا النشاط أو ذاك، الموافق لحالة نفسية مسجلة و مرصودة لدى تلك الجموع موضوع النشاط : فما هو مناسب الآن قد لا يكون موافقا بعد هنيهة. وهذا يؤكد على أهمية وجود " منعكس شرطي " سريع في العمل، و وجود جهاز تنظيمي دقيق يستجيب لمقتضيات هذه السرعة¹.

تجد الحرب النفسية إمكانية استعمالها انطلاقا من الأوضاع القائمة في المجتمعات الحديثة المتطورة، و بالتحديد انطلاقا من وضع الفرد فيها، الذي أصبح يعيش عزلة متزايدة، تزيد من توسيع دائرة الفراغ عنده. فقد كان من نتائج التطور الحاصل في جميع الميادين أن تفتت و اندثرت الأشكال و الوحدات الطبيعية القديمة المكونة للمجتمع العضوي التقليدي كالأسرة و العشيرة و العرش و القبيلة. و مع اندثارها اندثرت الوسائل التقليدية المنتجة للقيم و حدثت القطيعة مع أماط العيش و أشكال الحياة السابقة، مما جعل الإنسان الحديث يعيش عزلة و فراغا عضويا و نفسيا، يتجلى في² :

- أولا الوقوع في العزلة، كنتيجة لوجود فراغ روحي كبير ناتج عن انعدام في القيم الاجتماعية، دينية كانت أو دنيوية، مما يفتح باب خطر سدِّ فراغها من الخارج.

- ثانيا، من بين النتائج المباشرة لهذا الفراغ، هو وقوع الإنسان المعاصر تحت مسؤولية ثقيلة تتمثل في البحث عن قيم بديلة لسد هذا الفراغ، حيث يكون انخراطه بالنادي أو الحزب شكلا من أشكال التنصُّل من هذه المسؤولية من خلال البحث عن قيم جاهزة يتبناها.

- ثالثا، غالبا ما يُترجم هذا الفراغ إلى حالة من السخط و عدم الرضى، الذي لا ينفع معه توفُّر قدر عال من الرفاهية المادية. كما يُترجم أيضا إلى حالة من عدم التوازن، التي يكون من أبرز مظاهرها لدى هذا الفرد هو: ميل طاع إلى التقليد؛ و حساسية و استجابة للمثيرات و المهيجات؛ و وجود قابلية و استعداد ذاتيين للتوجيه والانقياد؛ و تعطل في الأفهام و المدارك و ميل لتلقي و استهلاك "الجاهز" من القيم : فالفرد هنا يريد أن يسمع ويشاهد لا أن يفكر، أي طغيان الصورة على الفكر. مما يفتح الباب للاستلاب و التشيع (l'endoctrinement).

- رابعا، للخروج من هذه العزلة و سد هذا الفراغ يتجه الإنسان الحديث إلى البحث عن بدائل تُوفِّر له قدرا من الإشباع والرفاهية النفسية. لذا، كان انخراطه في التنظيمات المختلفة، كالنوادي والنقابات والأحزاب يسير في مسعى بحثه عن شخصية يفتقدها، مما يجعله يتحول تلقائيا من إنسان مجتمعي إلى "إنسان جماهيري" (homme de masse).

هذه الخصائص السابقة، تجعل الإنسان الجماهيري موضوعا و هدفا سهلا للدعاية، التي تنشده استدراجه

للانخراط في إحدى الجماعات وجعله يتمثل بها و بقادتها. و متى تحقق ذلك، انتهى دور الدعاية

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, La guerre subversive, conférence prononcée le 19 janvier 1957 au Cercle Militaire devant les Officiers de réserve de Constantine, par M. Maurice PAPON, Inspecteur Général de l'Administration en Mission Extraordinaire, p. 15.

² - SHAT, 1H 2518, d.1, Les fondements de la guerre psychologique, Résumé de conférences faites par Monsieur BONNEMAISON du 11 au 14 Novembre 1957, p. 2 - 4.

و أصبحت هذه الجماعات هي المنتج و المصدر للقيم، و هو ما يمثل جوهر الصراع في الحرب النفسية. فالحرب النفسية هي أساسا صراع بين قيم متعارضة يسعى المتصارعان لفرضها على الناس.

يعتمد نشاط التأثير على الجموع و تحريكها، و الذي هو من صميم أنشطة الحرب النفسية، على مبدئين اثنين :

الأول و يتمثل في مخاطبة و تحريك الغرائز الأربعة الحية لكل إنسان، كغريزة: القتال و الغداء و الجنس و الأبوة. و ذلك من خلال استعمال منبهات مناسبة تتسبب في حدوث منعكسات شرطية موافقة، اعتمادا على قاعدة أن لكل منبه استجابة، حسب ما جاءت به المدرسة السوفياتية و على رأسها بافلوف. العمل بهذا المبدأ يعتمد أساسا على سلطة الكلمة و قوتها في تحقيق المنعكسات الشرطية اللازمة. و لما كان الإنسان الجماهيري هو انسان متلقي (perceptuel) لا يفكر إلا بالصورة، و جب إعطاء كل العناية اللازمة للبحث عن الكلمات المناسبة التي تخاطب إنسان الجموع سواء بمعناها أو بسلطتها. فالدعاية لا تسعى إلى مخاطبة الأفهام، و إنما تسعى للتأثير على اللا واعي¹.

الثاني و يتمثل في مخاطبة اللاوعي أو اللاشعور الجمعي (l'inconscient collectif) لدى الجماهير. فحسب يونغ، عن المدرسة الأمريكية، يمثل اللاشعور مجالا خصبا و مشتركا بين كل الناس. و هو موحد بينهم في الطبيعة و القدر. يقع في مؤخرة الوعي، و يمثل مستودعا لبقايا و ترسبات خصائص الأسلاف، التي يحتفظ بها في شكل صور (archétypes) تطفو و تظهر من حين لآخر في شكل صور مشتركة لدى الجميع. حيث يمكن أن نعد من أمثلتها تلك الرهبة التي تنبعث في النفوس لدى رؤية المغارات و الكهوف، أو النار و الظلام. فإذا ما حدث أن استطعنا الوقوف على ميكانيزمات هذا اللا شعور الجمعي لبقايا و ترسبات الموروثة عن الأسلاف أمكننا التحكم، و من الخارج، في دواليب اللاشعور و جعله يؤثر في الشعور الذي يتحكم بدوره في سلوك الفرد². من جهة أخرى، يوفر اللاشعور مفاتيح أخرى للتحكم و التأثير في نفوس و سلوكيات الناس. فالمركبات المرضية كالكبت و ما يشتق عنه من مركبات مرضية تبحث عن التعويض و الإسقاط، و غيرها...³ المستقرة في اللاشعور و الناتجة غالبا عن كبت أو حرمان أو عن إصابة بخيبات في الحياة العامة، تفتح بدورها إمكانيات واسعة للتأثير على الأفراد⁴. حيث يكون دور النشاط النفسي هنا، من خلال الدعاية، تقديم متنفس يحقق شيئا من الإشباع لهذه المركبات المرضية و يوجهها في الاتجاه المطلوب.

من هنا و من خلال هذا العرض، تتجلى خطورة و جسامة الضعف المعنوي (la vulnérabilité) الذي يعاني منه الإنسان الجماهيري و الذي هو في جانب منه جزء و انعكاس لضعف عام يعاني منه المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الإنسان، خاصة و أنه يمثل العنصر الغالب فيه. مما يجعل كليهما - أي الفرد و المجتمع - هدفا

¹ - المصدر السابق، ص. 6.

² - المصدر السابق، ص. 8.

³ - و غيرها مما يعبر عنه بالفرنسية بـ : (refoulement, la compensation, la sublimation, le resentement)

⁴ - المصدر السابق، ص. 11-12.

سهلا لأي دعاية مغرضة. من جهة ثانية، يبرز العرض السابق الخطر الذي يمثله السلاح النفسي على الأمن المعنوي للدول و المجتمعات، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار الهشاشة و الضعف العام الذي أصبح يطبع النفوس في عصر السرعة، سرعة العمل و التنفيذ و تسارع الأحداث و انتشارها، مما يجعل الناس على استعداد لتصديق أي شيء و الخوف من أي شيء. فإذا أضفنا إلى ذلك التحسينات التي تُدخل على هذا السلاح بفعل الاكتشافات المحققة يوما بعد يوم في حقل علم النفس و علم الاجتماع و التي تزيد هذا السلاح مضاءً و نفاذاً أكبر، أدركنا مدى الأهمية الحيوية التي تبديها الأمم للتحكم في هذا السلاح للدفاع عن أمنها المعنوي. و من هنا تستمد الحرب النفسية شرعيتها، فهي لذلك ممكنة و ضرورية في زمن الحرب و السلم معا¹.

يقتزن ذكر الحرب النفسية غالبا بذكر الحرب الباردة، حيث تكون الحرب الأولى سمة من سمات الثانية و جبهة من جبهاتها. كما يرتبط ذكر الحرب النفسية غالبا بذكر الثورات التي اعتمدت في نجاحها إلى حد كبير على استعمال السلاح النفسي كالثورة الروسية و الصينية و الفيتنامية. من جهة أخرى يرتبط ذكرها أيضا بالأنظمة الموصوفة بـ " الشمولية " و التي لا تعني شيئا آخر غير الأنظمة الشيوعية، التي بلورت هذا السلاح و اتخذته وسيلة لبلوغ السلطة في أوطانها و وسيلة أيضا لفرض و نشر نظامها في العالم، و قهر و إخضاع الأنظمة المعادية لها من خلال ضرب معنوياتها و قيمها و زرع الفتنة و الشقاق في صفوفها². لقد كان الإيمان في قوة هذا السلاح عند منظريه، من الشيوعيين الأوائل، كبيرا جدا، فعولوا عليه لنشر نظامهم و قلب أوضاع العالم من خلال تعبئة الناس و تحريك الجماهير في حركة عالمية تضرب موعدا مع التاريخ. بل لقد بلغ الإيمان بقدره هذا السلاح حدا ساد معه الاعتقاد بأنه سلاح يغني عن كل مواجهة عسكرية مع الجيوش الأخرى، بل و حتى عن استعمال السلاح النووي. إنه سلاح يشل قوى الأعداء دونما حاجة إلى تفويض قدراتهم العسكرية أو الصناعية كما قال ذلك لينين (Lénine) سنة 1917: « بعد خمسين سنة لن يكون للجيوش كبير معنى. وقتئذ نكون قد نخرنا أعداءنا بما فيه الكفاية قبل أن يندلع الصراع، حتى أن آلتهم العسكرية لن تغني عنهم شيئا وقت اللزوم »³ و ها هو فيشنسكي (Vychinski) من منظري الشيوعية أيضا يقول سنة 1954: « إننا لن نغيّر العالم اعتمادا على السلاح النووي، ولكن سنغيّره بشيء آخر لا يفهمه هذا العالم : إنه عقولنا وأفكارنا و معتقدنا »⁴.

المطلب الثالث : الجيش الفرنسي و الحرب النفسية

تجد الحرب النفسية شرعية استخدامها لدى الجيش الفرنسي انطلاقا من تحليله لواقعه العسكري منذ أكثر من عشرة من الزمن. فمباشرة بعد التحرير – أي تحرير فرنسا على يد الحلفاء – وجد الجيش الفرنسي نفسه، مثقلا بتبعات الهزيمة في الحرب الأخيرة، مدعوا للذود عن مستعمرات فرنسا الموزعة في عدد من نقاط

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Nécessité de l'intervention psychologique, 2 p. ; SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle... à la Conférence de Brazzaville, 26 Novembre – 1^{er} Décembre 1956, p.3.

² - SHAT, 1H 2411/d.1, Note personnelle sur la guerre psychologique, par le Général Jean Olie, p. 1 - 10.

³ - SHAT, 1H 1113/1. (sans titre), n° 2196/CAC/PY du 2 aout 1957, p. 1.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1. (sans titre), n° 2196/CAC/PY du 2 aout 1957, p. 1.

العالم و المهتدة بالأنحصار. و بالرغم من استماتة هذا الجيش في الدفاع عن هذه المستعمرات بالهند الصينية إلا أن ذلك لم يمنع وقوع الهزيمة و اندحار فرنسا. بل لقد وقع ما هو أدهى من ذلك، فلم يكد الجيش الفرنسي يخرج من حربه و هزيمته بالهند الصينية (1945-1955) حتى وجد نفسه مدعوا لخوض غمار حرب أخرى بالجزائر (نوفمبر 1954) و ما تلا ذلك بعد قليل من انحصار السيادة الفرنسية عن تونس و المغرب في سنة 1956. و أمام هذا التراجع السياسي و التدهور العسكري، و في ظل مناخ دولي مشحون بالحرب الباردة، كان على قيادة الجيش الفرنسي أن تستخلص القرائن و أن تضبط المقاربات. فأصبح عندها من المسلمات التي تعلق على أي نقاش أن فرنسا مستهدفة في « ممتلكاتها » و أنها تشهد حملة مسعورة لضرب وحدتها المعنوية و الروحية و ضرب مئلتها العليا كرائدة للعالم الحر من قبل أعدائها و على رأسهم الشيوعية العالمية. فأطماع هذه الأخيرة معروفة و نواياها المعلنة و الخفية لا تخفى على ذي بصيرة. فبعد أن كانت وراء اندحار فرنسا بالهند الصينية ها هي تعمل جاهدة من جديد على دحرها من شمال إفريقيا و فتح أوروبا من الجنوب¹. ثم، ألم يقل لينين يوما بأن فتح أوروبا سيتم يوما من الجنوب، أي من شمال إفريقيا؟ ثم أليس نط الحرب المتبعة من طرف الثوار الجزائريين هو عينه النمط المتبع من طرف ثوار الهند الصينية؟²، إن في ذلك ما يقطع بوقوف الشيوعية العالمية وراء الثورثين : فكلتاهما تصدر عن مشكاة واحدة، فهما وجهين لعملة واحدة هي الشيوعية العالمية!³.

تفترض الحرب النفسية، كسلاح من أسلحة الجيش الفرنسي، تقديم حلول ناجعة لمعضلات ثلاث:
أولها: رفع معنويات الجيش الفرنسي الذي باتت معنوياته تسير نحو التذني بفعل الهزائم المتتالية منذ الحرب الأخيرة. فهذه الحالة المعنوية المتدهورة تتعارض تماما مع المكانة الرائدة للجيش الفرنسي كواحد من أقوى جيوش العالم. لذلك كان هدف القيادة من وراء استعمال السلاح النفسي هو تدارك وضع آخذ في التدهور ينخر الجيش و يهدد بمضاعفات شتى. تدارك هذا الوضع يتم من خلال رفع الروح المعنوية و القتالية لدى الجندي الفرنسي و تزويده بالمثل العليا الباعثة على التضحية و بذل النفس، و بما يغرس فيه القيم و الفضائل العسكرية⁴.

ثانيا: إعادة مد جسور الثقة بين الجيش و الأمة، هذه الثقة التي تدهورت بفعل الهزائم المتتالية. فأصبح المواطن الفرنسي لا يشعر بالحماية، و لا يثق في قدرة جيشه على توفيرها له، خاصة مع وجود خطر حقيقي هو التهديد السوفيياتي، مع كل ما ينطوي عليه هذا التهديد من الدخول في حرب شاملة و استعمال للسلاح

¹ - Jean Charles JAUFFRET et Maurice VAÏSSE, (Sous la direction de), Militaires et guerrilla dans la guerre d'Algérie, actes du colloque de Montpellier des 5 et 6 mai 2006, organisé par le Centre d'études d'histoire de la défense st l'UMR n° 5609, Société, Idéologie, Défense, du CNRS, Bruxelles, Editions Complexe, 2001, p. 407.

² - SHAT, 1H 2577/d.1, Caractères généraux de la guerre insurrectionnelle, p.1

³ - SHAT, 1H 2410/d. 1, L'action psychologique : Légitimité et limite, p. 3 ; SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle... à la Conférence de Brazzaville, 26 Novembre – 1^{er} Décembre 1956, p.3; aussi, SHAT, 1H 2577/d.1, Caractères généraux de la guerre insurrectionnelle, p.20-22 ; SHAT, 1H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel Bruge André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, p. 5.

⁴ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 42 - 44.

النووي¹. زد على ذلك فقد كان من نتائج الدعاية الشيوعية ضد الجيش الفرنسي أن اهتزت صورة الجيش الفرنسي لدى الفرنسيين، إذ صورته هذه الدعاية على أنه مجرد مجموعة من المرتزقة الذين لا علاقة لهم بماضي الجيش الفرنسي التليد، ذو التقاليد الحربية المجيدة، حامى الإمبراطورية و المدافع عن القيم و المبادئ الإنسانية النبيلة. إنما هو جيش -أداة في خدمة مصالح أنانية لعدد من الرأسماليين و الشركات الاحتكارية العالمية. و هو ما أحدث أزمة ثقة حادة بين الجيش و الأمة_الفرنسيين. لذلك فقد كان هدف الجيش الفرنسي من الاستعانة بالنشاط النفسي هو رآب هذا الصدع و مد جسور الثقة من جديد، بما يعيد اللُحمة بين هذا الشعب و جيشه حتى يتسنى لهذا الأخير لعب دوره و أداء مهامه على الوجه المطلوب². أما تحقيق ذلك فيتم من خلال تقديم تكوين تربوي فكري و مدني و أخلاقي يتم عمل الأسرة و المدرسة و المؤسسات، و يحسس المواطن الفرنسي بمسؤوليته كمواطن، بما يبعث فيه روح التضحية و الانخراط، و يحصنه من أخطار الدعاية المغرضة و يؤهله إلى تحمل المسؤوليات المناطة به في زمن الحرب الباردة. إن اتساع دور الجيش إلى الاهتمام بالمدنيين لا يعني خروج الجيش عن مهامه العسكرية المألوفة، و إنما تمليه اعتبارات دفاعية بحتة، فتهديدات الحرب النفسية يتسع مداها ليشمل الجيش و المدنيين معا. كما أن الدفاع عن الأمن المعنوي للوطن، من خلال تحصين مواطنيه و الدفاع عن قيمه، هو هدف استراتيجي من صميم الدفاع عن أمنه العسكري³.

ثالثا: إيجاد و بلورة رد مناسب لنمط الحرب الذي يتبعه الثوار بالجزائر، و الذي خبره الجيش الفرنسي بالهند الصينية و لم يستطع الرد عليه. فالحروب الثورية تفرض أسلوبا جديدا في الحرب. فإلى جانب اعتماد الثوار لحرب العصابات، كنتكتيك عسكري يعتمد الحفة في الكر و الفر و توجيه ضربات مباغتة للقوات النظامية مع تفادي مواجهتها عسكريا على أرضية الميدان...، يتبنى الثوار تكتيكا آخر لقلب الأوضاع و إحداث التغيير يعتمد على تعطيل سلطة السلطة القائمة و إفراغها من محتواها من خلال بسط النفوذ على السكان و تحقيق السيطرة التدريجية، المادية و النفسية، عليهم. ثم تعبئتهم و تنظيمهم و تطيرهم ضمن نظام موازي و متوارٍ يمارس عليهم جميع مظاهر السيادة التي ينازع بها سيادة السلطة القائمة و يسحب من تحتها بساط الشرعية. و في ظل هذا النظام الثوري الصارم الذي يمسك بالسكان بقبضة من حديد، ينتظم السكان عن كره أو طواعية ضمن شبكات متواطنة تأتمر بأمر الثوار و تنفذ تعليماتهم، و تقدم لهم جميع أشكال الدعم و المساعدة، حتى إذا بلغ « العفن » (le pourrissement) مداه، أصبح الثوار يسيرون في واضحة النهار و يعيشون بين السكان كما تعيش السمكة في الماء. و تبعا لذلك يصبح السكان بدورهم طرفا مباشرا في الصراع و عدوا غير سافر يحتاج إلى معالجة خاصة، مما يجبر القوات النظامية، بسبب إفلاس و سائلها الكلاسيكية في القتال، على التكيف و البحث عن رد مناسب لهذا النمط الجديد في الحرب.

¹ - المصدر السابق، ص. 46-47.

² - المصدر السابق، ص. 6 و 13.

³ - SHAT 1H 2410/d.1, Instruction du Ministre des Armées du 23 juillet 1959, p.2 ; SHAT, 1H 2410/d. 1, L'action psychologique : Légitimité et limite, p. 3 et 6.

المطلب الرابع : تحليل الفرنسيين للثورة الجزائرية

في تحليلهم للثورة الجزائرية، خرج الفرنسيون بنتائج هامة غدت محل قناعة عميقة لديهم تتمثل في أن الحرب التي تشنها الثورة عليهم هي حرب ثورية تستلهم مبادئها من نمط الحروب الثورية الشيوعية التي أرسى قواعدها كل من لينين و ماو تسي تونغ و هوشي منه و صن يات صن و غيرهم من منظري الشيوعية العالمية الذين يجعلون من السكان المجال الأول و الأمثل لقلب الأوضاع و إحداث الانقلاب في النظم السائدة. و لذلك، فالثورة الجزائرية هي بالنسبة لهم حرب ثورية (révolutionnaire)، مخربة و هدامة (subversive)¹، و شمولية (totalitaire)²، تعتمد في تحقيق أهدافها على تطبيق أسلوب حرب العصابات في الميدان و نشاط الدعاية و الحرب النفسية بين السكان، وفقا لمسار مضبوط يتم على خمس مراحل كالتالي³ :

ففي المرحلة الأولى تَعْمِدُ حفنة عازمة من الرجال، تمثل النواة الثورية الأولى، إلى تنفيذ عددٍ من العمليات الإرهابية المتفرقة هنا وهناك ضد أهداف و منشآت مختلفة و منعزلة يكون أثرها النفسي أهم من نتائجها العسكرية، حيث تكون الغاية الأولى لذلك هي مفاجأة الرأي العام المحلي و الدولي و إثارة و جذب انتباهه و وضعه أمام "مشكلة" سرعان ما تتحول بدورها إلى "قضية" تبحث عن التدويل. أما غايتها الثانية فتتمثل في العمل على خلق حالة من الاضطراب و اللأمن لشل السير العادي للحياة العامة؛ و تفتيت قوات الأمن، التي عادة ما تسارع إلى التمرکز حول المنشآت الحيوية و الحساسة لحمايتها.

رد السلطة القائمة يكون في بدايته سريعا و عنيفا و مطبوعا بكثير من الانفعال و الارتجالية، يأخذ شكل إجراءات أمنية، تملئها قبل كل شيء اعتبارات الفعالية لصون هيبة السلطة القائمة واحتواء الوضع. قوات الأمن تحاول عبثا و في كل مكان ضرب عدو يتفادها، لا تراه ولا تحدد هويته، فترتكب العديد من الأخطاء، التي تثير سخط السكان وتجلب لها الكثير من الانتقادات من لدن الصحافة. وفي هذا الجو المشحون تبدأ المرحلة الثانية بتسجيل الثوار لاغتيالات شديدة الوقع في نفوس السكان تستهدف تصفية عددا من الشخصيات الهامة الممثلة للسلطة القائمة، كالقياد والباش آغات ورؤساء المجالس البلدية بالإضافة إلى تصفية عدد من العناصر المتعاملة والمتعاونة مع أجهزتها الأمنية كالمخبرين والوشاة، بما يبرهن على عجز السلطة القائمة عن حماية أعوانها. هذه الاغتيالات يتم تنفيذها تحت عنوان "هذا هو المصير الذي ينتظر الخونة". فيعي السكان الدرس ويتجمعون ذلك آليا في سلوكهم بالابتعاد عن الإدارة والحدّ من التعامل معها طلبا للسلامة. و بذلك تنتهي هذه المرحلة بربح الثوار لمعركة خلق "جدار الصمت" و تحقيق "التواطؤ الصامت". على إثر ذلك تدهن المرحلة الثالثة، التي تشهد بدورها التمييز بين العاملين السياسي والعسكري من خلال بروز التشكيلات المسلحة الأولى.

¹ - و تعرفها المصادر الفرنسية بأنها : « حرب تندلع داخل إقليم، يشنها بعضا من سكانه ضد السلطة القائمة بعين المكان، التي تُسيطر عليه و تستند في شرعيتها إلى قوة القانون أو قوة الأمر الواقع. سكان هذا الإقليم، الذين يعتبرونها عدوة، يعملون على الإطاحة بها و سحب السلطة منها أو على الأقل تعطيل عملها، و هم لتحقيق ذلك قد يستعينون بالدعم الخارجي ».

SHAT, 1H 2518/d.1, Définition concernant les formes particulières du conflits, annexe à la causerie faite par le Colonel B. de Susbielle, op. cit.

² - بمعنى أنها تستوعب جميع مظاهر الأنشطة الإنسانية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية، اجتماعية أو نفسية و عسكرية، التي يتم تسخير كلها لفتح النفوس و تحقيق السيطرة عليها.

³ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe III.

المدشنة لحرب العصابات، التي تحل محل الفرق الفدائية أو تتواضع معها. نشاط هذه التشكيلات المسلحة يتمثل في: 1- تعهد حالة من اللامن من خلال القيام بهجمات ضد حاميات معزولة لإجبارها على التراجع بهدف استغلال الفراغ الحاصل في المجال لإنشاء "مناطق محررة" التي تكون بدورها أرضية لوضع النواة لسلطة موازية. 2- القيام بأعمال حرق و تخريب لشل النشاط الاقتصادي مع الحرص على تفادي كل مواجهة مباشرة مع قوات الأمن، أو حتى فتح جبهة عسكرية معها. تكتيك الثوار هنا يعتمد على الخفة و السرعة في الحركة عند الكر و الفر، حيث لا يقل الانسحاب الجيد أهمية عن التقدم المنتصر، و ذلك طبقا للتكتيك التالي :

« العدو يتقدم، فلنتراجع؛

العدو يتخندق، فلنناوشه؛

العدو قد استنفذ قواه، فلنجهز عليه؛

العدو يتراجع، فلنطارده»¹.

كما تشهد هذه المرحلة أيضا زرع "أنوية نشطة" وسط السكان، مهمتها تحويل التواطؤ الصامت أو السلبي إلى "تواطؤ موجب أو فاعل" لتعبئة السكان من خلال تكثيف نشاط الدعاية، وإصدار أوامر و نواهي، وفرض الضرائب وتحصيل الاشتراكات. و في هذه المرحلة أيضا تصبح عمليات الثوار أكثر جرأة، فيتحولون من مجرد حفنة من "قطاع طرق"، و "خارجين عن القانون" و "فلافة" إلى جيش.

المرحلة الرابعة و هي مرحلة انتقالية تتميز بتكثيف عمليات التجنيد لإنشاء وحدات نصف نظامية، تسجل ظهورها إلى جانب تشكيلات حرب العصابات التي يتضاعف عددها باستمرار. فيتعزز حضور الثوار في كل مكان، و لكنهم يتفكرون و يستعصون عن القبض و الإمساك، و تملأ وقائع انتصاراتهم الآفاق. كما تشهد هذه المرحلة أيضا تعدد في الأنوية النشطة التي تؤطر السكان في نظام هرمي يسمح بربط القمة بالقاعدة بما لا يدع مجالاً لأحد في البقاء على الحياد، و بما يسمح بوصول أوامر القيادة إلى القاعدة و مراقبة تطبيق التعليمات. كما يتم توزيع العمل لأداء عدد من الوظائف.

حتى إذا أشرفت هذه المرحلة على نهايتها كان التنظيم الثوري يتوفر على نواة صلبة لقوة عسكرية ضاربة و إدارة شبه مدنية، كلتاها في خدمة سلطة سياسية، تبحث لنفسها عن الشرعية بعد أن تحصلت على القوة. بلوغ المرحلة الخامسة و يفترض فيه تحقق ثلاثة عوامل: أولها توفر الحركة الثورية على قيادة ثورية موحدة لا تُنازع؛ ثم ثانيا وجود إقليم خاضع لهذه القيادة - كالمناطق المحررة مثلا، أو مناطق واقعة خارج الحدود- يكون مجالاً لممارسة سلطتها، مع توفر هذا الإقليم على موارد كافية لتحمل نفقات إعالة القوات المتمركزة به؛ ثالثا وجود تنظيم إداري و سياسي و عسكري يضمن التأطير المعنوي اللازم لسكان هذا الإقليم.

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Note personnelle sur la guerre psychologique, par le Général Jean Olie, p.6.

بتوفر هذه العوامل الثلاث، تبدأ السلطة السياسية للثوار في فرض شرعيتها من خلال الانتقال التدريجي من العمل السري إلى العلني. و متى تيقنت من قوة حضورها بين السكان و دعم هؤلاء لها، أصبحت أكثر فأكثر تنازع السلطة القائمة في سلطتها و تحاصرها، فتشل عملها وتعطل قراراتها و تفرغ سيادتها من محتواها. عندئذ تضطرب موازين القوى و الشرعية بين الجانبين لترجح الكفة في النهاية لصالح الثوار، الذين يتحولون بمضي الوقت إلى "وطنيين". فتجند ضدهم مزيدا من القوات دون أن تنجح في القضاء عليهم. ثم يمضي الوقت، و تقترب ساعة الحسم، فيفيق العالم يوما على وقع خبر مفاده أن "جيش الاستقلال" أو "جيش التحرير الوطني" قد حقق انتصارات ساحقة ضد قوات الاحتلال¹.

مما سبق، يظهر جليا أن اندحار السلطة القائمة لم يكن مرده لهزيمة عسكرية منيت بها، و لا لنصر عسكري حاسم حققه الثوار عليها. وإنما مرده أساسا لاضمحلال سلطتها و نفوذها على السكان نتيجة عمل في العمق قام به الثوار عليهم، حيث تكون عملياتهم التخريبية و الإرهابية و حرب العصابات مجرد عمل في السطح جاء ليدعم عملهم في العمق لسيطرتهم على السكان وإحكام سيطرتهم النفسية و المادية عليهم. و هو ما يكشف في النهاية عن اللون الجديد في هذه الحرب، فإذا كان النصر أو الهزيمة في الحروب الكلاسيكية يقاس بمدى تقدم أو تراجع الجيوش الزاحفة في الميدان أو باحتلال موقع ما أو سقوطه بين يدي الخصم، فإن النصر في الحروب الثورية يقاس بمدى تغلغل الثورة بين السكان و بمدى اعتناق هؤلاء لها و امتثالهم لأوامرها و رفضهم للسلطة القائمة بعين المكان. و تبعاً لتغير أرضية الحرب تتغير الوسائل لتصبح كل وسيلة تؤدي إلى التأثير في العقول و القلوب. فالحرب الثورية هي حرب نفوذ و سيطرة على السكان، حيث يكون النصر في النهاية حليف من يسيطر عليهم ويكتسبهم إلى صفه².

من هنا يظهر جليا خطل الحلول العسكرية البحتة للمشاكل التي تفرضها الحروب الثورية. فالقضاء على عدد من الثوار هو عديم الأهمية إذا كان الشعب يمد التنظيم الثوري بمن يخلفهم؛ كما أن استعادة كمية من الأسلحة من أيدي الثوار هو عديم الجدوى أيضا إذا كان الشعب يساهم في إخفاء كميات أكبر منها³. و منه تظهر أهمية الشعب، كمعطى أساسي و جديد في هذا الصراع، و هدف يجب الاستحواذ عليه دون تحطيمه. و هو ما يعني أنه كان على الفرنسيين تكييف وسائلهم مع المستجدات الجديدة التي تفرضها الحرب الثورية، و بلورة رد مناسب لأسلوب الحرب الذي تنتهجه الثورة الجزائرية⁴.

يتوقف النجاح في الحروب الثورية على مدى اعتناق السكان و تفاعلهم مع الثورة. لذلك يولي العمل الثوري أهمية خاصة لمسألة تمكين الثورة بين السكان بما يمكنها من التجدر و التأصل فيهم و يدفعهم إلى تحملها و تبنيها. العمل الثوري في هذا الاتجاه هو عمل في العمق، بالغ الدقة، يقوم على الدعاية، و يخضع لأسس و ينضبط بقوانين، ويتمثل أساسا في استقطاب و شحذ طاقات شعب معين و تحريرها وفق وجهة معينة بما يحقق

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Note sur la guerre psychologique menée par la rébellion algérienne en Grande Kabylie, par le Général Jean Olie p.1- 5 ; aussi, SHAT, 1H 2577/d.1, Projet IFA-SUB.1958 : Instruction pour l'emploi des forces armées dans la lutte contre la subversion, p. 1-9

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p.1.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, p.1.

⁴ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, Alger, Baconnier, (s.d.), p. 60.

الهدف المنشود. و هو يقوم على ثلاثة أسس هي: التحريض، فالدعاية، ثم التنظيم. فالتحريض هو نشاط نفسي يقوم به المُحرِّض (l'agitateur) الذي اندس بين السكان و تلقى مهمة الدعاية بينهم. غاية التحريض هو كسر توازن غير واع لدى الجماهير كالرضا و التسليم بوضع غير مقبول مثلا. فحيثما لا يرى الأفراد، موضوع التحريض، وجود مشكل ما في ذلك الوضع، يقوم المحرض بوضع إصبعه على ما هو غير مقبول في ذلك الوضع بما يؤدي إلى طرح المشكل و كسر موقف الحياد و عدم الاكتراث لدى هؤلاء الأفراد، و بما يوئد لديهم شعورا بالخوف أو الكره أو الاستنكار، أو التضامن و التعاطف و الحماس... عند هذا الحد من التفاعل تتدخل الدعاية، حيث يتمثل دورها في تقديم مقدمات فكرية للأفراد موضوع التحريض، تؤدي نتائجها إلى الدفع بهم إلى السير في الاتجاه المنشود للمحرض. و بمعنى آخر، فإن العلاقة الموجودة بين عمليتي التحريض و الدعاية هي نفسها القائمة بين مُحرك و مِقود في سيارة، فبينما يقوم المحرك بالدفع يتولى المقود تحديد الإتجاه. و إذا كان دور التحريض هو خلق و إحداث رغبة لدى الأفراد للعمل و التغيير، فإن دور الدعاية هو أن تقترح عليهم ما يجب عليهم عمله و تغييره - لا أن تدلهم عليه. كما يتمثل دور الدعاية أيضا في تقديم المبررات اللازمة هؤلاء الأفراد لتبرير ما يقومون به أمام أنفسهم.

توجيه عمل الأفراد الوجهة المطلوبة، و الحيلولة دون إهدار الطاقات يقتضى وجود تنظيم محكم يُوَظِّرهم. لذلك، مباشرة بعد استكمال عمليتي التحريض و الدعاية، يشرع المحرض في تنظيم السكان بما يحقق تدريجيا إشراك جميعهم في الجهود الحربي للثورة. عمل المحرض في هذا الاتجاه، يتخذ كقاعدة انطلاق له تحويل المجموعات الحديثة التكوين، و التي عادة ما تضم أشخاصا عرفوا باقتناعهم و تحمسهم للقضية منذ ساعتها الأولى، إلى "أنوية و خلايا تنظيمية" تشكل بدورها الأساس لـ"نظام مواز". فيتوزع السكان بين شبكات للدعم و التموين: واحدة لجمع الأموال والأسلحة، و ثانية للاستعلامات و ثالثة للبريد و الاتصال و رابعة للدفاع الذاتي... و غيرها من الشبكات الأخرى التي تقدم الدعم للثوار و ترمي بالسكان في صف الثورة¹.

تحليل الفرنسيين لعمل الثورة الجزائرية في تعبئة و تجنيد السكان أفضى إلى وجود تماثل كبير بين النمط أعلاه و أسلوب عملها في الميدان². و بالرغم من اعترافهم بحصول الثورة على قصب السبق في هذا المجال³، إلا أنهم غالبا لا يعزون ما حققته من نجاح لقوة وسائلها في الإقناع، و إنما يعزونه لاستعمالها لأساليب أخرى تعتمد الإكراه النفسي كالإرهاب و التخويف و التصفية الجسدية، مما يجعل الناس مجبرين قسرا على إتباع الثورة، لا باعث يبعثهم على ذلك سوى غريزة حب البقاء⁴. و بناء عليه يقرر الفرنسيون بأن عدد الذين اعتنقوا الثورة عن قناعة و تعاطف لم يزد عن عُشر الشعب الجزائري. و أنه بعد أن تم إسكات عُشر آخر منهم بالإرهاب و التخويف و التصفية الجسدية لتعاطفه مع فرنسا، أجبرت نسبة الثمانين في المائة الباقية من السكان، بفعل الضغط و التهديد و التخويف والجهل، على الانخراط في الثورة، لتجد نفسها بفعل التواطؤ قد

¹ - SHAT, 1H 1113/1, (sans titre), N° 2196/CAC/PY du 2 Août 1957, p. 1-2.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Organisation territoriale, militaire et politico-administrative de l'A.L.N.-F.L.N., p. 13-16 ; aussi, SHAT, 1H 2577/d.1, Caractères généraux de la guerre insurrectionnelle, p.3- 4.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Note sur le rôle de l'Armée dans les tâches de pacification, (s. d.), p. 3.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les Généraux Commandants de Zone, n° 524/CAA/3.OPE, Alger 23 mars 1957, p. 5.

وُرِّطت وأصبحت مجبرة على السير في الثورة حتى النهاية¹. « فالحقيقة هي أن جبهة التحرير، تماما مثلها مثل الحزب الدستوري الجديد، هو حركة لمجموعة من المثقفين البرجوازيين الصغار، التي لا تتوفر لها على أي قاعدة شعبية لدى الجماهير الريفية للبلاد، هذه الجماهير المشكلة في غالبيتها من جماهير سلبية و مستسلمة، و لا تتوفر على تربية سياسية و بالتالي من السهل مغالطتها و توجيهها² ».

للتصدي للثورة الجزائرية، سعت السلطات الاستعمارية مند البداية إلى بلورة رد مناسب لأسلوب الحرب الذي تنتهجه الثورة الجزائرية، ردا أرادته أن يتسم بطابع الشمولية ليكون بدوره جوابا شاملا للحرب الشاملة التي تنتهجها الثورة. ردا تجد فيه الحرب النفسية المكان اللائق بما في هذا الصراع، ضمن نسق متكامل و شامل يغطي مختلف الجوانب السياسية والعسكرية و الاقتصادية والاجتماعية. وهو الأمر الذي تمت ترجمته عمليا باعتماد «حرب التهذئة» (la pacification). ففي هذه الحرب الشاملة يحتل السلاح النفسي مكانة هامة، ليس فقط بسبب النجاح التي تحوّلها له التقنيات الحديثة، ولكن أيضا بسبب كونه الوحيد القادر على قياس و تقييم النتائج المحصّل عليها في الميدان، و لذلك، كان هذا السلاح هو الوحيد الذي يعود إليه القرار لتحديد شروط توظيف الأنشطة الأخرى³.

اعتماد الحرب النفسية كسلاح للرد على الثورة كانت الغاية منه أخذ المبادرة من الثورة ومحاربتها بنفس سلاحها و منازلتها على نفس الميدان الذي اختارته آلا و هو السكان⁴. غير أن تحقيق ذلك كان يصطدم بعائقين اثنين هما: البعد "الأخلاقي" الذي يطرحه استعمال هذا السلاح في نطاق الحرب الباردة؛ ثم غياب مذهب معتقدي (une doctrine) يُرشد استعمال هذا السلاح و يكون بمثابة خطة عمل في الميدان.

فبالنسبة للعائق الأول، و المتمثل في البعد الأخلاقي الذي يطرحه استعمال السلاح النفسي فمرده لنظرة خاصة عند الغربيين -و الفرنسيين على وجه الخصوص- التي تربط استعمال هذا السلاح بممارسات الأنظمة الشيوعية الموصوفة بـ "الشمولية" التي تعمل على تطويع الأفراد و المجتمعات لنشر نظامها و الهيمنة على العالم، و ما يترتب عن ذلك من مساس بكرامة الإنسان و بحرياته الأساسية. أضف إلى ذلك، أن ارتباط هذا السلاح بأنشطة مشبوهة كالتضليل و التسميم و غسل الدماغ قد جعل البعض يرى في استعماله تعارضا و تنافيا مع مبادئ و مثل و حضارة الغرب التي كرست في كل أطوارها تطوع الفرد إلى الحرية و الديمقراطية، و تهديدا حقيقيا لأنظمة الغرب الليبرالية التي قد تتحول بدورها إلى أنظمة شمولية إذا ما أُفرط في استخدام هذا السلاح أو حدث أن وقع تحت يد سلطة متهوّرة، كما وقع ذلك في ألمانيا النازية. لكن هذه المسألة سرعان ما تم تجاوزها باعتماد نظرة أكثر ذرائعية: فإذا كان السلاح النفسي سلاحا غير أخلاقي فذلك لا يبرر تركه كلية

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Caractères généraux de la guerre insurrectionnelle, p.3 ; SHAT, 1H 2409/d.1 ; Directives n° 2 pour les Généraux Commandants de zone, 23 mars 1957, p.5.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p.1.

³ - Les missions de l'Armée Française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, Conférence donnée au SHAPE par le Général de Corps d'Armée ALLARD, Commandant le Corps d'Armée d'Alger avec l'assistance des Colonels GODARD et GOUSSAULT, le 15 novembre 1957, annexe II, (s.p.)

⁴ - SHAT, 1H 2408, Observations concernant la guerre psychologique et l'action psychologique, par Lieutenant de la CROIX-VAUBOIS, officier itinérant, p.3.

للعُدو ليستأثر باستعماله بدعوى "الحفاظ على اليدين نظيفتين" ¹، كما أن الضرورة الداعية إلى استعماله لا تبرر أيضا الإفراط في استعمال إمكانياته اللا أخلاقية ². و للخروج أكثر من هذا المأزق، تمت بلورة شبه مذهب في الحرب النفسية تم تطعيمه و تجميله ببعض المبادئ الأخلاقية لتسهيل تسويغه للناس، كاحترام حرية و كرامة الفرد، و الاعتماد على " الاعلام الموضوعي و التربية" ³. و قد اصطلح على تسميته بـ "الحرب النفسية المحدودة على النمط الغربي" ⁴. حيث تعني كلمة "محدودة" حربا نفسية محصورة في نطاق الزمان و المكان و المجال، في مقابل الحرب النفسية "الشاملة و الدائمة" المطبقة من قبل (الأنظمة الشيوعية)؛ أما بالنسبة لكلمة "غربي" فالمراد به إعطاء بعد أوسع لهذا النمط في الحرب، يختلف عن نمط المعسكر الشرقي و يتجاوز النطاق الفرنسي الضيق ليصبح نمطا عسكريا في إطار أوروبي غربي أي في نطاق الحلف الأطلسي. حيث تكون المهمة الأولى للحرب النفسية المحدودة على النمط لغربي هي الدفاع عن مبادئ و حضارة و قيم الغرب، الذي يستمد قوته و حصانته المعنوية ضد هجمات الحرب النفسية الشيوعية من تنوع بنياته الاجتماعية و تعدد منظماته الحرفية و النقابية و الطلابية و كثرة جمعياته الدينية وازدهار أندية الرياضة و غيرها، التي تبقى في النهاية التعبير الحقيقي و الأمثل عن تعلق شعوبه بقيم الحرية في التفكير و العمل ⁵.

أما بالنسبة للعائق الثاني فقد ظل الجيش الفرنسي حينما من الزمن يعاني من غياب مذهب عملي يرشد استعماله للسلاح النفسي في الميدان ⁶، مما فتح الباب لاجتهادات و محاولات فردية و محلية محدودة، قام بها بعض الضباط اتسمت في الغالب بنتائج محدودة و بطابع القصور. لذلك ظهرت الحاجة ماسة إلى بلورة خطة عمل مستعجلة في هذا المجال. و هو ما دفع بقيادة الجيش الفرنسي إلى الوقوف مليا عند هذه المسألة. فبأمر من وزير الدفاع الوطني الفرنسي تم تشكيل لجان عسكرية أسندت إليها مهمة بحث الجوانب المختلفة المتعلقة باستعمال هذا السلاح، و تحرير وثيقة تضع الأسس لمذهب عملي في الحرب النفسية و تكون بمثابة مرجع أساسي للضباط و الجنود في الميدان. و هو ما تم تحقيقه بصدر "التعليمات المؤقتة حول استعمال السلاح النفسي" في النصف الثاني لسنة 1957 ⁷. و هو ما يعكس في جانب منه التأخر الحاصل في ضبط استعمال هذا السلاح. و إن كان ذلك لا يعني بالضرورة أن الجيش الفرنسي كان طيلة كل هاته الفترة مكتوف الأيدي او في حالة انتظار، فقد كانت هناك تعليمات أخرى سارية المفعول غير أنها كانت غير كافية و تعاني النقص في كثير من جوانبها.

¹ - SHAT, 1H 2518/d.1, Les fondements de la guerre psychologique, Résumé de conférences faites par Monsieur BONNEMAISON du 11 au 14 Novembre 1957, p. 15

² -

³ - SHAT, 1H 2518, d.1, Les fondements de la guerre psychologique, Résumé de conférences faites par Monsieur BONNEMAISON du 11 au 14 Novembre 1957, conférence n°4.

⁴ - SHAT, 1H 2411/d.1, Note personnelle sur la guerre psychologique, par le Général Jean OLIE, p. 11-14.

⁵ - SHAT, 1H 2518/d.1, Les fondements de la guerre psychologique, Résumé de conférences faites par Monsieur BONNEMAISON du 11 au 14 Novembre 1957, p. 16-17 ;

⁶ - SHAT, 1H 2409/d.1, Aspects psychologique du conflit, 3 avril 1957, p. 26-27.

⁷ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, approuvé par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat-Major Général des Forces Armées, le 29 juillet 1957, 77p.

عمل الفرنسيين في الرد على الثورة الجزائرية كان يسير على المسار التالي:

في المرحلة الأولى يركز العمل على « إخراج السكان من دائرة الخوف و تخليصهم من قبضة الخلايا الثورية ». حيث يتم في هذه المرحلة تركيز جميع الجهود للقضاء على هذه الخلايا و ذلك باستعمال تقنيتين : التقنية الأولى، هي تقنية بوليسية هجومية تتمثل في السعي الحثيث لاستئصال و تفكيك و القضاء على الخلايا الثورية، الجهاز العصبي للثورة، أينما وجدت و « التي تسيطر على السكان و تحكم قبضتها عليهم » و تُقدم الدعم اللوجستيكي للوحدات المسلحة في الجبال. لأنه طالما بقيت هذه الخلايا الثورية في حالة عمل و نشاط بين السكان استحال السيطرة علي هؤلاء و تعذر تحقيق أي نجاح في الميدانين العسكري و السياسي. لذلك كان استئصال هذه الخلايا و تفكيكها من أولى مهام قوات «حفظ النظام»، بحيث كان تفكيك خلية واحدة من خلايا الثورة يفوق في أهميته القضاء على خمسة أو ستة عناصر من الثوار بالجبال¹.

التقنية الثانية، و هي تقنية عسكرية دفاعية ضد العناصر و الوحدات العسكرية للثورة، للعمل من أجل الحيلولة دون بلوغ الثورة مرحلتها الخامسة المتمثلة في السيطرة العسكرية، الجزئية أو الكلية، على الإقليم. فبالموازاة مع الجهود البوليسية للقضاء على الخلايا الثورية، يقوم الجيش بتكثيف عملياته العسكرية لمحاصرة و تضيق الخناق على الوحدات العسكرية للثورة لسلبها حرية المبادرة، مستفيدا في ذلك من انقطاع الدعم اللوجستيكي و المعلومات الذي كانت تقدمه لها الخلايا الثورية المتواجدة بين السكان، مما يجعل الوحدات العسكرية للثورة أهدافا سهلة للجيش الفرنسي. لذلك فاستئصال الخلايا الثورية هو من أولى الأولويات، لأنه متى نجح الجيش في استئصال هذه الخلايا أمكن القضاء بسهولة على التنظيم العسكري للثورة².

بالتوازي مع هذه الجهود البوليسية و العسكرية يتم القيام بنشاط نفسي مكثف على السكان يعتمد في مرحلته الأولى على الإعلام الذي يعني هنا « تقديم عناصر و معطيات تُثير و تُعين على الاختيار », الاختيار بين السير في صف الثورة أو العودة إلى صف فرنسا. فغالبية سكان الريف لا يتوفرون من الأخبار إلا على ما تناقلوه مشافهة و سماعا من بعضهم البعض، و هي الأخبار، التي لا تزيد في غالب الأحيان عن « شائعات مغرزة هي في الغالب من ترويج الثوار تقدم معلومات مزيفة و مضللة لصالحهم ». لذلك فإن تقديم معلومات كافية و سريعة و موضوعية هو عمل من شأنه قطع الطريق أمام هذه الشائعات. و بقدر ما كانت هذه المعلومات أسرع كان وقعها في النفوس أعمق، ف "الإعلام" هو بدوره معركة أخرى يكون النجاح فيها حليف من يُحقق سبق في الإعلان، لأن الإعلام بالشيء أسهل من تفنيده³. أما عن محتوى هذا الاعلام فيتمثل في تعريف السكان بـ"عدوهم الحقيقي" الذي هو الثورة ممثلة في جبهة التحرير، من خلال فضح

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les Généraux Commandants de zone, n° 524/CAA/3. OPE. 6/TS, Alger, 23 mars 1957, p.3.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les Généraux Commandants de zone, n° 524/CAA/3. OPE. 6/TS, Alger, 23 mars 1957, p.2-5 ; SHAT, 1H 2577/d.1, Directive générale sur la guerre subversive, 24 février 1959, p.4 -9.

³ - SHAT, 1H 1113/1, Note 2196/CAC/PY du 2aout 1957, p. 1.

أهدافها- التي تُصوّر دائما بأنها الوصول إلى الحكم لفرض ديكتاتورية شيوعية مستبدة تخنق الحريات، و كشف أساليبها المستعملة لبلوغ أهدافها - و التي عادة ما تصور أيضا بأنها تعتمد الإرهاب و التخويف و الإكراه لا بالإقناع. في نفس الوقت و بالمقابل، يتم تعداد المزايا المادية التي يمكن هؤلاء السكان جنبها من عودة « السلم الفرنسي ». وانطلاقا من هذه المزايا المادية كان يتم الصعود لتشخيص قيم روحية و اخلاقية لهم تمثل مصدرا لكل سلم و رخاء مادي و معنوي يبحثون عنه. أما عن وسائل تقديم هذا الإعلام فيتم باستعمال الوسائل المسموعة كالراديو و مكبرات الصوت التي تلقي خطبا في الأماكن العامة، و كذا الخطب في الحشود التي ينظمها ضباط مختصون خلال أيام التسوق و خلال التجمعات الأسبوعية الإجبارية المخصصة لتجميع الأهالي و الخطابة فيهم؛ وكذلك باستعمال الوسائل المقروءة كالجرائد و المنشير و الوسائل المشاهدة كلوحات الإعلام و قاعات الإعلام و اللافتات و غيرها... علما أنه إلى جانب هذا « الاعلام » الموجه من الخارج، أي من خارج السكان، كان هناك « إعلام » موجه من داخل السكان و الذي تقوم به عناصر و مجموعات من الأهالي تأتمر بأمر الجيش و تنفذ تعليماته و تعليمات الإدارة الفرنسية، نذكر من بينهم : مسؤولي الدواوير، منشطو مراكز و نوادي الشباب، النساء المنتسبات لنوادي الدوائر النسوية، قدماء الحارين و الجندين المنتسبون لنوادي ديار العسكري... و غيرهم، من الذين يقومون بنشاط دعائي هام و مخطط في هذا المجال¹.

المرحلة الثانية و تتميز بتكثيف الجهود للإجهاز على التنظيم العسكري للثورة الذي أصبح يعاني انقطاعا في الدعم المادي و نضوبا في المعلومات بعدما تم القضاء على خلاياها الثورية العاملة بين السكان. كما تتميز هذه المرحلة بتكثيف النشاط النفسي على السكان ل « تربيتهم و تنظيمهم »، حيث تعني تربيتهم : توجيه اختيارهم نحو وجهة معينة، توحى بها و تدل عليها الإنجازات الفرنسية المحققة في الميدان، و هي إنجازات يفهمها السكان و يلمسونها. في حين يعني تنظيمهم: مساعدتهم على اتخاذ و اختيار مسؤولين يقودونهم ضمن هيكل تنظيمي يسمح بوصول صدى كل مسؤول إلى جميع أفراد التنظيم. أما الهدف من هذه المرحلة فهو جر السكان إلى التعاون مع « قوات حفظ الأمن » و اشراكهم في الحرب ضد الثورة. ذلك أنه بعد أن تم تخليص السكان من « الخوف و من دعاية و قبضة » الخلايا الثورية، وما يحدثه ذلك من فراغ، فإنه يتوجب ملأ هذا الفراغ بدعاية و تنظيم آخرين موالين لفرنسا، يأخذان على عاتقهما إعادة بعث التواصل معهم و كسب ودهم، و حمايتهم ليسترجعوا ثقتهم في أنفسهم. ثم مساعدتهم على العودة من جديد إلى حياة عادية، بتوفير العمل لهم في ورشات للأشغال العمومية. ليتم في الأخير، جرهم إلى التعاون مع قوات الأمن، و ذلك من خلال قيامهم : أولا بحماية أنفسهم ضد أعوان الثورة، من المكلفين بالدعاية و جمع الأموال و السلاح، و ضد العناصر الفدائية المكلفة بالقيام بعمليات عقابية ضد المتعاونين مع السلطات الفرنسية؛ ثانيا بالتقديم العفوي للأخبار و المعلومات ل « قوات الأمن »، الذي يعتبر في ذاته مؤشرا قاطعا على عودة هؤلاء السكان إلى صف فرنسا. حتى إذا ما تحقق كل ذلك، بدأ تنظيمهم في فرق للدفاع الذاتي، « للدفاع عن أنفسهم »،

¹ - Les missions de l'Armée Française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, Conférence donnée à SHAPE par le Général de Corps d'Armée ALLARD, Commandant le Corps d'Armée d'Alger avec l'assistance des Colonels Godard et Goussault, le 15 novembre 1957, annexe II, (s.p.)

وللمشاركة في العمليات العسكرية إلى جانب الجيش الفرنسي. فيتحررون نهائيا من عامل الخوف و ينخرطون في صف فرنسا و يرتمون في أحضانها¹.

المرحلة الثالثة، و تتميز بوجود مناطق شاسعة قد تمت « تهدئتها»، كما بدأ النشاط النفسي يعطي ثماره المتمثلة في انخراط السكان بشكل واسع ضمن التنظيم الجديد و مساهمتهم في العمليات العسكرية ضد الثورة مدعومين في ذلك بقوات الجيش الفرنسي. لذلك لم يبقى إلا توفير حد أدنى من المراقبة للحفاظ على المكتسبات المحققة و إجهاض المحاولات المتجددة و المحدودة التي قد تُسجل هنا وهناك لتكوين خلايا جديدة، تبعث التنظيم الثوري من الرماد².

المطلب الخامس : مهام و أهداف الحرب النفسية الفرنسية في حرب الجزائر

تضطلع الحرب النفسية الفرنسية في حرب الجزائر في تحقيق المهام التالية³ :

- العمل على رسم خريطة نفسية للجزائر، و خاصة للمناطق التي تمثل مجالا « لحرب التهدئة»، بما يمكن من تقدير جيد لنجاحاتها و اخفاقاتها.
- تنوير الحكومة الفرنسية و الإدارة الجزائرية و حتى القيادة العسكرية حول الإجراءات الواجب اتخاذها، مع الأخذ بعين الاعتبار توقع ردود الفعل النفسية و المعنوية التي ستصدر عن السكان.
- تنظيم عمليات للأبهة (opération de prestige) من أجل إهيار السكان و إدخال الرهبة في نفوسهم كتنظيم مظاهرات جماهيرية حاشدة مثلا.
- الاستغلال الدعائي و الإعلامي لكل الإنجازات و المكاسب الايجابية المحققة، - حتى بما في ذلك الإجراءات العقابية و القمعية المتخذة ضد الثوار- مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الدعاية الجيدة لن تجدي شيئا أمام منتج رديء النوعية.
- الاستعداد و التحضير ليوم قد يتم فيه تنظيم استفتاء لتقرير المصير كأحد الحلول الممكنة للخروج من الحرب. و هو الحل الذي يتوجب الاستعداد له منذ الآن بتهيئة النفوس، حتى لا تكون نتاجه لصالح جبهة التحرير الوطني⁴.

أما بالنسبة لأهداف الحرب النفسية الفرنسية في حرب الجزائر على المدى القريب فقد كانت تتمثل في تحقيق ما يلي⁵:

- أولا : رفع معنويات القوات الفرنسية بمختلف تشكيلاتها و ابطال مفعول التأثيرات التخريبية الهدامة. مع تركيز جهود أكبر للتأثير في معنويات الجنود و الضباط الكوادر بما يخلق لديهم وعيا جيدا و عميقا بالمشكل الجزائري و بالسياسة الحكومية في الجزائر و بالمهام التي تنتظرهم في إطار حرب.

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les Généraux Commandants de zone, 23 mars 1957, p.5 - 6.

² - SHAT, 1H 2577/d.1, Directive générale sur la guerre subversive, 24 février 1959, p. 8 - 9.

³ - SHAT, 1H 2408, Etude sur l'action psychologique en Algérie, p.4.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, p.2

⁵ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, p. 40 ; SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche - Exposé sur l'action psychologique en 10° R. M., p.1.

« التهدة ». إذ أن نشاطهم النفسي على السكان لا يقل أهمية عن نشاطهم العسكري في ساحة القتال.

- ثانيا: القيام بنشاط نفسي على الجزائريين من سكان الريف، سواء القاطنين بالمناطق المسترجعة من الثورة أو القاطنين بالمناطق الخاضعة لتأثيرها. حيث يكون الهدف من النشاط النفسي على الأوائل هو إيقاظهم تحت التأثير الفرنسي و تعزيز ثقتهم في فرنسا؛ في حين يهدف النشاط النفسي على الأواخر إحداث و تنمية شعورا بالتذمر و الثورة على الثوار و خلق مشاعر ولاء تجاه فرنسا.

- ثالثا: تحطيم معنويات الثوار بهدف تقويض روحهم القتالية و زعزعة ثقتهم في قادتهم و مسؤوليهم، و تشكيكهم في عدالة و انتصار القضية التي يناضلون من أجلها ، كل ذلك بما يهيئهم للاستسلام و العودة مجددا إلى المجموعة « الفرنسية- الجزائرية » (la communauté franco- musulmane).

أما على المدى البعيد فإن أهداف الحرب النفسية الفرنسية في الجزائر هي أهداف حرب « التهدة » ككل، حيث تتمثل في الحيلولة و التصدي لعمل الثورة في « تخريب نفوس و عقول السكان » و العمل على كسبهم لصف "الحضارة" التي تمثلها فرنسا وذلك بغرس الرغبة و الإرادة في نفوس هؤلاء السكان لمكافحة هذا "التخريب" و العمل معا على بناء مستقبل أحسن¹. بما يمكن في النهاية من إعادة نشر و إرساء سلم نهائي في الجزائر، سلما يكون فرنسيا، و يحظى بالموافقة المخلصة و الفاعلة لكل الجزائريين، بما فيهم أولئك « المغرر » بهم في صفوف الثورة، مع ترجمة هذا الاعتناق للسلم الفرنسي إلى اختيار لا رجعة فيه، تدعمه و تزيجه نتائج باهرة للاستفتاء شعبي الذي قد يتم اللجوء إليه². و هو ما يعني أن تنظيم استفتاء شعبي (لتقرير المصير) كان شيئا واردا في حسابات الفرنسيين، لذلك كان الأمر بالنسبة لهؤلاء هو البدء منذ السنوات الأولى للحرب في الاستعداد لمثل هذا الاستفتاء و توفير جميع الشروط اللازمة لتحقيق نتائج غير قابلة للطعن فيها لصالح فرنسا. و هنا تجدر الإشارة إلى أن أهداف الحرب النفسية الفرنسية لم تسطر لنتهي بانتهاء الحرب و إنما سطرت لتتجاوزها إلى ما بعد ذلك بكثير، لأنه « إذا كان قدر الجزائر هو أن تحقق ثورتها، فيجب أن يتم ذلك مع فرنسا، بما و معها، لا ضدها أو على حساب مصلحتها »³. و هو ما يدفعنا إلى توقع أهداف أخرى للحرب النفسية لفرنسا ستسدل آثارها زمنا بعيدا في فترة ما بعد الاستقلال⁴.

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, p6

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 10.

³ -

⁴ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de départ, 24 septembre 1960, p.7.

المبحث الثاني : الدعاية

تمثل الدعاية إحدى أهم وسائل الحرب النفسية. و تعرف بأنها: « التعبير عن أفكار للتأثير في سلوك الأفراد والجمهير »¹. و تعتمد في نشاطها على استغلال و تحريك بعض الميول و النزعات الموافقة المجبولة في النفس الإنسانية كالفضول و حب المعرفة مثلا، اللذين يفضيان بصاحبهما إلى استقصاء الأخبار من أي مصدر كان. حيث يدفع الكسل في أحيان كثيرة بهذه النفوس إلى تقبل الدعاية لما تقدمه من أخبار و حلول جاهزة. كما تجد الدعاية إمكانية نشاطها لتمرير خطابها من خلال استغلالها و تحريكها لبعض الرغبات و الأطماع الكامنة في النفس. فتقوم الدعاية بتلبيتها و التنفيس عنها من خلال التعبير عنها. فمن ذلك مثلا استغلال تدمر النفوس من البؤس و توقها إلى الرفاهية من أجل تحسين مستواها الحياتي في دعوتها إلى القيام بالثورة؛ و استغلال تطلع هذه النفوس إلى السلم لحثها على الاستسلام و وقف المقاومة. أو تحريض و استغلال نزعات التنافس و الطموح و الشحناء و الحسد المتواجدة في معسكر الخصم لإحداث الفتنة و الشقاق في صفوفه؛ و كذلك إثارة مشاعر التعاطف و الشفقة أو التنديد. و في مقابل هذه النزعات الموافقة هناك نزعات و ميول غير موافقة تجتهد الدعاية في تعطيلها و مكافحتها كالأهزامية و ردود الفعل الراضية و العدائية المتواجدة بالمعسكر الصديق².

المطلب الأول : الدعاية، تقنياتها و أنواعها

تعتمد الدعاية في نشاطها على الترويج لمجموعة من الأفكار، تجمع بينها "فكرة مهيمنة" (idée force) يختارها القائد، وتستجيب لمطالبات المناورة و تتميز بقدرتها على استقطاب أكبر عدد من أفراد الوسط المستهدف، و تمثل أرضية مشتركة بين رأي عام شائع موجود سلفا و رأي عام يتم التحضير لوجوده في المستقبل. هذه الفكرة غالبا ما تقتضي المصلحة دعمها بأسطورة تجعلها تخاطب المشاعر لا العقول.

يتم تجسيد "الفكرة المهيمنة" في موضوع أو محور (un thème) يترجمها و يعطي لها معنى ضمن إطار الزمان و المكان. بحيث لا يخرج الموضوع أو المحور في فهمه عن شيئين اثنين : ما يجب فهمه و هو بديهي و ممكن، و ما لا يجب فهمه فهو مخالف و يجب طرحه و استبعاده. للترويج للموضوع، يتم إيجاد دعائم لنشره في الوسط الإنساني المستهدف، و هنا تتم الاستعانة بخدمات علم النفس لفرض الفكرة المهيمنة في إطار الموضوع، حيث يتم تسخير و توظيف جميع سلبيات و نقاط الضعف الإنساني لخدمة هذه الفكرة و فرضها على الناس³.

تنشد الدعاية، من خلال لعبها بمجموع القوى العاطفية و المشاعر العميقة و الرغبات، صعق النفوس بخطاب قوي يصدمها، خطاب يستمد قوته من ذاته، يرتسم في الذهن و يستقر نقشا في الذاكرة السمعية-البصرية. هذا الخطاب قد يكون نصا أدبيا يعكس صورة أو صورة تعكس نصا أدبيا. فالمسألة تكمن في مدى

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat - Major Général des Forces Armées, Paris, le 26 juin 1956, p.3.

² - SHAT, 1H 2408, Note d'information n° 2 concernant la technique de l'Action Psychologique, p. 1.

³ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 67

قدرة الدعاية على توجيه خطاب قوي بعبارات و مفاهيم بسيطة، ثم في كيفية تحويل هذه المفاهيم البسيطة إلى صيغة بصرية أو نفسية.

تخضع الدعاية لقواعد و تنضبط بضوابط. فعند إنجاز مُلصق أو منشور مثلا يجب مراعاة بعض القواعد الفنية التي تتعلق بالشكل و المضمون :

فبالنسبة للمضمون مثلا: يجب أن لا يكون الخطاب أو الرسالة مجرد إشارة يدل مفهومها على الحقيقة أو الواقع، مثلما يدل رسم النار على النار، و لكن يجب أن يكون الخطاب أو الرسالة إشارة رمزية توحى بمعاني كثيرة بحيث يكون رسم النار يرمز أيضا إلى شيء آخر كالطهر و الصفاء الروحي. كما يجب أن يكون نص الملصق أو المنشور وجيزا مفيدا يدل دلالة مباشرة على المقصود، أي "ما قل و دل". و أن يأتي هذا النص في المقام الثاني بالنسبة للصورة، سواء كانت هذه الصورة فنية أو أدبية. لأن الصورة أقوى و أعمق رسوخا في الذاكرة من نص منطقي و عقلائي. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن لا يقتصر أداء الصورة في الخطاب على الدلالة و البيان، بل يجب أن يتعداه إلى الإيحاء و الإيعاز على شاكلة الأمثال و الحكايات التربوية الهادفة، و بالأخص عندما يتعلق الأمر بجمهور عادي و بسيط. فالخطاب الدعائي لا يهدف إلى إعمال فكر المتلقي و إنما يهدف فقط إلى إثارته و تنبيهه المنعكس الشرطي لديه¹.

أما بالنسبة للشكل، فمن بين القواعد الشكلية الواجب التقيد بها عند إنجاز الملصق أو الشعار، فهناك مثلا الحرص على استعمال لغة القوم، اللغة التي تفهمها الجماهير، حتى و لو كانت العامية. و مراعاة الوضوح في الكتابة، بالموازنة بين الخطوط الدقيقة و العريضة الحجم لتيسير قراءته، مع تخصيص الكلمات و العبارات "المفتاحية" بخط مغاير و عريض. و عدم الإفراط في استعمال الكتابة الفنية التي يستعصي فك رموزها على القارئ العادي و تكون على حساب وصول رسالة الخطاب إليه. و كذلك احترام "سلطة الألوان"، أي احترام تناسقها، من خلال الموازنة بين الأجزاء الداكنة و الفاتحة في هذا الملصق أو المنشور. و في هذا المقام، أسفرت نتائج عدد من التجارب العلمية على أن التناسق الأمثل في الألوان يكون بين الألوان التالية: الأحمر على خلفية زرقاء فاتحة؛ الأحمر على الرمادي؛ الأحمر على الأصفر المائل إلى الخضرة؛ الأحمر على الأصفر المائل إلى البرتقالي. ثم هناك أيضا تخير المكان المناسب للإصاق، فبقدر ما كانت واجهة الإصاق حسنة الموقع، تقع على مكان عام كثير الحركة و تتوفر على خلفية لونية مناسبة، غير معرض بقوة لتأثيرات العوامل المناخية، كالإضاءة القوية لنور الشمس أو الرياح و الأمطار... كان ذلك أدعى لقراءة من قبل الناس².

يهدف الخطاب الدعائي إلى جلب الجمهور المتلقي إلى اعتناق قناعة جديدة و تبني موقف معين. تحقيق ذلك يتم باستعمال مجموعة من الأساليب من بينها:

¹ - SHAT, 1H 2408, Note d'information n° 2 concernant la technique de l'Action Psychologique, p. 2.

² - المصدر السابق، ص. 2-3.

- التبسيط و التضخيم : حيث تقوم الدعاية بعرض المسائل في شكل تصريحات قطعية واضحة، بسيطة و وجيزة، لتسهيل تقبلها من طرف الجمهور. في حين يعمل التضخيم على تضخيم القضايا التي يراد الدفاع عنها و تقزيم قضايا و حوادث الخصم.
 - التكرار و التناغم : فالدعاية مثلها مثل الإشهار تستمد قوتها من التكرار، تكرار نفس الشيء بما يحيله إلى هاجس. لكن و لتفادي تسرب الملل إلى النفوس بسبب التكرار الممل و جب الحرص على تحقيق شيء من التناغم خلال هذا التكرار، بالتناول التدريجي لنفس الأفكار من زوايا مختلفة من خلال الاستعانة بالأحداث اليومية و تطعيم الدعاية بعناصر من التراث و الثقافة السائد في الوسط المستهدف. على أنه يجب الحرص في كل ذلك على تفادي الوقوع في الرداءة أو إهمال الجانب الجمالي فيها الذي يحقق لها عنصر الجاذبية كما يجب تفادي إثارة و استفزاز قيم سائدة، تحظى بالاحترام و القبول في الوسط المستهدف.
 - الإيحاء و الاستدراج: و هي طريقة لخلق و تعهد الشك و الريبة في النفوس، من خلال تقديم معطيات و حقائق و أنصاف حقائق تترك بعدها العناية للأفراد لاستخلاص نتائج خاصة بهم، مما يجعل هؤلاء يتوهمون خطأ بأن آراءهم وليدة فكرهم الخالص و لم تفرض عليه من الغير و هو ممكن القوة في هذه الدعاية.
 - تفرغ الشعور بالذنب و تأنيب الضمير: و يتمثل ذلك في توجيه مشاعر الوسط المستهدف الذي يعاني الهزيمة مثلا نحو خصم أو عدو يتم ترشيحه ليُتخذ كـ " كبش فداء " فتلقى عليه تبعات تلك الهزيمة. الغاية من ذلك هو تحرير النفوس من مركبات الشعور بالذنب و تأنيب الضمير لكي لا تتحول بدورها إلى عائق يشل حركة الجميع. و تكمن نجاعة هذا الإجراء فيما يمثله من وسيلة للتطهر و التبرير من تبعات الشعور بالذنب و تأنيب الضمير.
 - تحويل مجرى التيار : أي إحداث تيار نفسي جديد يستقل تيار نفسي عام موجود سلفا. حيث و لتمير برنامج عقلي معين يتم استقطاب مشاعر وميولات و مواقف متجدرة في الوسط المستهدف دونما أساس عقلي يدعمها، ليتم توظيفها في خدمة هذا البرنامج العقلي.
 - بالإضافة إلى هذه الأساليب، توظف الدعاية آساليب أخرى كالتخويف و المغالطة و التعميم و استغلال البعد المستقبلي للأحداث للتأثير في الرأي العام، فهي تشوّه المعلومات و تضيف و تحوّر، و تبالغ و تقلل و تعمم¹.
- تتوجه الدعاية المضادة إلى الخصم و حلفائه، و هي تستهدف الرد على دعايته و تحويلها ضده. لذلك و جب أن تكون هذه الدعاية مدروسة، هجومية و عنيفة، لا تقتصر فقط على مجرد التفنيد أو دحض الحجة بالحجة. حيث نجد من بين وسائلها و آساليبها¹ :

¹ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 69 - 70; SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat - Major Général des Forces Armées, Paris, le 26 juin 1956, p.5.

- تحقيق السبق في الدعاية: أي الإسراع و المبادرة إلى تناول المواضيع التي من الممكن أن يلجأ الخصم إلى طرفها في دعايته، ثم توظيفها ضده. حتى إذا تناولها هذا الخصم لم يخرج تناوله لها في الغالب على مجرد الرد أو التنفيذ اللذين لن يكون لهما بالتأكيد وقع من سبق إلى الإعلان.
- الدعاية المضادة المباشرة: و يتمثل في تناول دعاية الخصم و الرد عليها و تنفيذها نقطة نقطة لتحصين الوسط المستهدف بهذه الدعاية. غير أن خطورة هذا الأسلوب تكمن في أنه يروج لدعاية الخصم، فيُعرّف بها من كان جاهلا بها. لذلك و جب عدم اللجوء إلى هاته الوسيلة إلا متى تم التيقن من قدرة الدعاية المضادة المباشرة على تحطيم دعاية العدو كلية.
- الدعاية المضادة غير المباشرة: و يتم ذلك باستعمال مجموعة من المواضيع و المحاور لدحض و تنفيذ دعاية الخصم عن طريق الإيحاء و التعبير بالمفهوم غير المنطوق.
- الدعاية المضادة بتحويل الانتباه و تشتيته: للرد على دعاية الخصم تقوم الدعاية المضادة بطرق مواضيع أخرى لا علاقة لها بما يُروّج له الخصم، و ذلك لتشتيت اهتمام الوسط المستهدف و تحويله عن دعاية الخصم. هذه المواضيع إما أن تكون جديدة أصلا و لم تطرق، أو قديمة قد أثبتت فعاليتها في السابق.
- الصمت: عندما تتناول دعاية الخصم مواضيع ثانوية في الأهمية، أو مواضيع لم تلقى إلا نجاحا محدودا في الوسط المستهدف، يكون من الأحسن دائما، بل و من الواجب تجاهلها و تركها تُنسى في صمت.
- التقليل من أهمية الموضوع: متى تعذر استعمال أي من التقنيات السابقة و جب لزاما العمل على التقليل من أهمية الموضوع، إما باللجوء إلى تناول المسألة بالتركيز على الجوانب التي تخدم الدعاية المضادة؛ أو بجعل دعاية الخصم مكتنفةً بشيء من الغموض و الإبهام؛ أو أخيرا بتناول موضوع دعاية الخصم بكثير من الاقتضاب ثم تجاهله كلية بعد ذلك.

تنقسم الدعاية بحسب مصدرها إلى ثلاثة أنواع، هي :

- 1- الدعاية البيضاء : و هي كل دعاية معروفة المصدر والهوية، و قابلة للتأكد منها. و تعكس طروحاتها وجهة نظر رسمية وطنية. و هذا النوع من الدعاية غالبا ما يوظف خلال عمليات الحرب نفسية المعلنة والمكشوفة. و هذا النوع من الدعاية ينطوي استخدامه على محاسن و مساوى : فمن محاسنه أن هذه الدعاية تتمتع بسمعة الدولة التي تمثلها فتجد لها جمهورا واسعا من حيث أنها تعبر عن وجهة نظر أو موقف رسمي للدولة التي تصدر عنها. كما أن من مميزاتها

¹ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p.71; SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat - Major Général des Forces Armées, Paris, le 26 juin 1956, p.6.

أيضا أن هذه الدعاية تبث إعلاما ينشد الموضوعية و ينشد أن يكون وافيا، مما يجعله قادرا على التصدي لدعاية الخصم و كشف أكاذيبه و فضح نواياه المعلنة و الخفية. أما مساوى هذه الدعاية فيأتي بعضها من الطابع الرسمي لهذه الدعاية. فبحكم أن هذه الدعاية تمثل موقف و وجهة النظر الرسمية للدولة الصادرة عنها فهي لذلك ستحظى باستقبال محدود و حذر و متشكك من قبل الخصم مما سيخُذ من مصداقيتها و تأثيرها عنده. كما أن كونها وافدة من الخارج فإن هذا يعطي الفرصة للخصم لاعتراضها و التشويش عليها¹.

2- الدعاية السوداء، هي بخلاف الأولى مجهولة المصدر. و هي تحاول في مصدرها محاكاة دعاية البلد المستهدف بحيث يمكن للجهة المنتجة لها نفي كل مسؤولية لها في ذلك. أما استعمال هذا النوع فعابا ما يحدث خلال عمليات الحرب النفسية غير المكشوفة. و من مميزاتها صعوبة كشف هوية مصدرها الخارجي مما قد يوهم الخصم بأنها صادرة عن عناصر داخل صفوفه تختلف معه في الطرح و المذهب. و بحكم هذا الغموض يمكن لهذه الدعاية استعمال تقنيات مختلفة و تناول مواضيع غير مطروقة، كما يستعصي على الخصم محاربتها و الرد عليها. لكن هذا لا يعني خلوها من المساوى، فبعد المصالح المنتجة لها عن السلطة المركزية يمنع التنسيق بينها و بين العمليات المكشوفة في الميدان².

خلال الحرب، لجأ الفرنسيون إلى استعمال الدعاية السوداء باستعمال المنشور، من خلال إصدار منشور مزيفة، تقلد و تحاكي منشور جبهة التحرير الوطني و الحركة الوطنية التي يتزعمها السيد مصالي الحاج. و هي دعاية سوداء أسرف الفرنسيون في استعمالها لإشغال فتيل الفتنة و المواجهة بين الجهتين لضرب الواحدة بالأخرى، و إصدار أوامر مضادة تُعطل أوامر جبهة التحرير و تربك مناضليها في الميدان، فلا يدرون : هل يباشرون تنفيذ ما صدر إليهم من أوامر أم يترثون؟ كما وقع ذلك بفترة قليلة قبيل الشروع في إضراب الثمانية أيام³.

3- الدعاية الرمادية، هي كل دعاية مبهمة و غير معروفة المصدر. من مميزاتها أنه متى أحسن توظيفها بمهارة استطاعت الفوز بثقة الخصم دونما افتضاحها كدعاية معادية. و هي بمثابة "منصة تجريبية" مثالية لإطلاق الدعايات المختلفة و الشائعات لجس نبض الخصم و قياس رد فعله. لكن أهم نقاط الضعف فيها هو أنها سرعان ما تتهاوى متى تعرض محتواها للتحليل العميق. لذلك و جب استخدامها بكثير من المهارة⁴.

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, op. cit., p.3.

² - المصدر السابق، ص. 4.

³ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc, (s. d.). [18/7]

⁴ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, op. cit., p. 4.

خلال النزاعات و المواجهات المختلفة، تمثل الدعاية جبهة من جبهات الحرب، حيث يسند لها مهمة تنفيذ عدد من عمليات الحرب النفسية الإستراتيجية و التدعيمية. فبالنسبة لعمليات الحرب النفسية الإستراتيجية فإنه يتم تنفيذها بالتنسيق مع الجهود الحربية الأخرى لتحقيق أهداف بعيدة المدى تندرج ضمن مخطط إستراتيجي عام يستهدف ضرب جيوش و مناطق بسكانها. أما وسائل تحقيق ذلك فهي عادة ما تكون: البث الإذاعي و التلفزيوني، المطبوعات و المناشير الملقاة بالطيران، تنظيم حملات منظمة لبث و ترويج بعض الشائعات. أما بالنسبة لعمليات الحرب النفسية التدعيمية فيتم تنفيذها لتدعيم و تثبيت نتائج الحرب النفسية السابقة على فتح أو احتلال إقليم معين، لتسهيل امتثال نفوس و عقول سكان هذا الإقليم لأوامر و تعليمات القيادة العسكرية و الإدارة المدنية. أما الوسائل المستعملة لذلك فهي عادة ما تكون: البث الإذاعي و التلفزيوني، ترويج الشائعات، الصحافة، مكبرات الصوت، المناشير، والملصقات، النشرات و الكتب و الدوريات... وغيرها، بالإضافة إلى التظاهرات و المهرجانات كالسينما و المسرح¹.

يعتمد النشاط النفسي و الحرب النفسية أساسا على الدعاية، التي تعتمد بدورها على عدد من الوسائل الإعلامية للترويج لشتى الأفكار و الخطابات. غير أن الدعاية، و بالرغم من اتحادها مع الاعلام في استخدام نفس الوسائل، إلا أنها تختلف معه في الغاية. ففي حين يهدف الإعلام، في تبليغه لرسائله الإعلامية، مساعدة الأشخاص على بناء آرائهم على أسس موضوعية، فإن غاية الدعاية هي التأثير على الرأي العام و توجيهه و جهة معينة و جعله يقبل بتبني مواقف و آراء معينة مبنية على أساس عاطفي لا عقلي. حيث و لتحقيق ذلك، تتصرف الدعاية في الخبر أو المعلومة أو الحدث بكل أشكال الإضافة و الحذف، و التضخيم و التقزيم، و التحوير و التشويه. ثم هي لتميرير كل ذلك تقوم بمخاطبة كل نقاط و جوانب الضعف عند الأفراد مما يجعل آراءهم و قناعاتهم في النهاية مجرد نتاج لعملية تشريب معتقدي (endoctrinement)².

لكن، و بالرغم من هذا الفارق الواضح بين الإعلام و الدعاية، و الذي قد يعطي الانطباع بأن الأول أكثر نبلا من الثاني، إلا أنهما من التداخل لدرجة يصعب معها التفريق بينهما. فالإعلام سلاح ذو حدين. و هو في نفس الوقت وسيلة مثلى من وسائل الدعاية، يوفر لها التناغم اللازم، من خلال قدرته على عرض الموضوع ذاته بأشكال مختلفة، و يعرضه له أيضا بدرجات مختلفة من القوة، تذهب من الاقتراح إلى التأكيد³. بل إن الإعلام - و نعني هنا الإعلام الموضوعي - كثيرا ما يمثل وسيلة مثلى لتحسين المعسكر الصديق من خطر الدعاية المغرضة للخصم، بما يقدمه لأفراده من معطيات موضوعية تمكنهم من بناء قناعات حرة و موضوعية يمكنها الصمود أمام الهجمات الدعائية المختلفة⁴. و هو ما يعني في نهاية المطاف أن مشكلة الدعاية مقارنة بالإعلام هي ليست مشكلة حول اعتماد و تبني الحقيقة بقدر ما هي حول طريقة تناول و توظيف هذه الحقيقة. لأن الدعاية الحقة لا تعتمد الافتراء لتحطيم الخصم و إنما تعتمد في ذلك على توظيف عدد

¹ - المصدر السابق، ص. 11.

² - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 15.

³ - SHAT, 1H 2518/d.1, Les fondements de la guerre psychologique, Résumé de s conférences faites par Monsieur BONNEMAISON du 11 au 14 Novembre 1957, p.14.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, L'arme psychologique en 10° région militaire, p.4

من الحقائق و أنصاف الحقائق و أشباه الحقائق و أضداد الحقائق، و تقديمها وفق جرعات مناسبة للناس¹. لذلك، لا غرابة إن عُرفت الحرب النفسية -وبالتالي الدعاية- بأنها فن إجادة استغلال و توظيف الحقائق. و في ذلك يقول الكولونيل ب. دو سوسبيال (B. de Susbielle) عن المكتب النفسي لهيئة الأركان للقوات المسلحة الفرنسية: « إذا كان النشاط النفسي يتمثل في نشر الحقيقة وفق معايير ملائمة، و إذا كانت الحرب النفسية هي فن تقديم جرعات من الحقائق و أضداد الحقائق (تسميم) اللذان تم التوفيق بينهما و توجيههما بمهارة، فإن هذا العلاج النفسي يجب أن يتخذ كقاعدة له المعرفة الدقيقة و المضبوطة بأكثر عدد ممكن من "الحقائق" »².

المطلب الثاني : وسائل الدعاية النفسية للجيش الفرنسي

تتنوع وسائل الدعاية النفسية للجيش الفرنسي إلى وسائل مقروءة و مسموعة و مرئية.

أولا : الوسائل المقروءة

تمثل الكتابة إحدى أهم وسائل الدعاية، غير أن فعاليتها و جدواها تتوقفان على مدى انتشار التعليم و الثقافة في الوسط المستهدف بالدعاية، و مع ذلك فإنه يمكن لها أيضا أن تحقق نتائج ملموسة حتى في الوسط الأمي، متى أمكن بلوغ و إقناع الفئة المتعلمة و المثقفة و النافذة في وسطها بهذه الدعاية المكتوبة، ليترك لها بعد ذلك العمل على نشر هذه الدعاية في وسطها، معتمدة على نفوذها في تحقيق ذلك. فقد أكدت ملاحظات المهتمين بأن الجزائري الأمي لم يكن، بالرغم من أميته، يقل فضولا عن الجزائري المتعلم لمعرفة مضمون الملصق أو المنشور: « فبخلاف ما هو شائع، فإن المسلم -[أي الجزائري]- يقرأ كثيرا، أكثر مما نتصور، كل ما يتعلق بالحرب و لو كان ذلك عن مجرد فضول. و هو إن كان لا يقرأ بحث له عمن يقرأ له »³. فمتى وُجد مكتوبا مُلقى على الأرض احتفظ به و دفعه إلى "الطالب" (معلم القرآن) أو إلى جاره المتعلم سائلا إياه عن فحواه و طالبا منه أن يقرأه عليه⁴. كما قد يقوده فضوله المعرفي في كثير من الأحيان إلى الالتحاق بالمقهى للانتظام مع غيره من الجزائريين في حلقة حول أحد المتعلمين، من الذين خصّوا بشيء من نعمة التعلم و الاستنارة، ليقرأ عليهم الجريدة و يقرب مضمونها لهم. و بناء على ما سبق لم تعد الدعاية المكتوبة وسيلة عديمة الجدوى، لذلك كان على مصالح الدعاية و الحرب النفسية للجيش الفرنسي البحث عن السبل المثلى لتحقيق استغلال جيد لهذه الوسيلة. حيث نجد من بين هذه الوسائل:

1- الصحافة:

لم تكن للجيش الفرنسي إلا جريدة أسبوعية واحدة هي جريدة البلاد (Le Bled)، التي كان يشرف على إصدارها مجموعة من العسكريين. و كانت تهدف أساسا لتقديم "خدمة إعلامية" لأفراد الجيش الفرنسي،

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe IV, p.2.

² - SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle du Bureau Psychologique de l'E.M.F.A. à la Conférence de Brazzaville - 26 Novembre - 1^o Décembre 1956, p.13.

³ - SHAT, 1H 2460/d.1, lettre du Préfet d'Alger à monsieur le Général de C. A., Cdt le C. A. d'Alger, objet : Action Psychologique. Propagande, n° 4899/CAB/EMMR/AP, 21 octobre 57.

⁴ - Jean SERVIER, Adieu djebels, Paris, Ed. France-Empire, 1958, p. 182.

بمعنى أنها لا تستهدف تحديدًا السكان، و إن كانت أعداد منها (حوالي 3000 نسخة) تباع خارج الشبكات. و في سنة 1957، بلغت طاقة السحب لهذه الجريدة الـ 350.000 نسخة. و بالإضافة إلى هذه الجريدة، كان الجيش الفرنسي يصدر مجلة كونتاكت (Contact)، و هي مجلة شهرية صدر عددها الأول في أوت 1956 و ترسل مجانًا لأكثر من 4300 مشترك¹.

لكن النشاط الحقيقي للجيش في مجال الصحافة لم يكن يسير في اتجاه إنشاء عناوين صحفية تسند لها مهمة القيام بالدعاية، وإنما كان يسير في اتجاه تحقيق إشراف و رقابة قويين على الصحافة المستقلة في فرنسا و على الأخص بالجزائر. فقد تبث للجيش أن الصحافة المحلية هي صحافة "كثيرة الثروة"² كثيرًا ما قدمت، عن قصد أو غير قصد، خدمات ثمينة للثورة، كما كانت تسيء في نفس الوقت لسمعة الجيش و مجهوداته في القضاء عليها. فبعض الصحف كانت تتحدث عن الثوار الجزائريين كما لو كانت تتحدث عن جيش نظامي في خدمة قضية، يعي ذاته و يتمتع بوحدة عضوية و قيادية، و هو في غاية النظام و الانضباط، في حين أن هؤلاء الثوار ما هم إلا مجرد «قطاع طرق» و «فلاقة» و «خارجين عن القانون». و إلى جانب ذلك، كانت صحف أخرى، تُسهب في سرد و إيراد انتصارات جيش التحرير و تعدها أعمالًا عسكرية و تخصص لها أعمدة طويلة في صفحاتها الأولى و تقدمها بعناوين عريضة. في حين أن هذه الانتصارات "المزعومة" ما هي إلا «سلسلة من الأعمال التخريبية و الهدامة التي كان يتم تنفيذها ضد أهداف معزولة هنا و هناك، و التي غالبًا ما سارع منفذوها باللوذ بالفرار قبل مجيء قوات حفظ النظام»، و لذا، فإن هاته الأعمال هي أبعد ما تكون عن انتصارات عسكرية حقيقية. و في مقابل كل ذلك كانت هذه الصحف لا تتردد، عند ما يتعلق الأمر بالجيش الفرنسي، في الطعن في هذا الجيش و الإساءة إلى سمعته، فهي تارة تقلل من قيمة مجهوداته في القضاء على الثورة لتحقيق عودة الأمن، و تصف جهوده دوماً بالقصور، و تارة أخرى كانت تتهمه بالقيام بتجاوزات ضد سكان أبرياء و عزل. و هي كلها أعمال و مواقف، لم يكن من شأنها إلا الزيادة في تعقيد مهمة الجيش و صب الزيت على النار، من حيث أنها ساهمت في إشاعة مناخ نفسي عام كرس حالة من اللا أمن لم يستفيد منها إلا الثوار. و هو الأمر الذي ما كان الجيش الفرنسي ليتساهل معه أو لتقبل به الحكومة. لذلك و جب إعادة الأمور إلى نصابها.

أول مساعي الجيش في هذا الاتجاه، تمثلت في إحداث منصب ضابط الصحافة بهيئة أركان الجيش الفرنسي بالجزائر و ذلك في الأول من جوان 1956. هذا المنصب أسند لرئيس المكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي بالجزائر، حيث كُلف في زمن أول مهمة ربط علاقات مع أهم الصحف اليومية في الجزائر، التي ستبدأ من الآن فصاعدًا في إرسال أعداد يومية مجانية للمكتب النفسي، الذي يقوم بدراستها بعمق و تحرير نشرة يومية مختصرة تتناول أهم الأحداث التي تمم الجزائر و شمال إفريقيا، يتم رفعها إلى رئيس هيئة أركان الجيش الفرنسي بالجزائر. في نفس هذا الاتجاه، تم القيام بمساعي أخرى لدى مصلحة الإعلام

¹ - SHAT, 1H 2408, L'arme psychologique en 10° région militaire, p.2.

² - SHAT, 1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens, n° 1100/CSTT/5/E, Tunis, 30 octobre 1956, p. 3- 4. [48/8]

للولاية العامة للاستفادة من تنظيمها و أرشيفها و رصيد الجذاذات (fichier) الذي تتوفر عليه و الاشتراك في مجلة الصحافة التي تصدر عنها يوميا. هذه المساعي، و التي تضاف إلى مساعي أخرى تم القيام بها للإطلاع عن قرب على واقع الصناعة الصحفية بالجزائر، لم تكن إلا تحضيراً لمرحلة ثانية كان سيتم فيها تحقيق رقابة مباشرة و اشراف كاملين على الصحافة¹.

2- المنشور (Le tract)

المنشور، هو عبارة عن ورقة مطبوعة من جهة أو من الجهتين. يراعى فيه أن يكون من الحجم الصغير بحيث يسهل وضعه و زلقه في أصغر الأماكن كالجيب مثلا. يحتوي المنشور على كتابة قد يوضحها رسم أو صورة. و هو غالبا ما يحتوي على نص بلغة القوم المستهدفين و يتناول موضوعا ما أو يورد أحداثا و وقائع تم الجمهور المستهدف، مع بعض العبارات الختامية التي من شأنها أن تهمز القارئ و أن تستثير فكره. كما قد يحتوي أيضا على رسم مبسط (stylisé) بالأسود و الأبيض أو بالألوان غايته ترك وقع قوي في النفوس، يتناول بدوره فكرة بسيطة أو يستغل حدثا من الأحداث. و هذا الرسم تدعو الحاجة إليه أكثر كلما كان الجمهور المستهدف في غالبته أميا، عندئذ يحسن أن يكون الرسم كاريكاتوريا ساخرا. كما يتوفر المنشور أيضا على شعار يتكون من بضعة كلمات مصاغة بلغة و لهجة الوسط المستهدف، ليكون بمثابة دعامة و شرح لهذا الرسم. هذا الشعار قد يطعن في المثل العليا للخصم أو في بعض مسؤوليه و رؤسائه الذين يورد ذكرهم بالاسم و يفضح الخلافات الموجودة بينهم².

يخضع تحرير المنشور لقواعد تقنية صارمة، لذلك و جب إسناد مهمة تحريره لمختصين على دراية وافية باللغة المستعملة، و على دراية أيضا بالحالة المعنوية للسكان المستهدفين بالمنشور، كما يشترط فيهم أيضا ترمسهم على أسلوب التحرير الصحفي و الإشهاري. أما أسلوب المنشور، فيشترط فيه أن يكون أسلوبا موجزا و قاطعا، كما يشترط في النص أن يكون قصيرا، يتناول موضوعا واحدا، مطعما بحجج دامغة و صور حية و كتابة عريضة، سهلة القراءة. أما الألوان فيجب أن تستجيب لاعتبارات شتى أهمها الذوق الفني و الثقافي للسكان المستهدفين، ثم حالتهم النفسية الحالية و ما يناسبها من الألوان. فهناك الألوان التي تبعث التفاؤل و البشر و هناك الألوان التي تبعث على التشاؤم و الطيرة³.

يتنوع المنشور إلى أنواع عدة بحسب الغاية المرجوة منه. فهناك المنشور الإعلامي و هناك منشور إهانة الخصم و التجريح به، و هناك منشور المغالطة و التسميم، و هناك منشور لضرب معنويات الخصم، و أخيرا هناك المنشور المحرض على الالتحاق. هذا الأخير يهدف إلى تقديم معلومات للخصم تعمل على تقويض معنوياته و تدفع به إلى وقف المقاومة و الاستسلام، حيث يتم في كثير من الحالات اتخاذ هذا النوع الأخير من

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Rapport spécial, 6 septembre 1955, p. 1.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., p.12.

³ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instructions provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p.72.

المناشير كوثيقة أمان محتومة و ممضاة بختم و إمضاء رسميين من أعلى السلطات، تعتمد كـ "إذن بالمرور" (un laissez passer)، تسمح لحاملها من الخصوم بالالتحاق بالمعسكر الصديق لإعلان استسلامه¹.

يوفر المنشور امتيازات عدة أهمها أنه يُمكن من الاستغلال السريع للأحداث، إذ غالبا ما لا تستغرق عملية تحضيره في الظروف الاستثنائية ما بين ست إلى عشر ساعات. كما يمكن إصداره بكميات كبيرة و بأقل التكلفة. و توزيعه في أي وقت و أي مكان و لأي خصم كان شريطة اختيار الوسائل المناسبة التي تستجيب للظرف. حيث يمكن توزيعه من طرف عناصر الدوريات، أو بإلقائه على الأرض، أو بالإصاق على الجدران بالمراكز و الأماكن العامة، أو بالتوزيع عن طريق الإلقاء بالطائرات و القصف المدفعي².

خلال الحرب قام الفرنسيون بإنجاز العديد من المناشير الجيدة الإخراج، و قاموا بسحبها بآلاف النسخ³. و كانوا عند إنجازهم لأي منها يولون عناية فائقة لرد فعل الأهالي عليها، فكانوا يستشيرون عناصر مختلفة من السكان، ينتمون لأصول و أعمار و مستويات اجتماعية و حياتية و ثقافية متنوعة. و كانوا يخضعون كل منشور منها، المرة تلو الأخرى، للفحص و الاختبار الدقيقين⁴. حتى إذا أصبح المنشور جاهزا للتوزيع روعيت أمثل الطرق لتوزيعه⁵. فالتوزيع بالطائرة مناسب جدا لبلوغ الثوار في الغابات و الأحرش و الجبال و الوديان، إلا أنه ينطوي على نسبة ضياع كبيرة، إذ كثيرا ما تلقي الرياح بكميات هامة من المنشور خارج مساحة الإلقاء. لذلك كان يستعاض عن هذه الطريقة بطريقة أخرى تتمثل في تكليف عناصر الوحدات القتالية العاملة في الميدان بوضع نسخ هذا المنشور على طول المسالك الجبلية و الغابية التي يسلكها الثوار. مع وضع هذه المناشير بكيفية تسمح لهؤلاء الثوار بالنقاطها و إخفائها دونما انتباه من رؤسائهم. فقد تبث من خلال التحقيقات التي أجريت على الثوار الأسرى، أن جيش التحرير الوطني كان يُحضّر على عناصره قراءة أيا من مناشير الجيش الفرنسي⁶.

أما بالنسبة لتوزيع المناشير على السكان الأهالي فقد كانت هي الأخرى تعترضها نفس الصعوبة المتمثلة في نهي الثوار للسكان عن قراءة و تداول أي منشور فرنسي. لذلك كان يلجأ لطرق أخرى تؤدي المقصود و لا « تُعَرِّض السكان لعقاب الثورة »، تتمثل في توزيعه من طرف عناصر الدوريات الليلية الذين يقومون في جنح الظلام بزلقه تحت الأبواب و إلقائه من فوق جدران الدور، أو بإسقاطه و تجاهله عمدا خلال المدهامات و حملات التفتيش للمنازل و المقاهي، حتى يتسنى للسكان الأهالي جمعه و قراءته دونما خشية من رقيب. إلى جانب كل ذلك كان يتم القيام بعمليات لتوزيع المناشير في الأماكن العامة و خلال الأسواق الأسبوعية يصاحبها تقديم بعض الشروح و التفسيرات⁷.

¹ - المصدر السابق، ص. 72 - 73.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., p.12-13.

³ - الملحق رقم : 1 يمثل جردا بالمناسير التي تم إنجازها و توزيعها خلال الثلاثي الثالث من سنة 1956. و يلاحظ أن عدد النسخ المسحوبة من كل منشور يتراوح غالبا ما بين المائة ألف إلى ثلاثمائة ألف نسخة و لا يقل في أدنى الحالات عن عشرة آلاف نسخة.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, L'arme psychologique en 10^e Région Militaire, p.4 ; Philippe Hédouy, Algérie française 42-62, Paris, Société de Production Littéraire, 1980, p. 200.

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification à l'usage des commandants de sous-quartier, p. 64 - 65.

⁶ - SHAT, 1H 2408, Note de service : Diffusion de tracts destinés aux rebelles, (s. d.), signée Gél. TABUIS.

⁷ - SHAT, 1H 1113/d.4, Note d'orientation n° 2, 21 janvier 1956, p. 12 - 13 ; SHAT, 1H 2460/d.1, Note de service n° 611/EM.10/RP/PR du 16 novembre 1956.

على أن عمل مصالح النشاط النفسي المكلفة بصناعة و توزيع المنشير لم يكن ليتوقف عند هذا الحد. بل كان لابد من القيام بعمل تقييمي يُقيّم جهودهم في هذا المجال. فعقب كل عملية لتوزيع المنشير كان يتم تكليف ضباط النشاط النفسي، و إلى جانبهم كل العاملين بالمصالح الأمنية الأخرى، كالشرطة و الدرك و ضباط لاصاص و غيرهم من المخبرين و الوشاة...، من الذين هم على احتكاك دائم بالشعب، بمهمة رصد و جمع ردود الفعل المختلفة للسكان على هذا المنشور أو ذاك. حتى يتسنى لهذه المصالح تقييم عملها و معرفة نسبة النجاح فيه، و كذلك الوقوف على الأخطاء لتفاديها في المستقبل. فكان كل ضابط يقوم بملاء استمارة ملاحظة للمنشور يسجل عليها مختلف الردود و الملاحظات التي أثارها السكان حول شكله و مضمونه، بما في ذلك ذكر ما فهمه السكان و ما لم يفهموه، و حتى التأويلات "المغرصة" له إن وجدت¹.

3- الملصق (l'affiche)

و هو، كما يدل عليه اسمه، عبارة عن ورقة مطبوعة تلصق على الجدران و الأماكن المخصصة للإشهار. حيث تؤدي كثرة أعداد نسخه الملصقة إلى إحداث التكرار اللازم للخطاب المعبر عنه بالنص و الصورة، فتترسخ الفكرة في الأذهان، و تنقاد النفوس بلا وعي لاعتناق الفكرة المقدمة. يحتاج الملصق إلى وسائل خاصة للطباعة، و يخضع في إنجازها لنفس المواصفات التقنية للمنشور. كما قد يكون بالأسود و الأبيض أو بالألوان، و لكن يجب أن يراعى فيه في كل الأحوال قوة وقعته في نفوس الناس الذين يتوجه إليهم. أما موضوعه فهو الأحداث اليومية، لذلك وجب تمزيقه أو تجديده كلما انقضت هذه الأحداث و تجددت الأفكار. يلصق الملصق غالبا بأماكن المرور العامة و أماكن التجمع، و الأسواق و القاعات الإعلامية. و هو شديد التأثير بالعوامل المناخية و سهل الإتلاف من قبل العناصر المعادية، فهو إذن يحتاج إلى التعهد و الحراسة².

4- وسائل أخرى للدعاية

إلى جانب المنشور، استعمل الفرنسيون وسائل أخرى للدعاية، كالنشرات المطوية (les dépliants)، و الكتيبات (Les brochures). فالنشرات المطوية تستهدف إعطاء القارئ معلومات ضافية و وافية، مدعمة بالإحصائيات و الصور. في حين لا تتوجه الكتيبات إلا إلى النخب التي تتوسع في البحث لتأسيس قناعاتها. لذلك فالغاية من هذه الكتيبات هي تقديم مواضيع مدعمة بالحجج و البراهين، مع كم هائل من الأحداث و الوثائق لتنوير الرأي العام لهذه النخب. لكن نظرا لغلاء تكاليف إنجاز هذه الكتيبات و صعوبة توزيعها لدى الخصم، بالإضافة إلى قدرة هذا الأخير على القيام بدعاية مضادة ضدها، قد جعل العمل بهذه الوسيلة يقتصر على الدعاية بين الأصدقاء و الحلفاء.

¹ - SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique, 20 octobre 1956, p.4. 19/8p.4 ; 14/3p.2

الملحق رقم : 2 يمثل نموذجا لـ " بطاقة ملاحظة " التي يتوجب ملئها من طرف المعنيين بالمصالح الأمنية عقب كل عملية لتوزيع المنشير و الملصقات. أما الملحقين 3 و 4 فيمثلان رسدا لردود الأهالي على بعض المنشير و الملصقات.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., p.13.

إلى جانب هاتين الوسيلتين يمكن ذكر و سائل أخرى ككتابة الشعارات على الجدران و على جوانب الطرق و كذا تعليق اللافتات¹.

ثانيا : الوسائل الصوتية المسموعة

و نقصد بذلك مجموع الوسائل السمعية المستخدمة لايصال الدعاية المسموعة، أي الدعاية بالكلمة، إلى السكان المستهدفين بهاته الدعاية. و ذلك ابتداء من استعمال الصوت العادي للإنسان، و مروراً بمكبرات الصوت، فانتهاه باستعمال الراديو. ففي الوسط السكاني الذي تسود فيه الثقافة الشفوية، تكون الدعاية المسموعة هي الغالبة مقارنة بالدعاية المكتوبة، التي بفعل أهمية هذا الوسط ينحصر مجالها ليقصر على نخبة من المتعلمين. و من هنا تكتسي الدعاية المسموعة أهميتها و قوتها مقارنة بالدعاية المكتوبة. فهي تتوجه إلى جمهور عادي و بسيط، و لا تكلفه أي جهد عقلي أو أعمال فكر، اللهم إلا مجرد السماع. فإذا ما أدخل على هذه الدعاية كل التحسينات اللازمة، فحسنت و نمت، ثم طعمت بعناصر شتى من ثقافة و تراث السكان المستهدفين، بما يستجيب لذوق شعبي أولي و بسيط، فقد تَوَقَّرَ لهذه الدعاية كل شروط الاستقطاب و الجلب و التأثير و أصبحت حصصها أوقات فرجة و متعة لهؤلاء السكان، حيث يتقمص رجل الدعاية فيها دور الراوي الشعبي القديم، فيكيل الدعاية للسكان مطعمة بالأخبار و النوادر.

من جهة أخرى، تنفرد الدعاية بالكلمة بميزة خاصة و هي أنه يصعب على الإنسان مهما فعل وقاية سمعه من الاستماع لمكبر صوت مثلا، حيث لا بد أن تعلق بعض الكلمات و العبارات بسمعه لتعمل عملها بمرور الزمن².

استخدم الفرنسيون الوسائل التالية في الدعاية المسموعة :

1- تجميع السكان و الخطابة في الحشود

و هي عبارة عن تجمعات يومية كانت تنظم في المداشر و القرى، و أسبوعيا خلال أيام التسوق. فبالنسبة للتجمعات اليومية فكان يتم عقدها ابتداء من الساعة الخامسة مساء بالقرب من معسكر الوحدة العسكرية المتمركزة أو المتوقفة. حيث يُلزم كل سكان القرية إجباريا بحضورها بمختلف فئاتهم، بما في ذلك الشيوخ و الأطفال. كما قد يحدث أيضا أن تُجبر النساء، رغما عن إرادة أزواجهن، على الخروج من بيوتهن و حضور التجمع. هذا التجمع عادة ما ينشطه ضباط مختصون أو قائد الوحدة المتمركزة خارج القرية. حيث كانوا يقومون بتناول و طرق مختلف المواضيع و المسائل المحلية و العامة التي من الممكن أن تهم السكان، و التي تتخذ مطية لتمرير بعض الأفكار نحو الأذهان و النفوس.

تشكل عمليات التجمع اليومية و الأسبوعية للسكان الأهالي فرصة مناسبة للجيش و الإدارة لإعادة بعث التواصل معهم و إقامة علاقة شخصية مع كل فرد منهم إن أمكن لاكتشاف العناصر التي تتوفر على استعدادات اللازمة، التي تؤهلها لتحمل بعض المسؤوليات في وسطها السكاني. هذه العناصر يمكن اكتشافها

¹ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instructions provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 73.

² - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psycho, p. 48.

بين الفئات الموالية للإدارة كفتنة قدماء المحاربين مثلا، أو اكتشافها من بين العناصر المؤثرة في وسطها، أو من بين فئات أخرى يتم إخراجها من الظل. لذلك يتم خلال هذه التجمعات دعوة السكان لأخذ الكلمة و التدخل، حتى إذا تميّز واحد من المتدخلين بشيء من الفطنة و الذكاء عُيّن على الفور متكلمًا باسم الآخرين و مسؤولًا عليهم.

تُشكّل الأسواق الأسبوعية بدورها فرصة هامة لتوصيل الدعاية لأكبر عدد من الناس، باعتبار أن هذه الأسواق يؤمها جمع غفير من مختلف القرى و الدواوير، الذين لا يأتونها فقط للتزود بمختلف السلع، و لكن أيضا للتزود بمختلف الأخبار¹.

فعند ساعة معيّنة من النهار، يمتلئ السوق و يغص بالمتسوّقين، فيعمد عندها الجيش الفرنسي إلى سد منافذ السوق و توقيف كل أنشطته التجارية، و دعوة السكان للتجمع في جانب منه. حيث يتم تشكيل مربع كبير، يخصص ضلع منه للجيش، الذي تخرج عناصره في أهبى حللها لتصطف في نظام و انضباط يبهر النفوس. و فيما يخص ضلعه الثاني للسلطات المحلية و الأعيان، كان يخص ضلعه الثالث لقدماء المحاربين. أما الضلع الرابع فكان يخص للسكان مع فصل الصغار عن الكبار.

ينطلق التجمع في شكل احتفال عسكري بهيج برفع العلم، الذي يتولى رفعه احد من قدماء المحاربين على وقع الموسيقى العسكرية. يتلوه بعد ذلك إلقاء كلمة من طرف ممثل عن السلطات العسكرية، برفقة مترجم يترجم عنه للأهالي. و بعد ترديد بعض العبارات و الشعارات التي يشارك الأهالي في ترديدها، تحال الكلمة لبعض الشخصيات المدنية الفرنسية و المسلمة للتعبير عن مواقف علنية. ثم ينتهي العرض بقيام كوكبة من الأطفال بترديد بعض الأناشيد، ليتفرق الجميع بعد تقبيل العلم².

كما كان يكتفي في بعض الأحيان الأخرى في التجمّع بذكر بعض الأخبار العامة التي كانت تقرأ على الحاضرين و تترجم لهم، و هي أخبار كان يتم استيقاؤها من الجرائد، يضاف إليها بعض الأخبار المحلية ذات الطابع العسكري والإداري و الاقتصادي والاجتماعي التي تهم السكان مباشرة وتعكس جهودات الإدارة في هاته المجالات³.

على أن ما تجب الإشارة إليه هنا هو أن تنظيم هذه التجمعات و السهر على حسن سيرها كان من بين الأولويات التي تحرص السلطات العسكرية و المدنية على إنجاحها. لذلك كان يتم التحضير لها دون إهمال أية تفاصيل، و خاصة ما يقال للسكان، الذي كان يخضع لتعليمات خاصة تتناول المواضيع الواجب طرحها في الخطب و صياغتها في شكل عبارات و شعارات قابلة للترديد. كما كان يتم الحرص على التوجه إلى الأهالي باستعمال واحد منهم، من جلدتهم، فأحسن دعاية على الجزائريين ما نفذت باستعمال واحد منهم. حيث كان يتم اختيار بعض المجندين من الجزائريين للخطابة في السكان لتحقيق هدف مزدوج : حيث يتمثل الأول في استغلال الوقع النفسي الذي سببته ذلك المجند في نفسية الأهالي لتمرير الدعاية. فلا شك أن هيئة و مظهر ذلك المجند الجزائري في زيّه العسكري الجميل، المطعم بمختلف الرتب و النياشين العسكرية، سوف يكون

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Commandement civil et militaire de la Kabylie, Note sur la guerre psychologique, p.2.

² - SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique, Guelma le 20 octobre 1956, p.3.

³ - SHAT, 1H 1113/1, N° 2196 / CAC/ PY du 2 août 1957, p.3.

مبعث زهوٍ في نفوسهم. أما الثاني فيتمثل في ترك انطباع إيجابي عن الجيش الفرنسي لدى السكان، انطباع يُظهره بمظهر المنصف و العادل، لأنه يوفر نفس القدر من المعاملة الحسنة و الاحترام بين عناصره من مجندين جزائريين و جنود فرنسيين بالأصالة، الذين يعاملون على قدم المساواة¹.

2- استخدام مكبرات الصوت

و كان يتم نشرها في كل مكان، بمعدل مكبر للصوت لكل دوار. و كان منها ما هو ثابت، قد ثبت في الأماكن الكثيرة الارتياح كالأسواق مثلا ليمس تأثيره أكبر عدد من الناس؛ و منها ما هو متنقل، قد ثبت على الشاحنات و طائرات الهيلكوبتر، حيث يتم استخدامه في إطار عمليات نفسية تكتيكية تساند عمليات عسكرية تجري في الميدان².

تقوم هذه المكبرات طوال اليوم ببث تسجيلات من إعداد المكتب النفسي بالجزائر، أو من إعداد المكاتب النفسية الإقليمية و الفرعية، حيث و لهذه الغاية تم تجهيز هذه المكاتب الفرعية بتجهيزات تقنية و أشطرة و تقنيين لاستغلال جميع الأحداث المحلية و تسجيلها بالصوت. هذه التسجيلات هي في الغالب عبارة عن خطب و تصريحات لقادة و سياسيين فرنسيين، أو تصريحات و حوارات لمسؤولين من الأعيان المحليين³ أو تصريحات لبعض الأسرى و الملتحقين التائبين من الثوار، أو عبارة عن مجموعة من الأناشيد. لكن، كان يراعى في هذه التسجيلات أن يتناول موضوعها ما يهم السكان مباشرة و ما يمسه من قريب. أما أسلوب و محتوى الدعاية الذي تبثه مكبرات الصوت هذه فيتمثل في بث مقاطع موسيقية لبضع لحظات لإثارة و شد انتباه المارة، يليها مباشرة ذكر بعض الأحداث و الوقائع ذكرا موجزا و مركزا. و بعد فاصل موسيقي ثاني كان يتم بث بعض النوادر و الحكايات الفكاهية الشعبية التي غالبا ما يكون بطلها جحا و مغامراته. ثم بعد فاصل موسيقي ثالث، يتم بث و توجيه بعض الخطابات ذات المضامين السياسية المضادة للثورة⁴.

علما أن هذه المكبرات، غالبا ما كانت موصولة بأجهزة راديو تسمح لها بالبث المباشر للأخبار الإذاعية لراديو الجزائر باللغة العربية⁵.

3- استعمال الراديو

و هو من أحسن و سائل الدعاية المسموعة لما له من الشعبية. فحسب تحقيق أجراه مخبر العلوم الإنسانية التطبيقية بجامعة الجزائر، وهو مخبر تابع للجنة العمل العلمي للدفاع الوطني، فإن ثلثا الرجال من سكان الجزائر، من الذين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و 85 سنة، يعتمدون على الراديو في استيقانهم للأخبار⁶.

¹ - أنظر الملحق رقم : 5، و هو يبين تطبيق الدعاية على السكان الجزائريين باستعمال واحد منهم.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Elément de guerre psychologique..., p.14.

³ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note de service, Recueil de déclarations des Elus municipaux musulmans, 22 juin 1959.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 6 و 6 مكرر اللذان يقدمان عينة عن مضمون الدعاية التي كان يتم بثها عبر مكبرات الصوت في الأسواق.

⁵ - SHAT, 1H 1113/1, N° 2196 / CAC/ PY du 2 août 1957, p.3.

⁶ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note d'information, 3p.

خلال الحرب، كان راديو الجزائر يبث حصصا دعائية مختلفة، يتم إعدادها بالتعاون مع الجيش، بإجمالي حجم زمني أسبوعي يقدر بتسع ساعات من البث خلال شهر سبتمبر 1956. هذه الحصص منها ما هو موجه للجيش الفرنسي، كـ "حصّة الجندي" التي كانت تُبثُّ لمدة ساعة في كل أسبوع؛ و منها ما هو موجه للسكان، كحصّة "مجلة الشباب" التي كان يشرف عليها الجيش و حصّة "صوت البلاد" التي كانت تداع يوميا لمدة نصف ساعة بالفرنسية و العربية¹.

إلى جانب راديو الجزائر كانت هيئة الإذاعة و التلفزيون الفرنسي (R.T.F.)، تقوم ببث حصص دعائية من باريس يتم إعدادها بالتعاون مع الجيش و تستهدف بالأخص عناصر الجيش الفرنسي العاملين بالجزائر لرفع معنوياتهم و ربطهم عضويا بالمتروبول. حيث نجد من بين هذه الحصص، حصّة "مجلة الجيش" التي كانت تُبثُّ كل يوم جمعة على الساعة السادسة و خمس و أربعين دقيقة؛ و حصّة "إهداءات موسيقية" من الجنود إلى ذويهم، التي كانت تُبثُّ لمدة أربعين دقيقة صباح كل خميس؛ و حصّة "رسائل إلى الأهل" التي كانت تبث أيضا لمدة نصف ساعة كل يوم ما عدا الأحد².

علما أنه كانت هناك محطات أخرى تبث حصصا دعائية بالعربية و الفرنسية انطلاقا من كل من باريس و مونت كارلو (Monte-Carlo) و ستراسبورغ (Strasbourg) و برازافيل (Brazzaville)، و ذلك بهدف القيام بالدعاية المضادة ضد محطات القاهرة و دمشق و تطوان و بودابست³.

4- الإشاعة

تمثل الإشاعة، أو الدعاية المهموسة، وسيلة أخرى من وسائل الدعاية، حيث يوفر الوسط الأمي ذو الثقافة الشفوية الغالبة مكانا ملائما لازدهارها، إذ أنّها إحدى وسائل الاعلام فيه. تُعرّف الإشاعة بأنّها: « خبر صادق أو كاذب، الذي، في غياب دلائل أكيدة يمكن الرجوع إليها للتأكد منه، ينتشر في وسط معيّن بوسائل و طرق مختلفة، فيتعرض في أثناء ذلك إلى التحوير و التغيير »⁴. تتميز الإشاعة بموضوعها المختصر الذي يتناول الحدث في عبارات قليلة. و هي تهدف إلى خلق حالة نفسية و مواقف و ردود أفعال خاصة تستجيب لظرف معيّن. و هي ترجع في أصلها لشهادة شخص أو مجموعة من الأشخاص حول حدث من الأحداث. هذه الشهادة حول الحدث تمثل نواة الحقيقة في الإشاعة. لكنها تتميز بطابعها الذاتي لأنّها تخضع للمعايير الخاصة للشخص المشاهد. يشترط في ولادة الإشاعة توفر مجموعة من الشروط، منها وجود وضعية أو حدث يكتنفه الغموض و يحظى بالأهمية لدى المخبر و السامع على السواء، يعززه وجود ندرة و فراغ في المعلومات، حيث يكون ظهور هذه الإشاعة محاولة ملء هذا الفراغ. كما قد يكون ورود الإشاعة تلبية لمقتضيات عاطفية كالتعبير عن رغبة أو خوف أو شك، أو لمقتضيات فكرية كحب المعرفة، أو لتقديم تفسيرات و مبررات لبعض السلوكات⁵.

¹ - SHAT, 1H 2408, FICHE - EXPOSE sur l'action psychologique en 10° R. M., p. 10

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - SHAT, 1H 1113/d.2, Rapport spécial sur les résultats obtenus depuis le 1^{er} juin 1955..., p..5.

⁴ - SHAT, 1H 2411/d.1, Etude sur les rumeurs, p.3.

⁵ - المصدر السابق، ص. 3-4.

توفر فترات الحروب مناخا مثاليا لرواج الشائعات، التي قد تولد بصفة عفوية أو مقصودة، حيث يكون ورودها تعبيرا عن رد فعل جماعي و غريزي غير معقول للوسط الذي نشأت فيه. هذه الشائعات هي في الغالب تعبير عن حرمان أو حالة عدم إشباع حاصل. فعندما يكون وسط انساني ما في حالة انتظار أو ترقب لوقوع شيء أو حدث معين يستعجل وقوعه، يرغب فيه أو يخافه، فإن الظروف عندئذ تكون مواتية لظهور الإشاعة، التي تأتي في الغالب للتعبير عن هذه الآمال و المخاوف، و تقديم المبررات و التفسيرات لهذه المشاعر¹.

الإشاعة، كسلاح من أسلحة الحرب النفسية، يقوم ببنائها و نشرها أعوان على معرفة تامة بلغة و عادات السكان و بالمناخ النفسي السائد فيهم. هؤلاء الأعوان يقومون بتمرير الإشاعة بأساليب متنوعة على قدر كبير من المهارة. كهمسها مثلا لبعض الناس ثم مطالبتهم بعدم إفشاء "السر"، اللهم إلا للخاصة من ذويهم. و هكذا تنطلق الإشاعة فيتم تناقلها مشافهة و سماعا من شخص لآخر في الأسواق و التجمعات العامة². كما تتميز الإشاعة بمصدرها المجهول، فهي تبدأ دائما ب: يحكى.. أو يقال.. أو سمعنا.. فيصعب التأكد من صحة مضمونها بسبب استحالة العودة إلى مصدرها. كما تستمد بعض مصداقيتها من كونها مصدرا بديلا، موازيا أو مضادا، للمصادر الرسمية للإعلام، التي غالبا ما تُتهم بتقديم طرح أحادي و منحاز للأحداث. لذلك فإن الإشاعة كثيرا ما تجد التصديق باعتبارها صيغة ثانية للحدث، تعدل من الرواية الرسمية له. كما تحقق الإشاعة شيوعها و انتشارها في وسط ما في ظل افتقاد هذا الوسط لروح النقد و التحليل الموضوعيين اللذين يساعدان على التفريق بين المعقول و اللامعقول في الأحداث و الأخبار³.

تعتبر الإشاعة سلاحا ذا حدين. فمتى أُحبكت و نُشرت أعطت نتائجها في الحين. و لكن إذا أُسبى حبكها، انقلبت على صاحبها، و أعطت نتائج غير منتظرة و عكسية، لأنها عندئذ تصبح قابلة للتحويل و التغيير. لذلك من المهم التوفّر على جهاز يسمح بتوجيهها و مراقبة انتشارها، و قياس نتائجها و تقييمها، و كذا توقيفها عندما تقتضي الضرورة ذلك.

خلال الحرب، عرف الفرنسيون أهمية و خطورة الإشاعة، التي يكونون قد عانوا منها الأميرين، فالمليدان - على ما يبدو - كان مواتيا أكثر للثورة في هذا المجال، لأنها كانت على قرب و معرفة كبيرة بالشعب. لكننا لم نقف على شواهد كثيرة تشهد على مدى استعمال هذا النوع من الجانبين. و كل ما نعرفه في ذلك عن الجانب الفرنسي هو نشره لإشاعتين: الأولى مفادها أن مصالي الحاج، زعيم الحركة الوطنية (M.N.A.) يكون قد " أمر العديد من العمال الجزائريين بفرنسا بالعودة إلى الجزائر و تشكيل فرق كومندو للقضاء على وحدات جيش التحري الوطني"⁴. في حين استهدفت الثانية إفشال الانتخابات الشعبية التي كانت جبهة التحرير تعتمز تنظيمها في عدد من الأماكن بالجزائر، و ذلك من خلال الطعن في مبدئها و في العناصر المرشحة لها⁵.

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 4, 13 avril 1956, p. 14.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche sur l'action psychologique, la propagande chuchotée, 3p.

³ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., p.14 ; SHAT, 1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 4, 13 avril 1956, p.13.

⁴ - SHAT, 1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 4, 13 avril 1956, p. 15.

⁵ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note de service n° 3066 /PY, objet : Rumeur, 3 novembre 1956.

على أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن استعمال الإشاعة كوسيلة من وسائل الدعاية الفرنسية، كان يتم تناوله بكثير من العلمية، و كان يخضع لقرار صادر من المراكز العليا في هرم المسؤولية و لم تكن المبادرة فيه متروكة لقرار الهيئات العاملة في الميدان.

ثالثا : الوسائل المرئية

1- الألواح الإعلامية و القاعات الإعلامية

الألواح الإعلامية (Panneaux d'information) هي عبارة عن واجهة إخبارية من الحجم الكبير. بطول 2.50م في 1.50م. يتم تثبيتها في الهواء الطلق بأماكن مدروسة بمعدل ثلاثة ألواح على الأقل و بكيفية تشد الانتباه، على قارعة الطريق و على جوانب الطريق السيار و بالأماكن المأهولة بالمارة كالأسواق و مقرات البلديات و مراكز البريد. حيث يراعى في كل ذلك سلامة اللوح من التلف بفعل العوامل المناخية، و من التخريب بفعل نشاط الخصم.

تتخذ الألواح الإعلامية دعائم لإلصاق الملصقات و عرض الصور الفوتوغرافية و الرسوم الكاريكاتورية المدعمة ببعض الشروح و الإيضاحات المتمثلة في مقالات مقتطعة من الجرائد، بالإضافة إلى ملصقات و شعارات و منشائر محتومة بطابع رسمي. بهذه الألواح، يتم توزيع الصور و التعاليق بحسب المواضيع، بكيفية فيها شيء من التهوية، لتشد الانتباه و تستوقف المار و لا تتعب المشاهد و لا تقتضي منه كثير أعمال الفكر¹. و قد كانت كل من الحكومة العامة و المكتب النفسي و الشركة السينمائية للجيش (S.C.A.)² هم الذين تتولون توفير و تزويد الألواح الإعلامية دوريا بصور و وثائق جديدة. و على ذكر الشركة السينمائية للجيش نشير إلى أن هذه الأخيرة كانت توزع شهريا ما يزيد عن 12000 صورة، يستخدم قسم منها لتزويد الألواح الإعلامية و يرسل قسم آخر للمجلات و الدوريات و وكالات الأنباء في داخل فرنسا و خارجها. كما كانت هذه الشركة تتولى إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية عن نشاطات الجيش في «حرب الهندية». و في أكتوبر 1956 كان طول ما أنتجته من الأفلام الوثائقية يزيد عن 15000م. هذا عدا عن تزويد قاعات العرض و الشاشات السينمائية التابعة للجيش بمختلف الأفلام و الأشرطة الوثائقية³. و بالإضافة إلى هذه المصادر، كان يعتمد في تزويد الألواح على عدد من الجرائد و الدوريات و بعض المطبوعات الصادرة عن الولاية العامة⁴.

بالمراكز السكنية التي تتوفر على كثافة نسبية هامة، كان يتم تهيئة و تخصيص قاعات إعلامية (Halles d'information)، نظم بدورها مجموعة من الألواح الإعلامية و الواجهات الزجاجية. تستغل لعرض الصور و المنشائر و الملصقات و الخرائط الجغرافية و الرسومات البيانية. هذه القاعات كان يمكن أن تتوفر على قاعة لعرض الأفلام و أخرى لتنظيم الندوات و المحاضرات. علما أن هذه القاعات غالبا ما كانت تتوفر

¹ - SHAT, 1H 2408, Fiche sur l'organisation des halls d'information et installation de panneaux d'affichage, p.1.

² - Service Cinématographique de l'Armée

³ - SHAT, 1H 2408, Fiche - Exposé sur l'Action psychologique en 10° R M., p. 11 ; SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10° R. M. 9 novembre 1957.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, (document sans titre), n° 2196 / CAC / PY du 2 aout 1957, p.3.

على مكبرات للصوت، تستخدم في بث خطابات دعائية ممزوجة بشيء من الموسيقى، فتنعز الدعاية المرئية بدعاية مسموعة بما يحقق هدفا مزدوجا. أما بالنسبة لعدد هذه القاعات و اللوحات الإعلامية، فقد كان يقدر بحلول أكتوبر 1956 بحوالي 350 ما بين قاعة و لوح إعلامي، و كان من المقرر رفع عددها إلى 400 في ظرف قريب¹. و يبدو أن تجربة اللوح الإعلامي كوسيلة من وسائل الدعاية بالنسبة للجيش قد حققت قدرا كبيرا من النجاح فتم اعتمادها من طرف السلطات المدنية ليجري تعميم العمل بها في عدد من بلديات الغرب الجزائري².

2- السينما

تمثل السينما وسيلة دعائية قوية، لما في الصورة من القوة و القدرة على بلوغ حساسية الكائن الحي. كما أن ظروف العرض غالبا ما تجعل المشاهد في حالة تلقي و استقبال مُثلى³. و نظرا لانعدام قاعات خاصة بعرض الأفلام بالمناطق الريفية، كان يتم استخدام شاحنات للسينما مجهزة بالوسائل السمعية البصرية اللازمة، تقوم بعرض أفلامها ليلا في الهواء الطلق. حيث تتولى الشركة السينمائية للجيش تزويد هذه الشاحنات بمختلف الأفلام. برنامج العرض كان غالبا ما يتضمن في البداية شريطا للرسوم المتحركة بهدف خلق جو ترفيهي و حالة من الاسترخاء و الانبساط لدى المشاهدين، حتى إذا تمكن ذلك منهم، استُثير انتباههم و شدّ في الحال بـ " فيلم - صدمة " من إنجاز المصلحة السينماتوغرافية للولاية العامة، يتناول بالتعريف بعض الإنجازات التي حققتها الإدارة الفرنسية بالجزائر في الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها⁴. حيث يؤدي الانتقال من حالة الارتخاء إلى حالة الانتباه المشدود دورا هاما في تثبيت الخطاب. هذا و قد كان يتم الحرص في هذه العروض على عدم عرض بعض الأفلام، كأفلام " الويسترن "، التي قد تُوعز بالمغامرة أو تُحرّض على العنف"⁵.

المطلب الثالث : مواضيع و محاور الدعاية الفرنسية بالجزائر

يخضع استخدام الدعاية بأنواعها الثلاثة المقروءة و المسموعة و المرئية، لوحدة في التصور و المفهوم. حيث كان المكتب النفسي يتولى الإشراف على تسطير و ضبط البرامج العامة لدعاية الجيش الفرنسي في الجزائر، و بالأخص تحديد المحاور العامة التي تشكل موضوعها. فقد كان المكتب يصدر دوريا نشرة داخلية محدودة التوزيع، تأخذ شكل تعليمية توجيهية (Note d'orientation)، توزع على مختلف المكاتب الفرعية للمكتب النفسي بالإضافة إلى الهيئات المدنية و العسكرية المتعاملة معه. في هذه النشرة، يقوم المكتب بتحليل مختلف الأحداث التي وقعت خلال الثلاثي الماضي، و التي من خلالها يقوم المكتب برصد معنويات مختلف الأطراف المتنازعة: من جيش فرنسي و سكان أوروبيين، ثم السكان الأهالي و الثوار. و على ضوء ذلك كان المكتب

¹ - SHAT, 1H 2408, Fiche sur l'organisation des halls d'information et installation de panneaux d'affichage, p4-5

² - SHAT, 1H 2460/d.1, Circulaire de la préfecture d'Oran, n° 1.200/NA, du 22 mai 1957.

³ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p.77.

⁴ - Jean Servier, *Adieu Djebels*, p. 49- 51.

⁵ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note sur la guerre psychologique, p.2.

يقوم برسم لوحة نفسية للجزائر و توجيه نشاط مختلف الهيئات العاملة في حقل الدعاية و الحرب النفسية بالنسبة للثلاثي التالي. تحقيق ذلك، كان يتم باعتماد خطة محددة، يتم على ضوءها تسطير المحاور و المواضيع التي يجب طرقتها و تناولها في الدعاية المقروءة و المسموعة و المرئية. هناك سبعة محاور رئيسة مهيمنة دارت حولها الدعاية الفرنسية خلال الحرب، هي¹:

المحور الأول: "قوة فرنسا و هيبتها".

المحور الثاني: " جيش التحرير الوطني ما هو إلا خرافة".

المحور الثالث: " روابط التضامن بين فرنسا و الجزائر".

المحور الرابع: " العنصرية العرقية و الدينية للثوار".

المحور الخامس: " السياسة البنائة و السخية لفرنسا".

المحور السادس: " السياسة الرجعية و الهدامة للثوار".

المحور السابع: " تضامن الشعوب العربية مع الثوار ما هو إلا هراء".

هذه هي أهم المحاور التي كان يتم تناولها و طرقتها في الدعاية الفرنسية على مدى الحرب. وبالرغم من الاستقلال الظاهري لكل محور منها، فإن بينها وحدة عضوية أكيدة، تتجسد غالبا من خلال مقابلة محور لآخر أو معارضته له. علما أن تناول الدعاية لكل محور من هذه المحاور كان يتم بذكر " الحجج و الوقائع " التي تسنده. هذه الحجج قد تكون عقلية أو مادية تنبني على ذكر شواهد و أحداث تسمى باسمها و تذكر بعينها بما في ذلك الأشخاص. و لتوضيح ذلك سوف نأخذ كعينة المحور الأول و الثاني بشيء من الشرح و التوضيح.

المحور الأول: "قوة فرنسا و هيبتها " و يهدف هذا المحور إلى إعادة الاعتبار و الهيبة لفرنسا و لجيشها في نفسية السكان باستعمال الحجج التالية:

1- إرادة و عزم فرنسا على البقاء في الجزائر. دليل ذلك هو تصريحات مختلف المسؤولين السياسيين و العسكريين الفرنسيين، وإرسال الحكومة الفرنسية لتعزيزات هامة و استدعاؤها و إرسالها لعشرات الآلاف من الاحتياطيين إلى الجزائر.

2- الجزائر ليست الهند الصينية، و بالتالي فإن خروج فرنسا منها هو أمر غير وارد البتة. فقرب الجزائر من فرنسا و وصول الإمدادات في كل يوم تقريبا، بالإضافة إلى وجود مستعمرة سكانية أوروبية هامة... كل ذلك يجعل خروج فرنسا من الجزائر أمر في عداد المستحيلات.

3- القوة العسكرية الساحقة لفرنسا في الميدان. إذ أن مقارنة بسيطة بين الخسائر العسكرية القليلة للجيش الفرنسي و الخسائر العسكرية الضخمة للثوار، تؤكد بأن الحسم سيكون إن عاجلا أو آجلا

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieur du territoire et la guerre psychologique, p. 49-54 ; SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier de l'action psychologique en Algérie, p. 10 - 16.

لصالح الجيش الفرنسي. كما أنه لا مقارنة بين سمعة القادة العسكريين لفرنسا و سمعة القادة العسكريين للثوار.

4- الموارد اللامحدودة لفرنسا. ففرنسا بلد غني، و من المصلحة السير معه و العيش في ظله. و إلا فمن غيره يمكنه إطعام سكان الجزائر الذين يتزايدون باستمرار. فالجزائر غنية بفرنسا و فقيرة بدونها.

5- سياسة فرنسا، سياسة عدل و رحمة، لأنها بلد الحرية. و لذلك سوف يكون العفو مصير الذين ضلوا الطريق. أما بالنسبة للمذنبين الحقيقيين، قتل النساء و الشيوخ و الأطفال، فمصيرهم العقاب و لا أمل لهم في العفو.

المحور الثاني: "جيش التحرير الوطني ما هو إلا خرافة": و هذا المحور يقابل و يعارض المحور السابق. فكلما ذكر حدث يتعلق بالثوار أو ذكر واحد من رؤسائهم لم يذكر إلا بشر. و ذلك بهدف دفع السكان المستهدفين بالدعاية إلى رفضهم عن غير وعي. كما يهدف هذا المحور الذي يقابل و يعارض المحور السابق إلى استدراج السكان الأهالي بالريف و إفهامهم ضمناً بأن هناك اختياراً يتوجب عليهم عمله، إما السير في صف فرنسا القوية أو السير في صف الثوار الضعفاء. حيث يكون الاختيار الحسن هو السير في صف فرنسا و التعاون معها. و لتحقيق ذلك، تحرص الدعاية على عدم إفهام السكان بأنهم متواطئون مع الثوار: فالأعداء الحقيقيون لفرنسا إنما هم فقط «الإرهابيون». أما الحجج الموظفة لذلك فهي:

1- المقاومة المسلحة محكوم عليها بالفشل. و المساعدة الخارجية للثورة هراء، لأن الدول التي تدعي تقديم هذه المساعدة هي دول فقيرة و لا تستطيع سد احتياجاتها الخاصة.

2- المقاومة المسلحة محكوم عليها بالفشل: لأن الثورة تعاني من نقص السلاح و انعدام في الأسلحة الحديثة. فأسلحة الثورة مجرد بنادق صيد. كما أن الثورة تعاني مصاعب أخرى في التجنيد و التموين و التنظيم.

3- وجود خلافات داخلية بين الثوار، و وجود مشاحنات و تنافس بين مختلف الجماعات المسلحة. و لولا وجود و حضور فرنسا في الجزائر لكانت هذه الأخيرة على شفا هاوية من الحرب الأهلية، التي ستضرب أبشع الأمثلة في البشاعة و اللاإنسانية.

4- جبن و تخاذل الإطارات العليا للثورة، الذين لا ينزلون إلى ميدان القتال و يدفعون بـ"الصغار" إلى الموت. إنهم يفضلون البقاء في طرابلس و القاهرة للعيش عيشة دعة و أمن بعيداً عن الخطر و الموت.

5- جبن و تخاذل الجماعات المسلحة للثورة، التي لا تجيد غير مهاجمة العزل من النساء و الأطفال و الفلاحين، و لكنها في نفس الوقت تتحاشى مهاجمة قوات الجيش الفرنسي.

6- دعاية الثوار لا تعتمد إلا على الكذب.

7- فداحة العجز عند قادة الثورة الذين لا يتوفرون على أي تكوين جاد، مع انعدام في النظام و غياب لقيادة موحدة. و هو ما يفسر فرار العديد من الثوار و التحاقهم بالجيش الفرنسي.

بمثل هذه " الحجج " و الشعارات كان يتم طرق و معالجة كل محور من المحاور السبعة أعلاه. و كان يتم الحرص في تناول هذه المحاور على التكرار و استغلال مختلف الأحداث و الوقائع لتدعيم هذه الشعارات ضمن خطة عمل دعائية نفسية تتم على ست مراحل متتالية و مترابطة. هذه المراحل تأخذ حيزها الكافي من الزمان، ويجند لها ما يوافقها من الدعاية المقروءة و المسموعة و المرئية، و ذلك كالتالي:

فبالنسبة للثوار كانت الخطة تتمثل أولاً في ادخال و زرع الشك في نفوسهم من خلال هز و تقويض قناعاتهم في قضيتهم التي يقاتلون من أجلها، ليتم في مرحلة ثانية زرع مركب النقص و الشعور بالذنب في نفوسهم لأنهم أخطأوا طريق الحق و جانبوا الصواب. حتى إذا تمكن ذلك منهم، تم، في مرحلة ثالثة، زرع اليقين في نفوسهم بأن " مغامرهم " هذه محكوم عليها بالفشل و ستنتهي. مما ينتج عنه، في مرحلة رابعة، رسوخ القناعة عند هؤلاء الثوار بعدم جدوى كل التضحيات المقدمة. عندها تبدأ المرحلة الخامسة التي تأتي بتوجيه مسار نفسي انهماجي طويل، لكي تحل فيه قناعات جديدة محل أخرى، و على رأس هذه القناعات التطلع للعودة إلى حياة العادية، بما يعنيه ذلك من وقف المقاومة و وضع السلاح. فتبدأ المرحلة السادسة و الأخيرة بنزول الثوار من الجبال و الإلتحاق بالجيش الفرنسي¹.

أما بالنسبة للأهالي، فيتم تطبيق نفس الخطة ذات الست مراحل: حيث يتم في المرحلة الأولى غرس قناعة قوية لدى السكان بأن فرنسا باقية في الجزائر و أن مسألة خروجها و اندحارها غير واردة البتة. بما يعنيه ذلك في مرحلة ثانية من أن الثوار لا شك مذنبون و لا محالة منهزمون (مرحلة ثالثة). يتلوهما في مرحلة رابعة رسوخ القناعة عند السكان الأهالي بأن الحل الفرنسي هو الأمثل و هو المخرج من المأزق. فينشدون في مرحلة خامسة العودة إلى حياة عادية يعمها الأمن و السلام. حتى إذا استتبأ ذلك عليهم فهموا، في مرحلة سادسة و بوحى من الدعاية، بأن عودة الأمن و السلام موقوفة على مدى انخراطهم و تعاونهم مع الجيش الفرنسي للقضاء على الثوار، الذين هم المصدر الحقيقي لبؤسهم و معاناتهم. و بقدر ما كان هذا التعاون أسرع و أنجع كان ذلك أدمى للتخفيف من معاناتهم و تقصير أمدها. فينخرطون بكل قناعتهم إلى جانب الجيش الفرنسي، معلنين إلى جانبه حرباً لا هوادة فيها ضد الثوار².

كانت هذه هي معظم الوسائل و ليست كلها، التي استخدمتها مصالح النشاط النفسي و الحرب النفسية لممارسة الحرب النفسية على الجزائريين و التأثير عليهم. و قبل أن نختتم تناولنا لهذه النقطة، نشير إلى شيء مهم ألا و هو أن هذه المصالح لم تكن لتكتفي بهذه الوسائل فقط، فمجال النشاط النفسي و الحرب النفسية من الاتساع و المرونة بحيث يمكنه استيعاب كل مناحي النشاط الإنساني لتسخيرها و توظيفها في خدمة الدعاية و الحرب النفسية. لذلك كان المكتب النفسي يلح و يؤكد على ضرورة الاستغلال الجيد للأنشطة التي ينتج عنها لقاء بين الأفراد، لتحقيق اتصال (Le contact) جيد مع السكان. و في هذا الصدد دائماً، كانت التعليمات الصادرة عن المكتب النفسي تؤكد بأن النشاط النفسي ليس مهمة يقتصر القيام بها على المختصين

¹ - أنظر الملحق رقم: 7 .

² - الملحق السابق.

وحدهم، و إنما هي مهمة يناط أمرها بالجميع. لذلك من الضروري أن يتحول كل ضابط و كل جندي و كل مدني فرنسي من موقع عمله إلى رجل دعاية مؤمن في خدمة القضية الفرنسية بالجزائر، مجسدا ذلك في أقواله وأفعاله، في الإدارة و في الشارع، جاعلا من سلوكه قدوة حسنة و مضرب مثلاً في الاستقامة و الخلق، اللذان هما غاية الوسائل في الدعاية النفسية للتأثير على العقول و النفوس¹. و هو ما سنتناوله بشيء من التفصيل في الفصل الرابع.

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification à l'usage des commandants de sous- quartier, p.6 et 9.

الفصل الثاني:

أجهزة و دعائم سلاح الحرب النفسية الفرنسية

الفصل الثاني : أجهزة و دعائم سلاح الحرب النفسية الفرنسي

نبذة تاريخية :

بالرغم من المكانة الرائدة للجيش الفرنسي بين جيوش العالم، فإن هذا الجيش لم يكن يتوفر على جهاز للحرب النفسية بالمعنى الحقيقي للكلمة. وكان يجب الانتظار حتى نهاية سنة 1947 و بداية 1948 ليقيم الجيش الفرنسي بإنشاء أول وحدة له للحرب النفسية، التي كان إنشاؤها يستجيب لمقتضيات الحرب بالهند الصينية. ففي هذه الحرب عرف الجيش الفرنسي عدوا جديدا، هو الـ " فيات منه (LeViet-minh)"، الذي استعمل في حربه سلاحا جديدا للقتال، غير معروف في الحروب الكلاسيكية، ألا وهو سلاح الحرب النفسية. لذلك كان إنشاء وحدة للحرب النفسية يهدف إلى حماية و تعزيز معنويات القوات الفرنسية بالهند الصينية و معنويات السكان الخاضعين لرقابتها، و ضرب معنويات الثوار المقاتلين و التأثير على معنويات السكان الخاضعين لتأثيرهم¹. لكن، نظرا لحدثة جهاز الحرب النفسية بالجيش الفرنسي، فقد تميزت انطلاقته بشيء من التعثر، إذ كان على الفرنسيين البدء من الصفر، و بالأخص الحصول على معرفة دقيقة حول تجربة الخصم و إمكانياته في هذا المجال². في أثناء ذلك، تسارعت الأحداث بالقارة الآسيوية، فبعد أن استكملت الصين الشعبية ثورتها الشيوعية سنة 1949، خرجت الحرب التي تشنها الولايات المتحدة في كوريا و الحرب التي تشنها فرنسا في الهند الصينية عن نطاقها المحلي لتأخذ أبعادا قارية و عالمية واسعة، لتصبح هاتين المنطقتين واحدة من أشد نقاط المواجهة الساخنة المغذية للحرب الباردة بين المعسكرين، الشرقي و الغربي، أين تم استعمال الدعاية و الحرب النفسية على أوسع نطاق. و هو ما كان من نتائجه المباشرة ازدياد الوعي، في المعسكر الغربي عموما و لدى فرنسا بوجه خاص، بالخطورة التي يمثلها هذا السلاح و بالإمكانيات و الآفاق التي يفتحها في المستقبل.

تمثل سنة 1952 سنة حاسمة في بداية المجهود الفرنسي في هذا المجال، أين تم إنشاء عدد من الهيئات الوطنية العاملة في مجال النشاط النفسي و الحرب النفسية في الإطار العام للدفاع الوطني. نذكر من بينها "اللجنة الوزارية للنشاط النفسي للدفاع الوطني"³، التي أنشئت سنة 1952، و كانت تضم ممثلين عن مختلف الوزارات. و قد تمثلت مهمتها في حث مختلف الوزارات على التعاون و التنسيق فيما بينها حول جملة المسائل المتعلقة بالنشاط النفسي التي تتم الدفاع الوطني و يفرضها الظرف. بما يعني أن عمل اللجنة هو عمل ظرفي يستجيب لمطالبات الظروف الآنية، كالقيام بدراسات حول عدد من المسائل التي قد تفرضها الساعة. على أن اللجنة في كل ذلك لا تتوفر على سلطة لإصدار القرارات في هذا الميدان و لا يعود لها أمر رسم الخطوط العريضة للحكومة في مجال النشاط النفسي و لا بلورة مذهب معين فيه⁴. يتبع لهذه اللجنة عدد من

¹ - Paul VILLATOUX, *L'armée française et la guerre psychologique en Indochine (1945- 1955)*, op. cit., p. 68.

² - المصدر السابق، ص. 70.

³ - La Commission Interministérielle d'Action Psychologique de Défense Nationale.

⁴ - SHAT, IH 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel de B. de Susbielle..., op.cit., p.5.

المصالح من بينها: مصلحة الإعلام و النشاط النفسي للدفاع الوطني و القوات المسلحة؛ و مصلحة الأمن للقوات المسلحة؛ و المصلحة الاجتماعية؛ و لجنة الجيش و الشباب، حيث تتولى اللجنة التنسيق فيما بينها¹. كما نجد أيضا من بين هذه الهيئات " لجنة العمل العلمي للدفاع الوطني " ²، التي انبثقت عنها سنة 1955 لجنتان أخريان هما: "لجنة الأبحاث العلمية في العلوم الإنسانية" و " لجنة البحث في الحرب النفسية". و قد كانت الغاية من إنشاء هاتين اللجنتين هو جعلهما بمثابة ملتقى و همزة وصل بين هيئات الدفاع الوطني المهمة بمسائل النشاط النفسي و الشخصيات العلمية التي تمارس البحث في الميادين التي تدخل ضمن اهتمام هذه الهيئات. و قد كان أول تجسيد للتعاون بين الجانبين يتمثل في إنجاز تقرير حول المعنويات³.

أما بالنسبة لسلاح الحرب النفسية في القوات المسلحة الفرنسية، فقد بقيت هذه الأخيرة حتى بداية سنة 1955 تعاني من غياب لكل نواة تنظيمية حقيقية و ذات أهمية يمكنها أن تضمن درجة مقبولة من الاستعداد لهذه القوات المسلحة في مجال الحرب النفسية⁴.

ففي الأول من جانفي 1953 تم إنشاء " مكتب الحرب النفسية"، الذي كان يخضع للسلطة المباشرة للقائد الأعلى هيئة أركان مختلف الجيوش و القوات البرية (L'E.M.I.F.T.)⁵. حيث كانت تتمثل مهمته في بلورة و تنفيذ الحرب النفسية و الدعاية وفقا لأوامر و تعليمات القائد الأعلى هيئة الأركان على مجموع الأقاليم الواقعة تحت قيادته. كما تعود للمكتب مهمة دراسة و تنظيم و تنفيذ العمليات غير القتالية، التي من شأنها ضرب معنويات الخصم و ضرب إرادته القتالية، بالإضافة إلى مهمة الدفاع عن معنويات القوات الصديقة و دعمها، و ضمان التنسيق الدائم بين مختلف الهيئات المدنية و العسكرية المختصة في هذا الميدان⁶. و قد حددت التعلية الوزارية، الصادرة بتاريخ 4 أكتوبر 1955، السياسة العامة في هذا المجال كالآتي⁷:

- حماية وحدات الجيش الفرنسي من الهجمات المعادية التي تستهدف تلاحمها و معنوياتها.
- المساهمة داخل فرنسا و خارجها في العمليات النفسية التي يتم تنفيذها في إطار الحرب الباردة، و ذلك بالإتفاق و التنسيق مع السلطات المدنية المسؤولة.
- التحضير و الاستعداد لحرب نفسية ساخنة يمكن تنفيذها مع الحلفاء، بموازاة مع الدفاع الداخلي عن الإقليم. تحقيقا لهذه الأهداف، صدر بتاريخ 28 جويلية 1956 المرسوم المتضمن إنشاء المكتب النفسي التابع هيئة أركان القوات المسلحة. و هو مكتب يخضع للسلطة المباشرة للجنرال رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة. حيث تتمثل مهام المكتب في ميدان الحرب النفسية في⁸:

¹ - SHAT, 1H 2409/d.2, L'organisations des Forces Armées pour la guerre psychologique, Conférence aux Officiers du Cours Supérieur Interarmées et aux..., par le Colonel ALAZARD, Chef du Bureau Psychologique de l'E.M.F.A., p.4.

² - Comité d'Action Scientifique de Défense Nationale

³ - SHAT, 1H 2409/d.2, L'organisations des Forces Armées pour la guerre psychologique, op. cit., p.4- 5.

⁴ - المصدر السابق، ص. 1.

⁵ - Etat - Major Interarmées et des Forces Terrestres.

⁶ - Paul VILLATOUX, L'armée française et la guerre psychologique en Indochine (1945- 1955), p. 82

⁷ - SHAT, 1H 2409/d.2, L'organisation des Forces Armées pour la guerre psychologique..., op.cit, p.6.

⁸ - المصدر السابق، ص. 7.

- التفكير و التحضير لهيكل عام يجمع الهيئات المختصة في الحرب النفسية.
 - إعداد المخططات و ضبط التعليمات العامة الواجب إتخاذها في زمن الحرب.
 - التعاون مع الهيئات الوطنية المختصة في البحث العلمي في الميدان النفسي.
 - الإشراف على كل دراسة أو عمل يتعلق بمساهمة القوات الفرنسية في مبادرات مع الحلفاء.
- أما بالنسبة لنشاطات المكتب في ميدان الحرب النفسية فتتمثل في ¹ :

- وضع تعليمات مشتركة للقوات الثلاث
 - المتابعة و المراقبة و التنسيق لكل ما يتعلق بتنظيم و ممارسة النشاط النفسي على القوات الثلاث.
- و على منوال المكتب النفسي التابع لهيئة أركان القوات المسلحة بفرنسا، أنشئت مكاتب نفسية إقليمية بشمال أفريقيا، بكل من تونس و الجزائر و المغرب، تعمل داخل هيئة الأركان للقيادة العليا بكل قطر. و سنتناول المكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي بشيء من التفصيل.

المبحث الأول : جهاز سلاح الحرب النفسية الفرنسي بالجزائر

المطلب الأول : المكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي

أنشئ المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العسكرية العاشرة بالجزائر² في الأول من مارس 1955. و هو مكتب تم إنشاؤه داخل هيئة أركان القيادة العليا للجيش الفرنسي بالجزائر و يخضع للسلطة المباشرة لقائدها العام، على قدم المساواة مع المكاتب الأخرى، و هو ما يعكس الأهمية التي أولتها هذه القيادة للمسائل المتعلقة بالحرب النفسية. و قد جاء في تعليمة إنشاء هذا المكتب بأن إنشاء هذا الأخير يستجيب « للوضعية الحالية للجزائر التي تعطي إنشاء هذه الهيئة صفة استعجالية. إذ أن نشاط المكتب ضمن مجاله الخاص هو من الفعالية مما سيحد من تدهور هذه الوضعية »³.

يتشكل المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العسكرية العاشرة من مكتب مركزي، يمثل المكتب الأم، مقره بهيئة الأركان العامة بمدينة الجزائر. ينشطه سبعة ضباط سامون محتصون من بينهم جزائري. و يتمثل دوره في إصدار التعليمات التوجيهية و توزيع الوسائل على مختلف المكاتب الفرعية و مراقبة نشاطات و نتائج النشاط النفسي، و توجيه إذاعة الدولة و الإعلام داخل الجيش. كما يناط به أيضا تنسيق العمل النفسي مع جميع الوسائل و الأنشطة العسكرية و المدنية التي يمكنها أن تؤثر على السكان. يتبع هذا المكتب ثلاثة مكاتب فرعية في كل من الجزائر و وهران و قسنطينة، تجدهي الأخرى مكانها داخل هيئة أركان التشكيلات العسكرية الثلاث (divisions militaires) المكونة للجيش الفرنسي بالجزائر. و يقوم على تنشيطها ثلاثة ضباط في كل مكتب، واحد مكلف بقسم "المعنويات" و يكلف الثاني بقسم العلاقات العامة و النشاط المباشر و يكلف الثالث بقسم الإعلام و الدعاية. حيث تتمثل مهمة المكاتب الفرعية الثلاث في

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - Bureau Psychologique Régional de la X^e Région Militaire.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note pour le 1^{er} Bureau de l'E.M.A. sur la création d'un organisme d'action psychologique en Algérie, 1^{er} mars 1955.

تطبيق التعليمات الصادرة عن المكتب الإقليمي. كما يتبع هذه المكاتب الفرعية الثلاثة أحد عشر فرعا (antenne) تغطي كامل القطر الجزائري. و يتمثل دورها في القيام بالاستعلامات النفسية و رصد آثار و نتائج النشاط النفسي¹.

تمثل طريقة العمل بين المكتب النفسي الإقليمي و المكاتب النفسية الفرعية في أن الأول يقوم بالإعداد و التحضير للحملة النفسية الواسعة، آخذا على عاتقه إعداد الأدوات اللازمة لذلك، من أشرطة مسجلة و مناشير و ملصقات وغيرها. في حين تتولى المكاتب الفرعية تنفيذ هاته الحملات النفسية و القيام بالنشاط المباشر على السكان بتوزيع المناشير و الملصقات و استعمال الأشرطة المسجلة و بثها عبر مكبرات الصوت، بالإضافة إلى تنشيط حوارات و محادثات مع السكان².

فمثلا بالنسبة للنشاط النفسي على السكان، كان المكتب النفسي الإقليمي، في إطار التعليمات الصادرة عن الوزير المقيم، يقوم بمعالجة المسائل العامة و استغلال الأحداث التي يتجاوز مداها إطارا محليا ضيقا، محمدا بذلك الاتجاه العام للنشاط النفسي و موجهها عمليات البحث عن المعلومات النفسية. و في المقابل، كان يتمثل دور المكاتب الفرعية و الفروع الأحد عشر الأخرى في القيام بنشاط محلي على السكان، حيث يكون الهاجس الأول وراء تنفيذه هو تحقيق استغلال نفسي سريع للأحداث³.

يضطلع المكتب بدور متعددة داخل هيئة الأركان، إذ هو بمثابة هيئة استشارية للقيادة العليا حول كل ما يخص النشاط النفسي و الحرب النفسية. حيث يدخل ضمن نطاق مهامه تسطير مخطط للنشاط النفسي يتم ضبطه على ضوء مخطط عام للعمليات العسكرية. في هذا المخطط يتم تحديد المناطق التي يجب تركيز الجهود بها و الدرجة الإستعجالية لذلك، مع تحديد الوسائل اللازمة التي يجب استعمالها في ذلك و الوسائل الإضافية التي يجب التنسيق فيها مع الهيئات المعنية كالمكتب الرابع و المكتب الثالث و غيرها من المصالح الخاصة. كما يدخل ضمن نطاق مهامه جمع المعلومات النفسية اللازمة لتنفيذ هذا المخطط و التصدي لدعاية العدو، حيث يتم استيقاء هذه المعلومات من المصادر المختلفة كالمكتب الثاني، و المصالح الخاصة، و الوحدات القتالية المتواجدة في الميدان، و وحدات النشاط النفسي، و من السجناء و الأسرى، و السلطات المدنية. كما يدخل ضمن مهام المكتب المشاركة في تحرير نصوص أوامر تنفيذ العمليات العسكرية في شقها المتعلق بالجانب النفسي، حيث يقوم المكتب بتحديد الأهداف النفسية المنتظرة من هذه العملية و المعلومات النفسية اللازمة لها، و تحديد المحاور الدعائية التي يجب توظيفها و الأخرى التي يجب عدم طرقها، و كذا تحديد الوسائل المستعملة، و المناطق التي ستتم معالجتها، و الظروف العامة لتنفيذ العملية ضمن مخطط زمني محدد، دون نسيان تحديد شروط مراقبة النتائج المتحصل عليها، إلى غير ذلك من التفاصيل. و أخيرا يدخل ضمن نطاق مهام المكتب الإقليمي و المكاتب الفرعية القيام، بعد تنفيذ كل عملية عسكرية، بتحرير وثيقة ترفع للقيادة

¹ - SHAT, 1H 2409/d.2, L'organisation des Forces Armées pour la guerre psychologique...Op. cit, p. 8-9 ; SHAT, 1H 2408, Etude sur l'Action Psychologique en Algérie, annexes II, III et IV.

² - SHAT, 1H 1113/1, L'arme psychologique en 10° région militaire, p. 4

³ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche-Exposé sur l'Action Psychologique en 10° R. M., p.3.

العسكرية تتضمن عرضا موضوعيا للنتائج المتحصل عليها من العملية و الفوائد التي يمكن استخلاصها منها و الأخطاء التي يجب تفاديها في المستقبل¹.

أما خارج هيئة الأركان، فيضطلع المكتب النفسي الإقليمي و معه المكاتب الفرعية الأخرى بمهام تنفيذية، حيث أوكلت إليه قيادة هيئة الأركان تحقيق عدد من الأهداف تتمثل في:

- أولا حماية معنويات القوات المسلحة ضد الهجمات النفسية و الدعائية للخصم، بما يحصنها ضد كل عمل تخريبي يستهدف معنوياتها و تلاحمها. مع تنوير هذه القوات حول طبيعة الصراع الدائر في الجزائر، و حول المهمة العسكرية التي تنتظرها في شمال إفريقيا.

- ثانيا تنوير الرأي العام الفرنسي حول طبيعة الصراع الدائر بالجزائر و نشاط الجيش بشمال أفريقيا.

- ثالثا، و في إطار «حرب التهذئة»، القيام بنشاط نفسي مكثف على السكان الأهالي بالريف لتخليصهم من تأثير الثوار و كسبهم إلى صف الجيش الفرنسي، مع القيام، بالتوازي مع ذلك، باستخدام السلاح النفسي للتأثير على الثوار و ضرب معنوياتهم و القضاء على روحهم القتالية و جرحهم إلى الاستسلام و الالتحاق².

لأداء هذه المهام يتوفر المكتب النفسي الإقليمي على أربعة أقسام رئيسية هي: "قسم التوثيق و الاستعلامات"؛ "قسم النشاط النفسي"؛ "قسم الحرب النفسية"؛ "قسم هيئة الأركان و المصالح"³.

أولا: "قسم التوثيق و الاستعلامات":

و هو قسم مكلف بتجميع المعلومات و الوثائق التي تمكن رئيس المكتب النفسي الإقليمي و رئيسي قسمي النشاط النفسي و الحرب النفسية من التوفر بين أيديهم و تحت أعينهم على لوحة شاملة تعكس بأدق ما يمكن تطور الوضعية النفسية بكامل القطر الجزائري. بحيث تقدم هذه اللوحة المؤشرات الكافية على الحالة المعنوية لمختلف وحدات الجيش الفرنسي بمختلف مكوناته، من جنود فرنسيين و مجندين جزائريين و أفارقة، بالإضافة إلى رصد معنويات السكان الأوروبيين و السكان الأهالي.

يستمد قسم التوثيق و الاستعلامات المعلومات اللازمة له من المكتب الثاني للمنطقة العسكرية العاشرة، حيث يتوفر هذا القسم على ضابط للتنسيق و الربط ينتدب على الدوام لدى المكتب الثاني. كما تمثل مصالح الدرك و الأمن العسكري و المصالح الخاصة مصادر أخرى تزود هذا القسم على وجه السرعة بكل معلومة أو خبر نفسي يستوجب تحقيق استغلال سريع له. إلى جانب ذلك، يتحصل هذا القسم على تقرير الضباط المتنقلين (Officiers Itinérants) و التقرير الأسبوعي الصادر عن مختلف القيادات الفرعية و المتضمن عرضا حول الوضعية النفسية العامة و رصد لنشاط الأصدقاء (الجيش الفرنسي) و نشاط الأعداء، أي الثوار⁴.

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., op. cit, p. 18 - 19.

² - SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle..., op. cit, p. 7.

³ - أنظر الملحق رقم : 08.

⁴ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10° Région Militaire, 9 novembre 1957, p. 2.

ثانيا: قسم "النشاط النفسي":

و يضطلع هذا القسم بمهمة القيام بنشاط نفسي على وحدات الجيش و السكان الأصدقاء، مستفيدا في ذلك من خدمات قسم التوثيق و الاستعلامات الذي يزوده بمختلف المعلومات اللازمة لذلك، كما يستفيد أيضا من توجيهات و تعليمات رئيس المكتب. نشاط هذا القسم يكون إما بتوجيه تعليمات و أوامر للمستويات الفرعية الدنيا، وإما بتوظيف مجموع الوسائل المتوفرة لديه كجريدة البلاد (*Le Bled*) و مجلة كونتاكت (*Contact*)، أو باستعمال المناشير و غيرها من المطبوعات و السينما و البث الإذاعي و الضباط المتنقلين¹.

كما يضطلع هذا القسم أيضا بمهمة تنشيط المدارس و مراكز التكوين التابعة للمكتب النفسي الإقليمي، المتمثلة في: مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزو (C.I.P.C.G.)²، و مركز تدريب مسؤولي الدواوير بأرزو أيضا³، و مركز تدريب منشطي شباب الجزائر⁴.

ثالثا: قسم "الحرب النفسية":

و هذا القسم مكلف بتناول و معالجة كل المسائل المتعلقة بالنشاط و التأثير على الثوار و على السكان الخاضعين لتأثيرهم و نفوذهم في إطار حرب نفسية حقيقية. أما نشاطه فيكون إما بإصدار الأوامر و التعليمات للمستويات الفرعية الدنيا أو بتوظيف مجموع الوسائل المتوفرة بحوزته، و التي منها الضباط المتنقلون، فرق مكبرات الصوت و المناشير، و فرق المساعدة الطبية الاجتماعية المجانية (A.M.G.)⁵. كما يمكن لهذا القسم الاستفادة من خدمات المطبعة و الإذاعة و المصلحة السينمائية للجيش (S.C.A.)، لإنجاز مناشير و مطبوعات و حصص إذاعية و أفلام وثائقية و صور توضع تحت تصرف الوحدات العاملة في الميدان.

كما يضطلع هذا القسم أيضا بالإشراف على مركز تدريب مسؤولي الدواوير بأرزو و توجيه عمل فرق المساعدة الصحية الاجتماعية الريفية المكلفة بالنشاط النفسي بين سكان الريف. على أن أهم مهمة يضطلع بها هذا القسم هي المراقبة و الإشراف على العمليات العسكرية الكبرى من نوع " بيلوت " (*Pilote*) التي تشن في إطار الحرب الثورية الشاملة التي تطبق على مناطق واسعة من الإقليم و تهدف تحقيق معالجة له في السطح و العمق، و هو ما سنتناوله بمعالجة موسعة في الفصل السادس⁶.

رابعا: قسم "هيئة الأركان و المصالح":

و هذا القسم مكلف بالتسيير المالي للمكتب النفسي الإقليمي و الهيئات لتابعة له، و كذا تسيير و إدارة

¹ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10^e Région Militaire, 9 novembre 1957, p. 2.

² - Centre d'Instruction de Pacification et de Contre- Guérilla d'Arzew.

³ - Centre de Formation des Responsables de Douars d'Arzew.

⁴ - Centre d'Entraînement des Moniteurs de la Jeunesse d'Algérie.

⁵ - Assistance Médico-sociales Gratuite.

⁶ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10^e Région Militaire, 9 novembre 1957, p. 3.

مواردهما البشرية، و تزويد المكتب و معه الهيئات الملحقة به بمختلف العتاد المتخصص¹.

بالإضافة إلى الأقسام الأربعة أعلاه، يتوفر المكتب النفسي الإقليمي على سبعة فروع تنفيذية هي: أولا فرع جريدة "البلاد" الموجهة للدعاية في أوساط قوات الجيش العاملة بالجزائر، و التي يسهر على تحريرها فريق من العسكريين، و كانت طاقة سحبها تصل إلى 350 ألف نسخة أسبوعيا في سنة 1957. ثانيا فرع المصلحة السينمائية للجيش، الذي يتولى إنجاز و توزيع عدد من الأفلام الوثائقية، و إنجاز و توزيع ما يقارب اثني عشر ألف صورة فوتوغرافية. ثالثا، فرع الإذاعة، الذي يشرف يوميا على إنجاز و بث حصتين براديو الجزائر، واحدة على القناة الفرنسية و الأخرى على القناة العربية، يضاف إليهما حصّة ثلاثية تبث على راديو باريس تخصص لبث رسائل الجنود إلى ذويهم. رابعا، فرع المطبعة، لسحب مختلف الوثائق المطلوبة من مختلف الأقسام و سحب مختلف المطبوعات الدعائية كالمناشير و الملصقات و المطبوعات المطوية و غيرها... خامسا فرع فرق المساعدة الطبية الاجتماعية المجانية، الذي يشرف على تكوين و تسيير عدد من النساء، الفرنسيات و الجزائريات، العاملات بفرق المساعدة الطبية الاجتماعية الريفية، حيث يقوم هذا الفرع بتوجيه عملهن على ضوء تعليمات قسم الحرب النفسية. سادسا فرع الضباط المتقلدين، و هو يشرف على خمسين ضابطا منتقلا مكلفين بتوجيه الإطارات العسكرية المتواجدة على مستوى القطاعات في مجال النشاط و الحرب النفسيين، و السهر على مدى احترام السلطات المدنية و العسكرية لتعليمات الوزير المكلف بالجزائر و مدى تطبيقهما لها، بالإضافة إلى ضمان و توفير التأطير لمركز تكوين مسؤولي الدواوير بأرزيو. سابعا و أخيرا، فرع " فرق مكبرات الصوت و المناشير " (Compagnie de Hauts-Parleurs et de Tracts)، و هي عبارة عن ثلاث وحدات تكتيكية متنقلة موزعة على النواحي العسكرية الثلاث (Corps d'Armée) للجزائر و وهران و قسنطينة، هذه الوحدات تم وضعها تحت تصرف القائد الأعلى، يتمثل دورها في تحقيق الاتصال (Le contact) مع السكان الأهالي وفق تعليمات المكاتب الفرعية، حيث يمكن استخدامها منفردة أو مجموعة. و أخيرا هناك قسم "الجيش و الشبيبة"².

أما بالنسبة لتمويل مختلف هاته الأنشطة، فقد كان المكتب النفسي الإقليمي يتلقى تمويلات من مكتب وزير الدفاع الوطني الفرنسي بلغت سنة 1957 ما قيمته 120 مليون فرنك. كما يتلقى أيضا تمويلات من وزارة الجزائر قدرت بأكثر من 100 مليون فرنك خلال نفس السنة أيضا، منها 2.5 مليون شهريا لتغطية نفقات جريدة "البلاد" وحدها³. بالإضافة إلى هذه التمويلات يتلقى المكتب مساعدات مالية هامة من طرف الولاية العامة و مختلف العمالات الجزائرية لدعم نشاطه النفسي على السكان⁴.

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10^e Région Militaire, 9 novembre 1957, p. 4.

³ - SHAT, 1H 1113/1, L'Arme psychologique en 10^e Région Militaire, p. 8 ; SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche sur l'organisation de l'action psychologique, MC/EJ - 28 septembre 1957.

⁴ - نشير هنا إلى أننا ارتأينا عدم الخوض في بحث نفقات المكتب النفسي الإقليمي لأننا لم تتوفر إلا على جدول نفقات المكتب لسنة 1956

و الثلث الأول لسنة 1957، و هذا غير كاف للخروج بتصور واضح حول تطور ميزانية المكتب و تطور نفقاته خلال الحرب، بما يمكن من

الخروج بفكرة واضحة حول تطور المجهود العسكري الفرنسي في هذا الميدان.

أما بالنسبة لنفقات المكتب، فإن مراجعة توزيع ميزانية المكتب لسنة 1956 تبين بأن القسم الأكبر من النفقات، أي ما يمثل نسبة 70 % من مجموع الميزانية، قد خصص للقيام بالنشاط النفسي على الجيش الفرنسي و السكان الأهالي بالريف، حيث تم تقسيم هذه النسبة بمعدل أربعة أخماس للنشاط النفسي على الجيش و الخمس الباقي للنشاط النفسي على السكان الأهالي بالريف. و هو ما يعكس الأولوية المطلقة و ضخامة الاعتمادات التي خصصت في البداية للحفاظ و رفع معنويات الجيش الفرنسي. في مقابل ذلك لم تزد نفقات الحرب النفسية عن 7 % . كما استنفدت نفقات التجهيز عشر الميزانية و استنفذ عُشرا آخر في شكل نفقات عامة¹.

إنجازات المكتب النفسي الإقليمي:

أنشئ المكتب النفسي الإقليمي في مارس 1955 لكن نشاطه الفعلي لم يبدأ إلا في سنة 1956. و بعد أن استكمل المكتب تنظيم نفسه و وضع البني التحتية الأساسية لعمله، عهد إليه القيام بمهمة توعية و إفهام الإطارات العسكرية و الجنود بالدوافع العميقة الباعثة على القتال في الجزائر. كما كُلف المكتب أيضا بالمشاركة في النشاط النفسي الجاري في فرنسا على الشعب الفرنسي هناك لتثويره بطبيعة الصراع الجاري في شمال إفريقيا و تعريفه بدور الجيش و بالمهام المنوطة به في ذلك. بالتوازي مع ذلك عهد للمكتب أيضا بتوظيف النشاط النفسي في تحسين الظروف الحياتية للوحدات العاملة في الريف و ملء أوقات فراغ إطاراتها و جنودها من خلال توفير كميات كافية و متنوعة من المطبوعات و ربطهم ما أمكن باتصالات دائمة مع عائلاتهم القاطنة في فرنسا، بما يبعد عن عناصر الجيش كل شعور بالعزلة و الغربة و يجعلهم على دراية بتطور الأحداث. كما أولى المكتب النفسي عنايته بالجنود غير الفرنسيين كالجزائريين و الأفارقة و الأجانب من عناصر الليف الأجنبي لتحسين معنوياتهم و حمايتهم من عادية كل دعاية مضادة. فقد كان المكتب يتابع و عن قرب تطور الحالة المعنوية لكل عناصر الجيش الفرنسي، التي يتحصل على المعلومات الكافية بشأنها بواسطة التقارير الدورية الصادرة عن مختلف الوحدات و المصالح المختصة، بما يمكنه، و في الوقت المناسب، من تقديم المقترحات اللازمة للقيادة العليا لمعالجة التردّي المسجل هنا أو هناك. كما كان المكتب، في نشرته الدورية، يلفت انتباه مسؤولي الوحدات إلى عدد من المسائل المتعلقة بالروح المعنوية لجنودهم و يقدم لهم المقترحات المناسبة بشأنها. و قد كانت لكل هذه الجهود آثارا مرضية، انعكست نتائجها لا حقا في التقارير الصادرة عن مختلف المستويات حول معنويات مختلف الوحدات، التي أبدت في الغالب معنويات مرتفعة و روحا قتالية عالية. كما عهد للمكتب النفسي أيضا القيام بنشاط نفسي مكثف على السكان "الأوفياء" من الأهالي للحفاظ على معنوياتهم و إبقائهم في صف فرنسا².

مع بداية سنة 1957 عبرت القيادة العسكرية العليا عن إرادتها في أن يعطي المكتب النفسي الإقليمي للحرب النفسية الدور اللائق بها في الصراع ذو الطابع الثوري كالذي تدور رحاه في الجزائر. و هو ما سعى

¹ - SHAT, 1H 1113/d.1, L'Action Psychologique en Algérie, p.6 ;

² - SHAT, 1H 2410/d.1, FICHE- EXPOSE sur l'Action Psychologique en 10° R. M., p. 2-3 ; SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche au sujet de l'Action Psychologique, 6 mai 1957, p.1.

المكتب إلى ترجمته عمليا في الميدان. حيث قامت كل فروع المتواجدة بكل المستويات بشن حرب نفسية لا هوادة فيها ضد الثوار، حربا تقوم على إحداث وقع نفسي قوي (le choc) و تعتمد تطبيق أحدث ما توصلت إليه العلوم النفسية¹.

و في هذا الإطار، يعد نشاط المكتب النفسي لإفشال إضراب الأيام الثمانية و المقاطعة المدرسية للذنان دعت لهما جبهة التحرير عينة على ذلك. ففي الليلة السابقة على بدء الإضراب قام المكتب بشن هجوم نفسي، باستعمال الراديو و المناشير، لإفشال الاستعدادات التحضيرية له من خلال إصدار أوامر و أوامر مضادة زرعت البلبلة و الحيرة في نفوس السكان و المناظرين المنظمين لهذا الإضراب. بعد ذلك مباشرة و على الفور، عمد المكتب، مستغلا هذه الحالة من البلبلة و الحيرة في نفوس السكان، و بالتعاون مع قوات الجيش و باستعمال الراديو و المناشير و الملصقات و مكبرات الصوت، بما في ذلك ترويح الشائعات، إلى تدشين حملة لتهدة النفوس و دعوة السكان للعودة إلى العمل. و بعد تصويت الأمم المتحدة لصالح فرنسا، قام المكتب النفسي باستغلال هذا الانتصار الفرنسي لشن حملة دعائية نفسية ضد جبهة التحرير و ضد رموزها واصفا إياهم بكل نعوت الفساد و التخريب و العمالة للأجنبي لإحداث الشق بينهم و بين السكان. كما قام المكتب، مباشرة بعد انتهاء إضراب الثمانية أيام بتدشين حملة نفسية لإفشال المقاطعة المدرسية التي دعت إليها جبهة التحرير. و هي الحملة التي دامت ستة أسابيع و حققت نتائج ملموسة².

و بالإضافة إلى ما سبق، قام المكتب، بناء على طلب السلطات المدنية و العسكرية، بوضع و بلورة طريقة جديدة "لحرب التهدة في العمق"، يتم تطبيقها بالمناطق الريفية. و تعتمد هذه الطريقة على تعبئة جميع إمكانيات النشاط النفسي و الحرب النفسية و تحقيق التنسيق الكامل فيها مع الأنشطة الأخرى للحرب، سواء كانت هذه الأنشطة عسكرية أو إدارية أو اقتصادية و اجتماعية، كل ذلك بهدف القيام بعمل موحد ضمن منطقة معينة لتحقيق معالجة مزدوجة لها تشمل السطح و العمق.

العملية " بيلوت رقم 1 " التي وقعت في السداسي الأول من سنة 1957، و اتخذت كمسرح لها مناطق شاسعة من تراب الولاية الرابعة، تمثل تطبيقا عمليا لهذه الطريقة الجديدة في الحرب. و قد كانت النتائج الكبيرة التي حققتها هذه العملية دافعا جعل قيادة الجيش الفرنسي تدرس إمكانية مدها و تعميمها إلى مناطق أخرى³. و هو ما حدث فعلا كما سنرى ذلك بالتفصيل في الفصل السادس.

هذا و قد قام المكتب النفسي الإقليمي بتحقيق إنجازات أخرى تمثلت في:

- إصدار المكتب النفسي لنشرة دورية داخلية محدودة التوزيع بعنوان " تعليمات توجيهية" (Note d'orientation) لها طابع توجيهي أكثر منه إلزامي، ترسل مرفقة بكمية من الوثائق و المطبوعات إلى المسؤولين على النشاط النفسي في الوحدات العسكرية الكبرى لتوجيه عملهم في الميدان و إثراء تفكيرهم حول مختلف المسائل المتعلقة به⁴.

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche au sujet de l'Action Psychologique, 6 mai 1957, p.2.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note d'Orientation n° 6, 30 octobre 1956, p.1.

- إصدار المكتب النفسي في شهر جويلية 1956 لوثيقة عمل هامة هي " دليل ضابط النشاط النفسي بالجزائر " (*Memento de l'officier d'action psychologique en Algérie*) تتكون من احدى وأربعين صفحة، تم وضعها في متناول الضباط المكلفين بالعمل في حقل النشاط النفسي و الحرب النفسية لتكون بمثابة الميثاق و الدليل الذي يرشد عملهم في الميدان¹.

- أما في مجال إنجاز الوسائل المطبوعة فإن إنجازات المكتب كانت تترجم بآلاف النسخ المسحوبة في مختلف الميادين. و كعينة على جهوده في هذا المجال، نورد ما أنجزه المكتب النفسي خلال الأربعة أشهر الأولى من سنة 1957² :

مخطط للمحادثة (schémas de causeries)	57.000 نسخة
كُتيبات (brochures)	20.000 نسخة
مطبوعات مطوية (dépliants)	125.250 نسخة
ملصقات (affiches)	320.200 نسخة
منشور (tracts)	3.997.900 نسخة

المطلب الثاني : المكتب الخامس للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي

في التاسع عشر من شهر جويلية 1957، و لإعطاء السلاح النفسي الأهمية التي تليق به في الحرب الثورية تقرر بمرسوم وزاري صادر عن كاتب الدولة للقوات المسلحة البرية، إنشاء، في جميع المستويات المهمة لقيادة الجيش الفرنسي سواء على مستوى هيئة الأركان و المناطق العسكرية و النواحي و التشكيلات العسكرية المتواجدة بفرنسا أو بخارجها، هيئات مختصة في سلاح الحرب النفسية أعطي لها اسم المكتب الخامس³. و قد أوكلت لهذه المكاتب المهام المتعلقة بالنشاط النفسي و الحرب النفسية، المعنويات و الإعلام، المسائل المدنية و الإدارية، المصالح الاجتماعية و المرشديات الدينية⁴.

غير أن تطبيق هذا القرار في المنطقة العاشرة للجيش الفرنسي، أي الجزائر، على غرار المناطق الأخرى، قد اعترضته عقبات كثيرة. فالمهام الموكلة للمكتب الخامس الذي تقرر إنشاؤه تمثل المهام الموكلة لهيئتين مستقلتين بالمنطقة العاشرة هما المكتب النفسي الإقليمي بالنسبة للمسائل المتعلقة بالنشاط النفسي و الحرب النفسية؛ و المكتب الخامس الموجود سلفا⁵، و المكلف بتسوية المسائل التي قد تنشأ بين القيادة العسكرية

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Memento de l'officier d'action psychologique en Algérie, 41 p.

² - SHAT, 1H 1113/d.1, L'Action Psychologique en Algérie, p.13 ; 1 . أنظر أيضا الملحق رقم: 1 .

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Création de 5° Bureau, D. M. n° 4218 EMA/1.0, 19 juillet 1957.

⁴ - SHAT, 1H 2403/d.1, Création de 5° Bureau, n° 4218 EMA/1.0, 19 juillet 1957.

⁵ - و هو المكتب الذي أنشئ بتاريخ 11 جانفي 1957 على أنقاض مكتب "الدراسات و التحقيقات" الذي تم إنشاؤه بتاريخ 18 أكتوبر 1956. و قد كانت مهام المكتب الخامس هذا تتمثل في تسوية المسائل العالقة بين السلطتين العسكرية و المدنية، حرب التهذئة، الصلاحيات الخاصة، المخالفات و المصادرات و التشريع.

SHAT, 1H 2403/d.1, Relations avec l'administration, 18 novembre 1957, 6p.

و السلطات المدنية من جراء اضطلاع الجيش بمهام مدنية في « حرب التهدة ». و كلتا الهيئتين لا يمكن الدمج بينهما لتعدد و ضخامة المسائل المعالجة من طرف كل هيئة. زد على ذلك، فإن الفصل بين الهيئتين كان يستجيب لدواعي النجاعة و الفعالية في العمل، الذي أملتته خبرة تنظيمية طويلة¹.

لتطبيق المرسوم الوزاري السالف الذكر، و استجابة لطلب و إلهام القائد الأعلى للجيش بالجزائر، تم بتاريخ 20 نوفمبر 1957 إعطاء تسمية المكتب الخامس للمكتب النفسي الإقليمي و إعطاء تسمية المكتب السادس للمكتب الخامس الموجود سلفا². هذا وقد عهد لهذا المكتب الخامس الجديد القيام بالمهام التالية : النشاط النفسي و الحرب النفسية، المصلحة الاجتماعية، المرشديات الدينية، العلاقة مع هيئات قدماء المحاربين و جمعيات الصداقة الإفريقية، و التكفل بمعنويات الوحدات الفرنسية و الجزائرية و الإفريقية³. كما يدخل أيضا ضمن اختصاصات الوكالة للمكتب، المهام التالية :

1- تكوين إطارات سياسية - عسكرية مسلمة بمركز مخصص لذلك بأرزيو.

2- تكوين إطارات سياسية - رياضية مسلمة بمركز إيسوار (Issoire) بفرنسا.

3- تكوين و تعيين الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة (EMSI =Equipes Médico-Sociales Iténerantes).

4- إنشاء مراكز إعادة التربية الملحقة أو لا بمراكز الفرز و العبور (Centre de Triage et de Transit) لممارسة النشاط النفسي على السجناء و الأسرى.

5- تكوين الفرق النفسية لمراكز الإقامة الجبرية (Centre d'Hébergement).

6- تكوين منشطين سياسيين - رياضيين مسلمين لمراكز التكوين المهني للشباب.

كما يعود للمكتب الخامس ضمان و توفير التأطير اللازم للمتربصين بمركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزيو (C.I.P.C.G.)، الذي يوفر تربصا ل 340 ضابطا في الشهر⁴.

أما بالنسبة للبنية الهيكلية للمكتب الخامس الجديد فقد أدخلت عليها تعديلات متتالية غيرت بصورة جذرية من هيكله الأساسي، عندما كان مكتبا نفسيا إقليميا، حيث نجد المكتب الخامس، بتاريخ أبريل 1959، يتكون من الأقسام التالية⁵ :

أولا قسم "الدراسات" : و تتمثل مهمته في بلورة مذهب عملي في النشاط و الحرب النفسية، و إعداد التعليمات و مخططات العمل، و تنظيم التربصات. و هذا القسم يتفرع بدوره إلى ثلاثة أقسام فرعية، هي :

¹ - SHAT, 1H 2403/d.1, lettre du Général d'Armée SALAN au Secrétaire d'Etat aux Forces Armées " Terre ", n° 4235 EM.10/1/ORG., 31 août 1957.

² - SHAT, 1H 2403/d.1, Articulation et attribution du 6° Bureau du Commandement Supérieur Interarmées et de la 10° Région Militaire, 9 décembre 1957 ; Voir aussi, SHAT, Algérie. Inventaire de la sous-série 1H 1091- 4881, 1945- 1967, tome premier : Introduction Générale, Château de Vincennes, 2000, p.59.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Fiche à l'attention du Colonel S/Chef Logistique, 18 septembre 1957, p.3.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche sur l'organisation de l'Action Psychologique, MC/EJ - 28/9/57.

⁵ - SHAT, 1H 2403/d.1, Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel Chef de l'E.M.I., n° 491/R.M.10/5/CB, 8 avril 1959.

1- قسم "الاستعلامات و الصحافة"، و يناط به توجيه البحث عن المعلومات ذات الطابع النفسي؛ وتحليل صحافة و دعاية الثوار؛ و جمع المعلومات النفسية الخاصة « بحرب التهدة »؛ و التنسيق مع المكتب الثاني و الأمن العسكري و مصالح الدرك.

2- قسم "الدراسات العامة و الوثائق" و من مهامه: دراسة مضمون مختلف الجرائد و المجلات؛ القيام بدراسات عامة و متنوعة؛ إعداد الوثائق اللازم للأقسام الأخرى؛ حفظ أرشيف المكتب الخامس و المكاتب الفرعية التابعة له.

3- قسم "التحقيقات و الضباط المنتقلين" و تتحدد مهمته في القيام بإجراء تحقيقات دورية بناء على طلب الجهات المعنية؛ سبر الآراء؛ مراقبة فعالية و نجاعة النشاط النفسي للجيش؛ القيام بدراسات لتحسين فعالية طرق النشاط النفسي؛ تنسيق عمل الضباط المنتقلين.

ثانيا قسم "العمل أو النشاط" (Action) و هو قسم يضطلع بالإعلام و التكوين النفسي للقوات المسلحة؛ تنظيم و تأطير المجموعات المختلفة التي تنشط في وسط السكان و توفير التكوين و التدريب اللازمين لها. و يتفرع هذا القسم إلى قسمين فرعيين، هما:

1- قسم "القوات المسلحة و الإحتياطيين".

2- قسم " السكان المسلمين" الذي يتناول من بين ما يتناول تجنيد و تدريب و استعمال مسؤولو فرق الدفاع الذاتي للسكان؛ فتح و إدارة ديار العسكري، لتتخذ كنوادي لقدماء الحارين؛ توظيف و تدريب و استعمال الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة التي تقوم بمهمة النشاط النفسي على المرأة و السكان في الأرياف؛ التنسيق مع حركات النشاط النسوية و الدوائر النسوية لممارسة النشاط النفسي على المرأة الجزائرية؛ ضمان التوجيه النفسي لمصالح تكوين الشباب بالجزائر، التي تتولى توظيف و تكوين و استعمال منشطي الشباب؛ إدارة النوادي الرياضية؛ التنسيق و خلق روابط مع الهيئات و الجمعيات الشبابية. كما يتولى هذا القسم أيضا القيام بأنشطة الحرب النفسية ضد الثوار، من خلال تنظيم حملات للتثبيط، لكسر عزيمتهم و تنظيم حملات إنقاذ من صفوف الثورة نحو الجيش الفرنسي، ثم القيام بنشاط نفسي على الملتحقين و الأسرى لاسترجاعهم و إعادة استخدامهم لضرب الثورة بهم.

ثالثا قسم "العلاقات الوطنية" و قد ألحق هذا القسم بالمكتب الخامس بعد حل المكتب السادس في مارس 1959، و يضطلع هذا القسم بالعلاقات مع الصحافة و الهيئات الإعلامية الرسمية، و العلاقات مع الأوساط المدنية بالجزائر و فرنسا كالتقابات و الجمعيات الحرفية و الثقافية و جمعيات قدماء الحارين و الوداديات المختلفة، و العلاقات مع الأوساط الأجنبية كالتنصليات و المصالح الاعلامية الأجنبية؛ و الضباط الأجانب الذين يزورون الجزائر للتربص. و أخيرا يتولى هذا القسم مباشرة الإشراف على كل العلاقات ذات الطابع المدني التي تنشأ بين قيادة الجيش الفرنسي و المندوبية العامة للحكومة بالجزائر.

رابعا القسم "الإداري" و يتولى دراسة جميع المسائل التنظيمية، بما في ذلك تسيير الإعتمادات المالية و الوسائل و تسيير العمال و المصالح العامة.

خامسا و أخيرا قسم " الإنتاج" و يتفرع بدوره إلى أقسام فرعية هي: قسم المطبعة، لسحب مختلف المنشائر و الملصقات و غيرها؛ قسم تحرير و سحب الجريدة الأسبوعية "البلاد"؛ قسم الإذاعة العسكرية لإنجاز مختلف الحصص الإذاعية مثل "صوت البلاد"؛ القسم السينمائي "الجزائر" التابع للمصلحة السينمائية للجيش و الملحق بالمكتب الخامس، الذي يتولى إنتاج و توزيع الصور الفوتوغرافية و الأفلام و تركيب و إصلاح الأجهزة السمعية البصرية.

اضطلع المكتب الخامس بدور هام و كبير خلال الحرب في الجزائر، دورا ترك آثاره العميقة على جميع أطراف الصراع من جيش فرنسي و سكان أوروبيين و أهالي و كذلك الثوار. كما أن وجوده كهيئة و الدور الذي اضطلع به، قد منح هذه الحرب طابعا مميزا أكسبها شيئا من الأصالة، و هو ما سنتناوله بشيء من التفصيل عند الحديث عن النشاط النفسي على السكان في الفصل الرابع، و الحرب النفسية ضد الثوار في الفصل الخامس. غير أن هذا الدور الحاسم و الفاعل هو الذي جنى في النهاية على المكتب، بعد اشتباه قادته بلعب أدوار سياسية تنافى و مهنة السلاح، و اشتباه تورطهم في أحداث هددت النظام العام و كادت تهدد أمن الدولة الفرنسية و تعصف بمؤسساتها الجمهورية، كأحداث الثالث عشر من ماي 1958 و أحداث جانفي 1960، التي جعلت المكتب الخامس يظهر في عين السلطات بمظهر « التنظيم الموازي لقيادة الجيش، الذي يمارس سياسة خاصة به»¹. و يظهره أيضا « كالدولة داخل الجيش»². و هو ما رأت فيه هذه السلطات خطرا حقيقيا من شأنه تهديد المؤسسات القائمة و النظام العام. فكان من أولى أولويات وزير الدفاع الفرنسي بيار مسمار (Pierre Messmer) غداة تعيينه في منصبه هو إصداره في الخامس عشر من فيفري 1960، لمرسوم وزاري يتضمن حل المكتب³، كنتيجة مباشرة لأحداث "المتاريس" (les journées des Barricades)، التي وقعت في الشهر الماضي. فتم توزيع مهام المكتب على المكاتب الأخرى، حيث عادت مهام "الصحافة و الإعلام" إلى مكتب هيئة الأركان؛ و أسندت مهام "المرشديات الدينية" للمكتب الأول؛ و أسندت مهام "الاستعلامات النفسية" للمكتب الثاني؛ و أسندت مهام "المعنويات" و "الإعلام و التوثيق" إلى المكتب الثالث؛ و أسندت مهام "المصلحة الاجتماعية" للمكتب الرابع. أما بالنسبة لمهام "النشاط النفسي" و "الحرب النفسية" فقد أسندت لمكتب "الدراسات و التنسيق" (B.E.L.) بالتنسيق مع المكتب الثاني و المكتب الثالث و مركز التنسيق بين مختلف الجيوش (C.C.I.)⁴.

¹ - SHAT, Algérie. Inventaire de la sous- série 1H 1091- 4881, 1945- 1967, tome premier : Introduction Générale, Château de Vincennes, 2000, p. 95.

² - Voir : Marie -Catherine et Paul Villatoux, Le 5° Bureau en Algérie, in Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, ouvrage collectif sous la direction de Jean Charles Jauffret et Maurice Vaïsse, Bruxelles, Editions Complexe, 2001, p. 399.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Dissolution des 5° Bureaux, D. M. n° 654/EMA/1.0, du 15 février 1960.

⁴ - SHAT, 1H 2403/d.1, Dissolution des 5° Bureaux, n° 144/EMI/5/ S.C., 29 février 1960, annexe 1.

المطلب الثالث : الولاية العامة بالجزائر

لم تكن الولاية العامة بالجزائر تتوفر، على غرار الجيش، على مكتب أو مصلحة مستقلة و قائمة بذاتها لممارسة النشاط النفسي على السكان، و مع ذلك فقد كانت الولاية العامة تضطلع بدور كبير و حاسم في هذا المجال، من خلال قيام مصالحها المختلفة بإدخال الاعتبارات و الأهداف النفسية ضمن نشاطاتها المختلفة. غير أن الدور البارز للولاية العامة في مجال النشاط النفسي تمثل أولا في إرادة سياسية واضحة تنتهج دعم و تسهيل كل الأنشطة و الجهود في هذا المجال. حيث كان الوزير المقيم روبرت لاكوست خير من جسد هذه الإرادة في الميدان، إذ ما فتى، مند تعيينه في منصبه في فيفري 1956، يولى اهتماما متزايدا لمسائل النشاط النفسي و الحرب النفسية¹. كما كانت تعليماته و قراراته للسلطتين المدنية و العسكرية بالأخص وراء الكثير من الإنجازات، التي يُعد إنشاء سلك الضباط المنتقلين من بين ألمع شواهدا².

على أن الإرادة السياسية للحكومة العامة في مجال النشاط النفسي على السكان قد وجدت ترجمتها العملية و الحقيقية في تعاونها مع الهيئات العسكرية المكلفة بالنشاط النفسي على سكان الريف، و نقصد بذلك المكتب النفسي الإقليمي و خَلَفه المكتب الخامس. و هو التعاون الذي تجسد في إنشاء "اللجنة المختلطة للنشاط النفسي" (Comité Mixte d'Action Psychologique) بين الجانبين، أي القيادة العسكرية و الإدارة المدنية، بهدف تنسيق الجهود و توحيد التصورات و ترشيد صرف الإعتمادات في هذا المجال.

تخضع اللجنة أعلاه للإشراف المباشر للوزير المقيم روبرت لاكوست، و تتكون من أربع لجان، تتطابق على مستويات تنازلية تتناسب مع التنظيم الهرمي للإدارتين المدنية و العسكرية. حيث تضم لجنة المستوى الأول أو الأعلى الوزير المقيم و القائد الأعلى للجيش الفرنسي بالجزائر؛ تليها مباشرة لجنة المستوى الثاني التي تظم قادة النواحي العسكرية (Corps d'Armée) مع المفتشين العامين للإدارة في مهمة استثنائية (I.G.A.M.E.)³؛ تليها مباشرة لجنة المستوى الثالث التي تجمع رؤساء العمالات (Les Préfets) بقيادة المناطق العسكرية؛ و أخيرا في المستوى الرابع، أي المستوى الأدنى، هناك لجنة رابعة تضم نواب رؤساء العمالات (les Sous- Préfets) بقيادة القطاعات العسكرية

ففي المستوى الأول تتكون اللجنة المختلطة من ثلاثة ممثلين عن وزارة الجزائر هم مدير ديوان الوزير و مدير مصلحة الإعلام و مدير الشؤون السياسية. كما تتكون من مدير مصلحة النشاط النفسي بوزارة الدفاع الوطني الذي يمثل وزير الدفاع، بالإضافة إلى رئيس المكتب النفسي الإقليمي - أو رئيس المكتب الخامس فيما بعد- كممثل عن القائد الأعلى للجيش الفرنسي بالجزائر. تتبع اللجنة المختلطة أمانة دائمة و لجنة تقنية تتكون من تقنيين مدنيين و عسكريين مختصين في ميادين النشاط النفسي و الدعاية و الإعلام و الإشهار لمساعدة اللجنة النفسية المختلطة⁴.

¹ - Voir : Marie -Catherine et Paul VILLATOUX, op. cit., p. 402.

² - Voir : Marie -Catherine et Paul VILLATOUX, op. cit., p. 404.

³ - Inspecteurs Généraux de l'Administration en Mission Extraordinaire.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche sur l'organisation de l'Action Psychologique, MC/EJ - 28/9/57 ; SHAT, 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10^e Région Militaire, 9 novembre 1957, p.5.

تتولى اللجنة المختلطة بلورة مخططات العمل العامة و إتخاذ القرارات اللازمة في المجال النفسي التي تم كل الجزائر، و إعداد التعليمات، التي على ضوءها تقوم اللجان الفرعية بالمستويات الثلاث بممارسة النشاط النفسي في الميدان. في حين تتولى اللجنة الثانية التي تجمع بين قادة النواحي و المفتشين العاملين للإدارة تكييف التعليمات الصادرة عن اللجنة الأولى مع المقتضيات الخاصة لكل عمالة، و حشد و تركيز جميع الامكانيات المالية و المادية و البشرية و استعمالها في معالجة منطقة أو مناطق معينة. أما اللجنة الثالثة، التي تجمع بين قادة المناطق العسكرية و رؤساء العمالات، فتتولى ضبط النشاط النفسي المزمع تنفيذه على هذه المنطقة أو تلك في تفاصيله الدقيقة، من خلال تكييف محاور الدعاية العامة مع الحالة النفسية السائدة بين سكان المناطق المعنية و جعلها تتناول أحداثا وقعت تحت سمعهم و بصرهم¹.

اللجنة الرابعة و هي اللجنة التي تجمع قادة القطاعات العسكرية بنواب رؤساء العمالات، و تتمثل مهمتها في: أولا تقديم مقترحات عملية و مهمة للجنة الثالثة حول النشاط النفسي الواجب تطبيقه في كل منطقة من مناطق العمالة، بما في ذلك اقتراح المحاور و المواضيع التي يمكن تناولها في الدعاية، و اقتراح الوسائل المثلى التي يجب استعمالها في ذلك؛ ثانيا السهر على التطبيق الجيد و الدقيق من قبل ضباط القسومات الإدارية المختصة (S.A.S.) لكل التعليمات و الأوامر الصادرة إليهم؛ ثالثا و بالأخص، تزويد الضباط المتنقلين بجميع المعطيات و المعلومات عن خصوصية كل منطقة من مناطق العمالة و في مقابل ذلك أخذ جميع ملاحظاتهم و توجيهاتهم بعين الاعتبار و رفع الإشكالات التي يطرحونها إلى نائب العمالة و ضباط القسومات الإدارية المختصة لحلها في أقرب الآجال².

المبحث الثاني : دعائم النشاط النفسي للمكتب الخامس

و نقصد بالدعائم هنا كل هيئة أو جهة يتوقف نشاط المكتب الخامس على نشاطها أو يكتمل به و يتدعم. هذه الدعائم أو الهيئات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام كالأتي: القسم الأول ويشمل الدعائم الموجودة في المكتب و التابعة له مباشرة، مثل سلك ضباط النشاط النفسي، و سلك الضباط المتنقلين، و وحدات مكبرات الصوت و المناشير. و يضم القسم الثاني من الدعائم هيئات مستقلة عن المكتب، التي لا يمكن لنشاط المكتب الاستغناء عنها لما تقدمه من مساهمة حاسمة في نشاطه. حيث نجد من بين هاته الهيئات مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزبو (C.I.P.C.G) الذي يزود المكتب بالإطارات اللازمة لنشاطه و يوفر التكوين و التريص لعاملية؛ و المكتب الثاني المتخصص في الاستعلامات الذي يزود المكتب الخامس بالمعلومات النفسية اللازمة لنشاطه على السكان و الجيش و الثوار. أما القسم الثالث من الدعائم فتمثله هيئات أسند لها، إلى جانب مهامها الأصلية، القيام بنشاط نفسي على السكان يُكَمِّل نشاط المكتب الخامس و يتوافق و مهامها الأصلية التي أنشئت من أجلها. حيث يمكن أن نذكر من بين هاته الهيئات أو هاته الدعائم القسومات الإدارية المختصة (S.A.S.) و الهيئات التابعة لها مثل الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة

¹ - SHAT, 1H 2403/d.1, Action psychologique - Organisation du service - Rôle des autorités civiles, n° 144/ PSY, Constantine 27 août 1957, 9 p.

² - المصدر السابق، نفسه.

(E.M.S.I.) و فرق المساعدة الاجتماعية المجانية (A.M.G.)¹ ؛ بالإضافة إلى القسامات الإدارية المدنية (S.A.U.)² و المراكز الاجتماعية و الوحدات العسكرية المتمركزة و المتوقفة.

المطلب الأول : دعائم القسم الأول:

أولا : ضباط النشاط النفسي و الحرب النفسية

و هم الكوادر الحقيقية التي توظف المكتب الخامس، و التي يقع عليها أمر النشاط النفسي و الحرب النفسية ككل من مرحلة التصور و المفهوم إلى مرحلة التنفيذ و التطبيق. و هم يتواجدون بمختلف مستويات و مصالح المكتب الخامس، حيث يعمل إثنا عشر ضابطا بالمكتب الخامس الإقليمي، و خمسة ضباط بكل ناحية عسكرية من النواحي الثلاث، و ثلاثة ضباط بكل منطقة عسكرية من المناطق الاثني عشرة. كما يوجد ضباط واحد بكل قطاع عسكري³.

ضباط النشاط النفسي هم في الأصل ضباط عسكريون تم انتقاؤهم من مختلف الوحدات و التشكيلات العسكرية وفق معايير خاصة تتعلق غالبا بما يتوفرون عليه من استعدادات و ملكات فطرية و مكتسبة، يضاف إليها استعداد طبيعي للعمل في حقل النشاط النفسي ينبع من ميل و توجه فطري لديهم للبحث و العمل في كل ما له علاقة بالإنسان. و هو ما يعني حتما أن الضباط النفسي قد اختار العمل في حقل النشاط النفسي عن إرادة و اختيار لا بأمر من القيادة.

كما يشترط في ضباط النشاط النفسي التوفر على عدد من الاستعدادات الفكرية و الصفات المعنوية. فأول هذه الاستعدادات الفكرية هي تمتع الضابط بروح المبادرة، فميدان النشاط النفسي ميدان بكر و غير معروف جيدا من القيادة، لذلك، يتوجب على ضباط النشاط النفسي أن يعتبر نفسه رائدا في عمله، ينتظر منه الكثير. و ثاني هذه الاستعدادات هي تمتع الضابط بمخيلة إبداعية قوية تنشأ أبدا التجديد و الابتكار في عملها، سواء من حيث الموضوع أو من حيث الوسائل. و ثالث هذه الاستعدادات هي توفر الضابط على الذكاء الاجتماعي الذي يمكنه من صبغ عمله بصبغة إنسانية و اجتماعية. و أخيرا يجب أن يتوفر هذا الضابط على الذكاء التنظيمي و حسن التصرف اللذين يمكنانه من تحريك الجموع و توجيه الناس. أما بالنسبة للصفات المعنوية فتتمثل في صفات ثلاث هي: أولا التفاؤل الذي يعني روحا معنوية و قتالية أصلب من الحجر، و ثانيها المثابرة، فالعمل المطلوب تأديته عظيم، في حين أن النتائج غالبا ما تكون شحيحة و ليست في مستوى الجهد المبذول. أما ثالث هذه الصفات فهي ثقة و إيمان قويان في ما يؤديه من عمل⁴.

يضطلع ضباط النشاط النفسي بمهام كثيرة تخرج عن الحصر، ذلك أن الطابع الجديد لميدان عملهم ثم المجال الفسيح للمبادرة و الإبداع المتروك لهم من قبل القيادة، يجعلان الدور المناط بهم في اتساع مستمر. لذلك سنتقصر في تناولنا هذا على ذكر المهام من المهام المناطة بهم، و التي أولها إعلام القيادة بالحالة المعنوية

¹ - A.M.G., Assistance Médicale Gratuite

² - S.A.U., Section Administrative Urbaine.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Fiche sur l'organisation de l'Action Psychologique, MC/EJ - 28/9/57.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'Officier d'Action Psychologique en Algérie, p. 3.

للضباط و الجنود بمختلف تشكيلات الجيش، و إعلامها بالجديد في دعاية الثوار، من خلال تقديم تحليل معمق للمواضيع التي تناوّلها دعايتهم. ثانيا ضمان التكوين و الإعلام للضباط الكوادر بمختلف الوحدات في مجال النشاط النفسي و الحرب النفسية، و تقديم الاقتراحات اللازمة لقيادة هذه الوحدات حول الإجراءات الواجب اتخاذها في مجال الدعاية المضادة داخل هذه الوحدات، و الإجراءات التي يجب اتخاذها في مجال النشاط النفسي الواجب ممارسته على العدو و السكان و الجيش. و تحقيقا لكل ذلك يضطلع ضباط النشاط النفسي بمهمة تحليل الحالة النفسية السائدة عند الأطراف الثلاثة السالفة الذكر، و تحديد وسائل النشاط النفسي الواجب توظيفها للتأثير عليهم. كما يناط به أيضا بذل كل ما في وسعه لإقناع غيره من الضباط، و خاصة الضباط العاملين بالنواحي العسكرية الثلاث، بأهمية و نجاعة السلاح النفسي، بما يحقق لديهم "عدوى إيمانية" حقيقية بأهمية هذا السلاح. كما يناط به أيضا مد و تقوية الروابط القائمة بين الجيش و السلطات المدنية و السكان المدنيين، و بالأخص مع فئة قدماء المحاربين، كل ذلك بما يساهم في تعزيز أواصر الصداقة و التفاهم بين السكان المسلمين من جهة أخرى¹. و في هذا المجال أُنيط بضباط النشاط النفسي « جمع الأفكار و المعلومات من أي مصدر كان و ترصد أخبار مختلف الحوادث التي تقع هنا و هناك، و إشراك الجميع و تسخيرهم أداة في خدمة الدعاية الفرنسية »².

أما في مجال الاستعلامات و الأخبار فيتوجب على ضباط النشاط النفسي المكلف بالاستعلامات « أن يبحث دائما و باستمرار على نقاط الضعف في العدو التي يمكن ضربه و مهاجمته من خلالها. كما يتعين عليه التوفر على معرفة عميقة بالجمهور المتلقي موضوع الدعاية، حيث يتوجب عليه معرفته في بنياته و خصائصه العرقية و الدينية و الثقافية، و ظروفه الحياتية اليومية، و ردود أفعاله العادية تجاه مختلف الأحداث. بما يمكنه في النهاية من أن يرسم في ذهنه لوحة خلفية متكاملة تساعده، بالإضافة إلى المعلومات الأخرى التي سيتحصل عليها، على تمثّل العدو الحاضر، الذي ستتحدد صفاته أكثر فأكثر و شيئا فشيئا من خلال مختلف ردود الفعل العاطفية التي سيفرزها الصراع الجاري. إلى جانب ذلك يناط بضباط النشاط النفسي المكلف بالاستعلامات معرفة الوتر الحساس الذي يجب العزف عليه و معرفة مختلف ردود الفعل التي تحدثها مختلف وسائل النشاط النفسي و تحديد نوايا الخصم، و هو ما لن يتأتى إلا باعتماد معرفة تقوم على قواعد منهجية جدية في جمع المعلومات »³.

علما أنه، و لترشيد عمل هؤلاء الضباط في الميدان، كان المكتب النفسي الإقليمي قد أصدر في جويلية 1957 دليلا بعنوان "دليل ضباط النشاط النفسي بالجزائر"⁴. و هو عبارة عن إحدى و أربعين صفحة مرقونة، تتناول مواضيع النشاط النفسي و الحرب النفسية التي ينتظر من ضباط النشاط النفسي الاسترشاد بها و إثرائها.

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'Officier d'Action Psychologique en Algérie, p. 2.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Note de service au personnel chargé de l'Action Psychologique, n° 2465/CAC/PY 21 août 1957, p. 1.

³ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique, p. 18- 19.

⁴ - Mémento de l'Officier d'Action Psychologique en Algérie, op. cit.

ثانيا : سلك الضباط المتنقلين للنشاط النفسي

بأمر من كاتب الدولة للقوات المسلحة البرية، و بناء على طلب الوزير المقيم روبرت لاکوست، أنشئ في جويلية 1956 سلك "الضباط المتنقلين للنشاط النفسي". و هو سلك يتكون من خمسة و عشرين ضابطا وضعوا تحت تصرف الوزير المقيم و تحت الوصاية المباشرة للمكتب النفسي الإقليمي في كل ما يتعلق بالمسائل المادية و توجيه عملهم في الميدان، كما يتلقون تعليمات سياسية من " المديرية العامة للشؤون السياسية" بالولاية العامة¹.

وضع هذا السلك تحت إمرة الرائد داديون (Cdt. DADILLON)، الذي تولى توزيع هؤلاء الضباط على الفيالق و تنصيبهم في أماكنهم. و قد تم اختيار عناصره من بين الذين خبروا الحرب الثورية في الهند الصينية، و تحديدا من الذين خبروا الأسر في معتقلات الثوار الفيتناميين و تعرضوا لعمليات غسل الدماغ و طُبعوا بآثار الحرب النفسية. و عاينوا عن قرب و بأم أعينهم الوسائل والأساليب النفسية المطبقة من قبل الثوار الفيتناميين للتأثير على السكان، لتنظيمهم و إحكام القبضة عليهم و جعلهم في خدمة حركتهم الثورية². و قد كان هذا الاختيار نابعا من نظرة للقيادة تنشد الاستفادة من تجربة هؤلاء و جعلها تضاف لرصيد خبرتهم العملية المكتسبة في الميدان. و هي النظرة التي لم تسلم من مآخذ و انتقادات البعض : «فلا يكفي أن يصاب المرء بالأمبياء حتى يصبح عالما في البيولوجيا !»³.

يضطلع الضباط المتنقلون، كما يفهم من اسمهم، بالتنقل الدائم بين الفيالق و الوحدات العسكرية الكبرى المتواجدة بمختلف مناطق التراب الجزائري، بمعدل ضابط لكل ثمانية فيالق. حيث تتمثل مهمتهم الأساسية في⁴ :
1- شرح و إثراء التعليمات الصادرة عن القيادتين العسكرية و المدنية لمختلف الوحدات العسكرية بهدف مساعدتها و توجيه نشاطها النفسي على السكان، و السهر على احترام تطبيقها لهذه التعليمات.

2- إقناع الضباط الكوادر و معهم مختلف الوحدات بواقع و حقيقة الحرب الثورية التي بزعمهم "فُرِضت" على فرنسا و بالمعركة التي تخوضها هذه الأخيرة في الجزائر، و إقناعهم أيضا بأهمية السلاح النفسي و بضرورة استعماله في القيام بنشاط نفسي مستمر على السكان. مع تبيان الرد اللازم و الواجب اعتماده في التصدي لهذه الحرب الثورية، و التركيز على تبيان الجانب البناء فيه. لأن العمليات العسكرية ضد الثوار لا تكفي وحدها ما لم تدعم بعمل في العمق «يخرج السكان من دائرة الخوف و يخلصهم من قبضة الثوار».

¹ - SHAT, 1H 2533/d.1, Lettre du Ministre résident en Algérie au Général de Corps d'Armée Commandant la 10^{ème} Région Militaire, n° 4385/CM du 15 octobre 1956.

² - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, Alger, Baconnier, (s.d.), p. 63 ; Voir aussi : Informations Défense Nationale, n° 13 du 22 mai 1957.

³ - Jean SERVIER, Adieu djebels, op. cit., p. 179.

⁴ - SHAT, 1H 2533/d.2, Instruction sur la mission et l'emploi des Officiers Itinérants, n° 183/RM.10/5/OPS /SC, Alger le 10 janvier 1959.

3- العمل على نشر المذهب العسكري للحرب النفسية على أوسع نطاق ممكن، بتلقين الكوادر العسكرية والمدنية و ضباط القسّمات الإدارية المختصة (S.A.S.) طرق و مناهج النشاط النفسي التي تحقق و تحفظ التواصل مع السكان و تمكن من تنظيمهم، و هي الطرق التي "طالما أثبتت نجاعتها"، بما في ذلك تدريبهم عليها من خلال تجميع السكان و القيام بعروض حية للدعاية عليهم أمام هؤلاء الكوادر ليسترشدوا بها و يتمثلوا بها لاحقاً في ممارستهم للنشاط النفسي على السكان المجاورين لهم. حتى إذا تحقق ذلك، ذهب الضباط المتنقلون و تولى ضباط الوحدات المتمركزة و المتوقفة مواصلة النشاط النفسي مستعينين في ذلك بالوثائق الصادرة عن المكتب الخامس، و اكتفى الضباط المتنقلون بالقيام بمراقبة دورية للسهر على انتظام عمل هؤلاء الكوادر و ترشيده عند الضرورة، بالإضافة إلى شرح و إثراء التعليمات الصادرة عن الوزير المقيم والسهر على احترام تطبيقها من قبل القيادات المحلية و مراقبة معنويات السكان الأهالي و رصد ما يطرأ عليها من تغيّر.

4- جعل القيادة على إطلاع دائم بمدى تطبيق هذه الطرق و المناهج، و بالصعوبات التي تطرحها، و التحسينات التي يمكن إدخالها عليها.

و من خلال ما سبق يتضح أن الضباط المتنقلين مكلفون بمهام أربعة: فهم مربون و معلمون للكوادر العسكرية و الوحدات؛ و مستشارون تقنيون للقيادات المحلية للمناطق المتواجدين عليها؛ و عناصر اتصال للقيادة العليا، تؤمن لها الاتصال بالوحدات المتمركزة و الوحدات العاملة في الميدان و مع السكان؛ و هم مُدربون يقومون بعروض حية أمام الضباط الكوادر لتدريبهم و تلقينهم الطرق و المناهج التي يمكن بها الرد على الحرب الثورية؛ و هم منظرون استراتيجيون يناط بهم ضبط و بلورة ردّ مناسب للحرب الثورية و متابعة و تقييم كل تجربة للحرب النفسية يتم تنفيذها على السكان و الثوار بتراب المنطقة العسكرية العاشرة. و على ذكر هذا العنصر الأخير، نشير إلى أنه أُيظ بالضباط المتنقلين مهمة مزدوجة تتمثل في "تربية و تنظيم" السكان. حيث تعني كلمة التربية هنا: نشر القيم و الأفكار و المثل الفرنسية بين السكان و غرسها فيهم، و بالمقابل توعيتهم و جعلهم على دراية و حذر من "الطابع الحقيقي للثورة" و بأساليبها لفرض سيطرتها عليهم و تحذيرهم منها. كما يدخل في معنى هذه التربية أيضاً دراسة مختلف العناصر و المعطيات الإعلامية -الدعائية المواكبة للأنشطة النفسية المزمع القيام بها: كدراسة ردود فعل السكان على الأنشطة النفسية الجاري تطبيقها الآن لتوجيه الأنشطة النفسية المبرمج تنفيذها مستقبلاً؛ و البحث عن المواضيع و المحاور الدعائية التي تخدم جيداً الدعاية الفرنسية، مع بلورة الحجج و البراهين المدعمة لها و استبعاد المحاور الدعائية التي لا أثر لها أو التي قد تعود بأثر عكسي غير مرغوب فيه؛ كما يناط بهم البحث عن الأساليب الدعائية الأكثر مواءمة، التي يمكن تطبيقها على مستوى القطر أو في نطاق محلي ضيق بعد تكييفها مع أوضاعه الخاصة؛ و أخيراً، يعود إليهم الإشراف على الوسائل الدعائية الموجهة لإعلام الأهالي كتهيئة و إعداد القاعات و اللوحات الإعلامية و تنظيم تجمعات عامة للسكان و توزيع المناشير و شرح مدلولها لهم، و تنظيم تظاهرات استعراضية للثوار الملتحقين بالجيش الفرنسي¹.

¹ - المصدر السابق، نفسه.

أما بالنسبة لكلمة "التنظيم" فتعني في قاموسهم إعطاء هيكل تنظيمي للسكان يستوعبهم فردا فردا، بحيث يجد كل شخص موقعا له فيه، بما يمكن من إحكام القبضة عليهم و وصول الأوامر و التعليمات من أعلى الهرم إلى آخر عنصر في هذا التنظيم. و لإنشاء هذا الهيكل التنظيمي، أنيط بالضباط المنتقلين ما يلي¹ :

- البحث عن أشخاص مؤهلين يتم انتقاؤهم لتقلد المسؤولية، وذلك بعد متابعتهم لتكوين خاص بمراكز خاصة، لكي يصبحوا مسؤولين سياسيين لدواويرهم يشرفون على فرق الدفاع الذاتي (G.A.D.)².

- البحث عن عناصر شبانية يتم انتقاؤها و توجيهها للحصول على تكوين خاص بمركز تدريب منشطي الشباب بـ إسوار (Issoire)، بفرنسا، لتنشيط الشباب الجزائري.

- البحث عن شابات جزائريات و أوروبيات للعمل بـ "الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة" (E.M.S.I.)،

كما أنيط بهم أيضا البحث عن عناصر نسوية حيوية لفتح و تشكيل نوادي "الدوائر النسوية" (Cercles Féminins). و سنتناول هذه العناصر الثلاث و غيرها بتفصيل أكبر في الفصل الرابع.

و إلى جانب ما سبق، عُهد بالضباط المنتقلين أمر تنشيط مُنشطي نوادي "ديار العسكري". و الدخول في اتصالات مع رؤساء مختلف الجمعيات لإقناعهم بإدراج النشاط النفسي في مختلف أنشطتهم. بالإضافة إلى ممارسة ما لديهم من نفوذ على الفرنسيين بالأصالة لجلبهم إلى تبني مواقف تنسجم و أهداف «حرب التهدة». و أخيرا إعلام و توعية الضباط المكلفون بتوجيه و تحريك مختلف فئات السكان الأهالي بالدور المنوط بهم لعه، ثم مساعدتهم على أدائه و مراقبة النتائج المتحصل عليها من ذلك³.

تحقيقا لهذه المهام، يتلقى الضباط المنتقلون أمرا بمهمة دائمة من قبل الوزير المقيم، كما يتلقون من لدن السلطات المدنية و العسكرية كل التسهيلات اللازمة لأداء مهمتهم. و بالإضافة إلى ذلك يتولى المكتب الخامس تزويدهم بوسائل العمل الأساسية كالتوثيق و جهاز تسجيل صوتي و آلة تصوير و سيارة. كما يلزم الضباط المنتقلون بتقديم تقرير شهري يرفع للمكتب الخامس و المديرية العامة للشؤون السياسية بالولاية العامة. هذا التقرير يتناول عملهم في الميدان كما يتناول عرضا عن التطور المسجل في معنويات الأهالي، حيث يمكنهم في هذا الصدد تقديم جميع المقترحات التي يرونها مناسبة للتأثير في هذه المعنويات⁴.

حقق سلك الضباط المنتقلين كثيرا من النجاحات في عمله في الميدان، و قد كان لهذه النجاحات أثرا مباشرا في إقناع "المتشككين و المترددين" من ضباط الجيش في أهمية السلاح النفسي و في نجاعته. كما كان لها أيضا أثر مباشر في تحقيق نتائج مهمة لـ «حرب التهدة» على السكان، و هم السكان، الذين سُجِّل لهم - على ما يبدو و لأكثر من مرة- تعاون فاعل مع الجيش الفرنسي مباشرة بعد عدد من الحصص الدعائية

¹ - SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de M. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 janvier 1958.

² - G.A.D., Groupe d'Auto Défense

³ - SHAT, 1H 2533/d.2, Instruction sur la mission et l'emploi des Officiers Itinérants, n° 183/RM.10/5/OPS /SC, Alger le 10 janvier 1959.

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

النفسية التي قام بتشييطها هؤلاء الضباط عليهم، حيث تمثل هذا التعاون في تقديم معلومات ساهمت في كشف خلايا التنظيم الثوري و تسليم عناصره للجيش¹. و قد كانت هذه النجاحات و مثيلاتها وراء قرار القيادة برفع عددهم إلى خمسة و ثلاثين ضابطا منتقلا ثم إلى خمسين². لكن في شهر أفريل من سنة 1959 تقرر إجراء تقليص في عدد العاملين بالمكتب الخامس، و كان من المقرر أن يطال هذا التقليص ثلث الضباط المنتقلين، خاصة و أن الضباط الذين يتمتعون بمردودية حقيقية لا يزيد عددهم عن الثلثين³. ولكن بالرغم من هذه النجاحات، فإن سيرة هؤلاء الضباط لم تكن على ما يبدو تخلو من مأخذ. مأخذ كان سببها غالبا عدم تعاون بعض السلطات المحلية بعين المكان أو عدم تفهمها أو اكتراثها بالحرب النفسية. حيث سُجِّل على عدد من هؤلاء الضباط « إبداءهم لمواقف انتقادية و تلفُّظهم بأقوال ليست في محلها و إصدارهم لأحكام علنية و سلبية تجاه بعض القيادات المحلية، تركت شعورا بالمرارة و الامتعاض لديها »⁴. فتعالت ضدهم العديد من الشكاوى و الاحتجاجات.

ثالثا : فرق مكبرات الصوت و المناشير

بهدف تعزيز البنيات التحتية لسلاح الحرب النفسية بالمنطقة العاشرة، أنشئت في جوان 1956 ثلاث وحدات تكتيكية للدعاية والحرب النفسية، أعطي لها اسم "فرق مكبرات الصوت و المناشير" (C. H. P. T.)⁵. حيث تتألف كل فرقة من هذه الفرق الثلاث من عدد من الشاحنات التي تمت تهيئتها لتصبح ورشات تتوفر على التجهيزات التقنية اللازمة. إذ يوجد بكل منها عدد من الورشات لإنتاج الوسائل الدعائية بعين المكان، فهناك ورشة لطبع و سحب المناشير، و ثانية لتسجيل و إنتاج الأشرطة الصوتية، و ثالثة بمثابة مخبر لتحميض و معالجة الصور الفوتوغرافية، و رابعة لمكبرات الصوت و البث الإذاعي المحدود، و خامسة تتوفر على جهاز للعرض السينمائي لتنظيم أمسيات لعرض الأفلام... إلى غير ذلك من الورشات التي تجعل من هذه الوحدات، كما أراده لها منشؤها، أداة فعلية قادرة على إحداث وقع نفسي قوي في نفوس السكان يمكنها أن تُغيّر بعمق من حالتهم النفسية الراهنة. و هو ما يقتضي بالضرورة أن يكون عمل هذه الوحدات عملا مكثفا و محددًا في إطار الزمان و المكان على وسط سكاني معين، جرت دراسته و تحليله سلفا. حتى إذا تم تحقيق النتائج المرجوة، انسحبت هذه الوحدات للعمل في مكان آخر، تاركة للأجهزة النفسية المحلية مواصلة ما تبقى من العمل⁶.

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, Alger, Baconnier, (s.d.), p. 64-65.

² - SHAT, 1H 2409/d.1.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel Chef d'Etat - Major de la 10^{ème} R.M., p. 2 et 3.

⁴ - SHAT, 1H 2533/d.2, Note pour les Officiers Itinérants, n° 214/RM.10/PSY/G.P., Alger le 11 mars 1957.

⁵ - Compagnie de Haute parleur et de Tracts. SHAT, 1H 2534/d.1, Etude sur le renforcement des moyens de l'action Psychologique pour l'Algérie et la création de 3 unités tactiques de guerre psychologique, Paris, juin 1956, 4p.

⁶ - SHAT, 1H 2534/d.1, Note, emploi des Compagnies de Hauts- Parleurs et de Tracts, p.2.

تتوفر كل فرقة من الفرق الثلاث على أربعة أقسام أو مصالح، هي¹ :

- 1- قسم القيادة، أي قيادة الفرقة. و يتولى هذا القسم، بالتنسيق مع قيادات الوحدات العسكرية الأخرى، تحديد العمليات العسكرية النفسية الواجب تطبيقها، و التنسيق بين مختلف الوسائل التي ستوظف فيها، و تعهّد الأجهزة. رئيس هذا القسم هو نفسه قائد فرقة مكبرات الصوت و المناشير، و هو غالبا ما يكون ضابطا ذا كفاءة عالية في الحرب النفسية، على معرفة و دراية عاليتين بالعادات الاجتماعية للسكان و يجيد التحدث بلسانهم.
- 2- قسم الاستعلامات: و هو القسم المكلف بالتحضير للعمليات النفسية و متابعتها و توجيهها على ضوء ما يجّد من الملاحظات و المعطيات. و هذا القسم يتوفر على فرقتين : واحدة للاستعلامات و ثانية للدعاية، يعمل بكتليهما ضباط على معرفة واسعة بلغة السكان، يمكنه القيام بنفسه بالبحث عن المعلومات و جمعها و ترجمتها و إجراء الاستجوابات على الموقوفين من الثوار.
- 3- قسم النشاط للتواصل مع السكان (Action de contact) : و هو القسم المكلف بنشاط الدعاية على السكان. حيث يتوفر هذا القسم على جميع الوسائل اللازمة لبث الخطابات و نشر الشائعات، و هو مكلف أيضا بتحضير حصص النشاط النفسي على السكان و استيفاء الجوانب العملية اللازمة لها.
- 4- قسم الإنتاج: و هو القسم المكلف بتزويد القسم السابق بجميع الوسائل السمعية البصرية اللازمة، كالصور الفوتوغرافية و الأفلام، اللوحات الدعائية و المناشير و الأشرطة المسجلة.

تم توزيع هذه الفرق على النواحي العسكرية الثلاث، الجزائر ، وهران و قسنطينة، بمعدل فرقة لكل ناحية عسكرية، لتكون تحت تصرف المناطق العسكرية و القطاعات و القطاعات الفرعية، لاستعمالها في إطار العمليات التكتيكية التي تهدف تحقيق معالجة في السطح و العمق بالمناطق الخاضعة لتأثير الثوار. كما يتم استخدامها بقوة في العمليات النفسية التدميرية على السكان التي تتلو تخليص منطقة ما أو إقليم من قبضة و تأثير الثوار.

فبطلب من القيادات المحلية للمناطق العسكرية و الوحدات العسكرية الكبرى العاملة في الميدان يتم ارسال هذه الفرق للاستعانة بها لمدة محدودة، لا تزيد غالبا عن شهرين، لتحقيق معالجة عسكرية- نفسية لمنطقة جغرافية معينة. و في هذا الإطار، كان يتم تزويد هذه الفرق بكل المعلومات الضرورية عن المنطقة المستهدفة بالمعالجة و بالمناخ النفسي العام السائد لدى سكانها، بما في ذلك معرفة تطلعاتهم العميقة و تلمس مواطن الضعف و الهشاشة فيهم و معرفة محاور الدعاية المضادة للعدو... بما يمكن هذه الفرق، بالتنسيق مع المكتب الثاني و ضباط الاستعلامات و السلطات المدنية بعين المكان، من رسم خريطة نفسية للمنطقة المستهدفة بالمعالجة و تحديد الأهداف المرجوة و تحديد الوسائل النفسية المثلى لبلوغها².

و في الميدان، كان يتم استخدام فرق مكبرات الصوت و المناشير استخداما مزدوجا، تارة لدعم العمليات التكتيكية ضد الثوار، و تارة أخرى لدعم العمليات التدميرية ضد السكان. ففي الحالة الأولى

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique, op. cit, p. 25 - 28.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Note, emploi des Compagnies de Hauts- Parleurs et de Tracts, p.3.

يكون عمل هذه الفرق موجها ضد الثوار، و على الأخص الخلايا الثورية، بهدف ضرب معنوياتها و زرع الشقاق في صفوفها و دفعها إلى الاستسلام. و بالنسبة للسكان فيتمثل عمل هذه الفرق في القيام بنشاط نفسي مكثف عليهم لتخليصهم من دعاية الثورة و تعريفهم بقوة و أهداف فرنسا، و ما حققته و ما ستحققه لهم مستقبلا هذه الأخيرة في الميادين الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية، بالإضافة إلى نشر تعليمات القيادة. أما في حالة العمليات العسكرية التدميرية فيتمثل عمل هذه الفرق في القيام بنشاط نفسي على السكان بهدف فتح أعين هؤلاء بحقيقة الوضع، بإعلامهم و قطع صلتهم مع الثورة و الرد على دعايتها و محاربتها. وأخير العمل على انتزاع مشاركة فعلية منهم في مجال الحصول على المعلومات و تشكيل فرق الدفاع الذاتي لضرب الثورة¹.

خلال العمليات، كان يتمثل عمل فرق مكبرات الصوت و المناشير في استعمال جميع الوسائل الدعائية المسموعة و المرئية المشار إليها في الفصل الأول، بما في ذلك توزيع الحلوى و السجائر و الألبسة على السكان، من أجل تهدئة النفوس و إدخال الطمأنينة إليها بما يساعد على إيجاد جو خال من كل توتر. و بالتوازي مع ذلك، كانت هذه الفرق تقوم بالمتابعة و عن قرب لنشاط الوحدات العاملة في الميدان، المكلفة بأنشطة بوليسية للبحث عن الخلايا الثورية و تفكيكها، لاستغلال ما توصلت إليه من نتائج في الحين و على وجه السرعة في المجال النفسي. كما كانت تقوم أيضا بمد يد العون للسلطات المدنية بعين المكان لمساعدتها على مد جسور الثقة و التواصل مع السكان، ثم المحافظة على هذه الجسور و تنميتها. كما تقوم أيضا بممارسة نشاط دعائي- نفسي على السكان يتمثل في بث أخبار محلية عامة، و ترديد و تناول شعارات و محاور دعائية لتحريض نفوس السكان من الدعاية المضادة، بما يجعلهم "مهيبين" لتقبل دعاية "بناءة" ترمي جلبهم شيئا فشيئا إلى المشاركة إلى جانب الجيش في الأنشطة العسكرية الموجهة للقضاء على الثورة².

يتوقف نجاح فرق مكبرات الصوت و المناشير في عملها على عدة عوامل: فالحالة النفسية الابتدائية للسكان و ردود فعل الدعاية المضادة و طبيعة الأهداف المرجوة من عمل هذه الوحدات و حتى شكل السكنات... هي كلها عوامل تؤثر بشكل مباشر على نتائج هذه الوحدات. هذه النتائج التي تتأثر أيضا بأهمية و نوعية الجهود المبذولة في المجالات الأخرى من كل نوع للتأثير على نفسية السكان، كالعمليات العسكرية ضد الثوار و العمليات البوليسية ضد الخلايا و العناصر الثورية، و أنشطة الإدارة في المجالات الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية لفائدة السكان. علما أن تجارب استخدام هذه الفرق قد أكدت بأنه يمكن نظريا لفرقة واحدة من هذه الفرق أن تحدث في أقل من أسبوع وقعا نفسيا يمكنه أن يشل مؤقتا عمل العدو في مدينة تتكون من خمسمائة ألف ساكن، أو بمنطقة تتراوح مساحتها ما بين ألفين و خمسمائة إلى ثلاثة آلاف كيلومتر مربع. كما يمكنها، بعد ممارسة نشاط نفسي مستمر، يمتد على مدى ثلاثة أشهر أو أربعة ترك أثر عميق و دائم في نفس العدد من السكان. كما يمكنها في أسبوع و بتوظيف أقل الإمكانيات، تحقيق نتائج ملموسة بمنطقة ريفية يتوزع سكانها ما بين 12 إلى 18 سوق أسبوعية، و هو ما يعادل كثافة سكانية تتراوح ما بين 40 إلى

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Les Compagnies de Diffusion et de Production en Algérie. un cas concret : Metlipax, p.2

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Note, emploi des Compagnies de Hauts- Parleurs et de Tracts, p.3-4.

50 ألف ساكن. كل ذلك شريطة أن تعمل هذه الوحدات في تنسيق تام و وثيق مع العمليات العسكرية و البوليسية و الإدارية التي تطبق في الميدان وفق خطة عقلانية تستهدف تحقيق أقصى ما يمكن من المردودية¹. خلال الحرب، حققت فرق مكبرات الصوت و المناشير عددا هاما من النجاحات في نشاطها علي السكان كانت مبعثا علي رضی و ارتياح القيادة العليا. فقد استطاعت هذه الفرق حيثما عملت، « تقديم تحليل صحيح للحالة النفسية السائدة بين السكان و ممارسة نشاط نفسي ترك آثاره الواضحة عليهم. و قد تراوح هذا التأثير، تبعا لقوة النشاط و مدته، من تهدئة نفوس السكان و طمأننتها إلى الأخذ بمجامع قلوبهم و عقولهم، في إطار عملية حقيقية لـ "فتح النفوس" و كسبها². فعدت أهمية هذه الفرق و نجاعتها تعلقو علي كل نقاش.

و قد تمثلت هذه النجاحات، حسب المصادر الفرنسية، في تعديل - إن لم نقل في إحداث انقلاب - في نفسية السكان الأهالي لصالح الجيش خلال العديد من العمليات العسكرية الشاملة. ففي بداية كل عملية عسكرية كان الخوف يستولى علي السكان فيهجرون مساكنهم و دواويرهم لائذين بالغابات و الجبال قبل وصول القوات الفرنسية. فتدخل فرق مكبرات الصوت و المناشير لتهدئة النفوس و دفع الروع عنها، متبعية في ذلك تطبيق نشاط نفسي مكثف، تستعمل فيه مكبرات الصوت و تُوزع فيه المناشير لبث مختلف النداءات و البلاغات التي تدعو السكان إلى العودة إلى بيوتهم لأنهم ليسوا هم المستهدفين بالعملية العسكرية و إنما هم الثوار. كما كان أفرادها يقومون بتوزيع الحلوى علي الصغار و توزيع السجائر و الألبسة علي الكبار للتودد إليهم و الدخول في محادثات معهم، ليتم تجميعهم مساء لسماع الخطب و رؤية عروض سينمائية تُعرفهم بإنجازات فرنسا في مختلف الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و الإدارية، التي تبشرهم بحلول عهد جديد. و في نفس الوقت، كانت هذه الفرق تقوم بشن حرب نفسية مكثفة علي الثوار في الجبال و الغابات، ليلا و نهارا. حيث تعمل هذه الفرق بمختلف الوسائل و الأساليب علي ضرب الروح المعنوية للثوار و كسر شوكتهم القتالية من خلال توجيه مختلف البلاغات و النداءات عبر مكبرات الصوت و المناشير الموزعة، التي تستعمل فيها أيضا و بغزارة تصريحات الأسرى و الملتحقين بالجيش الفرنسي من الثوار، لحثهم علي وقف القتال و إنهاء المقاومة لأنها لم تعد تجدي نفعًا، كما كانت ترغّبهم في " الأمان " و تؤملهم في العفو.

بالتوازي مع ذلك، كانت السلطات المدنية بعين المكان تقوم بفتح ورشات لتهيئة الطرق و تشغيل جموع العاطلين، و تشرع في تطبيق برامج اجتماعية لتحسين الوضعية الحياتية للسكان. و ما هي إلا فترة قصيرة حتى تبدأ «حرب التهدئة» في إعطاء ثمارها، و تبدأ النتائج الأولى للعمليات البوليسية الموجهة للبحث عن الخلايا الثورية في النهاط، بتفكيك شبكتها و القبض علي عناصرها. عندئذ يتم تضيق الخناق علي الثوار، الذين تُسجل في صفوفهم عدد من حالات الاستسلام و الالتحاق بالجيش الفرنسي، التي يتم استغلالها بكل مهارة للتأثير علي من تبقى من المترددين بين السكان و الثوار. عندئذ يبدأ جليد العلاقات بين السكان من جهة

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Enseignements à retirer de l'emploi des Compagnies de Haut- Parleurs, Alger le 20.09.1957, p. 4- 5; SHAT, 1H 2534/d.1, Note, emploi des Compagnies de Hauts- Parleurs et de Tracts, p.2-3.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Enseignements à retirer de l'emploi des Compagnies de Haut- Parleurs, Alger le 20.09.1957, p.3

و الجيش و السلطات المدنية من جهة أخرى في الذوبان. فيتحرر السكان من قبضة الخوف و ترتفع معنوياتهم بما يساعد على خلق مناخ نفسي شبه احتفالي يؤذن بحلول عهد جديد واعد بالخير و الأمان. فيبدأ السكان في العودة شيئاً فشيئاً إلى بيوتهم و إلى السلطات، التي يترجم التفاعل معها في تهاطل المعلومات من كل نوع على مكاتب الاستعلامات للجيش، التي تقوم بتوظيفها بكل مهارة لتوجيه نشاط الوحدات العاملة في الميدان. كما يتم انتقاء عدد من العناصر من بين السكان، من ذوي النفوس الضعيفة و الوطنية الرخوة، من الذين تضرروا من الثورة أو انقلبوا عليها بعدما كانوا معها، لتشكيل فرق للدفاع الذاتي و وضع الأساس لتنظيم مواز خفي يسيطر على السكان و يساهم في تطهير المنطقة من الثوار و يحول دون عودتهم إليها، بما يضمن استقرارها لبضعة شهور أخرى.

تلك هي أهم النتائج التي كان يتم تسجيلها غالباً بعد كل عملية يتم تنفيذها بالتنسيق مع فرق مكبرات الصوت و المناشير. و التي يمكن أن نذكر من بينها عملية إفسال " إضراب الأيام الثمانية " و معها " حملة المقاطعة المدرسية " اللذين دعت إليهما الثورة في نهاية 1956 و مطلع سنة 1957. كما يمكننا أن نذكر إلى جانبها العملية التكتيكية " بيلوت رقم واحد" (Pilote n°1) التي جرى تنفيذها بمنطقة الشلف، و ما ترتب عنها من عمليات مماثلة، كانت تعميماً و امتداداً لهذه الأخيرة، كـ "بيلوت رقم 2" و "بيلوت رقم 3" بالوسط الجزائري. ثم جميع العمليات العسكرية التي جرى تنفيذها خلال سنة 1957 في وسط و غرب و شرق الجزائر، و التي حققت فيها فرق مكبرات الصوت و المناشير من النتائج - حسب المصادر الفرنسية- ما كان له أثره البين على تقدم «حرب التهدة» في أحسن الظروف و في العديد من المناطق، و ترجم فعلياً في ارتفاع في عدد طلبات السكان للحصول على حماية السلطات الفرنسية، و ازدياد في عدد حالات الالتحاق، و تحسن نوعي كما و كيفاً في المعلومات المقدمة من طرف السكان. و هو ما جعل هذه الفرق موضوع طلب ملح من السلطات المحلية، المدنية و العسكرية لمختلف المناطق¹.

عينة على عمل فرق مكبرات الصوت و المناشير : العملية متليباكس

و قبل أن نختتم تناولنا لفرق مكبرات الصوت و المناشير، سنتناول، كعينة على نشاط و طريقة عمل هذه الفرق، العملية متليباكس (METLIPAX)²، و هي عملية تكتيكية و تدعيمية في آن واحد نفذتها الفرقة رقم 1 ما بين الأول من مارس و الخامس عشر من أفريل سنة 1960 بمتليبي الشعابنة الواقعة جنوب شرق غرداية و التي أشتق من اسمها اسم العملية. فبناءً على طلب القيادة العسكرية لمختلف الجيوش بالصحراء توجهت فرقة مكبرات الصوت و المناشير رقم 1، التابعة للناحية العسكرية للجزائر الوسط، للعمل بمتليبي التي يقطنها ما يقارب الخمسة عشر ألف ساكن من الشعابنة، الذين كانت حياتهم تتأرجح بين البداوة و الاستقرار، و كانوا يعطون الانطباع بأنهم يعيشون بمنطقة منقطعة و يحيون حياة هادئة مطمئنة لا علاقة لها ظاهراً بالثورة، غير أن العملية متليباكس فندت ذلك و أثبتت ما هو عكسه تماماً، لتكون المفاجأة كبيرة عند اكتشاف أن

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Enseignements à retirer de l'emploi des Compagnies de Haut- Parleurs, Alger le 20.09.1957, p. 2- 4.

² - SHAT, 1 H 2534/d.1, Les Compagnies de Diffusion et de Production en Algérie, un cas concret : METLIPAX, 9 p.

متليلي الشعابنة « تعد المركز الرئيسي لكل الخلايا الثورية بالمنطقة. حيث كانت جبهة التحرير تتفادى الدخول في مواجهات مع القوات الفرنسية، لكنها في نفس الوقت تمارس تأثيرا إيديولوجيا عميقا على السكان، الذين لم يكن ليخلو واحد منهم من قريب أو صديق التحق بالثورة في الشمال. كما كانوا كلهم يدفعون اشتراكات عظيمة للتنظيم الثوري بعين المكان»¹.

التحضير للعملية، بدأ من شهر جانفي 1960 بتدشين حملة عسكرية واسعة النطاق أعطي لها اسم فاسكون (Gascogne) للبحث عن الخلايا الثورية و تفكيكها و الكشف عن مختلف المستودعات و المخابئ، حيث تم خلالها تفكيك عدد من المجموعات المسلحة المتواجدة بالمنطقة و إلقاء القبض على عدد هام من العناصر العاملة بالتنظيم الثوري المحلي. تلا ذلك، في الخامس عشر من فيفري، تدشين العملية متليباكس بهدف توظيف النجاحات المحققة من قبل "قوات حفظ النظام" ضد الثورة بالمنطقة في بعث التواصل مع السكان و خلق مناخ نفسي مثالي يمهد لتدخل فرقة مكبرات الصوت و المناشير رقم 1، و هو ما تم فعلا و لكن بتوقيت سابق عن الأوان. و بعد القيام بحملة واسعة لجمع المعلومات النفسية عن الحالة المعنوية لدى السكان تحضيرا للعملية النفسية المعتزم تنفيذها عليهم، تم وضع مخطط للعملية متليباكس، حيث أنيط بفرقة مكبرات الصوت و المناشير رقم 1 تحقيق عدد من الأهداف المتمثلة في² :

1- العمل أساسا على تحسين الروابط و وشائج الاتصال بين الجيش الفرنسي و السكان و تحرير هؤلاء من "الخوف" الذي زرعه فيهم جبهة التحرير و ذلك من خلال إظهار مدى ضعف هذه الأخيرة و سوء نواياها.

2- القيام بعمل "إعلامي لإعلام السكان" و ربط علاقات إنسانية معهم، من خلال استغلال و توظيف نتائج الجهود الموازية التي يبدها الجيش الفرنسي لتفكيك الخلايا الثورية و القضاء على الجماعات المسلحة.

3- تقديم مساهمتها في عملية إحصاء السكان الذين لا زال قسم كبير منهم مجهولا لدى السلطات.

4- إنشاء علاقات خاصة مع المجموعات العائلية و كذا الأطفال و النساء و الأعيان، إلى غير ذلك من الفئات و الجماعات التي يطلق عليها في الاصطلاح العلمي (les psycho-groupes) بهدف مس أكبر عدد ممكن من السكان بالنشاط النفسي و خلق حالة من الارتياح العام في النفوس.

5- تقديم مساهمتها في تنشيط بعض الحصص الإذاعية التي كان يتم بثها على أمواج "راديو شعابنة" انطلاقا من محطة محلية للبث الإذاعي.

على ضوء هذه الأهداف قام قسم العمليات للفرقة، و بالتنسيق مع القيادة العسكرية بعين المكان، بتسطير خطة عمل من أربع مراحل : فخلال مجموعة متتالية من اللقاءات و التجمعات التي نظمتها هذه الفرقة للسكان، قامت هذه الأخيرة في المرحلة الأولى بالدخول في اتصالات مع السكان لجس نبضهم و معرفة مدى قوة تأثير الثورة في نفوسهم. كما قامت في مرحلة تالية بالعمل على إعادة بعث ثققتهم في فرنسا من خلال القيام بعمل

¹ - المصدر السابق، ص. 5.

² - المصدر السابق، ص. 6.

نفسى مزدوج من شقين: طُبّق في شقه الأول على الأوساط الدينية و الأعيان حملهم على رفض الثورة و إيديولوجيتها؛ و طُبّق في شقه الثاني على السكان لـ «تحريرهم من الخوف» و حملهم على رفض المكلفين بجمع التبرعات و تقديم أسمائهم للسلطات الفرنسية. أما في المرحلة الثالثة فقد قامت هذه الفرقة و تحت شعار: " يجب عليكم المساهمة في عودة السلم" بدفع السكان إلى المشاركة في القضاء على الثورة من خلال دعوتهم إلى عدم مساعدة الثورة بالأموال أو حتى بالسكوت المتواطئ و تقديم جميع المعلومات عن عناصرها و المشاركة في مجموعات الحراسة الذاتية، و أخيرا تقديمهم لعناصر كُفأة يمكنها الاضطلاع بمسؤوليات في المستقبل¹.

و هكذا، قامت الفرقة رقم 1، و على مدى خمسة و أربعين يوما، بتنظيم و تنشيط لقاءات و تجمعات يومية للسكان تم خلالها توزيع العديد من المناشير و توجيه شتى الخطابات و شرح مختلف المحاور و الشعارات الدعائية. حيث كانت هذه اللقاءات و التجمعات فرصة للعاملين بالفرقة رقم 1 للتواصل مع السكان. و ما هي إلا فترة وجيزة حتى أصبحت معرفتهم بالسكان تزداد يوما بعد يوم، و أصبحوا يعرفون وجوها بعينها و يسمون أناسا بأسمائهم، و يتخلقون فرصا لتبادل الحديث معهم. مما مكن الفرقة المكلفة بالاتصال مع السكان من تكييف محاورها الدعائية شيئا فشيئا لتنسجم و ردود فعل السكان و تتوافق و حالتهم النفسية و تستجيب لتطلعاتهم و تعبر عن انشغالهم. فكان يتم خلال التجمعات و اللقاءات تناول الاهتمامات الاجتماعية و الاقتصادية للسكان مثل حفر عدد من الآبار و بناء مدرسة ثالثة، و تهيئة بعض المسالك و فتح مجزرة و توزيع الإعانات على المحتاجين من العجزة و غيرها. كما كانت هذه الفرقة تقوم باستغلال نتائج الأنشطة البولسية للجيش المتمثلة في تفكيك الخلايا الثورية و إلقاء القبض على عناصرها و اكتشاف المخابئ و المستودعات لتزفها في شكل بلاغات إلى السكان. كما كانت هذه الفرقة تقوم باستجواب العناصر الموقوفة لتسجيل "اعترافهم" على الأشرطة السمعية، ثم بثها عبر مكبرات الصوت في التجمعات و الأسواق في شكل بلاغات و نداءات للاستسلام و الالتحاق، و هو ما كان له أثره الأسوأ على معنويات الشعابنة، إذ زرعت الخوف و البلبلة بين صفوفهم، لأنهم كانوا كلهم يدفعون الاشتراكات و لا يكاد واحد منهم يخلو من قريب أو صديق يعمل في الثورة².

أما في الليل فقد كانت الفرقة رقم 1 تقوم بتنظيم عروض سينمائية دعائية لـ "إعلام السكان و تربيتهم"، استقطبت أعدادا هامة منهم و لقيت تجاوبا كبيرا من لدنهم، لما وجدته السكان فيها من ترويح و متعة تدفع عنهم الملل و تكسر لديهم رتابة الحياة الصحراوية. كما تم تنظيم عدد محدود من التجمعات و العروض السينمائية بالقربى المجاورة، أي بكل من سبب و زلفانة و حتى غرداية، التي لم تعدم هي الأخرى حظها من النجاح بين سكانها.

لكن بالرغم من هذه "النجاحات" التي استطاعت أن تحققها الفرقة رقم 1 بين السكان الشعابنة، فإنها مع ذلك بقيت محدودة، باعتبار أن تأثيرها لم يطل إلا الرجال، في حين بقيت النسوة في أحيان كثيرة في مأمن من عادية النشاط النفسى للفرقة رقم 1، اللاتي فلدن من تأثيرها بسبب أعرف و تقاليد اجتماعية راسخة بالمنطقة

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - المصدر السابق، ص. 8.

تخطر عليهن الخروج. و هذا لا يعني عدم اكتراث الشعانيات أو عدم اهتمامهن بما يجري في الخارج، فكثيرا ما شوهدن، في أحيان كثيرة خلال التجمعات، ماكثات بعيدا خلف الرجال، يتابعن ما يجري، مستمعات غير مشاهدات، متحسسات لأخبار ذويهن، من على سطوح منازلهن أو من وراء جدران الطوب. و بالرغم من كل هذه الصعاب للوصول للمرأة الشعانية، استطاعت الفرقة رقم 1 تنظيم ثلاثة تجمعات نسوية بمدرسة البنات ضمت ما يقارب المائتي امرأة و مهدت لا حقا لإنشاء ناد نسوي¹.

مساعي الفرقة رقم 1 لدى أعيان الشعانة لإقناعهم بنبذ الثورة و جبهة التحرير معا لم يحالفها النجاح. فهؤلاء الأعيان هم « عناصر انتهازية للغاية، و بالرغم من تعديلهم لمواقفهم تجاه فرنسا، إلا أنهم رفضوا " التورط " بأي شكل من الأشكال ضد جبهة التحرير »². أما بالنسبة لمساعي الفرقة في البحث عن أشخاص مؤهلين لتحمل مسؤوليات مستقبلية، فلم تعد حظها من النجاح. حيث تم، على هامش التجمعات اليومية المنظمة لممارسة النشاط النفسي على السكان، عقد اتصالات و لقاءات فردية مع بعض العناصر السكانية بالبساتين كُئلت بكثير من النجاح. إذ تم على إثرها اكتشاف عدد من العناصر المناسبة (Des responsables d'îlot) الذين يمكن التعويل عليهم مستقبلا في عملية تنظيم السكان. حيث تم إعدادهم و إرسالهم إلى خارج المنطقة للتربص و الحصول على تكوين خاص³.

بانتهاء مدة تدخل الفرقة رقم 1، كانت هذه الأخيرة قد حققت معظم أهدافها. تجسد ذلك في تسجيل العديد من المؤشرات الايجابية في نفسية و معنويات السكان التي كانت مبعثا على رضي و ارتياح القيادة العسكرية بعين المكان. و التي ترجمت على أنها بداية عودة السكان لفرنسا و رفضهم لجبهة التحرير. فمثلا في مجال الاتصال بين الجيش الفرنسي و السكان سجلت العديد من المؤشرات الدالة على وجود تجاوب و انسجام بين الجانبين. و هو ما رأى فيه الفرنسيون و فسروه بأنه دليل على أن سكان المنطقة قد « تقبلوا الجندي الفرنسي و تبوه ». من جهة أخرى، سُجل أيضا تحسُّن محسوس، كمَّا و كيفًا، في المعلومات المقدمة لمصالح الاستعلامات للجيش و التي ساعدت على كشف العديد من المخابئ و المستودعات التابعة للثورة و توقيف العديد من عناصرها. و هو ما ترجم أيضا بأنه تعبير آخر من السكان على رفضهم للثورة و انعكاس للتفاعل القائم بينهم و بين الجيش، الذي تحقق بفضل عمل الفرقة رقم : 1. و أخيرا يمكن أن نذكر من بين الإنجازات الأخرى للفرقة رقم : 1 هو قيامها بعمل جبار لإحصاء الأهالي و أخذ صور لهم لتمكينهم من الحصول على بطاقات للتعريف. و هو ما مكن الإدارة في نفس الوقت من التوفر على رصيد من الجُذاذات (fichier) لكل الأهالي، سيسهل كثيرا عملها عند الشروع في عملية تنظيم السكان⁴.

¹ - المصدر السابق، ص. 7.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - المصدر السابق، ص. 7-9.

المطلب الثاني : دعائم القسم الثاني

أولا : مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزيو (C.I.P.C.G.)

منذ السنة الأولى للثورة أدرك العسكريون الفرنسيون بأنهم مقبلون في الجزائر على خوض حرب أخرى قوية الشبه بالحرب التي خاضوها بالهند الصينية. كما أن تجربتهم الأخيرة بهذه الحرب قد فتحت أعينهم على الآثار الخطيرة المترتبة عن الزج بجنود و ضباط لخوض غمار حرب ثورية دون أن يكون لهم من الخبرة سوى تكوينهم العسكري التقليدي. فالأخطاء التي سيرتكبوها ستكون حتما وبالآ على كل الجهود الرامية للقضاء على هذه الثورة. فالجنود و الضباط مثلا، في غياب تكوين خاص يؤهلهم لخوض غمار هذا النمط الجديد من الحرب، يمكنهم، خلال مطاردتهم لعدو يعيش بين السكان كما تعيش السمكة في الماء، أن يرتكبوا من الأخطاء و الهفوات النفسية ما من شأنه أن يسدي خدمات جليلة للثوار. فتعنيف السكان و امتهاتهم و إساءة معاملتهم كقيل بأن يلقي هؤلاء في حضن الثورة. لذلك، و أمام عدو يجيد استغلال الأخطاء و يتخذ الحرب النفسية كسلاح من أهم أسلحته، سيترتب عن الأخطاء المرتكبة من طرف هؤلاء الجنود و الضباط عواقب وخيمة، ستزيد من تعقيد مهمة الجيش و تؤجل إلحاق الهزيمة بالثوار. و بناء عليه، فإن تفادي الوقوع في مثل هذه الأخطاء لقطع الطريق أمام استغلال الثوار لها سيكون حتما بتوعية هؤلاء الجنود و الضباط بطبيعة الحرب الدائرة و منحهم تكوينا حول الوسائل و الأساليب المناسبة للرد عليها. تلك هي المهمة الموكلة لمركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات الموجود بأرزيو إلى الشرق من مدينة وهران.

أنشئ مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بالقرب من مدينة أرزيو في السادس عشر من جوان سنة 1956 ليكون بمثابة "سقيفة أو غرفة استقبال" (une anti-chambre de l'Algérie) يمر عبرها الضباط الفرنسيون الوافدون لأول مرة إلى الجزائر و المرشحون لتولي مهام قيادية داخل الجيش بمختلف ربوع هذه البلاد. حيث تتمثل مهمة المركز في « منح هؤلاء الضباط تكوينا حقيقيا ما أمكن حول نفسية و مجتمع السكان المسلمين بالجزائر و المنطلقات السياسية للثورة الجزائرية، بما يمكن هؤلاء الإطارات من الحصول على المعطيات الأساسية المساعدة على التطبيق الجيد لأنشطة حرب التهدة، و فق تعليمات الوزير المقيم بالجزائر. -[كما تتمثل مهمته أيضا في]- منح هؤلاء الكوادر تدريبا على الحرب المضادة لحرب العصابات، يمكنهم من تنفيذ عمليات عسكرية على أرضية أي ميدان بالليل أو بالنهار و تنفيذ عمليات هجومية و دفاعية من مختلف المستويات »¹. و بالجملة، فإن مهمة المركز تتمثل في تأهيل الكوادر العسكرية، المدعوة لمحاربة الثورة، و تعريفهم بخصائص الخصم و بمبادئه و أساليبه في الحرب، و تمكينهم من معارف و مفاهيم أساسية، نفسية و اجتماعية، تتعلق بالسكان، من شأنها أن تجنبهم ارتكاب أخطاء ضدهم. و أخيرا تتمثل مهمة المركز في تعريف الكوادر بتعليمات القيادة في الرد على هذا الخصم، و حثهم على التفكير في المشاكل التي تطرحها حرب العصابات².

¹ - SHAT, 2523/1, Fiche sur la réorganisation du C.I.P.C.G., 9 août 1957, p.1.

² - SHAT, 1 H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel Bruge André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, p. 1- 2.

و في هذا الإطار كان المركز يقوم بتنظيم تریصات على مستویین: المستوى الأول و يشمل تریصا شهريا لمدة أسبوعین يضم حوالي ثلاثین ضابطا عسكريا بدرجة عقيد و مقدم و رائد؛ و مستوى ثان ویشمل تریصا شهريا لمدة ثلاثة أسابيع و يضم من 200 إلى 300 ضابط بدرجة نقيب فما تحت. و قد استمر العمل بهذه الوتيرة حتى شهر جويلية من سنة 1957، حيث بلغ عدد المتخرجين من المركز 245 ضابطا ساميا و 3100 ضابط مرؤوس¹. لكن بعد هذا التاريخ أدخلت على المركز عدة تعديلات كانت أهمها تركيز برنامجه التكويني أكثر على الحرب النفسية و « حرب التهدة » بعد ما كان في السابق يولي اهتماما أكبر للأنشطة العسكرية المضادة لحرب العصابات. و تبعا لهذا التعديل في البرنامج الدراسي تم فصل هذا المركز عن المكتب الثالث للمنطقة العسكرية العاشرة و إلحاقه بالمكتب الخامس لنفس المنطقة. و قد كانت هذه التعديلات تستجيب لعوامل عدة و مؤشرات شهدتها سنة 1957 تتمثل في فراغ القيادة من تحقيق بلورة شبه نهائية لمنهج «حرب التهدة» التي بدأت تعطي عددا من المؤشرات على نجاحها في الميدان بين السكان، حيث جاء صدور تعليمات الوزير المقيم روبر لاكوست من أجل تحقيق استغلال جيد و فعال لهذه المؤشرات. كما قامت قيادة الجيش الفرنسي خلال هذه السنة بتحديد الأسس التي ينبغي عليها تدخل الجيش في الأنشطة المختلف لـ « حرب التهدة »².

البرنامج الدراسي الجديد المعدل تم التركيز فيه على تدريس المحاور التالية: الأسس النفسية للحرب التخريبية (La guerre subversive)؛ تحطيم البني التحتية للثورة؛ حرب التهدة؛ النشاط النفسي و الحرب النفسية؛ معارف حول الجزائر و خصائص المجتمع الجزائري المسلم؛ الدعم بالسلح الجوي. و لتحقيق فهم جيد للثورة الجزائرية، فإن هذا البرنامج لم يتناول الثورة الجزائرية كحدث مستقل، و إنما تناولها من خلال « وضعها في الإطار العام للحرب الثورية و اعتبار الثورة الجزائرية نتيجة مباشرة للحرب النفسية التي تشنها موسكو باستمرار. [و هو ما يفسر] عدم انطلاق هذا البرنامج بتدريس الثورة الجزائرية أولا، و انطلاقه بتدريس الحرب النفسية للوصول إلى الحرب الثورية، باعتبار أن هذه الأخيرة ما هي إلا بنت للأولى التي ولدتها و تعهدتها. [حيث يكون الهدف من كل ذلك هو] الوقوف على ميكانيزمات الثورة في سعيها لتحقيق التقنيات الكبرى الثلاث لأي حرب ثورية، و التي تتمثل في: تأطير السكان بتنظيم يعمل في الخفاء؛ و التسلُّط نفسيا عليهم؛ وأخيرا السعي التدريجي و الحثيث للمجموعات المسلحة لأن تتحول إلى "جيش للتحريض"»³.

و بعد أن يقوم البرنامج الجديد بتشريح الثورة و عرضها، يقوم بتناول الوسائل المناسبة للرد عليها في أشكالها الثلاثة. و لما كانت الثورة " شمولية " في وسائلها و أهدافها و يجب بالمقابل إيجاد « رد مناسب يتصف هو أيضا بـ " الشمولية " و يحترم في نفس الوقت مبادئ الحضارة الغربية و ديموقراطيتها الرشيدة. [هذا الرد ما هو إلا] حرب التهدة، التي يجب أن تعمل أبدا على الجمع بين طرفي معادلة، قوامها الهدم و البناء»⁴.

¹ - المصدر السابق، ص. 2-3.

² - المصدر السابق، ص. 3.

³ - المصدر السابق، ص. 4-5.

⁴ - المصدر السابق، ص. 5.

ففي مجال " الهدم "، يتناول برنامج التريصات للمركز الحوار التالية¹ :

- الحرب النفسية الواجب اعتمادها ضد أيديولوجية الثورة.
- الأنشطة " البوليسية و القضائية " المتبعة في القضاء على البني التحتية الخفية للثورة.
- أساليب القضاء على المجموعات المسلحة.

أما في مجال " البناء " فيتناول البرنامج الحوار التالية² :

- النشاط النفسي الواجب تطبيقه على الجيش الفرنسي و السكان الأهالي.
- تنظيم السكان.

- تطبيق مختلف الإجراءات الاجتماعية و السياسية والاقتصادية و الثقافية و الرياضية، الذي "سيسمح للسكان بالعيش في النظام الجديد الذي يطالبون به".

يسهر على ضمان التأطير اللازم للتريصات فريق من الضباط الكوادر الذين انتدبوا للتدريس بالمركز لمدة ستة أشهر. تُعينهم مجموعة أخرى من " الضباط النخبة، الذين لهم القدرة على إشعاع إيمانهم بالحرب النفسية". و تتخذ التريصات شكل محاضرات مكثفة من 120 ساعة تتوزع على مدى أسبوعين أو ثلاثة، لأن الالتزامات المهنية للضباط المتربصين لا تسمح لهم بالتفرغ أكثر من ذلك. كما يتضمن التريص زيارات ميدانية لعدد من ورشات « حرب التهدة»، بمنطقة الأوراس أو القبائل أو الشلف، أين يقضي المتربصون يوما كاملا بإحدى مناطق العمليات للتعرف على العقبات الميدانية التي تعترض تقدم هاته الحرب. هذا وبالرغم من كثافة برنامج التريص، فإنه لم يكن يُكتفى في التدريس على مجرد الإلقاء و التلقي فقط و إنما كان يتم فيه أيضا الحرص و التركيز على تحقيق مشاركة فكرية كاملة للمتربصين أنفسهم، و ذلك باعتماد طريقة للتدريس تشبه طريقة "الفرق الدراسية" مدعومة بحلقات للتبادل و النقاش. فمثلا بالنسبة لموضوع البحث عن رد مناسب للثورة الجزائرية، يقوم الضابط المنشط للحصة أو الحلقة باستعراض "المشكل" الجزائري في خطوطه العريضة للمتربصين، كما يقوم أيضا بتشريح الثورة الجزائرية لهم في مبادئها و أساليبها و أهدافها. ليقوم بعد ذلك بفتح النقاش و دعوتهم إلى الخروج باتفاق حول أسلوب للقضاء عليها. و هنا يجد المتربصون أنفسهم مدعويين لتحديد الخطوط العريضة لهذا الرد، على ضوء الشروح السابقة لـ "المشكل" الجزائري و الثورة الجزائري، بحيث تكون مقترحاتهم في النهاية مجرد ترجمة لحتميات و أولويات «حرب التهدة» المطبقة على أرضية الميدان. إن الغاية من هذا الاستدراج الفكري هي تحقيق هدفين اثنين هما: أولا جلب المتربصين إلى تبني قناعة فكرية راسخة تعتقد في حتمية و نجاعة أسلوب «حرب التهدة» الذي حددته القيادة، بحيث تترسخ القناعة في أن «حرب التهدة» كرد، هو ليس مجرد مذهب حربي قائم على معطيات مجردة و إنما هي نتاج لتجارب طويلة أملاها الواقع. و لكي تترسخ هاته القناعة أكثر، كان تتم الاستعانة بمحاضرين من خارج المركز، الذين هم عادة ما كانوا ضباطا من مختلف الرتب قدموا من " البلاد" أي من الجزائر العميقة،

¹ - المصدر السابق، ص. 6.

² - المصدر السابق، نفسه.

من الريف، لعرض تجربتهم اليومية في «حرب التهدة» و المشاكل التي تعترضهم يوميا و عرض الحلول التي اعتمدها في حلها. و بحصول هذه القناعة تتعزز أواصر الثقة بين القيادة العسكرية " المفكرة و المخططة " و هؤلاء الضباط " المنفذين " في الميدان، حيث تترجم هذه الثقة ميدانيا بوحدة في التصور و العمل. في حين يتمثل الهدف الثاني في رصد و معالجة بعض حالات و خز الضمير التي قد تنشأ عند بعض المتريصين، من جراء إثارة بعض المسائل و النقاط كشرعية الحرب التي يشنها الفرنسيون بالجزائر، و هي حالات على ندرتها كانت موجودة¹.

تلك هي التريصات التي كان يقدمها هذا المركز لمختلف الضباط الوافدين من فرنسا بهدف تمكينهم من خلفية فكرية عن " المشكل " الجزائري و الثورة الجزائرية بما في ذلك نفسية السكان الأهالي و طبيعة مجتمعهم المسلم، بما يهيئ هؤلاء الضباط لتولى مهامهم القيادية و ممارسة عملهم في أحسن الظروف. و في هذا الإطار تمكن المركز، خلال الفترة ما بين الخامس عشر من أكتوبر 1957 إلى التاسع و العشرين من أوت 1959، من تنظيم ستة و أربعين تريصا مست ما مجموعه 7.172 ضابطا من مختلف الرتب².

هذا و تجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد بمدينة أرزيو مركزا آخر، هو مركز تكوين الإطارات المسلمة بأرزيو، كما يطلق عليه أيضا مركز تكوين مسؤولي الدواوير³، و الذي نرجح بقوة أنه كان تابعا للأول أو ملحقا به. و قد كان هذا المركز يضطلع بمهام مماثلة و لكن لتكوين عناصر جزائرية بحثة، موالية لفرنسا و مرشحة لكي تصبح إطارات قيادية، سيعهد لها مستقبلا بتولي مسؤوليات في وسطها السكاني. اختيار هذه العناصر، كان يتم وفق شروط معينة، و بعد إرسالها إلى هذا المركز لتلقي تكويننا قصيرا، كان يعاد غرسها في وسطها السكاني لتساهم في عملية " تنظيم " السكان في إطار الحرب النفسية و «حرب التهدة» لإنشاء تنظيم مناوئ للثورة يعمل في الخفاء. و هو ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الرابع.

ثانيا : المكتب الثاني

أهمية الاستعلامات في أنشطة الحرب النفسية :

يقترض النشاط النفسي و الحرب النفسية، كغيرهما من الأنشطة العسكرية، المعرفة الجيدة بالخصم. فلا يمكن لأي عمل نفسي موجه ضد الخصم و يرمي إلحاق الهزيمة به أن يقوم على جهل بهذا الخصم أو على معلومات هي مجرد ظنون و تخمينات لا صلة لها بالواقع أو على مجرد الافتراء. فمضار عمل مثل هذا أكثر من منافعه، و نتائجه تعود وبالا على أصحابه. و لما كانت الحرب النفسية هي فن إجادة توظيف " الحقائق " ضد الخصم و جب البحث في كل مكان عن هذه " الحقائق " للحصول على أكبر قدر ممكن منها. و في هذا المعنى يقول العقيد ب. دو سوسبيال عن المكتب النفسي الإقليمي: « فإذا كان هدف النشاط النفسي هو نشر الحقيقة وفق أساليب معينة، و إذا كانت الحرب النفسية هي فن تقديم جرعات من الحقائق و أضداد الحقائق التي يتم تلوينها و توجيهها بمهارة (أي التسميم)، فإنه يجب كقاعدة لهذا العلاج الموجه للنفوس الإحاطة

¹ - المصدر السابق، ص. 7-8.

² - الملحق رقم 9 يقدم تفصيلا بتاريخ إجراء هذه التريصات و برتب الضباط المشاركين فيها و عددهم.

³ - Centre de Formation des Cadres Musulmans, ou Centre de Formation des Responsables des Douars.

الدقيقة و الواسعة ما أمكن بأكبر عدد من " الحقائق". لذلك تجب معرفة الوقائع و الأحداث و البقاء في حالة إطلاع. و لكن الإطلاع على ماذا ؟ الجواب هو الإطلاع على المعطيات التي تشكل ساحة المعركة للسلح النفسي، و هي ساحة معركة خاصة، منها تستمد المعلومات النفسية خصوصيتها التي تميزها عن غيرها»¹.

العلاقة بين المكتبين الثاني و الخامس:

المكتب الثاني للمنطقة العسكرية العاشرة هو المكتب المكلف بالبحث عن كل المعلومات المتعلقة بالثورة و استغلالها. فقد أدى تنوع المصادر الاستعلاماتية العسكرية و المدنية، و معه إمكانيات تحقيق استغلال متعدد للمعلومات من قبل عدة هيئات، عسكرية و بوليسية و نفسية في آن واحد، إلى دفع القيادة، عملاً بمبدأ " الاستعلامات وحدة واحدة لا تقبل التجزئة"، إلى تجميع كل هذه المعلومات و تركيزها داخل هذا المكتب، كهيئة متخصصة في تنسيق الجهود من أجل البحث عن هذه المعلومات و استغلالها. ليصبح المكتب الثاني « هو الهيئة الوحيدة التي في مقدورها، بما أوتيت من إمكانيات التقصي و الفحص و التحقيق و بما أوتيت من تقنيات منهجية في نقد الأخبار و مقابلتها ببعضها، أن تقدم حوصلة شاملة و موضوعية لجميع المعلومات و الأخبار المستقاة»².

من هنا تتحدد طبيعة العلاقة بين المكتبين الخامس و الثاني في العلاقة بين من يقدم المعلومات، بعد جمعها و فرزها و معالجتها، و بين من يستغلها. « فمن أجل التأثير على معنويات الأشخاص و الجماعات الصديقة و العدو، و من أجل ضبط مخطط للدعاية و الإعلام، فإن النشاط النفسي في حاجة إلى معلومات من مختلف الضروب، سواء كانت هذه المعلومات نفسية أو عسكرية، تتعلق بالحالة النفسية للأشخاص و الجماعات و تُعرّف بالتقلبات التي تطرأ على روحهم المعنوية و نقاط الضعف فيها. و هو أيضا في حاجة إلى هذه المعلومات لتوجيه و تصحيح دعايته و تنظيم دعايته المضادة. و هو أيضا في حاجة إلى هذه المعلومات لمعرفة مدى فعالية و نقائص دعايته و مدى فعالية و نقائص دعاية الخصم»³.

و من هنا تظهر أهمية دور الاستعلامات النفسية في نجاح أي نشاط نفسي، لأنها تمده بجميع المعلومات المتعلقة بالخصم، سواء كانت هذه المعلومات نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية. و تُظهر نقاط الضعف فيه، و تحدد التقنيات الدعائية الكفيلة بالاستغلال النفسي لها. و بقدر ما كانت هذه المعلومات كثيرة و متنوعة و دقيقة و مستقاة في الوقت المناسب كان ذلك أدعى لأن يحقق النشاط النفسي أعلى قدر له من النجاح»⁴.

التنسيق بين المكتب الثاني و هيئات النشاط النفسي و الحرب النفسية تم تجسيده منذ بداية الحرب. ففي عهد المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العاشرة، كان بهذا المكتب قسم للتوثيق و الاستعلامات يتوفر على ضابط منتدب على الدوام لدى المكتب الثاني لتحقيق التنسيق و الاتصال معه. و بعد إنشاء المكتب الخامس

¹ - SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle..., op. cit, p. 13

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Note de service, Recherche et exploitation du renseignement psychologique, 20 mai 1959.

³ - SHAT, 1H 1113/1, Memento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe n° VII

⁴ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., op. cit, p.8

على أنقاض المكتب الأخير، أصبح للمكتب الخامس قسم للدراسات، به قسم فرعي لـ " الاستعلامات و الصحافة "، من مهامه التنسيق مع المكتب الثاني للحصول على المعلومات النفسية كما رأينا ذلك في السابق. بحلول منتصف سنة 1959 كانت العلاقة بين المكتبين قد ازدادت توثقا بسبب ازدياد طلب المكتب الخامس على المعلومات اللازمة لنشاطه، فاستدعى الأمر إحداث قسم لـ " الاستعلامات النفسية " بالمكتب الثاني للاستجابة للاحتياجات المتزايدة للمكتب الخامس في مجال المعلومات. حيث أسند لهذا القسم المهام التالية:

- 1- تنظيم الأبحاث المتعلقة بالاستعلامات النفسية و تجميع و استغلال المعلومات في الميدانين التاليين:
 - الجماهير الجزائرية المسلمة، بنياتها العرقية و الاجتماعية و المهنية و السياسية، حالتها النفسية و ردود فعلها على الأنشطة الدعائية - النفسية لفرنسا.
 - التنظيم الثوري (الخلايا الثورية و المجموعات المسلحة) داخل الحدود و خارجها، و الحالة النفسية و المعنوية للثوار، الخلافات و التناقضات الداخلية، و الدعم الذي تتلقاه الثورة من الخارج.
- 2- دراسة الحملات النفسية للثورة و دراسة مواضيعها و نتائجها.
- 3- مراقبة نتائج عمليات النشاط النفسي و الحرب النفسية للجيش الفرنسي.
- 4- المشاركة في أشغال اللجنة المختلطة للحرب النفسية بين الجيش و السلطات المدنية¹.

بعد إنشاء هذا القسم أصبح المكتب الخامس بإمكانه تقديم كل طلباته من المعلومات إلى المكتب الثاني، الذي يتولى إدراجها في مخططه للبحث عن المعلومات. و بالإضافة إلى ذلك، أصبح بإمكان المكتب الخامس الاستفادة من أرصدة المكتب الثاني للمعلومات المصنفة و رصيده للجذاذات (Fichier) المتعلق بالأشخاص. و استفادته أيضا من دراسات تحليلية و نقدية ينجزها المكتب الثاني على ضوء كم هائل من المعلومات ليسلمها بعد ذلك إلى المكتب الخامس لاستغلال نتائجها في نشاطه².

علما أن المكتبين الثاني و الخامس يمكنهما التنسيق لتحقيق استغلال مشترك لبعض المعلومات و تنفيذ عدد من العمليات العسكرية " المضادة للجوسسة " بهدف اختراق الثورة و ضربها من الداخل³، كما سنرى ذلك في الفصل الخامس. حيث كان المكتب الثاني يستعين في ذلك بمصلحته لـ " الاستعلامات و نشاط

¹ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note de service, n° 2956/ EMI/2/ EG, Recherche et exploitation du renseignement psychologique, Alger, le 20 mai 1959, annexe I.

² - SHAT, 1H 2403/d.1, Note de service, n° 2956/ EMI/2/ EG, Recherche et exploitation du renseignement psychologique, Alger, le 20 mai 1959, annexe II.

³ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., Recherche de renseignement psychologique- Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.

الحماية " (R.A.P.)¹ و بذراعها المسلح "مفرزة العمليات و الحماية " (D.O.P)² ذوي الشهرة البائسة في التعذيب و القتل³.

الحديث عن المكتب الثاني يجرنا بدوره إلى الحديث عن ضابط الاستعلامات، رأس الحربة بهذا المكتب، الذي تتوقف على نشاطه جميع الأنشطة العسكرية الأخرى. ففي غياب معلومات وافرة و دقيقة تستحيل العمليات العسكرية إلى مضيعة للجهد و الوقت مما يؤثر سلبا على معنويات الجنود. لذلك و جب أن يكون له من قرون الاستشعار للحصول على المعلومات ما يجنب جيشه إهدار طاقاته في عمليات لا طائلة منها. أما في مجال النشاط النفسي و الحرب النفسية، فيتوجب على هذا الضابط أن « يكون باستمرار مزودا بوثائق جديدة يتم غنمها من الثوار. و أن يكون مشبعا بعقلية الخصم، لدرجة تمكنه من معرفة نقاط ضعفه، و حدس مخاوفه و شكوكه و تردده. كما يتوجب عليه أن تكون له مخيلة إبداعية بناءة؛ و أن يكون متمرسا على الاستغلال المنهجي للمعلومات»⁴. و بتعبير آخر: « يتوجب على ضابط الاستعلامات أن يكون أحسن ضابط في الكتبية، إذ عليه تتوقف فعالية نشاط الكتبية و معنويات الجنود و معهم معنويات الأهالي المسلمين. و لأجل ذلك كان ضابط جيد واحد للاستعلامات يعدل في قيمته كل أنشطة الحرب النفسية في العالم»⁵.

تتمثل مهمة ضابط الاستعلامات في تزويد الهيئات المعنية بشيئين إثنيين: أولا تزويدها بوثائق أساسية غزيرة و متنوعة حول الخصم و السكان و حول الامكانيات المتاحة للقيادة في ميدان الحرب النفسية؛ و ثانيا تقديم معلومات هامة تقبل الاستغلال بسرعة. و في هذا المجال، لا يُكتفى في عمل ضابط الاستعلامات، للحصول على معلومات خاصة بجماهير معينة أو وسط إنساني معين، على مجرد جمع شهادات متفرقة هنا و هناك، ليس لها ما يؤلف بينها سوى ظرف مكاني أو زماني ضيق. إن على ضابط الاستعلامات أن ينشد في عمله البحث عن المعلومات المتعلقة بالجماهير، سالكا في بحثه منهجا واضح الاتجاه، وفق مخطط للبحث عن المعلومات النفسية قد تم ضبطه سلفا⁶.

يعتمد ضابط الاستعلامات في بحثه عن المعلومات على شبكات استخباراتية مختلفة تم نسجها بين السكان الجزائريين، و غالبا ما استعمل في نسجها مخبرون و وشاة جزائريون، تم استغلالهم و تجنيدهم بمختلف الأساليب الملتوية و التهديد. كما كان يتم انتقاء عناصر أخرى تتمتع بالذكاء و الولاء و تتوفر على استعدادات معينة، يتم إرسالها إلى بعض المراكز العسكرية للحصول على تربص سري قصير، تُدرّب خلاله على بعض أساليب تحرير المعلومات و طرق إرسالها. ليتم بعد ذلك زرع هذه العناصر في وسطها السكاني و منحها عملا قارا بأماكن التجمّع العام كالمكاتب الإدارية و المصانع و الورشات بما يضمن لها مصدرا

¹ - R. A. P : Renseignement Action Protection.

² - D.O.P : Détachements Opérationnels de Protection.

³ - Voir, Pierre VIDAL NAQUET, Les crimes de l'armée française, Petite collection Maspero, Paris, F. Maspero, 197, pp. 115- 118.

⁴ - Cité in, Paul Villatoux, L'Armée française et la guerre psychologique en Indochine..., Op. cit, p. 69.

⁵ - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, 50.CB, janvier- février 1959, p.8.

⁶ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., Recherche de renseignement psychologique- Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.

منتظما للرزق و يُمكنها من الحصول على المعلومات¹. و كلما كان هؤلاء الوشاة و المخبرون "محروفين" (Brûlés)-أي مُدانين- من طرف الثورة كان ذلك أَدعى إلى حسن ولائهم و جودة أخبارهم².

تتميز "المعلومة أو الخبر النفسي"، عن غيرها من الأخبار و المعلومات العسكرية بكونها معلومة « لا تتعلق بالأشخاص و لكن تتعلق بالجماعات و الجماهير و الوسط الذي تعيش فيه »³. كما تتميز أيضا بكونها خبرا « يُعرّف بالحالة النفسية للأشخاص و بالأخص الحالة النفسية للجماعات الصديقة و العدوّة، بهدف التأثير عليها و الولوج وسطها »⁴. و هو ما يجعل المعلومة النفسية تختلف جوهريا عن غيرها من المعلومات الأخرى كمعلومة العمليات العسكرية و البوليسية. فالمعلومة النفسية تتميز بكونها معلومة تفيد مجموعة من المعطيات الدالة على الحالة النفسية للخصم و التي يمكن استغلالها نفسيا ضده للنيل من معنوياته⁵. فمثلا خبر وجود مجموعة مسلحة من الثوار بإحدى القرى هو معلومة عسكرية يمكن استغلالها استغلالا عملياتيا، بتنفيذ عملية عسكرية ميدانية لتطويق الثوار بعين المكان. في حين أن ورود خبر بوجود تدمير أو خلافات في صفوف الثوار، أو وجود خلافات بين هؤلاء و بين السكان، هو معلومة نفسية يمكن استغلالها بتدشين حملة نفسية تستهدف تعميق حالة التذمر و الخلاف بين الثوار أنفسهم و بينهم و بين السكان، ثم استغلال نتائج كل ذلك. و لأجل هذه الخصوصية التي تتمتع بها المعلومة النفسية عن غيرها من المعلومات الأخرى قام المكتب الخامس، و من قبله المكتب النفسي الإقليمي، بضبط قوائم - مخططات للبحث- ترصد جميع المحاور و المواضيع التي يطلب من ضباط الاستعلامات و ضباط النشاط النفسي للجيش الفرنسي الاهتمام بالبحث عنها و الحصول عليها لتغذية و توجيه الحرب النفسية الفرنسية ضد الثورة⁶.

إن إلقاء نظرة خاطفة على مخطط البحث عن المعلومات التي يمكن استخدامها في النشاط النفسي، و هو المخطط الملحق بدليل ضباط النشاط النفسي بالجزائر⁷، كفيل بإعطاء نظرة وافية و دقيقة عن طبيعة المعلومات المطلوبة في هذا المجال، و التي تكاد تشمل جميع الميادين العسكرية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للثورة و السكان الجزائريين.

يتوقف تعدد مصادر الحصول على المعلومات النفسية و تنوعها إلى درجة كبيرة على ما لدى ضباط الاستعلامات من قدرة لتحويل الإمكانيات المتاحة له إلى مصادر حقيقية للمعلومات. فالمعلومة النفسية هي

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Instruction pour l'emploi des forces armées dans la lutte contre la subversion, p.25.

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, 50.CB, janvier- février 1959, p.9.

³ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., Recherche de renseignement psychologique- Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, p. 20.

⁵ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., op. cit, p.9 ; SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., objet : recherche du renseignement psychologique - Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.

⁶ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe VII ; SHAT, 1H 2408, Plan de recherche de renseignement pour l'action psychologique, Alger, 11 juillet 1956, 5p.

⁷ - أنظر: الملحق رقم : 10.

بنت الملاحظة القوية و الذكاء الناقد اللذين لا غنى لهما عن مَحْيَلَة خصبة تجيد التأويل و الحدس و التأليف بين الأطراف المتفرقة للمعلومات النفسية لإعادة بنائها و جعلها قابلة للاستغلال.

تخضع المعلومات المستقاة من المصادر المختلفة إلى معالجة دقيقة، تبدأ أولاً بتقييدها في سجل الاستعلامات ثم تصنيفها، حسب موضوعها، في التصنيف العام. بعد ذلك تبدأ عملية التقييم و التأويل، أي تحليل المعلومة بتحديد قيمتها العملية و معرفة مدى صحتها بالنسبة للمعلومات الأخرى المعروفة، و كذا الامكانات التي تمنحها لتحقيق استغلال نفسي لها. هذا التحليل يُمكن القيادة من الإطلاع و في حينه على كل ما قد يجد أو يطرأ على معنويات الثورة و السكان من تحسّن أو تدهور، و الذي على ضوءه يتم اتخاذ القرار المناسب لإعطاء الحرب النفسية وجهتها الحقيقية¹.

هناك عدة مصادر كان يتم الاعتماد عليها في الحصول على المعلومة النفسية. فبالنسبة للمعلومات المتعلقة بالأهالي الجزائريين، كان المكتب الثاني ينطلق في معارفه المتعلقة بهم من الدراسات و الأبحاث المنجزة حولهم في مختلف الميادين النفسية و الثقافية و الدينية و بالأخص الأنثروبولوجية، ثم غيرها من الأبحاث و الدراسات الأخرى السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، التي تحدد المعالم و الخطوط العريضة لنفسية السكان الأهالي و طبائعهم و أمزجتهم التي جبلوا عليها، و التي يمكن على ضوءها التنبؤ برد فعلهم العام، الذي يمكن توقعه منهم في حالات و مواقف معيّنة. هذه المعلومات لم يكن يكتفى بها و لا التسليم بها مطلقاً، بل كان يتم تمحيصها و اختبارها باستمرار لتصحيحها و استكمالها من خلال احتكاك يومي بهؤلاء السكان للكشف عن معنوياتهم و مراقبة حالتهم النفسية. مستندين في ذلك إلى عدد من المؤشرات التي كان يتم رصدها و تقييدها بكل عناية. هذه المؤشرات قد لا تزيد في غالب الأحيان على مراقبة و رصد ردود فعل عفوية للسكان على هذا الحادث أو ذاك، أو تعليقهم على خبر من الأخبار أو تناوهم لشائعة من الشائعات، بل حتى سكوتهم و تظاهرهم بعدم الاكتراث لم يكن ليسلم من التقييد و التأويل بشكل من الأشكال. كما كان يعتمد أيضاً على قراءة و استنتاج صحافة هؤلاء السكان التي كانت و لا شك تعبر عن اتجاهات للرأي سائدة فيهم، يمكن قياس ثقلها وفقاً لمعدلات توزيع كل صحيفة و مدى إقبال الناس على هذه الصحيفة أو تلك. كما كان يتم تلمّس الحالة النفسية للسكان و معرفة الآراء السائدة بينهم من خلال تتبع أحاديثهم و مناقشتهم في المقاهي و الأسواق و الحمامات وغيرها من أماكن التجمع العام، و معرفة المحطات الإذاعية التي يجذبون الاستماع إليها. كما كان يجري أيضاً مراقبة البريد و قراءة الرسائل و جس نبض النخبة المتعلمة بالفرنسية و العربية بالدخول معها في أحاديث عابرة للتبادل و النقاش لمعرفة آرائها و ردود فعلها على مختلف الأحداث².

أما بالنسبة للبحث عن معلومات الحرب النفسية المتعلقة بالثوار، فقد كان يعتمد في جمعها على طرق و وسائل شتى. فبالنسبة للثورة في الخارج فقد كان يعتمد، بالإضافة إلى طرق التجسس المختلفة، على تحليل مضمون دعايتها المتمثلة في جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني، و إذاعة " صوت العرب "

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., op. cit, p.10 ; SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 28.

² - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, p. 29.

من القاهرة و " صوت الجزائر الحرة المكافحة " من طنجة و تونس. تحليل مضمون دعاية الثورة كان يتم وفق منهج خاص يتولى دراستها كما و كيفا، شكلا و مضمونا، حيث يكون الهدف من قراءة و تحليل مضمون هذين المصدرين للدعاية هو معرفة و استخلاص المحاور العامة لدعاية الثورة و الوقوف على خصائصها، و أسسها و نواياها، و حججها و شعاراتها، و نقاط قوتها و ضعفها، ليتم على ضوء ذلك ضبط مخطط للدعاية الفرنسية للرد عليها، سواء بمهاجمتها أو تحويرها و إعادة استخدامها ضد الثورة¹.

أما بالنسبة للبحث عن المعلومات النفسية المتعلقة بالثورة في الداخل فقد كان يعتمد في ذلك في المقام الأول على الوثائق الصادرة عن جيش التحرير الوطني نفسه. حيث كانت قوات الجيش الفرنسي تجتهد عند كل معركة أو اشتباك في غنم "حقيقية الوثائق" لوحدة جيش التحرير، و التي كانت غالبا ما تضم بين دفتيها تقارير و محاضر عن الأنشطة العسكرية و السياسية لتلك الوحدة. فقد كانت لجيش التحرير صورة مستحكمة عند الجيش الفرنسي بأنه غدا، متأثرا بهذا الأخير، "جيش وثائق و ورق" (une armée paperassière)²، فهو يدوّن كل أنشطته العسكرية مهما ضلّت، من معارك و هجومات و اشتباكات و كمائن، بما في ذلك أنشطته السياسية. و لأجل هذا السبب كان الجيش الفرنسي بعد كل معركة أو اشتباك ينقض على شهداء جيش التحرير لتجريدهم من كل وثيقة مكتوبة أو صورة قد تعينه على معرفة و تسليق التنظيم العسكري و السياسي للثورة بتلك المنطقة³. و هو ما دفع في نفس الوقت جنود جيش التحرير في العديد من المرات إلى التخلص من الوثائق التي بحوزتهم، بحرقها أو ببلعها، كي لا تقع غنيمة في يد الجيش الفرنسي.

أما المصدر الثاني للحصول على المعلومات فهي عمليات الاستجواب و الاستنطاق التي كانت تسلط على المشتبه فيهم و السجناء و الأسرى بمراكز الفرز (Centre de tri) ثم تصريحات و شهادات الملتحقين (les rallies). عمليات التحقيق و الاستنطاق كانت تتم فور إلقاء القبض على هؤلاء، و كان يؤديها بكل عناية جلادون مهرة، متمرسون على جميع أشكال التعذيب الجسدي و النفسي، يشاركون في ذلك ضباط الاستعلامات، الذين يقومون بتسجيل كل شاردة و واردة تصدر عن هؤلاء الأشخاص المستجوبين، دون إهمال أي تفصيل و إن دقّ، امثالاً في ذلك لتعليمات الجنرال سالان بتاريخ 11 مارس 1957، التي جاء فيها: « إذن يقتضي أن يتم استجواب السجناء بعناية فائقة. و أن يتم تسجيل كل التفاصيل و الدقائق التي تصدر عنهم و إن بدت، لأول وهلة، غير ذات أهمية، مع الحرص على استغلالها للتو. فبمثل هذا العمل أمكن في العديد من المناطق تتبع العديد من الشبكات و وضع حد لعناصرها»⁴.

و لتسهيل عمل ضباط التحقيق و الاستعلامات للحصول على المعلومات النفسية، كان يتم تزويدهم بقوائم تتضمن أسئلة محددة، يُطلب منهم طرحها على السجناء و الملتحقين للحصول على أجوبة معيّنة يتم

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Note sur l'étude de propagande radio, 4 p.

² - Cdt Azzedine, les fellagas, Alger, ENAG, 1997, p. 256

³ - المرجع السابق، نفسه.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, Interrogatoires de suspects, note de service n° 1328/EM/10/2/RIDO, Alger, 11 mars 1957 ; SHAT, 1H 2536/d.1, Directives concernant l'interrogatoire des suspects et l'exploitation des renseignements recueillis, annexe n° IX à l'instruction n° 566/ZOA/3/TS du 19.3.1957.

على ضوءها توجيه أنشطة الحرب النفسية ضد الثوار¹. كما كان يتم تزويدهم أيضا بأداة عمل هامة تتمثل في كتيّب صغير، بمثابة معجم للمصطلحات العسكرية المستعملة من قبل جيش التحرير، يساعدهم على فهم و ترجمة إجابات السجناء و الملتحقين².

خلال هذه الاستجابات، و بالرغم من أن التعذيب الجسدي كان قاعدتها العامة سلوكا و ممارسة، لنا أن نتوقع لجوء ضباط التحقيق إلى استخدام أنواع أخرى من الاستنطاق، هي في مجملها حيل مراوغة و خداع نفسي، للعب بمعنويات الأشخاص المستجوبين، مستغلين في ذلك تدهور حالتهم النفسية و تدهور معنوياتهم بسبب الخوف من التعذيب. من ذلك مثلا تخصيص بعض السجناء بمعاملة تفضيلية لإظهارهم في عيون رفقاتهم بمظهر " الخونة " المتعاونين مع ضباط التحقيق. و من ذلك أيضا قيام ضباط التحقيق بمبادرة الشخص موضوع الاستجواب بشيء من الكلام اللين قائلين له: " نحن نعرفك و نعرف عائلتك و نعرف الدوار الذي ولدت فيه. عائلتك عائلة مسالمة و نحن لا نعرف ما الذي أوقع بك في طريق الخطأ. لا شك أنك بريء و أنك مجرد مُغرّر به أجبر مرغما على السير في الطريق الخطأ. على كل حال فإن الثورة قد قضى عليها و مآلها الهزيمة. و الظروف و الأوضاع التي كانت سائدة في سنة 1954 و دفعت إلى الثورة قد تغيرت و لا وجود لها الآن. فاليوم يتعاون الجميع من أبناء الجزائر على بناء جزائر فرنسية جديدة و مزدهرة، و التي لن تقصي أيا من أبنائها. نحن نريد أن نساعدك على العودة إلى بيتك و عائلتك، فذلك ممكن و الأمر يتوقف عليك... ". إلى غير ذلك من ضروب المراوغة³.

و من بين الحيل الأخرى التي مارسها الفرنسيون، مقتفين في ذلك تجربة المصالح الاستخباراتية الألمانية الخاصة خلال الحرب، هو تركيزهم خلال عمليات الاستنطاق على طرح أسئلة ثانوية في الأهمية لإيهام الشخص المستجوب بأن جلاديه يتوفرون على الإجابات اللازمة لأسئلتهم الرئيسية. و أن طرحهم لهذه الأسئلة الثانوية ما هو إلا تحصيل حاصل للحصول على بعض الدقائق و التفاصيل استكمالا لجوانب أخرى من التحقيق، فيعتقد الشخص المستجوب بأن رفقاءه قد باحوا بكل ما لديهم، و أن من مصلحته التعاون مع جلاديه لتأمين النجاة لنفسه إذ أن الصمت لم يعد يفيد، فيبدأ عندئذ تحت تأثير الخوف في سرد دقائق و تفاصيل غاية في الدقة للدلالة على حسن نيته و تعاونه⁴. كما كانوا يقومون أيضا بإخبار الأشخاص المستجوبين بمعلومات مسهبة عنهم خلال فترة مكثهم بالجنال. كذكر التنظيم الذي انتموا إليه و ذكر عدد من أفرادهم. و ذكر المضاعب التي كانوا يواجهونها و الخلافات التي كانوا يعانون منها، إلى غير ذلك من التفاصيل الأخرى التي كانوا يعرضونها في غاية من الدقة، مدعمة في بعض الأحيان بشواهد و صور حقيقية أو ملفقة، لإيهام الأشخاص المستجوبين و إيهامهم بأن ضباط التحقيق على علم بكل شيء، بما في ذلك

¹ - أنظر الملحق رقم: 11.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Lexique français- arabe du vocabulaire militaire utilisé par les rebelles, Alger, le 15 mai 1957, 18 p.

³ - عن مثل هذه الحيل و المراوغات يمكن العودة و بحذر شديد إلى كتاب العقيد هنري جاكان " الحرب السرية في الجزائر " السالف الذكر لأن المؤلف تولى رئاسة المكتب لفترة من الفترات.

⁴ - SHAT, 1H 2411/d.1, Comment obtenir des renseignements d'un prisonnier de guerre, 11p.

أدق تفاصيل حياتهم الخاصة¹. فيقع هؤلاء الأشخاص تحت وقع الدهشة و يعتقدون الخيانة، و يتوهمون بأنهم " بيعوا " من قبل رفقاتهم المسجونين، الذين اعترفوا بكل شيء. و أن مصلحتهم الآن تتمثل في التعاون مع ضباط التحقيق لتأمين النجاة لأنفسهم، إذ أن الإنكار لم يعد يفيد².

المصدر الثالث من المصادر الخصبية الأخرى لتزويد الجيش الفرنسي بالمعلومات، وبالأخص المعلومة النفسية، كان يتمثل في الملتحقين (les rallies)، الذين انقلبوا لسبب من الأسباب ضد الثورة - كما سنرى ذلك في الفصل الخامس- ففروا من جيش التحرير و التحقوا بالجيش الفرنسي. فهؤلاء، في سعيهم للحصول على " الأمان " من السلطات الفرنسية، يبادرون من تلقاء أنفسهم إلى تقديم كل دلائل الولاء و حسن النية الدالة على صدق الالتحاق و رفضهم للثورة. و هي الدلائل التي يكونون من المفترض، أنهم قد قدموا لها، قبل التحاقهم، بتصفية عدد من رفقاتهم في الجبل و تسليم أسلحتهم إلى الجيش الفرنسي. ليقوموا بعدها بالتعاون الكامل مع ضباط التحقيق و الإجابة بعفوية عن كل ما يطرحونه لهم من أسئلة. مما مكن هؤلاء الضباط من كم هائل من المعلومات كانوا يقومون باستغلالها للتو. كما كانوا يقومون أيضا بإعادة استغلال هؤلاء الملتحقين، في ضرب الثورة، كشكل آخر من أشكال الحرب النفسية.

إن الإستجواب الذي تعرض له الملتحق م. م. بتاريخ 27 فيفري 1957 بعد التحاقه بالجيش الفرنسي في بلدة مورست (Morsott) - شمال مدينة تبسة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية - هو عينة جيدة على طبيعة المعلومات النفسية و العملية التي كان يبحث عنها ضباط الاستعلامات. و هو عينة جيدة أيضا تظهر بجلاء ما يمكن أن يتحصل عليه هؤلاء من معلومات ثمينة و غزيرة من الملتحقين حول معنويات الثوار و السكان، و عن علاقة الثوار فيما بينهم و فيما بينهم و بين السكان. و كذلك الخلافات الموجودة و نقاط الضعف و نقاط القوة. ثم مدى تأثير الدعاية الفرنسية على الطرفين، بما في ذلك الحصول على اقتراحات لتحسين محتواها و وسائلها³.

علما أن الجيش الفرنسي، في مسعاه للاستعلام حول الثورة، كان يلجأ أيضا إلى تنظيم حملات نفسية بين السكان الأهالي لدعوتهم إلى إبلاغ السلطات عن كل ما يعرفونه عن الثوار. فالسكان هم قاعدة الثورة في كل شيء، و عليهم تتوقف قوتها و استمراريتها. و بما أن الثوار يعيشون بينهم كما تعيش السمكة في الماء فهذا يعني حتما أن السكان على اتصال دائم بهم. فهم لا شك يعرفون المحافظ السياسي الذي يقوم بالدعاية فيهم؛ و هم لا شك يعرفون أعضاء الخلايا الثورية، من أعوان لجمع الاشتراكات و أعوان للبريد و الاتصال و التموين. و هم يتكون أيضا بالوحدات المسلحة و يعرفون مراكزها و مخابئها و قواعدها الخلفية، بل و يعرفون أيضا المسؤولين من مختلف الرتب⁴. و بناء على ما سبق، عمد الجيش الفرنسي إلى استنطاق السكان، مستعملا في ذلك وسائل اللين و الشدة لبيوحوا له بما يعرفون. و في هذا الإطار كانت تدرج تلك

¹ - Cdt Azzedine, les fellagas, op. cit., p. 256- 257

² - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, Paris, Pygmalion Gérard Walet, 1984, p. 214

³ - SHAT, 1H 2581/d.1, Annexe I, Déclarations du nommé Massali Madani, rebelle rallié à Morsott (Zone Est Constantinois), interrogatoire fait le 27.2.1957, 4p ; Note de service n° 612/EM.10/BP/Ph, Alger, 16.11.56, 4p - أنظر الملحق رقم : 12.

⁴ - C.A.N., G.P.R.A., Boîte n° 5, dossier 5.14.1, Rapport sur la situation militaire, (1959 ?), p. 57- 58.

الحملة التي نظمتها السلطات الفرنسية تحت عنوان " أعلمونا " (Renseignez-nous) بتاريخ 15 أوت 1957. و هي الحملة التي استمرت لأزيد من شهرين، و حددت لها أهداف ثلاثة، يتم بلوغها على مدى ثلاث مراحل، بمعدل هدف لكل مرحلة. حيث يتمثل هدف المرحلة الأولى في إرساء حالة نفسية لدى السكان تشجعهم على التعاون مع السلطات لإخطارها بكل ما يعرفونه عن تحركات الثوار؛ و في حين يتمثل هدف المرحلة الثانية في خلق شعور بالخوف لديهم من تهمة الإدانة بالتواطؤ في حالة عدم الإبلاغ عن الثوار؛ فإن هدف المرحلة الثالثة يتمثل في إقرار حالة من التوجس و عدم الاطمئنان لدى الثوار، مصدرها الخوف من قيام الأهالي بالوشاية بهم¹.

بعض مصادر الثورة، المطبوعة منها و الأرشيفية، بالإضافة إلى بعض الوقائع الأخرى التي حدثت خلال الحرب، تدل على أن مساعي المكتب الثاني للاستعلام حول الثورة لم يكن مألها كلية الفشل و أن حظها من النجاح كان لا يستهان به، و ذلك باعتراف مصادر عن الثورة نفسها. المجاهد رابح زراري، المعروف بالرائد عز الدين، يقدر بأنه كانت للجيش الفرنسي، بنهاية سنة 1958، نظرة عن جيش التحرير في مجملها صحيحة وإن كانت غير مكتملة². هذه الشهادة تدعمها المصادر الأرشيفية للثورة، التي، بعد أن عدت المصادر المختلفة للمكتب الثاني للحصول على المعلومات، نجدها تقيّم نتائج جهوده كالأتي: « إن تنوع مصادر الاستعلامات للجيش الفرنسي و تعدد الوسائل التي وظفها للاستعلام حول تنظيمنا الثوري تدعو إلى الاعتقاد بأن النتائج التي توصل إليها هي على غاية من الأهمية. و بالفعل، فقد تمكن الجيش الفرنسي، بفضل المعلومات التي استقها، من تطويق العديد من وحدات جيش التحرير و تفكيك العديد من الخلايا الثورية. و بفضل هذه المصادر الاستعلاماتية (و بالأخص الوثائق المحتجزة) استطاع الجيش الفرنسي أن يتعرف و بدقة على التقسيم العسكري و المدني للولايات إلى مناطق و نواح، و المعرفة الدقيقة أيضا لوحداتنا، أي لنقاط تركزها و تعداد رجالها و أسلحتها. و هو يعرف هوية كل المسؤولين بهذه الوحدات، من العقيد إلى قائد الفوج مروراً بالرائد و النقيب و قائد الكتيبة، إلى غير ذلك... و هو ما يجعلنا نؤكد بأن للعدو رغبة و إرادة لا تكل لمعرفة كل شيء عنا و هو في سبيل ذلك لا يدخر أي جهدٍ يوصله إلى مبتغاه »³.

بنهاية سنة 1961، كانت الاستعلامات النفسية موضوع أربع نشرات دورية، يصدر بعضها عن المكتب الثاني و يصدر بعضها الآخر عن المكتب الثالث⁴. في هذه الأثناء كانت الحرب النفسية قد فقدت كثيرا من حظوتها لدى السلطين المدنية و العسكرية، خاصة بعد حل المكتب الخامس في فيفري 1960 و توزيع المهام الموكلة إليه على المكاتب الأخرى. فأصبح كثير من الضباط السامين لا يرون في نشاط الاستعلامات النفسية سوى مجرد عملية تكديس للورق لا غير و يتشككون في نفس الوقت من جدوى ذلك كله. رسالة قائد الناحية العسكرية للجزائر الوسط، الجنرال دو منديت (Général de Menditte) و الموجهة إلى القائد العام للجيش

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Compagne " Renseignez-nous ", note de service n° 3778/EM.10/PSY/GP, Alger, le 4 Août 1957, 6 p.

² - Cdt Azzedine, p. 257.

³ - C.A.N., G.P.R.A., Boîte n° 5, dossier 5.14.1, Rapport sur la situation militaire, (1959 ?), p. 59- 60.

⁴ - SHAT, 1H 2578/d.1, Bulletin quotidien de renseignement psychologique.

الفرنسي بالجزائر لا تخلو من دلالة في ذلك. حيث جاء فيها: « إنني متشكك كثيرا في جدوى كل هذه الأوراق. فالكل أصبح يقوم بإجراء عمليات استطلاع و سر للأراء: ففي حين يعطي الدرك و الأمن العسكري و بعض المصادر الأخرى معلومات موضوعية، فإن معلومات مصادر أخرى هي في المقابل فرصة لمحربها لإدخال ذاتيتهم في تقدير الأوضاع. لتكون وثائقهم في النهاية مجرد صدى لأراء البعض »¹.

المطلب الثالث : دعائم القسم الثالث

أما القسم الثالث من الدعائم فتمثله هيئات أسند لها، إلى جانب مهامها الأصلية، القيام بنشاط نفسي على السكان يكمل نشاط المكتب الخامس و يتوافق و مهامها الأصلية التي أنشئت من أجلها. حيث يمكن أن نذكر من بين هاته الهيئات أو هاته الدعائم : القسمات الإدارية المختصة (S.A.S.) و الهيئات التابعة لها مثل الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة (E.M.S.I.) و فرق المساعدة الاجتماعية المجانية (A.M.G.)² ؛ بالإضافة إلى القسمات الإدارية المدنية (S.A.U.)³ و المراكز الاجتماعية و الوحدات العسكرية المتمركزة و المتوقفة. و سنقتصر هنا فقط على تناول الدعامة الأولى بشيء من التوسع و التفصيل

القسمات الإدارية المختصة (S.A.S.)

أنشئت القسمات الإدارية المختصة - لاصاص (Section Administrative Spécialisée) في شهر سبتمبر من سنة 1955 بهدف سد العجز و تدارك النقص الفادح و المسجل في ميدان إدارة الأهالي. ذلك أنه عند قيام الفرنسيين بالبحث في الأسباب التي دفعت بالجزائريين إلى الثورة، سجل هؤلاء أن من بين الأسباب هو غياب شبه كامل للإدارة الفرنسية بمناطق شاسعة من القطر الجزائري، يقابله سوء تسيير و عجز إداريان في مناطق أخرى. و هو ما أدى - برأيهم - إلى انكفاء الأهالي على أنفسهم و ابتعادهم عن الإدارة الفرنسية و زهدهم فيها لأنها لا تصغي إلى مشاكلهم اليومية لتقوم بحلها. فكانت هناك جماهير عريضة من الأهالي تجهل كل شيء عن هذه الإدارة و تعيش على هامش الحياة العامة. و هو ما أدى بدوره إلى تراخي العلاقة بين هؤلاء و الإدارة ثم انقطاعها، مما حال دون تمكن هذه الأخيرة، أي الإدارة و في الوقت المناسب، من التفطن إلى التحولات العميقة الحاصلة في عقليتهم و التدخل في الوقت المناسب للحيلولة دون اندلاع الثورة. لذلك، و بهدف تدارك هذا العجز الحاصل في إدارة الأهالي و إعادة بعث الاتصال معهم و تجريد الثورة من أهم دعائمها - الشعب، عمد الحاكم العام جاك سوستيل في شهر ماي من سنة 1955 إلى تقديم طلب للإدارة المغربية لتزويده بعدد من ضباط الشؤون الأهلية العاملين بالريف المغربي، من الذين ألفوا العمل بين القبائل البربرية و نجحوا في إدارة شؤونها. أما الهدف من ذلك فيتمثل في مد الإدارة الفرنسية إلى هذه المناطق النائية و القيام بتجربة مماثلة بين قبائل الشاوية، المتواجدة بالأوراس، مهد الثورة، لكسبها في مرحلة أولى إلى صف فرنسا و دفعها في مرحلة ثانية إلى تنظيم دفاعها الذاتي ضد الثوار. حيث تم وضع هؤلاء الضباط، معززين بعدد

¹ - SHAT, 1H 2403/d.1, Lettre du Général de Division de Menditte au général commandant supérieur des forces, Alger, le 29 octobre 1961.

² - A.M.G., Assistance Médicale Gratuite

³ - S.A.U., Section Administrative Urbaine.

آخر من ضباط الشؤون الصحراوية الذين استقدموا من آقاليم الجنوب، تحت إمرة الجنرال فاستون بارلانج¹ (Gaston Parlange)، الذي قام بزرعهم في قلب المناطق الساخنة للأوراس. ليقوم هؤلاء بمجرد حلولهم بمراكز تعيينهم، بالشروع في بناء البرج أو المركز، مقر القسمة الإدارية المختصة- لصاص، علامة على الحضور الفرنسي بالمنطقة، ثم تدشين عدد من المشاريع ذات الأهمية المزدوجة لـ «حرب التهدة» و السكان. هذه المشاريع تتمثل في فتح عدد من المسالك لفك العزلة عن المنطقة و بناء عدد من المرافق الاجتماعية لصالح أبنائها، كالمدرسة و المصحّة و وكالة البريد و غيرها من المرافق الأخرى، التي تجدد حضور الإدارة الفرنسية بهذه المناطق و تجلب السكان إليها².

إن نجاح تجربة القسمة الإدارية المختصة و امتداد هيب الثورة إلى مناطق أخرى شاسعة قد أوعز إلى الحكومة الفرنسية بضرورة تعميم هذه القسمة على كامل التراب الجزائري، بما في ذلك عدد من الأحياء الفقيرة التي بدأت بالتشكّل، نتيجة النزوح الريفي، حول عدد من المدن الكبرى كالجزائر و وهران. فتم بنهاية 1956 إنشاء ست قسمة إدارية مدنية (S.A.U.)³ تجريبية بالأحياء المكتظة لمدينة الجزائر، لتقوم بتأدية نفس الدور المنوط بالقسمة الإدارية المختصة، أي " إعادة بعث العلاقات مع السكان و توجيه تطورهم الإنساني و الاجتماعي و المدني"⁴. و تبعاً لهذا التوسّع، تقرر في سبتمبر من سنة 1955 إحداث " مصلحة للشؤون الجزائرية" (Service des Affaires Algériennes) لتلبية احتياجات القسمة الجديدة المزمع إنشاؤها من العاملين. و ذلك بتكوين أعداد كافية من ضباط الشؤون الجزائرية، الذين كان يتم انتقاؤهم و اقتطاعهم من الوحدات العسكرية العاملة في الميدان. و بعد تربص قصير للحصول على تكوين إداري متخصص و شيء من المعارف الأخرى حول العربية و القبائلية معززة بمفاهيم أولية حول مجتمع السكان الأهالي، كان يُعهد إلي هؤلاء الضباط بالإشراف على إدارة و تسيير القسمة الجديدة التي كان يتم إنشاؤها بسرعة كبيرة جدا. حيث بلغ تعدادها بنهاية سنة 1956 ما يقارب الخمسمائة قسمة بعد أن كان عددها في الأول من جانفي من نفس السنة لا يزيد عن 180 قسمة⁵. ليتقرر لاحقا رفع عددها لأزيد من 630 قسمة، بما يعزز النسيج الإداري للجزائر و يمكن هذه الإدارة « من المتابعة الفعلية لتطور السكان و ترقية المبادئ العامة للجزائر الجديدة على أسس واقعية »⁶.

¹ - عُيّن الجنرال فاستون بارلانج بتاريخ 30 أبريل 1955 و وضع تحت السلطة المباشرة لوالي عمالة قسنطينة. كان مقر قيادته بباتنة، و كانت مهمته تتمثل في « توجيه و إدارة كل العمليات المدنية و العسكرية بمحدف إقرار و حفظ النظام » كما كان يدخل في مهمته الاهتمام

بالمسائل الاجتماعية و المدرسية في إطار «حرب التهدة». 71/42.

² - SHAT, 1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées et les Officiers des Affaires Algériennes, Alger, mai 1957, p.1 ; voir aussi, Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie, Mesures de pacification et réformes, Alger, Société Nationale des Entreprises de Presse, Octobre 1957, p. 33.

³ - S.A.U. : Sections Administratives Urbaines

⁴ - SHAT, 1H 2556/1, Instructions aux chefs de Sections Administratives Urbaines, Alger, 17.1.1957, 5p.

⁵ - Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie, Mesures de pacification et réformes, op. cit., p. 33- 34.

⁶ - SHAT, 1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées, Service de l'Information, 14.3.1957., p.1

مهام ضابط لاصاص

يضطلع ضابط الشؤون الجزائرية، رئيس القسمة الإدارية المختصة، بأربعة مهام رئيسية هي:

- 1- العمل في مرحلة أولى على إعادة بعث العلاقات و الاتصال مع عدد من العناصر " المقبولة" من بين السكان، مثل قدماء العسكريين و قدماء المحاربين، ليتم في مرحلة ثانية اتخاذهم مطية لبلوغ الفئات الباقية من السكان؛
- 2- التعرف على الاحتياجات المحلية لكل منطقة و تسجيل الملاحظات و المطالب و الاقتراحات، و رفع كل ذلك إلى السلطات العليا المعنية لدراستها و البث فيها؛
- 3- البحث عن المعلومات في مختلف الميادين العسكرية و الاجتماعية و الثقافية و غيرها واستغلالها وفق الأساليب المعينة لكل حالة؛
- 4- شن معركة نفسية لا هوادة فيها ضد الثوار لقلب المناخ اللا أمني الذي فرضوه و الحد من آثاره و شل أنشطتهم الثورية، بما يسمح باتخاذ عدد من الإجراءات تمهد لا حقا للعودة إلى حياة طبيعية

1.

تحقيق المهام أعلاه، يجعل من ضابط الشؤون الجزائرية، الذي هو رئيس القسمة الإدارية المختصة، القلب النابض و المحرك الرئيس لهذه الأخيرة، إذ هو المخطط و المنفذ لكل الأنشطة الإدارية و الاجتماعية.

ففي مجال إعادة بعث العلاقات مع السكان، يناط بضابط لصاص أخذ كل مبادرة تمكنه من التعرف على السكان الخاضعين لمسؤوليته؛ و أن يقيم علاقات متينة و دائمة مع كبيرهم و صغيرهم، عظيمهم و وضيعهم؛ و أن يتحسس مشاكلهم و انشغالاتهم و تطلعاتهم، و أن يعبر عن مصالحهم و يدافع عنها لدى السلطات الإدارية العليا؛ و أن يأخذ بحضوره الجسدي و المعنوي مكان رئيس القبيلة. كما يناط به، بما اجتمع في شخصه من سلطات و صلاحيات، حمايتهم من تعسفات الجيش خلال عمليات التمشيط و المطاردة للثوار. و أن أن يُوقر عنهم مشاق الإجراءات الإدارية و أن يجنبهم متاهاتها التي يستعصي عليهم فهم سير دواليبها. و أن لا يكل من الاستماع إلى "شكاياتهم" و ما أكثرها و أن يعمل على فصلها و تلبيتها؛ و أن يكون في ذلك كله قائدهم على درب الرقي الإداري و الاجتماعي، بما يُمكنه من كسبهم و الاستحواذ على قلوبهم.

أما في المجال الإداري فيضطلع ضابط لصاص بمهمة إحصاء السكان، أفرادا و عائلات، و فتح دفاتر بأسمائهم و أصولهم و مكان سكنهم و مراقبة حركتهم. و مد و توصيل الإدارة الفرنسية إلى الأقاليم، ليطلع نفوذها كل الأهالي؛ و تطبيق و إنجاح الإصلاح الإداري الذي قرره الحكومة الفرنسية؛ و تقديم المساعدة التقنية و الاستشارية في مجال الإدارة و التسيير للبلديات الموجودة؛ بالإضافة إلى وضع الأسس لأنوية إدارية جديدة - بلديات- يتم إنشاؤها في المستقبل. عمل ضابط لصاص في هذا الاتجاه يتمثل في بعث العلاقات مع "المنتخبين" المحليين - بما في ذلك المستقلين - و الأعيان و باقي السكان، الأغنياء منهم و البسطاء والعمل على إقناعهم و تحسيسهم بضرورة المشاركة في مختلف الإصلاحات و الإنجازات المقامة على أرضية منطقتهم؛ و الأخذ بيدهم لتمكينهم من " إدارة أنفسهم بأنفسهم " و ذلك من خلال « البحث بينهم على عدد من الشخصيات المحلية

¹ - SHAT, 1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées, Service de l'Information, 14.3.1957, p.2- 3.

التي يمكن أن تسند إليها بعض المسؤوليات الإدارية، لتحل في أقرب وقت ممكن مكان ضابط لصاص في التكفل بالشؤون البلدية. و في نفس الوقت يقوم ضابط لصاص بالعمل في سرية تامة على استقطاب نخبة جديدة و إقناعها بالتعاون لتشكيل إدارة محلية ديمقراطية. لبلوغ ذلك، يعقد ضابط لصاص اتصالات و مشاورات مع رؤساء العائلات الكبيرة. كما يقوم، و في سرية تامة، بإحاطة نفسه ببطانة من الأشخاص المخلصين، الذين يتم جمعهم في مجلس صغير، يتم تحويله، عندما تسمح الظروف، إلى مندوبية خاصة و رسمية للبلدية الجديدة¹. بعدها ينسحب ضابط لصاص لمواصلة مهام أخرى، مكنتها في علاقته مع البلدية الجديدة على توجيه و مراقبة مسؤوليها من بعيد و تقديم المساعدة الفنية و الاستشارية لهم².

أما في الميدان الاجتماعي فتتمثل مهمة ضابط لصاص في الأخذ بيد السكان لدى تقريبهم من المصالح الإدارية لتقديم الشكاوى و المطالبة بمختلف الحقوق و الاستفادة من مختلف الخدمات؛ موجها إياهم نحو المصالح المعنية و مساعدا لهم على تكوين الملفات الإدارية المطلوبة للحصول على حقوقهم. كما يضطلع بتقديم المعونات للعائلات المعوزة، و توزيع المساعدات على قدماء المحاربين؛ و توجيه العاطلين نحو أرباب العمل و مصالح التشغيل و المراكز المهنية. و فتح عدد من الورشات لتوفير عدد من مناصب الشغل بعين المكان؛ و دعم الصناعات الحرفية التقليدية و استحداث أخرى جديدة؛ و تحسين السكن الاجتماعي و الاهتمام بالمشاكل التي يطرحها النمو الديموغرافي و تربية و تكوين الشباب؛ بالإضافة إلى إنجاز بعض المنشآت و المرافق الاجتماعية الحيوية لصالح السكان بهدف تدارك العجز الفادح المسجل في مجال البنى التحتية الاجتماعية عند الأهالي، و تحسين مستواهم الحياتي و إدخال بعض الرفاهية عليه، بما يقضي على مسببات الثورة في مهدها³. لذلك كانت تهيئة المسالك و إنجاز المدارس و المستوصفات و وكالات البريد و غيرها من المرافق التي تحيط بمركز لصاص ما هي في حقيقتها إلا تطبيقا للشق الاجتماعي لـ «حرب التهدئة»، مثلما كان تطبيق الإصلاح الإداري و إنشاء المندوبيات الخاصة ما هو إلا تنفيذ للشق السياسي لنفس الحرب.

علما أن نشاط ضابط لصاص في الميدان الاجتماعي كانت تدعمه و تعززه أنشطة أخرى لثلاث هيئات ملحقة بالقسمة الإدارية المختصة، هي: النساء الملحقات بالشؤون الجزائرية (les Attachés Féminines des Affaires Algériennes)؛ و منشطو الشباب (les Moniteurs de Jeunesse)؛ و المنشطون المدرسيون⁴ (les Moniteurs d'Initiation Scolaire).

أما في مجال النشاط النفسي فإنه يتوجب على هذا الضابط، في إنجازته للمرافق أعلاه و تنفيذه للمهام المنوطة به، أن يعي دوره "الريادي" كجندي رائد في «حرب التهدئة»، يقاتل في الخطوط الأمامية لمعركة السيطرة على السكان. كما أن وجوده على خطوط التماس مع هؤلاء السكان، يرشحه لأن يكون، في منطقتة ذات العشرة آلاف ساكن، المنقذ الأمل لكل تعليمات المكتب الخامس في مجال النشاط النفسي

¹ - المصدر السابق، ص. 4.

² - Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie, Mesures de pacification et réformes, p. 34.

³ - SHAT, 1H 2556/1, Instructions aux chefs de Sections Administratives Urbaines, Alger, 17.1.1957, p.3- 4.

⁴ - SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S., 1958, 23p.

عليهم¹ ، « فالواقع هو أن ضابط لصاص هو الوحيد الذي يمكنه دون غيره أن يحقق تطبيقا أمثل للتعليمات الدعائية، خاصة و أن عموم السكان المسلمين يدركون طابعه الخاص كمسؤول إداري لا يشارك في عمليات القمع العسكرية»². و هو ما يفرض عليه تبعا لذلك عدم الاختلاط بالجيش أو المشاركة في عملياته العسكرية.

كما أن احتكاكه اليومي بالسكان يحوِّله لعب دورٍ نفسي عظيم جدا عليهم، « صحيح أن منحه لبطاقة التعريف لواحد من الأهالي و ملأه لشهادة ميلاد أو تحصيله لضريبة من آخر هو في ذاته عمل متواضع، و لكن في تأديته اليومية لهذا العمل بكل صبر و تفان يستطيع ضابط لصاص التعرف أكثر على من تحت سلطته من السكان، كما يستطيع أكثر من ذلك الاستحواذ على قلوبهم. ذلك أن هذه الأعمال ليست غاية في حد ذاتها: وإنما هي مجرد وسيلة لبلوغ "رعاياه" و معرفتهم و ربح ثقتهم. فالعبرة ليست في جلال المهمة الإدارية و لكن العبرة تكمن في جلاله ما تنطوي عليه من علائق إنسانية و لو كان ذلك في أقل الأعمال»³، و هو ما يفرض على ضابط لصاص أن يراعي في أدائه لكل أعماله الإدارية و الاجتماعية تحقيق هذا " البعد الإنساني " من أجل بلوغ السكان و بعث العلاقة معهم.

يتوقف نجاح النشاط النفسي لضابط لصاص على أمرين أساسيين هما: أن لا يقول إلا ما هو مقبول و أن يعتقد ما يقوله ثم يحققه. فإذا كان الثوار يخاطبون السكان بلغة الاستقلال و الحرية و الثورة ضد الظلم... فإن من واجب ضابط لصاص أن يدفع خطاب هؤلاء بخطاب لا يقل قبولا و مصداقية عنه، خطاب يحظى باهتمام السكان و يوِّلد الأمل فيهم. شعاره هو بناء مجموعة فرنسية-جزائرية جديدة تضمن السلم و العمل و شروط الحياة الكريمة لكل أبنائها. شعار يستمد دلائل صدقه بترجمته عمليا في الميدان بإنجازات تتجسد كل يوم على أرض الواقع. و هو ما يعني أنه يجب على ضابط لصاص أن لا يعد أو يلتزم إلا بما هو في مقدوره. « فالصدق هو الشرط الأول الذي يتوقف عليه نجاح أي نشاط نفسي على السكان، الذين، بالرغم من خشونتهم، فهم أناس يملؤهم شعور و تطلّع حادان للعدالة، و هو نفس الشعور الذي كثيرا ما أصيب بالإحباط و خيبة الأمل بسبب وعودٍ أعطيت لهم و لم تُنفذ...»⁴.

الدور "الريادي" لهذا الضابط يفرض عليه أيضا عدم الاكتفاء بدور العون البسيط المطبق لمهام الإدارات الأخرى، مما قد يجعله حبيس المكاتب. فينسى بمرور الوقت و تحت ثقل الأعباء الإدارية مهمته الأساسية المتمثلة في الاتصال بالسكان، فيقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه سابقوه و أفضى بالسكان إلى الثورة. كما يفرض عليه أيضا أن يكون له من قدرات التنظيم و المبادرة ما يؤهله للعب دوره كاملا كواسطة بين الجيش و الإدارة و السكان و أن يكون بحق ذلك " المركب و المنسق المحلي " (l'ensemblier local)، الذي يتوقف عليه نجاح

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacune de notre action en Algérie, janvier- février 1959, p. 18.

² - SHAT, 1H 2403/d.1, Action psychologique- Organisation du service- Rôle des autorités civiles, par Maurice Papon, Constantine, le 27 août 1957, p.7.

³ - SHAT, 1H 2556/1, Attributions des Officiers des Affaires Algériennes, Commandement Civil et Militaire de la Kabylie, n° 336/K/EM/Pol., 3 avril 1956, p.1.

⁴ - SHAT, 1H 2556/1, Mémento Administratif à l'usage de MM. Les Officiers des Affaires Algériennes Chefs de S.A.S., p. 15- 16.

التنسيق بين مختلف الأنشطة لسد العجز الحاصل في إدارة الأهالي، و بعث العلاقة معهم و بسط النفوذ عليهم
1.

لتحقيق المهام المشار إليها أعلاه، يتوفر ضابط لصاص على إتمادات مالية كبيرة و مجال واسع للمبادرة و حرية التصرف. بالإضافة إلى فريق عمل من أربعة أعوان هم: مساعد و ثلاثة ملحقين بالشؤون الجزائرية هم: كاتب- محاسب، مترجم، و عون إتصال بالراديو. كما تسهر على حمايتهم حامية مكونة من ثلاثين إلى خمسين رجلا مسلحا من الجزائريين و الفرنسيين يشكلون " حامية المخزن" للدفاع عن البرج أو المركز في حالة تعرضه لهجوم من قبل الثوار. كما توجد بالبرج أو تحيط به عدد من المرافق تتمثل في: قاعة للعلاج يتم وضعها تحت تصرف الطبيب لتقديم الفحوص و العلاجات الأولية؛ وكالة بريدية؛ مدرسة؛ سوق؛ و سكنات عائلية للعاملين بالبرج².

أما بالمناطق الساخنة التي تشهد عملا مكثفا للثوار، فينصب الاهتمام الأول لضباط لصاص على جعل برجه معلما قويا على حضور قوي للإدارة الفرنسية بالمنطقة، و قلعة متقدمة تناوى الثورة، و كعبة تستقطب ما حولها من السكان. و ذلك من خلال إحاطة هذا البرج، كما أسلفنا، بعدد من المرافق الاجتماعية: كالمدرسة و قاعة العلاج و وكالة البريد و السوق الأسبوعية... و غيرها من المرافق و الخدمات الأخرى التي تمثل أهمية حيوية لا غنى عنها للسكان، تعمل على جلبهم و استقطابهم، و تسمح بالتعرف عليهم و نسج علاقات معهم، و مراقبتهم. كما تُمكن ضابط لصاص، بالتعاون مع الضباط المتنقلين و ضباط النشاط النفسي للوحدات المتمركزة و المتنقلة و فرق مكبرات الصوت و المناشير، من ممارسة و تمرير جميع الأنشطة النفسية و الدعائية الممكنة، و التي تستخدم فيها مختلف الوسائل الدعائية: كتجميع السكان و الخطبة فيهم لـ "إعلامهم و تربيتهم"؛ و تقديم عروض سينمائية لهم تعرفهم بإنجازات فرنسا و الإصلاحات التي تعتمد تطبيقها لصالحهم؛ و ملء اللوحات الدعائية بالمناشير و الملصقات و الصور و شرحها لهم. يضاف إلى ذلك استعمال الدعاية المسموعة عبر مكبرات الصوت المبتوثة بالأماكن العامة و الاستعانة بالدعاية المهموسة للترويج لمختلف الشائعات. علما أن هذا النشاط النفسي و الدعائي الذي كانت تتم ممارسته على السكان كان يتخذ كقاعدة و منطلقا له الإنجازات المحققة على أرضية الميدان، أي الطريق و المدرسة و قاعة العلاج و وكالة البريد و غيرها من الانجازات التي يراها السكان و يلمسونها و يستفيدون من خدماتها. و كأن لسان حال الدعاية الفرنسية يقول: هذا ما تعدكم به فرنسا فأين ما يعدكم به الثوار؟

أما في مجال الحرب النفسية ضد الثورة، فإن المهام المناطة بضابط لصاص تفرض عليه أن يكون ندا لا يقل كفاءة و مقدرة عن نظيره المحافظ السياسي الذي ينازعه على مقربة منه النفوذ على السكان بالمنطقة. و أن يستلهم في عمله الأساليب و الطرق التي يتبعها هذا الأخير في نشاطه لتعبئة السكان لصالح الثورة. حتى يكون رد هذا الضابط في مستوى التحدي الذي يفرضه عليه هذا الخصم و لا يقل عنه مضاءً و فعالية. و أن يجمع في

¹ - SHAT, 1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées, Service de l'Information, 14.3.1957., p. 3.

² - SHAT, 1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées et les Officiers des Affaires Algériennes, Alger, mai 1957, p. 3.

شخصه بين ضابط النشاط النفسي و ضابط الاستعلامات و الضابط المكلف بمحاربة الخلايا الثورية و تفكيكها. كما يناط بضابط لصاص أن يعطي العمل السياسي الأهمية و الأولوية التي تليق به، بتشكيل خلايا سياسية موازية بين السكان، متعاطفة مع فرنسا، تقوم بتوجيه عمل الجيش الفرنسي في الميدان، و تستفيد من حمايته ضد ضربات الثوار، إلى أن يشتدّ عودها. و في كل الأحوال، فإن نشاط ضابط لصاص يجب أن يُوجَّهه « سعي حثيث لجعل الأهالي يقررون و ينفذون بأنفسهم الإجراءات التي يرونها مناسبة لتنظيم أنفسهم و محاربة الثورة »¹.

بعد هذا العرض يحق لنا أن نتساءل عن مدى نجاح ضابط لصاص في مهمته النفسية و الدعائية ضد السكان و الثوار؟ إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي ابتداء القيام بدراسة مستوفية لكل الأنشطة الإدارية و الاجتماعية الأخرى لضابط لصاص. فمن غير الممكن بحث آثار الأنشطة النفسية لضابط لصاص مفصولة عن باقي الأنشطة الأخرى، التي لا تخلو بدورها، بحكم أسلوب الحرب المعتمد - «حرب التهذئة»-، من أبعاد دعائية نفسية. و هو ما يقتضي حتما القيام بدراسة شاملة و مستوفية لجميع الأنشطة الأخرى، و هو ما يخرج عن نطاق هذه الدراسة².

هذا و نشير إلى أن ضابط لصاص كانت تعترضه في ميدان النشاط النفسي مصاعب شتى أهمها: تعدد الأعباء و المهام الأخرى التي تستغرق جُلّ وقته و جهده؛ بالإضافة إلى وجود عدد من المصاعب و العراقيل، التي غالبا ما كان مصدرها الإدارات المحلية التي كانت تارة تتماطل في تنفيذ مطالبه و تارة ترفض التعاون معه كلية و تارة أخرى تناصبه العداء لسبب أو لآخر، مثل ما حدث بعدد من مناطق الغرب الوهراني³.

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacune de notre action en Algérie, janvier- février 1959, p. 18-19.

و كعينة عن نشاط ضباط لصاص في محاربة الخلايا الثورية و تنظيم السكان ، أنظر:

Philippe Héduy, Algérie Française 42- 62, pp. 247- 249.

² - في هذا المقام لا يسعنا إلا إحالة القارئ على الدراسة القيمة التي قام بها الباحث فريفور ماتياس، و التي بالرغم من أهميتها فهي لا تساعدنا على الخروج بتقييم واضح لنشاط القسّمات الإدارية المختصة و على رأسها ضابط لصاص، و ذلك لسبب واحد هو أن هذا الباحث قد اقتصر في بحثه و بدرجة شبه كلية على شهادات عدد من هؤلاء الضباط، تم إستيقاؤها باستجوابهم أو بالرجوع إلى كتاباتهم، و هو ما لا يساعد في النهاية على الخروج بتقييم موضوعي للنشاط النفسي لهؤلاء الضباط. أنظر:

Gregor MATHIAS, Les Sections administratives spéciales. Une institution ambiguë : entre idéal et réalité. 1955- 1962. (Mémoire de maîtrise à l'Université de Provence, Aix, 1995), Paris, l'Harmattan, IHCC, coll. Histoire et Perspectives Méditerranéennes, 1998, 256 p.

³ - SHAT, 1H 2556/1, Rapport sur le moral pour l'année 1956 de l'Officier Supérieur en mission auprès de Monsieur le Préfet d'Oran - I.G.A.M.E.

الفصل الثالث:
الحرب النفسية و «حرب
التهدئة»

الفصل الثالث: الحرب النفسية و « حرب التهدة »

المبحث الأول : «حرب التهدة» كرد شامل على الحرب الثورية

رأينا في الفصل الأول كيف أن الفرنسيين في تحليلهم للثورة و بحثهم عن أنجع السبل للقضاء عليها قد خلصوا إلى اعتماد أسلوب حرب « التهدة » كرد "شامل" على نمط الحرب الشاملة الذي انتهجته الثورة و فرضته عليهم. حيث يُمثل هذا الرد خلاصة و محصلة سنين من الملاحظة و الخبرة. و في ذلك يقول المقدم أندري بروج (André BRUGE) قائد مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة للعصابات: « إن منهج حرب التهدة في الجزائر، كما يبدو عليه اليوم في فعاليتها و نجاعته المعروفة، لم يكن في بدايته مذهبا معتقديا، و لكن هو على العكس من ذلك منهج خبرة، يمثل خلاصة الملاحظات التي سُجلت على التراب الجزائري على مدى خمس سنوات صعب. هذه الملاحظات قام بمعاينتها و تسجيلها كل أولئك الذين يعملون على خنق العدو الأكثر ضررا في الوجود، في أسبابه كما في آثاره، و في صعوبته كما في منهجه »¹.

في هذا الرد الشامل، يتجاوز نطاق الحرب ساحات القتال الساخنة و يتسع ليشمل مجالات أخرى مختلف، سياسية و عسكرية، اقتصادية و اجتماعية و نفسية، التي تتحول بدورها إلى أسلحة موجهة نحو الخصم، تتضافر كلها على إلحاق الهزيمة به. في هذا الرد الشامل تصبح الوسائل العسكرية وسائل من بين أخرى لا غير، لأنها تفسح المجال لوسائل و أسلحة أخرى تتمثل في: الحرب النفسية و الدعائية؛ و نشاط البحث عن المعلومات النفسية و العسكرية و استغلالها؛ و الأنشطة البوليسية؛ و الأنشطة الاجتماعية و الاقتصادية؛ بالإضافة إلى مختلف المساعي المبذولة للاتصال بالسكان و بعث العلاقات معهم... إلى غير ذلك من الأنشطة. حيث تتوقف فعالية و نجاعة كل سلاح على ما يتلقاه من دعم الأسلحة الأخرى له، لأنه جزء من كل².

يتمثل الفكر الكامن وراء اعتماد « حرب التهدة » كأسلوب للرد على الثورة في أن القضاء على هذه الأخيرة لا و لن يتحقق باعتماد الحلول العسكرية وحدها. و أن المعالجة الحقيقية "للمشكل" تفرض العودة إلى أصوله الحقيقية لاستئصاله من الجذور، و هو ما يتطلب عمليا وسائل أضخم و آجالا أطول. ذلك أن الحل العسكري مهما نجح في القضاء على الثوار فإنه لن ينجح في القضاء على بذور الثورة و مسبباتها الحقيقية التي ستظل كامنة في النفوس، تنتظر أول فرصة مناسبة لتتفجر في شكل ثورة عارمة أشد و أقوى من ذي قبل. ذلك هو الدرس الذي، على ما يبدو، استخلصه الفرنسيون من مجازر الثامن من ماي سنة 1945 ضد الجزائريين.

¹ - SHAT, 1 H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel André BRUGE, Commandant le Centre d'Instruction, de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, p. 1.

² - Les missions de l'Armée française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, Conférence donnée à S.H.A.P. par le Général de Corps d'Armée ALLARD, Commandant le Corps d'Armée d'Alger avec l'assistance des Colonels GODARD et GOUSSAULT le 15 novembre 1957, imprimerie du 5° Bureau de la 10° Région Militaire, (s.n.p.).

فإذا أخذنا في الاعتبار ما تفرضه الحروب الثورية من أساليب تكتيكية جديدة في القتال، نُخل بموازين القوى في الميدان بسبب اعتمادها على أسلوب حرب العصابات و نقلها ميدان الصراع إلى ساحة أخرى هي ساحة السكان حيث يكون النصر حليف من يكسبهم إلى صفه و ييسط نفوذه عليهم... أدركنا مدى قصور المعالجات العسكرية البحتة للحروب الثورية و أدركنا الأهمية الحيوية لبلورة حل يتميز بالشمولية و يأخذ في الحسبان بالأبعاد الأخرى "للمشكل"، و بالأخص، البعد الحقيقي و الرئيسي المتمثل في السكان. و حول هذا العنصر الأخير، يرى منظرو حرب التهدة الفرنسيون بأن الواقع الذي فرضته الثورة التحريرية، قد قسّم الشعب الجزائري إلى ثلاثة أقسام¹:

- قسم أول، و تمثله أقلية مقتنعة بالثورة و متعاطفة معها، قد انتظمت بدافع من قناعتها و إيمانها بالثورة في خلايا و شبكات لدعم و مساندة الثوار. لذلك فإن مهمة «حرب التهدة» تجاه هذه الفئة هو مطاردتها و القضاء عليها، و هو ما يمثل الشق العسكري و البوليسي من هذه الحرب. حيث يكون الهدف من الإجراءات العسكرية هو القضاء على الوحدات العسكرية للثوار التي تنشط بالجبال، في حين يتمثل الهدف من التدابير الأمنية و الإجراءات البوليسية هو محاصرة و تضيق الخناق على الخلايا الثورية التي تقدم الدعم اللوجيستيكي للثوار لقطع الدعم عنهم و «تخليص السكان من الخوف».

- أما القسم الثاني فتمثله أقلية أخرى تربطها بفرنسا مصالح مختلفة، لذلك فهي مقتنعة بها و متعاطفة معها و لا تتطلع إلا ليوم يحل فيه السلم الفرنسي، إنها فئة القياد و الباش آغات و الخوجات و المجندين و قدماء المحاربين و العسكريين و الحركّة و غيرهم من أعوان الإدارة الفرنسية. لكن هذه الأقلية تعاني الضغط و تلوذ بالصمت بفعل التهديد و الضغوط التي تمارسه الثورة عليها. لذلك تتمثل أهم واجبات «حرب التهدة» تجاهها في مؤازرتها و توسيع قاعدتها و حمايتها من الاضمحلال بفعل ضربات الثورة، و ذلك من خلال بعث الأمل فيها بقرب حلول السلم الفرنسي ثم مساعدتها على تنظيم نفسها لتأخذ موقعها في الخندق الفرنسي و تساهم في محاربة الثورة.

- أما القسم الثالث فتمثله كل البقية الباقية من الشعب الجزائري، أي الغالبية العظمى التي تمثل حوالي 80% من السكان. الذين يمثلون الأغلبية الصامتة، إما لأنها لا تعرف وجهتها أو لأنها تخاف التعبير عنها. هذه الأغلبية، و بسبب الضغوط الممارسة عليها من الجانبين، طالت معاناتها و أصبحت موجودة بين شقي الرحي، لا موقف لها سوى الانتظار (l'attentisme) و التطلع إلى السلم أي كان مصدره. مما يجعلها مركز الصراع و محل أطماع الطرفين و الرهان الحقيقي الذي يتوقف عليه كسب الحرب من جانب هذا الطرف أو ذاك. لذلك تتمثل أهداف «حرب التهدة» تجاه هذه الفئة الغالبة في العمل على كسبها إلى جانب فرنسا، من خلال القيام بنشاط نفسي كبير لإعادة توطيد العلاقات معها و الظفر بثقتها و بعث الأمل فيها بحلول غد جديد يبشر بجزائر فرنسية جديدة لا تقصى أيا من أنبائها. و ذلك هو المسعى الذي يرمي إليه الشق الخاص بالإصلاحات السياسية و الإدارية و الاقتصادية و الاجتماعية التي قررت الحكومة الفرنسية تطبيقه لصالح الأهالي الجزائريين في إطار

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Projet IFA- SUB.1958, instruction pour l'emploi des forces armée dans la lutte contre la subversion, p. 11.

« حرب التهدة »، بهدف إعطاء تجسيد حقيقي و على أرض الواقع للآمال و الوعود الممنوحة للسكان الجزائريين؛ تجسيدا يحقق القطيعة مع ممارسات الإدارة الفرنسية في الماضي التي كانت تقدم وعودا لا غد لها، تجسيدا يكسب النشاط النفسي مصداقيته و يُعزز من حظوظ نجاحه في المستقبل.

من هنا يمكننا أن نفهم « حرب التهدة » بأنها حشد و تعبئة لمجموع الوسائل و الأدوات العسكرية و المدنية (السياسية و الإدارية و الاقتصادية و الاجتماعية) لفرنسا، و التي يتم التنسيق بينها للقضاء على الثورة وفق خطة توازن بين أمرين هما الهدم و البناء، حيث لا يمكن البناء إلا بعد الهدم وحيث لا ينفع الهدم إن لم يتبعه البناء¹ :

- فالهدم يعني هنا، في اصطلاح منظري حرب التهدة، البحث عن الخلايا الثورية، الجهاز العصبي للثورة، لتفكيكها و القضاء عليها و على عناصرها. لأنها هي التي تحكم قبضتها على السكان و تقودهم قسرا و طواعية في طريق الثورة. لذلك فالقضاء عليها، لتحرير السكان من قبضتها و من ربكة الخوف، هو من أولى أولويات «حرب التهدة»، و هو يتطلب التنسيق بين جهود قوات الجيش و قوات الشرطة و مصالح الاستعلامات. كما يعني الهدم أيضا مطاردة الوحدات العسكرية للثورة التي تمثل الذراع الضاربة للثورة و المجسدة لقوتها في عيون السكان، و التي تكيل الضربة تلو الأخرى للقوات الفرنسية مستعملة في ذلك الكمائن و الهجومات الخاطفة و معتمدة على خفتها و سهولة حركتها لإقرار حالة دائمة من اللا أمن².

- و بالمقابل، يُقصد بالبناء هنا، في اصطلاح منظري «حرب التهدة»، بناء السلم، الذي يعني إرساء أسس نظام جديد يقطع طريق العودة على الثورة، الذي هو من صميم مدلول «حرب التهدة». تحقيق هذا النظام الجديد يتم ببعث و تجديد العلاقة مع السكان و حمايتهم و مساعدتهم في جميع المجالات ليستعيدوا ثقتهم بأنفسهم و بالإدارة؛ ثم تنظيمهم في تنظيم هرمي يجل محل التنظيم السياسي و الإداري لجهة التحرير و يُمهّد السبيل للتنظيم السياسي و الإداري للجزائر الجديدة الذي يجري تنفيذه طبقا للإصلاح الإداري الذي أقرته الحكومة؛ و أخيرا يجلب هؤلاء السكان إلى المشاركة في الحرب ضد الثورة بتقديم المعلومات و تشكيل فرق الدفاع الذاتي و تشكيل وحدات الحركة للقتال إلى جانب الجيش الفرنسي³.

في عملية الهدم و البناء هذه تتم الموازنة بين الأولويات، التي يتم بلوغها على مدى ثلاث مراحل، كالاتي، حسب تعليمات الوزير المقيم روبرت لاكوست⁴ :

المرحلة الأولى و هي مرحلة العمل على التحكم في الوضع. و فيها تعطى الأولوية للأنشطة العسكرية الرامية للقضاء على الوحدات العسكرية لجيش التحرير كما يتم في نفس الوقت البحث عن الخلايا الثورية لجهة التحرير و تفكيكها. في هذه المرحلة أيضا يأخذ الجيش على عاتقه القيام بمهمة بعث العلاقات و الاتصال مع

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les généraux commandants de zone, n° 524/CAA/3. OPE. 6/TS, Alger, le 23 mars 1957, p. 2.

² - Les missions de l'Armée française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, op. cit., (s.n.p.).

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - SHAT, 1H 2538/d.1, Le Ministre Résident en Algérie à Monsieur le Général Commandant Supérieur Interarmées en Algérie..., 10 juillet 1956, pp. 4- 6 ; SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S..., p.1.

الشعب لبط النفوذ عليه، حيث يقوم بانتداب عناصره لسد العجز الحاصل في الإدارة المدنية في الميادين الإدارية و الاجتماعية كالتعليم والصحة و غيرها.

المرحلة الثانية و هي مرحلة مراقبة السكان و ضمان التوجيه النفسي لهم. و في هذه المرحلة تتولى السلطان العسكرية و المدنية الشروع في إحصاء دقيق للسكان، و أخذ صور لهم و منحهم بطاقات للتعريف، دون أن يترتب عن هذه العملية دفع أي نفقات من قبل السكان الأهالي. بالتوازي مع ذلك يتم الشروع في عملية "إعادة الفتح المعنوي" (La reconquête morale) للسكان. بحيث يُشكل بعث العلاقة مع الأهالي و تحقيق المصالحة بينهم وبين السكان الأوروبيين من أولى أولويات هذه المرحلة. و إذا لم يكن في مقدور السكان الأهالي، بسبب المعاناة، أخذ المبادرة و القيام بالخطوة الأولى في اتجاه السكان الأوروبيين فعلى هؤلاء و معهم الإدارة أخذ المبادرة و القيام بذلك. عملية الإتصال بالسكان تشرف عليها و تنسّقها المديرية العامة للشؤون السياسية للولاية العامة، و تعنى بتطبيقها السلطان العسكرية و المدنية على حد سواء. و هي تتم على جميع المستويات و بشتى الوسائل، بما في ذلك اللجوء إلى بعض الطرق الإجبارية للجمع بين الجزائريين و الأوروبيين لتحقيق المصالحة بينهما. في هذا المسعى، كانت الأوامر الصادرة عن السلطين المدنية و العسكرية العليا تُلح و تُؤكد لعمالها و موظفيها في مختلف المستويات على ضرورة و أهمية "الاتصال الشخصي" و ربط علاقات شخصية و إنسانية مع السكان، لأن هذا النوع من الاتصال « هو وحده الوحيد المثمر مع الجزائريين في هذه البلاد »¹.

المرحلة الثالثة و الأخيرة و تتميز بهيمنة شبه كاملة للأنشطة المدنية. في هذه المرحلة تكون « حرب التهذئة » قد قطعت أشواط كبيرة و حققت نتائج أكبر في حربها ضد الثورة. كما تتميز بعودة السكان إلى الإدارة الفرنسية. عندئذ يُشرع في وضع و تنصيب هيئات و مؤسسات الإدارة المحلية لتكون بمثابة قنوات اتصال بين الإدارة الفرنسية، المدنية و العسكرية، و الجزائريين. و هي مرحلة تتميز بالمزاجية بين الأنشطة العسكرية و المدنية. ثم، شيئا فشيئا، مع تحقق تقدم ملموس في القضاء على الثورة، و تحديدا المجموعات المسلحة و الخلايا الثورية الداعمة لها، يتم بالمناطق المسترجعة من الثوار الإسراع في وضع و تنصيب مختلف الأجهزة و المؤسسات المدنية لتحقيق عودة سريعة إلى حياة مدنية عادية. خلال هذه العودة يتم الحرص على إشراك الأهالي الجزائريين بأوسع نطاق ممكن، و بالأخص في تشكيل المندوبيات الخاصة التي ستتولى تسيير البلديات الجديدة. لتحقيق مساهمة العنصر المحلي في تنصيب هذه المؤسسات كان يتم اللجوء إلى انتخاب و تعيين مسؤولين محليين لتُسند لهم بعض المهام و المسؤوليات، كتشكيل المندوبيات الخاصة، و نسج تنظيمات موازية للحصول على المعلومات و تنظيم السكان في فرق للدفاع الذاتي. بهذه المرحلة يكتسي دور القسّمات الإدارية المختصة -لصاص- أهمية حاسمة جدا، إذ عليها يتوقف نجاح كل المساعي الرامية لبعث و إرساء علائق جديدة مع السكان، و بالأخص بما في ذلك الحصول على مشاركتهم و انخراطهم في تسيير الإدارة المحلية و غيرها من المشاريع الفرنسية الأخرى لتشكيل جزائر الغد؛ كما يتوقف عليها المحافظة على النتائج المكتسبة و تعزيزها في الميدان.

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, Le Ministre Résident en Algérie à Monsieur le Général Commandant Supérieur Interarmées en Algérie..., 10 juillet 1956, p. 6.

« الإصلاحات »

لتطبيق هذه المراحل الثلاثة «لحرب التهدة» في الميدان، كان يتم التعويل، إلى جانب الوسائل العسكرية، على أداة هامة تتمثل في الإصلاحات التي قررت الحكومة تطبيقها في مختلف الميادين السياسية و الإدارية و الاقتصادية و الاجتماعية لصالح الجزائريين، بهدف إعطاء تجسيد ملموس للوعود المقدمة لهم من طرف الإدارة الفرنسية في مساعيها لجلبهم و كسبهم لصفها. هذه الإصلاحات أريد لها أن تكون سلاحا حقيقيا يشهر في وجه الثورة: « ففي هذا الصراع الذي هو معركتنا، تتضاعف حظوظ النصر للطرف الأكثر ثورية. و خصمنا [أي جبهة التحري] ليست له القدرة على بناء نظام للإصلاحات الاجتماعية و السياسية يُمكنه من كسب الفئات المستنيرة من السكان. و كيف يمكنه ذلك و ليست له الوسائل اللازمة لتحقيقه »¹. و لما كان الهدف هنا هو السكان، كانت أنجع الوسائل لبلوغهم و تمرير هذه الإصلاحات هو الاستعانة بالسلاح النفسي الذي سيتخذ من هذه الإصلاحات أرضية لدعايته و نشاطه النفسي. « فالمشكل الجزائري، بالرغم مما يكتسبه من أبعاد مختلفة، سياسية و اقتصادية و اجتماعية وغيرها.. هو أيضا في النهاية مشكل علاقات إنسانية »². و من هنا يستمد السلاح النفسي مشروعية استعماله في هذه الحرب بالنسبة للفرنسيين.

تهدف الإصلاحات أعلاه، حسب الوزير المقيم روبرت لاکوست، إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- إحداث ثورة و تحوّل عميقين في الاقتصاد الجزائري، يُمكن الجزائر من تحقيق مستوى حياتي مقبول لكل سكانها، و الاستجابة لمتطلبات وضعية ديموغرافية تتطور بسرعة و يصعب التكهن بمقتضياتها في المستقبل.
- 2- إحداث تحولات اجتماعية عميقة بالاجتمع الجزائري، من خلال قلب بنياته الاجتماعية البالية السائدة، بما يجعل المستوى الاجتماعي للجزائر يقترب من ذلك السائد بالبلدان الغربية. تحقيق ذلك يتم من خلال شيئين هما: أولا تمكين الجزائر من إدارة لا مركزية و شديدة الانتشار و الحضور في الميدان؛ و ثانيا بمزج و مزاجية عنصري السكان، الجزائريين و الأوروبيين فيها، للقضاء على كل انطباع لدى أحدهما بسيطرة و تسلط الثاني عليه.
- 3- تمكين السكان الأهالي، الذين يعيشون في تخلف تام، من تربية سياسية أولية تسمح لهم بالمشاركة و بشكل مقبول في تسيير الشؤون الجزائرية، ثم لاحقا بالمشاركة في الشؤون الوطنية³.

ففي المجال الإداري و السياسي كانت الإصلاحات في هذا المجال تعمل على تقريب الإدارة الفرنسية أكثر فأكثر من الجزائريين، باعتبار أن بُعد هذه الإدارة عنهم و سوء التسيير كانا، في نظر الفرنسيين، السببين المباشرين وراء اندلاع الثورة. و لذلك كانت مسألة إعادة بناء هذه الإدارة و إصلاحها أمرا ملحا و عاجلا حتى

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Note à l'intention personnelle des Autorités civiles et militaires chargées du contact avec la population du Département de Batna et la Zone des Aurès, par le Général Vanuxem, s.d., p. 1.

² - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, Alger, Baconnier (s.d.), p. 51.

³ - Service de l'Information du Cabinet du Ministre Résidant en Algérie, Programme et action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et de réformes, Alger, Imprimerie officielle, août 1956, p. 76.

يتسنى تحقيق مبدأ «إعادة الرعية إلى الراعي»¹. و حتى « يتمكن السكان الذين اختاروا فرنسا من الاستفادة و بأسرع ما يمكن من كل المزايا و الخدمات التي يوفرها السير العادي لكبرى المصالح العمومية. و من أجل هذا فإنه من المهم جدا أن يعود الناس و بدون تأخير للعمل حتى يتعزز أمنهم من خلال السير الحسن لهذه المصالح »². كما أن إعادة بناء هذه الإدارة و إصلاحها هو الأساس الذي لا بد منه لتحقيق ممارسة سياسية صحية و "إشراك الأهالي في عملية تسيير شؤونهم و الدفاع عن أنفسهم"³. لذلك، كانت الإصلاحات المطبقة في هذا المجال ترمي إلى تحقيق أهداف أربعة هي:

أولا تمكين السكان المسلمين من المشاركة الفعلية و المباشرة في تسيير شؤونهم؛

ثانيا ترقية نخبة جديدة لتسيير جزائر الغد؛

ثالثا إعادة بعث الحوار مع السكان من خلال مختلف المهام البلدية؛

رابعا إعداد الإطار الإداري المناسب لتنظيم الانتخابات المستقبلية⁴.

و ضمن هذا الإطار يمكن أن نعد كل ما اتخذته الحكومة الفرنسية من إجراءات لتدعيم النسيج الإداري بالجزائر و تعزيز حضور الإدارة الفرنسية بمختلف ربوعها؛ بما في ذلك الإصلاحات التي تم إدخالها على المؤسسات السياسية لضمان مشاركة أكبر للجزائريين بها. ففي المجال الإداري، تم بموجب مرسوم 18 جوان 1956، استحداث تقسيم إداري جديد، قسّم الجزائر الشمال إلى 12 عمالة جديدة، قُسمت بدورها إلى 71 مقاطعة عمالاتية. كما تم تقسيم أقاليم الجنوب إلى عمالتين صحراويتين⁵. بالتوازي مع ذلك تم تطوير الريف الجزائري بأكثر من 600 قسمة إدارية مخصصة (SAS) لتقريب الإدارة من السكان الجزائريين و مد الإدارة الفرنسية إلى أبعد نقطة. هذه القسّمات كانت في الأول من جويلية 1957 تنوزع كالأتي: 145 قسمة بالوسط الجزائري؛ و 81 قسمة بالغرب الوهراني؛ و 187 قسمة بالشرق القسنطيني؛ و 38 قسمة بأقاليم الجنوب؛ بالإضافة إلى 135 قسمة أخرى قيد الإنشاء و 14 قسمة إدارية مدنية (SAU) بالأحياء الفقيرة للمدن⁶. هذا و قد كان على رأس هذه الإصلاحات صدور مرسوم 28 جوان 1956 المتضمن حل 79 بلديات مختلطة، التي تم على أنقاضها إنشاء 1107 بلدية جديدة و كاملة الصلاحيات تخضع كلها لقانون 5 أفريل 1884، مثل ما هو معمول به في فرنسا. ليصبح مجموع بلديات الجزائر يقدر بـ: 1461 بلدية تتمتع كلها بالاستقلالية التامة في التسيير. كما تم الحرص عند إنشاء هذه البلديات الجديدة على تحقيق مشاركة واسعة للسكان الخليين، و هو الحرص الذي ترجم عمليا بأشكال شتى: تارة بتنظيم انتخابات محلية و تارة بتعيين مندوبيات خاصة و مندوبين خاصين (Délégués spéciaux)، كثيرا ما تم اختيارهم قسرا. فبالنسبة للبلديات القديمة الكاملة الصلاحيات و عددها 333 بلدية قديمة، فقد تم، بموجب مرسوم 11 ديسمبر 1956.

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, Enseignements tirés de la mission des Officiers Supérieurs de liaison du Général Commandant la Zone Est Constantinoise entre le 1^{er} Août et le 10 Décembre 1958, p. 9.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Note sur l'Armée dans les tâches de pacification, Alger, le 7/9/1957, p. 4.

³ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, pp. 39- 40.

⁴ - 15 mois d'action en Algérie, édité par le Gouvernement Général de l'Algérie, Paris, Imprimerie nouvelle, (s.d.), p.20.

⁵ - SHAT, Algérie, inventaire de la sous- série 1H, 1H 1091- 4881, 1945- 1967, tome premier : Introduction générale, pp. 31- 39.

⁶ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 90.

حل جميع مجالسها البلدية بهدف فسح المجال أمام مشاركة الجزائريين فيها لخلق شيء من التوازن في التمثيل بينهم و بين الأوروبيين. أما بالنسبة للبلديات الجديدة، التي تم إنشاؤها على أنقاض البلديات المختلطة و يزيد عددها عن 1107 بلدية، فقد تم " سد مناصبها" تارة بتنظيم انتخابات بلدية لانتخاب مندوبين محليين بالمناطق الهادئة نسبيا و تارة بتعيين مندوبيات خاصة (Délégations spéciales)، و التي غالبا ما تم اختيار أعضائها قسرا عنهم لتشكيل مثل هذه المندوبيات بالمناطق الساخنة. و بهذه الطريقة تم، بتاريخ جويلية 1957، تشكيل 509 مندوبية خاصة تزيد نسبة مشاركة الجزائريين بها عن 80%. و من بين هذه المندوبيات هناك 330 مندوبية خاصة يرأسها جزائريون و 179 مندوبية خاصة يرأسها أوروبيون. أما بالنسبة للبلديات الباقية التي تعذر بها تشكيل مثل هذه المندوبيات و التي يقارب عددها أو يزيد عن الـ 600 بلدية، فقد عمد رؤساء العمالات في 587 بلدية منها إلى تعيين مندوبين خاصين ، منهم 97 مندوبا خاصا من الجزائريين و 53 مندوبا خاصا من الأوروبيين. أما الباقون و عددهم 437 فقد تم سد مناصبهم بتعيين أعضاء لهم من بين الموظفين المدنيين و العسكريين و ضباط القسماات الإدارية المختصة - لاصاص، على وجه الخصوص الذين كانوا في نفس الوقت يمارسون مهام الوصاية على عدد من هذه المندوبيات الخاصة للأخذ بيد أعضائها في مجال تسيير الشؤون المحلية¹.

من خلال العرض أعلاه يتضح جليا واضحا بأن السلطات الفرنسية قد طبقت كل الوسائل الممكنة لإنجاح إصلاحها الإداري الذي اعتمده و بأي وسيلة كانت. كما إن إلقاء نظرة عابرة على الطرق و الكيفيات التي اعتمدها لسد المناصب الشاغرة في البلديات الجديدة ليعكس التعثر، حتى لا نقول الفشل، الذي أصاب تطبيق هذه الإصلاحات. كما يعكس أيضا المستوى الذي وصلت إليه هذه السلطات في اعتمادها للحلول الترقيعية. إن هذا التعثر نعوزه لأمرين هما: أولا جهل السكان و أميتهم للذين حالا دون فهم هؤلاء لمضمون و أهداف هذه الإصلاحات، كما أن انعدام العناصر المتعلمة بالريف بسبب سياسة التجهيل المطبقة خلال عشرينيات طويلة قد صعب إيجاد مرشحين مقبولين يمكنهم الإضطلاع بمهام تسيير الشؤون البلدية، و هو ما أدى بالسلطات الفرنسية إلى اللجوء إلى الحلول "الترقيعية" كالإستعانة بالضباط العسكريين لشغل منصب المندوب الخاص بالبلديات الجديدة. أما الأمر الثاني و الحاسم في نظرنا فهو وقوف الثورة بالمرصاد لمثل هذه " الإصلاحات" لأنها لم تكن تجهل مراميها و أهدافها الاستعمارية، حيث قامت في العديد من المرات بإصدار أوامرها للشعب بمقاطعة كل الانتخابات و عدم المشاركة في المندوبيات الخاصة. و هي الأوامر التي قوبلت بامتنال كبير من طرف الشعب. كما أن مساعي الثورة، بالإقناع حيناً و التهديد حيناً آخر، قد كانت وراء استقالة العديد من الجزائريين من المنتخبين و من الذين عُينوا بهذه المندوبيات.

علما أن الحكومة الفرنسية كانت تعترم استبدال قانون الجزائر لسنة 1947، الذي تجاوزته الأحداث، بقانون جديد. و هو "الإصلاح" الذي كانت ترجئ تطبيقه إلى حين الانتهاء من تطبيق الإصلاح الإداري و إرساء دعائم "المؤسسات الدستورية" القاعدية كالمجالس البلدية و العمالاتية، الذي هو في نفس الوقت مؤشرا على نجاح « حرب التهذئة»، حتى يتسنى إشراك "ممثلي" السكان المتواجدين بهذه الهيئات و المؤسسات في

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, *Algérie 1957*, pp. 86- 87 ; *15 mois d'action en Algérie*, édité par le Gouvernement Général de l'Algérie, Paris, Imprimerie nouvelle, (s.d.), p.20- 21.

عملية ضبط هذا القانون الجديد. لكن إذا تعذر ذلك أو حدث أن تأخر حدوث «التهدئة الشاملة» فقد كان في جعبة الحكومة الفرنسية بدائل أخرى يمكن اللجوء إليها. هذه البدائل يشرحها الوزير المقيم روبرت لاكوست كالتالي: « في حال تأخر حصول التهدئة الشاملة، فإنني سأقدم باقتراح للحكومة للشروع في البحث عن ممثلين يتم اختيارهم من بين المسؤولين المحليين و ذلك وفق معايير خاصة تحدد لاحقا. هؤلاء الممثلين قد تدعو الحاجة إلى الاستعانة بهم لوضع قانون جديد للجزائر يحل محل قانون سنة 1947. و هو القانون الذي، يجب التفكير فيه من الآن، و يجب تصوره ضمن نسق متكامل، يمكنه أن يمنح الجمهورية هيكلًا أكثر ليونة، و يحفظ للجزائر على وجه الخصوص أصالتها الخاصة»¹.

لإعطاء الإصلاح الإداري أعلاه كل حظوظ النجاح و تحقيق مشاركة حقيقية و فعلية للسكان فيه، تم إتخاذ عدة إجراءات لتفعيل مشاركة السكان، تمثلت في فتح أبواب التوظيف العمومي على مصراعيها أمام الجزائريين و تشجيعهم على العمل فيه بعدما كانت مناصبه في السابق حكرا على الأوروبيين. و في هذا الإطار صدر المرسوم رقم: 273-56 المؤرخ في 17 مارس 1956 الذي عدّل و "لن" من الشروط المطلوبة للعمل في التوظيف العمومي، كاعتماد التوظيف بالتعاقد بذل المسابقة و طلب مؤهلات أقل تأخذ في الحسبان المستوى التعليمي العام للجزائريين. و تأخير السن القانونية المطلوبة بخمس سنوات للمسلمين الجزائريين و ذلك كإمتياز خاص بهم يمتد على مدى عشر سنوات. كما تضمن أيضا تخصيص نصف عدد الوظائف الشاغرة، أي الوظائف التي يتم شغلها بالتعيين (emplois titulaires) في الإدارات والجماعات المحلية الجزائرية و مصالح الدولة الفرنسية المتواجدة بالجزائر و معها ثلثي المناصب الشاغرة للمساعدين الإداريين (Auxiliaires de l'administration)، للمسلمين الجزائريين، مع أولوية تفضيلية لفئة قدماء المحاربين. كما فرض أيضا على الهيئات و المؤسسات و المقاولات، التي تؤدي خدمة عمومية و تستفيد من معونة الدولة الفرنسية أو من الجماعات المحلية أو تعمل لحسابها، بضرورة تخصيص نصف ما تتوفر عليه من مناصب للشغل لصالح المسلمين الجزائريين. و قد كان من نتائج هذه التسهيلات أن تم بتاريخ 31 جوان 1957 تسجيل ما يزيد عن 11.906 طلب، و كان عدد المستفيدين من مرسوم 17 مارس 1956 بتاريخ 12 جويلية 1957 هو 3.852 جزائري يتوزعون بين الفئات الأربعة لعمال التوظيف العمومي. يضاف إليهم 700 موظف تم تعيينهم في الجماعات المحلية و المصالح الإستشفائية من قبل اللجان العمالية². ليصل هذا العدد في أفريل 1960 إلى أكثر من 5000 جزائري، منهم حوالي مائة موظف جزائري كإطار سام و 32 موظف جزائري بالهيئات العليا للدولة الفرنسية³. و بالتوازي مع ذلك تم إتخاذ

¹ - Directives générales n° 1 destinées aux officiers et sous-officiers des armées de Terre, de Mer et de l'Air stationnés en Algérie, avril 1956, in Algérie 1957, publié par le Cabinet du Ministre de l'Algérie, Alger, Baconnier (s.d.), p. 26.

² - Service de l'information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et de réformes, Alger, Société Nationale des Entreprises de Presse, octobre 1957, pp. 65- 68.

³ - SHAT, 1H 2410/d.1, Le Premier Ministre, Algérie : Directives d'information et d'action, Paris le 2 avril 1960, p.2 ; Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, pp. 111- 112.

من أجل أرقام أكر تفصيلا يمكن العودة إلى:

Délégation Générale du Gouvernement en Algérie, Rapport sur l'activité de l'administration en Algérie au cours de l'année 1959, Alger, Baconnier, 1960, p. 16 et 20.

إجراءات مماثلة لترقية الجزائريين في سلم الرتب العسكرية، فبحلول أبريل 1957 كان هناك حوالي 250 ضابط تلميذ دخلوا أو تخرجوا برتبهم من المعاهد العسكرية الفرنسية¹.

لقد كان الهدف من كل هذه الإجراءات، إلى جانب تحقيق مشاركة حقيقية للجزائريين في برنامج الإصلاح الإداري، هو البحث عن عناصر نخبوية جزائرية جديدة يتم اكتشافها وإخراجها من الظل ليتم استعمالها في تشكيل جزائر الغد على الطريقة الفرنسية. حيث شهدت هذه الفترة بروز عدد من الشخصيات الجزائرية، التي كانت مرشحة للعب دور بارز في الحياة السياسية والإدارية للجزائر، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر: السيد عبد القادر براكروك، (A. Barakrok) المساعد الأول لروبرت لاكوست و كاتب الدولة المكلف بالإصلاح الزراعي و البلدي. و السيد شريف سيدكاره (Chérif Sid Cara) المساعد الثاني لروبرت لاكوست و كاتب الدولة المكلف بالنشاط الطبي و الاجتماعي و المكلف أيضا بدخول الجزائريين المسلمين للتوظيف العمومي، بالإضافة إلى المسائل المتعلقة بالشباب الجزائري².

أما في الميدان الاجتماعي فقد كانت الإصلاحات في هذا المجال تهدف إلى تحسين الوضعية الاجتماعية للسكان بما يُخفف من فقرهم و يؤسهم و يُدخل بعض الرفاهية على مستواهم الحياتي و يقطع في نفس الوقت بينهم و بين الأسباب التي قد ترمي بهم في حزن الثورة و بما يُرغّبهم في حياة أكثر هدوء و دعة. كما كان الهدف من هذه "الإصلاحات" هو اتخاذها وسيلة لبعث العلائق و الحوار مع السكان في إطار خطة حرية حقيقية "لفتح القلوب و اكتسابها" (la conquête des cœurs)، فطالما استعبد الإحسانُ إنساناً، حيث كانت ميادين الصحة و التعليم و التشغيل خير مجال لتحقيق ذلك. و في هذا الإتجاه، كانت أول بادرة للسلطات الفرنسية هو ضبطها لبرنامج استعجالي يطبق بالمناطق التي تمثل ساحتها ساحة لـ «حرب التهذئة». و قد كان هذا البرنامج الاستعجالي يتكون من أربعة عناصر هي:

- سد المناصب الشاغرة التي هُجرت من طرف موظفيها بعناصر مختارة لولائها و كفاءتها من بين السكان الملتحقين.

- فتح ورشات عمل ميدانية لتشغيل جموع العاطلين و توزيع أجور على السكان. هذه الورشات تتمثل في إنجاز بعض الأشغال التي تستجيب لاحتياجات حيوية للسكان، كفتح و تهيئة مسالك لفك العزلة عنهم و تُسهّل في نفس الوقت تدخّل الجيش و وصول الإمدادات و التعزيزات العسكرية إلى هذه المناطق؛

- إعادة تهيئة بعض المباني و المنشآت ذات الأهمية الحيوية في حياة السكان.

- تقديم إعانات و مساعدات مادية و في بعض الأحيان نقدية.

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 45.

أنظر أيضا الملحق رقم 13 الذي يقدم بعض الأرقام حول مساعي الإدارة الفرنسية لدمج الجزائريين بأجهزتها و هيئاتها.

² - Décret du 29 juin 1957, Journal officiel du 30 juin 1957, p. 6516.

- منح السلطات العسكرية و المدنية المتواجدة بعين المكان " الصلاحيات الخاصة " (les pouvoirs spéciaux) بتفويض من السلطات التي يتبعون لها لاتخاذ جميع الإجراءات التي يرونها مناسبة لعودة الحياة إلى سيرها الطبيعي، بما في ذلك رصد و صرف اعتمادات لتوزيع أجور على السكان و تقديم إعانات و مساعدات مادية و نقدية لهم... كما يمكنهم أيضا القيام بتعيين أعوان مساعدين لهم بعين المكان¹.

بالتوازي مع ذلك، و في انتظار عودة الهدوء لتحقيق برنامج عادي للتجهيز الاجتماعي لتدارك العجز المسجل في مجال البنى التحتية الاجتماعية، تم اعتماد و تطبيق عدد من الإجراءات في إطار «حرب التهذئة»، نذكر من بينها:

- تقديم خدمات طبية لصالح سكان الأرياف، تسهر على تقديمها فرق المساعدة الطبية المجانية (Assistance Médicale Gratuite)، التي كانت تستغل دورها الطبي و الاجتماعي لدى سكان الأرياف لتميرير أنشطة نفسية و دعائية ضد الثورة.

- بناء مساكن ريفية جديدة، تتوفر على الشروط الدنيا للسكن اللائق، كالتهووية و الإضاءة و المرافق الصحية لتحسين الظروف الحياتية للسكان.

- إتخاذ العديد من الإجراءات لتحسين التشريعات و النصوص القانونية ذات الأثر الاجتماعي المباشر على السكان، كتحسين النظام الاجتماعي للأجور في القطاعات الأخرى غير الإدارية و الزراعية؛ و تكيف النصوص القانونية للعمل و الضمان الاجتماعي لتقترب من تلك المعمول بها في فرنسا في مجال المنح العائلية و التعويض عن حوادث العمل و كذلك التقاعد. كما تم أيضا استصدار نصوص قانونية تحارب الاستغلال و تعيد الاعتبار لليد العاملة الجزائرية و إتخاذ عدد من الإجراءات لصالح فئة قداماء المحاربين.

- تأسيس الصندوق الخاص بمساعدة كبار السن، لصرف منحة الشيخوخة المقدرة بـ 24 أو 36 ألف فرنك قديم حسب الحالات، للأشخاص الذين يتجاوز سنهم 65 سنة و يقل دخلهم السنوي عن 201.000 و 258.000 فرنك حسب الحالات. و كان من المقرر أن يستفيد من هذه المنحة حوالي 300.000 شخص أغلبهم من المسلمين الجزائريين. و قد دخل هذا الإجراء حيز التنفيذ ابتداء من الفاتح أكتوبر 1956. حيث كان هناك، في أبريل 1957، حوالي 40.000 شخص يستفيدون من هذه المنحة².

الإصلاحات المطبقة في الميادين السياسية و الإدارية و الاجتماعية كانت توازيها و تدعمها إصلاحات أخرى في الميدان الاقتصادي، و التي كانت تهدف بدورها إلى تحقيق قفزة نوعية في الإمكانيات الاقتصادية، الزراعية و الصناعية للجزائر، بما ينعكس آليا على الفرد الجزائري، الذي تزيد و تتنوع فرص العمل لديه و يزيد

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 71 ;

² - Service de l'information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et de réformes, Alger, Société Nationale des Entreprises de Presse, octobre 1957, pp. 36- 37 et pp. 101- 110 et 116- 117; Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 46 et 110.

دخله و يتحسن مستواه الحياتي، بما يجسد على أرض الواقع "الجزائر الجديدة" التي تعمل الإصلاحات الأربع متضافرة على تحقيقها.

لن نتناول هنا بالعرض الإصلاحات ذات الطابع الاقتصادي، التي شرعت الحكومة الفرنسية في تطبيقها بالجزائر، و سنكتفي هنا فقط بالإشارة إلى أن مخطط قسنطينة، الذي يمثل في ذاته "المخطط النموذج" و كان يرمي في آن واحد إلى تحقيق أهداف اقتصادية و اجتماعية متعددة.

المبحث الثاني : المهام الجديدة للجيش الفرنسي في «حرب التهدة»

مما سبق، يظهر بجلاء أهمية الدور الذي أصبح الجيش الفرنسي مدعوا للعبه في «حرب التهدة» للقضاء على الثورة. ذلك أن طبيعة الحرب التي فرضتها الثورة على الفرنسيين و التي عصفت بالكثير من المؤسسات المدنية المتواجدة بالقرى و الأرياف قد جعلت الجيش الفرنسي، باعتباره هيئة نظامية تتوفر على إمكانيات بشرية و مادية هامة، هو المعوّل عليه لسد العجز و تدارك النقص الحاصل لدى الإدارة المدنية. مما جعل الجيش الفرنسي يضطلع بالعديد من المهام و الأعباء الجديدة التي تختلف جوهريا عن مهامه الأصلية المسندة له في زمن الحروب التقليدية و التي لم يكن مهياً لها من قبل. هذا من جهة و من جهة أخرى أدت مقتضيات «حرب التهدة» إلى تواجد الجيش الفرنسي بمواقع متقدمة تجعله على احتكاك مباشر و اتصال يومي مع سكان الأرياف، الذين هم الغاية الأولى لـ «حرب التهدة»، و ذلك دون أن يكون له سابق تحضير كاف يؤهله لبعث الحوار معهم و لعب دور الوسيط بينهم و بين الإدارة، تحضير يجنبه الوقوع في أخطاء التي لن نخدم «حرب التهدة» و تعود بالوبال عليها. كل هذه الأسباب و الاعتبارات قد دفعت بقيادة الجيش الفرنسي إلى القيام بنشاط نفسي مكثف على وحداتها العاملة بالجزائر، بهدف مساعدتها على التكيف الجيد مع مهامها الجديدة و ظروف عملها الاستثنائية، و تزويدها بالتعليمات اللازمة، حتى يتسنى لها تأدية عملها على أحسن وجه، و بما يؤهلها للعب دورها كوسيط للحوار و الاتصال بين الإدارة و السكان الجزائريين من جهة و بين هؤلاء و السكان الأوروبيين من جهة أخرى. النشاط النفسي على الجيش كان يهدف لتحقيق ثلاثة أهداف هي:

أولا إقناع الجيش بأهمية و ضرورة حرب التهدة و دوره فيها؛

ثانيا رفع معنويات الجيش و تحصينه من أخطار الحرب النفسية و إقناعه بأهمية و ضرورة استعمال السلاح النفسي؛

ثالثا إقناع الجيش و إعداده للقيام بدوره "كوسيط اتصال و مصالحة" بين الإدارة و السكان الجزائريين من جهة، و بين هؤلاء السكان و الأوروبيين من جهة أخرى.

المطلب الأول : إقناع الجيش بأهمية و ضرورة حرب التهدة و دوره فيها

لما كان الجيش هو المعوّل عليه لتطبيق و إنجاح «حرب التهدة» و يجب تعريفه بدوره في هذا المجال و تعريفه بالسياسة التي تنتهجها الحكومة الفرنسية بالجزائر و تزويده بالتعليمات اللازمة حتى يتسنى له أداء دوره على الوجه المطلوب. و في هذا المسعى كانت تندرج التعليمات الأربع التي وجهها روبرت لاكوست بمجرد تعيينه

كوزير مقيم بالجزائر إلى ضباط و ضباط الصف للقوات البرية و البحرية و الجوية المتوقفة بالجزائر، و ذلك خلال لقاءات دورية عقدها معهم، أرادها أن تكون فرصا للاتصال و التواصل بينه و بينهم لشرح سياسة الحكومة و توحيد الرؤى حول الحلول المطبقة في الميدان. في هذه اللقاءات الدورية كان الوزير المقيم روبرت لاكوست يقوم في كل مرة بتشخيص الوضعية العامة للجزائر على ضوء المعطيات الداخلية و الدولية مغتنما الفرصة للتأكيد على الحقوق الشرعية و التاريخية لفرنسا في الجزائر و التي ترفض كل تدخل أجنبي، مستعرضا في نفس الوقت سياسة الحكومة الفرنسية و ما تبذله من جهود و إصلاحات في المجالات السياسية و الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية، التي من شأنها أن تُغيّر جذريا من واقع الجزائر¹. هذه السياسة الحكومية يشرحها روبرت لاكوست، في التعلّيم المؤرخة في جوان 1957، التي وجهها للمسؤولين المدنيين و العسكريين، كالأتي: « إن تكتيكنا يجب أن يستلهم مبادئه من المقتضيات التي تفرضها الحرب الهدامة و الانقلابية (subversive) : ففي مواجهة خصم لا يرحم، و الذي يسعى بكل الوسائل إلى إحكام قبضته على السكان، يجب علينا أن نُطوّر نشاطنا العام بالتنسيق الوثيق بين وسائلنا المدنية و العسكرية: فإلى جانب القضاء على الجماعات المسلحة للمتمردين و تفكيك خلاياهم الثورية، يتم الاستمرار في عملية وضع مؤسسات التعاون التي تستدعي رجالا جددا كممثلين حقيقيين للسكان الجزائريين: ذالكم هو المظهر المزدوج لسياسة شاملة، و التي يجب أن يتم فيها التنسيق على جميع مستويات المسؤولية² ». أما عن دور الجيش في هذه السياسة، فيراه روبرت لاكوست يتمثل أولا في القضاء على التنظيم الثوري، ممثلا في الخلايا الثورية التي تؤمن الدعم اللوجيستكي لجيش التحرير و تحكم قبضتها على السكان. و في ذلك يقول: « يجب عليكم أولا أن تقتنعوا حق القناعة، و على جميع مستويات المسؤولية، بما تقتضيه «الحرب الثورية»، التي فرض خصومنا علينا خوضها، من يقظة و انتباه دائمين. فالثورة قد سعت في كل مكان إلى زرع تنظيمها السياسي و العسكري الخفي بهدف الاستيلاء على السلطة الفعلية و جر السكان في عمل تمرد و تخريبي لخلق الحضور الفرنسي بالجزائر. هذا الجهاز -[أي التنظيم السري]- هو الوسيلة الأساسية الأكثر فعالية في الحرب الحديثة، و التي ستسمح للخصم بريح الجولة نهائيا حتى لو خسرها عسكريا. لذلك يتعيّن عليكم استئصال هذا الجهاز و القضاء عليه، و إلا فإن كل جهودنا ستظل عقيمة ». ثم يضيف مستطردا : « و لكن العمل النفسي و السياسي الذي أنتظره اليوم من الجيش هو عمل لا يقل أهمية عن أنشطته العسكرية البحتة³ ».

أما الدور الثاني الذي ينتظره روبرت لاكوست من الجيش فهو يتمثل في تقديم مساهمته لبعث الإدارة المدنية و تقديم يد المساعدة للسكان. و في ذلك يقول: « لسد الخلل الناتج عن العجز الإداري المسجل في الإدارة الجزائرية، فإنه يستلزم على كل الضباط و ضباط الصف، متى تعيّن ذلك، أخذ المبادرة و مساعدة الإدارة بعين المكان. [...] و في هذا المجال، يمكن للجيش أن يلعب دورا معتبرا لمؤازرة و تعزيز الجهود المبذولة من طرف الإدارة، و ذلك من خلال الخلق المستمر لمناصب عمل لتشغيل الفرنسيين المسلمين الذين

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 22- 50.

² - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 53.

³ - المصدر السابق، ص. 47.

يعانون البطالة الجزئية أو الكاملة. فالجيش بتواجده و انتشاره بكل ربوع الجزائر و بكونه على اتصال دائم بالسكان، يجب عليه أن يكتمل عمل الإدارة، بفتح العديد من الورشات و تدشين العديد من الأشغال الصغيرة...»¹. و يضيف أيضا: « أعرف أنه قد طُلب منكم حتى الآن أشياء عديدة: حماية السكان و تقديم العلاج الطبي لهم، تربيتهم و تشغيلهم، و في بعض الأحيان إدارتهم. و لكني الآن سأطلب منكم أيضا تقديم مساعدتكم لهم في مجال إدارة شؤونهم المحلية، ذلك أنه في هذا النوع الغريب من أنواع الحرب، تقترن الأنشطة السياسية و النفسية بالأنشطة العسكرية بحيث لا يمكن الفصل بينهما بحال»².

في تحقيقه للمهمتين أعلاه، يجب على الجيش الفرنسي أن يعي المسؤولية الكبرى المناطة به و المتمثلة في ضمان استمرارية الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا. و في ذلك يقول روبرت لاكوست: « إن الجيش الفرنسي هو اليوم، أكثر من أي وقت مضى، الضامن لحضورنا بإفريقيا. و هو الوحيد الذي يكاد يحمل منفردا على عاتقه كل عبء محاربة الثورة الجزائرية، و أنا مقتنع بوعيه بذلك. و سيجد الجيش في هذه المهمة الفرصة ليكون واحدا من جيوش العالم القلائل الأكثر دراية بالمفاهيم الحديثة للحرب « في المجال» و « الحرب الثورية» دون أن يؤثر ذلك من عمق إنسانيته»³. كما يجب على الجيش أيضا أن يتحلى بعنصرين هامين هما: الإيمان و المبادرة. فعلى قدر إيمان هذا الجيش بمهمته في الجزائر تكون قدرته - كما يقول روبرت لاكوست - على إشعاع محبة فرنسا فيمن حوله. و على قدر روح المبادرة التي يتمتع بها، و التي هي في النهاية تضافر لمجموع مبادرات خاصة، يتحدد النجاح الذي يحققه لدى السكان، الذين لم تستطع بعد المشاريع الواسعة و المطبقة لصالحهم أن تستأثر باهتمامهم⁴.

كما يتعين على هذا الجيش أن يستحضر عند أدائه لعمله شيئين هامين هما: الأول هو أن يعي جيدا بأن فرنسا قد ألزمت، من خلاله، كل شرفها و سمعتها، و أنه تبعا لذلك ملزم بمراعاة هذا الشرف و تلك السمعة في كل سلوكه و تصرفاته. و في ذلك يقول روبرت لاكوست: « لقد راهنت فرنسا بشرفها و مصيرها في الجزائر. لذلك يجب على كل الذين لهم قسط من المسؤولية هنا أن يشدوا على عزائمهم لبلوغ اللحظة التي يمكن لوطننا، في ظل السلم المستعاد، أن يقود المجموعات السكانية بالجزائر نحو مستقبل الحرية و الرخاء»⁵. أما الشيء الثاني الذي يجب على الجيش أن يستحضره في أدائه لعمله فهو أنه محط آمال و تطلع جميع الفرنسيين. و في ذلك يقول روبرت لاكوست: « إن كل أنظار الوطن مركزة على قوات الجيش بالجزائر. كما أن فرنسا تستعيد فيكم تلك الروح الوطنية التي يعتقد البعض اندثارها. إنني أجدد لكم ثقتي الحارة بأننا سنبقى في الجزائر، لا لأننا نحن الأقوياء و لكن لأننا على حق في ذلك»⁶.

¹ - المصدر السابق، ص. 35-36.

² - المصدر السابق، ص. 41.

³ - المصدر السابق، ص. 49.

⁴ - المصدر السابق، ص. 36.

⁵ - المصدر السابق، ص. 55.

⁶ - المصدر السابق، ص. 50.

دائما و في نفس هذا الاتجاه، و بالموازاة مع المساعي الرامية لتعريف الجيش بـ «حرب التهدة» و دوره فيها، تم القيام بمساعي أخرى لإقناع الضباط الكوادر لهذا الجيش بضرورة «حرب التهدة»، حتى يتسنى لهم أن ينقلوا بدورهم عدوى هذه القناعة إلى من تحت إمرتهم من الضباط الصغار و الجنود، فتنعكس آثار كل ذلك على التطبيق الجيد لتعليمات الحكومة في الميدان. لبلوغ هذه الغاية، كان الجيش الفرنسي يقوم بنشاط نفسي مكثف على أفراده في المعاهد الحربية و مراكز التدريب و الوحدات، و ذلك وفق برنامج دقيق لغرس مثل هذه القناعة¹. حيث يتمثل الهدف هنا في « انتزاع انخراط شخصي من كل جندي يعمل في حرب التهدة » كما يتمثل أيضا في هدف آخر هو « تحويل كل عسكري، طيلة مدة خدمته العسكرية ثم حتى إلى ما بعد تسريحه، إلى مؤمن واع راسخ القناعة في النشاط العسكري و الإنساني الذي يقوم به الجيش، و عنصر فاعل في عملية التهدة »². و قد سبق لنا أن استعرضنا بالتفصيل في الفصل السابق الدور الحيوي الذي كان يضطلع به مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزيبو (C.I.P.C.G.) في مجال تأهيل الكوادر العسكرية و تلقينهم المبادئ المعتمدة في «حرب التهدة»³.

و لكن و بالرغم من كل هذه الجهود و الأنشطة المكثفة للحصول على قناعة الجيش و انخراطه في حرب التهدة، فإن نتائج ذلك لم تكن، على ما يبدو، في مستوى التطلعات. ذلك ما أثبتته مُساءلة وُجّهت للضباط المنتقلين و التي طُلب منهم فيها الإجابة على مجموعة من الأسئلة بغرض تحسين المناهج و الطرق المستعملة من طرف المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العاشرة في مسعاها لبلوغ الأهداف المرجوة من «حرب التهدة» كما حددها الوزير المقيم. هذه المُساءلة، تعلق موضوع سؤالها الأول بمدى فعالية الضباط الكوادر في مجال «حرب التهدة»، حيث كان نص سؤالها الأول يتمثل في الآتي: حدّد بالنسب المئوية عدد الضباط الذين تعتبرهم: مقتنعين و فاعلين؛ متشككين أو تعوزهم المهارة في العمل؛ معادين أو خطرين؛ غير مباليين أو غير فاعلين. نتائج هذا الاستجواب، و التي ظهرت في شهر جانفي من سنة 1957، كشفت عن وجود المعدلات التقريبية التالية: 26% من الضباط مقتنعين و فاعلين؛ 31% من الضباط متشككين أو غير بارعين؛ 5% من الضباط مُعادين أو خطرين؛ و 36% غير مباليين أو غير فاعلين⁴. و هو ما يعني أن «حرب التهدة» بمعناها الشامل لم تلق الخطوة اللازمة في الجيش و لم تكن تستفيد، إلى غاية جانفي 1957، إلا من ربع الضباط الكوادر. و إن كنا نُرجح ارتفاع هذه النسبة في السنوات التالية، بسبب استكمال وضع و تعميم أجهزة النشاط النفسي في كل الوحدات و بكامل مستويات المسؤولية بالجيش و ما يترتب عن ذلك من إخضاع هذا الأخير لنشاط نفسي مكثف لإقناعه بأهمية و ضرورة «حرب التهدة». هذا، و قد كان النشاط النفسي المكثف يتخذ من النجاحات المحققة في الميدان قاعدة للتدليل على فعالية حرب التهدة و نجاعتها في الميدان. على أن هذا لا يعني بحال بأن «حرب التهدة» قد كسبت لاحقا الجولة نهائيا داخل الجيش، فبالرغم من حصول الجيش على القناعة الفكرية المطلوبة حول هذه الطريقة كمنهج حربي في الرد على الثوار، و بالرغم من تطبيقه الجيد للشق

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, Annexe à l'instruction pour la pacification en Algérie, (s.d.), 6p.

² - المصدر السابق، ص. 1.

³ - أنظر أعلاه صفحة 63 و ما يليها.

⁴ - SHAT, 1H 2533/d.1, Etude, Problèmes et les méthodes de pacification en Algérie, janvier 1957, quest.1.

العسكري الكلاسيكي «لحرب التهدة» فإن تطبيقه لشقها الثاني، أي النشاط النفسي على السكان من خلال مختلف الأنشطة الإدارية و الاجتماعية، قد ظل يعتره حتى نهاية الحرب " نقص في الفهم ترتب عنه سوء في التطبيق "، و هذا عدا عن تسجيل شيء من " اللامبالاة و عدم الاكتراث " لدى بعض قادة الجيش الذين كانوا يجعلون من مسألة النشاط النفسي على السكان " مسألة يناط أمرها بالمختصين وحدهم" ¹.

و مهما يكن من أمر اقتناع الجيش و من أمر حسن فهمه و تطبيقه للأنشطة المدنية الأخرى ل «حرب التهدة» الموازية للعمليات العسكرية ضد خلايا الثورة و وحدات جيش التحرير، فإن الحاصل هو أن مساهمته كانت حاسمة في سد النقص و تدارك العجز في العديد من المجالات المدنية الحساسة ذات العلاقة بالسكان. و ذلك ما تؤكد الإحصائيات المتعلقة بمساهمة الجيش في مختلف الأنشطة غير العسكرية «لحرب التهدة»، للفترة ما بين الأول من جانفي 1956 و جوان 1958، في مجال بعث الإدارة و ضمان التغطية الصحية و التعليمية للسكان و فتح و حماية ورشات للبناء و الأشغال العمومية.. و غيرها من الأنشطة الأخرى ².

ففي مجال مد و بعث الإدارة الفرنسية كان دور الجيش يتمثل في تقديم مساهمته لإنجاح الإصلاح الإداري، سواء تعلق الأمر في ذلك بمساعدة السكان على تنظيم أنفسهم، أو تعلق الأمر بانتداب عدد من ضباطه لسد الفراغ بعدد من المناصب الإدارية في انتظار شغلها بعناصر مدنية مناسبة يتم إيجادها بين السكان. و في هذا المجال، كان الجيش الفرنسي يضع عددا من الضباط و صف الضباط تحت تصرف الوزير المقيم، كما كان يقطع أيضا آخرين من وحداتهم العسكرية و يعهد إليهم بممارسة وظائف عسكرية و مدنية على حد سواء.

كما قام الجيش بتوفير التأيير البشري اللازم للقسمات الإدارية المختصة (SAS)، التي قارب عددها في السداسي الأول من سنة 1958 حوالي 600 قسمة حيث قام الجيش الفرنسي بتوفير 1000 ضابط و 750 ضابط صف و 2500 جندي يعملون كأعوان للاتصال بالراديو و كمنشطين رياضيين ³.

أما في مجال توفير الرعاية الصحية للسكان، فقد قام الجيش، في إطار نشاط القسمات الإدارية المختصة، بتشكيل فرق " للمساعدة الطبية المجانية " (Assistance Médicale Gratuite)، لتقديم فحوصات و علاجات أولية لسكان الأرياف. و قد كان يعمل بهذه الفرق، في جوان 1958، ما عدده 534 طبيبا عسكريا و 227 مساعدة نسوية ثلثيهن من الجزائريات المسلمات. و قد تمكنت هذه الفرق الطبية، ما بين الأول من جانفي 1956 و جوان 1958، من تقديم 673.700 فحص و علاج ⁴.

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, L'instruction " Pacification " des Forces de l'Ordre, (s.d.)

² - Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches extra militaires de pacification, Etat- Major , 6^e Bureau, n° 710- R. M. 10/6/SC, 1^{er} semestre 1958, 31p.

³ - المصدر السابق، ص. 6-7.

⁴ - المصدر السابق، ص. 10-11.

و في مجال التعليم قام الجيش خلال نفس الفترة بفتح و تسيير 534 مدرسة، يرتادها 39.500 تلميذ و يدرّس بها 684 معلم عسكري. كما قام بفتح تسعة مراكز للتعليم المهني بالوسط الجزائري، كانت تضمن تكويناً مهنياً لـ 1.500 متهمن¹.

و في مجال الأشغال العمومية و فتح ورشات لتشغيل جموع العاطلين و توزيع أجور على السكان، كانت للجيش في جوان 1958 ما عدده 203 ورشة عسكرية، تشغل 11.734 عامل و يسهر على حراستها 2.729 جندي، يضاف إليهم 7.710 جندي يسهرون على حماية 440 ورشة مدنية. و قد كانت هذه الورشات تتوزع بين أشغال المياه و الري، إصلاح الطرق، إنشاء المسالك و تحسينها، بناء أبراج و مساكن، تعهّد خطوط الهاتف و السكة الحديد².

من جهة أخرى، كانت للجيش مساهمة حاسمة في عملية تجميع السكان بالمختشات، و التي تمّ الشروع فيها بداية من صيف 1957 بهدف قطع الدعم الشعبي عن الثورة. و قد طالت هذه العملية نصف مليون جزائري من سكان الأرياف حسب المصادر الفرنسية، تم توزيعهم ما بين 641 مركز، و هو ما كلف الجيش الفرنسي ضابطاً واحداً و أربعة من الضباط الصف (s/officier) و عشرة جنود لكل 3000 جزائري ضمن المختشد، بالإضافة إلى شاحنة لكل 800 شخص في المختشد³.

و أخيراً و ليس آخر، نشير إلى أن الجيش الفرنسي كان يضطلع بمهام إنشاء و تنظيم و تسليح و مراقبة نشاط العديد من التشكيلات المسلحة، التي تم جمع عناصرها من بين السكان، و التي كان يقدر عدد عناصرها بـ 58.751 عنصراً مسلحاً⁴.

المطلب الثاني : إقناع الجيش بأهمية و ضرورة استعمال السلاح النفسي

أولاً إقناع الجيش بأهمية و ضرورة استعمال السلاح النفسي

لما كان الجيش هو المعوّل عليه في المقام الأول من أجل إنجاح «حرب التهذئة» و «تخليص» السكان الجزائريين من قبضة و تأثير جبهة التحرير و جلبهم إلى الإدارة الفرنسية و إصلاح ذات البين بينهم و بين السكان الأوروبيين، و جب أولاً إقناع الجيش الفرنسي بأهمية السلاح النفسي و بضرورة استعماله، كوسيلة تفرضها الحرب الثورية و كوسيلة تُمكن من بلوغ أهداف أخرى، لا يمكن بلوغها بالافتقار على استعمال الأسلحة التقليدية وحدها.

¹ - المصدر السابق، ص. 14 - 15.

² - المصدر السابق، ص. 18 - 19.

³ - المصدر السابق، ص. 22 - 23.

⁴ - المصدر السابق، ص. 26 - 27.

مساعي قيادة الجيش الفرنسي في هذا الاتجاه كانت في أول أمرها، محفوفة بالكثير من الصعاب. فقد كان على الحرب النفسية، حتى يتسنى لها تحقيق أهدافها المنشودة، أن تشق طريقا لها أولا داخل الجيش الفرنسي نفسه، و هو ما لم يكن بالشيء الهين. فالموقف العام لضباط هذا الجيش تجاه موضوع الحرب النفسية كان يتأرجح ما بين عدم الاكتراث إلى الرفض. كما كان مجرد الحديث عن السلاح النفسي و فضائله مبعثا عند الكثيرين على الابتسامة و هز الأكتاف دلالة عن عدم الاقتناع¹. و هو ما يعكس طول الطريق التي كان يتوجب على الحرب النفسية، كمذهب حربي، قطعها داخل الجيش الفرنسي، لتستأثر باهتمامه و تغدو سلاحا من أسلحته و قناعة راسخة لدى ضباطه و جنوده. لذلك كان على المكتب النفسي الإقليمي و من بعده المكتب الخامس فعل الكثير للتعديل من هذه الوضعية، و هو ما لم يكن بالأمر السهل.

تعود أسباب هذا الرفض و عدم الاكتراث إلى عوامل عديدة: أولها الجهل العام بالمعطيات الجديدة التي تفرضها الحروب الثورية لدى الضباط و الجنود؛ و ثانيها الغموض الذي كان يكتنف عبارة " الحرب النفسية" و " السلاح النفسي" الذي كان بالنسبة للكثيرين « يفيد الكثير و لا يفيد شيئا في نفس الوقت»، فاعتبره بعضهم مجرد « هديان و تحيُّلات لبعض الحالمين و المثاليين، سرعان ما تتهاوى أمام الحقائق الصعبة للواقع الموجود»، و مجرد « عبارات سحرية، لا تعني شيئا آخر غير اغتصاب الضمائر، الذي يجب على الغرب رفضه كلية»². و بالرغم من الخطوة التي لقيتها الحرب النفسية لدى الضباط الصغار بالوحدات فإنها ظلت تعاني، حتى أواخر سنة 1958 على الأقل، من الرفض و عدم التطبيق في الميدان من طرف الضباط الكوادر، و بالأخص من طرف قادة المناطق و القطاعات و القطاعات الفرعية العسكرية على وجه الخصوص³. هذا الرفض، كثيرا ما تم النظر إليه على أنه تحجر و رتابة و كسلا فكريا قد استولى على بعض النفوس العسكرية التي تأبى الإبداع و ترفض بدل كل مجهود للتجديد⁴.

و في هذا الإطار، يُعد ما لقيته مبادرات و مساعي الجنرال جاك باري دو بولارديه (Général Jacques Paris de Bollardière) من رفض و عدم تفهم من لدن السلطات العسكرية، عيّنة تعكس حالة الرفض التي كانت مستشرية عند عدد غير قليل من الضباط الكوادر تجاه استعمال السلاح النفسي، لأنهم كانوا لا يؤمنون بحل آخر غير استعمال القوة في الرد على الثورة التحريرية. فهذا الجنرال، الذي كان يرى بأن معركة الجزائر - أي معركة مدينة الجزائر - هي معركة إنسان قبل كل شيء، شرع، عملا بقناعته هذه، في تنفيذ عدد من الأشغال والإنجازات المدنية « لصالح » السكان بمنطقة قيادته بخميس الحشنة التابعة للقطاع العسكري الشرقي للأطلس البلدي، معتمدا في تنفيذ هذه الأشغال على من تحت إمرته من الضباط و الجنود من مختلف التخصصات و على ما تلقاه من اعتمادات مالية منحت له من طرف مصالح الولاية العامة. و كان هدف الجنرال من تحقيق هذه المشاريع يتمثل في التقرب من السكان الأهالي لكسبهم و ربح ثقتهم و تمكين الجنود و الضباط من بعث الحوار والاتصال معهم. مسعى الجنرال دو بولارديه في هذا الإتجاه كان أيضا عملا بقناعته المبدئية للدفاع عن كرامة

¹ - SHAT, 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de SUSBIELLE..., op. cit, p. 1.

² - SHAT, 1H 2518/d.1, Note de service, n° 727/ ZSA/5, 19 novembre 1957.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Note au sujet des officiers Itinérants, Délégation Générale du Gouvernement, Service de l'Information, le Conseiller Technique, Alger, le 24 décembre 1958, pp. 1- 2.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, op. cit, p. 1.

الإنسان سواء كان أهليا جزائريا أو جنديا فرنسيا، و بالأخص الدفاع عن حقه في أن لا يكون قاتلا. مسعى الجنرال دو لا بولاردية كان يهدف أيضا إلى إنقاذ ما كان يراه أعلى ما يملكه الجيش الفرنسي و هو سمعته و قيمته الأخلاقية حتى لا تداس أو تندثر بدعوى الحزم و الفعالية في مجابهة الثورة و القضاء عليها¹. و هو ما حدث فعلا و راح ضحيته الجنرال نفسه. حيث بدعوى هذا الحزم و هذه الفعالية، وجد هذا الجنرال نفسه مضطرا إلى مغادرة الجيش الفرنسي بالجزائر بعد اختلافه مع الجنرال ماسو (Général MASSU) الذي كان لا يجذب شيئا آخر غير استعمال القوة لمواجهة الثورة. فرفض هذا الجنرال، إذعانا لضميره و مبادئه، الامتثال لأوامر الجنرال ماسو القاضية بإعطاء الأولوية للعمليات العسكرية و البوليسية قبل كل شيء، حتى لو ترتب عن ذلك استعمال التعذيب².

لأجل هذه الأسباب و غيرها كان على قيادة الجيش الفرنسي القيام بحملة لتوعية الضباط الكوادر و تحسيسهم بأهمية الحرب النفسية و مكافحة الرفض الذي يعترضها لدى عدد من النفوس، و جعل الجيش على قناعة رجل واحد في إيمانه و تطبيقه للحرب النفسية. فيتحول القادة و الجنود إلى دعاة للقضية الفرنسية بالجزائر، و يسخروا لنجاحها كل ما أوتوا من مبادرة إبداعية خلاقة³. و قد رأينا في الفصل السابق بأن إنجاز هذه المهمة قد أوكل إلى سلك الضباط المنتقلين للنشاط النفسي، الذين كانوا يضطلعون بإقناع الضباط الكوادر و معهم مختلف الوحدات بواقع و حقيقية الحرب الثورية التي - برأيهم - "فُرضت على فرنسا" و بالمعركة التي تخوضها هذه الأخيرة في الجزائر، و إقناعهم أيضا بأهمية السلاح النفسي و بضرورة استعماله في القيام بنشاط نفسي مستمر على السكان، بالإضافة إلى العمل على نشر المذهب العسكري للحرب النفسية على أوسع نطاق ممكن بتلقين الكوادر العسكرية والمدنية و ضباط القسّمات الإدارية المختصة (S.A.S.) طرق و مناهج النشاط النفسي التي تحقق و تحفظ التواصل مع السكان و ذلك من خلال تجميع السكان و القيام بعروض حية للدعاية عليهم أمام هؤلاء الكوادر ليسترشدوا بها و يتمثلوا بها لاحقا في ممارستهم للنشاط النفسي على السكان المجاورين لهم. حتى إذا تحقق ذلك، ذهب الضباط المنتقلون و تولى ضباط الوحدات المتمركزة و المتوقفة مواصلة النشاط النفسي مستعينين في ذلك بالوثائق الصادرة عن المكتب الخامس⁴.

بناء على التقارير العديدة المرفوعة من طرف الضباط المنتقلين، فإن النشاط النفسي كان يحظى بقبول أكبر لدى الضباط الصغار منه لدى الضباط السامين. و أن هؤلاء الآخرين يكادون يكونون هم المصدر الحقيقي لرفض استعمال السلاح النفسي داخل الجيش. و لمعالجة هذه الوضعية و التمكين " للفكرة النفسية" لدى الضباط الكوادر و مجموع الجيش تم اعتماد خطة من شقين: يوجه شقها الأول للتأثير على الضباط الكبار، من

¹ - *La guerre d'Algérie*, dossier et témoignages réunis et présentés par : Patrick Evéno et Jean Planchais, Alger, Laphomic, 1990, pp. 157- 158.

² - BOLLARDIERE (Général Jacques Paris de), *Bataille d'Alger, Bataille de l'homme*, Editions Désclée de Brouwer, 1972, pp. 83- 94

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Note de service concernant personnel chargé de l'Action Psychologique, n ° 2465/ CAC/PY, 21 Août 1957, p. 2 ; SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique, n° 1209 /2.PY, Guelma, le 20 octobre 1956.

⁴ - أنظر أعلاه صفحة 54 و ما يليها.

خلال القيام بنشاط نفسي مكثف عليهم يستهدف تخليصهم من الأحكام المسبقة المتمكنة فيهم، و التي قد تعود أسبابها إلى تكوين قديم منغلق و متحجر يأبي كل تجديد؛ أو ربما عادت أسبابها أيضا إلى تشاؤم مزمن لدى هؤلاء، مصدره الهزائم المتتالية للجيش الفرنسي بكل من الهند الصينية و المغرب و تونس؛ أو كانت أسبابها أخيرا تعود إلى " نقص قدري في الحماس " لدى ضباط هيئات الأركان الذين لا يشاركون مباشرة في العمليات الميدانية، فهم بالتالي لا يعاينون النتائج على أرض الواقع. حتى إذا تم القضاء على هذه الأحكام المسبقة، تم تحسيسهم بالضرورة الملحة التي تمثلها الحرب النفسية للعكوف عليها دراسة و بحثا، تم تدريبهم على طرقها و وسائل استعمالها¹.

أما الشق الثاني من هذه الخطة فكان يتوجه إلى الضباط الصغار، الذين أعطوا النشاط النفسي و الحرب النفسية اهتماما أكبر. حيث يتمثل الهدف هنا في استغلال ما لدى هؤلاء الضباط الشباب من يفاع و فضول و حماس و استعداد و روح للتضحية في تعزيز مكانة السلاح النفسي بالجيش و تقوية استخدامه في الميدان². و بالتوازي مع هذه المساعي لإقناع الجيش بأهمية و ضرورة الحرب النفسية، تم القيام بمساعي أخرى، أهمها: أولا إدراج النشاط النفسي و الحرب النفسية كمحور في البرامج المدرسية و التكوينية بالمدارس و المعاهد العسكرية³.

ثانيا تنظيم دورات تربية للضباط من مختلف الرتب و المسؤوليات بمركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزو (C.I.P.C.G.)، كما رأينا ذلك في الفصل السابق. ثالثا تنظيم محاضرات إعلامية و تحسيسية، تلقيها شخصيات علمية بارزة في ميدانها. مثل تلك السلسلة من المحاضرات التي ألقاها السيد بونيميزون (BONNEMAISON)، ما بين 11 و 14 نوفمبر 1957 أمام أزيد من مائتي ضابط، أغلبهم من رتبة عقيد و قادة لقطاعات عسكرية. و قد شددت هذه المحاضرات " انتباه الجميع و أقنعتهم بضرورة تطبيق الحرب النفسية"⁴. رابعا ربط اتصال مباشر مع ضباط و جنود الوحدات عن طريق جريدة " البلاد " (Le Bled)، التي كان يشرف على إصدارها المكتب الخامس و كانت توزع بعشرات الآلاف من النسخ، كما رأينا ذلك في الفصل السابق.

خامسا و أخير إعادة الاعتبار للضباط العاملين بحقل النشاط النفسي، و جعلهم على قدم المساواة مع زملائهم الآخرين من الضباط العاملين في المجالات العسكرية الأخرى. ففي فترة من الفترات، ساد الاعتقاد في صفوف الجيش بأن العمل في حقل النشاط النفسي لا يخدم المستقبل المهني للضباط العسكري و لا يقدم لصاحبه نفس الامتيازات التي يتمتع بها الضباط الآخرون. كما أن الترقيات في

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche : Orientation des cadres sur l'Action Psychologique et la Guerre Psychologique, Alger, le 25.2.57, pp. 1- 2.

² - المصدر السابق، ص. 3.

³ - SHAT, 1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, op. cit., pp. 63- 64.

⁴ - SHAT, 1H 2518/d.1, Les fondements de la guerre psychologique, résumé des conférences faites par Monsieur Bonnemaïson du 11 au 14 Novembre 1957, 17 p.

الجيش هي حكر على الضباط العاملين بالوحدات القتالية، الذين يرتقون سلم الرتب العسكرية بفضل ما يحققونه من أعمال بطولية في ساحة القتال. هذا الاعتقاد، رأت فيه القيادة تشويها للروح العسكرية، من شأنه أن يسيء إلى سلاح الحرب النفسية و أن يحرمه من خيرة الضباط، الذي هو أحوج ما يكون إليهم. لذلك قررت القيادة إعادة الاعتبار للضباط العاملين بالحقل النفسي، من خلال إعادة الاعتبار للنشاط النفسي نفسه و تدعيمه بالضباط من ذوي الكفاءات و القناعة الراسخة، خاصة بالمستويات الدنيا، أي على مستوى القطاعات و القطاعات الفرعية العسكرية و الفياق، مع تشجيع هؤلاء الضباط بالمكافآت و النياشين و الترقيات في الرتب، بما يعكس الاهتمام الذي توليه القيادة لهذا النشاط الذي هو في مقدمة الأسلحة بساحة القتال 1.

ثانيا : رفع معنويات الجيش الفرنسي و تحصينه من أخطار الحرب النفسية للثورة

امتدادا للمساعي السابقة لإقناع الضباط الكوادر بأهمية و ضرورة الحرب النفسية في الحرب الجارية بالجزائر، كان يتم أيضا ممارسة نشاط نفسي مكثف علي مجموع الجيش. الهدف من هذا النشاط هو أولا رفع معنويات هذا الأخير، أي الجيش، و تحقيق متابعة دقيقة لتطور حالته النفسية و تحصينه من أخطار الحرب النفسية التي قد تشنها الثورة أو غيرها عليه. ثم تحصيله و إعداده لتأدية المهام المنوطة به في حرب الجزائر و خلق تماسك عضوي في داخله و خلق وحدة في التصور و التنفيذ بين القمة و القاعدة، بما يفشل و يصد كل محاولات الاختراق و التسميم و غيرها من المحاولات التي ترمي إلى التشكيك في الأهداف المسطرة و في سبل الوصول إليها.

رفع الحالة المعنوية للجيش و تحصينه من جميع الأخطار التي قد تتهددها أو تنال منها هو، كما رأينا، من مهام المصالح النفسية للجيش، و تحديدا من مهمة المكتب النفسي الإقليمي و بعده المكتب الخامس². حيث كانت تتمثل مهمة هذه المصالح في:

1- القيام بدراسات تحليلية دقيقة لجميع تقارير المعنويات الصادرة عن الوحدات و الهيئات المختصة و قيادات الجيش بمختلف المستويات، لمتابعة تطور معنويات الجيش و رصد كل العوارض التي قد تطرأ عليها و قد تهدد صفو حالته النفسية و إخطار القيادة عنها و تقديم المقترحات و الحلول المناسبة لمواجهتها و الحد من آثارها. و في هذا الإطار، كانت المصالح النفسية للجيش تتابع و عن قرب ما كان يعرف بحالة " التذمر داخل الجيش " (le malaise de l'Armée) و التي بدأت بوادها مند هزيمته في الحرب الثانية إلى هزيمة في الهند الصينية. و هو التذمر الذي ما فتى يشتد و يترسخ بفعل الأحداث، ليعمق الشعور لدى العديد من العسكريين الفرنسيين بأن الأنظمة السياسية الحاكمة في فرنسا ما فتئت تحذل الجيش و تسلبه انتصاراته و تعمل على تحويلها إلى هزائم سياسية بسبب سوء تسييرها للأحداث في المستعمرات و انتهاجها لسياسة التخلي (Le dégagement

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Note faisant suite à l'inspection du Ministre du 21 au 24 Août en Algérie, n° 02668 DN/CAB/INF/SEC, Paris, le 30 septembre 1957, 2 p ; SHAT, 1H 2409/d.1, Personnel chargé de l'Action Psychologique, note de service n° 2465/CAC/PY, 21 Août 1957, p.1.

² - SHAT, 1H 2408, Directives d'Action Psychologique, n° 185/EM.10/BP/DR/S, Alger, le 24.4.1956, p. 2 ; Fiche- Exposé sur l'Action psychologique en 10° R. M., (s. d.), p. 2.

(، في حلها لها، مما عجل من انحصار مساحة المستعمرات الفرنسية في العديد من مناطق العالم، و هو الأمر الذي كان العسكريون الفرنسيون يخشون تكرار وقوعه مرة أخرى في الجزائر¹.

كما كانت هذه المصالح تعمل على رصد " حالات وخز و تأنيب الضمير " التي كانت تعتري عدد من الضباط و الجنود بسبب عدد من المسائل التي كانت تثيرها الأحداث و الصحافة من حين لآخر، كمسألة مدى عدالة الحرب التي يشنها الفرنسيون في الجزائر، و مسألة التعذيب الذي يمارسه الجيش ضد الجزائريين. فحول هذه المسألة الأخيرة مثلا، كان الجيش الفرنسي في العديد من المرات عرضة لحملة تشنها عدد من الصحف حول موضوع " وحشية و همجية جيش القمع " و التي كانت، بناء على وقائع ثابتة، تندد بالأعمال و التصرفات الوحشية للجيش الفرنسي ضد الجزائريين. و هي الحملات التي نالت فعلا من معنويات هذا الجيش بتركها آثارا واضحة لدى الضباط الصغار و الجنود، اتخذت شكل حالات لتأنيب الضمير و شعور جماعي بالذنب، حُشي أن تتعدى آثارها إلى التشكيك في "عدالة القضية الفرنسية في الجزائر " ².

الملحق رقم 14 يُمثل عينة على ما يمكن أن تبده قرائح مختصي المصالح النفسية للجيش الفرنسي في التعامل مع مثل هذه الحالات و معالجتها. فقد كانت هذه المصالح النفسية، بمجرد صدور مقالات مناوئة للجيش للتدبير بمحجته و تجاوزاته، تعتمد في العديد من الحالات إلى الرد على ذلك بنشر عدد من المقالات في جريدة البلاد و غيرها، يتم فيها تمويه الحقيقة و طمسها بأشبه حقائق أخرى. في هذه المقالات، التي كانت تُنشر بإمضاءات مستعارة، كان يتم تناول موضوع التعذيب و المجازر المرتكبة ضد الشعب الجزائري بشكل يوهم القارئ بالموضوعية و البعد عن المبالغات و المغالطات و المزايدات، كأن يتم سرد بعض الوقائع التي حدثت بالفعل مع التأكيد على أنها لا تعدو حالات محدودة و معزولة، وقعت في ظرف متميز تسبب في حدوثها و أثر في فاعليتها. و أن قيادة الجيش الفرنسي كانت في كل مرة تواجه ذلك بما يلزم من الحزم و أن منفذيه لم يفلتوا من العقاب. و أن ما يحدث من تضخيم و تعميم في هذا الموضوع إنما هدفه النيل من الجيش خدمة لنوايا سيئة و مبيتة³. و يمثل هذه الإستراتيجية كان يتم معالجة و دفع جميع "الحملات و التهم " الأخرى الموجهة ضد الجيش، مثلما حدث مع كتاب لأكستيون (*La Question*) لهنري آلاف⁴.

2- ملء فراغ الضباط و الجنود بمختلف الوحدات، و بالأخص ضباط و جنود الوحدات العاملة بالمناطق الداخلية، لطرد التذمر و الشعور بالعزلة عنهم. و في هذا الإطار تم اتخاذ سلسلة من التدابير ذات البعد الاجتماعي- النفسي تتمثل في: أولا السهر على تأمين البريد و انتظام وصول الرسائل و الطرود لأصحابها لجعل الجنود على اتصال دائم بعائلاتهم و بالعالم الخارجي و توفير المطبوعات المختلفة و تنظيم أمسيات لعرض الأفلام و بث حصص إذاعية خاصة بالجيش لبث إهداءات الجنود من الأغاني إلى ذويهم. ثانيا تعبئة و تجنيد مختلف المصالح العمومية للولاية العامة و البلديات و الجمعيات و الجرائد المستقلة و حتى السكان الأوروبيين للمساهمة

¹ - Jean PLANCHAIS, *le malaise de l'Armée*, tribune libre n° 16, Paris, Plon, 1958, p. 9.

² - أنظر الملحق رقم : 14 .

³ - أنظر الملحق رقم : 14 .

⁴ - SHAT,....., Note d'information à propos du livre de Henri Alleg intitulé " La Question " , (s. d.), 3p.

و التكفل بأعداد من الجنود و استضافتهم لبضعة أيام. و في هذا الإطار قامت العديد من البلديات بتنظيم استقبالات ترحيبية على شرف الضباط و الجنود العاملين على أرضها. كما قامت بلدية مدينة الجزائر مثلا باستضافة 700 جندي لمدة أربعة أيام خلال صيف سنة 1956 في مركب رياضي جيد التجهيز يمكنهم به ممارسة بعض الأنشطة الرياضية و الترفيهية كالسباحة و كرة القدم و كرة التنس و كرة السلة بالإضافة إلى مرقص. كما قام الصليب الأحمر بفتح ناد لاستقبال الجنود خلال مدة إجازتهم، و تنظيم عروض مسرحية مرتين أو ثلاثة في الأسبوع لصالح جنود و ضباط سلاح الطيران و البحرية بكاب ماتيفو (Cap Matifou) و الجنود المرضى الذين يتلقون العلاج بمستشفى مايو. كما قامت الجمعية العامة للطلبة الجزائريين و لجنة الأنشطة الجامعية بتنظيم وجبات عائلية للجنود الفرنسيين لدى عائلات عدد من الطلبة و الطالبات المتطوعين، مع تنظيم أمسيات راقصة لهم. و في هذا المنحى أيضا، قامت عدد من العائلات الأوروبية باستقبال عدد من الجنود الفرنسيين في منازلها و تناول وجبة طعام على شرفهم في جو أسري. كما كانت بعض المطاعم تقدم وجبات مجانية لعدد من الجنود و كانت بعض دور العرض السينمائية تمنح تذاكر مجانية لعدد من الجنود أيضا، إلى غير ذلك من الأنشطة التي كانت تقوم بها العديد من الجمعيات و المنظمات لشد أزر الجنود و التضامن معهم و رفع معنوياتهم¹.

و في إطار كل هذه المساعي الرامية للترفيه عن الجنود و فك العزلة عنهم، تجدر الإشارة إلى الرواج الكبير الذي كانت تحظى به جريدة " لوبلاد " (Le Bled) بين الجنود. فبعد أن كانت هذه الجريدة نصف شهرية الصدور، أصبحت ابتداء من جويلية 1956 تصدر أسبوعيا، و بمعدل سحب يزيد عن 140.000 نسخة، منها 25.000 يتم توزيعها بالمغرب. و قد كانت أعمدة هذه الجريدة موزعة بين أربعة أركان رئيسية هي: أولا ركن " التحقيقات " لتغطية أنشطة مختلف الوحدات في مجال «حرب التهدة» و بعث الحوار مع السكان المسلمين؛ ثانيا ركن "التعرف على الجزائر" و هو ركن يتناول الإصلاحات التي ينوي الوزير المقيم تحقيقها في مختلف الميادين؛ ثالثا ركن "سمعة فرنسا و مكانتها في العالم " الذي يتناول مختلف الإنجازات الفرنسية في العالم؛ رابعا ركن " من أجل الشباب " و هو ركن يُعرّف الجنود بالإمكانيات المتاحة لهم في مجال التكوين المهني و التشغيل بالجزائر. و قد أضيف إلى هذه الأركان الأربعة ثلاثة أركان أخرى هي: ركن "صدى الأقاليم" الذي يقدم معلومات عن مختلف الأقاليم؛ و ركن "المعلومات العسكرية" و هو ركن يُعرّف الجندي الفرنسي بكامل حقوقه المادية كأجر و المنح العائلية؛ و أخيرا هناك ركن "الرسوم" الذي يهدف، بطريقة فكاهية كاريكاتورية هادفة، تعريف القارئ الجندي بمهامه اليومية و تحسين تربيته المدنية².

أما في مجال البرامج الإذاعية، فقد كانت المصالح النفسية للجيش تنجز، بالتنسيق مع مختلف محطات الإذاعة العمومية كإذاعة الجزائر و القناة الباريسية و الإذاعة و التلفزيون الفرنسي (RTF)، برامج إذاعية حظيت بشعبية واسعة بين الجنود. من ذلك مثلا حصة " لجنودنا " التي كان يتم بثها يوميا ماعدا الأحد على إذاعة الجزائر على الساعة السادسة و النصف مساء، و كانت تتألف من تحقيقات و رسائل الجنود مع بث عدد من

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, L'action psychologique menée sur la troupe française de souche, n° 1725 EM.10/BP/PA, signé le Général TABUIS, Alger le 20 juillet 1956, 10 p.

² - SHAT, 1H 2408, Fiche- Exposé sur l'Action psychologique en 10° R. M., (s. d.), pp. 8- 9.

الأشرطة الغنائية المطلوبة من طرفهم. كما كانت هناك أيضا حصة "مجلة الجيش" التي كانت تبثها قناة الإذاعة و التلفزيون الفرنسي مساء كل جمعة على الساعة السادسة و خمس و أربعين دقيقة. و كانت هناك حصة أخرى للمنوعات الموسيقية و الإهداءات، كان يتم بثها لمدة أربعين دقيقة صباح كل خميس. كما كانت هناك حصة يومية تدوم نصف ساعة لبث رسائل و بلاغات الجنود إلى ذويهم... إلى غير ذلك من الحصص و البرامج الأخرى المخصصة للجنود و التي كان حجمها الساعي في سبتمبر 1956، يزيد عن تسع ساعات أسبوعية¹.

3- القيام بنشاط نفسي مكثف على الضباط و الجنود بهدف إعدادهم و تكييفهم مع المتطلبات التي تفرضها « حرب التهذئة » و تعريفهم بالمهام المطلوبة منهم في حرب الجزائر و انتزاع انخراط شخصي منهم في تأديتها. تحقيق كل ذلك يتم على ثلاثة مراحل، هي: الإعلام فالتربية ثم التعليم.

النشاط النفسي على الجيش كان يأخذ بعين الاعتبار التنوع العرقي للعناصر المكونة له : فالى جانب الجنود الفرنسيين بالأصالة، الذين كانوا يمثلون العنصر الغالب فيه، كان هناك المجدون الجزائريون و المجدون الأفارقة و مرتزقة الليف الأجنبي. و قد كان لكل عنصر من هذه العناصر خصوصيته العرقية و الثقافية و مشاكله الخاصة التي تـؤثر سلبا أو إيجابا على معنوياته. و هو ما كان يقتضي حتما تكييف النشاط النفسي المطبق على هذه العناصر مع خصوصيتها الخاصة بها و مع ثقافتها و مشاكلها المعنوية. كما كان النشاط النفسي للمصالح النفسية للجيش يتم تنفيذه في شكل حركة هرمية تنطلق من القمة لتنتشر و تتوسع فتشمل كل القاعدة. حيث كان هذا النشاط يُركّز أول ما يركز على بلوغ قادة الجيش بكل المستويات حتى يتسنى ببلوغهم بلوغ من تحت إمرتهم من الضباط و الجنود، و ببلوغ هؤلاء الجنود كان يتم بلوغ السكان الأهالي الذين كانوا على احتكاك دائم بهم.

أ- النشاط النفسي على الجنود الفرنسيين بالأصالة :

النشاط النفسي على الجنود الفرنسيين بالأصالة كان يتم التحضير له و الشروع فيه مدة قبل مغادرة هؤلاء الجنود لفرنسا، حيث كانت قيادة المنطقة العاشرة للجيش الفرنسي بالجزائر تعتمد إلى إرسال ضباط عسكريين يتم انتقاؤهم بعناية للقيام بحملة " إعلامية و تعريفية " مكثفة على دفعات الشباب الموجه لأداء خدمته العسكرية بالجزائر تستهدف تعريفهم بالجزائر و ما يقع فيها من " أحداث " و تهيئتهم نفسيا لخوضها. و باستقلال هؤلاء الجنود للباخرة التي تُقلّهم إلى الجزائر، تستمر هذه الحملة الدعائية بتوزيع الصور و شتى المطبوعات عليهم. كذلك المطبوعة التي كانت تحمل عنوان " هل تعرف الجزائر ؟ " (Connaissez- vous l'Algérie ?) و التي كانت تهدف إلى تمكينهم من التوفر على فكرة عامة حول الجزائر و المشاكل التي تفرضها. كما كان يتم توزيع وثائق أخرى على الضباط، تتضمن معلومات مسهبة عن الجزائر، تمكن هؤلاء

¹ - المصدر السابق، ص. 10.

الضباط من خوض مناقشات و محادثات مع تابعيهم من الجنود و الضباط الصغار حول مختلف جوانب "المشكل الجزائري"¹.

و بمجرد وصول هذه البواخر إلى ميناء الجزائر و وطء أقدام الجنود لأرضها، كانت المصالح النفسية للجيش تقوم بالشروع في تطبيق نشاط نفسي مكثف عليهم يستمر من يوم وصولهم و حتى آخر يوم من أيام مكوثهم تحت العلم الفرنسي. حيث كانت المصالح النفسية للجيش الفرنسي تستنفر الجمعيات الطلابية لتحضير استقبال بهيج للوافدين من الجنود. فكانت هذه الجمعيات تجتد أعدادا هامة من الطالبات الجامعيات، اللاتي كن في أحلى أناقتهن يحضرن إلى رصيف الميناء لاستقبال الجنود الوافدين، موفرات لهن استقبالا يليق بالفاتحين و المخْلِصين. فكنَّ يقمن برش الجنود بالورود و توزيع المشروبات و السجائر عليهم و إهدائهم البطاقات البريدية عن الجزائر ليقوم هؤلاء بإرسالها إلى ذويهم و أخذ صور تذكارية معهم². و قد كان هذا الاستقبال البهيج يُلقى بالجنود في مناخ شبابي خالص، يدفع عنهم الشعور بالغرابة و يملأهم زهوا و فخرا. و هو الأمر الذي كانت له من المؤكد آثاره الإيجابية في نفوسهم، و كان يترك عندهم الانطباع بعدم وجود الحرب و أن مجيئهم إنما كان للقيام بمهام روتينية لا تزيد كثيرا عن حفظ الأمن و إقرار النظام.

و لما كان أغلب هؤلاء الجنود، إن لم نقل كلهم، يفدون أرض الجزائر لأول مرة في حياتهم، فقد كانوا يجهلون كل شيء عنها و عن سكانها و أسباب الثورة فيها³، و هو ما كان يُسهل إلى حد بعيد من مهمة المصالح النفسية للجيش الفرنسي، التي كانت تجيد اغتنام مثل هذه الفرص فتسارع إلى تقديم "إعلام" موجّه لهم عن كل ما يجهلون. فقد كانت هذه المصالح تقوم بتوفير قاعات دعائية خاصة و تهيئتها خصيصا لاستقبال هؤلاء الجنود. حيث كان يتم بهذه القاعات استخدام كل وسائل الدعاية المكتوبة و المسموعة و المرئية للتأثير على هؤلاء الجنود، باستعمال اللوحات الإعلامية و المناشير و الملصقات و اللافتات و الخرائط و الصور، بالإضافة إلى العروض السينمائية و الخطب التي يتم بثها عبر مكبرات الصوت.

كما كانت هذه المصالح تُوزّع على الجنود المطبوعات الجيدة و المليئة بالصور من كل نوع، من إنجاز المكتب الثاني و المكتب النفسي الإقليمي و أحيانا الولاية العامة⁴. هذه المطبوعات تتناول بالعرض الوجود الفرنسي بالجزائر منذ 1830 و حتى الآن و ما حققه هذا الوجود من إنجازات في كل الميادين، كالطرق المعبدة و المباني و المستشفيات و ما تم تحقيقه أيضا في مجال التعليم و مكافحة العديد من الأمراض الخطيرة التي كانت

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, L'action psychologique menée sur la troupe française de souche, n° 1725 EM.10/BP/PA, signé le Général TABUIS, Alger le 20 juillet 1956, 10 p.

² - SHAT, 1H 1113/d.2, L'action psychologique menée sur la troupe française de souche, n° 1725 EM.10/BP/PA, signé le Général TABUIS, Alger le 20 juillet 1956, 10 p.; SHAT, 1H 2408, Fiche- Exposé sur l'action psychologique en 10° R. M., pp. 6- 7.

³ - J.-M. Darboise , M. Heynaud et J. Martel, *Officiers en Algérie*, cahiers libre n° 11, Paris, François Maspéro, 1960, pp. 36- 37.

⁴ - من بين عناوين هذه المطبوعات يمكن ذكر ما يلي: *Connaissance de l'Algérie; Géographie de l'Algérie ; Histoire de l'Algérie jusqu'en 1830 ; Histoire de l'Algérie depuis 1830 ; Les genres de vie en Algérie ; Les institutions sociales ; L'Islam ; Le Statue de l'Algérie ; Réalisations dans le domaines économique ; La femme musulmane ; Immigration en Métropole ; Les réalisations sociales en Algérie ; La justice ; Étude sur l'évolution de la situation en Algérie ; Aperçu sur les partis ou Groupements Nationalistes d'A.F.N. ; le Terrorisme en Algérie depuis le 1^{er} Novembre 1954.* SHAT, 1H 1113/d.2, Rapport sur les réalisations et projets du Bureau Régional d'Action Psychologique de la 10^{ème} Région Militaire, n° 007/AP. (s. d.), p.1.

تفتك بالسكان الأهالي قبل مجيء الفرنسيين. و هي الإنجازات التي بزعمهم يستفيد منها السكان الأوروبيين و الأهالي على حد سواء، و التي لولا الحضور الفرنسي ما تحقق منها شيء. فيغدو الجندي الفرنسي في حيرة من أمر الجزائريين، الذي يقومون بالثورة بالرغم من كل ما حقق لهم من "إنجازات" فيكون لسان حاله يقول: "ماذا يريد هؤلاء الجزائريون؟" فتتدخل الدعاية الفرنسية للإجابة عن هذا السؤال و تبديد حيرة هذا الجندي، زاعمة بأن الجزائريين لا يزالون في غالبيتهم أوفياء لفرنسا وأن ما يحدث من "تخريب و تقتيل و أعمال إرهابية أخرى" هي كلها من فعل قلة منهم تحركها قوى أجنبية من موسكو و القاهرة، قوى تتحرك في الخفاء لمناوئة العالم الحر و تطويقه من الجنوب بدحر فرنسا من شمال إفريقيا، تماما مثلما عملت على دحرها من الهند الصينية. لكن فرنسا - تستدرك هذه الدعاية - لن تسمح بحدوث ذلك مرة أخرى، لأنه لا مجال للمقاربة أو المقارنة بين الوجود الفرنسي في الهند الصينية و الوجود الفرنسي في الجزائر. فالجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا في حين أن الهند الصينية هي إقليم من أقاليم ما وراء البحر، كما أن الجزائر مستعمرة يقطنها مليون أوروبي و شديدة القرب من فرنسا.

فإذا ما حدث أن أعطي الأمر لهذا الجندي للالتحاق بوحدته بالريف الجزائري و رأى بأمر عينيه ما يعاينه الجزائريون من بؤس و فقر و مهانة و بدأ يعي شيئا من الأسباب الكامنة وراء ثورة الجزائريين، تدخلت الدعاية عندئذ مرددة بأن فرنسا واعية بضرورة القيام بإصلاح يغير من حالة الجزائريين و أن الإرادة السياسية لتحقيق ذلك لا تعوزها، و هي لا تنتظر إلا عودة السلم و الأمن لتبدأ في تطبيق برامج إصلاحية عريضة لصالح الجزائريين. لذلك فإن الواجب الأول للجندي الفرنسي يتمثل في القضاء على الثورة و التعجيل بأسرع ما يمكن بعودة هذا السلم حتى يتسنى للسكان الأهالي الاستفادة مما تعددهم به فرنسا في أقرب الآجال.

و كما أسلفنا، كان النشاط النفسي في جميع مظاهره يأخذ بعين الاعتبار الخصائص المميزة للفرد الفرنسي. و في هذا الإطار يبدو الفرد الفرنسي نمطا إنسانيا متفردا يتميز بالخصائص التالية: فهو إنسان عقلائي محب للتفكير المنطقي، لذلك يتوجب على النشاط النفسي التعميل على الشرح و البرهان لإقناعه؛ و هو إنسان علة الأصيلية الفردية، لذلك يتوجب على النشاط النفسي مخاطبته خطابا فرديا لا جماهيريا؛ و هو إنسان غيور على حريته الفكرية، يرفض الخضوع و الانصياع للنسق العام الشائع و المستقر، فكريا كان أو اجتماعيا، (le non-conformisme)، كما أنه نزوع إلى الشك المتعمد، مجبول على القياس و الدقة، لذلك وجب تخليص النشاط النفسي من كل شوائب الإكراه و الضغط الفكري و التشريب المعنوي (l'endoctrinement) و المبالغات؛ و هو إنسان ذو كبرياء، لذلك يتوجب مخاطبته بتواضع؛ و هو إنسان يحسن إدراك معنى الشرف، لذلك يمكن مخاطبته كفارس؛ و هو إنسان ذو وطنية غيورة، لذلك يمكن، عند مخاطبته و التوجه إليه، إثارة مجد و عظمة فرنسا ليس في الماضي فقط و إنما أيضا في الحاضر؛ و هو إنسان مرح يميل إلى الدعابة و التهكم، يجيد تذوق النكتة الهادفة في محلها؛ و أخير يتميز الفرد الفرنسي بتعلقه الشديد بالأرض، و هو ما يسمح للنشاط النفسي بترجمة "المشكل الجزائري" في شكل معطيات و أرقام مادية، كالقول مثلا بأن فرنسا استطاعت استصلاح ما مساحته كذا مليون من الهكتارات من الأراضي¹.

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieur du territoire..., op. cit., p. 45.

بالتحكم في العتلات و الأزمة السابقة للفرد الفرنسي، كان النشاط النفسي على الجنود الفرنسيين بالأصالة يهدف إلى تحقيق تعديل في حالة نفسية غير موافقة، متمكنة فيهم، تتجلى مظاهرها في العناصر السلبية التالية:

- أولا حالة نفسية متشائمة، تسبب في حدوثها ما عانته فرنسا من هزائم و نكسات نتيجة تغيرات ما فتئت تهر عالم يعطي الانطباع بالثبات و الاستقرار.
- ثانيا حالة من الإحباط العام، و التي هي لون من ألوان التشاؤم، تدعو إلى التخلي و الرحيل، شعارها: "لقد ضاع كل شيء، فلنرحل!"
- ثالثا نزعَات تعمل على زرع الفرقة و التشييت بين أنصار التيارات السياسية و أساليب العمل المختلفة، كالاختلاف مثلا حول أسلوب حل " المشكل الجزائري ": بالمفاوضات أو باعتماد الحل العسكري.
- رابعا اليأس و انعدام الثقة في المستقبل، مع جهل بكل ما تمثله فرنسا في الجزائر و بالتعقيدات التي يطرحها "المشكل الجزائري".
- خامسا حالة من الشعور بالذنب و تأنيب الضمير من الحضور الفرنسي بالجزائر، تعمل على ترسيخها بمهارة دعاية مضادة و عدائية¹.

هذا، و قد كان النشاط النفسي على الجنود يهدف أيضا فيما يهدف إليه، بالإضافة إلى التعديل من الحالة النفسية السلبية السابقة، إلى اتخاذ الجندي الفرنسي مطية لبلوغ الرأي العام الفرنسي للتأثير عليه. و هو الرأي العام الذي لم يكن بدوره في مأمن من العوارض النفسية السلبية السابقة. تحقيق ذلك يتم عن طريق تعزيز الروابط بين هؤلاء الجنود و ذويهم و أقاربهم في المتروبول بتأمين البريد و السهر على انتظامه حتى يتسنى لهؤلاء الجنود نقل عدوى إيمانهم في عدالة القضية الفرنسية في الجزائر إلى أهلهم و أقاربهم بفرنسا و إعطائهم صورة براءة عن ما يحدث في الجزائر. و في ذلك يقول الوزير المقيم روبرت لاکوست في تعليمته بتاريخ جوان 1956: « إن للجيش تأثيرا معتبرا على الفرنسيين بفرنسا. و قد أكدنا بما فيه الكفاية على أهمية البريد الصادر عن الجنود. لذلك وجب منح هؤلاء الجنود جميع الوسائل اللازمة للاستعلام سواء بالتجربة الشخصية المباشرة أو الكتب و النشرات المطوية و الصور و الأفلام، لمعرفة الإنجازات الفرنسية في مختلف الميادين و ما يقابلها من أعمال التدمير و التخريب التي يقوم به المتمردون. و بمعرفتهم و إدراكهم الجيد للواقع الجزائري فإنه يمكنهم أن يتحولوا بدورهم إلى مخاطر جديدين للرأي العام الفرنسي »². و دائما في هذا الاتجاه، كان يتم توزيع الآلاف من البطاقات البريدية على الجنود الفرنسيين لاستعمالها في مراسلتهم الخاصة. و قد كانت هذه البطاقات تتناول مناظر مختلفة عن الإنجازات الفرنسية بالجزائر و مشاهد شتى للحياة فيها. كما تم تعميم بعض المبادرات داخل الجيش كأن يتولى الجنود الفرنسيون بكل وحدة من وحدات الجيش القيام بأنفسهم

¹ - المصدر السابق، ص. 45-46.

² - SHAT, 1H 1113, Directives d'action psychologique : Le rôle de l'armée dans l'action psychologique, signé Robert LACOSTE, Alger, 7 juin 1956, p. 4. 24/11

بتحرير نشرة داخلية تصوّر حياتهم داخل الوحدة و جانبا من أنشطتهم خارجها و تحكي بعض تجاربهم الخاصة. هذه النشرة يتم سحبها بأعداد كافية ثم يتولى هؤلاء الجنود إرسالها إلى ذويهم¹.

ب- النشاط النفسي على الجنود و المجندين الجزائريين :

و هو النشاط النفسي الذي كان يتم تطبيقه على الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي، الذين استدعوا "خدمة العلم"، بالإضافة إلى كل من كان على شاكلتهم من المجندين الجزائريين بفرق "الحركة" و فرق "المخزن" و فرق "الدفاع الذاتي" و غيرهم من المرتزقة الآخرين. فهؤلاء الجنود و العناصر المجنّدة، بحكم انتمائهم إلى الشعب الجزائري و بحكم موقفهم و موقعهم إلى جانب العدو، كانوا يشكلون فئة غير متجانسة، عرضة لجميع التأثيرات و المؤثرات التي كانت تعصف بنفوسهم، فتتجاذبها أحاسيس و مشاعر شتى متضاربة و متصارعة بين روابط الانتماء و التزامات الولاء، مما جعل معنوياتهم و حالتهم النفسية في غاية الهشاشة و الضعف و عرضة لكل الابتلاءات و المحن². فالقتيل الذي يسقط أمامهم قد يكون أخا لهم و الدوار الذي يحترق قد يكون مسقط رأسهم³.

كما أنه ما من شك في أن دعاية الثورة المليئة بالترغيب و التهديد و الوعيد، و وطأة الخيانة و ثقل العار و المهانة، و مظاهر التمييز و التفرقة في المعاملة داخل الجيش الفرنسي نفسه، يضاف إليها الخوف بما يجيء به المستقبل المجهول... كانت كلها عوامل تفعل الأفاعيل في نفوسهم، خاصة و أن اختيارهم لمعسكر فرنسا لم يكن يصدر دائما عن قناعة راسخة، فقد كانت البطالة و الحافز المالي وراء انخراط الكثيرين⁴.

لأجل كل هذه الأسباب، كانت معنويات هذه الفئة محل اهتمام و عناية خاصة من قبل قيادة الجيش الفرنسي و ضباط المكتب الخامس، لحمايتها و الدفاع عنها و دفع كل ما يُضعفها أو يتهدد ولاءها لفرنسا. لأن وجود الجزائريين و بأعداد كبيرة في نفس الخندق مع الجيش الفرنسي في حربه ضد الثورة هو في ذاته من أهم الدلائل القوية على أن الشعب الجزائري قد رفض الثورة و اختار الوقوف مع فرنسا و خوض الحرب إلى جانبها.

لبلوغ هذه الغاية، اتخذ عمل الفرنسيين في هذا الاتجاه أشكالا شتى⁵ : أولها العمل على دمج المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي إلى أبعد الحدود و تقوية لحمّة الصداقة و المودة بينهم و بين غيرهم من الجنود الفرنسيين، حيث يكون الهدف هنا هو « تحويل هؤلاء المرتزقة القدامى إلى مناضلين راسخي القناعة في خدمة قضية بناءة تناهض الأيديولوجية الثورية لجهة التحرير »⁶. أما تحقيق ذلك فكان يتم بإرسال الشباب الجزائري إلى فرنسا لتلقى تدريبه العسكري الأول بها. فيكون هذا التكوين بمثابة فرصة له تُعرّفه على

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe VI, p. 5.

² - كتاب عبد القادر رحمان، قضية الضباط الجزائريين، هو خير عينة يمكن الاستشهاد بها في هذا الموضوع. أنظر :

Abdelkader Rahmani, *L'affaire des officiers algériens*, Editions du Seuil, 1959, 174 p.

³ - Pierre MONTAGNON, *La guerre d'Algérie*, Paris, Pygmalion Gerard Walet, 1984, p. 160- 161.

⁴ - SHAT, 1H 2411/d.1, Lettre du Chef d'Escadrons de Chasteigner, Chef du Bureau Psychologique de la D. M.A. à M. le Général Chef du Bureau Psychologique de la X^o R. M., n^o 1519/SP, Alger, le 19/12/1956, p.2

⁵ - SHAT, 1H 1113/d.2, Fiche de documentation : Engagements de F.S.N.A., 22/11/1958, 2 p.

⁶ - SHAT, 1H 2533/d.1, Aide mémoire pour l'application d'une méthode d'action psychologique dans les unités où servant des F. M. A., (s. d.), p.1.

" الوجه الحقيقي " لفرنسا و تُمكنه من الاحتكاك بشبابها. حتى إذا رجع منها، تم دمجها في فرق و وحدات عسكرية أغلب عناصرها من الفرنسيين الأصليين، كوسط جديد يُمكنه المحافظة على النتائج المحققة في مسعى دمجها و الحيلولة أمام نزوعه الفطري للانطواء على الذات و الدخول مع بني جلدته في مجموعات مُغلقة على نفسها. و ضمن هذا المسعى أيضا، كانت تندرج عملية حل فرق الرماة الجزائريين و دمجها ضمن فرق عسكرية يتكون أغلب عناصرها من فرنسيين خُلص، بعد أن سار التقليد زمنا طويلا على دمجهم في فرق خاصة بهم.

كما تم العمل على إقرار شيء من المساواة بينهم و بين الجنود الفرنسيين، لتحسيس هؤلاء المجندين الجزائريين بانتمائهم الكامل إلى المجموعة الفرنسية، و إفهامهم بأنهم فرنسيون كاملي الحقوق و على قدم المساواة مع غيرهم من السكان الفرنسيين، مثل سكان بروتان (les Bretons) و الأوفارن (les Auvergnats) و البروفانسيين (les Provençaux) و الباريسيين (les Parisiens). بل لعلهم أكثر فرنسية من بعض الفرنسيين الآخرين : فمدينة الجزائر كانت فرنسية ثلاثون سنة قبل مدينتي نيس (Nice) و شمبيري (Chambry). كما أن اختلاف جلدتهم و لغتهم و دينهم لا يسلبهم شيئا من فرنسيتهم لأن فرنسا هي بلد التنوع و التسامح¹.

إلى جانب ذلك، قامت السلطات العسكرية للجيش الفرنسي باتخاذ عدد من الإجراءات ذات الأثر المباشر على معنويات المجندين الجزائريين، تأخذ في الحسبان و تستجيب لعدد من انشغالاتهم الحيوية و الحساسة، مثل تحسين الراتب الشهري و تشجيع ارتقاءهم في سلم الرتب العسكرية و الاستفادة من مختلف الامتيازات الأخرى، كالمناح العائلية و التعويضات و تقديم المساعدة المادية لأسرهم و توفير الحماية لأهلهم و ذويهم، الذين غالبا ما كانوا محل تهديد مستمر من الثورة، و هو الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على معنويات هؤلاء المجندين².

توازيا مع كل هذه المساعي و عملا على إنجاحها، تم القيام بمساعي موازية لدى الجنود الفرنسيين بالأصالة، لحملهم على تبني مواقف أكثر تفهّما و إيجابية تجاه المجند الجزائري، ذلك أن الأفكار المسبقة و الأحكام الجاهزة لدى الكثيرين منهم كثيرا ما حالت دون تحقيق اندماج كامل و مرغوب فيه لهذا الأخير. فحتى في أحسن الأحوال عندما يكون هذا المجند الجزائري ذا رتبة عالية و ذا كفاءة غير قابل للطعن فيها و له تفوق فكري واضح على من تحت إمرته من الأوروبيين، كان هذا الأخير مطالب دوما بفعل المستحيل لإثبات ذلك، كما أن سلطته على من تحت إمرته من الجنود قلما كانت فعلية و حقيقية و قلما سلمت من الطعن فيها. أما إذا كان هذا المجند الجزائري مجرد جندي بسيط، فهو عندئذ محل لتنفيذ أحقر الأعمال، غير مأمون الجانب مهما أبدى من آيات الولاء، و موضع مراقبة مستمرة من مسؤوليه العسكريين، و على الأخص عند المناوبة خلال ساعات الحراسة، فإذا جاء الليل جُرد من سلاحه خوفا من أن يعمد إلى قتل مسؤوليه و الفرار بسلاحه ملتحقا بالثورة في الجبال³.

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Schéma de causerie destine aux soldats français de souche, p.1.

² - SHAT, 1H 2411/d.1, Lettre du Chef d'Escadrons de Chasteigner, Chef du Bureau Psychologique de la D. M.A. à M. le Général Chef du Bureau Psychologique de la 10° Région Militaire, n° 1519/SP, Alger, le 19/12/1956, p.2- 3

³ - SHAT, 1H 2463/d.1, Fiche Problème Humaine : Attitude de l'appelé vis à vis du F.S.N.A. dans l'armée, civil en Algérie, civil en Métropole, (s. d.), p.1

و في هذا المسار، اتخذت مساعي الجيش الفرنسي تجاه الجنود الفرنسيين أشكالا شتى، تمثلت أولاها في توعية وإفهام هؤلاء الجنود الفرنسيين الأهمية الحيوية التي يمثلها تواجد المجدد الجزائري بالجيش الفرنسي، و التي من أهمها، فيما يعني الجندي الفرنسي، هو قصر مدة خدمته الوطنية و عدم تمديدها. فبقدر ما كان إقبال الجزائريين على الانخراط في الجيش الفرنسي كبيرا و رغبتهم في تجديد عقد انخراطهم أكبر، كان ذلك في صالح هذا الجندي الذي يمكنه، بتمام انتهاء مدة خدمته الوطنية، العودة سريعا إلى فرنسا¹. لذلك فمن مصلحة هذا الجندي الفرنسي الالتزام بقواعد السلوك الأمثل، التي تشجع المجدد الجزائري على الانخراط و البقاء مدة أطول في الجيش. أما ثاني هذه الأشكال فهو تعريف الجندي الفرنسي بالأهلي الجزائري عموما و المجدد الجزائري خصوصا، و ما يتميز به من خصائص خُلقية، طبيعية و مزاجية، لتكتمل الصورة في ذهنه عن هذا الأخير، فيستطيع التكيف معه و تفادي ارتكاب أخطاء نفسية في حقه قد لا تحمد عقباها. و في هذا المقام، كانت الصورة التي كان يتم رسمها للجندي الفرنسي عن الجزائري ككل و المجدد الجزائري على وجه الخصوص، أشبه بلوحة بها جدول من خانتين، واحدة للخلال و السجايا و ثانية للعيوب و النقائص، و ذلك كالآتي:

- فبالنسبة لجانب الخلال و السجايا، كان يتم تصوير الجزائري بأنه إنسان له من الخصال ما يؤهله لأن يصبح جنديا عسكريا من الطراز الأول. فانتماؤه لسلالة مشهود لها بالبأس و الحيوية، و حبه لل " بارود " و امتلاكه لمعاني الشرف و النبل و ميله و تعلقه بمآثر الجود و الكرم، هي كلها مقومات تزيد في تأهيله للمهنة العسكرية. فإلى جانب قوته و بأسه فهو خفيف الحركة، صبور؛ مُولع بأسباب القوة و الهيبة؛ محترم للسلطة، طالما كانت هذه صارمة و عادلة؛ مُحب للمعرفة و متعلق بمظاهر العظمة؛ حيث أن لحسن الملبس و الضمير المهني و برودة الأعصاب سلطان قوي في نفسه. أما شجاعته في الحرب فلا مرء فيها، إنه يقتحم الأهوال و يستهين بالأخطار، يساعده في ذلك كبرياء و اعتداد بالنفس عظيم. و هو متدين بطبعه، مقبل على أداء الواجب، ممثلا لقواعد الأخلاق و الطاعة تجاه من هو أعلى منه. و هو صديق حسن الصحة، و أليف سريع العشرة².

- و كغيره من البشر، فإن لهذا الجندي أو المجدد الجزائري عيوبه أيضا. فهو مستودع لمتناقضات شتى، تجمع بين الشيء و نقيضه : فإلى جانب اعتداده القوي بنفسه، فإن لديه حساسية مفرطة، بل مرضية، تجعله لا يفهم الدُعاة. و هو إنسان ساذج و قدري، تنقصه الروح النقدية. و في حين تجده تارة غير مكترث بالدقائق و التفاصيل، فإنك قد تجده تارة أخرى متكلفا، مبالغيا في بدل الجهد في مجال الاستقامة و النبل. و عند المشاحنة، تذهب به المغالطة و المكابرة حدا يجعله يخفي الحقيقة و يتنكر للبديهي من الأشياء...

- و هو إنسان حذر، شديد الحذر، لا يبدي مكنونه إلا بصعوبة كبيرة. و هو لا يزال أسيرا للروح العشائرية التي تدفعه دوما إلى تشكيل مجموعات و أوساط عشائرية مع أصدقائه، هذه الأوساط تغدو بدورها محلا لنمو و ازدهار أشكالا من الصداقات و العداءات و المشاحنات. و بالرغم من

¹ - SHAT, 1H 2463/d.1, Fiche Problème Humaine : Attitude de l'appelé vis à vis du F.S.N.A. dans l'armée, civil en Algérie, civil en Métropole, (s. d.), p. 2.

² - SHAT, 1H 1113/d.1, Connaissance des Français de souche Nord- Africaine, Annexe à D. M. n° 59 414, T/DCM/ID/INS du 28 Décembre 1959, pp. 1- 3.

كل هذه المآخذ، فإنه يمكنك أن تراه متكلفا للجهد للظهور بمظهر ذي العريكة اللين، لينال بها حسن الصورة و النظرة عند مرؤوسيه، عند من يبدوون شيئا من الاهتمام نحوه. و من أمثلة مزاجه المتقلب أيضا، هو أنك تراه تارة متواضعا و تارة مرتديا للباس الكبر و الخيلاء؛ تارة جوادا كريما و أخرى بخيلا قتورا؛ تارة مبتغيا وجه الله فيما يعطي و أخرى منتظرا النفع، تواقا للمديح. أما قمة المتناقضات التي تُعجُّ بها نفسه فيظهرها بجلاء موقفه و سلوكه تجاه النساء، الذي يعكس مزاجا و طبعا متقلبا غاية في الغرابة : فبالرغم من الشدة و الفظاظة التي يبديها تجاههن، فإن الميل و الهوى قد يحمله في لحظة على السقوط و اعتراف ما يندى له الجبين من الأعمال و مع أي امرأة كانت من النساء. و بالرغم من قوة صبره و جلدته، فهو عرضة للإثناك الشديد. فإذا حرم النوم مثلا، و لم يتفطن مسؤوله لذلك، استولى عليه النعاس و حملته الرغبة في النوم على التفريط في كل شيء، بما في ذلك النظام و الانضباط. كما يمكن للبرد أن ينال من حواسه و قواه خلال ساعات الحراسة.

- هذا، و للمجنند الجزائري سريرة مطبوعة على الضغينة، فإذا حدث أن تعرض لظلم أو إهانة من قبل أحد مرؤوسيه، حمل لظالمه حقدا و ظغينة قد لا تزولان بمضي الدهر. و بالجملة، « يُشكل المجند الجزائري، بمجموع خصاله و عيوبه، و بما يتوفر عليه من استعدادات حقيقية لمهنة الحرب، و بما ينطوي عليه طبيعه من اختلافات و تناقضات.. عجيبة إنسانية غنية، لكنها صعبة التناول و المعالجة »¹.

و بعد أن يتم تعريف الجندي الفرنسي بشخصية المجند الجزائري، كان يتم تعريفه أيضا بالقواعد السلوكية الأساسية الواجب إتباعها معه. هذه القواعد كانت تتخذ في مجمل الأحيان شكل قائمة طويلة من الأوامر و النواهي، تحدد ما يجب فعله و ما لا يجب². و أول هذه القواعد هي وجوب إبداء الاحترام لشخص المجند الجزائري و تحسيسه بذلك، باعتباره إنسان له كرامته و مشاعره و أحاسيسه، و له طريقته الخاصة في النظر إلى الأمور، و له أيضا قيمته و عاداته و دينه. و في هذا المجال، كان يتم دعوة الجنود الفرنسيين إلى رفع الكلفة في المحادثة مع المجندين الجزائريين و قبول الاقتصار معهم على استعمال ضمير المخاطب " أنت " بدل " أنتم ". و عدم جرح كرامتهم بالنابي من الألقاب كـ "عربي" و "أهلي". أما ثاني هذه القواعد فهي مراعاة بعض قواعد الأدب و العيش المتعارف عليها عندهم، كالحياء و السلام و طول الترحيب و عدم التلفظ بما لا يليق من الكلام، كفحاش القول و الحديث عن النساء و التصفير في حضرة من يتوجب احترامه، بالإضافة إلى مراعاة بعض الدهنيات التي تولي اعتبارا كبيرا للشعوذة، من سحر و حسد و عين و سوء فأل. كما يجب على الجندي الفرنسي عدم الخوض في الأمور و المعتقدات الدينية أو إظهار الاحتقار لها أو الاستخفاف بها، أو إصدار تعليق أو دهشة أو استغراب لطقوسها، وبالأخص أمام المجند الجزائري، حتى لو كان هذا الأخير غير

¹ - SHAT, 1H 1113/d.1, Connaissance des Français de souche Nord- Africaine, Annexe à D. M. n° 59 414, T/DCM/ID/INS du 28 Décembre 1959, pp. 1- 3.

² - SHAT, 1H 1113/d.2, Schéma de Causerie destiné aux soldats français de souche, 3 p.

ملتزم بتطبيق تعاليم دينه. و يجب عليه أيضا عدم الخوض في الأمور التي يعتبرها الجزائري من خصوصياته، كسؤاله عن حال زوجته و أخته¹.

أما بالنسبة للضباط الفرنسيين، الذين يوجد تحت إمرتهم عناصر من المجندين الجزائريين، فقد كان يتم تزويدهم بتعليمات و إرشادات و نصائح يتوجب عليهم التقيّد بها في التعامل مع هؤلاء. هذه التعليمات كانت تشدّد على ضرورة الالتزام بالأمر التالية : أن يكون هذا الضابط في سلوكه و نفسه قدوة لغيره، لأنه محط أنظار تابعيه من هؤلاء المجندين. كما يجب عليه أن يرتفع بسلوكه عن كل شائبة تنال منه. و أن يتجنب الغضب و أن يتحلى بالصبر في شرح أوامره لتابعيه من المجندين الجزائريين و عدم الضجر من تكرارها لهم عند اللزوم. و أن يأخذ بيدهم في كل الأمور. و أن يدكّر في نفسه دوما، كلما أساءوا التطبيق، بأنه لم يُتَح لهم ما أُتِح له من حسن التعليم. كما يجب عليه الحفاظ على المسافة التي بينه و بينهم و عدم رفع الكلفة أو الاغترار بما يصدر عنهم من إطراء و تملق. و يجب عليه أيضا الالتزام بكلام لائق، يحظر فيه كل العبارات و الكلمات الفاحشة التي تنال من الدين. و أن يتجنب القسم، و بالأخص بالعربية. و أن لا يعد إلا بما يستطيع، ثم يلتزم به. و عليه أيضا أن يتجنب الدُعاية، لأنه غالبا ما يساء فهمها من طرفهم. كما يتوجب عليه أن يحرص على عدم ترك هؤلاء المجندين يشكلون جماعات منغلقة على نفسها، متخذة في ذلك كل ما يصلح من مبادرات لدعوتهم في باقي الجيش، باذلا وسعه ملء فراغهم، شادا انتباههم إلى الاهتمام بالتفاصيل و الدقائق التقنية و تقريبها لأذهانهم، حارصا على إعطائهم الفرصة لاستفراغ طاقتهم العضلية، لأن الصحة و الفراغ مفسدة².

أما في مجال النظام و الانضباط، فيتوجب على الضباط الفرنسي القيام بتحقيق دقيق قبل إصدار أي عقوبة ضد المجند الجزائري؛ و عليه أن يكون عادلا منصفا في توزيع مهام الحراسة بين جنوده، كما يتوجب عليه أن يكون حازما في اتخاذ قراراته، صارما في تطبيقها في غير ما خشونة³.

و لما كان المجند الجزائري حساسا جدا لكبريائه، توجّب على هذا الضابط الفرنسي معرفة الأزمة الخفية التي تؤثر في هذا الكبرياء، ليتخذها زماما في يده يؤثّر بها على هذا المجند. كما يتوجب عليه أيضا فتح باب مكتبه لهم و عدم رفض مقابلتهم كلما أبدوا رغبة في ذلك، مع أخذ الوقت الكافي للإصغاء "لشكاياتهم" و ما قد يفرضون به من مكنونات، باذلا جهده للرفع من معنوياتهم و نفخ اليقين في نفوسهم و تشجيعهم، خاصة و أن معنوياتهم سريعة التأثر بمخاوف حقيقية أو مُتوهمة. كما يجب عليه أيضا، خلال أيام العطل، منحهم الراحة الكافية و عدم إرهاقهم أو تكليفهم بما يشق عليهم من الأعمال و الاقتصار في ذلك على الحد الأدنى. و تختتم التعليمات الموجهة للضباط الفرنسيين بما يلي : « إذا تحقّق الاحترام للمجنّد الجزائري، تجاه دينه و عاداته و كرامته كإنسان، يمكننا عندئذ أن نكون على يقين من ولائه و وفائه لنا. لذلك يجب أن يكون مروره بالجيش فرصة له لاكتشاف الوجه الحقيقي لفرنسا »⁴.

¹ - SHAT, 1H 2463/d.1, Fiche Problème Humaine : Attitude de l'appelé vis à vis du F.S.N.A. dans l'armée, civil en Algérie, civil en Métropole, (s. d.), p. 2.

² - SHAT, 1H 1113/d.1, Connaissance des Français de souche Nord- Africaine, Annexe à D. M. n° 59 414, T/DCM/ID/INS du 28 Décembre 1959, p. 3.

³ - المصدر السابق، ص. 4.

⁴ - المصدر السابق، ص. 5.

هذا، و قد كان من بين الأساليب المعتمدة أيضا للتأثير النفسي على المجندين الجزائريين داخل الجيش الفرنسي، هو اعتماد أسلوب العرابة، (le parrainage)، حيث كان يُكلف كل جندي فرنسي بممارسة الوصاية المعنوية و التكفل بمجنّد أو اثنين من الجزائريين، للأخذ بيده في أمور الحياة العسكرية و تسهيل اندماجه و تأقلمه بالجيش¹. و بعد إنهاء هذا المجنّد لمدة خدمته تحت العلم الفرنسي أو لفترة انخراطه في الجيش، كان يتم الحرص على استدامة الروابط بينه و بين هذا الأخير، من خلال التكفل به و إعلامه بجميع الإجراءات التي اتخذت لصالح فنته و تيسير عودته إلى الحياة المدنية، بدءا بتوفير الحماية له و لعائلته و التوسط له لدى مصالح التشغيل و إخطار السلطات الأمنية و العسكرية المحلية بوجوده، لتتولى بدورها تعهّد الروابط الموجودة معه².

أخير نشير أيضا و بالمقابل إلى النشاط النفسي الذي كان يتم ممارسته على المجندين الجزائريين بالجيش الفرنسي، و الذي كان يتم أيضا تطبيقه على باقي المجندين من الفئات الأخرى، كالمجندين التونسيين و مجندي الطابور المغربي و الليفي الأجنبي و المجندين الأفارقة من السينغاليين. و على ذكر هؤلاء الأخيرين، نشير إلى أن النشاط النفسي عليهم للرفع من معنوياتهم، كان يتمثل في تقوية أواصر الصلة بينهم و بين بلدانهم الأصلية، من خلال تأمين البريد منهم و إليهم و بالأخص وصول الطرود المحملة بكميات من منتج نواة الكولا (noix de cola) و وصول الجرائد المحلية و أسطوانات الأغاني المسجلة في بلدانهم. كما كان يتم تخصيص صفحة كاملة هؤلاء بجريدة البلاد³.

ج- النشاط النفسي على مختلف عناصر الجيش الفرنسي

في هذا النشاط النفسي الذي كان يمارس على جنود الجيش الفرنسي بمختلف تشكيلاتهم و انتماءاتهم العرقية و الثقافية، كانت هناك عناصر و محاور أساسية في الخطاب الدعائي النفسي، التي كان يتم الحرص على تأكيدها و ترديدها باستمرار لدى جنود كل التشكيلات و في كل المناسبات، و التي من أهمها :

1- إفهام كل جندي و مجنّد في الجيش الفرنسي أن دوره و مهمته في الحرب الدائرة في الجزائر لا تقتصر فقط على مجرد حمل السلاح و إطلاق النار به، و إنما دوره يتمثل أيضا في تقديم نشاط نفسي لا يقل أهمية عن النشاط العسكري، هذا النشاط النفسي يتمثل في بعث الاتصال و العلاقات مع السكان. و أن نجاحه في هذه المهمة يتوقف بقدر كبير على مدى كونه إنسانيا في سلوكه، و على مدى مراعاته و مراقبته لأبسط السلوكات و التصرفات التي تصدر منه في تعامله مع السكان⁴. متمثلا في نفسه أنه سفيرا لفرنسا لدى هؤلاء السكان و رجل دعاية يبشر لها بينهم⁵.

¹ - SHAT, 1H 2463/d.1, Fiche Problème Humaine : Attitude de l'appelé vis à vis du F.S.N.A. dans l'armée, civil en Algérie, civil en Métropole, (s. d.), p. 3.

² - SHAT, 1H 1113/d.2, Fiche de documentation n° 14.44 : Action particulière en Algérie : Français Musulmans d'Algérie, 30/ 14.3.1958 /LM., p. 3.

³ - SHAT, 1H 2408, Lettre du Haut- Commissaire de la République, Gouverneur Général de l'A.O.F. à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie, Dakar, le 22 octobre 1955, signée par le Lt-Colonel Villard, 2 p.; SHAT, 1H 2408, Fiche- Exposé sur l'action psychologique en 10° R. M., p.8.

⁴ - SHAT, 1H 1113, Directives d'action psychologique : le rôle de l'Armée dans l'action psychologique, signées Robert LACOSTE, pp. 2- 3..

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification à l'usage des commandants de sous- quartiers, p.9

2- تحذير الجنود و المجندين من الإنسياق وراء أعمال الإثارة (la provocation) التي قد يفتعلها الثوار لإيقاع الجيش الفرنسي في فخ ممارسة العنف و الانتقام الجماعي ضد السكان، كرد مباشر على عملياتهم الثورية. و هو الفخ الذي طالما نصبه الثوار و وقع فيه الجيش و راح ضحيته السكان. ليقوم بعدها هؤلاء الثوار باستغلال أخطاء الجيش و تضخيمها في حملة إعلامية و نفسية تصوّر فرنسا على أنها قوة متغطسة تمارس حرب إبادة ضد شعب أعزل، لاستدرار الدعم و التعاطف الدبلوماسيين و شحذ الاستنكارات و التنديدات ضدها في المحافل الدولية¹. أما خير وسيلة لتجنب مثل هذه الفخاخ و تفويت كل فرصة على الثوار فهي تعريف عناصر الجيش الفرنسي بعدوهم المتمثل في الثورة و بالطرق و الوسائل التي تعتمد عليها في تطبيق حربها الثورية على أرضية الميدان، بما في ذلك تنظيمها السياسي و العسكري و المراحل المختلفة التي يجب عليها المرور بها لبلوغ النصر.

3- توطين عناصر الجيش على الالتزام بسلوك يتسم بالانضباط الأدبي و الفكري في كل الظروف، سلوك يتسم بضبط النفس و يخلو من الانفعالية و الارتجالية و التصرفات اللا مسؤولة، و بالأخص عند تنفيذ عمليات التمشيط و المطاردة بحثا عن الثوار.

4- توطين عناصر الجيش على احترام السكان و الممتلكات، و تجنب الأخطاء التي لا تحمد عقباها و التي من شأنها أن تؤدي إلى الرمي بالسكان في حضن الثورة².

تلك هي بعض العناصر، و ليست كلها، التي كان يعتمد عليها النشاط النفسي في تمير خطابته النفسي بين أفراد الجيش الفرنسي بهدف كسب معركة الحرب النفسية ضد الثورة. و ما يجدر ذكره هنا هو أن مساعي مصالح النشاط النفسي للجيش في هذا الاتجاه لم تذهب سدى و لم يكن مآلها كلية الفشل. فبعض الشواهد المتفرقة هنا و هناك تتصافر في شهادتها على أن هذه المساعي قد حققت قدرا من النجاح. و أنه كانت للجيش الفرنسي، و بالأخص وحداته المشكلة من الفرنسيين الحُلص، سمعة حسنة في بعض المناطق، بخلاف وحداته المشكلة من المجندين الجزائريين و المغاربة و السينغاليين، و أنه كان لسلوكهم الأمثل في بعض المناطق الأخرى وقع قوي في النفوس، أجهروا به السكان، لأنهم كانوا أقل همجية و إفسادا مما هو مألوف³. كما سُجّل لهم أيضا بعض حالات التعاطف مع السكان⁴. و هذه الحالات على قلتها لم تكن تصدر عن نشاط نفسي نجح في تحقيق نتائجه، بقدر ما كانت تصدر عن ضمير حي و نزعة إنسانية عالية كانت لدى بعض الجنود و الضباط⁵.

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 58.

² - SHAT, 1H 2581/d.2, Note de service, n° 612/EM.10/BP/PR, Alger le 16 novembre 1956, 2p ; SHAT, 1H 2460/d.1, Extrait sur la note sur la pacification, n° 584/3/5 du 5 mai 1956, du 5^e Bureau de la 27^e D.I.A.

³ - الملحق رقم : 15 يقدم لنا عيّنة على ما حققه النشاط النفسي الفرنسي على الضباط و الجنود في بعض المناطق. فقد كان أحد قادة الوحدات المتمركزة بالقرب من عرش بني ورتلان على درجة من السلوك و الأخلاق الحمودة، ما دفع بأعيان من عشائر بني ورتلان إلى المطالبة برجوعه بعد أن تم نقله إلى منطقة أخرى. و قد تمت مبادرتهم هاته بإيعاز من ضابط للافص الموجود بعين المكان.

⁴ - Abdelhamid BENZINE, *Journal de marche*, Alger, Editions ANEP, 2002, p. 37.

⁵ - Voir par exemple : Alphonse GEORGER, *Journal d'un séminariste en Algérie 1960- 1962*, les éditions Cana, 2003, 205 p.

و على ذكر هذه النقطة الأخيرة، تجدر الإشارة إلى أن المصالح النفسية للجيش الفرنسي قد عملت و بكل مهارة و بكل ما أوتيت من وسيلة على تلميع و تحسين صورة الجندي الفرنسي بالأصالة في عيون السكان و ذلك على حساب الجند غير الفرنسي بالجيش الفرنسي، سواء كان هذا الجند لفيما أجنبيا أو مجندا تونسيا أو مجندا في الطابور المغربي أو سينغاليا، و بالأخص إذا كان مجندا جزائريا " قومي " أو " حركي ". ففي حين كانت قيادة الجيش تطالب الجندي الفرنسي بالأصالة بالتحلي بأعلى قيم السلوك في الحرب، كانت هذه القيادة في نفس الوقت تقوم بتشجيع هؤلاء المجندين و المرتزقة من غير الفرنسيين على تسليط كل أنواع القهر و الإذلال على السكان و تتغاضى عن جرائمهم بل و تطلق يدهم للإتيان بكل المخازي التي يندى لها الجبين، فعذا بذلك الجند الجزائري رمزا لكل دناءة و سفالة و وحشية. فكان من عجيب المفارقات التي حدثت، أن سكان مناطق عديدة، كثيرا ما فضلوا خلال عمليات التمشيط، الوقوع تحت طائلة الجندي الفرنسي " لإنسانيته " على الوقوع تحت طائلة " الحركي " الجزائري لوحشيته و نذالته، فقد كان هذا الأخير لقسوته يسومهم كل أنواع العذاب و المهانة¹. و مراد فرنسا من وراء ذلك واضح جدا، و رسالتها إلى الأهالي بليغة، فكأن لسان حالها يقول لهم : " هذا ما سيكون عليه حالكم، إذا فضلتم الانفصال عن فرنسا و آل أمركم إلى أناس من بني جلدتكم، فإنهم سيتسلطون عليكم و يتحكمون فيكم و سيسومونكم كل أنواع القهر و المهانة. فأنتم لستم أهلا لحكم أنفسكم بأنفسكم، و من مصلحتكم إبقاء الوضع على ما هو عليه ". لذلك لا عجب أن يصور أحدهم هذا الفارق المفتعل بين الجندي الفرنسي و الحركي الجزائري بأنه نفس الفارق الموجود بين الملائكة البررة و الشياطين المردة. و في هذا المنحى يقول السيد حمو محمد عيسى النوري في وصفه لأحداث حصار مدينة لقرارة بتاريخ 28 و 29 و 30 أكتوبر 1960: « و أما ما قام به جنود العدو في المدينة، فإن الجنود الفرنسيين أصحاب القبعات الحمر قاموا بالتفتيش في اليوم الأول، فكانوا على جانب من الأخلاق، فإنهم كانوا يطمنون العائلات بأن لا يخفن و لا يصبهن سوء منهم. و قد دخلوا على الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم و هو طريح فراشه مصاب بالشلل فرثوا لحاله و قدروا مقامه العلمي و فتشوا خزائن كتبه برفق و خرجوا. فقال مقارنا بين معاملتهم و معاملة الحركيين الذين فتشوه في اليوم الثاني أن الأولين مثلتهم ملائكة و الآخرين شياطين مردة، فقد أهانوه و شتتوا خزائنه بوحشية غريبة كما احترم الأولون مقام الشيخ بيوض و قدروه و فتشوا مكتبته و مكتبته بكل لطافة و تعرض لوحشية الحركيين و لؤمهم² ».

لذلك لا عجب إن تم استبعاد مشاركة الحركيين في المراحل التدميمية لـ «حرب التهدئة»، حفاظا على نتائجها من أن تتدهور سلبا بحضورهم. لذلك جاء نص التعليم رقم سبعة، المنظمة لهذه المرحلة للتقرب من السكان و كسب ودهم، واضحا بضرورة استبعادهم من المشاركة فيها، أسباب ذلك هو أن « طباعهم الخاصة لا تنسجم و هذا الدور³ ».

¹ - Mohammed Larbi MADACI, *Les tamiseurs de sable*, Aurès- Nememcha 1954- 1959, Alger, Editions ANEP, 2001, pp. 242- 243.

² - حمو محمد عيسى النوري، *دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما و حديثا*، المجلد الثاني، باريس دار الكروان، ديسمبر 1984، ص. 344

³ - SHAT, 1H 2553/d.1, Directive n° 7 pour la phase de consolidation de la pacification, Constantine, 12 octobre 1959, p. 4.

المطلب الثالث : إقناع الجيش و إعداده للقيام بدوره في مجال الحرب النفسية

كانت مسألة توعية الجيش الفرنسي و تحسيسه بأهمية دوره كوسيط اتصال بين الإدارة و السكان الجزائريين من جهة، و وسيط مصالحة، لإصلاح ذات البين بين هؤلاء السكان و السكان الأوروبيين من جهة أخرى، تمثل مطلباً ملحا و انشغالا مشتركا للسلطتين، السياسة و العسكرية، الفرنسيين بالجزائر. انشغالا، كثيرا ما ترجم في شكل تعليمات سياسية و أوامر عسكرية واضحة الدلالة لتكريس هذا الاتصال و تحقيق هذه المصالحة.

و في هذا المقام، تعد التعليمات التي أصدرها الوزير المقيم، روبرت لاكوست، خير ما يستشهد بها في هذا المقام. فقد كان دائما يؤكد على ضرورة اضطلاع الجيش بمهام الاتصال بالسكان. حيث جاء في تعليمته رقم 3 بتاريخ 30 نوفمبر 1956، التي وجهها إلى الضباط من مختلف القوات، ما يلي: « إن الطابع العسكري الصرف لعملنا يسير تدريجيا نحو استبداله بمرحلة عمل سياسة-عسكرية، أين يكون العمل خلالها من أجل إرساء علاقات مع الفرنسيين المسلمين، عن طريق هيئات و مؤسسات خاصة، هو الخيط الموصل¹ ». كما جاء في تعليمة سابقة له، و هي التعليمة رقم 2 بتاريخ 18 أوت 1956، التي وجهها إلى نفس هؤلاء الضباط، ما يلي: « من الآن فصاعدا، و في جميع المناطق التي يتواجد فيها الجيش، يجب أن يكون السعي للاتصال بالسكان هو ضالة الجميع، بكل الوسائل و على جميع المستويات [...] و أنا أرغب، أينما و حيثما كان هناك تواجد للجيش، أن يكون هناك سعي حثيث لربط علاقات شخصية و إنسانية مع الفرنسيين المسلمين، و بالأخص مع قداماء المحاربين منهم. و أنا لا أغفل بأن هناك صعوبات عملية و مادية و لغوية ستعترض سبيلكم، كما أتوقع أيضا بعض التردد. و لكن لا بد من اجتياز كل هذه العقبات، لأن العبرة تكون فقط للأعمال و الأفعال: فبالثبديد و بالعمل مع الجزائريين و لهم، و بمساعدتهم على تحسين وضعهم الحياتي، سنصل إلى كسب مودتهم و ثقتهم² ». أما عن فحوى هذا الاتصال مع السكان، فيحدده الوزير المقيم روبرت لاكوست بأنه: « اتصال فردي، شخصي و إنساني، الوحيد المقبول في هذه البلاد مع الفرنسي المسلم³ ». في حين يحدده الجنرال كريبان (CREPIN)، القائد العام للقوات المسلحة بالجزائر، بأنه: « سلوك انساني مثالي و أنشطة خلاقة تنجز كل يوم. و هو نشاط يعني كل الإطارات العاملة بالجزائر و على اتصال دائم بالسكان⁴ ».

و على منوال التعليمات الصادرة عن روبرت لاكوست، كانت القيادة العامة للجيش الفرنسي تصدر تعليمات إلى الجنود بمختلف القوات تحثهم على أهمية الدخول في اتصالات مع السكان⁵ و علي أهمية إبداء

¹ - Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie, Mesures de pacification et réformes, op. cit., p.15.

² - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, pp. 34- 35.

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, Le Ministre résidant à messieurs..., 10 juillet 1956, p. 6.

⁴ - SHAT, 1H 2410/d.1, Directive générale concernant l'action psychologique, Alger, le 11 Juillet 1960, par le Général CREPIN, Commandant en Chef des Forces en Algérie, p. 1

⁵ - SHAT, 1H 2408, Directives d'action psychologique, n° 1209/2.PY, Guelma, le 20 octobre 1956, par le Général REDON, commandant la 2^{ème} Division d'Infanterie Motorisée et la Z.O.E

سلوك آخر "إنساني بحت" لا يقل أهمية و مردودية عن نشاطهم العسكري¹ ، لأنه في هذا النوع من الحروب تغدو كل الأنشطة أنشطة نفسية و يجب أن تستغل كذلك². و لتسهيل هذه المهمة على الجنود و الضباط، تم تمكينهم من وثيقة قاعدية أساسية لترشيد عملهم كعناصر «للتهدئة» في الميدان. و قد تضمنت هذه الوثيقة في صفحتها الثامنة مفاهيم أولية هامة لتحقيق هذا الاتصال. كما تضمنت الصفحات من 37 إلى 49 مجموعة من القواعد السلوكية المتعارف عليها و التي يجب احترامها في العلاقة مع الجزائري، و هي قواعد تعكس ملاحظة قوية و لا تخلو من طرفية³. علما أنه قد سبق للمكتب النفسي للمنطقة العاشرة أن وضع في متناول الجنود و الضباط كتيبا صغيرا بأهم الكلمات و التراكيب اللغوية التي تعينهم على الدخول في محادثات مع السكان. هذا، و قد كان هاجس الدخول في علاقة و اتصال مع الجزائري هو من القوة عند بعض الجنود و الضباط ما جعلهم يتشبعون بعقلية هذا الأخير، و يمتلكون ثروة لغوية، هي و إن لم تخل من عجمة، فقد كانت مناسبة لكل الظروف.

و لكن، أليس من الغريب أن يعهد إلى مؤسسة قمعية كالجيش الاضطلاع بمهمة جد حساسة هي " تحقيق الاتصال" مع السكان الجزائريين، في حين أن أعمالها الوحشية اليومية ضد هؤلاء السكان من شأنها القضاء على كل بادرة في هذا الاتجاه؟ جوابا على ذلك، يري سياسيو فرنسا و قادة جيشها بأن الجيش الفرنسي هو الجهة الوحيدة بالجزائر المؤهلة لبعث و ربط علاقات جديدة ليس فقط بين الإدارة و السكان الجزائريين و لكن أيضا بين هؤلاء و السكان الأوروبيين من جهة أخرى. و في ذلك يقول الوزير المقيم روبرت لاكوست: « بالرغم من امتلاكه لخاصية القوة فإن الجيش يمثل إحدى عناصر الاتصال الأكثر ملاءمة بين الحكومة و السكان »⁴. لذلك، فإن إرسال المزيد من شباب "المتروبول" لتعزيز و دعم الجيش العامل بالجزائر هو في نظر منظري الحرب النفسية الفرنسية عامل إيجابي يجب أن يستغل أحسن استغلال، و ذلك لما فيه من مزايا مركبة: أولها السمعة (Le prestige) التي حظي بها دائما هذا الجيش لدى الأهالي الجزائريين، باعتباره يمثل في أذهان هؤلاء مرادفا للقوة و البطش -مصدرا الآمان و الخوف، اللذان طالما فتنا عقلية المشرقي. و ثانيهما الصورة التي يحتفظ بها الكثير من هؤلاء الأهالي عن هذا الجيش، كهيئة تعكس " الوجه الحقيقي و المشرق لفرنسا غير النفعية و اللامصلحية" (désintéressée). هيئة لا تزال تحافظ على شيء من " نظافتها"⁵. و ثالثها أن تعزيز الجيش الفرنسي بعناصر شابة من المتروبول سوف يكون من محاسنه وضع الأهالي الجزائري أمام نوع مختلف و جديد من الفرنسيين، فرنسي يتميز بتحرره و سعة أفقه، فرنسي يختلف كلية عن فرنسي الجزائر الذي أصبح حاضره مكبلا بأخطاء

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 5, Alger, le 7 juillet 1956, p. 5.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Note de service n° 2465/CAC/PY du 21 Août 1957, p.1.

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, *Guide pratique de pacification*, à l'usage des commandants de sous-quartier, (s. d.), 77 p.

⁴ - SHAT, 1H 1113, Directives d'action psychologique: rôle de l'Armée dans l'action psychologique, par Robert LACOSTE, 7 juin 1956, p. 3.

⁵ - SHAT, 1H 2409/d.1, Extrait d'un compte-rendu de stage en A.F.N. établi par des officiers stagiaires de la 70° Promotion de l'Ecole Supérieure de Guerre, p. 33.

ماضيه الحالك و أفكاره القديمة و آرائه العنصرية تجاه الأهالي الجزائريين، فالتسعت الهوة بينه و بينهم و غدا عاجزا عن بناء و ربط روابط جديدة و بناءة معهم¹.

و بناءا عليه فإن المهمة الموكلة إلى الجيش لدى السكان الجزائريين جلييلة و لكن صعبة، لأن "حزمه" في معالجة المسائل "الأمنية" قد يترتب عنه حدوث بعض "التجاوزات" ضد السكان الجزائريين. لذلك فإنه يتوجب على هذا الجيش، في مسعاه كوسيط اتصال و صلح لدى السكان، أن يبذل كل ما في وسعه لجعل تدخلاته مستساغة و أن يستدر عفو السكان ليصفحوا عن تجاوزاته، بما يجعل هذه التدخلات ليست فقط مستساغة و لكن أيضا مرغوب فيها².

تتحدد مهمة الجيش الفرنسي لدى السكان الجزائريين في مسعاه للاتصال بهم في ثلاثة مهام أساسية هي: أولا ما يجب إفهامه لهؤلاء السكان؛ و ثانيا ما يجب مطالبتهم به؛ و ثالثا العمل على رآب الصدع و ردم الهوة التي توجد بينهم و بين السكان الأوروبيين، و التي ما فتئت تتسع فاستعصت على الإصلاح و الردم.

فبالنسبة للمهمة الأولى، يحددها روبرت لاقوست كالتالي: « يجب على الجيش إفهام السكان المسلمين عمل "التهديئة" الذي تقوم به الحكومة و الغاية منه. و إفهامهم بأن وجود الجيش الفرنسي هنا هو ليس لخارتهم و إنما هو لحمايتهم »³. أما بالنسبة للمهمة الثانية، فيحددها روبرت لاقوست في تعليمته الرابعة، بتاريخ 3 أفريل 1957، كالتالي: « انطلاقا من مسلمة بسيطة و لكن قطعية، فإنه بالنسبة لسكان فرنسيين مسلمين، يعيشون المعاناة و الخوف الذي يُسلطه عليهم التمرد، فإنه لا يمكننا مطالبتهم إلا بشيء واحد هو اعترافهم و قبولهم بالوطن الفرنسي و بعلمه و كفى. و لنا أن نتوقع بعد ذلك أن يكون سكان هذه البلاد معادين لسياسة الحكومة، معارضين لأساليب الإدارة، مناوئين للمشاريع المختلفة الخاصة بالقانون الأساسي للجزائر، فذلك من حقهم بما أننا نعزم منح مواطنينا أينما وجدوا حرية الفكر و التعبير. و لكن من المهم جدا أن يعترفوا و يقرروا بأنه لا يمكنهم العيش بدون المتربول، الذي لا يمكن قطع الروابط معه بحال من الأحوال »⁴.

و أخيرا و بالنسبة للمهمة الثالثة، فيقول روبرت لاقوست: « إن الانشغال المهيم على سياستي يتمثل في التقريب بين عنصري السكان المحليين، من خلال بعث ثقة كل منهما في الآخر، و بعث ثقتهما معا في المتربول »⁵. و في هذا الأفق، تتحدد مهمة الجيش في « محاربة الانعزال الذي يميل كلا عنصري السكان إلى الإنغلاق فيه. إن هذا الانشغال يجب أن يقود العسكريين إلى اغتنام كل فرص الحياة اليومية لتقديم خدمات جلييلة للسكان: كتنقل مرضاهم و تقديم إسعافات صحية لهم و مساعدتهم في أشغالهم... كما يجب على الجيش القيام بدوره كهمزة وصل بين عنصري السكان من خلال تأثيره على السكان الفرنسيين و الجزائريين معا

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - المصدر السابق، ص. 34.

³ - SHAT, 1H 1113, Directives d'action psychologique: rôle de l'Armée dans l'action psychologique, par Robert LACOSTE, 7 juin 1956, p. 4

⁴ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, pp. 47- 48.

⁵ - المصدر السابق، ص. 24.

لكسر ذلك التواطؤ القائم على الجهل المتبادل من أحدهما تجاه الآخر، تفاديا لوقوعهما في الحقد و الكره»¹.
و في هذا المعنى أيضا يقول الجنرال دو بولاردييه : « لقد كانت مهمتنا الرئيسية إذن هي الحصول على ثقة كل من هذا العنصر و ذاك تفاديا لحدوث ما لا يستدرك و صونا للمستقبل»².

من خلال ما سبق، يتضح بأن نجاح الجيش في المهام الثلاثة الموكلة إليه تجاه السكان لا يمكن أن يتحقق دونما فهم و معرفة عميقتين لعقلية و نفسية هؤلاء. فالنشاط النفسي هو أساسا عمل مدروس ينبذ الارتجالية، و في هذا الأفق تكون معرفة السكان الجزائريين، الذين هم موضوع هذا النشاط النفسي، من صميم الأولويات.

المبحث الثالث : دراسة و « فهم » عقلية السكان الجزائريين

مند أن وطئ الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر، كانت مسألة دراسة و فهم عقلية السكان الأهالي من المسائل التي حظيت باهتمام العديد من العسكريين، بهدف تطويع هؤلاء السكان و القضاء على كل مقاومة تصدر عنهم وبالتالي تسريع عملية الاحتلال لتشمل كل القطر الجزائري. و قد تصدى لهذه المهمة في البداية طليعة من الضباط الرواد، أمثال: بليسييه دو رونو (Pellissier de Reynaud)، كارت (Capitaine Carette)، دو سلان (de Slane)، هانوتو (Hanoteau)... و غيرهم من ذوي التكوين المتنوع و المتخصص. و بالرغم من أن أعمالهم لم تخل من فضول علمي بحت، فإنها كانت إجمالا موجهة لخدمة الأهداف الإستراتيجية للإحتلال. فخلال جولاتهم الاستطلاعية و الحربية لمختلف ربوع الجزائر، كانوا يقومون بتدوين و تقييد كل الملاحظات و الانطباعات و الاستنتاجات التي تعين لهم، و التي تمس جميع مناحي الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية للأهالي الجزائريين، و بالأخص دراسة لغتهم و عناصرهم الإثنية، عاداتهم و تقاليدهم، أنماط عيشهم و طرق تفكيرهم... كل ذلك بهدف الوقوف على العتلات و الأزمة التي تتحكم في سلوكهم لتسخيرها بعد ذلك في تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية. كما تم أيضا، خدمة لهذه الغاية، ترجمة عددا من أمهات كتب التاريخ، كتاريخ ابن خلدون و أبي عبيد البكري، لفهم ماضيهم و الاستفادة منه في تطويع حاضرهم. و قد استمرت هذه الحملة إلى آخر أيام الاستعمار، مخلفة وراءها إرثا «علميا» ضخما، هو برغم كل المآخذ، رصيد ضخم من المعلومات لا يستهان به و لا يستغنى عنه³.

إلا أن اندلاع ثورة أول نوفمبر، و ما كشفت عنه من قدرات عالية في التحضير و التنظيم و السرية المطلقة - و هو ما فسر انتشارها السريع بعد ذلك إلى رقعة واسعة من الوطن - قد أوحى إلى الفرنسيين بحدوث تحول نوعي عميق في عقلية الجزائري : فأن يستطيع شعب في مدة قصيرة تضميد جراحه و استجماع نفسه و الشروع في الثورة بعد أقل من عشر سنوات على مجازر الثامن من ماي 1945، فذلك أمر ليس بالهين ! و منه خلص الفرنسيون إلى مدى قصور معرفتهم. بهذا الجزائري، و أنهم يعيدون كل البعد عن معرفته معرفة تامة.

¹ - SHAT, 1H 1113, Directives d'action psychologique : rôle de l'Armée dans l'action psychologique, par Robert LACOSTE, 7 juin 1956, p. 4.

² - BOULARDIER (Général Paris de), *Bataille d'Alger, Bataille de l'homme*, op. cit., p. 83.

³ - للتوسع أكثر في هذا الموضوع، يمكن العودة إلى الدراسة القيمة التالية :

P. LUCAS & J. C. VATIN, *L'Algérie des anthropologues*, Paris, FM/Fondations, 1982, 292 p.

فكان ذلك حافزا دعاهم إلى تجديد معلوماتهم عنه و تحيينها، إن لم نقل إلى ضرورة إعادة اكتشافه من جديد.

المكتب الخامس، و من قبله المكتب النفسي للمنطقة العاشرة، سارع فور إنشائه، على غرار هيئات أخرى حكومية و خاصة، إلى الاضطلاع بهذا الدور من خلال قسمه الأول الخاص بـ: "التوثيق و الاستعلامات". حيث كانت مساعيه في هذا الاتجاه تصدر عن منظور إستراتيجي بحث للحرب النفسية و تستهدف تحقيق أهداف خاصة بها، من خلال تشخيص التحوُّل النوعي الحاصل في عقلية الجزائري و الوقوف على تطوراته الجديدة الدافعة على الثورة، و بالتالي إيجاد الوسيلة المناسبة التي تُحُدُّ من جموح هذه التطورات و تُمكِّن من القضاء على الثورة. و في هذا المقام، نشير إلى أن المكتب الخامس اعتمد بداية من جوان 1959 مشروعاً علمياً "لدراسة العقلية الجزائرية المسلمة دراسة موضوعية"، و ذلك بالتعاون مع لجنة العمل العلمي للدفاع الوطني (C.A.S.D.N.¹، التي كان مقرها بباريس و كانت تتوفر على فرع لها بمدينة الجزائر. هذا، و قد كانت الغاية الأولى من هذا المشروع هي إرساء النشاط النفسي على السكان المسلمين على أسس من العلمية².

كما كان من صميم المهام الموكلة إلى مركز التدريب على حرب التهذئة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزو (C.I.P.C.G.) هو « تقديم تكوين واقعي ما أمكن حول بسيكولوجية و سوسيوولوجية السكان المسلمين و كذا المنطلقات السياسية للثورة الجزائرية، بهدف تمكين الإطارات العسكرية من المعطيات الأساسية و الضرورية للتطبيق الجيد لنشاط التهذئة وفق تعليمات الوزير المقيم³ ».

علما أن فترة الحرب قد شهدت صدور إنتاجا فكريا غزيرا هو ثمرة بحوث فردية و جماعية جاءت لتسليط الضوء على الجوانب المختلف للمجتمع الجزائري و تعيد اكتشافه. و ضمن هذا الإطار كان صدور كُتَيْب الباحث بيار بورديو بعنوان "سوسيوولوجيا الجزائر"⁴، الذي كان من بين المراجع الأساسية للضباط المشتغلين بالنشاط النفسي⁵.

معرفة الجزائري معرفة دقيقة هو حجر الأساس في عملية تحقيق الاتصال مع السكان، و هي المهمة المنوطة بالجيش. لذلك، و بقدر ما كانت هذه العلاقة مبنية على معرفة أدق كان ذلك أدعى إلى متانتها و دوامها و تحقيقها للأهداف المسطرة لها. و في ذلك يقول الجنرال رودون (Général REDON) : « أحرص هنا على التأكيد على أهمية الاتصال و ربط العلاقة مع السكان. لذلك، يجب عليكم بذل ما في وسعكم لتحقيقه.

¹ - Comité d'Action Scientifique de Défense Nationale

² - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur le problème de la mentalité des musulmans, Secrétariat permanent du C.A.S.D.N, Paris, 1/6/1959, 7p.

³ - SHAT, 1H 2523/1, Fiche: Réorganisation du C.I.P.C.G., 9 août 1957, p.1.

⁴ - Pierre BORDIEU, *Sociologie de l'Algérie*, Coll. « Que sais-je? », n° 802, Paris, PUF, 1958, 127.

⁵ - SHAT, 1H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel Bruge André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, Arzew, 1^{er} septembre 1959, p. 21.

إن سلطتكم و نفوذكم على السكان سيتعززان بمقدار معرفة رجالكم معرفة شخصية للسكان المجاورين لنقاط تمركزكم»¹.

ولكن، ما المقصود بمعرفة السكان و كيف يمكن معرفتهم معرفة صحيحة ؟ الوثيقة الصادرة عن القيادة العامة للجيش الفرنسي بالجزائر و التي تحمل عنوان " تعليمات خاصة بحرب التهدة في الجزائر " حددت ذلك كالتالي: « إن معرفة وسط سكاني ما تعني سبر عقليته و رصد احتياجاته و تقدير تطلعاته بكيفية تسمح بالتنبؤ بردود فعله الفردية و الجماعية تجاه الأحداث»². كما حددت هذه الوثيقة بأن هذه المعرفة هي محصلة لمعارف ثلاث: أولها معرفة المجموعات المكونة لهذا الوسط بهدف تحديد الملامح الميزاجية التقليدية لكل منها، ثم تكييف ذلك مع الحاضر للاستفادة منها في تحديد الميولات و الاحتياجات الآنية لهذا الوسط و اكتشاف نخبته المستقبلية؛ ثانيا معرفة أفراد كخطوة لا بد منها لمعرفة الوسط ككل. أما وسيلة ذلك فهو الإحصاء الدقيق، الذي يُمكن من معرفة الفرد في إطاره العائلي و الجغرافي و معرفة مقر سكنه عند البحث عنه، ليسمح ذلك لاحقا بتوجيهه و مراقبة التحولات التي تطرأ عليه. ثالثا: المراقبة المستمرة لتطور هذا الوسط عن طريق الاتصال الودي و المستمر مع أفراد؛ و عن طريق استجواب ذوي النفوذ فيه من أعوان الإدارة العاملين في التنظيم الموازي؛ ثم مراقبة هذا الوسط و البحث عن المعلومة النفسية المتعلقة به³.

و لكن، و برغم كل هذه الجهود المبذولة لمعرفة عقلية الجزائري و سبر غور نفسيته، ظلت الأحكام المسبقة و الصور و الأفكار القديمة السائدة عن هذا الأخير مستحكمة في ذهنية الفرنسي، الذي لم تتعد معرفته للجزائري نطاق حصره في بعض القوالب المشوهة التي تجعل منه إنسان ساذج و بدائي الطبع. جاعلا من هذه القوالب "خصائص للعقلية الجزائرية"، و التي، حسبما جاء ذلك في " دليل ضابط النشاط النفسي بالجزائر"، تتميز بما يلي :

- أحاسيس حادة تجاه كل ماهو عاطفي، فالجزائري " يفكر بقلبه". لذلك يتوجب لإقناعه، اعتماد حجج عاطفية لا منطقية.
- صاحب هوى و ذو طبع مزاجي متقلب، ينتقل من النقيض إلى النقيض. لذلك، يحسن في جميع الأحوال ضبط النفس لكسبه.
- فخور، محب للظهور، و حساس لأراء الغير فيه. لذلك، يجب عدم الاستغراب لأي من تصرفاته أو مبالغاته، و معرفة تهنتة عند اللزوم، ثم و بالأخص عدم الاعتراض على عاداته.
- لا يتقبل السخرية و التهكم. لذلك يجب تفادي الهزء به مطلقا، بما في ذلك المزاح و اللفظ الطائش الذي قد يُساء فهمه و قد يترك جرحا عميقا في نفسه.
- شديد التعلق بدينه، حتى لو لم يلتزم بتعاليمه، لذلك يجب تفادي كل جدل ديني معه، فذلك لا يعيننا.

¹ - SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique, par le Général Redon, Commandant la 2^{ème} Division d'Infanterie Motorisée et la Z. O. E., Guelma, le 20 octobre 1956, p.2.

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 69.

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 69- 70.

- له ذكاء ووجه وجهة أخرى مختلفة عن ذكائنا: نحن علميون في تفكيرنا، أما هو فحالم و صوفي. لذلك يجب عدم الاستغراب إذا تعلق اهتمامه بشيء آخر لا نقصده نحن. كما أن عاداته مختلفة عن عاداتنا، إذن فلنستغل ما يهمه هو و ليس ما يهمنا نحن.
- انعدام الروح النقدية لديه مما يجعله قابلا لاستساغة و تصديق أبشع الأكاذيب متى لاقت هذه هوى في نفسه.
- هو إنسان شغوف و متعطش للعدل، لذلك يجب تفادي إنزال الظلم به مطلقا، كما أن أقل ظلم يأتيه من الفرنسي سيكون له وقع الكارثة.
- محب لمهنة السلاح، إذن فلنخاطبه كجندي.
- له شعور حاد للكرامة و الشرف و الأبهة. فليكن ذلك داعيا لنا لأن نحترم أنفسنا، و أن نتفادى المستقطات¹.

و بالإضافة إلى هذه " الخصائص "، كانت هناك أحكام مسبقة، درج الفرنسيون على نسبتها للجزائري و جعلها من الخصائص المتأصلة فيه. فمن ذلك مثلا أنه محب " للبارود"² (un baroudeur) الذي يعكس في نفس الوقت مدى ولعه و خوفه من "القوة" التي غدت من مقدساته³. و هو أيضا متعلق بالشخص أكثر من تعلقه بالفكرة⁴. قدر يفسر كل شيء بـ "المكتوب"⁵. كسول يحتقر العمل. أما مفهومه للنظافة فهو من أغرب ما يكون: فهو إن لم يجد الماء لوضوئه، اكتفى بتغيير وجهه بالتراب ! و هو "شكّاي"، ولعٌ بالشكّاية، متسول لحوح، شديد المسألة، لا يأنف مد يده إلى أي كان و لأجل أي شيء كان. فإن سألت مثلا: هل يكذب ؟ قيل لك أنه بتعبير أدق ليس بالصريح، فهو يتحاشى الأجوبة المباشرة مظنة ربح أو دفعا لخسارة: فبدل من كلمتي "نعم" و "لا" فهو يفضل الإجابة بـ: ربما، قد، لعل، الله يعلم، أنت تعرف.. أنت تشوف، ما نعرفش، ما شفتش، ما سمعتش... و ما إليها من الإجابات التي لا تلزمه في شيء. و إن سألت: هل هو خاؤون ؟ قيل لك بأن الغالب على طبعه الأمانة، و إن كان قد يحدث له أن يجد لنفسه المعاذير و يبيح لها مغالطة " الرومي " و سرفته، ثم لا يرى بعد ذلك في فعله هذا غير قربة حسنة، تزيد قربة من ربه⁶.

في هذا المسعى أيضا، جرى التفريق بين الجزائري من أصول عربية و الجزائري من أصول بربرية. فقد كان هذا الأخير موضوعا لدراسات مستفيضة، لفهمه و الوقوف على الأزمة التي تحركه. هذه الدراسات كانت تتخذ كخلفية لها أن الشاوي و الميزابي و بالأخص القبائلي⁷... و إن كانوا كلهم جزائريين مثل باقي الجزائريين، فإن لهم من "الخصائص و الميزات" الخلقية و الخلقية، العقلية و النفسية، ما يجعلهم يختلفون جوهريا عن غيرهم من

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, pp. 6- 7; SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psychologique, p. 46.

² - SHAT, 1H 1113/d.1, Connaissance des Français de souche Nord- Africaine, p. 2

³ - SHAT, 1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psychologique, p. 49.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, N°2196/CAC/PY du 2 aout 1959, p.4

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification, à l'usage des commandements de sous quartier, p. 43.

⁶ - *Réflexion sur la mentalité musulmane*, conférence du Capitaine F. BESLAY de l'Infanterie Coloniale, parue dans la revue *Tropicque*, n° 383, avril 1956.

⁷ - SHAT, 1H 2460/d.1, Etude sur quelques aspects de la psychologie Kabyle, Alger, 13 Août 1958, 8p.

الجزائريين. لذلك، كان الاتجاه العام لهذه الدراسات هو الوقوف على هذه "الاختلافات و الفوارق" لاستغلالها في تغذية النشاط و الحرب النفسيين.

اعتمادا على فهمهم المزعوم للعقلية الجزائرية، حاول الفرنسيون بلورة أسلوب في التعامل مع الجزائري يأخذ -بزعهم- في الحسبان المزايا و العيوب السالفة التي يتوفر عليها هذا الأخير. ففي تعليمته رقم 3، بتاريخ 3 أفريل 1957، دعا الوزير المقيم روبرت لاكوست الضباط من مختلف أسلحة الجيش الفرنسي و معهم كل الأوروبيين إلى ضرورة مراعاة و احترام مشاعر و كرامة السكان المحليين. كما دعاهم أيضا إلى الإقلاع عن ذلك السلوك البالي، الذي جرى العمل به في مخاطبة السكان بصيغة المخاطب المفرد " أنت " (tu) بدلا من صيغة الجمع "أنتم" (vous) التي و هو ما ينم فعلا عن عدم الاحترام¹. فالمشكل الجزائري- كما يقول في تعليمته الخاصة بـ " العلاقات الإنسانية بين مواطني و مختلف المجموعات السكانية بالجزائر " - هو ليس فقط مشكلا اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا و لكنه أيضا و قبل كل شيء مشكل "علاقات إنسانية". لذلك فإن تسوية المشكل الجزائري تسوية دائمة، تقتضي ابتداء، خلق جو من الاحترام الإنساني المتبادل بين جميع مواطني و المجموعات السكانية بهذه البلاد و ذلك على اختلاف لغاتهم و أعراقهم و دياناتهم².

الدليل العملي لحرب التهدة، الذي وضع تحت تصرف الضباط العاملين في الميدان، تضمن بدوره مجموعة من التعليمات التي عدت عددا من الأخطاء التي يجب تفاديها و التي من بينها: جرح مشاعر السكان، انتهاك الأعراس و المس بالحرمان، الإساءة للتقاليد و الدين، ثم التعدي على الممتلكات³. و في هذا المنحى دائما، جاء في دليل ضابط النشاط النفسي في الجزائر : « إن أناسا شديدي التعطش للعدالة، مثلما هو حال أغلبية فلاحي الجزائر - [أي سكان الريف الجزائري]-، هم أناس غالبا ما يكون لديهم إحساس غريزي حاد. و لذا، فنحن بالنسبة لهم، أشخاص موضوعون تحت المجهر، ملاحظين و مراقبين في أقل حركاتنا و أقوالنا و مواقفنا. بل إن النظرة التي نلقيها عليهم في الطريق عند تقاطعنا معهم هي بدورها مراقبة و مسجلة بحدة غريبة و إن كانت غير بادية. و على الطريقة التي يبادر بها الأوروبي الجزائري، فإن هذا الأخير يعرف جيدا - و برغم كل أساليب المجاملة المعبر عنها له- ما إذا كان الأمر يتعلق بشخص صديق أو شخص غير مكترث به، أو تعلق الأمر بشخص متكبر يحتقره⁴ ».

¹ - Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, p. 48.

² - المصدر السابق، ص. 51.

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification à l'usage des commandants de sous- quartier, p. 15.

⁴ - SHAT, 1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe V.

الفصل الرابع:

النشاط النفسي على السكان،

أو استراتيجية : « إفراغ الحوض »

الفصل الرابع: النشاط النفسي على السكان

كيف يمكن القضاء على خصم يجيد تطبيق الحرب النفسية و يتخذ السكان ميدانا لمعركته و يعيش بينهم كما تعيش السمكة في الماء ؟ جوابا على ذلك، يقرر منظرو الحرب النفسية الفرنسية بأن هناك طريقتين لا ثالث لهما هما: إما إخراج السمكة من الماء أو إفراغ الحوض الذي تسبح فيه. و الأجدى من كل ذلك هو توظيف الطريقتين معا للقضاء عليه. و هو ما يعني في النهاية ضرورة بلورة منهج مزدوج في الحرب النفسية لتطويع السكان و القضاء على الثورة.

"إخراج السمكة من الماء" هو مجموع الإجراءات التي اتخذتها فرنسا ضد الثورة لاستئصال كل تواجد عضوي لها بين الشعب، و هو ما سنتناوله بتوسع أكبر في الفصل الخامس. أما " إفراغ الحوض " (*vider l'aquarium*) فهو مجموع الإجراءات التي طبقتها فرنسا على الشعب الجزائري لاستعادة السيطرة عليه، في إطار عملية حربية حقيقية أسمتها بـ "فتح و إعادة فتح السكان" (*La conquête et la reconquête de la population*)¹، بهدف قطع كل صلة لهم بالثورة و تضيق الخناق على هذه الأخيرة. و هو موضوع هذا الفصل.

المبحث الأول : النشاط النفسي على الشعب الجزائري : المذهب الحربي

يجد النشاط النفسي الفرنسي المطبق على الشعب الجزائري أصوله في تحليل الفرنسيين للواقع الذي فرضته الثورة عليهم. فكما رأينا في الفصل الأول، يرى منظرو الحرب النفسية الفرنسية بأن الواقع الذي فرضته الثورة على الشعب الجزائري قد قسم هذا الأخير إلى فئات ثلاث: فئة أولى تمثلها أقلية تربطها بفرنسا مصالح و ولاءات قديمة تجعلها مجبرة على السير و التحالف معها للقضاء على الثورة حفاظا على امتيازاتها المهتدة بالزوال الأكيد بحلول وضع جديد من صنع الثورة. أما الفئة الثانية فهي أقلية متعاطفة مع الثورة و تعمل على انتصارها بكل الوسائل. أما الفئة الثالثة، فهي كل البقية الباقية من الشعب الجزائري، و التي يقدر هؤلاء المنظرون نسبتها بحوالي 80% من السكان. و هي فئة -بزعهم- غير محددة التوجه، مغلوقة على أمرها و تفتقد المعطيات الكافية لتقدير الأوضاع و بناء موقفها الخاص، فهي لذلك تلوذ بالصمت و الانتظار لأنها لا تدري مع أي الطرفين تسير. و هذه الفئة الأخيرة هي المستهدفة فعلا بالنشاط النفسي الفرنسي لأن اتساع قاعدتها هو عامل فاصل بإمكانه حسم الحرب لهذا الطرف أو ذاك².

يرمي النشاط النفسي الفرنسي من استهدافه لهذه الفئة الأخيرة، المراهنة عليها لتحقيق حسم لصالح فرنسا، وذلك بكسبها إلى صفها و تحويلها إلى طرف فاعل، راسخ القناعة في عدالة القضية الفرنسية في الجزائر، يقدم تأييده و انحراطه إلى جانب هذه الأخيرة. و هو ما يستلزم مبدئيا و بالضرورة إخراج هذه الفئة

¹ - *Informations Défense Nationale*, « Les Officiers Itinérants d'action psychologique en Algérie », n° 13, 22 mai 1957.

² - SHAT, 1H 2577, "Projet IFA-SUB.1958", Instruction pour l'emploi des Forces Armées dans la lutte contre la subversion, p.11.

من حالة الخوف الذي آلت إليه و موقف الانتظار الذي تلوذ به و كسر جدار الصمت و التواطؤ الصامت الذي، بزعمهم، فرضته الثورة عليها، و الحيلولة دون انسياق هذه الفئة وراء الثورة و وقوعها في أحضانها¹. أما آليات ذلك فتتمثل في العمل على تدارك أخطاء الماضي من خلال بعث العلاقات و جبر الروابط مع هذه الفئة العريضة، و هي روابط تراخت و انقطعت بين هذه الفئة و الإدارة بفعل سنوات الإهمال الطويلة. كما يهدف هذا النشاط النفسي أيضا إلى سبر و معرفة هذه الفئة، بل و لربما إعادة اكتشافها، بالوقوف على التغيير النوعي الحاصل في عقليتها و رصد مشكلاتها و سبر آملها و العمل على صياغة تطلعاتها بكيفية تجنب حدوث أي اصطدام أو قطيعة مع الوجود الفرنسي و بمشروعه في الجزائر.

و لأن النشاط النفسي « لا يمكنه تحقيق أي نتيجة على سُكّانٍ يعيشون الرعب و الخوف و يعيشون ضحايا للشعور بالعزلة المطلقة، الذي يستغله المتمردون كيف شاءوا »². فإن هذه " المعالجة النفسية للنفوس " تقتضي ابتداء تحقيق "معالجة مادية للأبدان"، أي القيام بعملية فتح لها لتحريرها، و ذلك من خلال تقديم تأكيد عملي و أكيد لهؤلاء السكان على عزم فرنسا البقاء و الدوام في الجزائر. و هي إرادة تتم ترجمتها عمليا بحضور عسكري قوي و مكثف على أرضية الميدان يُضيقُ الخناق على الثورة و يُلحق بها هزائم يومية ذائعة الصيت يتم استغلالها دعائيا و على الفور؛ و توفير تأطير إداري فعال للسكان المسلمين بواسطة إداريين و ضباط مختصين؛ و تطبيق عدالة صارمة و لكن نزيهة بين هؤلاء السكان؛ ثم أخيرا القيام بعمل متواصل و دعوب للرفع من مستواهم الحياتي³. كما تتم ترجمة هذه الإرادة أيضا ببعث علاقات جديدة مع هؤلاء السكان، و إعادة بعث الثقة في نفوسهم من خلال توفير الحماية العسكرية لهم، و مساعدتهم و إجبارهم على العودة إلى حياة عادية، و ذلك حتى لو اقتضى الأمر إجبارهم قسرا على العمل بالورشات المختلفة، كورشات البناء و إصلاح الطرقات، و إجبارهم على التردد على الأسواق. فإذا تحقق ذلك، و جب جرُّ السكان إلى التعاون مع الجيش : أولا بحماية أنفسهم من أعوان الثورة، المكلفون بالدعاية و التحريض و جمع الاشتراكات و تنفيذ الأوامر العقابية، و ذلك بقيام هؤلاء السكان، و من تلقاء أنفسهم، بكشف هؤلاء العناصر الثورية و تسليمهم إلى السلطات الفرنسية؛ و ثانيا بتقديمهم للمعلومات بشكل عفوي. فإذا تحقق ذلك، أمكن عندئذ و فقط عندئذ، الانتقال إلى مرحلة تنظيم السكان في إطار " الدفاع الذاتي ". ففي هذه المرحلة يتخذ السكان موقفا علنيا إلى جانب فرنسا، فيتحررون من الخوف الذي كان يشلهم حتى وقتذاك، و يتطور تعاونهم مع قوات الجيش ليأخذ مع مرور الوقت أشكالا أقوى، تبلغ أوجها في مشاركة مسلحة و علنية في عمليات هجومية ضد الثوار⁴.

¹ - SHAT, 1H 2578/d.4, Exposé du Général GAUSSAULT à SHAPE, novembre 1957, p. 1.

² - SHAT, 1H 2411/d.1, Action psychologique, (s. d.), Général TABUIS, p.1.

³ - SHAT, 1H 2411/d.1, Extrait du rapport sur la campagne d'Algérie, par le Général de Division TABUIS commandant la Division d'Oran, en date du 30/11/1956.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les généraux commandants de zone, Alger, 23 mars 1957, p. 6.

تحدد معالم النشاط النفسي الفرنسي الذي يمارسه المكتب الخامس على الشعب الجزائري من سكان الأرياف¹ في عمل مرحلي يتم على أربع مراحل هي: إعادة بعث العلاقة مع السكان؛ إعلامهم و تربيتهم؛ حمايتهم و تعبئتهم و العمل على تحقيق انخراطهم إلى جانب فرنسا؛ ليتم في الأخير تطهيرهم و تنظيمهم لقلبهم ضد الثورة. هذا العمل المرحلي يسايره و يوازيه تطبيق مخطط نفسي دقيق يعمل على إحداث انقلاب جذري في نفوس السكان، بنقلهم من حالة نفسية ابتدائية معادية لفرنسا إلى حالة نفسية نهائية موافقة لها، بالاستفادة من نتائج خطوات "الشر الضروري" (le mal nécessaire) التي يكون قد مر بها السكان، و المتمثلة في: أولا التذمر من الأوضاع الراهنة الناتجة عن "التعلق بالسراب"، و التي تسبب فيها تطلُّعهم إلى إحداث التغيير باعتماد الثورة؛ ثانيا الانخراط و الشروع في العمل المباشر و المسلح لإحداث هذا التغيير؛ ثالثا الوقوع في الشك في عدالة القضية المتبناة، و ما يتبعه من حصول الخيبة في عدم جدوى كل التضحيات المبذولة، لينتهي كل ذلك أخيرا بحصول اليقين بالفشل و وقوع الهزيمة².

الملحق رقم (7) يبين لنا المراحل الست المكونة لهذا المخطط النفسي الذي كان يطبق على الشعب الجزائري: فبعد أن يتم في المرحلة أولى زرع اليقين في نفوس السكان بأن فرنسا باقية أبدا في الجزائر و لن تغادرها، يتم في مرحلة ثانية زرع اليقين في نفوسهم بأن الثورة عمل خاطئ لا جدوى منه، و هو عمل مآله الفشل الأكيد (مرحلة الثالثة). أما في المرحلة الرابعة فيتم زرع اليقين بأن الحل الفرنسي هو الأحسن، تتلوه مرحلة خامسة يتم فيها زرع التطلع إلى "حياة عادية و متوازنة" ليتم في الأخير، و في مرحلة سادسة، زرع القناعة بأن العودة إلى حياة عادية و هادئة، هو أمر يتوقف تحقيقه و بلوغه على مشاركة الجميع في القضاء على الثورة³.

و في كل الأحوال، كان النشاط النفسي المسلط على الشعب الجزائري يعمل لتحقيق غايات ثلاث مترابطة هي:

أولها : فصل الشعب عن الثورة و قطع كل علاقة له بها، بما في ذلك القضاء على كل أشكال التعاطف بينه و بينها و التي قد تأخذ أشكال دعم معنوية أو مادية.

ثانيا : زرع القناعة العميقة لديه بأن مصلحته الحقيقية هي مع فرنسا و ليست مع الثورة، و أن الخير كله يكمن في قبوله للحل الفرنسي و في اعتماده له.

ثالثا : العمل على سد الهوة و رأب الصدع بين أوروبيي الجزائر و الشعب الجزائري لبناء ما يسمى بـ "المجموعة الفرنسية الجزائرية"، التي على أساسها سيتم بناء ما يسمى بـ "الجزائر الفرنسية الجديدة"⁴.

¹ - كنا قد أسلفنا بأن النشاط النفسي على السكان بالمدن تضطلع به الولاية العامة في حين يتولى المكتب الخامس للجيش الفرنسي بتطبيق

النشاط النفسي على سكان الأرياف و تطبيق الحرب النفسية على الثوار بالجزبال.

² - SHAT, 1H 1113/d.2, Note de service n° 625/EM.10/PSY/PR, Alger, le 22 novembre 1956, p.3

³ - أنظر الملحق رقم : 7.

⁴ - SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique n° 1209/2.PY, Guelma, le 20 octobre 1956, p.1 ; SHAT, 1H 2409/d.1, Note de service n° 2465/CAC/PY, 21 août 1957, p.1

و لكن و قبل الشروع في تطبيق هذا النشاط النفسي، جرى تصنيف الشعب الجزائري إلى فئات و تقسيمه إلى أقسام، بهدف تناول كل فئة أو قسم على حدة و تكييف النشاط النفسي المطبق عليه بما يتوافق مع خصوصيته. و في هذا الإطار جرى تقسيم الشعب الجزائري تقسيما عاما، كتقسيمه إلى سكان أصدقاء و محايدين و أعداء؛ و تقسيمه إلى "جماهير متربصة" (masse attentiste) و "جماهير مترددة" (masse flottante)¹؛ ثم تقسيمه بحسب المناطق، إلى سكان مناطق هادئة و سكان مناطق منشقة و غير مستقرة². و أخيرا، جرى تقسيم الشعب الجزائري حسب فئات مهنية: كالرعاة و المزارعين، و الحطابين و صيادي السمك، و إلى مجموعات اجتماعية: كالديوار الذي يمثل شكلا متطورا للقبيلة القديمة؛ الطرق الدينية؛ الشباب و النساء كشريحة اجتماعية؛ و أخيرا قدماء المحاربين كفئة نخوية لها ماض متميز في خدمة فرنسا. و قد اعتمد من كل هذه التصنيفات السابقة أربعة أصناف، هم: الديوار، الشباب و النساء و أخيرا فئة قدماء المحاربين³. و قبل التعرض لهذه الأصناف الأربعة، سنحاول التعرض بشيء من التوسُّع للمراحل الأساسية للنشاط النفسي الفرنسي على السكان و المتمثلة في : إعادة بعث العلاقة مع السكان؛ إعلامهم و تربيتهم؛ حمايتهم و تعبئتهم و العمل على تحقيق انخراطهم إلى جانب فرنسا؛ لئتم في الأخير تأطيرهم و تنظيمهم لقلبهم ضد الثورة⁴.

المطلب الأول : إعادة بعث الاتصال مع السكان

كانت مسألة بعث علائق جديدة مع السكان تمثل حجر الزاوية في النشاط النفسي الفرنسي على هؤلاء، خاصة و أن أغلب المحللين الفرنسيين لحرب الجزائر و منظري السلاح النفسي الفرنسي يعزون أسباب هاته الحرب أساسا إلى تراخي الروابط و انعدام العلائق بين الإدارة و السكان و الذي كان من نتائجه المباشرة عدم الوقوف و في الوقت المناسب على مؤشرات التذمر و الثورة اللتان كانتا تعتلجان في نفوسهم و أديا إلى وقوع ما لا تحمد عقباه⁵. لذلك، فإن العمل على إعادة بعث روابط جديدة مع السكان، هو أولوية حيوية و إستراتيجية، يتوقف كسب الحرب عليها⁶، حيث تتمثل الغاية من ورائها في: أولا تدارك ما يمكن تداركه لردم الهوة بين الإدارة و السكان الجزائريين و الوقوف على التغيير النوعي الحاصل في عقليتهم و رصد آمالهم و تحسس تطلعاتهم؛ ثانيا ضبط و رسم خريطة نفسية للشعب الجزائري، بهدف بلورة معالجة نفسية تكون بدورها جزءا من حل شامل لـ "المشكل الجزائري"؛ ثالثا، و في ثنايا العلائق و الروابط التي سيتم نسجها بين عناصر الإدارة المدنية و العسكرية من جهة و السكان من جهة أخرى، سيجري البحث عن عناصر

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 9.

² - SHAT, 1H 1113/d.4, Note d'orientation n° 2 pour les bureaux psychologiques, pour la période du 20 janvier au 29 février 1956, Alger le 21 janvier 1956, p. 3- 4 ; SHAT, 1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 4, Alger 13 avril 1956, p. 4- 6.

³ - SHAT, 1H 2578/d.4, Exposé du Général GAUSSAULT à SHAPE, novembre 1957, p. 5.

⁴ - الملحق رقم : 16، يبين لنا المراحل المتبعة في تطبيق النشاط النفسي على الشعب الجزائري كما حددته إحدى التعليمات الموجهة إلى ضباط الجيش.

⁵ - SHAT, 1H 2408, Note sur la "politique de contact", Alger, le 22 juillet 1955, p.3.

⁶ - SHAT, 1H 1113/d.2, Annexe 4 la recherche du contact, (s. d.), p.1.

جديدة من السكان تستجيب لشروط معيّنة، يتم اكتشافها وإخراجها من الظل، و العهد لها مستقبلا بتولي و تنفيذ مهام قيادية في وسطها؛ رابعا العمل على " تحرير السكان من أحكام البؤس المسبقة" و العمل على التقريب بينهم و بين السكان الأوروبيين لسد الهوة القائمة بينهما و تشييد ما يسمى ب: "المجموعة الفرنسية الجزائرية" و بناء "الجزائر الفرنسية الجديدة".

لتحقيق هذه الأهداف و بعث الاتصال مع السكان تم استغلال جميع القنوات و الوسائط الممكنة " فكل الوسائل مقبولة لربط علاقات وثيقة مع السكان " ¹. و قد كان من بين هذه الوسائط و القنوات ما هو قديم كمختلف المصالح الإدارية التي ليس للسكان بد من التردد عليها لقضاء مصالحهم. حيث كانت التعليمات الواردة إلى هذه المصالح تؤكد و تشدد على ضرورة لعب أعوان و عمال هذه المصالح لدورهم كوسائط اتصال فعالة بين الإدارة و السكان، بما يعنيه ذلك أيضا من قطع الصلة مع ممارسات الماضي السلبية التي كانت سببا في حدوث القطيعة مع الأهالي في الماضي و التي من شأنها، إن استمرت، أن تعيق و تحبط المساعي الحالية للتقرب منهم. كما يمكن أن نذكر أيضا من بين الوسائط و القنوات التقليدية لبعث الاتصال مع السكان : الأسواق، التي تم تزويدها بمكبرات للصوت لبعث مختلف الخطابات الدعائية خلال أيام التسوق الأسبوعية.

و إلى جانب القنوات السابقة، تم استحداث قنوات و وسائط أخرى جديدة، و التي كان من أهمها تنظيم التجمعات العامة (les réunions publiques) في الأسواق و الأماكن العامة و بالقرب من نقاط تركز الجيش. هذه التجمعات كان يتم تنظيمها مرة واحدة على الأقل في الأسبوع في كل قرية بحسب المناطق، و كان يساق الناس لشهوها قسرا. و كان يشرف على تنشيطها قادة الوحدات المتمركزة و ضباط النشاط النفسي و الضباط المتنقلون، الذين كانوا على دراية كبيرة بلغة السكان و بنفسياتهم و أحوالهم الاجتماعية.

هذه التجمعات، كان يتم التحضير لها بعناية فائقة جدا، فقد كانت مصالح الشؤون السياسية للولاية العامة، و بعدها مصالح المكتب الخامس، تتولى إعداد بطاقات محادثة (Fiches de causeries)، التي ترسم الخطوط العريضة لما يجب قوله للسكان، و التي كانت مقسمة إلى أركان : ففي البداية، كان يتم تناول مقتطفات من الأحداث و الأخبار الدولية و التعليق عليها، تتبع بتناول مُركّز للأحداث المحلية و بالأخص ما يهم السكان المعنيين و يشدُّ انتباههم، و يساعد على تمرير بعض "الأفكار" التي ينتظر أن تجد طريقها إلى العقول و النفوس شيئا فشيئا. كشد انتباههم مثلا إلى عدد من الإنجازات الاجتماعية التي تُرغبهم في حياة أكثر استقرارا و دعة، تجعل التطلع إلى انتهاء الحرب و عودة السلم هاجسا متمكنا في النفوس. كما كان يتم تناول ما يسمى بالتقدم المسجل في «حرب التهدة»، أي انتصارات الجيش الفرنسي و هزائم جيش التحرير، حيث كان يتم ذكر الأسرى و القتلى بأسمائهم و مناطق سكنهم ليكون في ذكركم عبرة لكل مُعتبر ². و بعد ذكر نبذة من إنجازات فرنسا في مساعها لتحسين الظروف الحياتية للسكان المسلمين، يتم الانتقال إلى الركن التربوي لتقديم بعض النصائح و الإرشادات في مجال الصحة العامة و الخاصة، بالإضافة إلى شرح بعض المفاهيم

¹ - SHAT, 1H 2577, Directives concernant les relations avec les populations musulmanes, n° 601/EM.10/BP, Alger, 30 mars 1956, par le Général de Corps d'Armée Loriollot, p.1.

² - SHAT, 1H 2408, Directive d'action psychologique, par le Général REDON, Commandant la 2^{ème} Division d'Infanterie Motorisée et la Z.O.E., Guelma, 20 octobre 1956, p.2

الأساسية حول الواجبات والحقوق المدنية، و التي في أثنائها كان يتم إحالة الكلمة إلى بعض الشخصيات الأهلية النافذة بين السكان مع تشجيع الآخرين على التدخل و التعبير. لينتقل الخطيب بعدها إلى الركن الترفيهي لإنهاء التجمّع في جو من البهجة و الانسباط¹.

لقد كانت الغاية الأولى من تنظيم هذه التجمعات هو خلق فرص احتكاك و اتصال بين الجيش و السكان بمختلف شرائحهم، كبارا كانوا أم صغارا، لنسج علاقات شخصية معهم، علاقات يُعَوّل عليها في إعطاء ثمار أكبر في المستقبل. ولأهمية هذا الأمر، كان على الجيش المبادرة و القيام بالخطوة الأولى في اتجاه هؤلاء السكان².

أما بالنسبة للشرائح المستهدفة بعملية بعث الاتصال فهي كل شرائح السكان، و لكن بتركيز أكبر على فئة قدماء المحاربين و عناصر المجالس التقليدية المعروفة بـ"حلقة الجماعة"، ثم الشباب فالنساء³.

هذا، و قد كانت التعليمات الواردة من أعلى هرم السلطتين المدنية و العسكرية تؤكد لتابعيهما بأن مسألة بعث العلاقة مع السكان الجزائريين و تحسينها هي مسألة لا يناط أمرها بالمختصين في النشاط النفسي وحدهم، و إنما هي مسؤولية يناط أمرها بجميع الفرنسيين، مهما كان موقعهم أو مستواهم : فالإداريون و المعلمون و الأطباء و قضاة الصلح و مسيرو "ديار العسكري" و المشرفين على جمعيات قدماء المحاربين و كل الفرنسيين من أصحاب الإيرادات الخيرة أين ما وجدوا معنيون بذلك و مطالبون باتخاذ الخطوة الأولى و البحث في شوق عن اتصال عفوي، صادق و إنساني، مع السكان المسلمين⁴. و في هذا الإطار كانت التعليمات تشدد على أهمية الاتصال الفردي و الاتصال الجماعي، أي الانطلاق من التعرف على الفرد للانتهاء بالتعرف على عائلته. و هو أمر لا يتطلب عمليا أكثر من كلمة طيبة كمبادرة أهلي الجزائري بالسلام و سؤاله عن حاله و الاهتمام لأحواله، كما يشرح ذلك "الدليل العملي لحرب التهذئة"⁵.

علما أنه و على منوال الجيش في سعيه لإرساء علاقات مع السكان، كانت هناك هيئات أخرى أنشئت خصيصا لتحقيق نفس الغرض، أي بعث الاتصال مع السكان و بسط النفوذ عليهم، خدمة لأهداف الحرب النفسية. و من بين هاته الهيئات نذكر: القسمات الإدارية المختصة (SAS)، بواسطة فرقها المسماة بـ: " فرق المساعدة الطبية المجانية " (Assistance Médicale Gratuite)، التي كان يعمل بها في سنة 1957، 493 طبيبا عسكريا، و أنجزت بحلول شهر جوان من نفس السنة ما عدده 567.000 فحص طبي⁶، و هو رقم يعكس المسعى الحثيث للاتصال بالسكان. ثم هناك أيضا الأعوان الملحقين بالشؤون الجزائرية المكلفون بالتكوين الاجتماعي و الثقافي و المدني⁷، الذين كانوا، تحت ستار الخدمة الاجتماعية، يستغلون بؤس الجزائريين و يعملون على تحويلهم عن الثورة و ضربها بهم. و هو ما سنتعرض له لاحقا بشيء من التوسّع.

¹ - Informations Défense Nationale, « Les Officiers Itinérants d'action psychologique en Algérie », n° 13 du 22 mai 1957.

² - SHAT, 1H 2577, Directives concernant les relations avec les populations musulmanes, n° 601/EM.10/BP, Alger, 30 mars 1956, par le Général de Corps d'Armée LORILLOT, p.2.

³ - SHAT, 1H 1113/D.2, Annexe 4, la recherche du contact, (s. d.), 6 p.

⁴ - SHAT, 1H 2408, Note sur la "politique de contact", Alger, le 22 juillet 1955, p. 4 - 11.

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de pacification, p. 8.

⁶ - SHAT, 1H 2409/d.1, Note sur l'Armée dans les tâches de pacification, Alger le 7/9/1957, p. 6.

⁷ - Les Attachés Féminines des Affaires Algériennes ; Les Moniteurs de Jeunesse ; Les Moniteurs d'Initiation Scolaires.

الآن، و بعد استعراض كل هذه الجهود و المساعي المبذولة من أجل بعث العلاقة مع السكان، لنا أن نتساءل عن مدى النجاح المحقق في هذا المجال ؟ للأسف فإنه لا يمكننا هنا تقديم إجابة شافية كافية و إن كان يمكننا أن نستأنس ببعض الأرقام. فبناء على دراسة أجريت في جانفي 1957، بناء على استبيان وُجه للضباط المنتقلين، فإن الاتصال قد تم بعثه على حوالي خمسي 5/2 التراب الجزائري، بنسب مختلفة بين العملات الكبرى الثلاث، و ذلك حسب النسب المئوية التالية: 39% بالنسبة للشرق الجزائري و 48% بالنسبة للجزائر الوسط و 29% بالنسبة للغرب الجزائري، أي بمعدل عام قدره 39%. و على نفس المنوال، فإن هذا الاتصال قابل للتحقيق و يجب تحقيقه بنفس المناطق و ذلك حسب النسب التالية: 43% بالشرق الجزائري و 34% بالجزائر الوسط و 43% بالغرب الوهراني، أي بمعدل عام قدره 40%. أما عن مدى استحالة تحقيق مثل هذا الاتصال، فإن النسب المئوية بين مختلف المناطق الثلاث كانت كالآتي: 18% بالشرق الجزائري، و 21% بالجزائر الوسط، و 28% بالغرب الجزائري، أي بمعدل عام قدره 21%¹.

المطلب الثاني : « إعلام السكان و تربيتهم »

في المناطق التي يحقق فيها الجيش نجاحات هامة في مجال بعث الاتصال و تجديد الروابط مع السكان، كان يجري العمل على قطع كل طريق للعودة للثورة و الثوار. فإلى جانب العمليات العسكرية التي كان يتم القيام بها لمطاردة الثوار و تفكيك خلاياهم الثورية، خلايا الدعم اللوجيستكي المتواجدة بين السكان، كان يتم تقديم "معالجة في العمق" لنفوس سكان تلك المناطق، عمادها "إعلام" السكان و "تربيتهم"، اللذين هما في حقيقتيهما موضوع الاتصال و مادته. فالتجمعات الأسبوعية الإلزامية التي كان يتم تنظيمها للسكان بالقرى و الخطابات المرسلة عبر مكبرات الصوت في الأسواق و الأماكن العامة كانت كلها تهدف إلى إعلام السكان و تربيتهم.

أولا « إعلام » السكان :

إذا كان الإعلام في مفهومه العام هو تقديم مقدمات فكرية إعلامية موضوعية للأفراد لبناء موقفهم الخاص، فإن مفهوم الإعلام هنا هو: « تعريف السكان بعدوهم المُتمثل في جبهة التحرير الوطني، بكشف أهدافها الحقيقية التي تعمل على تحقيقها و الطرق التي تتبعها في ذلك. مع الحرص في نفس الوقت على إظهار و تبيين الامتيازات و المنافع المادية التي سيحنيها هؤلاء السكان بعودة السلم الفرنسي. لئتم، انطلاقا من هذه الامتيازات المادية، التي من السهل التذليل عليها، الارتقاء بهم إلى قيم روحية و معنوية يتم تشخيصها لهم »². أما الهدف من هذا "الإعلام" الموجه للسكان فهو: « إكسابهم منعكسا شرطيا آليا يجعلهم يرفضون، و من تلقاء أنفسهم، الثوار كجسم غريب و مضر. و يجعلهم يأخذون شيئا فشيئا كامل نصيبهم في تسيير الحياة الإدارية و السياسية للبلاد »³. و هذا الإعلام هو، بالنسبة للفرنسيين، ضرورة ملحة تفرض نفسها للتصدي

¹ - SHAT, 1H 2533/d.1, Etude : problèmes et méthodes de pacification en Algérie, Janvier 1957.

² - SHAT, 1H 2578/d.4, Exposé du Général GOUSSAULT à SHAPE, novembre 1957, p. 7.

³ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Plan d'information et d'éducation des populations, Constantine, 19 décembre 1959, p. 1.

لدعاية جبهة التحرير، لأنه في الوقت الراهن : « لا تتوفر غالبية السكان المسلمين، و بالأخص الفئة القاطنة بالريف، من الأخبار إلا على ما تتلقاه سماعا و مشافهة من "الإشاعات" التي يُسرف المتمردون في استعمالها بشكل كبير، و يغذونها بمعلومات منحازة، مشوهة و مُختلقة »¹.

و بالرغم من هذا الخيط الدقيق الذي يفصل هذا الإعلام عن الدعاية، و هو ما يطرح مسألة الموضوعية في هذا الإعلام، فإن التعليمات الصادرة عن القيادة ما فتئت تؤكد على ضرورة : « أن يتحلى هذا الإعلام بالموضوعية والاستمرارية و التكامل. و أن يكون هجوميا، أي أنه يحقق سبق في تناول الأحداث قبل أن تتناولها دعاية الخصم وتشوهها لصالحه. و أن يكون تربويا، أي أنه يُمكن السكان من توسيع أفقهم لوجهات نظر أخرى، أخلاقية و اجتماعية، اقتصادية و سياسية، وفق المعنى الذي يُحمّله إياها المثل الأعلى الديمقراطي الذي ندافع عنه »².

كما يجب على هذا الإعلام، الأخذ بعين الاعتبار بأنه يستهدف شريحة من السكان " لا زالت تعيش قرونها الوسطى لأن تطورها كُبح لعدم كفاية مواردها". و بالرغم من ذلك، فإن هذه الشريحة من السكان، و بالأخص فئة الشباب، تبقى مشدودة نحو التقدم المادي المحقق بالرغم من أنها " لا تزال أسيرة لبنيات تقليدية لنظام أبوي الطابع " ³. و هو ما يستلزم تكييف هذا الإعلام في قلبه و مضمونه مع الأوضاع العقلية و الاجتماعية لهؤلاء السكان و بالأخص عدم السعي إلى تحقيق ثورة أو انقلابا جذريا في أوضاعهم الخاصة، بحرق المراحل و إهمال عامل الزمن و دوره في إحداث هذا التغيير، و هو ما قد يجعل هذا الإعلام - و معه التربية - يصطدمان بالبنيات التقليدية المناوئة لكل "إصلاح" بهذا المجتمع⁴.

تتمثل وسائل هذا الإعلام في مختلف الوسائل المقروءة و المسموعة و المرئية، التي تعرضنا لها في الفصل الأول: كالصحافة، المنشور و الملصق، المطويات و الكتيّبات، التجمعات العامة، مكبرات الصوت بالأسواق و الأماكن العامة، الراديو، الإشاعة، الألواح الإعلامية، السينما و غيرها. و قد كان يراعى في هذا الإعلام عند بلورة خطابه الدرجة التي عليها السكان المستهدفون من "التطور"، فالخطاب الموجه للوسط الغارق في الأمية هو غير الخطاب الموجه للوسط الذي تتواجد به نسبة أكبر من المتعلمين. كما كان يراعى في بلورة الخطاب درجة التقدم المحققة في «حرب التهذئة» بين سكان هذه المنطقة أو تلك. فالمواضيع التي يتم تناولها بالنسبة لسكان منطقة "هادئة"، قطعت شوطا في «حرب التهذئة» هي غير المواضيع التي سيتم تناولها بالنسبة لسكان منطقة ريفية "منشقة و غير مستقرة" لا تزال فالتة من قبضة الجيش الفرنسي و تخضع لنفوذ الثوار⁵.

¹ - SHAT, 1H 1113/1, (document sans titre) n° 2196/CAC/PY du 2 aout 1957, p. 3

² - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Plan d'information et d'éducation des populations, Constantine, 19 décembre 1959, p. 2.

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

⁵ - SHAT, 1H 2410/d.1, Note n° 356/EMI.B5., Alger, le 26 février 1959, par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE, p. 3 et 4 ; SHAT, 1H 1113/d.1, Note d'orientation n° 2, p. 3 et 4, et Note d'orientation n° 3, p.3.

على أنه تجب الإشارة هنا إلى أنه في نهاية سنة 1961، و بهدف معرفة درجة انتشار الأخبار الإعلامية في الوسط الرجالي المسلم و معرفة مدى الرواج الذي تتمتع مختلف وسائل الإعلام بهذا الوسط، قام مخبر العلوم الإنسانية التطبيقية - و هو مخبر وُضع تحت تصرف القائد الأعلى للقوات المسلحة بالجزائر للقيام بدراسة مختلف المسائل المتعلقة بالعلوم الإنسانية بالجزائر- بانجاز دراسة في هذا الموضوع، للاستفادة منها في تحسين الأداء الإعلامي لمختلف الوسائل الإعلامية. و قد مست هذه الدراسة شريحة الذكور من الذين يتراوح سنهم ما بين 16 إلى 85 سنة و قام بتنفيذها خمسون ضابطا من رؤساء القسامات الإدارية المختصة (SAS) ¹.

فبالنسبة لدراجة انتشار الأخبار في الوسط المسلم، فإن نتائج الدراسة قد خلصت إلى الآتي : أولا أن الأخبار الأكثر شيوعا لا تمس إلا 50% من العينة المدروسة. ثانيا أن ما نسبته 25 إلى 30% من هذه العينة تعي الأخبار الدقيقة و المؤرخة. ثالثا أن انتشار الأخبار و شيوعها لدى هذه الشريحة لا يتوقف على طبيعة المسكن و موقع السكن بقدر ما يتوقف على درجة التعليم: فأصحاب الشهادات التعليمية هم الأكثر اطلاعا على الأحداث، يليهم المتمدرسون ثم الأميون. رابعا أن الجزائريين من منطقة القبائل هم الأكثر اطلاعا على الأحداث مقارنة بباقي الجزائريين ².

أما بالنسبة للرواج الذي تتمتع به مختلف الوسائل الإعلامية، فقد خلصت نتائج الدراسة إلى الآتي : أولا أن الراديو هو وسيلة الإعلام الأكثر شعبية، فهو يمس ثلثي 3/2 العينة موضوع الدراسة. ثانيا أن ثلث هذه العينة يقرأ جريدة واحدة مرة في الأسبوع. ثالثا أن نصف هذه العينة تتابع حكايات القصصين. رابعا هناك شخصين من عشرة يترددون على قاعات السينما المتواجدة بالمدينة. خامسا و أخيرا أن ربع 1/4 العينة موضوع الدراسة تعتمد المحادثة بالمقاهي و دكاكين الحلاقين و غيرها كمصدر للاستعلام ³.

ثانيا « تربية » السكان :

و يقصد بالتربية هنا: « منح السكان العناصر اللازمة لتحقيق الاختيار الذي يفرضه عليهم الصراع الحالي ثم، بواسطة الإعلام و التنظيم، نشر المبادئ التي، اعتمادا عليها، يجب عليهم تنظيم مستقبلهم » ⁴. كما يقصد بها أيضا: « منح السكان معرفة واسعة ما أمكن حول الخطر الذي يمثله الخصم. و توعيتهم بالقيم الكبرى للغرب و المزايا التي تمثلها هذه القيم للأفراد و الجماعات » ⁵، حيث تهدف هذه التربية أولا إلى: « إحداث تحوّل عميق لدى السكان، بإشراكهم و بدون تردد في عملية وضع مختلف الأجهزة الإدارية و الاقتصادية، لأن هذا المشروع العظيم - [أي بناء الجزائر الجديدة]- يجب إنجازه من أجل الجزائريين، بهم و معهم. و مثل هذه المشاركة من الجماهير لا يمكن تحصيلها بدون تربية أولية تساعد على بروز عناصر جزائرية لها من الاستعدادات

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note d'information, (s. d.), 3p ; SHAT, 1H 2463/d.1, Fiche de lecture, Etude du Laboratoire des Sciences Humaines Appliquées sur la pénétration de l'Information en milieu musulman, RM/MB/5.9.61, 2p.

² - المصدر السابق.

³ - المصدر السابق.

⁴ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 18.

⁵ - SHAT, 1H 2578/d.4, Exposé du Général Goussault à SHAP, novembre 1957, p.3

ما يؤهلها لتشكيل نخبة المستقبل»¹. ثانيا توسيع مفهوم الحياة عند الأفراد من خلال ما تناوله هذه التربية من مواضيع جديدة، ترفع الحجاب عن مشاكل سياسية و اقتصادية عالمية، من شأنها أن تساهم في النضج السريع للنفوس². ثالثا : « تحضير الأفراد لمرحلة تقرير المصير وذلك بتسهيل خلق تنظيم مُحصن إيديولوجيا داخل الجماهير، قادر على العمل ضد التنظيم السري للخصم»³.

و من هنا، فإن هذه التربية هي مسألة حيوية، لأن : « الجزائر تفتضي من الآن فصاعدا تحولا سريعا سيتم لا محالة، في إطار من النظام أو في إطار من الفوضى إذا ترك السكان فريسة للفوضى الثورية التي تتحكم فيها غرائز بدائية منحطة»⁴. و هو سبب كاف بالنسبة للفرنسيين لتحقيق المبادرة و السبق في هذا الميدان. أما بالنسبة لمضمون هذه التربية، فيتمثل في تكوين مدني يتم تكييفه مع خصوصية كل وسط سكاني، حيث يؤخذ فيه بعين الاعتبار درجة الأمية في هذا الوسط و درجة التقدم التي حققتها «حرب التهذئة» فيه. و إلى جانب مفاهيم أولية في النظافة و الصحة العامة و الخاصة، كان يتم التركيز في هذه التربية على محورين أساسيين هما : أولا تعريف السكان بالخصم، الذي هو هنا جبهة التحرير الوطني، ثم تعريفهم بفرنسا؛ ثانيا تعريفهم بالجزائر المستقلة عندما تؤول إلى جبهة التحرير و بالمقابل تعريفهم بالجزائر الجديدة، عندما ستختار البقاء فرنسية. أما بالنسبة لمسؤولي السكان و العناصر الذين يُعول عليهم في تشكيل نخبة مستقبلية، فقد كان البرنامج التربوي يخصهم بتكوين خاص يقدم لهم في مراكز محلية و جهوية خاصة. حيث يتمثل هذا التكوين في تدريبهم على استعمال بعض الفنيات القتالية الخاصة المضادة للحرب الثورية، كالاتصالات و الدفاع الذاتي و كل ما يتعلق بتنظيم السكان و إنشاء التنظيمات المناوئة للثورة⁵.

دعائم و قنوات النشاط النفسي لـ «إعلام و تربية» السكان

أما بالنسبة للدعائم و القنوات المستعملة في تقديم هذه التربية، فهي نفسها الدعائم و القنوات المستعملة في بعث العلاقة مع السكان و إعلامهم. و هو ما يعكس الترابط الموجود بين هذه المحاور الثلاث، فإعلام السكان و تربيتهم هو مادة النشاط النفسي لبعث العلاقة معهم. و في هذا المقام، يميّز المختصون في النشاط النفسي على السكان بين مصدرين لتقديم هذه التربية : بين مصدر خارجي تمثله التجمعات التي يتم تنظيمها للسكان مرة في الأسبوع على الأقل، و معها الراديو و الجرائد، مكبرات الصوت بالأسواق و الأماكن العامة، الألواح الإعلامية و السينما المتنقلة و غيرها..؛ و مصدر داخلي مكمل له و تمثله كل العناصر الجزائرية التي تم تجنيدها داخل السكان للقيام بنشاط معين يكون بدوره وسيلة لتمير هذه التربية⁶. و في هذا المضمار تجدر الإشارة إلى الدور الريادي الخطير الذي كانت تقوم به عددا من الهيئات، التي كان إعلام و تربية و تنظيم

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Plan d'information et d'éducation des populations, n° 4.303/CAC/5/ETU, Constantine, 19 décembre 1959, p.5.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 76.

⁴ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Plan d'information et d'éducation des populations, n° 4.303/CAC/5/ETU, Constantine, 19 décembre 1959, p.5.

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 75.

⁶ - SHAT, 1H 2578/d.1, Exposé du Général GOUSSAULT à SHAPE, novembre 1957, p. 9.

السكان من صميم مهامها، و على رأسها القسمات الإدارية المختصة (SAS)، التي أخذت على عاتقها الأخذ بيد السكان و تعليمهم كيفية إدارة أنفسهم بأنفسهم و تسيير شؤونهم الخاصة من خلال بعث الحياة في الجماعات المحلية بالريف، بإنشاء البلديات و وضع الأساس لإدارتها و تقديم النصح و الاستشارة لمسيّريها، إلى حين تعيين المندوبيات الخاصة، و ذلك إنجاحا للإصلاح الإداري الذي قررت الحكومة الفرنسية تنفيذه في الجزائر. و هنا تتمثل مهمة القسمات الإدارية المختصة في : « توعية هاته الجماهير بأهمية العمل الذي يجب عليها أدائه بنفسها في مختلف الميادين الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية، حتى تكون ترقيتها في المجال السياسي يوازنها ارتفاع في مستواها الحياتي. لأنه سيكون من العبث إنفاق عشرات الملايير من الاستثمارات من كل نوع إذا لم يعي السكان بأن هذه الاعتمادات لا تمثل مصالح خاصة لـ "بيلك" (beylik) مجهول و إنما هي وسيلة تساعدهم على مضاعفة ثمار جهودهم الخاصة »¹. علما أن هذه المهمة الموكلة للقسمات الإدارية المختصة هي نفسها المهمة الموكلة للمراكز الاجتماعية (Les Centres Sociaux) التي كان يجري إنشاؤها بالأحياء الفقيرة بضواحي المدن، و التي كانت تهدف إلى : « منح السكان، بمختلف أعمارهم، ذكورا و إناثا، و الذين لم يستفيدوا من تعليم مدرسي عادي، تربية قاعدية؛ مع وضع تحت تصرف هؤلاء إطارات مختصة في مختلف التقنيات التربوية و منحهم مصلحة للمساعدة الطبية والاجتماعية؛ و بالجملة، إحداث و تنسيق و دعم كل مبادرة تساهم في الرقي الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي لهؤلاء السكان »².

لتحقيق المهمة الموكلة للقسمات الإدارية المختصة تم تعزيزها بثلاثة أسلاك من الملحقين بالشؤون الجزائرية المكلفون بالتكوين الاجتماعي و الثقافي و المدني. و هم إما شباب يزاول الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي، أو نساء تم انتقاؤهم من بين بنات المنطقة و تم توظيفهن بعين المكان، حيث لا يشترط في هؤلاء تكويننا عال أو متخصص لندرة هذه العينة و صعوبة تكوينها بسبب ضيق الوقت و ضرورة الشروع السريع في العمل. حيث كان يكفي في هؤلاء بما عندهم من معارف أولية، مكتسبة بالتعلم أو الخبرة، لذلك فهم غالبا شباب متحصل على شهادة نهاية الدراسة، أو قابلة تلقت بعض المفاهيم الأولية في النظافة الصحية، أو مزارع برع في مهنته أو شاب سُرح من الجنديّة... و في كل هؤلاء كان يشترط تمتعهم بشيء من النباهة و الذكاء و قدرا من الإشعاع يُمكنهم به ممارسة شيئا من النفوذ داخل وسطهم³. و قد بلغ عدد هؤلاء في بداية أوت 1960 ستمائة و ألف ملحق ، موزعين بين الأسلاك الثلاثة التالية :

1- الملحقون بالشؤون الجزائرية المكلفون بتنشيط الشباب من خريجي مركز إسوار بفرنسا. و سنتعرض

بتفصيل لهذا النوع من الملحقين عند تناولنا للنشاط النفس على الشباب

2- الملحقون باشؤون الجزائرية المكلفون بالتنشيط التعليمي (Moniteurs d'Initiation Scolaire). و هو

سلك على غرار سلك منشطى الشباب من خريجي مركز إسوار، يخضع منشطوه لنفس شروط

الاختيار و التوظيف التي يخضع لها المنشطون السابقون، حيث يتم انتقاؤهم و توظيفهم بعين المكان

¹ - SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S. : Recrutement d'Attachés des Affaires Algériennes chargés de la formation sociale, culturelle et civique, p. 7.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، ص. 7-10.

و ذلك بهدف تدارك العجز المسجل في قطاع التربية. و في دور تكاملي مع دور منشطي الشباب، تتحدد مهمة هؤلاء في تقديم تعليم أولي للأطفال الذين لم يحالفهم الحظ في التمدرس، حيث يتمثل الهدف هنا في: « تعليم الأطفال، ذكورا و إناثا، اللغة الفرنسية قراءة و كتابة و محادثة، و تعليمهم أيضا التفكير على الطريقة الفرنسية »¹.

3- النساء الملحققات بالشؤون الجزائرية : فعلى غرار السلكين السابقين المكلفين بالشباب، تم انشاء سلك النساء الملحققات بالشؤون الجزائرية (Attachés Féminines des Affaires Algériennes) اللاتي كن يخضعن لنفس شروط الاختيار و التوظيف و كان يتم توظيفهن بعين المكان دفعا لكل الظنون أو التقولات في شخصهن أو حول مهمتهن، التي تتمثل في تأطير و تربية المرأة الجزائرية: « فمن خلال إعطائهن المرأة الجزائرية علاجا أوليا و نصائح في مجال النظافة و الصحة و تربية الأطفال و التدبير المنزلي و مساعدتها على حل بعض المشاكل الاجتماعية، فإن هؤلاء الملحققات يمارسن مهمتهن أساسا بالوسط العائلي بهدف إحداث رغبة لدى المرأة الجزائرية للتطور و تغيير عاداتها الحياتية »².

إلى جانب الأسلاك الثلاثة أعلاه، كانت للجيش الفرنسي فرق أخرى تجوب الريف الجزائري و تمارس نشاطا نفسيا خطيرا على المرأة الجزائرية، تحت راية "المساعدة الطبية المجانية" (A.M.G.) و نقصد بذلك الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة (Equipes médico-sociales itinérantes) التي كانت تنشط في القرى و المداشر و كانت تخلط المساعدة الطبية و الاجتماعية بعمل دعائي نفسي و استعلامي كبير ضد الثورة، و هو ما سنتعرض له في حينه عند تناول النشاط النفسي على المرأة الجزائرية.

كما يمكننا أن نذكر من بين الوسائل و الدعائم المستعملة في إعلام و تربية السكان ما يسمى بـ " ديار العسكري" التي كان يراد لها أن تكون نقاط استقطاب لقدماء المحاربين و المجندين من الجزائريين. فهذه الفئة بما لها من ماض طويل في "خدمة العلم الفرنسي" يمكن أن تكون أداة فعالة لتمير الكثير من المشاريع و الخطابات السياسية و الاجتماعية في وسطها، خاصة إذا ما أحسن استغلال الإشعاع الذي تتمتع به في وسطها و أحسن إيقاظ و فاءها القديم و ماضيها العسكري بتربية مدنية، سياسية و اجتماعية تجعل منها نخبة طلائعية في خدمة الجزائر الفرنسية الجديدة التي يجري التحضير لها. و هو ما سنتعرض له أيضا عند تناولنا للنشاط النفسي على قدماء المحاربين.

على أنه يلاحظ في القنوات و الدعائم أعلاه الحرص الشديد على توظيف و استعمال العنصر السكاني المحلي لتمير مضامين هذا الإعلام و هذه التربية و توفير القدر الأكبر من النجاح لهما. لا شك أن أسباب

¹ - SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S. : Recrutement d'Attachés des Affaires Algériennes chargés de la formation sociale, culturelle et civique, p. 19.

² - المصدر السابق، ص. 21.

ذلك كثيرة، و من أهمها العائق اللغوي بسبب أمية السكان، و لكن هناك أيضا أسباب أخرى منها أن تحقيق أفضل تأثير في السكان سيكون و لا شك باستعمال واحد منهم : فكما لا يفيل الحديد إلا الحديد فإنه " لا يؤثر في الجزائري إلا الجزائري" ¹. و لذلك كان من حسن التأثير أن يكون هذا الجزائري، شخصا فوق المعتاد، شخصا تتوفر فيه صفات القائد و مواصفات الزعامة، التي يمكنه بها إحداث " الصدمة العاطفية" المطلوبة بينه و بين الجماهير. لأن " الجزائري عموما إنسان يتعلق بالشخص أكثر مما يتعلق بالفكرة" ². و منه كانت الحاجة إلى البحث عن رجال من هذا الطراز.

و لأن الجزائري ذو عاطفة و مشاعر حادة، و جب معرفة الاتصال به، بإجادة استعمال ما يسمى ب : " النشاط النفسي على القلوب " (La psychologie du cœur) : « فبالنسبة لسكان لا يزالون حبيسي عقلية بدائية نوعا ما، فإن النشاط النفسي القائم على البناء العقلي المنطقي وحده هو نشاط غير مُجدٍ. فالجماهير الجزائرية لن تستوعب خطابنا إلا متى وُفقنا إلى لمس قلبها قبل عقلها » ³.

و إلى جانب استعمال أسلوب "النشاط النفسي للتأثير في القلوب"، جرى توظيف و استعمال الإرث الثقافي القديم للسكان بكل ما ينطوي عليه من رموز و أشكال و قوالب تراثية و ما تحيل إليه هذه الأخيرة من دين أو عُرف أو فلكلور. فمثلا عند توقُّع حلول كارثة ما، من وباء أو جَدب و قحط و مجاعة نتيجة لسنة رديئة، و بالأخص بمنطقة تشهد نشاطا مكثفا للشوار، كانت المصالح النفسية للجيش الفرنسي تحضر نفسها لاستغلال تلك الكارثة أحسن استغلال. من خلال التحضير لها مدة طويلة قبل وقوعها بنشر المناشير و ترويج الإشاعات التي تفيد بأن " لعنة من السماء توشك أن تحل قريبا بأهل المنطقة". حتى إذا حلت الكارثة و ابتلي السكان في أنفسهم و أموالهم، مُنعوا عندئذ كل مساعدة و عون "ليروا يد الله فيما حل بهم " ويُفسروه بأنه " نعمة منه و غضب على كفرهم و جحودهم للنعم". ثم يجرى إرجاع أسباب ذلك إلى الشوار " لتمردهم و سعيهم في الأرض فسادا " فيغدوا هؤلاء فآل سوء على المناطق التي يمرون بها. حتى إذا تمكنت الكارثة في السكان و زلزلوا زلزالا شديدا و تضرعوا إلى الله، تدخلت فرق المساعدة الطبية و الاجتماعية التابعة للجيش الفرنسي بقوة لتقديم المساعدات و المعونات و إنقاذ من تبقى منهم. فيرى السكان في ذلك سخاء و كرما من فرنسا، التي بها كُشفت الغمة و انقشعت الظلمة ⁴.

المطلب الثالث : تنظيم السكان : نسج التنظيم الهرمي الموازي (les hiérarchies parallèles)

يُمثل الشروع في عملية تنظيم السكان و تطيرهم تدشين لمرحلة جديدة من مراحل الحرب النفسية الفرنسية ضد السكان و الثورة. إنه الشروع في تنفيذ " المرحلة التدعيمية"، (la phase de consolidation) التي تعني في قاموس منظري الحرب النفسية الفرنسيين : « توطيد و تعزيز نتائج عمليات الحرب النفسية المنفذة سابقا على إقليم أو وسط سكاني قبل تحريره من قبضة العدو، بهدف تسهيل انقياد نفوس سكانه لتعليمات

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Fiche à l'attention de Monsieur le Général Commandant la Division de Constantine et les troupes de l'Est Algérien, sur la mise sur pied du système de propagande et d'action psychologique dans l'Est Algérien, n° 2.068/PY, 2 juillet 1956, p.2

² - SHAT, 1H 1113/1, (document sans titre), n° 2196/CAC/PY du 2 août 1957, p.4.

³ - SHAT, 1H 1113/1, Memento de l'officier d'action psychologique en Algérie, annexe V.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc.

القيادة العسكرية أو الإدارة المدنية»¹. و هو ما يعني بالضرورة بأن هذا الإقليم أو هذا الوسط السكاني قد قطع شوطا معتبرا في «حرب التهديئة»، فاسترد عافيته و تم بعث الاتصال معه و تخليصه من سيطرة التنظيمات الثورية الناشطة بداخله. حيث تغدو عملية تأطير و تنظيم هذا الوسط عملية حيوية تستجيب لضرورتين اثنتين : أولاها محاربة الثورة بنفس سلاحها و ذلك بملاء الفراغ الحاصل من عملية تفكيك التنظيم السياسي و العسكري التابع لها و الذي كان ييسر قبضته على السكان، بتنظيم مماثل له، موالي لفرنسا، يملأ الفراغ المتروك و يوطد نتائج «حرب التهديئة» و يقطع كل طريق للعودة على الثورة كما يعمل على تفكيك خلاياها الناشطة و النائمة و يحول دون تشكُّل أخرى جديدة؛ ثانيا اتخاذ التنظيم الجديد واسطة بين القيادة و السكان، مهمته إحكام القبضة على الشعب و نقل الأوامر له و متابعة تنفيذها، كما تسند إليه مهمة تنظيم السكان في إطار الدفاع الذاتي للمساهمة في محاربة الثورة بما يحقق في النهاية هدفين مزدوجين هما رمي السكان في حضيض فرنسا و تخفيف الأعباء عن الجيش الفرنسي، الذي يمكنه عندئذ نقل قواته للعمل بمناطق أخرى. هذا التنظيم الجديد سيكون بدوره الدعامة الهيكلية التي يُعَوَّل عليها في بناء "الجزائر الفرنسية الجديدة".

تنفيذ هذه المرحلة التدميرية، يستلزم مبدئيا تحقيق عدد من الشروط الأساسية: أولاها تأمين «حماية» حقيقية للسكان، «تحرّهم من الخوف الذي يشلهم و تحُدُّ من تأثيرات الثورة عليهم» و تُفَعِّل انخراطهم و تُترجمه إلى تجاوب فاعل مع مختلف المبادرات السياسية و الإدارية و الاجتماعية التي تتخذها فرنسا. لأن توفير الأمن للسكان هو شرط وجوب لتحقيق انخراطهم في السياسة الفرنسية². لذلك و لتحقيق هذه الغاية، اتخذ الجيش الفرنسي مجموعة من الإجراءات بهدف توفير مثل هذه «الحماية» و عزل الثورة عن الشعب. حيث يمكننا أن نعدد من بين هذه الإجراءات: البحث عن الخلايا الثورية وتفكيكها، تطويق السكان (Le quadrillage) و إقامة المحتشدات (Le regroupement)، و هو ما سنتناوله في الفصل القادم في معرض تناولنا للحرب النفسية ضد الثورة. ثانيا خلق مناخ نفسي موافق لعودة السكان إلى صف فرنسا. ثالثا نسج تنظيم فعال و موالي لها بين السكان³.

تنظيم السكان : المفهوم

« لا حرب نفسية بدون تنظيم السكان »⁴. بمثل هذا المبدأ ينطلق ضباط المكتب الخامس في تنفيذ نشاطهم النفسي على السكان الجزائريين. ذلك أن الرهان الذي تفرضه الحرب النفسية يجعل المنتصر الحقيقي « هو ذلك الطرف الذي عرف كيف ينتزع انخراط السكان إلى جانبه و عرف كيف يُفَعِّل هذا الانخراط و يحافظ عليه »⁵. و ما ذلك إلا بالتنظيم، الذي هو في ذاته مؤشرا كافيا على حسم الحرب لهذا الطرف أو ذاك،

¹ - SHAT, 1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique..., p.11.

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 13.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive générale n° 6, signé SALAN, Alger, 5 Mars 1957, p.1

⁴ - SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, p.1.

⁵ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction sur le contrôle des populations musulmanes d'Algérie, (s. d.), signé par le Général R. SALAN, p.1

فيمقدر اتساع قاعدة التنظيم و استيعابها لكل شرائح السكان و تضييقها المجال على تنظيم الخصم يكون النجاح و يتحقق النصر¹.

يُعرّف منظرو الحرب النفسية الفرنسية التنظيم بأنه : « مساعدة الأشخاص و المجموعات المكونة لوسط سكاني معين على التوفّر على بنيات و هياكل تنظيمية أو تعزيز و تقوية أخرى موجودة يمكنها التكيف مع متطلبات مستقبل فرنسي، عصري و إنساني »². كما يعرفونه أيضا بأنه: « منح السكان زعامات و إطارات محلية يتم انتقاؤها من بينهم ويكون لها القدرة على إشعاع مثل أعلى يقتفيه السكان و يُرشدهم إلى حيث تكمن مصالحهم و مستقبلهم »³.

يستمد التنظيم، كسلاح من أسلحة الحرب النفسية، مبررات وجوده في كون الجهود التي يبذلها الجيش الفرنسي للقضاء على الوحدات المسلحة للثورة و تفكيك خلايا الدعم التابعة لها، لن تُحقّق النتائج و الفعالية المطلوبة و الدائمة إلا إذا تم استنابة التنظيم السياسي و الإداري الداعم للثورة بتنظيم مضاد لا يقل عنه جدوى و فعالية⁴. من جهة أخرى، أبانت التجربة بأنه ليس من الضروري الحصول على تعاطف كل السكان حتى تتسنى قيادتهم و توجيههم، بل يكفي في ذلك غرس تنظيم مناسب في وسطهم يكون في مقدوره تأمين هذا التعاطف و المحافظة عليه⁵. حيث تتمثل الأهداف المرجوة من هذا التنظيم في:

- تسهيل الخراط السكان إلى جانب فرنسا و مراقبتهم.
- نشر و تكييف و مراقبة عمليتي إعلام السكان و تربيتهم.
- خلق تضامن فاعل بين أفراد السكان ينفي معه كل شرخ قد يسمح للثورة بالتسلل و العودة منه.
- الحصول على مساهمة السكان في محاربة الثورة من خلال الدفاع الذاتي المسلح و تقديم المعلومات.

- كشف العناصر « المشوشة » التي تعمل لصالح الثورة.
- و أخيرا تسهيل عملية استخلاف الجيش في تسيير الإدارة الفرنسية و ذلك بتشجيع ظهور إطارات صغيرة محلية يُعهد لها بالمسؤولية⁶.

و في كل، تبقى الغاية الأولى و الأخيرة لكل تنظيم هي تطويع الأفراد و جعلهم منقادين (commandable) لأوامر القيادة، يتبنون أفكارها و يسرون خلفها وفق الوجهة التي تريد⁷.

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Note sur l'Armée dans les tâches de pacification, 7 septembre 1957, 7p., p. 2.

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 77.

³ - المصدر السابق، ص. 11.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, L'infrastructure administrative, Alger, 19 août 1957, p. 1.

⁵ - SHAT, 1H 2577/d.1, Directives pour la 5° section de l'Etat- Major Alger Sahel, Alger 17 Septembre 1957, signé Colonel GODARD, p. 1.

⁶ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 77.

⁷ - SHAT, 1H 2577/d.1, Note sur l'organisation des populations non européennes d'Algérie, 20 /12/ 1957, p.1 ; SHAT, 1H 2577/d.1, Directives pour la 5° section de l'Etat- Major Alger Sahel, Alger 17 Septembre 1957, signé Colonel GODARD, p. 1.

في مساعدهم لتنظيم السكان، اعتمد ضباط المكتب الخامس نوعين من التنظيم في تنظيم الشعب الجزائري : الأول وهو تنظيم هرمي عمودي ذو طابع سياسي وإداري بالأساس، أرادوا باعتماده محاكاة تنظيم الثورة للسكان، ليردوا عليها بنفس أسلوبها. وقد كان من حرص هؤلاء الضباط في محاكاةهم لأسلوب الثورة في نسج هذا التنظيم هو ذهابهم إلى حد الاستعانة بعناصر سبق لها العمل في الثورة، ثم تم قلبها عليها بعد الأسر والتعذيب وغسل الدماغ. أما النوع الثاني من التنظيم فهو تنظيم أفقي يهدف إلى استيعاب أكبر عدد ممكن من الأفراد من مختلف الفئات الاجتماعية، تم في نسجه التركيز على فئات ثلاث هي فئة الشباب و النساء و فئة قدماء المحاربين. و قد كان الهاجس المسيطر في اعتماد هذا النوع الثاني من التنظيم هو عدم ترك أي " فراغ تنظيمي " لدى الأفراد، فلا بد أن يجد كل فرد من أفراد الشعب موقعا له ضمن تنظيم معين:سياسي أو اجتماعي، مهني أو حرفي، رياضي أو ثقافي، أو أي تنظيم آخر يكون إطارا يستوعب الفرد، يحدد موقعه ويؤثر فيه.

المبحث الثاني : التنظيم العمودي للسكان

و هي عملية تهدف إلى نسج تنظيم سري موالي لفرنسا على شاكلة التنظيم السري للثورة. الشروع في هذه العملية يفترض توفر عدد من الشروط الأساسية، أهمها تحقيق تقدم هام في عملية تفكيك الخلايا السرية للثورة و محي كل حضور مادي أو إيديولوجي لها بين السكان. و هو أمر من المفروض أن تنعكس آثاره في انتشار مناخ نفسي موافق لفرنسا بين السكان يشجعهم على العودة إليها و الاحتكاك بإدارتها و جيشها¹. ففي البداية، كان يُعمد إلى اختيار قرية تتوسط غيرها من القرى، تكون سهلة المنفذ و سهلة الدفاع عنها و لا تبعد كثيرا عن الحقول، التي هي مصدر الرزق لسكانها. في وسط هذه القرية، و على مقربة من معسكر الوحدة العسكرية، كان يتم إنشاء نقطة عسكرية، اصطلح على تسميته بـ " مركز الإشعاع " (centre de rayonnement) أو "الدار المحصنة" (maison forte)، يتواجد به حوالي عشرون عسكري، يكوّنون "فرقة الاتصال" (équipe de contact)، التي تتمثل مهمتها الأساسية في القيام بالاستعلامات و النشاط النفسي و نسج التنظيم السري داخل السكان.

يحتوي مركز الإشعاع، مقر فرقة الاتصال، على قاعة عمل تتوفر على مخطط سكني بمقاسات كبيرة للأحياء السكنية المحيطة به، مع رصيد جذاذات (fichier) متكامل خاص بالمنازل و السكان، بالإضافة إلى هاتف يربط مركز الإشعاع بالوحدة العسكرية التي ينتمي إليها. و على مقربة من كل ذلك، كان يتم افتتاح عدد من المرافق الاجتماعية، مثل قاعة للعلاج يديرها ممرض تابع للفرق الطبية المجانية لاستقطاب المرضى من السكان؛ مدرسة للأطفال يشرف عليها الجيش؛ نادي رياضي لاستقطاب الشباب و أخيرا مقر لاستقطاب قدماء المحاربين، يدعى بـ " دار العسكري". بعدها، تبدأ عملية حشد سكان القرى المجاورة و أمرهم بالالتحاق بالقرية مقر المركز لتشكيل أحياء محيطة به، يستعان في بنائها بأنقاض بيوتهم الأصلية التي تم هدمها،

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive Générale n° 6 au sujet de l'activité des Forces du Maintien de l'Ordre en Algérie, signé SALAN, Alger le 5 mars 1957, p. 1.

لتسفر العملية عند انتهائها عن محتشد إنساني كبير، محاط بالأسلاك الشائكة و يسيطر الجيش على منافذه الرئيسية¹.

تتمثل أولى خطوات العسكريين العاملين بمركز الإشعاع في القيام بعملية لإحصاء السكان، حيث تكون الغاية من وراء ذلك هي التعرف و الدخول في اتصال مع الوسط السكاني الذي يوجدون به من خلال حصره عدديا و تقدير احتياجاته و تطلعاته و رصد اتجاهات الرأي السائدة فيه و تحسس المناخ النفسي العام، مسترشدين في ذلك بتوجيهات ضباط النشاط النفسي و الضباط المتقنين.

عملية الإحصاء هذه هي عملية تقنية دقيقة، ففي المدن و المراكز السكنية الكبيرة، كان يعتمد إلى تقسيم المنطقة السكنية تقسيما هرميا إلى قطاعات و أحياء ثم إلى مجموعات من المنازل فبنيات... ثم يعطى لكل منها رقما مرجعيا يستدل به عليها و يُسهّل تحديدها موقعا على المخطط السكاني، الذي يستعان في رسمه بصور تلتقط جوا. و هي نفس العملية التي كان يجري تطبيقها بالريف، حيث كان يعتمد إلى تقسيم السكان حسب توزعهم في المجال إلى دواوير، تقسم بدورها إلى دُشر فمجموعة من الأكواخ... ثم يُعطى لكل منها رقما مرجعيا يحدد موقعها على المخطط السكاني. و على خلاف الأمر بالمدينة، كان يؤخذ بعين الاعتبار في إحصاء سكان الريف انتماءاتهم القبلية و العروشية².

بعد هذا، يتم الشروع في عملية إحصاء السكان و ذلك كالآتي :

- إحصاء السكان بالمنازل و الخيم، منزلا منزلا و خيمة خيمة، بما في ذلك الأطفال ما دون الخامسة عشرة، مع تعيين رب الأسرة كمسؤول عن أسرته أمام السلطات؛
- إحصاء مجموعة من المنازل أو الأكواخ و تعيين رئيسا لها يكون مسؤولا عنها أمام السلطات؛
- إحصاء الأحياء التي تظم مجموعة من السكنات أو البنيات و تعيين رئيسا لها يكون مسؤولا عنها أمام السلطات.

و في كل عملية، كان يتم ملئ بطاقة معلومات خاصة برئيس الحي أو القبيلة، فرئيس مجموعة المساكن أو الأكواخ، ثم أخرى لأفراد كل منزل أو خيمة³. هذه البطاقات تحمل كلا منها لونا و رقما مرجعيا خاصا و تكون على ثلاثة نسخ، ترسل واحدة إلى القطاع العسكري و تسلم الثانية إلى كل واحد من المسؤولين أعلاه، و يحتفظ بالثالثة في مركز الإشعاع لتكوين رصيد الجذاذات الخاص بالسكان ليستعان بها خلال دوريات المراقبة الفجائية التي تنفذ ليلا لمراقبة السكان. فكل إنسان يسجل غيابه بمكان إقامته أو يوجد بمنزل أو خيمة و لا يرد اسمه بالبطاقة الخاصة بذلك المنزل أو الخيمة يشتهبه فيه و يتم توقيفه على الفور و تفتح له بطاقة برصيد الجزازات الخاص بالأشخاص المشبوهين.

عملية الإحصاء هذه كانت أيضا فرصة لضبط سجلات الحالة المدنية، لتسجيل الولادات و الوفيات، التي هي من المهام الأساسية لمكاتب لاصاص. كما أنها أيضا وسيلة لتسليم وثائق إثبات الهوية للأشخاص الذين

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Directives d'action psychologique : Organisation des populations, n° 214/CIS/5, Alger, le 11 Janvier 1960, p.2 ; SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 110.

² - SHAT, 1H 2577/d.1, Exemple d'organisation de la population rurale, (s. d.), 3 p.

³ - أنظر الملحق رقم : 17

لا يتوفرون على بطاقة تعريف. و بنهاية الإحصاء يصبح كل السكان مسجلين لدى الإدارة العسكرية، يتوفرون على رقم للتسجيل (numéro minéralogique) يدل على موقع سكنهم و يحدد مسؤولهم المباشر. فيتم تطويقهم و تُشل حركتهم أكثر من ذي قبل¹.

هذا و تجدر الإشارة هنا إلى أنه من ضمن الأهداف الأساسية المرجوة من الإحصاء، هو الاحتكاك بالسكان لاكتشاف العناصر التي تتوفر على بعض الاستعدادات الذاتية للزعامة و المسؤولية، ليعهد لها ببعض المسؤوليات. حيث كان يتم فور العثور عليهم العهد لعدد منها ببعض المهام العادية الخاصة بتنظيم الحياة الاجتماعية لوسطهم السكاني، كأن يُعيّن أحدهم مسؤولاً للحمي، و ثانياً مسؤولاً عن الأمن فيه، و ثالثاً مسؤولاً عن الصحة و النظافة فيه، و رابعاً مسؤولاً عن التموين أو توزيع الماء مثلاً...، إلى ما لا نهاية له من المهام التي تُشرك السكان في تسيير شؤونهم العامة و تدفعهم إلى التعاون مع الإدارة والجيش². هؤلاء "المسؤولين" كان يتم دعمهم و تعزيز نفوذهم بوسطهم الإنساني كما كان يتم تأمين حمايتهم ومراقبة عملهم. أما بالنسبة "للنخبة" من العناصر المكتشفة فكان يتم إرسالها إلى مراكز تكوين عسكرية خاصة بتكوين مسؤولي السكان³، ليتم بعد متابعتهم لتكوين سري لبضعة أسابيع زرعههم في وسطهم الأصلي، للاضطلاع بالمهام التالية:

1- القيام بأنفسهم بتجنيد عناصر من وسطهم لنسج تنظيم سري على منوال تنظيم الخلايا السرية للثورة، يبسط نفوذاً دائماً و فعالاً على السكان، و يتولى تطهير حالتهم النفسية و تأطيرهم إدارياً و سياسياً. و قد أُصطلح على تسمية هذا التنظيم السري بـ: " تنظيم و مراقبة السكان " (O. C. .P.)

2- إنشاء " نظام للوقاية " يتمثل في : أولاً مصلحة للاستعلامات يُجند لخدمتها جميع أفراد السكان و تكون لها القدرة على تحديد المناخ النفسي العام السائد فيهم؛ ثانياً " مصلحة يقظة و حراسة" لها القدرة على التغلغل في تنظيم الثورة لتعقبه و تخريبه من الداخل.

3- تكوين فرق متنقلة للدفاع الذاتي على شاكلة وحدات جيش التحرير⁴.

في نسج التنظيم الجديد، كان غالباً ما يستعان بملتحقين (ralliés) محلّين فروا من صفوف الثورة و التحقوا بالجيش الفرنسي، و ذلك لما يقدمونه من مزايا متعددة: فبالإضافة إلى الاستفادة من خبرتهم المكتسبة

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Recensement, organisation, contrôle des population, n° 4.301/CAC/5/ETU/S, Constantine, 19 Décembre 1959, p. 1- 5 ; SHAT, 1H 2577/d.1, Exemple d'organisation de la population rurale, 3 p.

² - Voir, Henry- Jean LOUSTAU, Guerre en Kabylie 56- 61, Collection les combattants, Paris, Albin Michel, 1985, 248 p., p. 122- 123.

³ - كما كان يطلق عليهم أيضاً تسميات أخرى مثل : " المحافظين السياسيين"، " مسؤولي الدواوير " و مسؤولي الدفاع الذاتي "

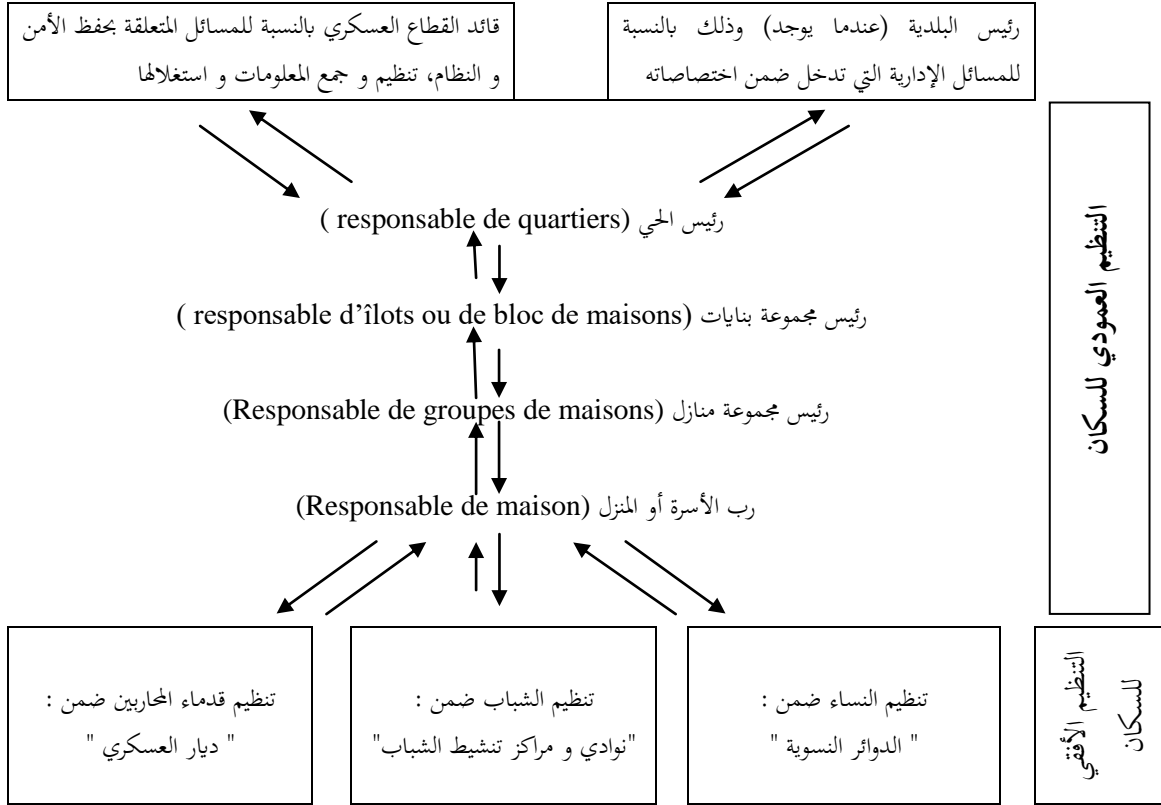
⁴ - SHAT, 1H 2577/d.1, Note sur l'organisation des populations non européennes d'Algérie, du G.G., 20 Décembre 1957, p. 2 et 3 ; SHAT, 1H 2577/d.1, Directive pour la 5° Section de l'Etat- Major Alger Sahel, Alger, 17 Septembre 1957, p. 2 et 3 ; SHAT, 1H 2409/d.1, Directive Générale n° 6 au sujet de l'activité des Forces du Maintien de l'Ordre en Algérie, signé Salan, Alger le 5 mars 1957, p. 2- 3.

في مجال تنظيم الشعب خلال عملهم في الثورة، فإن هاجس حماية أنفسهم خوفا من تعرضهم لعقاب الثورة سيزيد في ولائهم وفعاليتهم في ميداني الاستعلامات و مكافحة الخلايا الثورية¹.

باستكمال التنظيم السري أعلاه، يكون السكان مؤطرين بالشكل التالي:

- أولا بالمدن² :

الشكل 1: التنظيم العمودي و الأفقي للسكان بالمدن



- ثانيا بالريف : كان التنظيم العمودي للسكان يأخذ الشكل التالي :

ففي أسفل الهرم، و بكل عرش (fraction) من العروش المكونة للدوار، يتم تجنيد مجموعة من الرجال القادرين على حمل السلاح لتشكيل المجلس الخاص بذلك العرش، و الذي ما هو مؤقتا إلا " لجنة يقظة و إدارة " يتزأسها مسؤولان، الأول سياسي و الثاني عسكري:

- المسؤول السياسي : و هو مسؤول يمثل في شخصه السلطة التنفيذية و يمثل مجلس عرشه

و يعبر عنه أمام المحافظ السياسي ؛

¹ - SHAT, 1H 2577/d.1, Instruction sur la lutte contre l'O.P.A. urbain, n° 1560 RM.10/3/OPE, Alger, 17 Juillet 1958, Signé Général Jouhoud, annexe p.1.

² - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Recensement, organisation, contrôle des population, n° 4.301/CAC/5/ETU/S, Constantine, 19 Décembre 1959, p. 6 ; aussi, SHAT, 1H 2409/d.1, Directive au sujet de l'emploi des Français- Musulmans ayant suivi le stage d'action psychologique, n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 septembre 1957, 6 p.+ annexe.

- المسؤول العسكري : و هو مسؤول مكلف بتوزيع السلاح و الذخيرة و مراقبة صيانتها و استعمالها. يعمل في تنسيق دائم مع المحافظ السياسي، و بواسطة هذا الأخير مع الضابط المكلف بحفظ الأمن و النظام.

باجتماع المسؤولين السياسيين و العسكريين لكل عرش، يتشكل مجلس الدوار الذي يرأسه "المحافظ السياسي". و هذا المجلس هو مجلس محلي ذو مهام إدارية بحتة، كالمهام المخولة للمندوبيات الخاصة، لذا يمكن لهذا المجلس أن يصبح غدا مجلسا بلديا.

في هذا التنظيم، يمثل "المحافظ السياسي" للدوار رأس الحربة المناوئ للثورة، فهو يضطلع بما يلي :

1- ففي الميدان السياسي، يقوم بتحصيل و تركيز جميع المعلومات الأمنية و تبليغها إلى السلطات العسكرية؛ و دعوة مجلس الدوار إلى الاجتماع و مراقبة عمله؛ و مراقبة عمل المجالس العروضية و حل المشاكل العويصة التي قد تظهر بكل عرش. و في هذا الإطار يجب على المحافظ السياسي تقسيم وقته، بكيفية تسمح له بتخصيص أياما من كل شهر لكل عرش من العروش المكونة لدواره.

2- بالنسبة للتنظيم الأفقي، يضطلع المحافظ السياسي بمراقبة عمل المنظمات الجماهيرية : ديار العسكري، الدوائر النسوية، مراكز و نوادي الشباب... يجمع المعلومات عنها و يمدها بمحاور لاجتماعاتها؛

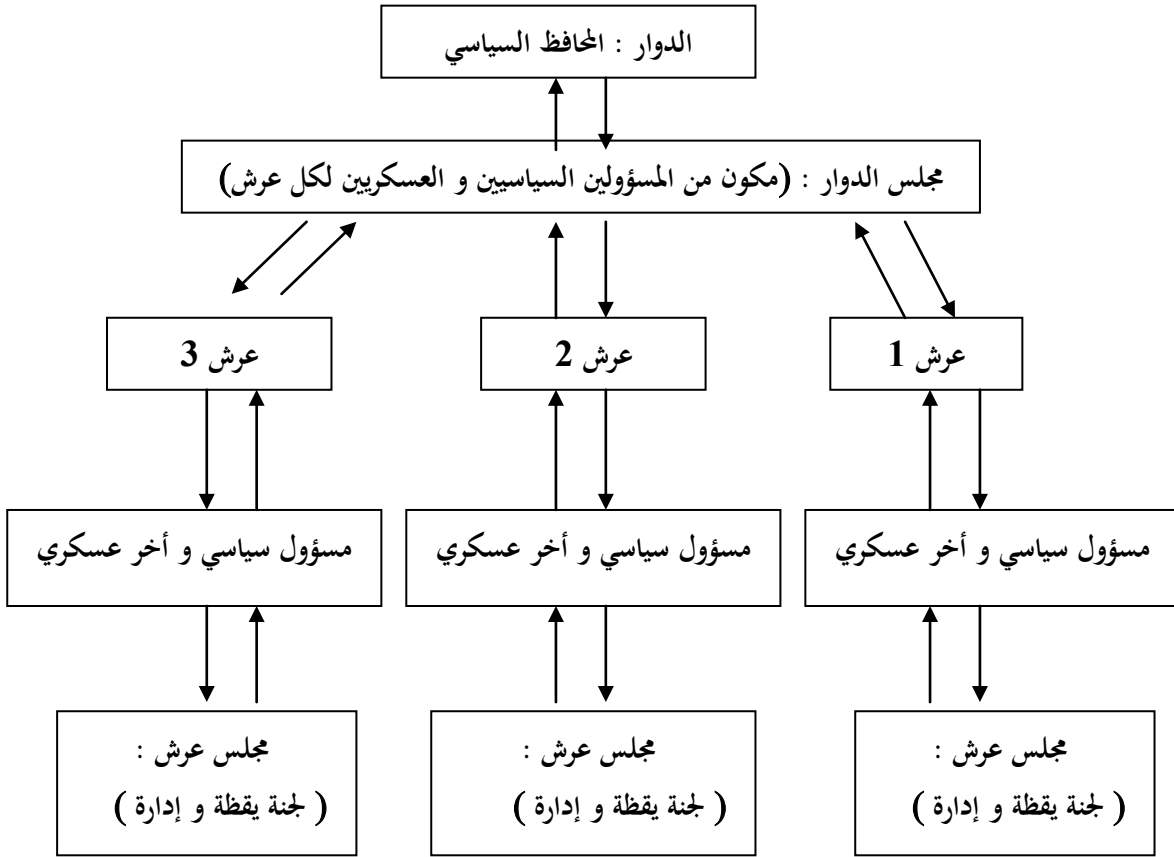
3- أما في الميدان العسكري، فتتمثل مهمة المحافظ السياسي في مراقبة الروح القتالية للرجال المسلحين، و دعوة المسؤولين العسكريين إلى الاجتماع بناء على مبادرة الضابط العسكري المكلف بحفظ الأمن و النظام بالدوار¹.

في هذا الوضع الذي تُرتب عليه الأمور، يواصل ضباط لاصاص عملهم في إدارة الشؤون العادية للدوار، و بالأخص ضبط سجلات الحالة المدنية، واضعين في الحسبان بأن « المحافظين السياسيين، عند استتباب الوضع العادي للأشياء، سيكونون منتخبين تابعين لفرنسا. و هم في الوقت الحالي يتلقون تكوينهم كإطارات و زعامات محلية، لذلك من المصلحة أن يكون هذا التكوين حسن التوجيه و خال من المكدرات، تحضيراً لغدٍ خالٍ من كل مرارة² ».

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 4 et 5.

² - المصدر السابق، ص. 6.

الشكل 2 : التنظيم العمودي و الأفقي للسكان بالريف



بوضع اللبنة الأساسية للتنظيم الجديد المناوئ للثورة، يتولى فريق الاتصال العامل بمركز الإشعاع، في سرية تامة و بالتنسيق مع القيادة العسكرية المباشرة، تنشيط و تحريك "مسؤولي السكان". حيث يمكن هؤلاء، و تحت الإشراف و الرقابة المباشرين لفريق الاتصال، التحرك و بكل حرية، في سرية تامة أو في علنية مطلقة، بحسب ما تسمح به الظروف الأمنية السائدة. فيقوم هؤلاء بتطويق السكان اعتمادا على مستويات المسؤولية أعلاه، و نسج شبكات رصد و مراقبة لصالح الجيش الفرنسي، مهمتها مطاردة عناصر الخلايا الثورية و جمع المعلومات المعتبرة على اكتشافها و تفكيكها. كما يتولى هؤلاء الاضطلاع بمهمة الترويج للدعاية الفرنسية بين الجماهير بنشر محاورها و دعمها بالشائعات، و محاربة الدعاية التي تروج للثورة و إخطار السلطات العسكرية المختصة بالمناخ النفسي العام السائد بين السكان. و من خلال هذا الدور العسكري و البوليس و الدعائي النفسي المتعدد الوجوه، تتحدد مهمة مسؤولي السكان في عزل السكان عن الثورة و عزل هذه الأخيرة عنهم و تحقيق السيطرة الدائمة عليهم¹.

¹ - SHAT, 1H 1113/d.1, Note sur les responsables de la population, n° 3.066/CAA/5/AE, signé le Général de Division Massu, Alger, le 6 Juillet 1959, p. 2 et 3.

لأنجاح التنظيم أعلاه كان يتم دعمه و تعضيده باليتين أساسيتين :

أولاهما : رقابة مكثفة و مستمرة على السكان و على مسؤوليهم. فبالنسبة للسكان كان يتم القيام بدوريات ليلية مفاجئة للأحياء و المنازل. فبعد قيام الجيش بمحاصرة الموقع السكني و تطويقه للتحكم في مختلف المنافذ المؤدية إليه (le blocage)، كان يتم تفقد السكان منزلا بمنزل و خيمة بخيمة لتسجيل كل غياب غير مبرر و رفع كل حضور غريب و مشبوه. لتحقيق ذلك، كان يستعان برصيد الجذاذات المحفوظ بمركز الإشعاع و بمسؤولي السكان، من رب المنزل أو الأسرة إلى مسؤول الحي، الذين تقع عليهم المسؤولية كاملة عند تسجيل حضور غريب أو غياب غير مبرر لأشخاص ضمن مجاهم. و هو ما يحقق بدوره أهداف متعددة، أهمها: أولا ترك وقع نفسي قوي لدى السكان و مسؤوليهم عن حضور قوي و مكثف للجيش يضيق الحركة على الثوار في الليل و النهار، بما يمنحهم "الثقة و الأمن" في الجيش و يشجعهم على التعاون معه أكثر فأكثر. ثانيا توريث هؤلاء "المسؤولين" بصفة نهائية في صفوف الجيش الفرنسي بإجبارهم على مرافقة الجيش و الظهور إلى جانبه خلال الدوريات التفتيشية. فيوصمون في عيون السكان و الثورة بـ "الحيانة و التعاون مع العدو" و يصبحون "محروقين" بسبب هذا الظهور، مما يدفعهم إلى الإرتقاء أكثر في أحضان الجيش خوفا من الوقوع تحت طائلة عقاب الثورة. ثالثا و أخيرا، مراقبة عمل و ولاء هؤلاء المسؤولين بما يدفع عنهم الشعور بالعزلة و الشعور بأنهم تركوا لأنفسهم. علما أنه كان يدخل في هذه الرقابة، مراقبة الاحتياطات الغذائية للسكان، و مراقبة ثروتهم الحيوانية و ترقيمها، حتى لا يتسلل منها شيء إلى الثوار¹.

ثانيهما : دعمه بذرع مسلحة، تتمثل في تكوين فرق للدفاع الذاتي. و الذي هو في حد ذاته خطوة حاسمة ومؤشرا على نجاح العملية، لما تعنيه و تعبر عنه هذه الخطوة من رفض السكان للثورة في شخص المجاهد و المسبل والفدائي، و استعداد هؤلاء السكان للتعبير عن هذا الرفض بحمل السلاح و القتال إلى جانب الجيش الفرنسي. و لدقة هذه الخطوة و حساسيتها، كانت المصالح النفسية للجيش تحرض ظاهرا أن يتم إنشاء فرق الدفاع الذاتي بناء على مبادرة و مطلب صادرين عن السكان لحماية أنفسهم².

باشتداد ساعد هذا التنظيم و حصوله على الدعم السري للسلطين المدنية و العسكرية و بقدرته على فرض نفسه على السكان، يمكن للجيش -و ذلك متى سمحت الظروف الأمنية بذلك- تخفيف تواجده و حضوره بين السكان، مكتفيا في ذلك بالإبقاء على " نواة أمنية " تستفيد من المعلومات الاستخباراتية التي يوفرها لها التنظيم الجديد المتجدر في السكان كما تستفيد من دعم فرق الدفاع الذاتي المتنقلة. عندئذ أيضا، يمكن الاستغناء عن " مركز الإشعاع" و اختزاله إلى "نواة فاعلة" (noyau actif) تظم من 5 إلى 7 عسكريين، يتولون توجيهه و تنشيطه و تكوينه و مراقبة عمل المسؤولين بالتنظيم العمودي و الأفقي للسكان. و بتحسين

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Recensement, organisation, contrôle des population, n° 4.301/CAC/5/ETU/S, Constantine, 19 Décembre 1959, p. 8- 10.

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 81.

الظروف الأمنية يمكن عندئذ، و فقط عندئذ، إخراج التنظيم السري إلى حيز النور و "ترسيمه" في شكل مندوبية خاصة في انتظار انتخابه كمجلس بلدي لتسيير الشؤون المحلية¹.

و في كل ذلك، يبقى المؤشر الحقيقي الدال على نجاح هذا التنظيم، هو كل ما يبيده السكان من تعاون حقيقي مع الجيش الفرنسي، مجسدا في أعمال حقيقية لا غبار عليها، تتمثل في : رفض دفع الاشتراكات للثورة؛ و تقديم معلومات عفوية و غزيرة عنها؛ و تنظيم عمليات رصد و مراقبة لتحركات عناصرها؛ الإخطار بوجود عمليات تخريب؛ المساهمة في الدفاع الذاتي؛ الترويج لشائعات موافقة؛ المساهمة في أعمال تنظيف القرية... إلى غير ذلك من الدلائل الأخرى².

المطلب الأول : البحث عن زعامات و مسؤولين جدد بين السكان

من خلال العرض السابق حول تنظيم السكان تظهر بجلاء الأهمية الحيوية التي يكتسيها البحث و العثور على رجال يتوفرون على استعدادات ذاتية للزعامة و المسؤولية، رجال يمكن التعويل و الاعتماد عليهم في تنفيذ المخطط الفرنسي الرامي للقضاء على الثورة و قيادة السكان إلى المصير الذي تحدده لهم فرنسا.

تستجيب عملية البحث عن رجال مؤهلين للزعامة و القيادة إلى ضرورات ثلاث :

أولها: أن "الإصلاحات" التي تعتمز الإدارة تطبيقها لصالح الأهالي الجزائريين لا يمكن أن تؤدي أكلها إلا إذا طبقت لصالح الجزائريين، بهم و معهم. فقد أبانت تجارب الماضي، أن الفشل في " الإصلاحات السابقة" كان يعود في بعض أسبابه إلى أن هذه الإصلاحات، و إن كانت لصالح الجزائريين، فهي لم تنفذ بهم و لا معهم³. و منه ضرورة إشراك الجزائريين في تنفيذ كل إصلاح : « فيما أننا نعمل لبلوغ نتائج تتجاوز في مداها نهاية المعارك، فإنه يجب أن يكون عند الجزائريين الشعور بأنهم ليسوا مجرد أدوات لتطبيق سياسة ما و لكن الشعور بأنهم مقررروها »⁴.

ثانيها: أن خير وسيلة لتأثير في الجزائريين تكون باستعمال جزائريين مثلهم: فكما لا يفيل الحديد إلا الحديد فإنه " لا يؤثر في الجزائري إلا الجزائري " لأنه : « لا يكفي فقط الانتصار على الثورة و لكن يجب أيضا السعي للحصول على اقتناع السكان. [أي اقتناعهم بالمشروع الفرنسي في الجزائر] و بهذا الصدد، فلنكن على يقين بأنه لا أقدر على إقناع المسلم إلا مسلم مثله »⁵. و منه ضرورة استعمال قيادات و إطارات تنتقي من بين الجزائريين أنفسهم.

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive Générale n° 6 au sujet de l'activité des Forces du Maintien de l'Ordre en Algérie, signé Salan, Alger le 5 mars 1957, p. 4 ; SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, p. 84- 85.

² - SHAT, 1H 1113/1, (document sans titre), n° 2196/CAC/PY du 2 Août 1957, p.4.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 1.

⁴ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ : le problème des Responsables de Village, Septembre 1960, p. 6.

⁵ - Shat, 1H 2553/d.1, Directive n° 7 pour la phase de consolidation de la pacification, par le Général de Corps d'Armée Jean Olie, Constantine, 12 Octobre 1959, p.2.

ثالثها: أن الجزائر الفرنسية الجديدة، التي تراهن عليها فرنسا، لا يمكن بناؤها إلا برجال جدد لم يكبلوا حاضريهم ومستقبلهم بأخطاء ماضيهم مثلما هو الحال عند أغلب القياد و الباش آغات من أعوان الإدارة السابقين، الذين فقدوا كل اعتبار لدى السكان، بل و أصبحوا يحضون بالكروه¹. و لأنه لا يمكن التجديد بالقديم، فإن الاستمرار في الاعتماد عليهم وحدهم ينطوي على مخاطرة حقيقية لفرنسا « يجعلها تظهر بمظهر المدافع عن الماضي، عن القديم، بكل مافيه من روتين و رتابة، في مواجهة ثورة تعد بالتجديد »². و هذا لا يعني بحال ضرورة إقصاء كل أعوان الإدارة السابقين، و إن كان يعني ضرورة البحث عن رجال جدد لبناء جزائر فرنسية جديدة³.

و في هذا الصدد، كانت الرغبة في العثور على رجال « نزهاء و شرفاء » من الطراز الأول على أشدها، فقد جاء في الدليل العملي لحرب التهدئة ما نصه : « لتحقيق اتصالكم بالسكان سوف تحتاجون لمعاونين و وسطاء و مترجمين، وسوف يكون لاختياركم لهم أهمية كبرى في عيون السكان. لذلك احذروا أن تعيدوا إلى الظهور قيادا عرفوا بالابتزاز، أو موظفين من ذوي السلوك الأخلاقي المشبوه، الذين كانوا في ما مضى سببا في تدمير الأهالي. فاحرصوا إذن على اكتشاف أكبر عدد من الرجال الجدد. اعتمدوا على رجال نزهاء و شرفاء لا يخشون مصارحتكم بما يجول في خلد السكان، فهؤلاء أحسن لكم من الاستعانة بمتدلقين و متملقين لا يتورعون عن لحس الحذاء »⁴. و الفرنسيون في مسعاهم هذا، هم مستعدون للذهاب بعيدا للعثور على هاته العناصر المناسبة، حتى لو اقتضى الأمر سلبها من الثورة. و في هذا المقام، كانت التعليمات الواردة من القيادة تؤكد على عدم إقصاء أو استبعاد العناصر الوافدة من جبهة التحرير : « يجب التأثير على الجزائريين بالجزائريين -] وردت : على المسلمين بالمسلمين]- و أن نكسب لقصيتنا خيرة الرجال و ذلك بسلبهم من الخصم -]الثور]- كما يجب أن نضع بالمستويات الدنيا تنظيما مماثلا لتنظيمه »⁵. كما جاء في موضع آخر: « يجب ايلاء أهمية كبرى لعملية اختيار المتربصين، الذين يمكن استقدامهم أيضا، و لما لا، من العناصر التي كانت تنشط في الخلايا الثورية : فالهم هو الحصول على رجال يتوفرون على روح المسؤولية و نفوذ قوي على السكان »⁶. أما سبب الحرص على استعادة و توظيف عناصر من جبهة التحرير فهو يتمثل - كما تبينه إحدى الوثائق- في أن جبهة التحرير: «غالبا ما عيّنت في تنظيمها الرجال الأكثر نفوذاً و قدرةً و ديناميكيةً. و المتمردون أنفسهم لا يترددون في الاتصال بالعناصر التي عيّنتها السلطات الفرنسية، بغية استمالتها. هذا عدا عما قد يترتب من عملية التحاق مسؤول قديم لجبهة التحرير بصف فرنسا، من التحاق كل السكان الواقعين تحت إمرته »⁷.

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, L'infrastructure administrative, Alger le 19 Aout 1957, p.1.

² - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ : le problème des Responsables de Village, Septembre 1960, p. 2.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, L'infrastructure administrative, Alger le 19 Aout 1957, p.1.

⁴ - SHAT, 1H 2538/d.1, Guide pratique de Pacification..., op. cit., p. 16.

⁵ - SHAT, 1H 2409/d.1, 1^{ère} partie : Aspect psychologique du conflit, p.35.

⁶ - SHAT, 1H 2577/d.1, La technique psychologique, signé par le Général de Division Massu, Alger, 24 mars 1959, p. 5.

⁷ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de départ, 24 septembre 1960, p.5.

و لكن ما هي معايير و ضوابط انتقاء هؤلاء الرجال الجدد ؟

في عملية البحث هذه عن زعامات و مسؤولين جدد للسكان، جرى، بقوة الأشياء، ضبط مجموعة من الضوابط ومعايير الانتقاء ل يتم اعتمادها في اختيار هؤلاء المسؤولين لأن العدد المطلوب منهم كبير جدا، فالمطلوب مسؤول واحد لتأطير كل خمسين من السكان الجزائريين¹. لذا، و لإيجاد هذا العدد اللازم من الزعامات و المسؤولين الجدد، جرى تحديد مواصفات و معايير اختيار دارت في مجملها على التركيز على الاستعدادات الذاتية و الفطرية المؤهلة للقيادة التي يجب توفرها عند المرشحين. حيث يمكن لنا أن نذكر من بين هذه المواصفات : الشجاعة و الفطنة الباعثتين على المبادرة و العمل؛ قوة الشخصية و قوة النفوذ المساعدتين على فرض النفس على الآخرين؛ الذكاء و سعة الأفق اللذان يسمحان بتقبل وجهات نظر أخرى؛ صغر السن عند المترشح، حتى يظل نظره متطلعا إلى المستقبل؛ روح المسؤولية و التطلع إليها؛ بالإضافة إلى الإلمام بمختلف أشكال الصراع الإيديولوجي الحديث².

و واضح من المواصفات أعلاه، أن الاعتبارات الأخرى و المواصفات العرضية، كالوظيفة و المركز الاجتماعي ومسقط الرأس ليست معايير أساسية يُعَوَّل عليها : « فلا المولد و لا الوظيفة و لا الغنى هم معايير أكيدة. و سيكون من الأحسن أن نضع في الحسبان التجارب السابقة المكتسبة من سير الرجال. بل حتى الانتصار لقضيتنا و التعلق بها ليس بالمعيار الذي يجب البحث عنه. و إن كان ذلك لا يعني أن نتجاهل أصدقاءنا، أو أن ننسى تخصيصهم بالامتيازات و تقديمهم قبل غيرهم. كما سيكون من الحكمة مراقبة الطموحات و الشحنات التي تنشأ بين مختلف الأفراد و الأطراف »³.

و لأن عملية البحث و انتقاء رجال مرشحين للزعامة و تولي المسؤولية هي عملية حساسة و بالغة الدقة، لأنها ترهن المستقبل، فقد تم إسناد مهمة الإشراف عليها خصيصا إلى الضباط المنتقلين، الذين تعود لهم مهمة توجيه و ترشيد هذه العملية و فحص الأشخاص الذين تم ترشيحهم من طرف "فرق الاتصال" و إقصاء العناصر غير الصالحة⁴. علما أن هؤلاء الضباط كانوا هم الذين يساهمون بالقسط الأوفر في عملية تكوين دفعات النخب الجزائرية المرشحة للزعامة و المسؤولية بين السكان الجزائريين و ذلك بمختلف مراكز التكوين التابعة للجيش الفرنسي و المعدة خصيصا لذلك.

المطلب الثاني : مراكز تكوين مسؤولي السكان

و هي مراكز تكوين عسكرية أنشئت خصيصا بغرض إعطاء تكوين أدنى للعناصر المنتقاة من بين السكان و المرشحة لتولي مناصب ذات مسؤولية بوسطها الأصلي. فهؤلاء العناصر الذين تم انتقاؤهم، و فيما عدا ما يتوفرون عليه من استعدادات فطرية للقيادة و الزعامة التي ذكرناها أعلاه، لم يكونوا غالبا يتوفرون على أي

¹ - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, op. cit., p. 76.

² - SHAT, 1H 2460/d.1, Annexe II à la directive particulière 1521/EMI/5/ACT/S du 9 décembre 1959.

³ - SHAT, 1H 2408, Directives sur l'action politique des troupes, n° 6017/ZOAN/3, Batna, 28 septembre 1956, p. 6.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive générale n° 6, 5 mars 1957, p. ; 1H 2533/d.2, Instruction sur la mission et l'emploi des Officiers Itinérants : Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, (s. d.), p.2.

تكوين خاص يؤهلهم لأداء عملهم على الوجه المطلوب. علما أن عددا كبيرا منهم كان يسبح في الأمية أو لا يزيد تعليمه عن فك رموز الكتابة و القراءة. و منه ظهرت الحاجة ماسة إلى ضرورة تمكينهم من حد أدنى من التكوين الذي يجعل منهم عناصر محصنة تعي أبعاد الصراع الإيديولوجي الدائر و تكون في مستوى تطبيق سياسة تنشُد تقرر مصير شعب بأكمله : « لذلك ظهرت حاجة ماسة لإعطاء مسؤولي القرى تكويننا يتوافق مع الوظائف التي هم مرشحون لأدائها. و هو تكوين كان من الممكن لهم أن يتلقوه بالقرية، خلال عملهم اليومي و من خلال تعاونهم مع السلطات المدنية و العسكرية، و لكن يبقى الخلل المهيمن على مثل هذا التكوين هو انعدام المفاهيم القاعدية التي تساعد على فهم و استيعاب الآفاق الرحبة و البعيدة لأي عمل أو مبادرة. لذلك، و لأجل تدارك هذا الخلل و سد هذه الثغرة بالذات فقد تقرر إنشاء مركز لتكوين عناصر الدفاع الذاتي بكل قطاع عسكري»¹ ، ذلك أنه لا يكفي انتقاء عناصر من السكان لاستخدامهم كمنشطاء بعد زرعهم بوسطهم الأصلي، بل يجب أيضا تكوينهم ل : « تفعيل نشاطهم و منحهم في نفس الوقت القدرة على مقاومة ضغوطات الخصم، و تعريفهم بالوجه الحقيقي لجهة التحرير و الوجه الحقيقي لفرنسا و الوجه الذي ستأخذه الجزائر العصرية مع هذه الأخيرة، و هي كلها عناصر ستحتّم عليهم الاختيار بين الجانبين»². بحيث تكون الغاية النهائية من هذا التكوين هي : « منح مسؤولي السكان مبررات و دوافع مقبولة للقتال إلى جانب فرنسا و تحفزهم على جرّ السكان وراءهم في هذه الطريق»³.

يمثل "مركز تكوين الإطارات المسلمة بأرزويو" (C.F.C.M.A.)⁴ أو ما عرف أيضا بـ : "مركز تكوين الطلاب الرتباء الفرنسيين المسلمين" (S.I.E.G.F.M.) بأرزويو⁵، على اختلاف في التسميات، أول مركز أنشئ خصيصا بهدف تكوين مسؤولين جزائريين موجّهين للنشاط بوسطهم السكاني الأصلي لمناهضة نشاط المحافظ السياسي، و ضرب الثورة فيه. هذا المركز يخضع للإشراف المباشر لقيادة أركان المنطقة العاشرة للجيش الفرنسي، المكتب الخامس، قسم الحرب النفسية. و قد تم إنشاؤه في ظل "مركز التدريب على حرب التهذئة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزويو" (C.I.P.C.G.) الذي كان يتولى تحمله ماديا، تاركا لوزارة الجزائر تحمله ماليا. أما بالنسبة للتأطير فقد كان يضمّنه سلك الضباط المنتقلين⁶. علما أن إنشاء هذا المركز في مارس 1957 قد تزامن مع انطلاق العملية العسكرية "بيروت 1" و ذلك لاستقبال و تكوين العناصر الجزائرية التي تم البحث عنها و انتقاؤها بمنطقة الشلف بتراب الولاية الرابعة تنفيذًا لمخطط هذه العملية.

قدم هذا المركز ثنائي تربصات ما بين جوان 1957 و جوان 1959 دام كل منها ستة أو سبعة أسابيع، استقبلت ما بين أربعين إلى ثمانين متربصا⁷. و قد جرى أول تربص بهذا المركز ما بين 23 أفريل و 3 جوان

¹ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de départ : le problème des Responsables de Village, Septembre 1960, p. 7.

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Stage de formation (Secteur) d'agents d'influence, (s. d.), p 2.

³ - SHAT, 1H 1113/1, Note sur les responsables de la population, n° 3066/CAA/5/AE, Alger, 6 Juillet 1959, p.3.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 18.

⁵ - S.I.E.G.F.M. = Section d'Instruction des Elèves Gradés Français Musulmans.

⁶ - SHAT, 1H 2523/d.1, Fiche: Centre de Formation des Cadres Musulmans d'Arzew, 7 Décembre 1957, p.1.

⁷ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, approuvée par le Général d'Armée Aérienne M. Challe Commandant en Chef les Forces en Algérie le 6 avril 1960 sous le n° 331/EMI/3/P.H., p. 38.

1957، و ضم 47 متربصا. أما بالنسبة للنتائج، فقد تفاوتت في قيمتها من تربص إلى آخر، بحسب حسن إختيار العناصر المتربصة و بحسب الظروف التي أحاطت بعملهم في الميدان¹.

توازيا مع هذه التجربة و إقتداء بما قدمته من نتائج لقيت ارتياحا و ترحيبا كبيرين من لدن قيادة الجيش الفرنسي، تقرر إنشاء "مركز لتدريب مسؤولي الدفاع الذاتي" (CERAD)². بكل منطقة عسكرية³. و بعد مضي عامين على هذه التجربة و من خلال النتائج المحققة من كل هذه التربصات، تم ضبط التجربة في تفاصيلها الدقيقة، و معها تم ضبط البرنامج المراد تطبيقه، فتقرر تعميمها إلى باقي القطاعات العسكرية (Secteur) للاستجابة للاحتياجات المتزايدة من هذه العناصر أي مسؤولي السكان. و في هذا الشأن، صدرت تعليمة خاصة عن الجنرال شال، قائد القوات بالجزائر، تحمل رقم 1521 بتاريخ 9 ديسمبر 1959⁴ تضمنت قرارا بإنشاء " مركز للتربية المدنية و العسكرية" (Centre d'Education Civique et Militaire) على مستوى كل قطاع عسكري. كما تضمنت أيضا توجيه عمل مراكز تدريب مسؤولي الدفاع الذاتي (CERAD) المتواجدة على مستوى المناطق العسكرية (Zone) نحو تكوين مسؤولين أعلى و رسكلة المسؤولين الذين يزاولون نشاطهم بالأحياء العسكرية (les quartiers) لتمكينهم من تكوين أعمق⁵. و هو ما يعني نظريا إنشاء 95 مركزا على مستوى القطر، منها 78 مركزا بالقطاعات و 17 مركزا بالمناطق. علما أنه بتاريخ 08 جوان 1960 كان هناك 35 مركزا منجزا و 27 مركزا كمشروع أو في قيد الإنجاز، و هو ما تطلب اعتمادات مالية بقيمة 832.840 فرنك جديد⁶.

و لكن، و بالرغم من الرقم أعلاه حول عدد هذه المراكز، يبقى السؤال مطروحا حول عددها الحقيقي و الفعلي. وللأسف فإن الوثائق التي اطلعنا عليها بأرشيف شاتو دو فانسان، كانت في أغلبها مسودات لم تبيض تتضمن جداول خاصة بعدد هذه المراكز و توزعها بالناحيتين العسكريتين للجزائر الوسط و الشرق الجزائري : فبالنسبة للناحية العسكرية للجزائر الوسط، فقد كان يوجد به بتاريخ 5 مارس 1960 ستة عشر مركزا تقدم تربصا شهريا لـ 740 متربص. و كان من المقرر تدعيمها بثلاثة مراكز أخرى⁷. أما بالنسبة للناحية العسكرية للشرق الجزائري فلم يكن يوجد بها بتاريخ 3 مارس 1960 إلا أربعة مراكز على مستوى المناطق. تقدم تربصا لـ 783 متربص في الشهر. و كان من المقرر، تطبيقا للتعليمة الخاصة رقم 1521 بتاريخ 9 ديسمبر 1959، أن

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, p. 38.

² - CERAD : Centre d'Entraînement de Responsables d'Auto- Défense

³ - للإشارة، نشير هنا إلى أن التقسيم العسكري الفرنسي للجزائر كان يتم جغرافيا كالأتي: أولا النواحي العسكرية (Corps d'Armée) و هي ثلاث: الجزائر، وهران و قسنطينة. و كانت كل ناحية من هذه النواحي مقسمة إلى أربعة مناطق (Zone) بحسب الإتجاهات الأربع : شمال و جنوب، شرق و غرب. و كل منطقة من هذه المناطق كانت تقسم بدورها إلى قطاعات (Secteur) ثم إلى أحياء (Quartier)، و في بعض الأحيان أيضا إلى أحياء فرعية (Sous Quartier). أما بالنسبة للصحراء فقد تم إدراجها ضمن ما يسمى بـ "قيادة مختلف الجيوش بالصحراء" (Commandement Interarmées au Sahara). هذا، و قد اعترى هذا التقسيم تحويل و تعديل كبيرين خلال الحرب. أنظر الملحق رقم : 19.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 20.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 20.

⁶ - SHAT, 1H 2575/d.2, Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel, Chef du 3° Bureau, (08/06/1960 ?), 2p.

⁷ - أنظر الملحق رقم : 21.

يتم إنشاء سبعة منها على مستوى القطاعات¹. أما بالنسبة للناحية العسكرية للغرب الجزائري فلم نقف على شيء يذكر عنها.

أما بالنسبة لمراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي، فإن الملحق رقم : (23) يقدم لنا صورة عن وضعية هذه المراكز بالناحية العسكرية للجزائر الوسط، حيث كان عدد مراكز هذه الناحية هو 23 مركزا، تقدم ما مجموعه 101 تربصا في السنة، بطاقة استيعاب قصوى تقدر بـ: 1005 متربص. و كان عدد المتربصين الذين تخرجوا من هذه المراكز حتى تاريخ الأول من جويلية 1960 يقدر بـ : 3.814 متخرج².

أما الملحق رقم: (24) و الخاص بالناحية العسكرية لوهران فيورد بأن هذه الناحية كانت تتوفر على 16 مركزا لتكوين مسؤولي الدفاع الذاتي. أما عدد المتخرجين من هذه المراكز، من تاريخ إنشائها و حتى تاريخ 11 أوت 1960، فكان يقدر بـ: 7.217 متخرجا، و هو ما يكفي لتأطير 2.528.300 نسمة من السكان الجزائريين³. علما أن بعض الوثائق قدرت عدد المتخرجين في بنهاية 1960 بـ : 8.762 متخرجا بهذه الناحية⁴.

أما بالنسبة للناحية العسكرية لقسنطينة، فإن هذه الناحية المقسمة إلى أربعة مناطق و 28 قطاعا، كانت تتوفر بتاريخ 15 سبتمبر 1960 على ستة عشر مركزا لتكوين مسؤولي الدفاع الذاتي، و كونت ما عدده 2239 متربصا. و في هذا المجال، كان برنامج الناحية يتضمن افتتاح سبعة مراكز جديدة بحلول 31 ديسمبر 1960، ليصل عدد المراكز إلى 23 مركزا و يصل عدد المتربصين المتخرجين بهذا التاريخ إلى 3600 متربص⁵. في حين تورق مصادر أخرى بأن سنة 1960 قد شهدت تنظيم 113 تربصا تخرج منه 3.848 متربصا⁶.

أما بالصحراء، فنشير إلى أنه كان بهذه المنطقة مركزين لتكوين مسؤولي الدفاع الذاتي : الأول بمكان يدعى فور لالموند (Fort Lallemand) ، "بلحيران" حاليا جنوب مدينة حاسي مسعود، و قد أفتتح في 2 فيفري 1959؛ و المركز الثاني بمدينة كولمب بشار و كان افتتاحه في 12 ماي 1960. و قد كان مجموع ما كونه هذان المركزان حتى تاريخ 5 أوت 1960 هو 111 متربصا⁷. علما أنه تقرر، تطبيقا للتعليمية الخاصة الصادرة عن الجنرال موريس شال و التي تحمل رقم 1521 بتاريخ 9 ديسمبر 1959، فتح مركزين للتكوين المدني و العسكري (CECM) بهذه المنطقة، و هو عدد كاف بسبب ضعف الكثافة السكانية بالصحراء⁸.

¹ - أنظر الملحق رقم : 22.

² - أنظر الملحق رقم : 23.

³ - أنظر الملحق رقم : 24.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, (Document sans titre), (fin 1960), 7p., p.3

⁵ - أنظر ملحق رقم : 25.

⁶ - SHAT, 1H 2553/d.1, Bulletin annuel des activités des Forces de l'Ordre dans le Corps d'Armée de Constantine, année 1960.

⁷ - SHAT, 1H 2575/d.2, Message postalise n° 6935/CIS.3.PH, objet : C.F.A.D. du Sahara, 3 août 1960, 2 p.

⁸ - SHAT, 1H 2575/d.2, Centres d'Education Civique et Militaire, lettre n° 925/CIS/5/S. du 5 Février 1960.

من هنا، و من خلال الأرقام أعلاه، يمكن و بدون مجازفة أن نرسم صورة تقريبية لجهود المكتب الخامس في تأطير السكان الجزائريين من خلال تكوين عناصر تنتقى من بينهم. فبنهاية أوت 1960 كان إجمالي عدد مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي يقدر بـ : 64 مركزا. تخرج منها في نفس التاريخ ما يقارب الـ 15.000 متربصا. فإذا أخذنا في الحسبان الوتيرة التي كانت تسير عليها عملية تكوين هؤلاء المسؤولين إلى غاية الاستقلال، فإن الرقم أعلاه لا شك أنه تضاعف بنهاية الحرب.

علما أن هذه المراكز بنوعها، سواء المتواجدة بالمناطق العسكرية أو تلك المتواجدة بالقطاعات العسكرية، كانت تستقبل كل أنواع المسؤولين : فهناك رؤساء الدواوير أو العروش، مسؤولي فرق الدفاع الذاتي بالريف و مساعديهم، مسؤولي المجموعات السكنية و مسؤولي البناءات بالمدن، مسؤولي "ديار العسكري". و كان يُقدم لهم نفس التكوين بما يمكنهم من أداء جميع المهام : فمسؤولو البناءات مثلا، و الذين هم في أسفل هرم المسؤولية، يمكنهم عند الاقتضاء الاضطلاع بنفس المهام المسندة لمسؤول الدفاع الذاتي، بما في ذلك تشكيل فرق للدفاع الذاتي داخل البناية¹، و هو ما يعكس مدى شراسة هذا التنظيم.

المطلب الثالث : برنامج التكوين

من أجل تكوين أكبر عدد ممكن من المسؤولين، و تمكينهم من الإلمام بأكبر قدر من المفاهيم و الخبرات في أقصر وقت، تم ضبط برنامج تكويني من ثلاثة أقسام يتم تطبيقه على مدى ثلاثة أسابيع².

- القسم الأول من هذا البرنامج خصص لغرس و التمكين لعدد من المفاهيم و الأفكار الأساسية التي تدخل ضمن التكوين الأيديولوجي للمتربصين، لتمكينهم من الإلمام بـ: "المذهب القتالي" المعتمد في محاربة الثورة. و هو مذهب قتالي تم ضبطه في أربع نقاط:

- القتال من أجل "التقدم" و تكريس "قانون الحياة".

- فرنسا تقاتل في "معسكر التقدم" ضد "معسكر الاستعباد" لجهة التحرير.

- فرنسا نظمت نفسها بالجزائر لتقاتل منتصرة.

- انخراط السكان إلى جانب قوات الأمن سيدق ساعة النصر³.

و قد كان لكل نقطة من النقاط أعلاه محاور فرعية تتفرع عنها لتشكيل في النهاية بناء منطقي متماسكا. هذه المحاور تم تحريرها في شكل بطاقات بيداغوجية تعتمد طريقة الحوار بين المكُون و المتربصين. حيث يأخذ هذا الحوار شكل عملية لتوليد الأفكار، أين يفسح المجال واسعا لتدخل المتربصين : فمثلا عند تناول محور « الأعمال الوحشية للمتمردين » كانت تتم إحالة الكلمة للمتربصين، و بالأخص العناصر "المتلحقة بفرنسا"، الذين يكونون قد شاهدوها أو شاركوا فيها أو تضرروا منها. بحيث تظهر

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, Note de service : Recherche, formation et animation des responsables d'autodéfense, n° 4.302/CAC/5/ETU, Constantine, 19 Décembre 1959, p.2

² - كعينة لذلك، أنظر الملحق رقم : 26، الذي يتضمن برنامج مركز تكوين الدفاع الذاتي بـ: "كريدر" شمال مدينة بوقطب.

³ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, p. 14- 15.

الاستنتاجات المتوصل إليها بعد التوجيه، بإدانة الأعمال مثلا، و كأنها ثمرة جهد خالص من المتربصين و ليست نتيجة لعملية حشو فكري عقيم (bourrage de crâne) من مُكوّنِيهِم¹.

في هذا القسم الخاص بالتكوين الإيديولوجي، تهيمن فكرة "التقدم" (Le Progrès)، على البرنامج التكويني بأكمله، حيث يتم تقديمها للمتربصين من خلال عرض مفاهيم أساسية حول التطور التاريخي والجغرافي والاقتصادي للجزائر. و كان يعوّل عليها كشعار يتم رفعه في وجه الكلمة-الأمر "الاستقلال" التي ترفعها جبهة التحرير. و يبدو أن هذه الفكرة قد لاقت على العموم ترحيبا كبيرا من لدن المتربصين: « فأغلب المتربصين يتقبلون عن طواعية بأن كلمة-الأمر: الاستقلال، لجبهة التحرير تغض الطرف عن عدد كبير من المشاكل المستعجلة و العويصة المطروحة في الجزائر، في حين أنه لا شيء يهدد الحرية السياسية للمواطنين أكثر من البؤس و انعدام الاستقرار الاقتصادي و الحاجة إلى طلب الإعانة من الخارج، التي لن تكون بحال مجانية »². إلا أن فكرة التطور هذه، حتى و إن فهمت من لدن المتربصين، فقد ظل يكتنفها شيء من العمومية و التجريد في أذهانهم، كما صعب تمثيلها بمنجزات مادية و ملموسة كالمدياع و الكهرباء و الهاتف و السيارة و غيرها... لأن الخيط الأصلي للمتربصين خال منها تماما. فكانت لذلك فكرة التطور غير قادرة بذاتها على أن تمثل "قوة تعبوية" (force mobilisatrice)، تبعث على العمل و المبادرة، فوجب لذلك أن تُطعم و أن تُسند و أن تُقام على فكرة أخرى قوية، تستجيب بدورها لتطلع عفوي يصدر من أعماق الأفراد و الجماهير، آلا و هي الأمن و السلم: « ففي الوقت الحالي هناك شعار واحد قادر على محاربة دعاية المتمردين آلا و هو السلم. لذلك فإنه من المناسب استغلال هذا الشعار إلى أقصى حد خلال هذه التربصات، مُظهريين و مُبَيِّنِينَ أن استتباب الأمن هو هدف فرنسا الأول. و بما أن لكل شيء ثمنه فكذلك للسلم ثمنه. فالسكان يمكنهم و يجب عليهم أن يلعبوا دورا حاسما في إرسائه. عندئذ تأتي فكرة التطور لتطعم على فكرة السلم »³. و من هنا يُستدرج المتربصون لاستنتاج فكرة واحدة، تبدو منطقية في أذهان الجميع، آلا و هي ضرورة تعاون "الجميع" على إحلال السلم بأسرع ما يمكن للشروع بعد ذلك في عملية التطوُّر.

كما جرى أيضا العمل على التمكين لأفكار أخرى، من بينها :

- الربط بين الثورة الجزائرية و الشيوعية العالمية، و جعلهما وجهين لعملة واحدة، و بالتالي ضرورة التعاون معا على محاربتهما. لذلك كان يتم التركيز على عمق الوشائج التي توحد بين الحضارتين الغربية و الإسلامية، و منها تعلقهما المشترك بقيم الروح و الأسرة، هذه الأخيرة التي تعتبر الحاضنة و الحامية للحرية الفردية : « فالمسلمون يستشعرون بحساسية عفوية خطورة التهديد الذي تمثله

¹ - الملحق رقم 27 : يقدم عيّنة على عمليات غسل الدماغ و الحشو المعنوي (endoctrinement) الذي كان يتم ممارسته على المتربصين بمراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي.

² - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ, septembre 1960, p.10.

³ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ, septembre 1960, p.10. ; SHAT, 1H 2575/d.2, Rapport sur les nouvelles fiches d'instruction destinées aux Centres de Formation des Auto- Défenses, 19 septembre 1960, p. 1.

الإيديولوجيات الشمولية لمثل هذه القيم. لذلك، من السهل علينا أن نبين ضرورة النضال المشترك للدفاع عن هذه القيم المشتركة»¹. و بخصوص هذه النقطة، سجل عند العديد من المتربصين رفضهم المستمر بأن يكون "المسلم" شيوعيا، حتى ولو كان من «المتمردين»².

- التركيز على الأهمية الاقتصادية الحيوية للجزائر في البقاء مرتبطة مع فرنسا، لأن انفصال الجزائر عن فرنسا لن يحل مشاكلها، بل سيخلف وراءه الكثير من المتاعب الاقتصادية: « فعدد كبير من المتربصين سبق له العمل في فرنسا. و هم لا شك يحملون الرغبة في رؤية المستوى الحياتي للجزائريين يقترب من المستوى الحياتي للفرنسيين. لذا فهم يدركون بسهولة الكارثة الاقتصادية التي تمثلها منطقة ما، كبلاد القبائل، عملية وقف تصدير اليد العاملة نحو المتروبول. و هي حجة يجب إثراؤها و توظيفها للغاية، لأنها تمس نقطة ضعف هامة في دعاية المتمردين، هذه الدعاية التي تطبق الصمت باستمرار على النتائج الاقتصادية للاستقلال»³.

- القسم الثاني من البرنامج، خصص للمسائل الإدارية و السياسية، كدراسة النظام السياسي لفرنسا و الأسس التي يقوم عليها. كما كان يتم تناول الحياة الإدارية و الاقتصادية للعمالة و بالأخص البلدية. و لإثراء هذا القسم من البرنامج و جعله برنامجا عمليا أكثر منه برنامجا نظريا، برنامجا يستجيب للمستوى الفكري المتواضع للمتربصين، تم تدعيمه بزيارات ميدانية لورشات و قرى، و منشآت و بنايات حديثة. كما كان يتم القيام بإجراء تمارين تطبيقية: كتسيير ميزانية بلدية مثلا أو تنظيم انتخابات محلية. و من ذلك أيضا، أنه كان يتم أخذ المتربصين إلى قرية من القرى و مطالبتهم، بعد القيام بدراسة سريعة لها، برصد احتياجاتها و ضبط قائمة للأولويات المستعجلة، و وضع برنامج عمل عاجل يتم تسطيره على ضوء ما توفر بها من يد عاملة و وسائل و امكانيات مالية و مادية⁴.

- أما القسم الثالث و الأخير من هذا البرنامج فكان يخصص لتناول فكرة المسؤولية: فالشخص أيا ما كان، فهو ينتمي إلى عائلة، إلى قرية، إلى بلد، و له مع كل واحد من هذه الثلاث مسؤوليات يجب عليه تحمُّلها. لبتهم، انطلاقا من هذه الفكرة و بصفة آلية، العروج إلى فكرة الدفاع الذاتي، التي يتم تناولها من جانبين: « جانب إيديولوجي يهدف إلى مناهضة دعاية المتمردين بقول الحقيقة؛ و الجانب الثاني هو جانب مسلح لإبطال سلاح الخوف و الترهيب الذي يتسلط به المتمردون على السكان بالقرى»⁵. و في هذا القسم يتلقى المتربصون تدريبا شبي عسكري، يُمكنهم من استعمال بعض الأسلحة و التدرب على المهام التالية: الرماية، تنظيم عمليات للترصُد و المراقبة، تنشيط فرق الدفاع الذاتي، تنظيم السكان و مراقبتهم، البحث عن المعلومات العملياتية و النفسية... إلى غير ذلك من التدريبات التطبيقية التي تُعين المتربص بعد تخرجه على الإمساك بزمام الأمور بدواره أو عرشه⁶. و في كل ذلك، فإن عمق التكوين

¹ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ, septembre 1960, p.10.

² - SHAT, 1H 2575/d.2, Rapport sur les nouvelles fiches d'instruction destinées aux Centres de Formation des Auto- Défenses, 19 septembre 1960, p. 3.

³ - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ, septembre 1960, p.10.

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

⁵ - المصدر السابق، ص. 9.

⁶ - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, p. 16- 17

يكن في ما سيتحصل عليه المتربص من تجارب خلال عمله في الميدان، و في ما تكتسبه مبادراته من تدرج في التعقيد، فهي تبدأ بسيطة لتتطور فتصبح أكثر تعقيدا و أكثر هجومية¹.

خلال هذا التكوين، كان يتم الاستعانة بجميع الدعائم البيداغوجية المتاحة التي تبسط البرنامج و تُرسخه في الذهن. من ذلك : عرض الأفلام و الصور، الاستماع إلى أشرطة صوتية، تنشيط حوارات موجهة، القيام بزيارات ميدانية إلى معامل و ورشات. كما كان يراعى في تنظيم هذه التربصات تحقيق شروط إقامة مثلى للمتربصين، أكثر بكثير مما اعتادوا عليه : فهناك وجبات متنوعة و غنية، و هناك وسائل ترفيهية كثيرة، و كل ذلك ليس عبثا : « لأنه من المهم إعطاء مسؤولي القرى الرغبة في الترف و العيش الحسن و الاقتراب من أسلوب الحياة الفرنسية. و بما أن الأمر يتعلق بنخبة يتم تكوينها، فإنه يجب على مسؤولي القرى، مسؤولي المستقبل، أن يعوا بأننا نعتبرهم كذلك. كما أن الأمر سيكون كارثة إذا لم يرى المشاركون في هذا التكوين غير عمل متعب و شاق (corvée) . بل على العكس، يجب أن يرى فيه المشاركون خطوة و امتيازًا حُصِّوا بهما دون غيرهم. كما أن هذه الخطوة و هذا الامتياز ينطويان على مسؤوليات و التزامات لدى من حظي بهما، لأن نتيجتهما الطبيعية هي الزيادة في الرفعة و المكانة و القدر للمعني بين سكان قريته »². هذا، و نشير إلى أن التربصات الأخيرة قد شهدت تدني واضح في مستوى المتربصين، سواء من حيث المؤهلات الفطرية أو المعرفية بعد أن تم استنفاذ الريف الجزائري من خيرة عناصره الذين أرسلوا للتربص خلال الدفعات الأولى، مما صعب لاحقا عملية تكوين الدفعات التالية بسبب الإضطرار إلى تكييف البرنامج مع مستوى كل دفعة³. علما أنه بانتهاء التكوين كان من المفترض أن يصبح المتربص قادرا على:

- نسج تنظيم سياسي و إداري على نمط تنظيم جبهة التحرير، سري أو علني، بوسطهم الأصلي؛
- تشكيل و تدريب و قيادة نواة مسلحة تتولى حماية هذا التنظيم و المساهمة في محاربة تنظيم الثورة، و ذلك بتنظيم شبكة للاستعلامات و العمل على محاربة الثورة بالتعاون مع قوات الجيش و تنفيذ أوامر السلطات العسكرية و المدنية المعنية؛
- تنظيم و تربية السكان بالريف من أجل:
- الجزّ بهم في مسعى محاربة الثورة؛
- تحضيرهم لاستحقاقات انتخابية مقبلة؛
- تحضيرهم للمساهمة في بناء "الجزائر الجديدة" من خلال «تغيير الطابع و الذهنيات»⁴.

أخيرا، لنا أن نتساءل عن حقيقة الولاء الذي يمكن أن تنتجه ثلاثة أسابيع من " التكوين"، و هل تكفي هذه الأسابيع لتصنيع خائن ؟ و لنا أيضا أن نتساءل عن صحة و صدق الانخراط الذي يفرض فرضا على

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, p3.

² - SHAT, 1H 2575/d.2, Point de Départ, septembre 1960, p.8- 9.

³ - المصدر السابق، ص. 7- 8.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 Septembre 1957, p.1

النفوس و تُداسُ به القناعات المبدئية لأصحابها ؟ وأخيرا، لنا أن نتساءل أيضا عن شعور و مواقف هؤلاء "المنخرطين" الذين تم الجرُّ بهم رغما عنهم في معركة لضرب ثورة منهم و إليهم، و التي هي نتاج واقع مؤلم هم يعيشونه و يعانونه. لا شك أن الشعور بالخيانة و الذل كان قويا عند الكثيرين منهم : « يجب أن يكون مفهوما لدينا بأن السعي إلى تصنيع "خونة" ضد الثورة، في الوضع الذي آلت إليه الأمور، هو أمر يعتبره الكثيرون بمثابة إرادة جديدة لإهانة المسلمين مرة أخرى، من خلال تحويلهم ليس فقط إلى مجرد بني-نعم و لكن إلى أخطر من ذلك، إلى خونة »¹. و هو الشعور الذي كان ولا شك وراء عودة و التحاق عدد من هؤلاء المتربصين بالثورة².

المطلب الرابع : إعادة زرع المتربصين بوسطهم الأصلي بعد التكوين

مباشرة بعد انتهاء التربص، كان يتم الشروع في عملية زرع المتربصين، مسؤولي المستقبل، في وسطهم الأصلي. التعليمات العامة رقم: 6، بتاريخ 5 مارس 1957، حددت الخطوط العامة للترتيبات الواجب اتخاذها لعودة هؤلاء³. هذه الترتيبات فصلتها بدقة متناهية تعليمات أخرى بتاريخ 8 سبتمبر 1957⁴. تتمثل أولى هذه الترتيبات في تسليم المتربص، الذي أصبح مسؤولا، إلى قيادة القطاع العسكري الذي يتبع له بوسطه الأصلي، مع ملف كامل عنه يتناول استعداداته و مؤهلاته. بعد ذلك، تتولى قيادة القطاع تعيين ضابط كفاء، الذي يمكن أن يكون ضابط النشاط النفسي، أو الضابط المتنقل أو حتى ضابط لاصاص. و في كل الأحوال يجب أن يتوفر هذا الضابط على مزايا عالية، من حيوية و اعتدال و برودة الدم، و معرفة عميقة بمبادئ الحرب الثورية التي يطبقها الثوار الجزائريون، ليكون "ضابطا مُنَشِّطا و مُحَرِّكا" (Officier Manipulant) لهذا المسؤول، ليتولى ترتيب عملية عودته و زرعه بوسطه السكاني ثم تنشيطه، بمنحه التعليمات و مراقبته و توجيه نشاطه و استغلال نتائجه و البقاء على اتصال دائم معه. و هو ما يستدعي من هذا الضابط المُنَشِّط فتح ملف خاص لديه عن هذا المسؤول لمتابعة نشاطه، أين يتم تسجيل كل شاردة و واردة عنه، بما في ذلك الأوامر التي تلقاها و المهام التي نفذها، و الاتصالات التي تمت معه، و قدراته و نقاط ضعفه إلى غير ذلك من المعلومات. كما يجب عليه أن يجتهد في الحصول على المردودية القصوى من هذا المسؤول الذي يوجد تحت يده⁵. في عملية زرع المسؤول بوسطه السكاني، كان يتم الأخذ بعين الاعتبار بعدد من المعطيات التي تحدد امكانيات حماية هذا الوسط و مراقبة سكانه، و هي نفس المعطيات التي تحدد ظروف عودة هذا المسؤول و ظروف عمله و حمايته في المستقبل⁶. فبالوسط الذي حققت فيه «حرب التهذئة» تقدا هاما، يمكن أن

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Annexe I- Déclarations faites par STAMBOULI Mostépha, (s. d.) 2 p.

² - كعينة على ذلك، أنظر :

- Mansour RAHAL, *Les maquisards*, pages des maquis des Aurès durant la guerre de libération, imprimerie Ech Chourouk, Alger, 2000, p. 281- 282.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive Générale n° 6, 5 Mars 1957, p.3.

⁴ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 Septembre 1957, 6p. + annexe.

⁵ - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 Septembre 1957, annexe.

⁶ - SHAT, 1H 2410/d.1, Plan d'action psychologique pour les mois de Novembre- Décembre- Janvier, 7 Novembre 1959, p. 3.

تأخذ عودة هذا المسؤول مظهرها احتفاليا و ترحيبيا يليق بالفاتحين، لأن هذا الوسط قد تم تحضيره سلفا طيلة أسبوع من التجمعات اليومية، التي أجبر جميع السكان على المشاركة فيها، بما لا يجعل أحدهم معاديا أو غير مكترث بسلطة هذا المسؤول¹. أما بالنسبة للوسط الذي لا يزال خاضعا لنفوذ الثورة، فإن عملية عودة المسؤول و نشاطه يحاطان بالسرية التامة، فلو حدث مثلا أن تم توقيف هذا المسؤول خلال عملية من عمليات المداهمة فإنه سيتعرض للمساءلة و الاستجواب مثله مثل غيره من الموقوفين، إمعانا في الحفاظ على سرية كعميل.

بعد أسبوع أو أسبوعين من البيات الشتوي، تسند إلى المسؤول الجديد بعض المهام المحدودة في مجال الاستعلامات والعمليات، لاختبار مدى ولائه و قياس قدراته، ليتم بعدها بناء على ذلك العهد إليه حسب الاستحقاق بإحدى المهام والرتب التالية: مسؤول سياسي للدوار؛ مسؤول سياسي للعرش؛ مساعد محابراتي للمسؤول السياسي؛ مساعد عسكري للمسؤول السياسي؛ مساعد إداري للمسؤول العسكري؛ أو أخيرا مجرد مُخبر للاستعلامات، بالنسبة للعناصر الأكثر رداءة².

بمجرد تعيين المتربص مسؤولا سياسيا عن الدوار أو العرش، يقوم هذا الأخير، بمعية الضابط المنشط و بعد موافقته، باختيار و تعيين مساعد عسكري له، الذي توضع تحت سلطته نواة للرصد و المراقبة، يتم تسليحها لاحقا بعد التأكد من حسن ولاء عناصرها. يتبع ذلك، باختيار مساعدين آخرين له، واحد للاستعلامات و الثاني للإدارة، ليكونا مع المسؤول السياسي "لجنة الثلاثة" كما هو معمول به في نظام الثورة.

يتولى المسؤول السياسي للدوار تنشيط المسؤولين السياسيين للعرش، و مراقبة مهامهم و نقل التعليمات الواردة لهم من القيادة و إعلام هذه الأخيرة بكل أنشطتهم. حتى إذا ما استشعر هذا المسؤول السياسي قوة التنظيم الذي يشرف عليه و نجاحه في السيطرة على سكان وسطه، شرع عندئذ في تشكيل مجلس الخمسة (Assemblée des Cinq)، و هو عبارة عن مجلس شعبي مصغر، يتم اختيار أعضائه من بين أعضاء المندوبية الخاصة إن كانت موجودة؛ فإن لم يكن لها وجود، اختير أعضاؤه من بين العناصر الأكثر نفوذا بين السكان، ليتم بعد ذلك اعتمادهم كمندوبية خاصة. و قد كان الحرص على اختيار أعضاء مجلس الخمسة من بين أعضاء المندوبيات الخاصة الموجودة، يصدر عن انشغال عميق يتمثل في تفادي وجود نظام هرمي موازي يصطدم في أنشطته مع البلديات: « إن الخطأ الرئيسي الذي يجب أن نتفاداه هو أن نجعل من تنظيم خاص بحفظ الأمن، تنظيما مستقلا تماما عن التنظيم الإداري البلدي. و أخطر منه أن ننصب أحدهما ضدا للأخر. و بتعبير آخر، يجب أن تكون الإدارة المدنية على إطلاع بهذا الإجراء لحفظ الأمن. و بمستويات التداخل، يجب على مكاتب لصاص أن تحرص على التنسيق بين أنشطة الدفاع الذاتي و أنشطة مستشاري البلديات »³.

و على غرار المسؤول السياسي للدوار، يقوم المسؤول السياسي للعرش باختيار و تعيين مساعديه و تشكيل لجنة الثلاثة، ثم مجلس الخمسة بعد أن يتأكد من سيطرته على سكان عرشه. أما مهمته الأساسية

¹ - SHAT, 1H 1113/1, Note sur les responsables de la population, n° 3.066/CAA/5/AE, p.3

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Directive n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 Septembre 1957, p. 3.

³ - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Organisation du Commandement et répartition des responsabilités dans les Auto-défenses et leur rémunération, n° 163/EMI/3/P.H., Alger, 21 Mars 1960, annexe III., p. 4.

فتتمثل في رفع معنويات السكان و المساهمة في تربيته المدنية و السياسية و الجزّ بهم في المعركة إلى جانب فرنسا. كما يجب عليه أيضا إعلام المسؤول السياسي للدوار بمختلف الأنشطة التي يقوم بها و بكل ما يجد من أحداث في عرشه.

لحماية التنظيم السياسي-الإداري أعلاه و الخيلولة دون اختراقه من طرف تنظيم الثورة، كانت تتم مراقبته من طرف مختلف الأجهزة الأمنية و العسكرية الفرنسية. كما كان يتم تعهّد عناصره حتى لا يقعون فريسة للشعور بالعزلة فيضعف إيمانهم في القضية. أو يقعون في الانحراف، مغترين بما لهم من سلطة و نفوذ، فتتسرب إليهم تلك الروح السلبية المتمثلة في " نفسية القايد" (L'esprit caïdal)، بكل ما تعنيه من استبداد و طغيان، فيرتكبون من الأخطاء ما وقع فيه القياد و الباش آغات في الماضي. أو يصبحوا، بفعل الضغوط المسلطة عليهم من الثورة، مجبرين على لعب لعبة مزدوجة، يمتهنون فيها الولاء للطرفين : فرنسا من جهة و الثورة من جهة أخرى... و لأنهم في النهاية مجرد "أسلحة" و جب إذن تعهدهم، مثل غيرهم من الأسلحة الأخرى التي تحتاج كغيرها إلى التعهّد و الصيانة، و إلا تأكلت بفعل الصدأ: « فهذا المسؤول و هذا الناشط، يجب علينا باستمرار، بعد أن نعيده إلى وسطه، أن نتعهده و أن نشد عضده... و أن نؤدي واجباتنا تجاهه. فهذا الذي ينساه، آتراه يغفل عن واجبه بضرورة تعهد سلاحه ؟ فإنما هو سلاح مُنح له، و إنما هو جندي وُضع تحت امرته [...] ». ¹ كما كان يتم تنظيم لقاءات لهؤلاء المسؤولين لرفع من معنوياتهم و تعهد معلوماتهم التي تلقوها في مراكز التكوين لاستدامة أثر التدريب فيهم، بالإضافة إلى تحيين خطط العمل و نشر التعليمات الجديدة. فتكون هذه اللقاءات فرصة لهؤلاء المسؤولين « لكي يعوا ذاتهم و قوتهم تجاه الثورة » ². و على ذكر هذه النقطة الأخيرة، أي تحسيس المسؤولين بذواتهم و بقوتهم، نشير إلى أنه تمت دراسة مبادرة لتأسيس جمعيات محلية لعناصر الدفاع الذاتي، يتم إنشاؤها على مستوى كل قطاع عسكري، لتتوج يوما بإنشاء كونفديريالية على مستوى التراب الجزائري، تظم تحت لوائها كل جمعيات عناصر الدفاع الذاتي السابقة و المُشكّلة من العناصر الجزائرية، بالإضافة إلى "ودايات الوحدات الإقليمية" (Amicales des Unités Territoriales) المُشكّلة من العناصر الأوروبية. أما الغاية من ذلك فهي اتخاذ هذه الكونفديريالية كمنتدى لأصحابها للتعاقد و تبادل المعلومات و الخبرات و كدعامة تساهم في بناء الجزائر الفرنسية الجديدة من خلال جعلها إطارا لتحقيق "المؤاخاة" بين عنصرى السكان ³.

المطلب الخامس : تشكيل فرق الدفاع الذاتي

من بين المهام الأخرى الأساسية المسندة لمسؤولي السكان بعد زرعهم بوسطهم السكاني، هو العمل على تشكيل فرق للدفاع الذاتي بدوّارهم. حيث يتمثل الفكر الكامن وراء تشكيل هذه الفرق في أن تعزيز نتائج « حرب التهذئة » و استدامة آثارها بين السكان لا يمكن تحقيقه إلا بهم و معهم، من خلال حماية ذاتية، إيديولوجية و عسكرية، يؤمنها جهاز ينبثق منهم و يستمد مقومات استمراريته منهم. ذلك أن الاقتصار على

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Stage de formation (secteur) d'agent d'influence, (s. d.), p.3.

² - SHAT, 1H 1113/1, Note sur les responsables de la population, n° 3.066/CAA/5/AE, p.3

³ - SHAT, 1H 2575/d.1, Etude : "Union d'Auto- Défense" dans les Secteurs d'Algérie et du Sahara, (s. d.).

الحماية العسكرية التي يؤمنها الجيش الفرنسي ستنتهي به على المدى الطويل إلى تبيد قواه و تضر بحرية حركيته و فعاليته : « إن كل جهود التهدة ستظل عقيمة و لا غدا لها إذا لم يتم، داخل السكان و بـ " التأطير الذاتي"، خلق تنظيم من خالص مادتهم. حيث لا يكون عناصره مجرد "متعاونين" خاضعين و لكن "مقاومين" حقيقيين، واعون بذلك و يُعرفون كذلك »¹.

و لذلك فإن إنشاء فرق للدفاع الذاتي بين السكان هو بمثابة ذرع مسلحة، توفر الحماية العسكرية و تُكمل حمايتهم الإيديولوجية التي يوفرها التنظيم السري المزروع فيهم. و هذان النوعان من الحماية يقتضيهما الواقع الجزائري : « إن هذا الدفاع الذاتي لا يجب تصوره من زاوية بدنية فقط، و إنما أيضا من زاوية نفسية. فالسكان الذين لا يتوفرون على تنظيم، يمثلون أرضية خصبة لحركة الهدم و التخريب [la subversion] و فريسة سهلة لها. و هو حال الجماهير الجزائرية، التي يزيد تنوع و تقلب عناصرها المكونة لها في خطورة وضعها »².

و هذه العملية، أي إنشاء فرق للدفاع الذاتي، هي عملية مهمة في ذاتها، لأنها تمثل تنويجا للجهود السابقة في مسعى السيطرة على السكان، و هي مؤشر قوي للدلالة يمكن من خلاله الحكم بنجاح أو فشل كل الجهود السابقة في مسعى تنظيمهم للزج بهم في معترك الحرب ضد الثورة : « إنها تمثل - [أي عملية تشكيل فرق الدفاع الذاتي] - النهاية الأخيرة لكل عملية تهدة، باعتبار أنها تترجم إرادة السكان في القتال إلى جانبنا و الدفاع عن أنفسهم ضد التمرد. لذلك، و على منوال المنحنى الذي ترسمه عملية نمو الدفاع الذاتي بقطاع ما فإنه يمكن قياس درجة التقدم التي حققتها حرب التهدة في هذا القطاع »³. و لأن تشكيل هذه الفرق هو مؤشر بالغ الدقة و الحساسية، فقد كانت المصالح النفسية للجيش تحرص ظاهرا على أن يكون هذا المؤشر صادقا في دلالته، يجعل إنشاء فرق الدفاع الذاتي مبادرة و مطلبا صادرين عن السكان أنفسهم و ليس مبادرة تملى عليهم من أعلى : « يجب أن لا يُتخذ قرار تشكيل فرق الدفاع الذاتي بطريقة استبدادية. بل يجب أن يكون مطلبا واعيا صادرا عن السكان أنفسهم. فبذلك يلقي أعضاؤه الترحيب و الاعتبار الذي يليق بكل من سبل نفسه و حياته لأجل القضية التي يخدمها. و بهذا يقوم السكان من تلقاء أنفسهم بطرح و رفض خمائر جبهة التحرير التي قد تحاول العودة يوما ما. فالدفاع الذاتي هو نفسي بقدر ما هو بدني »⁴. علما أن مفهوم الدفاع الذاتي هنا هو مفهوم أوسع من أن يُحصر في تسليح عدد معين من الرجال، إنه أكثر من ذلك بكثير، إنه التزام و انخراط يلزم جميع السكان، يبدأ في شكل حركة تموجية لا متناهية مصدرها "نواة مسلحة" ليصل إلى آخر إنسان في الدوار، تماما كالحركة التي يخلفها وقوع حجر في الماء : « إن التقدم في التهدة يجب أن يترجم بانخراط كل الرجال المؤهلين بالوسط السكاني المعني في الدفاع الذاتي. و سيكون من العبث، بل و من المستحيل، تسليحهم جميعا. و لكن يجب إدراج كل المتطوعين في الدفاع الذاتي. و بهذه الخصوص، يمكن لكل حامل للسلاح أن يختار

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, p.1

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962، علبة رقم : 02،

Note de service : Pacification et organisation des population, n° 19.019/CIS/RMS/3.PH., Reggan, 2 Décembre 1961, p.7.

⁴ - SHAT, 1H 2538/d.1, *Instruction pour la pacification en Algérie*, p. 81.

شخصيا خلفا أول له، و هذا الأخير يختار لنفسه خلفا ثان... و هكذا، يتم نسج شبكة من الالتزامات الشخصية المبنية على (مسؤولية السلاح) فيتعزز تضامن المجموعة «¹. أما الغاية من وراء ذلك فتمثل في الآتي : أولا تجنب كل عملية لتصفية الحسابات و التي قد تقع لاحقا بين المشاركين و غير المشاركين، و هذه الصيغة تم تطبيقها بالحي العسكري بعين ماضى - الأوغاوط و أعطت نتائج حازت على رضا القيادة². والثاني هو إمكانية استخلاف الجيش بهذه الفرق، بما يخفف الأعباء عنه و يسمح له بنقل قواته للعمل بمناطق أخرى، و هو أمر ممكن جدا : « ففي بعض القرى التي استكمل فيها التنظيم، لم يبق متواجدا بها إلا المدرّس العسكري، الأوروبي الوحيد، يحرسه بوفاء سكان القرية الذين أصبحوا يؤمنون دفاعهم الذاتي بأنفسهم. و غير بعيد عنه توجد امرأة، هي أرملة لمتنرد، تُعلم غيرها من النسوة الخياطة و الحياكة. فمثل هذه القرية قد أصبحت ممتنعة عن المتنردين »³.

تفاصيل عملية تشكيل هذه الفرق و تحديد مساهمتها في الجهود الحربية للجيش الفرنسي، و كذا تحديد التعويض المادي لأعضائها في مقابل ما يقدمونه من خدمات، تضمنتها مذكرتين صادرتين عن المكتبين الثالث و الرابع، بتاريخ 2 ديسمبر 1959 و 21 مارس 1960⁴ على التوالي: ففي كل الأحوال لا يمكن الشروع في تشكيل هذه الفرق بوسط ما إلا بعد رصد حالة تطور إيجابية موافقة في المجالين العسكري و النفسي، تتحدد أهم ملامحها في: أولا توجيه ضربة قاضية إلى وحدات جيش التحرير الوطني المتواجدة بالمنطقة، ضربة تُضعفها و تُفرقها إن لم تقضي عليها كلية. مع النجاح أيضا و لو جزئيا في تفكيك و توقيف نشاط الخلايا الثورية الناشطة بهذا الوسط؛ ثانيا دراسة الوسط السكاني المعني و إعلام عناصره و انتقاء و تدريب إطاراته. كما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الشروع في تشكيل هذه الفرق: أولا تقدير خطر التهديد المحتمل الذي يمكن أن تفرضه على السكان قوة عسكرية من الثوار، تشن هجوما من الداخل أو من الخارج. ثانيا تقدير امكانيات الجيش الفرنسي و سرعة تدخله عند إطلاق صفارة الإنذار. و أخيرا الأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الخاصة للأهداف التي تجب حمايتها و الدفاع عنها، و منها: المساحة السكنية، عدد السكان، المنافذ، الأهداف الاقتصادية كالمساحات الزراعية و قطعان الماشية بالمراعي و غيرها... و في كل الأحوال، لم يكن ينتظر من هذه التشكيلات تقديم مجهود حربي كبير ضد الثورة، لأن امكانياتها و نوعية تدريبها لا يؤهلانها لذلك، كما أن اعتماد وحدات جيش التحرير الوطني لأسلوب حرب العصابات و ما تتمتع به وحدات هذا الجيش من بسالة و ضراوة قتالية، سيجعل من هذه الفرق لقمة سائغة و سهلة لها. لذلك، كان غاية ما ينتظر من هذه

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, p.3

² - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962، علبة رقم 02:

Note de service : Pacification et organisation des populations, n° 19.019/CIS/RMS/3.PH, Reggan, 2 Décembre 1961, p. 7.

³ - SHAT, 1H 2575/d.1, Directive d'action psychologique : Organisation des population, n° 213/CIS/5, Alger, 11 Janvier 1960, p.3.

⁴ - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, 7p. + annexe ; SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Organisation du Commandement et répartition des responsabilités dans les Auto- défenses - leur rémunération, n° 163/EMI/3/P.H., Alger, 21 Mars 1960, annexe I et III.

التشكيلات هو أن تكون نظام إنذار للجيش الفرنسي و أن تكون عند الإمكان، قوة دفاعية تؤمن الصمود و المقاومة عن الدوار أو القرية لمدة نصف ساعة من الزمن، و هو نظريا الوقت الكافي لوصول و تدخل القوات الفرنسية. و في الغالب كانت مساهمة فرق الدفاع الذاتي تأخذ الشكل التالي : ففي حالة هجوم ما لوحدات جيش التحري على قرية "تبنت" الدفاع الذاتي، فإن أول ما يبادر إليه عناصر هذا الدفاع هو إخفاء أسلحتهم بالمخابئ المعدة خصيصا لذلك، لتنتقل بعد ذلك مجموعات منهم في اتجاهات مختلفة لإخطار الجيش الفرنسي. حتى إذا وصلت أولى قوات التدخل و بدأ جنود جيش التحرير الوطني في الانسحاب قامت عناصر الدفاع الذاتي الباقية بتعقب جنود جيش التحرير لمعرفة و تحديد مخابئهم، لتساهم بعد ذلك إلى جانب الجيش الفرنسي في عملية مطاردتهم¹. هذا، و تجدر الإشارة إلى أن الإنخراط بفرق الدفاع الذاتي لا يدر دخلا قارا على عناصره، اللهم إلا رئيس الفرقة و واحد أو اثنان من معاونيه. أما الباقي فلا يستفيد في أحسن الأحوال إلا من بعض المكافآت على ما قدموه من أعمال « بطولية » ضد الثورة².

و لكن ما مدى النجاح الذي حققه الفرنسيون في هذا الشأن ؟ هنا أيضا، نجد أنفسنا أمام نفس الصعوبة التي واجهتنا في تحديد عدد مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي و عدد خريجيها. فالوثائق التي اطلعنا عليها تكاد تكون غالبا مجرد مسودات لم تبيّض و لا يمكن اتخاذها كإحصائية رسمية. هذه الأرقام، و بالأخص المتعلقة بالسنوات 1956 - 1959 هي في بعض الأحيان من التضارب بحيث يصعب التوفيق بينها. و هذا بخلاف الأرقام المتعلقة بسنتي 1960 و 1961 التي يمكن التعميل عليها و الركون إليها.

أولى الأرقام عن هذا المجهود، تتعلق بسنة 1956، فبنهاية هذه السنة، بلغ عدد الفرق التي تم تشكيلها 185 فرقة للدفاع الذاتي³. ليرتفع هذا الرقم بتاريخ 1 نوفمبر 1957 إلى 313 فرقة تضم 6059 منخرط⁴. و بالنسبة لسنة 1959 فنحن لا نتوفر إلا على إحصائية تتعلق بالناحية العسكرية للجزائر الوسط. فبحلول جوان من هذه السنة كان عدد فرق الدفاع الذاتي بهذه الناحية يقدر بـ 312 فرقة بحوزتها 5761 قطعة سلاح، تتوزع ما بين 1.695 بندقية صيد و 4.066 بندقية حربية. و هو ما يمثل نظريا أكثر من 28.000 منخرط، إذا أخذنا في الاعتبار أنه كانت تُسلم قطعة واحدة لكل خمسين منخرط⁵.

أما بالنسبة لسنة 1960، فإن الملحق رقم : (29) يبيّن التطور العددي الشهري لهذه الفرق ما بين شهري جانفي و أكتوبر لهذه السنة بكامل الجزائر و الصحراء. فبعد أن كان عدد هذه الفرق لا يزيد عن 1.451 فرقة، تطور هذا العدد ليصل إلى 1.993 فرقة، أي بزيادة تقدر بـ 542 فرقة خلال نفس السنة⁶.

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 4.

² - SHAT, 1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, p.5

³ - SHAT, 1H 2538/d.1, Le problème de la pacification, 3.12.1956, p. 4.

⁴ - Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et réformes, op. cit., p. 39.

و وثيقة أخرى حددت هذا الرقم في نهاية 1957 بـ : 351 فرقة، تضم 6277 منخرط. المصدر :

SHAT, 1H 2581/d.2, Fiche à l'attention du Colonel Chef du 2^{ème} Bureau de l'E. M. A., (fin 1957), p. 2

⁵ - أنظر الملحق رقم : 28.

⁶ - أنظر الملحق رقم : 29.

ليرتفع هذا الرقم الأخير بنهاية السنة إلى 614 فرقة¹. و ما يشد الانتباه في هذا التطور هو الوتيرة المتصاعدة و الشبه منتظمة في زيادة هذه الفرق خلال هذه السنة، بمعدل يزيد عن خمسين فرقة في كل شهر. مما يجعل سنة 1960، سنة مشهودة في ارتفاع عدد هذه الفرق بكامل القطر الجزائري. و هذه النتيجة نعوزها إلى الشوط الكبير الذي قطعتة عملية تنظيم السكان، بعد أن تمت الاستفادة من الدفعات الكبيرة لخرجي مراكز تكوين مسؤولي السكان. و قد توزعت الزيادة أعلاه كالتالي :

- فبالناحية العسكرية للجزائر الوسط، بلغ عدد فرق الدفاع الذاتي المشكلة خلال هذه السنة 179 فرقة، ليرتفع عددها الإجمالي بتاريخ 15 أكتوبر 1960 إلى 713 فرقة و هو ما يمثل 21.572 منخرط و ترسانة أسلحة تقدر 11.399 قطعة، موزعة ما بين 7.249 بندقية حربية و 4.150 بندقية صيد².

- أما بالناحية العسكرية لوهران: فقد شهدت هي بدورها ارتفاعا مطردا في عدد هذه الفرق قدر ب 222 فرقة: فبعد أن كان عددها لايزيد في الأول من جانفي 1960 عن 447 فرقة و 14.822 منخرط، ارتفع عددها بنهاية السنة إلى 669 فرقة ب 30.447 منخرط و ترسانة تقدر ب 5.065 قطعة سلاح³.

- و أخير بالنسبة للناحية العسكرية لقسنطينة : فبعد أن كان عدد هذه الفرق هو 458 فرقة في بداية السنة ، إرتفع إلى 637 فرقة في الأول من ديسمبر 1960، أي بزيادة تقدر ب 179 فرقة. و هو ما رفع عدد المنخرطين إلى 11.597 منخرط، يتوفرون على ترسانة أسلحة تقدر ب 6.594 بندقية صيد و 4.979 بندقية حربية⁴.

- أي بحصيلة نهائية تقدر ب : 2.019 فرقة و 63.616 منخرط و 28.037 قطعة سلاح. و هذا بدون إدراج الصحراء.

أما بالنسبة لسنة 1961، فإننا نتوفر على رقمين متضارين : الأول و يخص تعداد هذه الفرق بحلول شهر فيفري 1961، الذي بلغ 2.107 فرقة بإجمالي 65.850 منخرط منهم 29.270 منخرط يتوفرون على قطعة سلاح⁵. و هو رقم نتقبله لقربه من الأرقام أعلاه. أما الرقم الثاني فيخص تعداد هذه الفرق بتاريخ 25 أكتوبر 1961، حيث تراجع عدد هذه الفرق إلى : 1.499 فرقة، بإجمالي 42.950 منخرط، مسلحون ب : 10.428 بندقية صيد و 11.181 بندقية حربية⁶. أي بتراجع يقدر بالثلث على مدى سبعة أشهر، تراجع يقدر ب 520 فرقة و 22.900 منخرط. و هو أمر ممكن جدا لأن الظرف حينئذ كان يؤدن بقرب الاستقلال.

¹ - SHAT, 1H 2553/d.1, (Sans titre précis: III Pacification), (fin 1960)

² - أنظر الملحق رقم : 30.

³ - SHAT/d.1, 1H 2460/d.1, (Sans titre précis : rapport sur le Corps d'Armée d'Oran), (fin 1960).

⁴ - SHAT, 1H 2553/d.1, Bulletin annuel des activités des Forces de l'Ordre dans le Corps d'Armée de Constantine, Annexe 1960, (s. d.).

⁵ - SHAT, 1H 2538/d.1, Participation des F.S.N.A. à la pacification, (Février 61).

⁶ - أنظر الملحق رقم : 31.

أخيرا، يبقى التساؤل مطروحا حول الحجم الحقيقي لمساهمة هذه الفرق في الجهود الحربية الفرنسية و دورها في تعطيل مسار الثورة و الاستقلال، و بالأخص أن حجمها العددي كان يضاهاى عدد المجاهدين في الجبال.

المبحث الثالث : التنظيم الأفقي للسكان

بالتوازي مع التنظيم العمودي الذي كان يتم نسجه بين السكان، كان يجري نسج تنظيم أفقي-اجتماعي، يهدف إلى استقطاب و استيعاب جميع شرائح السكان ضمن فيئات كبرى ثلاث، هي : فئة النساء، لأنهن يمثلن نصف المجتمع؛ فئة الشباب لأنهم يمثلون المستقبل؛ و أخيرا، فئة قدماء المحاربين، كفتنة لها ماض متميز في خدمة فرنسا.

المطلب الأول : النشاط النفسي على المرأة الجزائرية

يندرج النشاط النفسي على المرأة الجزائرية ضمن النشاط النفسي على الشعب الجزائري ككل. و لأنها تمثل نصفه، ولأنها عامل استقرار وسلم فيه، فإنه من شأن استهدافها بنشاط نفسي مُركز أن يتم بلوغ نتائج تخدم أهداف « حرب التهذئة » و تتعدى آثارها الإطار الوحيد لهذه المرأة. و من ثمة، فإن النشاط النفسي الذي كان يتم تسليطه على المرأة الجزائرية، ما هو إلا جبهة من جبهات النزال، فتحتها الفرنسيون ضد الثورة لكسب ما يسمونه بمعركة النفوذ على السكان.

تتمثل الخلفيات الكامنة وراء اتخاذ الفرنسيين المرأة الجزائرية ميدانا للنزال مع الثورة في أن الحل الأخير للمشاكل الجزائري لن يكون عسكريا بحتا، بل سيكون سياسيا أيضا و بواسطة الصناديق يوما ما. و أن خير وسيلة للاستعداد لهذا اليوم ستكون بالشروع في التحضير له منذ الآن، بإعداد النفوس و تهيئتها لكسب أصواتها في ذلك اليوم المشهود. و من يقل السكان فهو يقل أيضا و بالضرورة المرأة، التي تمثل نصف المجتمع : « إن الوسيلة الأضمن للتحضير للانتخابات هي البدء في إعداد و تحضير النفوس لها من الآن. و هذا الإعداد و التحضير للنفوس لن يتحقق إلا إذا توفرنا على فكرة ثورية بسيطة، تتمثل في أمرين: الأول تحرير الجماهير من الأحكام المسبقة و من البؤس؛ و الثاني العمل على تحرير المرأة »¹. و هذا "البرنامج" هو - بزعم الفرنسيين- ينطوى على تحد ثوري كبير لا يمكن للثورة، على ثورتيتها، تبنيه و لا رفعه. فالثورة، بالنسبة لهم، هي مجموعة من العناصر البرجوازية التي لا رابط يربطها بالفئات الكادحة و التي لن تقدم لها شيئا. و هو الموقف نفسه بالنسبة للمرأة، التي -بزعمهم- لن تقدم الثورة لها شيئا يذكر، لأنها قد رهنت سلفا كل مبادرة من جانبها في هذا الاتجاه، و بالأخص بعد أن أصبحت صفوفها مثخنة بأعداد وافدة من جمعية العلماء المسلمين، التي لن تسايرها أبدا في مسعى تحرير المرأة².

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 2.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 2 ; SHAT, 1H 2536/d.1, Conditions générales de l'Opération "Pilote", 24 Février 1957, p. 1.

و من هنا، فإن المرأة الجزائرية هي، بالنسبة للفرنسيين، ميدان سجل سهل مع الثورة، حيث يمكنهم و بكل سهولة أخذ زمام المبادرة و تسجيل العديد من النجاحات ضدها، و كسب المرأة الجزائرية إلى صفهم، و بالأخص أن هذه المرأة لم تُعد بمنأى عن مؤثرات حركات التحرر النسوية التي مست العديد من الأقطار العربية و الإسلامية. كما أن الواقع المزري و المعاناة اللذان تعيشانهما هذه المرأة كفيلا لوحيدهما يجعلها أكثر حساسية و تطلعا إلى «التحرر» من غيرها. لذلك، كانت أولى المهام المناطة بالنشاط النفسي المطبق على المرأة الجزائرية، هو خلق و شحذ و تعميق "الرغبة في التحرر" لديها، ليتم بعد ذلك استغلال هذه الرغبة و تحويلها إلى أداة تُسخر في خدمة أهداف الحرب النفسية. و ذلك وفقا للإطار العام الذي حددته توجيهات الوزير المقيم روبرت لاكوست المتضمنة في تعليمته رقم : 04 بتاريخ 3 أبريل 1957، التي جاء فيها : «إننا نعتزم فعلا، خلال السنوات القادمة، وبالتدرج، مساعدة الجماهير الغارقة في الجهل و التي تعيش على هامش محاسن الحضارة الحديثة، على التحرر من أفكار التخلف و معوقات البؤس. بما يساعد شيئا فشيئا على خلق جو يشجع الشريحة النسوية على القيام بنفسها بالمطالبة بالتغييرات التي تفرضها الحياة العصرية و دواعي التحرر. لذلك سيكون من الأنسب العمل منذ الآن على شيوع مثل هذا الجو. و قد طلبت حاليا دراسة الامكانيات المتاحة، على المستوى القانوني، لإجراء تعديل في الوضعية القانونية للمرأة المسلمة»¹.

من هذا النص يستفاد أمران :

- الأول : ضرورة العمل على خلق و بروز نواة لـ " حركة نسوية جزائرية " تنبثق من الوسط النسائي الجزائري، تأخذ على عاتقها المطالبة و الدفاع عن حقوق المرأة الجزائرية، و ذلك من خلال العمل على « تحسيس النساء الجزائريات بسوء أوضاعهن و جعلهن يكتشفن الطريق التي يجب عليهن سلكها مع فرنسا للوصول إلى التحرر»². و هذا أمر حيوي و شرط أساسي، يتوقف عليه كل ما يمكن اتخاذه لاحقا من مبادرات سياسية في مجال «تحرر» المرأة الجزائرية، لأن : « وزير الجزائر لا يمكنه اتخاذ أي قرار خاص بتحرر المرأة، ما لم تقم المرأة الجزائرية بالتعبير صراحة عن هذه الرغبة »³. و هي المهمة التي تم إسنادها إلى الفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة و حركات الدوائر النسوية.

- الثاني أن التشريع بمختلف النصوص القانونية هو أيضا وسيلة ستوظف في خدمة الحرب النفسية. و هو ما لجأت إليه فعلا فرنسا عندما استصدرت عدد من النصوص القانونية لـ «التعديل» من الوضع القانوني للمرأة الجزائرية داخل مجتمعها، و التي كان من أهمها الأمر رقم 274-59 بتاريخ 4 فيفري 1959 المتعلق بتنظيم الزواج المتعاقد عليه بالجزائر و العمالتين الصحراويتين، بين الأشخاص الخاضعين للنظام المحلي. حيث حددت أحكام هذا الأمر السن القانونية للزواج بثمانية عشر سنة للرجل و خمسة عشر سنة للمرأة؛ و أن الزواج يتم بناء على رضا الطرفين و أن الطلاق لا يقع إلا بحكم صادر عن المحكمة⁴. و هو النص الذي اعتبر ثورة في

¹ - Service de l'Information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et réformes, op. cit., p. 139.

² - SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, (1958), p. 3.

³ - المصدر السابق، ص. 4.

⁴ - J.O.R.F., n° 35, du 11 Février 1959, p. 1860.

زمانه، فتضاربت حوله الآراء والانطباعات بين مختلف فئات السكان. علما، أن الأهداف المسطرة في مجال تغيير الوضع القانوني للمرأة الجزائرية كانت تنشأ الوصول بهذه الأخيرة إلى وضع مماثل للذي أصبحت عليه أختها التونسية ابتداء من الأول من جانفي 1957، و هو تاريخ اعتماد قانون الأسرة التونسي. بكل ما يعنيه ذلك من إلغاء لبعض الممارسات كتعدد الزوجات، التطلق (La répudiation) و حق الجبر، أي حق الوالد في إجبار ابنته البكر على الزواج. و هو ما كان يقتضي لتحقيقه أن يوجد بدءا في الجزائر «حركة نسوية فاعلة مدعومة برأي عام عصري و نافذ»¹، ليتسنى بهما الانتصار على المعارضين من «التقليديين و العلماء الإصلاحيين»². أما في مجال الحقوق السياسية فقد شهدت سنة 1958 الاعتراف بحق المرأة الجزائرية في التصويت.

و في هذا الاتجاه أيضا، يمكن أن نعد ما اتخذته السلطات الفرنسية من إجراءات و تدابير اجتماعية، التي و إن كانت تهدف إلى إحداث تغيير في وضعية المرأة الجزائرية لمنحها مكانة أكبر في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، فإنها كانت ترمي أيضا إلى خدمة أهداف الحرب النفسية من خلال تسريع مسار «تحرر» المرأة الجزائرية. لأن الوضع الحالي للمرأة الجزائرية آنذاك كان لا يخدم هاته الأهداف، مثلما أسفرت عنه نتائج بحث ميداني قام به ضباط مكاتب لاصاص بالتعاون مع السلطات المحلية خلال السداسي الأول لسنة 1959، حيث كشفت هاته النتائج عن عظم التأخر المسجل في هذا الميدان: «فالحلية الأسرية الجزائرية تكاد لم تتطور و الوصاية الأبوية على البكر و تعدد الزوجات هي ممارسات عامة و شائعة، مما يجعل المرأة في وضعية متدنية، على الأقل فيما يخص المشاركة في الحياة العامة، كما توضحه بعض الأرقام: فالتمدرس بالنسبة للفتيات الجزائريات ينحصر غالبا ما بين 20 و 25%، في حين لا يزيد عدد الجزائريات المسجلات في الجامعة على الستين. و إذا استثنينا النساء العاملات بالقطاع الزراعي، فإن اليد العاملة النسوية بالقطاعات الأخرى لا تزيد عن 31.000 عاملة، منهن 25.000 عاملة تعملن كخادمت في البيوت، و هو أقل قليلا من ثلث اليد العاملة النسوية»³. و هذا الواقع، و إن كان صحيحا فهو ينطوي بدوره على مغالطة متمكنة في الأذهان تجعل من المرأة الجزائرية امرأة مغلوبة على أمرها عديمة التأثير و النفوذ في وسطها و لا قدرة لها على التطور، و هو أمر ليس بالصحيح: «لقد اعتبر الوسط النسائي الجزائري و لمدة طويلة بأنه عديم النفوذ و ليست له القدرة على التطور. و لكن الواقع هو شيء آخر تماما، فالمرأة تلعب دورا مهما في الحلية الوحيدة التي تتقلب فيها، ألا و هي الأسرة. [...] كما أن ما يعرف بالخضوع المطلق للزوجة ما هو إلا أحجية يستظهر بها للغرباء عن الأسرة. ففي أغلب الحالات تحظى الزوجات و الأمهات بالاحترام و الطاعة، و تتربع العجائز في شكل حاكمات مطلقات في تسيير البيت. و بكلمة: تتوفر المرأة الجزائرية على نفوذ حقيقي بحلقته العائلية. وهذا

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Introduction à une étude sur l'intégration, suivi de quelques aperçus juridiques et sociologique sur les concepts d'assimilation et intégration, (Mai 1958 ?).

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - Délégation Générale du Gouvernement en Algérie, Rapport sur l'activité de l'administration en Algérie au cours de l'année 1959, Alger, Baconnier, 1960, p. 107.

النفوذ، هو الذي يجب مده و توسيعه إلى إطار اجتماعي أكبر بإعطاء المرأة مكانتها الحقيقية في المجتمع، كشريكة للرجل و كمرربة للأطفال و كمواطنة بالمعنى الأتم للكلمة ¹.

لا شك أن مثل هذا الكلام هو كلام جميل يستهوي العقول و لا يسع العاقل إلا اقراره و الثناء عليه، و إن كان صدوره عن فرنسا ليعت الشك في صدق بواعثه و يقدر في دوافعه: فأنى لفرنسا الاهتمام بالمرأة الجزائرية كل هذا الاهتمام بعد عقود من الظلم و الاهانة و التجهيل ؟ و أنى لها أن تدافع عنها و تعمل على تحريرها في هذا الظرف بالذات ؟ و هل يمكن تصور تحرر للمرأة الجزائرية ضمن مجتمع مستعبد، و هل يمكن فصل تحررها عن تحرره ؟ لا شك أن نيات فرنسا غير نزيهة : إن فرنسا تسيء طرح الموضوع، إنها تحاول شغل المرأة الجزائرية بالمهم دون الأهم، إنها تحاول صرفها عن معركتها الحقيقية المتمثلة في تحرير وطنها إلى معارك ثانوية، في حين أنه لا معنى عندئذ لحريتها إذا بقي وطنها مستعبد !

هيئات النشاط النفسي على المرأة الجزائرية :

اضطلعت بالنشاط النفسي على المرأة الجزائرية هيئات عديدة، منها :

1- المراكز الاجتماعية التربوية (Les Centres sociaux éducatifs) : و هي عبارة عن مراكز اجتماعية تربوية و تكوينية متعددة الأنشطة، حيث تتمثل مهمتها في إعطاء تربية قاعدية لكل عناصر السكان من الجنسين و من مختلف الأعمار و الفئات، من الذين لم يستفيدوا أو لن يستفيدوا من التعليم. و هي لذلك تجمع بين أنشطة متعددة : كمحو الأمية و التعليم الشعبي، التربية الرياضية و التربية المدنية، و بالأخص التركيز على ما قبل التكوين المهني (la préformation) الريفية و التقليدية. و قد كانت الطاقة الاستيعابية لكل مركز تقدر بـ 135 طفل، منهم 70 إناث و 65 ذكور. علما أن إنشاء هذه المراكز غالبا ما اقتصر على المدن، بالضواحي، حيث كان عددها بنهاية 1959 ثلاث و ستون مركزا و كان من المقرر أن يصل عددها إلى 700 مركز بحلول سنة 1966 ². أما بالنسبة للنشاط النفسي الذي تمارسه هذه المراكز على المرأة الجزائرية و على السكان فيمكن تصوّره من خلال مختلف الأنشطة الاجتماعية الرامية إلى تحسيس المرأة بوضعها الراهن و جعلها تصبو و تتطلع ثم تطالب بوضع أحسن منه.

2- النساء الملحقات بالشؤون الجزائرية (Attachées Féminines des Affaires Algériennes) و هو

سلك تابع للقسمات الإدارية المختصة و قد أسلفنا القول فيه ³.

3- منشطات مصالح تكوين الشباب بالجزائر (Monitrices du Service de Formation des Jeunes en

Algérie) و هن منشطات كان يتم تكوينهن لمدة ستة أشهر بمدينة نانت الفرنسية (Nantes)، ليعهد لهن بعد ذلك بمهمة تأطير الفتيات اللاتي تجاوزن سن التمدرس و المترددات على الشعب النسوية بنوادي الشباب، لإعطائهن تكويننا متنوعا، يجمع بين التربية البدنية و المدنية و دروسا في التدبير المنزلي.

¹ - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, Approuvé par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE Commandant en Chef les Forces en Algérie, le 27 mars 1960, p. 7.

² - Délégation Générale du Gouvernement en Algérie, Rapport sur l'activité de l'administration en Algérie au cours de l'année 1959, Alger, Baconnier, 1960, p. 106- 109.

³ - أنظر أعلاه ص. 130.

4- حركة التضامن النسوية (Mouvement de Solidarité Féminine) و هي حركة جمعية مستقلة عن الدولة الفرنسية و لكنها تساهم في تحقيق أهداف «حرب التهدة». و هي تضطلع بدور مواز و مكمل لدور الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، حيث تعمل على تأطير المرأة الجزائرية ضمن شبكة من " الدوائر النسوية" (cercle féminin) التي تضم بداخلها أيضا نساء أوروبيات و تعقد اجتماعات أسبوعية من أجل التقريب بين عنصرى السكان، و كان يعول علي هذه الدوائر كي تصبح واحدا من محركات « الجزائر الفرنسية الجديدة».

5- الفرق الطبية-الاجتماعية المتنقلة (Équipes médico-sociales itinérantes) : وهي فرق تخضع للإشراف المباشر للمكتب الخامس، تتكون من طبيب تساعده مساعدة أوروبية و مساعدتين جزائريتين يعرفن بـ : (Les A.S.S.R.A.)¹، وضعتهن المديرية العامة للنشاط الاجتماعي للحكومة العامة تحت تصرف الجيش و منها يتلقين أجورهن. وهذه الفرق هي وسيلة حقيقية من وسائل «حرب التهدة» في مستوى فرق الدفاع الذاتي و نوادي الشباب و جمعيات قدماء المحاربين و العسكريين². وهي أيضا وسيلة تكتيكية بكل ما في الكلمة من معنى، لأنه كان يتم توظيفها في نفس الوقت مع الوسائل التكتيكية الأخرى ضمن خطة استراتيجية شاملة.

مجال عمل هذه الفرق هو الريف الجزائري، حيث كانت هذه الفرق تجوب الدواوير و الدُشُر مقتفية خطى الجيش الفرنسي الذي كان يكسر و يدمر، فكانت تزور السكان بأكوأخهم متخذة المساعدة الطبية و الاجتماعية وسيلة لبلوغ المرأة الجزائرية، المنهكة و المحطمة من عمليات التمسيط. فكانت هذه الفرق تخلط لها المساعدة الطبية و الاجتماعية بعمل دعائي نفسي و استعلامي كبير ضد الثورة.

تتمثل المهام المسندة لهذه الفرق، كما حددها التعليمات الخاصة بالنشاط على الوسط النسوي الجزائري، في: « بعث الاتصال بالمرأة الجزائرية لمعرفةا و إعلامها، تربيتها و تنظيمها ثم توجيهها، لجعلها تتبنى ثم تعيش فعليا الحل الفرنسي الأمثل للمشكل الجزائري. [...] و تعريفها، من خلال شواهد ملموسة، بالمستقبل العصري الذي تقترحه لها فرنسا»³. كما تتمثل مهمة هذه الفرق في ضمان المساعدة الطبية والاجتماعية للسكان و بعث الاتصال مع الجماهير النسوية و الكشف عن اتجاهات الرأي السائدة فيها و إخطار السلطات المعنية بها، ثم نشر وشرح تعليمات الوزير المقيم. حيث يبقى الهدف البعيد من وراء ذلك هو التمهيد لظهور حركة تحرر نسوية لـ «تحرير» المرأة الجزائرية⁴.

و من هنا، فإن المساعدة الطبية المجانية المقدمة إلى السكان ما هي إلا وسيلة في خدمة غاية و ليست غاية في حد ذاتها. « فالطابع الطبي و الاجتماعي لهذه الفرق ما هو إلا وسيلة لتحقيق غاية تتمثل في تقديم تربية قاعدية للوسط النسوي. لذلك، فإن الخطأ الجسيم الذي يجب تفاديه، هو التساهل بترك هذه الفرق تنغمس

¹ - Adjointes Sociales Sanitaires Rurales Auxiliaires.

² - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, op. cit., p.1.

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - SHAT, 1H 2468/d.1, Note pour l'emploi des Équipes Médico- Sociales Itinérantes, Alger, 24 Novembre 1957

كليا في عملها الطبي والاجتماعي على حساب دورها الحقيقي»¹. ذلك أن الاقتصار و التركيز في عمل هاته الفرق على التخفيف من المعانات الصحية للمرأة الجزائرية له أثر عرضي مؤقت، من شأنه إذا اعتمد كهدف وحيد أن «أن يترك الجماهير النسوية على حالها من الميل الطبيعي إلى السلبية، و يحرمها طعم الجهد و الكد و الحركية الاجتماعية»².

أما بالنسبة لـ «التربية القاعدية» التي تقدمها هاته الفرق للجماهير النسوية، فأساسها «إعلام عام يتم تقديمه خلال أوقات الاتصال الطبي و الاجتماعي»، و هي «التربية» التي كان يتم مواصلة تقديمها ضمن إطار «الدوائر النسوية» التي كان يتم انشاؤها بمجرد التعرف على الوسط النسوي و توفير أحسن الظروف لنجاحها. ليتوج هذا الجهد يوما بتكوين عدد من المنشطات المحلية، اللاتي كُن يُخترن لما هن من استعدادات ذاتية و لما هن من شخصية و نفوذ و وضعية اجتماعية ميسورة، ليعهد هن في المستقبل باستخلاف هذه الفرق و القيام بالدور الذي كانت تضطلع به في وسطهم النسوي المعني.

في عملية توظيف هذه الفرق كان يتم الأخذ بعدد من الاعتبارات، أهمها :

- أن توظيف هذه الفرق هو أمر تنفرد في تقريره القيادة؛
- أن استعمال هذه الفرق لا يكون إلا ضمن وسط سكاني «محمي»؛
- أن يُكَيَّف استعمال هذه الفرق مع مخطط محلي «للتهدئة»، تُوظَّف فيه كل الوسائل الأخرى «لحرب التهدئة» بالمناطق التي يتم فيها تطبيق هذا المجهود؛
- أن يراعى في استعمالها تحقيق دواعي الجدوى و الفعالية التي تتحكم فيها متطلبات "العمل في العمق"³.

و نظرا لضخامة الجهد المنتظر من هذه الفرق و شساعة الفارق بين عدد عمالها و عدد الشريحة النسوية القابلة للمعالجة (حوالي 2 مليون امرأة ما بين 15 و 35 سنة في مقابل حوالي 300 عاملة، أي بمعدل عاملة واحدة لكل سبعة آلاف امرأة)⁴، فقد كان يتم تخصيص فرقة واحدة لكل دوار أو قرية أو محتشد سكاني به ما بين 1500 إلى 3000 امرأة. تقسم بدورها إلى ثلاث مراكز، يخصص لكل منها يوم أو يومين في الأسبوع. و بعد أربعة أو ستة أشهر من العمل في العمق، تترك الفرقة هذا الوسط إلى وسط آخر، محتفظة بزيارات أسبوعية ثم نصف شهرية، فشهريّة للوسط النسوي السابق، أين يقتصر عملها حينئذ على مجرد التوجيه و الإرشاد لعمل المنشطات المحلية⁵. و من هنا يمكن تصوّر نشاط هذه الفرق ضمن عمل مرحلي يعتمد التدرج، و يسير على النحو التالي :

¹ - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, op. cit., p.1.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، ص. 2.

⁴ - المصدر السابق، ص. 13.

⁵ - المصدر السابق، ص. 3.

ففي المرحلة الأولى يتم وضع الفرقة بالوسط السكاني المعني، الذي يتوفر على عدد من الشروط التي تجعل منه وسطا منسجما اجتماعيا و اقتصاديا و لغويا و عرقيا. و هو أمر تقرره القيادة و يستجيب لفكرة تكتيكية و لوجيستكية مسبقة. بعدها، و تجنبا لتميع جهد الفرقة، يتم تحديد ثلاثة مراكز ميدانية مهمة تكون مجالا لعملها، لأن تشتيت جهود الفرقة بين مراكز متعددة لن يثمر أية نتيجة. في حين أن تركيزها العمل في نقاط معينة، سيمكنها من معايشة الحياة اليومية للسكان و الوقوف على مشاكلهم و توثيق روابط الاتصال معهم بما يسهل من مهمتها.

في المرحلة الثانية، و هي مرحلة مهمة لأنها تضع الأسس المستقبلية للتنظيم النسوي، تبدأ عملية دراسة الوسط السكاني النسوي المعني لمعرفة معرفته دقيقة، حيث تمثل المساعدة الطبية و الاجتماعية وسيلة مثلى تسمح لعناصر الفرقة بالتردد على النساء بالبيوت و مبررا لهاته النسوة أمام أزواجهن للتردد على مركز الفرقة. و مع الوقت يسقط المبرر و تستقر العادة و يصبح خروج النساء أمرا مألوفا. و باقتراب هذه المرحلة من نهايتها، تصبح الفرقة قادرة على تحديد الصعاب من كل نوع و التمييز بين العناصر الصديقة و المعادية، و اكتشاف المنشطات المستقبلية و تطهير الجو العام المحلي.

المرحلة الثالثة و تخصص لانتقاء المنشطات المرشحات لاستخلاف الفرقة عند انتقالها إلى وسط سكاني آخر. هؤلاء المنشطات المستقبلية يتم انتقاءهن من بين المترددات اللاتي يمكن لهن، بفضل شخصيتهن و نفوذهن أو شخصية و نفوذ أزواجهن، أن يَسُدن وسطهن و أن يؤثرن فيه بالتربية التي تلقوها: «عندئذ يكون الحديث بالإعلام و التربية، و يتم فتح الآفاق لهؤلاء النسوة اللاتي لم يكن لهن غير آفاق حياتهن في البيت. و لكن يجب عمل ذلك بحيطه و حذر، و الحرص دائما على ربط هذا الإعلام و هاته التربية بانشغالاتهن و احتياجاتهن و ميولاتهن الطبيعية»¹.

المرحلة الرابعة و هي مرحلة إنشاء «الدائرة النسوية» التي تتخذ كنادٍ لجمع النسوة و تقديم «التربية» لهن. و هذا النادي يمكن أن يكون قاعة وثيرة، كما يمكن أن يكون فناء منزل أو مدرسة، او حتى مجرد ضلال وارفه لشجرة زيتون. فالهم هو أن يبعث المكان «الراحة في قلوبهن و يبعث الطمأنينة في ضمائر أزواجهن، و أن يستمددن فيه تلاحمهن و قوتهن». وفي هذه المرحلة، تكفي الفرقة الطبية الاجتماعية المتنقلة في عملها بتوجيه مختلف الحالات الصحية إلى المصالح الطبية المختصة لتتفرغ هي كلية لمهمة «إعلام و تربية الوسط النسوي»، من خلال شغل النساء بأنشطة تعليمية مختلفة، كالحياطة و الحياكة و النظافة و الصحة و الطبخ و غيرها من الأنشطة البيتية الأخرى التي تهم المرأة و التي تخلط بنشاط دعائي كبير ضد الثورة².

بهذا النادي، و من بين النسوة الثلاثين أو الخمسين المترددات عليه، يتم انتقاء عدد من النساء البارزات لتشكيل فريق المسؤولات، اللاتي يُمنحن عددا من المسؤوليات (كالتكفل بنظافة شارع ما، أو الاعتناء بتمدرس الأطفال، أو المساهمة في مكافحة الرمذ الحبيبي، أو بذل العون لدوي الحاجة...)، و هي المهام التي، على بساطتها، ستزيد في إعلاء شأنهن في وسطهن و نفاذ كلمتهن فيه و تكون فرصة لهن للتمرس على

¹ - المصدر السابق، ص. 15.

² - أنظر الملحق رقم : 32.

المسؤولية وتحضير أنفسهن لمسؤوليات أكثر أهمية. و متى أصبح فريق المسؤوليات هذا متمرسا في القيام بما أوكل إليه من مهام، أصبح ممكنا للفرقة الطبية-الاجتماعية المتنقلة استخلافه و العهد إليه بتنشيط الدائرة النسوية، ليتحقق ما يسميه المختصون بـ « النشاط النفسي على الوسط بالوسط»، لتنتقل الفرقة للعمل في وسط نسوي آخر، محتفظة بزيارات دورية للتفقد و التوجيه للحيلولة دون انحراف الدائرة النسوية عن مسارها الأساسي. حتى إذا كُلت جهود الفرقة بإنشاء ست أو سبع دوائر نسوية خلال بضع سداسيات أمكن القول عندئذ بأن الفرقة قد أُشبعَت (saturée)¹.

و على ذكر الدوائر النسوية، كنا قد أشرنا إلى الطابع الجمعي الخاص لهذا التنظيم، حيث أن أغلب العاملات فيه هن متطوعات يعملن بإيمان على تحقيق الفكرة. وقد كانت من بين هؤلاء، السيدة تورنومين (Madame TOURNEMINE) - وهي زوجة لضابط في الجيش الفرنسي، كانت تقوم بالنشاط على الوسط النسوي لهليوبوليس و قلعة بوسبع بالقرب من فالمة-، و التي تمثل تجربتها قمة ما يمكن انتظاره من ناشطة واعية بالمهمة المسندة إليها. و قد لخصت هذه السيدة تجربتها في بضع ورقات، لتتخذ "كدليل عملي حي" لترشيد نشاط العاملات في الحقل².

النشاط النفسي للفرق الطبية-الاجتماعية المتنقلة على المرأة الجزائرية هو نشاط يستهدف العمق الحساس للسكان، من شأنه أن يثير الحفائظ و أن يؤلّب المشاعر، و أن يوجد من الخصوم بقدر ما يوجد من الأصدقاء. لذلك كانت هذه الفرق مطالبة في سيرتها بالتزام السلوك السوي الذي لا تشوبه شائبة و التزام الاعتدال في تطبيق النشاط النفسي على المرأة الجزائرية و بالأخص عدم "حرق" المراحل و احترام عامل الزمن، فالمطلوب هو تحقيق "تطوُّر لا ثورة" (une évolution et non pas une révolution). كما كان عليها أن تجتهد قدر الإمكان في المحافظة على الأصدقاء و عدم إثارة الخصوم إن لم نقل مهادنتهم و استمالتهم، و ما أكثرهم : فهناك عموم الرجال، من الذين تجاوزوا الأربعين، من الذين يقابلون نشاط هذه الفرق تارة بعدم التفهُّم و تارة بالمعاداة؛ و هناك أيضا التقليديون، « الذين يعتقدون عن حسن نية بأنهم يدافعون عن قيم دينية و عاداتية ضد قيم لائكية منحطة »؛ ثم هناك أيضا كبار الخاسرين في العملية « من موظفي الشَّرْع الإسلامي، المههدون بفقد جزء من زبائنهم »؛ و أخيرا، هناك العجائز الماكثات في البيوت، « المههدات بانحصار نفوذهن، الذي كثيرا ما فاق نفوذ الرجال في البيت »³. و مع كل هؤلاء، كان يجب على هذه الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة العمل على كسبهم و الحصول على تأييدهم و مباركتهم لنشاطها: « إن شروط النجاح تقتضي تكيف النشاط النفسي مع ظروف الوسط المحلي، و تطبيقه بمرونة، دونما إثارة للمعتقدات، و السعي للحصول على دعم السلطات الدينية له »⁴.

¹ - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, p. 17.

² - SHAT, 1H 2461/d.1, Action psychologique féminine, par Madame TOURNEMINE, Juin 1958, 8p.

³ - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, p. 17.

⁴ - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962، علبة رقم 134،

و لكن من بين كل الخصوم أعلاه، يبقى الخطر الحقيقي على هذه الفرق هو ذلك الذي يتهددها من قبل الثورة. فالعديد من الوثائق المسترجعة من هذه الأخيرة، كانت تعكس انزعاجا ظاهرا لمسؤوليها من النشاط المعادي لهذه الفرق وعزمهم على القيام بعمل مضاد لنشاطها. و هو الانزعاج، الذي كان مبعثا على رضى و ارتياح قيادة الجيش الفرنسي، لأنها رأت فيه دليلا على صحة و نجاعة خطتها الحربية، فحازت بذلك هذه الفرق على ثناء و تشجيع قيادة الجيش في أكثر من مناسبة، لأن هذه الفرق « عرفت كيف و أين تضرب، و أن ضربتها قد أصابت الثورة في المقتل »¹. و بالفعل، كانت هذه الفرق تضطلع بنشاط دعائي نفسي و استعلامي كبير ضد الثورة، مما يجعلها لا تقل خطورة عن الوسائل الحربية الأخرى. فقد كانت تخلط ما تقدمه من « إعلام و تربية » للنساء الجزائريات بنشاط دعائي هدام ضد الثورة، كانت تستغل فيه بؤس هؤلاء الجزائريات لتنال من معنوياتهن و تحميلهن خطابات و مضامين إلى ذويهن العاملين في الثورة، تحثهن على وقف المقاومة و الاستسلام². و لاشك أن غياب الرجال، الذين كان أغلبهم في السجون و المعتقلات أو في الثورة بالجبال، قد قدم فرصة كبيرة لهذه الفرق للتسلط على المرأة الجزائرية. و على ذكر الثورة، نشير إلى أنه كانت تتم ممارسة رقابة شديدة على الدوائر النسوية حتى لا يتم اختراقها من قبل هذه الأخيرة، فتتحول الدائرة إلى خلية نسوية تعمل لصالحها و مدرسة تمدها بالإطارات. كما كانت النساء المثقفات موضوع مراقبة مستمرة لنفس الأسباب³.

و نظرا للنتائج المهمة التي حققتها هذه الفرق، عملت قيادة الجيش الفرنسي على تدعيمها و رفع عددها، ليصبح بنهاية أوت 1960 إحدى و سبعون و مائة - 171 فرقة، منها 63 فرقة بالغرب الجزائري، و 60 فرقة بالوسط الجزائري، و 48 فرقة بالشرق الجزائري. توظف كلها 315 عاملة، منها 141 عاملة جزائرية، و 80 عاملة فرنسية من المتربول، و 94 أوروبية من أوروبيات الجزائر⁴. أما بالنسبة لسنة 1960 فقد طلب الجيش رفع عدد هذه الفرق إلى 325 فرقة بمجموع 1.000 عاملة، غير أنه لم يتلقى إلا 362 منصب جديد⁵. و مع إعلان وقف إطلاق النار، بتاريخ 19 مارس 1962، تقرر حل سلك الفرق الطبية-الاجتماعية المتنقلة و تحويل عاملاتها إلى المصالح العمالاتية مع البحث في امكانية مواصلة هؤلاء العاملات لنشاطهن للمساهمة في بناء جزائر الغد⁶.

¹ - SHAT, 1H 2568/d.1, lettre du Colonel GOUSSAULT aux EMSI, s. p. 87.186, 11 Juin 1958 ; Lettre du Lt-Colonel FEAUGAS aux EMSI, s. p. 87.186, 20 Septembre 1958 ; SHAT, 1H 2461/d.1, Étude des "Directives F. L N. " ci-jointes, 12/2/1959, 5 p. - أنظر الملحق رقم : 32.

² - أنظر الملحق رقم : 33.

³ - SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, p. 4.

⁴ - SHAT, 1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie par les Équipes Médico- Sociales Itinérants, (présenté le 29 Août 1960 pour le Bulletin des F. O.), p. 4.

⁵ - SHAT, 1H 2568/d.1, Lettre à Monsieur le Délégué Général du Gouvernement, objet : Équipes Médico-Sociales Itinérants, (s. d.), 3 p ; Fiche à l'attention de Monsieur le Général Chef : Équipes Médico-Sociales Itinérants, Alger, 15 Février 1961, 3 p.

⁶ - SHAT, 1H 2568/d.1, Note de service : Recasement des personnels des E.M.S.I., n° 0762/CSFA/EMI/MOR, Alger, 20 Mars 1962.

المطلب الثاني : النشاط النفسي على الشباب الجزائري

إلى جانب النشاط النفسي الذي كان يتم تطبيقه على المرأة الجزائرية، كان للجيش، و تحديدًا المكتب الخامس، نشاط مماثل على الشباب الجزائري، باعتباره شريحة عريضة من السكان، لها كلمتها في تحديد المستقبل القريب للجزائر مما يجعلها « واحدًا من مفاتيح المشكل الجزائري ». حيث كان يهدف نشاط الجيش على هذه الفئة الاستحواد عليها و الحيلولة دون ارتئائها في حضان الثورة. لأن شريحة الشباب، كانت و لا تزال « احتياطيًا لا ينضب لجهة التحرير، و في بضع سنوات ستكون لها كلمتها في الاستشارات الانتخابية التي ستحدد مستقبل الجزائر (تمثل شريحة الشباب 20% من منتخبي الغد). لذلك فإنه من واجب الجيش، أمام هذا المشكل العويص، الإسراع في بعث الاتصال مع أكبر عدد ممكن من الشباب و البحث عن جميع الوسائل التي يمكن بها استقطاب اهتماماته »¹. و قد جاء دور الجيش هنا لدعم جهود الهيئات المدنية، العامة و الخاصة العاملة في الميدان². والجيش هنا هو واع بعظم المهمة المسندة إليه، فعدا عن كونها لا تدخل ضمن مهامه الأساسية فهي أيضا ليست من أولوياته : « إن للجيش مهام عملياتية تحتفظ بالأولوية، و لكن ما يمكن للجيش فعله و ما يجب عليه عمله هو بعث الاتصال مع كل الشباب حتى لا يتركوا لأنفسهم و بكيفية تُشركهم معنا في بناء جزائر الغد. و هي مهمة تحتاج إلى حماس و يقين و إرادة، فالرهان يقتضي ذلك و لا مجال لتضييع أي دقيقة من الوقت »³. نشاط الجيش هنا كان يستهدف بالأساس شريحة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 14 و 20 سنة، الذين بفعل مختلف العوامل و الظروف لم يتلقوا حظهم من التعليم و التكوين.

هذا، و بالرغم من عظم المهمة التي رسمها الجيش لنفسه، فإن وسائله كانت جد محدودة للتكفل بشريحة يقارب تعدادها نصف المجتمع. لذلك، اتخذ نشاطه النفسي على الشباب شكلين أساسيين من أشكال المساهمة : الأول هو تدعيم مختلف الهيئات العاملة في حقل الشباب، (كمراكز تكوين الشباب الجزائري (C.F.J.A.)، و ما يتبعها من نوادي رياضية و شبابية؛ و معها حركة الشباب الجزائري (M.J.A.)؛ ثم مختلف الجمعيات الشبابية و الرياضية و الثقافية..). بالمنشطين العسكريين الذين ينتدبون لتقديم حصص تنشيطية خارج ساعات العمل. ثانيا، و لمس أعداد أخرى من الشباب، قام الجيش بتعبئة مختلف العاملين به، من ضباط من مختلف الرتب و حتى سائقي السيارات و الشاحنات، مرورًا بعمال السكرتيريا و بالبوابين و غيرهم، لتقديم حصص تنشيط أسبوعية للشباب، التي كان يتم تقديمها خارج ساعات العمل، على نمط الدروس المسائية، لتكون بمثابة حصص اتصال معهم. و هي التجربة التي تم تطبيقها بالشرق الجزائري و حظيت نتائجها برضا الجيش⁴.

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Annexe I : Directive sur la jeunesse, n° 2590RT/CAC/3/PH, Constantine, le 20 Juillet 1960, p. 1.

² - SHAT, 1H 2575/d.1, L'action sur la jeunesse dans le Constantinois, (s. d.), p. 1.

³ - SHAT, 1H 2460/d.1, Annexe I : Directive sur la jeunesse, n° 2590RT/CAC/3/PH, Constantine, le 20 Juillet 1960, p. 3.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, Lettre du Général GOURAUD, Général de Corps d'Armée de Constantine à Monsieur Le Général de Corps d'Armée Commandant en Chef des Forces en Algérie- Cabinet, n° 39/CAB, Constantine, le 11 Janvier 1961, p.1

و كعيّنة على جهود الجيش في هذا المجال، يمكن أخذ مدينة قسنطينة كنموذج : فهذه المدينة الكبيرة التي تتوفر على أعداد هامة من الشباب العاطل و بدون تعليم أو تكوين، قام الجيش بحثّ مختلف وحداته و أجهزته العسكرية على تقديم مساهمتها في مجال النشاط النفسي على الشباب من خلال تكفّلها بتنشيط شباب حيّ مُعيّن من أحياء المدينة. فكان الأمر كالتالي: فقد تكفّل سلاح الطيران بشباب ملحق البارادو؛ و تكفّلت فرق الدرك بشباب العطائية؛ كما تكفّل سلاح الاتصال بشباب ملحق القنطرة؛ و في حين تكفّلت قيادة أركان الفرقة 14 د. أ. و معها مصلحة العتاد بشباب سيدي مبروك، تكفّلت قيادة أركان الناحية العسكرية للشرق الجزائري بشباب سيدي مسيد (عن طريق المكتب الثالث) و شباب حي رومل (عن طريق المكتب الثاني)، أي بإجمالي ستة ملاحق، تستقطب ما يقارب الألف شاب من المنقطعين عن الدراسة و العاطلين، من الذين تتراوح أعمارهم ما بين 14 و 20 سنة، الذين كان يسهر على تنشيطهم ثمانون عسكريا من مختلف الرتب، كلهم من المتطوعين¹.

و ضمن هذا المسعى أيضا، قام الجيش الفرنسي، بالمناطق التي شرع في عملية تنظيمها سياسيا من خلال زرع التنظيم السري المناوئ للثورة بها، بفتح "مراكز أولية للشباب" اصطلاح على تسميتها لاحقا بـ "ملاحق النوادي الرياضية". و هي ملاحق كان يتم افتتاحها على مقربة من "مراكز الإشعاع" - التي سبق و أن تطرقنا إليها- حتى يتسنى تنشيطها من طرف الضباط العاملين بـ "فرقة الاتصال"². علما أن الجيش في ممارسته لنشاطه النفسي على الشباب، كان يكتفي في ذلك بالحد الأدنى من الإمكانيات، التي لا تزيد غالبا عن محل يتم الحصول عليه من السلطات المحلية أو يتم اكترأؤه من الخواص، فإن عدم ذلك أكتفي بخيمة كبيرة و إلا مارس أنشطته في الهواء الطلق. هذا، وقد كانت مصالح مراكز تكوين الشباب الجزائري تمد الجيش بمعونات مالية لشراء المعدات الرياضية و الثقافية اللازمة لنشاطه. أما بالنسبة لطبيعة الأنشطة، فهي تنحصر غالبا ما بين تقديم دروس أولية في اللغة الفرنسية، و تقديم مفاهيم أولية في ما قبل التكوين المهني، إلى تنشيط ألعاب مختلفة موجه نحو الرياضات الجماعية³. و هي الأنشطة التي كان يتم شحنها بكثير من الدعاية، تحت ما يسمى بـ "التكوين المدني الموجه".

لتطويق الشباب الجزائري و الاستحواذ على مختلف فئاته، أوجدت فرنسا الهيئات التالية 4 :

1- النوادي الرياضية (Les Foyers Sportifs): و هي هيئات مكلفة بـ «ضمان التطور الاجتماعي و التكوين البدني و الأخلاقي» للشباب ما بين 14 و 20 سنة. و هي لتحقيق مهمتها لا تحتاج عادة إلى إمكانيات كبيرة، إذ يكتفي غالبا في ذلك بمحل به خزانة لحفظ التجهيزات، فميدان لممارسة الرياضة ثم أخيرا

¹ - SHAT, 1H 2575/d.1, L'action sur la jeunesse dans le Constantinois, (s. d.), p. 2.

² - SHAT, 1H 2460/d.1, Annexe I : Directive sur la jeunesse, n° 2590RT/CAC/3/PH, Constantine, le 20 Juillet 1960, p. 2.

³ - المصدر السابق، ص. 3.

⁴ - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962، علبه رقم : 2

و عند الإمكان مرشات للاستحمام. هذه النوادي يسهر على تنشيطها ضابط ذو رتبة و خبرة في تنشيط الشباب، يُعينه في مهامه منشطان من خريجي مركز إسوار (Issoire) بفرنسا.

2- نوادي الذكور (Les Foyers Masculins): و هي مراكز تستقبل شبابا ما بين سن 14 و 20 سنة، تعمل بتوقيت كامل و تعتمد النظام الخارجي، أي أنها لا توفر الإيواء و الأكل لمرتابديها. و بالإضافة إلى ما تقدمه من برنامج رياضي، مدني و مدرسي، فهي تقدم أيضا تكوينا أوليا في التكوين المهني في فروع: الميكانيك و البناء، التجارة و الكهرباء، ثم الزراعة. و هي فروع يسهر على تنشيطها عسكريون من مصلحة العتاد و سلاح الهندسة العسكرية.

3- مراكز تكوين الشباب (Centres de Formation de Jeunes): و هي مراكز تماثل في بنيتها نوادي الذكور أعلاه، تعمل بنظام داخلي، بطاقة استقبال تقدر بأربعين شابا، يتلقون تكوينا يمتد من ستة أشهر إلى عام، قوامه دروس تمهينية متخصصة و جد متقدمة، مما يجعل من هذا التكوين "تكويننا في ما قبل التكوين المهني". و لذلك كانت هذه المراكز تخضع للإشراف المباشر لمصالح اليد العاملة و التشغيل. و قد بلغ عددها بنهاية 1959 مائة و عشرة مركز، و كان من المقرر أن يصل عددها بنهاية 1963 إلى مائتي مركز.

4- نوادي الإناث (Les Foyers Féminins): و هي نوادي تختص بالإناث و تشبه في هيكلها نوادي الذكور، غير أن دروس ما قبل التكوين المهني استبدلت هنا بدروس العناية بالأطفال و التدبير المنزلي و الخياطة و الحياكة و الطبخ.

5- نوادي الشباب (Les Foyers de Jeunes): و هي نوادي تعمل بنظام خارجي و تستقبل الشباب من الجنسين، بطاقة استيعاب تقدر بثمانين شابا و أربعين شابة، لتلقي تكوين يدوم عامين. و قد وصل عددها في نهاية سنة 1959 إلى سبعين نادٍ. و كان من المقرر أن يصل عددها بنهاية 1963 إلى ثلاثمائة نادٍ

6- مراكز التنشيط الاجتماعي (Les Centres d'Action Sociale): و هي مراكز أنشئت - كما أشرنا سابقا- « لتقديم تربية قاعدية لجميع عناصر السكان، من الجنسين و من مختلف الأعمار، الذين لم يستفيدوا أو لن يستفيدوا من التمدريس - [...] - للمساهمة في تطويرهم في الميادين الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية »¹، و ذلك من خلال بلورة برامج و أنشطة تستجيب لشرائح عريضة من مختلف الأعمار و الأوساط الاجتماعية. و هي الأنشطة التي كان يعود نصيب الأسد فيها إلى الشباب.

بنهاية سنة 1960 كانت هذه الشبكة تؤطر العداد التالي من الشباب 2 :

النوادي الرياضية	نوادي الشباب	مراكز تكوين الشباب الجزائري	
21.000 شاب	1.600 شاب	1.150 شاب	الناحية العسكرية للجزائر الوسط
33.679 شاب	2.182 شاب	828 شاب	الناحية العسكرية للغرب الجزائري
27.147 شاب	2.483 شاب	1.111 شاب	الناحية العسكرية للشرق الجزائري

¹ - SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S, p. 3.

² - SHAT, 1H 2553/d.1, III- Pacification, (1960).

لتنشيط الشبكة أعلاه، تم استحداث سلكين من أسلاك المنشطين هما:

1- منشطو و منشطات الشباب الجزائري، و هم يتبعون مصالح تكوين الشباب الجزائري (C.F.J.A.)، و هم موجهون للعمل بمراكزها. حيث كان هناك، بنهاية سنة 1960، أربعة مراكز على مستوى القطر الجزائري لتخريج هذا النوع من المنشطين و المنشطات. أما بالنسبة للبرنامج المعتمد في هذه المراكز، فهو لا شك يتمحور حول أنشطة تستقطب الشباب و تدخل في صميم اهتماماته، و هي الأنشطة التي كان يتم اتخاذها مطية لتميرير الدعاية و صرف الشباب عن التفكير في الثورة و الالتحاق بها. هذا، و قد خرجت هذه المراكز ما عدده 1.065 منشط في سنة 1959 وكان من المتوقع أن يصل هذا العدد إلى 1191 متخرج في سنة 1960.¹

2- الملحقون بالشؤون الجزائرية المكلفون بتنشيط الشباب من خريجي مركز إسوار بفرنسا. (Moniteurs de la Jeunesse issus du Centre d'Issoire) و هم شبان جزائريون تم اختيارهم خلال مدة خدمتهم العسكرية للعمل كمنشطين للشباب الجزائري، بعد إجراء تكوين بمركز إسوار بفرنسا. فبعد تلقيهم لتكوين عسكري خفيف، كان يتم تلقيهم تكوينا بدنيا و رياضيا و مدنيا جدمتقدم. بعدها يتم توزيعهم على مختلف القسامات الإدارية المختصة، أين يتلقون أمرا بالمهام التالية: «أولا تأطير الشباب الجزائري قبل التحاقه بخدمة العلم الفرنسي؛ ثانيا منح هذا الشباب تربية بدنية متكاملة ما أمكن، و تكوينا رياضيا موجهها نحو ممارسة الرياضات الجماعية؛ ثالثا تعهد و مواصلة التربية المدنية التي منحت لهذا الشباب في المدرسة، و استغلال حصص التربية البدنية و الرياضية لتخريج شباب مؤمن و فاعل في خدمة الجزائر الجديدة»². و غني عن الإشارة هنا بأن هذه المهام، كالتربية الرياضية و المدنية، ما هي في حقيقتها إلا مطية لبلوغ الشباب الجزائري من طرف هؤلاء المنشطين³، اللذين يضطلعون بدور خاص في إطار «حرب التهدة»، يتمثل في: «تقديم مساهمة فعالة لإنجاح عمل حرب التهدة بالجزائر و ذلك بالغرس في نفسية هذا الشباب قيم العدالة و الأخوة الإنسانية»⁴.

علما أن مركز إسوار هو المركز الذي كان يختص في تدريب هؤلاء المنشطين، و كان مقره بفرنسا، و كان يخضع لإشراف المكتب الخامس للمنطقة العسكرية العاشرة فيما يخص استراتيجية التكوين المتبعة. و قد شرع هذا المركز في تكوين أول دفعة له في جوان 1957، حيث ضمت 550 منشطا، تخرجوا في النصف الثاني من نوفمبر من نفس السنة. و كان من المقرر تكوين ما عدده 2000 من هؤلاء المنشطين⁵. أما بالنسبة لمعايير و شروط اختيار المنشطين، فهي عموما نفس المعايير المعتمدة لاختيار مسؤولي السكان، إلا

¹ - أنظر الملحق رقم : 13.

² SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S....., p. 13.

³ SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, p.2.

⁴ SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S....., p. 13.

⁵ - SHAT, 1H 2578/d.1, Exposé du Colonel Goussault à SHAPE, XI/1957, p. 6 ; SHAT, 1H 1113/1, L'Arme psychologique en 10° Région Militaire, n° 152/RM.10/CEM, (s. d.), signé Salan, p. 7 et 8.

أنه كان يتم التركيز فيها على اللياقة البدنية و المستوى الدراسي، بمعدل شابين مفرنسين في مقابلة شاب واحد معرّب 1.

هذا، و بعد انتهاء التكوين، كان يتم توزيع هؤلاء المنشطين على القسّمات الإدارية المختصة- لاصاص، بمعدل فرقة من ثلاثة منشطين لكل قسمة إدارية مختصة. حيث يكون ضابط لاصاص هو المكلف بضبط برنامج نشاط هؤلاء المنشطين، وفقا للتعليمات الموجهة إليه، و تسهيل مهمتهم، و ضمان أمنهم، و تعهّد معلوماتهم و تحيّنّها، و مراقبة معنوياتهم و رفعها، مع الحرص الشديد في كل ذلك على تجنب "الخطر الكبير" المتمثل في إكتشاف المنشطين لحقيقة المخطط الذي يتم تطبيقه على الشباب الجزائري و معه و عيهم بدورهم فيه كآلات ميكانيكية منفذة 2. كما كان من المعتزم أيضا الاحتفاظ هؤلاء المنشطين بعد انتهاء مدة خدمتهم العسكرية لأداء نفس المهام ضمن سلك "الملحقين الاجتماعيين" المعتزم إنشاؤه في المستقبل 3.

من خلال العرض أعلاه، يظهر جيدا الدور الذي كان الجيش الفرنسي يضطلع به في مجال النشاط النفسي على الشباب، فبالإضافة إلى منشطي الشباب من خريجي مركز إسوار، الذين كان يرسل بهم الجيش لتدعيم مختلف الهيئات المدنية، العامة و الخاصة، العاملة في حقل الشباب؛ و بالإضافة إلى المساهمة التطوعية التي كانت تقدمها مختلف عناصره العسكرية، من ضباط و جنود و كتاب سكرتريا و بوابين و سائقين، في شكل حصص تنشيط أسبوعية تقدم بعد ساعات العمل، فقد كانت للجيش أيضا سلطة نافذة في تحديد طبيعة النشاط النفسي الواجب تطبيقه على الشباب الجزائري في مختلف مراكز التنشيط بما يخدم أهداف «حرب التهذئة». حيث كان الجيش يمارس التنسيق على مستويات متعددة مع السلطات المدنية في هذا المجال. كما كانت له أيضا أداة خاصة، هي "لجنة الجيش و الشبيبة" (Comité Armées- Jeunesse) التي كانت تضطلع بدراسة مختلف قضايا الشباب في علاقته مع الجيش و تقدم الاقتراحات بشأنها. و هو ما سنفرده بتناول خاص. و قبل التطرق إلى هذه اللجنة، نشير إلى أن الجيش كان يضطلع أيضا بدور كبير في مجال التعليم، لسد العجز الحاصل عند مصالح التربية الفرنسية. فبحلول سنة 1961 كانت الجيش يشرف على 1.646 مدرسة، تستقبل 139.361 تلميذا و يؤطرها 2.124 جنديا معلما 4.

لجنة الجيش و الشبيبة للجزائر

و هي لجنة أنشأتها قيادة الجيش الفرنسي بالجزائر في نوفمبر 1957 على غرار لجنة الجيش و الشبيبة التي أنشأتها وزارة الدفاع الوطني الفرنسي بباريس، بهدف توجيه و تنسيق جهود مختلف الهيئات العامة و الخاصة، العاملة في حقل الشباب أو المهتمة به. و قد كان إنشاء هذه اللجنة - كما في فرنسا- يستجيب لحاجة ماسة عبرت عن نفسها: فقد لوحظ أنه بالرغم من كثرة الهيئات العاملة في حقل الشباب و بالرغم من رصدتها لإمكانيات ضخمة و صرفها لاعتمادات و معونات مالية معتبرة، فإن آثار كل ذلك لم تنعكس

¹ SHAT, 1H 2533/d.2, Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, p. 3.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - SHAT, 1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S....., p. 14.

⁴ - SHAT, 1H 2538/d.1, Participation de l'Armée à la pacification, Février 1961.

انعكاسا ملموسا على واقع الشباب بالجزائر، لسبب بسيط هو غياب التوجيه و التنسيق فيما بينها. و منه كانت الحاجة إلى انشاء مثل هذه الهيئة 1.

عقدت هذه اللجنة أول جلسة عامة لها في 2 ديسمبر 1957 برئاسة الجنرال هوت (Huet). و قد حضر هذه الجلسة ممثلون عن الأسلحة الثلاث، كما حضرها أيضا ممثلون عن المصالح الكبرى لوزارة الجزائر، و ممثلون عن الهيئات و الحركات الشبابية، و ممثلون عن الهيئات الاقتصادية للقطاع الخاص من أرباب العمل و النقابات. و نظرا للدور الاستثنائي الذي أوكل للجيش، فقد تم تحديد مهام هذه اللجنة بكيفية تجعل منها أداة إعلام و اتصال و دراسة و تنسيق بين الجيش و مختلف الإدارات العمومية و الهيئات الاقتصادية و الشبابية العامة و الخاصة، حول كل ما يتعلق بالشباب الجزائري قبل و أثناء و بعد خدمته للعلم الفرنسي، بما في ذلك الشباب الفرنسي القادم من فرنسا، حيث تضطلع هذه اللجنة بـ :

- المساعدة في إعلام الشباب بالجزائر حول الدور الذي يضطلع به الجيش في الجزائر و بالأخص حول دوره في «حرب التهدئة».

- خلق فرص اتصال بين الشباب من مختلف الأصول و الشباب العسكري بالجيش.

- دراسة سبل تسهيل عودة المجندين الجزائريين في الجيش إلى الحياة المدنية.

- تسهيل عملية استقرار الشباب الفرنسي بالجزائر بعد انقائه لمدة خدمته العسكرية و إعلامه.

- تنظيم تربصات إعلامية للشباب الجزائري بفرنسا و تنظيم تربصات مماثلة للشباب الفرنسي بالجزائر.

- مد شبكة النوادي الرياضية إلى كل ربوع الجزائر.

- تنظيم و إدارة حركة " البناءون الشباب " (Les Jeunes Bâisseurs)، التي تم إنشاؤها لفائدة الشباب البطل 2.

لتحقيق المهام أعلاه، كوّنت هذه اللجنة مجموعة من الفرق الدراسية لدراسة جميع المسائل المتعلقة بالشباب، قبل و أثناء و بعد أدائه للخدمة العسكرية و تقديم مقترحات حلول بشأنها إلى السلطات المعنية 3. كما تم أيضا إنشاء لجان إقليمية مماثلة على مستوى العمالات بكل من الجزائر و وهران و قسنطينة، لخدمة نفس الأهداف 4. و قد تمكنت هذه اللجنة فعلا من تحقيق العديد من المهام المسندة إليها، و بالأخص فيما يتعلق بتنظيم زيارات للشباب الجزائري إلى فرنسا في إطار عطل مدرسية و تربصات للتكوين و مشاركة في التظاهرات العامة.

¹ - SHAT, 1H 2558/d.2, Note : Comité Armée- Jeunesse et Service Central de la Jeunesse, n° 722/CSIA/ CAB/AJ, Alger, 15 Août 1958, p. 1.

² - SHAT, 1H 2558/d.2, Note : Comité Armée- Jeunesse et Service Central de la Jeunesse, n° 722/CSIA/ CAB/AJ, Alger, 15 Août 1958, p. 2-3 ; SHAT, 1H 2558/d.2, Note : Rôle et attribution du Comité Armée- Jeunesse, n° 220/IO° RM/F.T/CAB, Alger, 31 Janvier 1959, Signé Allard, 2 p.

³ - SHAT, 1H 2558/d.2, Comité Armée- Jeunesse d'Algérie, groupes d'étude.

⁴ - SHAT, 1H 2558/d.2, Constitution de Comité Armée- Jeunesse à l'échelon du département, lettre de M. Le Ministre de l'Algérie à Messieurs les Préfets d'Algérie, n° 4.390CC, Alger, 8 Avril 1958.

أخيراً، و قبل أن نختم تناولنا للنشاط النفسي على الشباب، لا تفوتنا الإشارة إلى واحدة من بين العديد من التجارب والمبادرات النفسية التي كان يجري تطبيقها على الشعب الجزائري، بهدف اكتشاف أنجع الوسائل لإخضاعه والسيطرة عليه و كسر كل شوكة للمقاومة لديه. المبادرة التي نحن بصدد إثارتها هي مبادرة نفسية تخص الشباب، قام بضبطها المكتب النفسي للمنطقة العسكرية العاشرة. و تتعلق بإنشاء "وحدة جزائرية من 'الإطارات' المسلمة" من خلال: « توظيف أكبر عدد من الشباب المسلم الجزائري، ليتسنى به تشكيل قوة موثوق فيها، التي سيكون مجرد حضورها و وجودها هو في ذاته عنصر دعاية إيجابي و كافي، يمكنه أن يجلب لنا عناصر أخرى ممتازة تستعمل كقوات صاعقة في القتال ضد الفلأفة ». هذه الوحدة، كان من الممكن أن يطلق عليها تسمية "الحرس الجزائري"، أما عناصرها فهم مجموعة من الشباب-النخبة، الذين تم انتقاؤهم بعناية و تدريبهم تدريباً عسكرياً و نفسياً خاصاً يجعل منهم أيضاً إطارات نخوية يشع مظهرها انضباطاً في السلوك و الملابس و ديناميكية في العمل و التنفيذ، مما يجعل الانخراط بهذه الوحدة حلماً و أملاً عزيزين تحفو لهما نفسية أي شاب جزائري. و لضمان ولاء هؤلاء الشباب، تقرر منحهم امتيازات ضخمة، من بينها راتب مغربي و ضمانات مهنية تخص التقاعد و الترقية مع إمكانية الالتحاق مستقبلاً بسلك الكوادر الإدارية¹. و يبقى السؤال قائماً: هل تم تطبيق هذه المبادرة فعلاً من طرف المكتب النفسي ثم المكتب الخامس الذي تلاه، أم بقيت مجرد مبادرة للدراسة ؟ ذلك ما لا نعرفه، و إن كنا نجزم، من خلال شواهد أخرى كثيرة بأن خطط المكتب النفسي لا تصدر عن فراغ.

المطلب الثالث : النشاط النفسي على قدماء المحاربين و العسكريين

إلى جانب فئة النساء و الشباب، كانت فئة قدماء المحاربين - و حتى قدماء العسكريين- ثالث فئة يُعوّل عليها في تطبيق النشاط النفسي على السكان. فهذه الفئة، بما لها من وزن عددي كبير - حوالي 580.000 محارب قديم² -، و بما لها من ماضٍ متميز في "خدمة" فرنسا، يجعل منها فئة نخوية، من شأنها، إذا ما أحسن "تشريفها بمنحها التقدير الذي تستحق و شحذ حسها الوطني و تحريك حنينها إلى ماضيها القديم في خدمة العلم الفرنسي و على جبهات القتال أن تساهم مساهمة فعالة في تحقيق أهداف الحرب": «لقد كانوا رفقاءنا في المعركة و يجب أن يبقوا كذلك. لقد أعطوا الدلائل عن ولاءهم فهم لذلك يستحقون احترامنا و تقديرنا و أكثر من ذلك فهم قبل غيرهم أحق بمودتنا و صداقتنا. إنهم فرنسيون من الطراز الأول. و إذا حدث أن انحرف عدد منهم عن الطريق فيجب علينا نحن أن نبحت في دوافع ذلك و أن نزيل أسبابه. إن عددهم كبير و نسبتهم تمس شريحة عريضة من السكان [...] و هم حساسون للتقدير و التشريف و سيكون من غير الحكمة حرمانهم من هذا الذي اكتسبوه عن جدارة و استحقاق و الذي ليس من الصعب إعطاؤهم إياه. فلنستغل

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Note au sujet de la création d'une unité algérienne de "cadres" musulmans, (s. d.), 2p.

² - SHAT, 1H 2557/d.1, Note d'orientation : Action sur les Anciens Combattants du Département d'Alger, n° 1643/2.AP/2° Bureau, 21 février 1957, p. 1.

جميع الفرصة السانحة لتحقيق ذلك « 1. لذلك، كان النشاط النفسي المطبق علي هذه الفئة، يستهدف تحويلها إلى أداة طيعة في خدمة أهداف «حرب التهدة» من خلال تطبيق خطة عمل مرحلية تبدأ بإعادة بعث الاتصال معهم، فحل مشاكلهم الإدارية بتسوية ملفاتهم العالقة ثم أخيرا تنظيمهم ضمن نوادي " ديار العسكري" للحصول على مساهمتهم في تحقيق أهداف «حرب التهدة».

بعث الاتصال مع قدماء المحاربين، هو أمر سهل بالنسبة للمصالح النفسية للجيش مقارنة بالفئات الأخرى. فالأمر يتعلق بفئة لها سابق احتكاك بالجيش، لا تزال في غالبيتها " تحتفظ بقلب الجندي، الذي تخشع نفسه لسماع الموسيقى العسكرية و يهتز وجدانه لرؤية الاستعراضات العسكرية، و لا يزال يتعشق الزى العسكري و يدرك بعمق معنى النظام والانضباط" 2. لذلك يكفي عند بعث الاتصال مع هذا المحارب القديم إثارة ماضيه القديم و الجبهات التي قاتل عليها والضباط الذين عمل تحت إمرتهم ثم الشارات و النياشين التي تحصل عليها... ليبدأ هذا الأخير في الحديث عن كل ذلك بفخر و اعتزاز، فيذوب جليد العلاقات في سويغات. و هو ما يعني " أن الغالبية من قدماء المحاربين فخورة بماضيها منتصرة لفرنسا سلفا و ترغب في بعث العلاقة مع الجيش، لا يمنعها من ذلك إلا الحياء و التردد " 3. لذلك كانت التعليمات العسكرية الموجهة إلى الضباط و الجنود العاملين بمناطق العمليات التي يتواجد بها قدماء محاربون و عسكريون تشدد على ضرورة تحلي هؤلاء بالمرونة و اللين معهم و السعي إلى كسب ودهم و تجنب كل ما من شأنه إثارة حفاظهم و ضغائنهم، باعتبارهم الوسط الأكثر استيعابا و قابلية (réceptif) من بين السكان 4.

حل المشاكل الإدارية لهذه الفئة، من خلال التوسط لصاحبها لدى السلطات المدنية، لتسوية ملفاتها العالقة و دفع مستحقاتها المتأخرة و توفير مناصب عمل لها، هو أمر آخر مهم و حيوي من شأنه امتصاص نغمة هذه الشريحة بسبب الخيبة و الشعور بالمرارة اللذان كانا يعتلجان في صدور الكثيرين منهم، إذ أنهم لم ينصفوا، فهم قدّموا و لم يجازوا. كما كانت مساعي الجيش في هذا الاتجاه تتمثل أيضا في تقديم مساعدات مادية للمعوزين من قدماء المحاربين و العسكريين، بما في ذلك اليتامى و الأرمال و ذوي الحقوق من أبناء هذه الفئة، و خص الأوفياء منهم بمعروف أكبر. و هو ما يعني القيام بعملية انتقاء دقيقة بين فئة قدماء المحاربين و العسكريين، فهم ليسوا كلهم سواء: فهناك قدماء محاربي الحرب الكونية الأولى، الذين بقوا عموما على وفائهم لفرنسا، و هم لذلك يتعرضون لضغوط قوية من قبل جبهة التحرير؛ و هناك أيضا قدماء المحاربين من الذين شهدوا الحرب الكونية الثانية، المفبركون (plus sophistiqué)؛ ثم أخيرا، هناك قدماء المحاربين بالهند الصينية، الذين تعرضوا لعمليات غسل الدماغ خلال فترة الأسر بمعتقالات الثوار الفيتناميين و أصبحوا يُكتون لفرنسا عداوة ظاهرة 5.

¹ - SHAT, 1H 2408, Directives sur l'action politique des troupes, n° 6017/ZOAN/3, Batna, 28 septembre 1956, p. 5.

² - SHAT, 1H 1113/d.2, Annexe 4 : La recherche du contact, (s. d.), p. 3.

³ - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962، علبه رقم : 134،

Note de service : Action à mener sur les Anciens militaires et les Anciens Combattants, n° 5913/CIS/DIR/PSY, Alger, 20 Août 1958.

⁴ - SHAT, 1H 1113/d.2, Annexe 4 : la recherche du contact, (s. d.), p. 2.

⁵ - SHAT, 1H 2557/d.1, Note d'orientation : Action sur les Anciens Combattants du Département d'Alger, n° 1643/2.AP/2° Bureau, 21 février 1957, 2 p.

تجميع قدماء المحاربين و العسكريين ضمن نوادي خاصة بهم، تعرف بـ "ديار العسكري" من شأنه أن يعيد الثقة لهذه الفئة، "التي تعتبر نفسها فئة متميزة في المجتمع". كما من شأنه أن يقوي ارتباطها بالجيش، حيث يمكن للمصالح النفسية للجيش استغلالها أحسن استغلال و اتخاذها قناة لتمرير شتى الخطابات الدعائية للسكان، و تنشيط و إنجاح مختلف المعارك السياسية ضد الثورة، و بالأخص الانتخابات، كما حدث ذلك في استفتاء 28 سبتمبر 1958. لذلك، و لتحقيق مثل هذه الغاية قامت المصالح النفسية للجيش بتجديد صيغة هذه النوادي و رفع عددها، و جلب أكبر عدد من المنخرطين إليها، و حث الأوروبيين على فسح مساحة أكبر للجزائريين داخل هذه النوادي بمنحهم مناصب و لو شرفية بها. كما تم تكليف القيادات العسكرية الميدانية بتنشيط هذه النوادي بمختلف الأنشطة الدعائية، كتدعيمها بلوحات الصور الدعائية و العروض السينمائية الترفيهية و التثقيفية، والمحاضرات التي كان يتولى إلقاءها ضباط مختصون. كما كان يتم أيضا البحث بين قدماء المحاربين على عناصر شابة ودينامكية - بمعدل واحد إلى ثلاثة عناصر بكل ناد- ليتم منحهم فترة تربية قصيرة، يقوم خلالها ضباط النشاط النفسي بتلقينهم الأفكار المطلوب نشرها و المعلومات المطلوب استقاؤها. حيث يمكن مستقبلا هؤلاء العناصر الحصول على مناصب عمل رسمية بهذه النوادي 1.

للاستحواذ على فئة قدماء المحاربين و العسكريين و إحكام القبضة عليها، جرى إحداث سلك من الضباط الجزائريين المسلمين للاهتمام بهذه الشريحة و حل مشاكلها و تقوية روابطها بالمؤسسة العسكرية. و قد كان لهذا السلك حضور بمختلف مستويات القيادة العسكرية، من القمة إلى القاعدة، ليتخذ مستشارا للقيادة العسكرية في كل ما يخص النشاط النفسي على السكان الجزائريين. كما اضطلع هذا السلك أيضا بمهمتين أخريين : الأولى إدارية و مادية، تتمثل في حل المشاكل الإدارية لهذه الفئة لكي يتسنى لها الحصول على مختلف الحقوق، من خلال القيام بمساعي لصالحها لدى المصالح الخارجية لوزارة قدماء المحاربين و مديرية اليد العاملة لإيجاد مناصب عمل للمؤهلين منهم. أما المهمة الثانية فهي مهمة نفسية بحتة، تتمثل في جعل كل واحد من قدماء المحاربين "عون واع في خدمة القضية الفرنسية بالجزائر" 2.

¹ - SHAT, 1H 2557/d.1, Lettre du Général d'Armée SALAN, commandant la 10° R. M. à M. Le Ministre de l'Algérie sur l'action psychologique sur les Anciens Combattants et Anciens Militaires, 28 septembre 57.

² - SHAT, 1H 2557/d.1, Fiche à l'attention de M. le Colonel... au sujet de la mise en place d'officiers chargés du contact avec les Anciens Combattants, n° 2252/EMI/5/ACT, Alger, 9 juin 1959 ; Annexe I, fiche concernant l'expérience réalisé par le Corps d'Armée d'Alger, 19 mars 1959, 3 p.

الفصل الخامس: الحرب النفسية ضد الثورة،

أو استراتيجية : « إخراج السمكة من الماء »

الفصل الخامس : الحرب النفسية ضد الثورة

بالتوازي مع النشاط النفسي الذي كانت تشنه المصالح النفسية للجيش الفرنسي على السكان، كان لهذه المصالح نشاط موازي يستهدف ضرب الثورة بمختلف أجهزتها وعناصرها. إنه نشاط الحرب النفسية، بكل ما تعنيه هذه الحرب من هجومية و عنف. فالأمر هنا يتعلق بضرب الثوار في روحهم المعنوية و القتالية و الدفع بهم إلى الاستسلام أو الالتحاق، اللذين هما في ذاتهما محصلة و تتويجا لسلسلة من العمليات، تبدأ أولاً بزرع الشك و الريبة في المنطلقات المبدئية للقضية التي من أجلها يقاتلون، بما يتولد لديهم عن هذا الشك، في مرحلة ثانية، عقدة بالنقص و وخز للضمير مصدرهما الشعور بالخطأ في المسلك، و بما يمهّد في مرحلة تالية، إلى تعزيز الشعور بالإحباط، من خلال ترسيخ القناعة بوقوع الفشل، و ترسيخ القناعة بعدم جدوى كل التضحيات. حتى إذا نضجت هذه المراحل و أصبح التطلع إلى العودة إلى الحياة العادية تطلعا عميق لدى المقاتلين، أمكن عندئذ و فقط عندئذ لفكري الاستسلام و الالتحاق أن تشقا طريقها بسهولة إلى نفوس هؤلاء. هذه "المعالجة"، كان يتم تطبيقها ضمن مخطط زمني، توظف له شعارات و محاور دعائية خاصة¹.

علما أن شن الحرب النفسية على الثورة، كان قد تم التمهيد له بعمل استعلامي كبير لمعرفة، من خلال دراستها دراسة معمقة في إطار ما يعرف بـ " معرفة الخصم " كما يقال، و فهمها و معرفة أجهزتها و طريقتها عملها، كل ذلك للوقوف على نقاط قوتها و ضعفها و معرفة أنجع السبل للقضاء عليها. و هي المهمة التي اضطلع بها، كما رأينا، المكتب الثاني المكلف بالاستعلامات الذي كان يرسل إلى مختلف أجهزة الجيش الفرنسي تقارير و دراسات تحليلية دورية حول كل ما يتعلق بالثورة². حيث كان للمكتب، بنهاية سنة 1958 معرفة لا يستهان بها حول الثورة، معرفة غير مكتملة و لكنها صحيحة في مجملها. ففي أغلب المناطق استطاع المكتب الثاني تتبع التنظيم الثوري الخلي و الكشف عن أغلب عناصره. و قد أفاد هذا المكتب من معرفته هذه و استغلها فعلا بالتعاون مع المكتب الخامس في توجيه بعض الضربات للثورة.

في ردهم و مواجعتهم للثورة، اعتمد الفرنسيون استراتيجية قتالية تعتمد تطبيق الحرب الثورية بالمقلوب (à l'envers)، باستخدام نفس الوسائل و الأساليب التي يستخدمها الثوار و قلبها عليهم. فإذا كانت الساحة المفضلة للمعركة بالنسبة للثوار هي السكان، فوجب إذن منازلهم على نفس الساحة التي ارتضوها و محاربتهم بنفس الأسلحة التي استخدموها. حيث يمكن هنا تلخيص مذهبهم بأنه استغلال - ما يسمونه- بـ « التناقضات الداخلية للثورة » و شهرها في وجهها.

المبحث الأول : الأجهزة المكلفة بالحرب النفسية ضد الثورة

رأينا في الفصل الثاني عند تناولنا لأجهزة و دعائم سلاح الحرب النفسية الفرنسي، بأن المكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي كان يتوفر على قسم خاص بالحرب النفسية مكلف بتناول و معالجة كل

¹ - أنظر الملحق رقم : 7.

² - SHAT, 1H 2577/D.1, Etude sur l'organisation urbaine du F.L.N. - A.L.N. + annexes, (s. d. 1957 ?), 29 p.

المسائل المتعلقة بالنشاط و التأثير على الثوار و على السكان الخاضعين لتأثيرهم و نفوذهم في إطار حرب نفسية حقيقية. حيث يكون نشاطه إما بإصدار الأوامر و التعليمات للمستويات الفرعية الدنيا أو بتوظيف مجموع الوسائل المتوفرة بحوزته، من ضباط متنقلين، و فرق لمكبرات الصوت و المناشير، و فرق للمساعدة الطبية الاجتماعية المجانية. كما يمكن لهذا القسم الاستفادة من خدمات المطبعة و الإذاعة و المصلحة السينمائية للجيش، لإنجاز المناشير و المطبوعات و إنجاز حصص إذاعية و أفلام وثائقية و صور توضع تحت تصرف الوحدات العاملة في الميدان.

كما كان هذا القسم يضطلع أيضا بالإشراف على مركز تدريب مسؤولي الدواوير بأرزويو و توجيه عمل فرق المساعدة الصحية الاجتماعية الريفية المكلفة بالنشاط النفسي بين سكان الريف. على أن أهم مهمة كان يضطلع بها هذا القسم هي المراقبة و الإشراف على العمليات العسكرية الكبرى من نوع " بيلوت 1" (Pilote 1) التي تشن في إطار الحرب الشاملة و تُطبق على مناطق واسعة من الإقليم بهدف تحقيق معالجة في "السطح و العمق". و لكن بعد استحداث المكتب الخامس على أنقاض المكتب النفسي للمنطقة العاشرة لا نجد لهذه المصلحة أثرا، وهو ما يدعونا إلى التساؤل عن مصيرها وعن الجهة التي تكون قد آلت إليها مهامها ؟

هذا، و قد كنا أشرنا أيضا في الفصل الثاني إلى وجود تنسيق كبير بين المكتبين الخامس و الثاني لتحقيق استغلال مشترك لبعض المعلومات و تنفيذ عدد من العمليات العسكرية " المضادة للجوسسة " بهدف اختراق الثورة و ضربها من الداخل¹. حيث كان المكتب الثاني يستعين في تنفيذها بمصلحته لـ " الاستعلامات و نشاط الحماية " (R. A. P.)². و بذراعها المسلحة "مفرزة العمليات و الحماية " (D.O.P.)³. ذو الشهرة البائسة في التعذيب و القتل⁴. إلى جانب أجهزة أخرى ارتبط اسمها بتنظيم بعض العمليات الخاصة، التي كان يتم تنفيذها تحت ما كان يعرف بـ "الضربات التحتية" (les coups bas) الموجهة لضرب الثورة، و التي كان الخداع و التضليل و التسميم و الاختراق و غيرها من الأساليب الأخرى... من صميم أنشطتها. و بعد حل المكتب الخامس في الخامس عشر من فيفري 1960، و توزيع مهامه بين المكاتب الأخرى، عادت مهام "النشاط النفسي" و "الحرب النفسية" إلى " مكتب الدراسات و التنسيق" (B.E.L.) بالتنسيق مع المكتب الثاني و المكتب الثالث و مركز التنسيق بين مختلف الجيوش (C.C.I.)⁵. و هو ما يعني أن الحرب النفسية ضد الثورة كانت تضطلع بها أجهزة عديدة، تدعو الحاجة إلى التوقف عندها قليلا.

فبالنسبة لـ "مركز التنسيق بين مختلف الجيوش" (C.C.I.)⁶ و هي تسمية تمويهية لجهاز أنشأ في أوت 1956، فقد كان إنجازها محاكاة لجهاز مماثل سبق إنشاؤه خلال حرب الهند الصينية، عُرف بـ " مصلحة النشاط و الحماية" (R.A.P.). و الذي أثبت فعاليته في شن الحرب على الخلايا السياسية و الإدارية للثوار الفيتناميين باستعمال وسائل و أساليب الجوسسة العملياتية المضادة. حيث تكمن قوة

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., Recherche de renseignement psychologique- Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.

² - R. A. P : Renseignement Action Protection.

³ - D.O.P : Détachements Opérationnels de Protection.

⁴ - Pierre Vidal Naquet, Les crimes de l'armée française, Petite collection Maspéro, Paris, F. Maspéro, 197, pp. 115- 118.

⁵ - SHAT, 1H 2403/d.1, Dissolution des 5° Bureaux, n° 144/EMI/5/ S.C., 29 février 1960, annexe 1.

⁶ - C.C.I. : Centre de Coordination Interarmées.

و فعالية هذا الجهاز في ارتباطه المباشر بالقيادة العليا و في تحصيله بداخله لكل جهود "المصالح الخاصة" الأخرى و استعماله لأساليب حربية غير معهودة¹.

يتألف هذا الجهاز من الأقسام التالية:

- قسم "الاستعلامات"، مهمته الأولى تمكين القائد العام للمنطقة العاشرة من كل المعلومات العسكرية اللازمة. و قد كان لهذا القسم مديرية مركزية و فروع منتشرة عبر كامل القطر الجزائري.

- قسم "النشاط" (Action) و يتكون من عناصر الفرقة الحادية عشرة المظلية الصاعقة (11° demi-brigade parachutiste de choc). و كانت أنشطتها موجهة نحو الخارج على الحدود مع تونس و المغرب. كما كان لها حضور قوي في العديد من عمليات الحرب النفسية المضادة للثورة: تكوين الجيوش المسلحة لمناظرة الثورة و تنفيذ عمليات التصفية الجسدية باستعمال الطرود و الأجهزة المفخخة².

- قسم "حماية" (Protéction) مكلف بالجوسسة المضادة، الهجومية و الوقائية و القمعية. و كان يتخذ كدرع له مفرزات الموت الشهيرة المعروفة بـ (D.O.P.) و هي فرق متخصصة في الاستنطاق، لها شهرة كبيرة في استعمال التعذيب المحترف و التنكيل بالجزائريين، حيث كان مجرد تهديد الشخص بتحويله إليها كفيل يجعله يقر لهم بما يشاءون³. هذه الفرق، كانت تستقطب عناصر متطوعة من مختلف الأسلاك الخاصة، كالأمن العسكري، الدرك و الأمن، و مصلحة التوثيق و الجوسسة المضادة (S.D.E.C.E.)⁴، كما كان بينهم أيضا مترجمون أغلبهم من الأقدام السوداء الذين يحسنون اللغتين. و قد كان لهذا القسم ستة فروع تقابل الولايات التاريخية الست. و قد كان هذا القسم يضطلع بالمهام التالية:

- جمع و تركيز كل المعلومات و الوثائق المتعلقة بالمصالح الخاصة للثورة.
- اختراق الثورة من خلال زرع مخبرين و وشاة بالمصالح الخاصة للثورة و بتنظيمها الثوري.
- استجواب العناصر الثورية الموقوفة
- المشاركة في عملية فرز السجناء و المشبوهين.

أما بالنسبة لمصلحة "التوثيق و الجوسسة المضادة" (S.D.E.C.E.) و هو جهاز آخر كان يضطلع بتنفيذ العديد من العمليات ضد الثورة، و بالأخص في الخارج. حيث كان يتولى ترتيب عمليات اغتيال ضد قادة و رموز الثورة في الداخل و الخارج و القيام بعمليات تخريب و دعاية مغرضة ضد البعثات الدبلوماسية للثورة

¹ - SHAT, Algérie, Inventaire de la sous-série 1H 1091- 4881, 1945- 1967, tome premier : Introduction Générale, p. 55- 56.

² - Claude Paillat, Dossier secret de l'Algérie, 2^{ème} 1954- 1958, Paris, les Presses de la Cité, 1962, p. 189, 443, 462.

³ - Pierre Montagnon, La Guerre d'Algérie, Paris, Pygmalion Gerard Walet, 1984, p. 210 ; Georges Fleury, La guerre en Algérie, op. cit., p. 183.

⁴ - S.D.E.C., Service de Documentation et de Contre Espionnage.

الجزائرية في الخارج، بالإضافة إلى تنفيذه عدد آخر من العمليات التخريبية ضد قوات جيش التحرير الوطني المرابطة على الحدود بتونس و المغرب انطلاقا من القاعدتين البحريتين: المرسي الكبير و بنزرت¹. كما كان لهذا الجهاز يد طويل في اختطاف طائرة الخمسة.

هذا، و قد لمع في سماء هذه الأجهزة أسماء عدد من الضباط، الذين ارتبط اسمهم بتنفيذ عدد من العمليات الخاصة، المليئة بالخداع و التضليل و التسميم. من بين هذه الأسماء، نجد العقدهاء : روجيه ترانكييه (R. Trinquier)² الذي اشتهر بقدرته على تحريك الميليشيات المسلحة المعروفة بفرق الحماية الحضرية (Dispositif de Protection Urbaine) الذي كان بمثابة نسيج هرمي مضاد للثورة، يحول دون رجوعها إلى النشاط في مدينة الجزائر و بالأخص بحي القصبه³. و هناك أيضا العقيد جورج دو بواسيو (G. de Boissieu) و العقيد فودار (Godard)⁴، و العقيد هنري جاكان (H. Jacquin) رئيس المكتب الثاني و رئيس "مكتب الدراسات و التنسيق" (Bureau d'Etude et de Liaison) الذي أسندت له مهام الحرب النفسية بعد حل المكتب الخامس في فيفري 1960. و قد ترك لنا العقيد جاكان مذكرات عن أنشطته التخريبية خلال فترة ترأسه للمكتبين. و هي مذكرات أقل ما يقال عنها هو أنها حرب نفسية على المدى البعيد بما تضمنته من مزاعم تصدر عن نفس حاقدة لم تھضم بعد هزيمتها، فأرادت أن تستدرك النصر على صفحات الكتب بتشويه التاريخ و تلغيمه⁵. كما لا يفوتنا أيضا ذكر الرائد لجيه (Paul Alain Léger)، المشعل لفتيل لابلويت التي عصفت بالولايتين الثالثة و الرابعة⁶.

المبحث الثاني : عمليات الحرب النفسية ضد الثورة

يجب الاعتراف بدءاً بأنه من الصعب العسير حصر جميع عمليات الحرب النفسية التي استهدفت الثورة : فطبيعة الحرب أولا، ثم طول مدتها ثانيا، ثم نذرة الأرشيفات الخاصة بالموضوع أو على الأقل تعذر الإطلاع عليها في الوقت الراهن، و بالأخص الأرشيف الجزائري الخاص بجيش التحرير، تجعل مسألة حصر كل عمليات الحرب النفسية التي استهدفت الثورة أمر في عداد المستحيلات. لذلك سنكتفي هنا في عرض تسلسلي بسط ما توصلنا إليه حول هذه العمليات.

¹ - Lahrech Brahim, dit « Ghani », La lance et le bouclier, les services secrets du GPRA, Annaba, Imprimerie Centrale, juin 1999, p. 147.

² - Achour CHOURFI, Dictionnaire de la révolution algérienne (1954- 1962), Alger, Casbah Editions, 2004, p. 331 ;

³ - Roger TRINQUIER Col., Le temps perdu, Paris, Albin Michel, 1978, 244- 247.

⁴ - voir Achour Cheurfi, p. 169.

⁵ - فمن مزاعمه مثلا تبحه بالقول بأن كل من العقيد هواري بومدين و رئيسي الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس و يوسف بن خدة و آخرون... قد عملوا كلهم في فترة ما كعملاء لمصالحه السرية و هو الأمر الذي يصعب تصديقه. لأنه لو صحت هذه المزاعم، فإن السؤال عندئذ سيكون : لماذا أخزمت فرنسا مع أنها كانت تمتلك ناصية الثورة في يدها ؟

- Voir, Henri JACQUIN, La guerre secrète en Algérie, Paris, Olivier Orban, 1977.

⁶ - حول أعمال هذا الأخير خلال الحرب أنظر مذكراته :

- Paul Alain LÉGER, Aux carrefours de la guerre, Paris, Albin Michel, 1983.

المطلب الأول : الفصل بين الثورة و الشعب

و ذلك باعتماد سلسلة من الإجراءات التي تصب كلها في اتجاه تحقيق فصل عضوي بين الشعب و الثورة : فمن جهة كان يتم العمل على قطع كل طريق للثورة للوصول إلى الشعب؛ و بالمقابل كان يتم العمل أيضا على فصل الشعب عن ثورته.

أ- فصل الثورة عن الشعب : القضاء على الخلايا الثورية

و في هذا الصدد كان من بين أولى الإجراءات التي لجأ إليها الفرنسيون هو البحث عن الخلايا الثورية و تفكيكها، لدورها الخطير و المزدوج، المتمثل في تأطير السكان و تنظيمهم، بما يعزز نفوذ الثورة و يؤمن التطبيق لأوامرها و بما يؤمن استمراريتها من خلال ما تمدها به هذه الخلايا من رجال و مال و معلومات. عمل الفرنسيين في هذا الاتجاه، هو مسعى يهدف -بزعمهم- إلى " إخراج السمكة من الماء"، أي لاستئصال الثورة من بين السكان، بهدف « تحريرهم من الخوف الذي يشلهم و الذي يحول دون عودتهم إلى فرنسا»¹. فغدا القضاء عليها أولوية تنتفي دونها كل أولوية أخرى². بل إن القضاء على خلية ثورية واحدة يفوق في أهمية القضاء على خمسة أو ستة من جنود جيش التحرير³.

تتوفر الخلية الثورية، كوحدة قاعدية للتنظيم الثوري، على الخصائص التالية :

- الاستمرارية و الدوام في الزمان و المكان، فهي قابلة للنمو و التكاثر و التجدد. لذلك فافتلاعها لا يعني القضاء عليها طالما بقي أحد أعضائها حرا طليقا، أو بقيت خلايا ثورية أخرى موازية تنشط في خفاء.
- الخفاء، فهي تعمل دائما على إبقاء عناصرها و أنشطتها في حالة خفاء.
- أن وجودها هو في ذاته ضمان لاستمرارية وجود التنظيم العسكري، الذي هو هنا جيش التحرير الوطني، بما تمده به من مال و رجال و تموين و معلومات. مما يعني أن مطاردة الخلايا الثورية و مطاردة عناصرها هو في نفس الوقت حرب على التنظيم الثوري ككل، من شأنه أن يحرمه من الإمدادات و المعلومات.
- و لكن الخلية الثورية تنطوي على موطن ضعف هام، و هو :
- الثبات و الاستقرار لأنها تنشط بين السكان. و هذا هو مصدر ضعفها الكبير، لأن عناصرها هم من الشعب و يتكون بالشعب، و بالأخص جامعوا الاشتراكات و المكلفون بالدعاية، فهم معروفون و يمكن التعرف عليهم بالبحث و الاستخبار. فإذا ما تم « رفع الخوف من الإجراءات العقابية و الانتقامية للثوار، التي تغمض العيون و تكمم الأفواه»، أمكن عندئذ القضاء عليها بكل سهولة . و لأن القضاء على الخلايا الثورية هو، بالنسبة للفرنسيين، أمر سهلا و مستعجلا و جب البدء به لأنه يرهن باقي العمليات العسكرية الأخرى: فإذا كانت الخلايا الثورية موجودة بعين المكان و في حالة

¹ - Directive de M. R. Lacoste aux responsables civils et militaires de l'Algérie, juin 1957, in Algérie 1957, op. cit, p. 54

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Directives n° 2 pour les Généraux Commandants de Zone, Signé le Général de Division ALLARD commandant le Corps d'Armée d'Alger, 23 mars 1957, p. 2 et 3.

³ - المصدر السابق، ص. 3.

نشاط، كان الهجوم على التشكيلات المسلحة عملية صعبة و دوغما جدوى، لأن هذه الخلايا ستندثر هاته التشكيلات و في الوقت اللازم بالخطر المهدق، كما أنها ستعوض خسائرها المادية و البشرية. و لكن إذا تم التخلُّص من الخلايا الثورية أولاً، أصبح ضرب التشكيلات المسلحة أمراً ممكناً و سهلاً لانقطاع المدد عنها و بدء توارد المعلومات بغزارة¹.

تمثل "معركة الجزائر" أكبر عملية شنت خلال الحرب و استهدفت تفكيك أكبر تنظيم سياسي حضري للثورة. حيث تمكنت القوات الفرنسية من تفكيك التنظيم الثوري لمدينة الجزائر و توقيف ما يقارب الخمسة آلاف من المناضلين العاملين به². و هو ما كانت له لاحقا آثاره السلبية الوخيمة على مسيرة الثورة في الجزائر ككل. حيث كان يمكن لهذه المدينة، بما تتوفر عليه من امكانات بشرية و مادية هامة أن تقدم الكثير للثورة. و لكن، و برغم هذا "النجاح" فهناك مؤشرات عديدة هنا و هناك، تدل على أن عملية تفكيك الخلايا الثورية للثورة لم تكن بالمهمة السهلة³. فالمرونة التي تتمتع بها هذه الخلايا و قدرتها على التكيف مع أصعب الظروف قد منحها القدرة على التفلُّت من بين أصابع الجيش الفرنسي. و حتى في الحالات التي تقع فيها هذه الخلايا في قبضة الجيش الفرنسي فإن سرعة قابليتها للتشكل قد أذهلت الفرنسيين أنفسهم. فالخلايا تتشكل حتى في قلب السجون و المعتقلات و المحتشدات. فغدت قناعة لديهم بأن الانتصار على الخلايا الثورية للثورة هي معركة طويلة و مستمرة لا يمكن كسبها من الجولة الأولى. و هي القناعة التي نجد صداها في الدليل العملي لـ «حرب التهدة» الذي وضع كدليل للقيادات الميدانية، حيث نقرأ فيه ما نصه : « لن يتيسر لكم تأدية مهمتكم إلا إذا كنتم على إطلاع واف بالتنظيم الثوري بمنطقتكم. فكونوا على يقين إذن بأن المتمردين سيعمدون إلى إيجاده إذا لم يكن موجودا بعد. و كونوا على يقين أيضا بأنكم حتى لو استطعتم تفكيك هذا التنظيم كليا أو جزئيا فإنه سيعمل على إعادة بناء نفسه. لذا، يجب عليكم العمل باستمرار وبتوادة و صبر و منهجية لكشفه و تحطيمه »⁴. و كعبئة على الليونة و الحركية اللتان كانت تتمتع بهما التنظيمات السياسية للثورة، هو ما سجل في بعض المناطق من تكوين خلايا ثورية بعناصر نافذة في وسطها، تتمتع بالنفوذ و الحصانة، حتى إذا ما تم توقيفها لم تعدم متدخلا يشفع لها لدى السلطات الفرنسية⁵. و قبل أن نختتم تناولنا لهذه النقطة، نشير إلى أن السلطات العسكرية و المدنية الفرنسية، في عملها لتفكيك خلايا الثورة، كانت تجتهد أيما اجتهاد لإلقاء القبض على المحافظين السياسيين، معتبرة إياهم رأس الحربة في معركة النفوذ على الشعب، فعليهم يقع عبء التنظيم و التعبئة⁶.

¹ - SHAT, 1H 2577/D.1, Directive générale sur la guerre subversive, n° 478 CAA /3/OPE, signé le Général de Division MASSU, 24 Février 1959, p. 4 ; Voir aussi Roger Trinquier (Col.), Le temps perdu, Paris, Albin Michel, 1978, p. 239.

² - Les missions de l'Armée française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, conférence donnée à S.H.A.P.E. par le Général de Corps d'Armée ALLARD, op. cit., (pages non numérotées).

³ - Patrick EVENO et Jeans PLANCHAIS, La guerre d'Algérie, dossiers et témoignages réunis et présentés par Patrick Eveno et Jeans Planchais, Alger, Laphomic, 1990, p. 166.

⁴ - SHAT, 1H 2538/D.1, Guide pratique de pacification à l'usage des commandants de sous- quartier, p. 18.

⁵ - Mohammed HARBI et Gilbert MEYNIER, Le FLN, documents et histoire 1954- 1962, Alger, Casbah Editions, 2004, p. 175- 176.

⁶ - SHAT, 1H 2577/D.1, Directive particulière concernant la lutte contre l'organisation politico- administrative rebelle, signé R. LACOSTE, Alger 18 Août 1956, 3 p. + annexe.

ب- فصل الشعب عن الثورة

بالتوازي مع الإجراءات المتخذة للقضاء على الخلايا الثورية الناشطة بين السكان، تم تطبيق إجراءات مقابلة لفصل الشعب عن ثورته. هذه الإجراءات، تكمل و تتم المخطط الحربي الذي تناولناه في الفصل السابق، حيث يمكن أن نعد من بين هذه الإجراءات :

1- انشاء المحتشدات (camps de regroupement)

كانت عملية إنشاء المحتشدات بالمناطق الريفية، تمثل تطبيقا لما يسمى بسياسة "إفراغ الحوض" (*vider l'aquarium*)، لخلق السمكة، بإفراغ الماء الذي تسبح فيه¹. و هي عملية خصت بالأساس سكان الريف الجزائري، الذين كانوا يعيشون في تجمعات سكانية منعزلة و متفرقة، كثيرا ما وجد فيها جنود جيش التحرير محطات للتوقف و استجماع القوى و التموين. لذلك كان حشد هؤلاء السكان في محتشدات على مقربة من معسكرات الجيش هو وسيلة لمراقبة هؤلاء السكان و إعاقة حركة الثورة للوصول إليهم و فرصة للشروع في عملية تنظيمهم، بجرهم على تطبيق ما يسمى بـ "الإصلاح الإداري" أي بجرهم على تعيين ممثلين عنهم لتشكيل المندوبيات الخاصة. و هي فرصة أيضا لنسج تنظيم موازي و مناوئ للثورة في وسطهم، يهد لاحقا لتنظيمهم في إطار الدفاع الذاتي بما يجعلهم يحملون السلاح ضد الثورة.

و قد ترتب عن هذه المحتشدات نتائج مأساوية كبيرة عانى منها السكان، فقد قطعت روابطهم بقراهم و مداشرهم و ساهمت في تدهور وضعيتهم الصحية و الاجتماعية و الاقتصادية، لا قوت لهم إلا ما يوجد به الجيش عليهم. كما أن هذه المحتشدات لا تتوفر على الشروط الحياتية الدنيا². كما أنها حالت بينهم و بين مصدر رزقهم المتمثل غالبا في زراعة معاشية و رعي الأغنام. فقد أصبحت زراعتهم و مراعيهم مناطق مدرجة ضمن مجال "المناطق المحرمة" حيث تقضي الأوامر بفتح النار فيها على كل ما يتحرك³.

و بالرغم من الطابع القهري و الإجباري لعملية إنشاء المحتشدات، حيث كانت قوات الجيش الفرنسي هي التي غالبا ما تجبر السكان على ترك قراهم و مناطق سكناهم للالتحاق بالمحتشد لاعتبارات عملياتية عسكرية، فقد سُجل أيضا عدد من الحالات الاستثنائية، التي طلب فيها السكان الحماية من الجيش الفرنسي و التحقوا طوعا بمحتشداته. هذه الحالات الاستثنائية أملت أسباب مختلفة: يعود بعضها إلى أخطاء ارتكبتها الثورة في حق السكان؛ و يعود بعضها الآخر إلى تواطؤ سجل علي هؤلاء مع العدو فخافوا لأجله عقاب الثورة و طلبوا الحماية من الجيش الفرنسي، مثل ما حدث مع بعض سكان عمالة المدية، و هي حالات نقدر أنها كانت محدودة جدا⁴.

¹ - Patrick Eveno et Jeans Planchais, *La guerre d'Algérie...*, op. cit., p. 223.

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Compte rendu du capitaine Jacques MERCIER, Officier Itinérant, sur sa mission en zone Sud Algérois au cours du mois de mars 1959, 29 mars 1959, 7 p. ; Patrick Eveno et Jeans Planchais, *La guerre d'Algérie...*, op. cit., p. 223- 228.

³ - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, Paris, Pygmalion Gérard Walet, 1984, p. 155.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Note sur les regroupements de populations musulmanes, Préfecture de Médéa, 1^{er} mai 1957, 4 p.

هذا، و قد مست إجراءات الحشد هذه أزيد من ثمن الشعب الجزائري. فبعد أن كان عدد الجزائريين بهاته الاحتشدات يقدر بـ 485.452 جزائري، موزعين بين 641 مركز في جويلية 1958¹ ، ارتفع هذا العدد ليبلغ 1.766.055 جزائري بحلول أكتوبر 1960². و هو ما عرقل كثيرا مسيرة الثورة نحو النصر.

2- تشويه صورة الثورة لدى الشعب

و ذلك باستعمال مختلف وسائل الدعاية المغرضة، و بالأخص المنشور الذي يمثل أحسن عينة عن نشاط الفرنسيين في هذا المجال. ففي ميدان الدعاية بالمنشور، تم إصدار و توزيع كم هائل من المناشير التي تناولت مختلف المحاور و صبت كلها في خدمة غايات المغالطة و الإعلام المضلل، من ذلك :

- تشويه صورة الثورة بالقدح و الطعن في عناصرها و رموزها، بنعتهم بمختلف النعوت: كنعنتهم بـ «العقارب» التي لا هم لها إلا لسع الفلاح الجزائري البائس³ ؛ و نعت جنودها و ضباطها بـ «الجراد»⁴، و بـ «الثعالب و الديوبة»⁵ التي لا تشبط إلا في الليل مع حلول الظلام ... و نعنتهم بـ « الجرمين، الذين ما عندهم لا دين و لا ملة»⁶ و « لا يحترمون القرآن »⁷، « مصاصو دم و أموال » و « قطاعين الطرق و خدامين البراني »⁸ ، أي عملاء لحساب الغير : روسيا و مصر.

- تشويه صورة الثورة بتصويرها بأنها هي المتسبب في كل المآسي التي يعاني منها الشعب الجزائري: فهي « تأخذ الأموال و الأولاد و تخلف الدمار. كما أن جيشها لا يواجه الجيش الفرنسي في الميدان، و عند المواجهة يفر تاركا السكان العزل و حدهم في مواجهة مصير مجهول أمام الجيش الفرنسي. فأى ثورة هذه التي تعد و لا تفني و تفر و لا تواجه و تخلف الدمار ؟ لذلك فمن مصلحة السكان التعاون مع الجيش الفرنسي لأن في ذلك اختصارا لطول معاناتهم »⁹. مثال ذلك منشور بعنوان : « يا نساء الجزائر الفتنة الغاشمة خلت دياركم بلا رجال و اولادكم بالجوع »¹⁰. مناشير أخرى تضمنت مقارنات بين عمل فرنسا و عمل الثورة، حيث يتميّز عمل فرنسا بـ "البناء"، بينما يتميّز عمل الثورة بـ "الهدم" : « الفلافة يخربوا... الفرنسيين بينوا؛ الفلافة يجوزوا فرنسا تبقى؛ الجزائر تبقى

¹ - Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches extra militaires de pacification, 1^{er} semestre 1958, édité par le 6me Bureau, p. 22- 23.

² - SHAT, 1H 2575/d.2, Centre de regroupements (Nouveaux villages).

³ - أنظر الملحق رقم : 03.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 47.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 37.

⁶ - أنظر الملحق رقم : 64.

⁷ - أنظر الملحق رقم : 42.

⁸ - أنظر الملحق رقم : 43.

⁹ - أنظر الملحق رقم : 34، 36، 35، 52.

¹⁰ - أنظر الملحق رقم : 44.

فرانسوية»¹. منشور آخر نعت الثوار بـ "الجراد" جاء فيه : « في جميع الا مواضع اللي فات عليهم الفلاف ما بقاء حتى شيء [...] مروره يدل على الاخذ و الحزن و الدموع و الجوع و الشقاء يعني الموزية. تكافحوا ضد الجراد، فكافحوا أيضا ضد الفلاف، جراد البوم [...]»². و في هذا المعنى أيضا، كان يتم تصوير عملية دفع الاشتراكات للثورة بأنها عملية « سرقة و ابتزاز لعرق البائسين و جهد الكادحين من أفراد الشعب الجزائري »³، لترسل هذه الأموال إلى تونس لتغطية نفقات المسؤولين الذين يقيمون في مأمّن « حياة الترف و العريضة بملاهيها»⁴. بدليل - يقول منشور آخر- أن هذه الأموال لم تدخل أبدا في شكل أسلحة، و إلا تغيرت معطيات الحرب في الجزائر.

- تشويه صورة الثورة بنعتها بـ « اللإ إنسانية و الدموية »: حيث تم ضبط قائمة للبحث عن مختلف الشواهد المؤيدة لذلك لاستغلالها في تطبيق نشاط نفسي في هذا الإتجاه. هذه الشواهد يمكن أن تكون وثائق أو شهادات أو تصريحات أو صور أو غير ذلك⁵. و في هذا الصدد نشير إلى أن مصالح الحرب النفسية قامت بإصدار كتيب - بزعمهم - عن « جرائم الثورة». و هو نشرة مصورة في شكل ألبوم، تتضمن صوراً لضحايا أغلبهم من المدنيين الجزائريين قتلوا ذبحاً و مثل بهم؛ و آخرين جُذعت أنوفهم، لأنهم لم يحترموا أمر الثورة بعدم التدخين⁶.

- تشويه صورة الثوار بنعتهم بـ « الخارجين عن القانون و الغرباء عن الدين، الذين لا يحترمون القرآن و يهتكون الأعراس ». مثال ذلك منشور بعنوان: « لا يحترم الخارجون على القانون القرآن الكريم... لن يغفر لهم الله تعالى » الذي جاء فيه بأن جماعة من "الخارجين على القانون" مرت بالبلدية المختلطة لسور الغزلان (Aumale) و اغتصبوا نساء أمام أزواجهن و أبنائهن⁷.

- زف الأخبار التي تبشّر بنعي الثورة لإيقاع الإحباط و اليأس في نفوس المتعاطفين معها : كالمناشير التي تذيع أخبار الهزائم التي، بزعمهم، ألحقها الجيش الفرنسي بالثورة. و تذيع أخبار القضاء على عدد من عناصرها أو توقيف عدد من مسؤوليها. و هنا يتم تعزيز مضمون المنشور بذكر الأماكن و التواريخ و سرد الأسماء مرفوقة بالصور. مثال ذلك المنشور الخاص باعتقال القادة الخمسة و « التحاق » عجول عجول و استشهاد الشهيد عاشور زيان⁸. و ضمن هذا النوع أيضا يمكن إدراج مناشير أخرى « إعلامية »، لإخبار السكان، من خلال زف أخبار لا تخدم الثورة، بغرض التسميم.

¹ - أنظر الملحق رقم : 51، 53، 55.

² - أنظر الملحق رقم : 52.

³ - أنظر الملحق رقم : 48 و 49.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 49 و 50.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 57 و 70.

⁶ - *Aspects véritables de la Rébellion algérienne*, S. L., Société Anonyme de l'Imprimerie Générale, (s.d.), 155 p.

⁷ - أنظر الملحق رقم : 42.

⁸ - أنظر الملحق رقم : 62، 63، 64، 66.

كذلك النداء الموجه إلى سكان بسكرة بتاريخ جويلية 1957 بعنوان : « يا أهل بسكرة : هل تعرفون ماذا يحدث في الجبل؟»¹. في هذا النوع من المناشير، كان يتم بطريقة ذكية سرد جملة من الأخبار وحبكها بطريقة فنية، بما يجعلها تظهر في النهاية بمظهر الحقائق التي لا غبار عليها، بالرغم من موقفها العدائي الصريح للثورة.

- حث السكان على رفض الثورة و عدم الامتثال لأوامرها. و تحريضهم على رفض دفع الاشتراكات و الوشاية بمحصيليها و بالمحافظين السياسيين. بما في ذلك حمل السلاح و التصدي لعناصرها. مثال هذا النوع من المناشير، منشور رسم عليه مجموعة من القرويين، المسلحين بالعصي و البنادق و بمختلف الأدوات، يقومون بمطاردة مجموعة من الأشخاص المسلحين « فلاة » مجبرين إياهم على اللوذ بالفرار. و في أعلى المنشور كتب بخط عريض: «الاتحاد و الأمان يمكننا قوة الفلاحة... افعلوا مثلهم و اطرّدوا بدوركم الفلاث»². في هذا النوع من المناشير كان يتم إجراء علاقة وثيقة بين مسألة رفض الثورة و مسألة عودة السلم و الاستقرار "الهنا و العافية". و هي علاقة تناسبية وثيقة : فبالقدر الذي يتعاون فيه السكان مع الجيش الفرنسي تكون عودة السلم و الأمن، التي تعني فيما تعنيه، رفع حواجز المراقبة، و انتهاء عمليات المداهمة الليلية و التوقيفات العشوائية التي ترّوع السكان و تكلفهم الكثير من الوقت. من ذلك ما جاء في خاتمة أحد المناشير : « خير الحكومة إذا بغيت رجوع العافية في الحين »³. منشور آخر بعنوان « إخواننا المسلمين » جاء فيه : « [...] و لكن كل يوم يفوت راكم ضايعين فيه. المال الي يتصرف على العسكر و المكاحل ما توجدوا شي باش تبنوا لكم الديار او توكولا أولادكم ! كنوا عاقلين. اخدموا غير الحاجة الى تصلح لكم و لعائلاتكم. عاونوا العسكر في كفاحهم ضد الفلاة. اخبروا العسكر كيف تشوفوا الفلاة جاتين عندهم. لو كان تفعلوا هكذا بلا شك يرجع الهنا عن قريب »⁴. كما ختم منشور آخر بهذه العبارة : « أيها المسلمين الجزائريين ! خير واحد... يساوي واحد مجرم ... و واحد السراق بالنقصان! [بالنقصان] »⁵. علما أن هذا النوع من الدعاية كان يلجأ إليه غالبا عند تسجيل حالة تدمير عامة لدى السكان تجاه الثورة من جراء وقوع هفوات و أخطاء نفسية أو سلوكية أو تجاوزات من بعض عناصرها.

- حث السكان على العودة إلى فرنسا « السخية و الكريمة»، التي « ستبهرهم بالإصلاحات التي تُعدها لهم عند عودة السلم و الأمن »⁶. و التي تعرف كيف تعفوا « و إن حمل أبنائها ضدها السلاح »⁷. فما عليهم إذن إلا الاقتراب من فرنسا لأن الاقتراب من فرنسا هو « ربح كله لا

¹ - أنظر الملحق رقم : 38.

² - أنظر الملحق رقم : 59. أنظر أيضا : الملحقين رقم : 57 و 58.

³ - أنظر الملحق رقم : 60.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 34.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 61.

⁶ - أنظر الملحق رقم : 34.

⁷ - أنظر الملحق رقم : 56.

خسارة فيه»¹. مناشير أخرى كانت تدعو السكان إلى الاقتراب من الجيش الفرنسي، ممثلاً في الجندي الفرنسي، الذي سيقدم لهم كل المساعدة و الذي لن يطلب منهم في مقابل ذلك أي شيء، اللهم إلا «صداقتهم»². علماً أن نفس هذه المناشير كانت تستعمل لتوجيه إنذارات و تهديدات لهم ليقلعوا عن تعاونهم مع الثوار و استقباهم و إطعامهم و تموينهم... و إلا فإنهم سيُعتبرون متواطئين معهم. فما عليهم إلا الاختيار بين «الهناء و حماية فرنسا» و بين «العقاب الشديد على جرماتهم»³. في هذه المناشير كان يتم غالباً دعوة السكان إلى البقاء في أماكنهم و عدم الفرار عند مجيء قوات الجيش الفرنسي لأن في ذلك دليلاً على توأطئهم⁴.

- و لما كانت منطقة القبائل قلعة من قلاع الثورة، فقد استهدفتها المصالح النفسية للجيش الفرنسي بنشاط خاص جرى العزف فيه على بعض الأوتار، كدعوتهم للاستماع إلى «صوت العقل و تحكيمه» لأتئم من «أرباب العقول المفكرة، التي تدرك جيداً أين تكمن مصلحتها»⁵. كما جرى أيضاً العزف على خصوصيتهم لاختلاق فوارق مفتعلة و ضرب و حذتهم مع باقي الجزائريين⁶.

المنشور الفرنسي هو من الناحية الفنية انجاز جيد، ينم عن دراسة فنية و تقنية عالية. فالشكل يتناسب غالباً و المضمون. كما أن النصوص وجزيرة موحية تدل على المقصود، قد روعي في صياغتها ذهنية الانسان العادي و البسيط، لذلك فهي لا تتطلب كثير إعمال فكر. أما الكتابة فغالباً ما تكون موزعة بين فقرات صغيرة و كتابات عريضة تتخللها، هي بمثابة الشعار، الذي يختصر المنشور و يدل على مقصوده. أما اللغة المستعملة فتحددها الحاجة، أي طبيعة الجمهور المستهدف و كثيراً ما لجئ إلى استعمال اللغتين، العربية و الفرنسية معاً، حيث تتراوح العربية من فصحي سليمة إلى عامية سوقية، كتبت في أغلب الأحيان بالخط المغربي. كما توجد أيضاً مناشير أخرى هي عبارة عن نصوص طويلة مسهبة، جيدة الصياغة محبوكة المضمون. و هذا النوع من المناشير لا يوزع غالباً إلا في بالمدن، أين تتواجد نخب مستنيرة، تقتضي المصلحة استهدافها بمثل هذه النصوص للتأثير عليها في بناء موقفها الخاص. و من أمثلة هذا النوع، منشور بعنوان: «يا أهل بسكرة: هل تعرفون ماذا يحدث في الجبل؟»⁷؛ و «يا أيها المسلمون فكروا...»⁸.

مناشير أخرى اكتنفي فيها برسم شديد الإيحاء تعلوه جملة كشعار. مثال ذلك منشور بعنوان: «يا سكان الدواوير واش تاكلوا في الشتاء الجاي؟» و تحت هذا السطر كتب سطر آخر: «واش تظنوا بالي الفلاقة يقدرنا بمونوا دواركم... و يطعموا أولادكم» و بأسفل هذه الكتابة يوجد رسم لامرأة نحيلة بئسة غارقة في

1 - أنظر الملحق رقم: 38، ص. 3.

2 - أنظر الملحق رقم: 56.

3 - أنظر الملحق رقم: 54 و 55.

4 - أنظر الملحق رقم: 54 و 61.

5 - أنظر الملحق رقم: 39.

6 - أنظر الملحق رقم: 40.

7 - أنظر ملحق رقم: 38.

8 - أنظر الملحق رقم: 36.

السواد تجلس في العراء وتمسك بين يديها بصغيرها الذي يعالج الموت¹. منشور آخر حمل رسماً أكثر إيحاءً، إنه رسم لعائلة تتكون من نسوة وأطفال، منظرهم يدل على البؤس الشديد. فالثياب حلقة مرقعة و الوجوه شاحبة تعكس الانكسار و اليتيم. و حول الرسم كتب ما يلي: « يا نساء الجزائر الفتنة الغاشمة خلت دياركم بلا رجال و اولادكم بالجوع »². و قد سجل على هذا النوع الأخير من المناشير، أي المناشير التي يحتل فيها الرسم مساحة أكبر على حساب الكتابة، اقبال كبير من طرف السكان لارتفاع نسبة الأمية بينهم³.

علما أن هذه المناشير كثيرا ما طُعمت بعناصر و قوالب من ثقافة السكان المعنيين، لتسهل عملية تمير خطابها واستساغته. من ذلك ما جاء في أحد الشعارات للتحذير من دعاية الثورة : « لا تسمع كلام صاحب الشيطان والتشويش، هو يفتش على الشر و الشر عليه ينادي »⁴. أو « العودة إلى الحق فضيلة »⁵ ؛ أو « الله يردكم الى طريق الصواب »⁶. أو « اللي فات مات... بل إن بعض المناشير لا تتردد في استعمال بعض العبارات ذات الدلالة الدينية، كوصف «عقاب فرنسا للمجرمين» بأنه عقاب عادل من الله تعالى مثلما جاء في أحد المناشير: « إن الله يعاقب كل مجرم بيده العادلة و قدرته القوية »⁷ أو « إن الله يعاقب كل يوم جيش الدباحين و الخيان »⁸، بما في ذلك استعمال بعض آيات القرآن الكريم، فقد ورد في أحدها، للدلالة على أن فرنسا ستعقب « المجرمين » : ﴿ ألم تَهْلِك الأولين ثم تتبعهم الآخرين [و] كذلك نفع المجرمين ﴾⁹. و قبل أن نختم هذه النقطة، نشير إلى وسيلة أخرى، استعملت، إلى جانب المنشور، استعمالا واسعا جدا بين السكان، ألا و هي الخطب في الحشود. خاصة و أن الأمية المنتشرة بين سكان الريف كانت تحول دون استعمال الوسائل المقروءة الأخرى. ففي استعمال هذه الوسيلة، كان للقدرات الشخصية للخطيب دور حاسم في توصيل الدعاية. فمتى كان الخطاب مباشرا، يسائل السامعين و يداعب فضولهم كان ذلك أدعى لوصوله¹⁰. و بما أن الغاية الأساسية لهذه الخطب هي مناهضة الثورة بدعاية مضادة، تستغل فيها «أخطاؤها و اخفاقاتها» فقد تم تزويد المصالح النفسية المحلية بنماذج عامة لاستغلال « هزائم الثورة » و استعمالها في تطعيم الخطب في الحشود بالأخبار المناسبة¹¹.

¹ - أنظر الملحق رقم : 46.

² - أنظر الملحق رقم : 44.

³ - أنظر الملحق رقم : 04 و 47.

⁴ - SHAT, 1H 2411/d.1, Note de renseignement, n° 258/DMA.SP, 15 mars 1957.

⁵ - SHAT, 1H 2509, tract FLN- ALN intitulé « سكانين سان شارل ».

⁶ - أنظر الملحق رقم : 64.

⁷ - أنظر الملحق رقم : 63.

⁸ - أنظر الملحق رقم : 65.

⁹ - سورة الواقعة، آية 16-18. أنظر الملحق رقم : 43.

¹⁰ - أنظر الملحق رقم : 6 مكرر.

¹¹ - أنظر الملحق رقم : 71.

المطلب الثاني : «حرب المناشير» ضد جيش التحرير الوطني

بالرغم من أن الحرب النفسية الفرنسية كانت تستهدف الثورة ككل، بمختلف أجهزتها و عناصرها، فإنها كانت أكثر وطأة على جيش التحرير الوطني بالداخل، الذي كان هدفا لأغرب العمليات التي استهدفت ضرب معنوياته و تمزيق وحدته و تشتيت صفوفه باستعمال مختلف أساليب التضليل و الخداع و التسميم و التغلغل و الاختراق، و غيرها من الأساليب الملتوية الأخرى التي كلفت جيش التحرير الوطني الكثير من الطاقات البشرية و المادية. هذه الأساليب الحربية المطبقة تضاف إلى إجراءات عسكرية تكتيكية أخرى تم تطبيقها في الميدان لتضييق الخناق على جيش التحرير و سلبه حرية الحركة و المبادرة في الميدان، من خلال التكتيف مع نمط الحرب التي اعتمدها آلا و هي حرب العصابات. حيث يمكن أن نذكر من بين هذه الإجراءات: تنفيذ العمليات العسكرية الكبرى ضمن مخطط شال، في إطار ما يعرف بـ "المكداس الضاغط" (rouleau compresseur) و انشاء وحدات كومندو مطاردة (Commandos de chasse)، التي تبنت في تكتيكها تطبيق تكتيك الثوار في الحركة و السكون.

و كنا قد أشرنا في بداية هذا الفصل، بأن الغاية من الحرب النفسية الفرنسية على الثوار هي تحقيق نتيجة نهائية، تتمثل في جرهم إلى الاستسلام و الالتحاق. هذه النتيجة يتم تحقيقها بجعل الثوار يرون بما يسمى بمراحل « الشر الضروري » (le mal nécessaire)، ممثلة في المراحل التالية :

أولا: زرع الشك في نفوسهم، يجعلهم يفقدون الثقة في قادتهم و في المثل الأعلى الذي من أجله يقاتلون و في الدعم الخارجي الذي يمكن لثورتهم أن تتلقاه من الخارج.

ثانيا: زرع العقدة بالنقص في نفوسهم تجاه التفوق الكمي و الكيفي للجيش الفرنسي

ثالثا: التمكين لقناعة قوية لديهم بالفشل المحتوم، الذي سيؤول إليه مشروعهم الثوري.

رابعا: التمكين لقناعة راسخة في نفوسهم بعدم جدوى كل التضحيات المقدمة.

خامسا: جعل العودة إلى حياة عادية و طبيعية تطلعا عميقا لديهم لا يمكن تحقيقه إلا بالاستسلام و الإلتحاق بالجيش الفرنسي¹.

في الحرب النفسية التي شنت ضد جيش التحرير الوطني، احتل المنشور مكانة هامة بين الوسائل الدعائية الأخرى، لذا فهو بتنوعه و تنوع محاوره، يمثل أحسن عينة على جهود الفرنسيين في هذا المجال. حيث يمكن أن نتميز فيه بين ثلاثة أنواع أساسية هي : أولا المناشير الخاصة بضرب المعنويات (tract de démoralisation)، التي تعمل على التثبيط و زرع الخور و كسر الروح القتالية. ثانيا المناشير الخاصة بالتسميم (tract d'intoxication) و التي يتم فيها استغلال جميع الفرص المواتية لإحداث الشقاق و توسيعه في صفوف قيادة جيش التحرير من خلال إنتاج وثائق مزورة، تثبت تواطؤ بعض القادة مثلا و عمالهم للجيش الفرنسي أو قيامهم بلعب دور مزدوج، و استغلال تصريحات البعض ضد البعض الأخر. بما في ذلك توجيه بعض الإطراءات و المديح الخفي

¹ - SHAT, 1H 1113/d.2, Note de service : Plan d'action psychologique (suite à la note d'orientation n° 6), n° 625/EM.10/PSY/PR, 22 novembre 1956, p.2.

لبعض القادة بما يجعلهم مشبوهين في نظر رفقائهم و بما يؤدي عاجلا أو آجلا إلى اندلاع سلسلة من عمليات التصفية بين القادة و الجماعات. كما يمكن إدراج ضمن هذا النوع من المناشير المنشور الأسود الذي ينتحل النسبة إلى تنظيمات حقيقية أو وهمية و يتضمن بلاغات و خطابات و أوامر مضادة تهدف إلى التشويش و خلق البلبلة في النفوس. فمثلا، من أجل ضرب المقاومة الجزائرية، يمكن لجمعية، و لتكن « جمعية حماية الجزائريين » مثلا إصدار البلاغ التالي: « إن الجيش الفرنسي هو من القوة ما يمكنه القضاء على المقاومة بكل سهولة. و هو إذ لم يفعل ذلك فما ذلك إلا لأن فرنسا تريد تعهد جيوب التمرد للقضاء تدريجيا على كل مسلمي الجزائر. لذلك فمن المهم عدم الوقوع في الفخ بإطالة أمد المعارك التي ستقضي على الأمة الجزائرية، و بالأخص أن هذه الأخيرة يمكنها الحصول على استقلالها باستخدام الطرق السياسية»¹. وقد استعمل فعلا هذا النوع من المناشير السوداء لإصدار أوامر مضادة لأوامر الثورة لإفشال اضراب الثمانية أيام سنة 1957. و إصدار بلاغات و نداءات و تهديدات و سباب و شتائم ضد جبهة التحرير الوطني باسم الحركة الوطنية الجزائرية، أو العكس². و قد كان يراعى في إنجاز مثل هذه المناشير السرية التامة و مطابقتها شكلا و مضمونا لمناشير الهيئة المنتحلة. ثالثا المناشير التي تحت على الالتحاق. و هي نصوص و رسوم تدعوا إلى الالتحاق و تبين كفاءته. مناشير الالتحاق هذه يمكنها أن تكون "وثيقة آمان رسمية" يستظهرها الملحق لدى تسليم نفسه للجيش الفرنسي، لذا جرى ختمها بختم القيادة العليا ليزيد ذلك في مصداقيتها لدى حاملها و بما يستجيب لذوق أهلي عام يقدر كل ما هو محتوم. كما يمكن أن يكون المنشور ورقة مالية تحفز على الالتحاق للحصول على المكافأة. و هو ما سنتناوله عند تناولنا لمسألة الالتحاق.

هذا، و قد كان لكل نوع من الأنواع أعلاه محاوره الدعائية الخاصة به، حيث يمكن أن نجملها في الأتي :

- ضرب المثل الأعلى الذي يقاتل من أجله الجنود: فلما كانت قوة دعاية الثورة تكمن في جعل قضيتها "جهادا في سبيل الله" و جعل جنودها "مجاهدين في سبيل الله"، مما يحبطهم بحالة من القداسة و الإكبار في عيون السكان للاعتقاد هؤلاء بأن مجاهدي جيش التحرير مؤيدون من الله، الذي سيمنهم آجلا أو عاجلا بنصره القريب، فقد عملت الدعاية الفرنسية على سلبهم هذه الصفة و الترويج لضدها من خلال التشكيك في تأييد الله لهم، برفع شعار « الله ليس معكم، و قضيتكم ليست عادلة» و تأييد ذلك بشواهد عن إخفاقات الثورة و هزائمها و أخطاء ارتكبتها بعض عناصرها في حق السكان³. مثال ذلك، استغلال أحداث ملوزة التي جرت في ماي 1957، و تقديمها على أنها فضائع لا يمكن ارتكابها باسم الله، إذ كيف يقتل المسلم مسلما آخر؟ و في هذا الصدد لم يتردد الفرنسيون في استعمال بعض الفتاوى الموافقة لمراهم، كالفنوى الصادرة عن علماء الأزهر الشريف بتاريخ 18 نوفمبر 1954 التي تحذر المسلمين من الانسياق وراء بعض المبادرات التي تتركب الدين لتحقيق غايات لا دينية و مآرب خاصة. ثم من يجرؤ على نكران الطابع المتسامح لفرنسا فيما يخص المعتقد، فهي كدولة لا تكيهة تفر حرية الممارسة الدينية لكل مواطنيها

¹ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc : I action par tracts, (s. d.), 3 p.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، نفسه.

و لا تميّز بين معتقد و آخر. و ما يشهد لها بذلك هو ترخيصها لشيوخ الزوايا ببناء ما شاءوا من المدارس القرآنية و تشييدها لمسجد كبير في عاصمتها باريس¹.

- استغلال الاحتياجات الطبيعية للشخص : فالجاهد من جنود جيش التحرير هو إنسان من لحم ودم، فرضت عليه ظروف القتال العيش في حالة من الحرمان المستمر: حرمان مادي، يتعلق بالطعام و المنام و الملابس و الصحة؛ و حرمان معنوي، عاطفي، يتعلق بحنينه لأهله، زوجته و أولاده. و هذا الحرمان من شأنه، إذا أحسن استغلاله أن ينعكس سلبا على معنوياته و روحه القتالية. و قد تم استغلال هذه الحالة فعلا: ففيما يتعلق بالحرمان المادي جاء في منشور بعنوان: « لقد كذبوا عليكم... » ما يلي: « لقد كذبوا عليكم بقولهم لكم بأنكم ستجدون في الجبل اللباس و التجهيزات و الطعام متوفرا بكثرة. و يقال لكم كل يوم بأنكم ستحصلون على أسلحة كثيرة و حديثة، رشاشات و ذخيرة، بينما أنتم لا زلتم تقاتلون ببنادق قديمة و ذخيرة غالبا ميتة. و عندما تمرضون أو تسقطون جرحى لا تجدون العناية الطبية اللازمة، بل إن بعضكم أُجهز عليه من قبل رفقاؤه للتخلص منه »². و يختتم المنشور بدعوة هؤلاء « المخدوعين » إلى التخلص من قادتهم و الالتحاق بالجيش الفرنسي.

أما بالنسبة لاستغلال الحرمان العاطفي لدى جنود جيش التحرير، فكان يتم بإنجاز منشور موحية و محرّكة للفرجة الجنسية و العاطفة الأبوية: « فإذا كان المقاتل في الغالب غير مكترث بمصير أهله - [أبويه و إخوته] - فهو بالمقابل جد حساس لمصير نسله، أولاده من صلبه. لذا، سيكون من المهم إيقاظ حنينه لهم و تأجيج لوعة الفراق و البعد عنهم لديه بما يجعله يكثر لأحوالهم المادية. أما بالنسبة للمرأة، فإنه من المرغوب فيه، باستعمال منشور موحية، إثارة غريزته الجنسية غير المشبعة، بما يدفعه إما إلى الالتحاق بدواره للقاء أهله، أو الالتحاق بالدواوير المجاورة للمتعة بنساء الغير. و هذا الاحتمال الأخير سيسهل من عمل دعايتنا في اتجاه السكان »³. و هو ما كان فعلا موضوعا لأحد المناشير⁴. علما أن عائلات المجاهدين، و بالأخص الأمهات و الزوجات و الأخوات، كثيرا ما استهدفن بمناشير دعائية تخنهن على التأثير في رجالهن ليقنوا معهن فلا يلتحقوا بالثورة بالجمال⁵. و في هذا المجال، نشير إلى مبادرة جرى التفكير فيها و لربما حتى تنفيذها، تتمثل في التأثير على جنود جيش التحرير العاملين بمنطقة القبائل بواسطة التأثير على نساءهم. فقد لوحظ في عدد كبير من القرى بقطاع لعزازفة، انخفاض كبير في عدد البالغين من الذكور، الذين يكونون إما هاجروا إلى فرنسا للعمل أو التحقوا بالثورة في الجبال. فقدت القيادة العسكرية المحلية للجيش الفرنسي بأن هذا الغياب سيترك و لا شك فراغا كبيرا لدى نساء المنطقة، فراغا يجعل حالتهم المعنوية جد متدنية، و التي يمكن استغلالها في القيام بنشاط نفسي يستهدف الثوار

¹ - SHAT, 1H 2411/d.2, Note de service: Utilisation des arguments de propagande ALN en contre propagande, n° 607/EM.10/BP, Alger 15 novembre 1956, 4 p.

² - أنظر الملحق رقم : 67 (tract n° 2).

³ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc : I action par tracts, (s. d.), 3 p.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 42.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 44.

من خلاهن. هذا النشاط تقوم به فرق من النساء الشابات القبائليات المدربات، اللاتي تُؤكل لهن، في إطار مهمتهن الطبية و الاجتماعية، مهمة إقناع نساء المنطقة بضرورة إقناع رجالهن بالعدول عن المقاومة لأنها لم تعد مجدية و بضرورة تسليم أنفسهن لأن ذلك في مصلحتهم. إلا أن الطريف في هذا المقترح هو رأي العقيد لوفراي (Legray)، فقد كتب معلقاً على ظهر الوثيقة: « أنا لا أعرف منطقة القبائل، و لكن إذا كانت القبائليات هن بالصورة التي أعتقد، فأنا لا أستبعد أن تكن هن اللاتي يدفعن بعشاقهن - [Jules)، كناية عن أزواجهن]- إلى الالتحاق بالثورة»¹.

- ضرب الثورة و زعزعتها بإحداث الفتنة و الشقاق في صفوفها، و ذلك أولاً بإحداث الشقاق بين المجاهدين و الشعب من جهة -و قد فصلنا فيه القول- و بين الجنود البسطاء و الضباط الرتباء من جهة ثانية و بين جيش التحرير في الداخل و قيادته السياسية و العسكرية في الخارج من جهة ثالثة.

فبالنسبة للعنصر الثاني، أي أحداث الشق بين الجنود البسطاء و الجنود الرتباء، أي القادة، فقد كان يعتمد على استغلال الفوارق الموجودة بين الجانبين، حيث يجري تصوير القادة بأنهم مجموعة من الانتهازيين الذين يعملون وفق مصلحتهم فقط، فهم يحبون حياة آمنة و لربما وسط ذويهم و أهلهم من زوجة و أولاد؛ و لربما أيضاً، من يدري، بأموال الاشتراكات التي تدفع للثورة. مكتفين في "عملهم الثوري" بجذب الخيوط عن بعد². هذا، و قد يحدث أن تتضارب مصالح هؤلاء فيتقاتلون فيما بينهم كما تتقاتل «الذئاب». ذلك هو موضوع أحد المناشير، الذي حمل رسماً لعنصرين من عناصر جبهة التحرير يقتتلان فيما بينهما و بجوار كل منهما رفيق له ملقى على الأرض، ينزف دماً، راح ضحية لهذا الصرع الأخوي. حيث تُثل هذا الصراع بصراع ذئاب تتقاتل فيما بينها، حيث نقرأ: «الذئبية تاكل بعضهم بعض». و في هذا المنشور، مثلت الحركة الوطنية الجزائرية بومة برأس مصالي الحاج تقف على غصن في موقف المتفرج على المشهد³.

و في مقابل هذه الصورة، كان يتم تصوير الجندي العادي على أنه الإنسان المغرر به «المخدوع»، الوحيد الذي تطاله كل الضربات و يحي حياة الخطر و البؤس باستمرار. و هنا كان يجري استغلال الفوارق في الامتيازات المادية بين الجانبين و المبالغة فيها⁴.

و بنفس الطريقة، كان يتم العمل على إحداث الشق بين جيش التحرير في الداخل و قيادتها في الخارج. حيث كان يتم تصوير هذه القيادة بأنها قيادة تحي حياة أمن و دعة، تدير الثورة من القصور، من على ضفاف النيل و فيلات تونس، غير مكترثة البتة بما يعانيه الشعب و المناضلين بالداخل. مثال ذلك، منشور رسم عليه رسم لشخصين من عناصر الثورة، في ثياب أنيقة و بحوزتهما سيارة فاخرة، قد أخذتا مجلسهما بحانة من حانات تونس أين جلسا في حالة من الانبساط التام لاحتساء الخمر. و غير بعيد منهما، وقفت امرأة مربية المظهر قد تعلقت بما عيونهما. و في أسفل الرسم كتب ما يلي: «بينما الفلافة يسقطون

¹ - أنظر الملحق رقم : 41.

² - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc : I action par tracts, (s. d.), 3 p.

³ - أنظر الملحق رقم : 37.

⁴ - SHAT, 1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc : I action par tracts, (s. d.), 3 p.

يموتون في الجبال الزعماء يرتاحون و يلعبون في تونس و يصرفون الدراهم التي سرقوها بالتهديد و الوعيد»¹.

و في هذا الصدد كان لعدم وصول الإمدادات من الخارج و عدم إيجاد حل لمشكلة « الحدود المكهربة التي لا تحترق » و التي أصبحت تشدد الخناق على الثورة أكثر فأكثر، يوما بعد يوم، كان ذلك بمثابة الحجة التي عززت دعاية الفرنسيين و ما فتئت تشهر كدليل على عجز قيادة الخارج و دليلا على تماؤها². و هي الحجة و التبرير اللذين كان لهما آثارهما الوخيمة على الثورة فيما بعد، حيث دفع اليأس و القنوط ببعض القادة إلى الانسياق وراء سلم الشجعان.

- ضرب الروح القتالية للثوار، من خلال توزيع أعداد من المناشير الباعثة على الإحباط و الخذلان. من ذلك مثلا منشور دوري كان يتم توزيعه بالأوراس، ليكون بمثابة «نشرة إعلامية» نصف شهرية « تطلع الثوار على الهزائم التي تتكبدها الثورة بالجهة »³. و من أمثلة هذا النوع من المناشير، المنشور رقم واحد، الذي يستحق الوقوف عنده وقفة قصيرة، فهو حسن الصياغة، محكم المضمون، فقد جاء فيه: «يارجال ! اسمعوا وعوا ما سأقول لكم. رؤسائكم يقولون لكم بأنكم تسيرون نحو النصر، أما أنا فأقول لكم بأنكم تسيرون نحو الموت »⁴. ثم يستطرد المنشور في تقديم حصيلة بمن قضى عليهم من ثوار الناحية، معززة بذكر أسماء لأشخاص بعينهم و أماكن و تواريخ، حيث يمكننا أن نقرأ: « لقد قيل لكم بأن مجموعتكم المسلحة تنتصر دوما على الجيش الفرنسي، إن هذا لمحض كذب و اختلاق. فاعلموا أنه ما بين الفترة من 15 إلى 30 جويلية، أي خلال مدة خمسة عشر يوما، هناك 103 من رجالكم لقوا حتفهم بين كل من سكيكدة و تبسة و الأوراس و خنشلة. و أنا لا أحصي هنا جثة القتلى الذين توليتهم بأنفسكم دفنهم، ... فهؤلاء أنتم أعرف بهم. لقد بقيت كل أسلحتهم بين أيدينا. و ها هو الغزالي بن عباس من خنشلة و معه نويوي خالد من كيمل ذهبا، ظنا منهما الفرار من قدرهما، و لكن هيهات للمرء أن يفر من ما كتبه الله له : لقد لقيتا حتفهما بالقرب من سوق أهراس »⁵. و حتى لا يعتقد الثوار بأن خسائرهم البشرية مصدرها الجيش الفرنسي وحده - مما قد يكون في ذاته مصدر راحة نفسية لهم باعتبار هؤلاء «القتلى» شهداء للواجب، سقطوا في ميدان الشرف-، فإن المنشور يشير مستدركا إلى أن الخلافات و التصفيات بين المجموعات و حتى داخل المجموعة الواحدة هي أيضا مصدر لا ينضب لخسائرهم البشرية - مما يبعث حقا على الخوف و القلق و التوجس من المحيط- حيث نقرأ: « هل تعلمون أن معاش مسعود و السعدي معمر و السوفي ناصر، [المعروف بـ] الجزائر، قد قتلوا من طرف رجالهم ؟ »⁶. و لطرده كل انطباع قد يوهم بتحيز المنشور.

¹ - أنظر الملحق رقم : 50.

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Note d'orientation : Action sur les bandes du FLN, n° 63/EM.10/5/OPS, 2 février 1959.

³ - 1H 2408, Rapport sur les réalisations et projets du Bureau Régional d'action psychologique de la 10^{ème} Région Militaire, n° 007/AP, 6 septembre 1956, p.2

⁴ - أنظر الملحق رقم : 67 (tract n° 2).

⁵ - الملحق السابق.

⁶ - الملحق السابق.

و عدم موضوعيته، لأنه يورد فقط الخسائر البشرية لجيش التحرير ويغفل عن ذكر الخسائر البشرية للجيش الفرنسي، فقد كان يتم خلط الحقائق و توظيفها بطريقة ذكية موحية. حيث نقرأ في نفس المنشور ما يلي : « بتاريخ 26 جويلية سُجل تواجد لمجموعة مكونة من عشرين رجلا مسلحا بعين الزرقة، جنوب رأس العش. فقام الجيش الفرنسي بمواجهتها و قتل منها ستة عشر رجلا و أسر الباقي واسترجع كل أسلحتهم. و قد يحدث أحيانا أن يلقي بعض عسكري الجيش الفرنسي حتفهم، مثلما حدث في موقعة تفسور، أين خسرتنا ستة و عشرين قتيلا. و لكن في ذلك اليوم، كم كان عدد قتلاكم... علم ذلك عند الله ! »¹.

و ضمن هذا المسعى لضرب الروح القتالية للمجاهدين يمكن أن نعد تلك الأعداد الهائلة من المناشير التي أُجرت لتحقيق استغلال نفسي سريع لأحداث محلية أو إقليمية تنعي الثورة، و تشهّر بإخفاقاتها. مثال ذلك : منشور استسلام المجاهد عجول عجول و اختطاف طائرة الخمسة و استشهاد الشهيد زيان عاشور² . و هي الأحداث التي استغلت أحسن استغلال. ففي منشور بعنوان : « تشييد جزائر الجديدة، الثورة خسرت [...] »، جاء فيه ما نصه : « الثورة انعدمت، كَشَفَ بن بلة- خيضر- بوضياف و رفاقتهم عن سر نظامكم كلهم [كله]- [المنشور بالفرنسية يحمل هذه الإضافة: «من الآن فصاعدا، سنضرب عن علم و حقيقة»]- أيها الفلافة بطلوا الكفاح و استسلموا و هذه مصلحتكم و سلامكم [...] »³. منشور آخر، استغل الأحداث السابقة ليحمل تهديدا و وعيدا للمجاهدين، حيث جاء فيه : « أيها الفلافة: بالأمس وقعت مائة طن من الأسلحة محمولة على سفينة أطوس بين أيدينا. و اليوم، رؤسائكم بن بلا خيدر بوضياف الأشرف أيت أحمد أيضا بين أيدينا. و أنت، أين تكون غدا ؟ »⁴.

موضوع السد المكهرب على الحدود مع تونس و المغرب كان بدوره محورا دعائيا مهمنا في الحرب النفسية الفرنسية لضرب معنويات جيش التحرير. حيث جرى تصويره بالحاجز الذي لا يخترق و بسد الموت و بالمقبرة التي تترصد المغامرين الذين يحاولون اجتيازه⁵. فقد جاء في أحد المناشير بعنوان: « إذن بالمرور نحو الشرق » بأن كوكبة تتكون من 468 شاب، جندتها جبهة التحرير و كانت تعتمز إرسالها إلى تونس، اشتبكت بدورية للجيش الفرنسي جنوبا على مقربة من الحدود مع تونس. و قد أسفرت نتائج هذه المواجهة على قتل 313 شاب منهم و « استسلام » الـ 155 الباقين. حيث تضمن المنشور صورة لستة منهم. هؤلاء، نعتهم المنشور بالحكماء لأنهم « فضلوا الحياة على العيش عيشة بانسة في وحدات جيش التحرير » و بأسفل المنشور كتب ما يلي: « الإذن بالمرور نحو الشرق هو إذن بالمرور نحو الموت »⁶.

¹ - الملحق السابق.

² - أنظر الملحق رقم : 63 و 68 و 68 مكرر و 83.

³ - أنظر الملحق رقم : 68.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 68 مكرر.

⁵ - SHAT, 1H 2410/d.1, Note d'orientation: Action sur les bandes du FLN, n° 63/EM.10/5/OPS/SC, Alger, 2 février 1959, 2 p.

⁶ - أنظر الملحق رقم : 72.

هذا و نشير إلى أنه جرت دراسة امكانية توجيه دعاية مركزة على وحدات جيش التحرير المرابطة على الحدود بتونس، محورها "السد المكهرب الذي لا يخترق" لردع هذه الوحدات لئلا تحاول اختراقه، بما في ذلك تقوية حالة التذمر المسجلة لديها. تحقيق ذلك يتم من خلال حصة إذاعية سرية يتم بثها على أمواج راديو تونس، انطلاقا من هوائي التشويش بمدينة قسنطينة. برنامج الحصة يستهل بقراءة لائحة قتلى جيش التحرير، ثم يتبع بسرد مفصل للنهاية التي لقيتها المجموعات القادمة من تونس، أين يتم التركيز على دور السد المكهرب في القضاء عليها بما يتوفر عليه من مزايا الإنذار المبكر و الدفاع الأوتوماتيكي. لتختتم الحصة بترديد بعض الشعارات الدعائية¹.

- التحريض على رفض الثورة و الدعوة إلى الاستسلام و الالتحاق: و هو محور يكاد يهيمن على جميع المناشير. ففي المنشور المذكور أعلاه بعنوان: «تشديد جزائر جديدة، الثورة خسرت و ضاعت»، نقرأ فيه ما يلي: «أيها الفلافة بطلوا الكفاح و استسلموا و هذه مصلحتكم و سلامكم، ارجعوا إلى طريق الهدى، اتركوا رؤسائكم المجرمين و اتبعوا نداء الرئيس مولى و نداء الوزير المقيم العام لأكوست. في هذه الساعة اعجول اعجول رئيس فلاث أوريس أجب إلى هذا النداء و قدم إلى جيش فرنسا. فخذوا مقامكم بيننا قبل ما يضيع الوقت. فاقدموا و استعملوا و اشتغلوا معنا في إنجاز جزائر جديدة سعيدة و هنية»². منشور آخر بعنوان: «الثورة لا طائل منها» زف أخبارا لعدد من الالتحاكات الجماعية و الفردية، ذاكرا أصحابها بأسمائهم و أماكن التحاقهم، للدلالة على أن الاستسلام و الالتحاق هو أمر ليس ممكنا فقط، بل هو واقع أيضا³. و لأن الصورة ابغ دلالة من الكتابة، فقد استعملت هي أيضا. من ذلك منشور مصور تضمن صورة لحوالي عشرين ملتحقا، ذاكرا مكان و تاريخ التحاقهم حيث نقرأ فيه على يسار الصورة: «يوم 7 صبتمبر سنة 1957 في جبل درمون حذا تبسة». و بأسفل الصورة نقرأ ما يلي: «راهم سلموا على خاطر راهم فهموا رياسهم يغلطوا فيهم، أصحابهم ماتوا بلاش، الحرب بلا فائدة»⁴. منشور آخر توقع أن تحول بعض المخاوف الموضوعية دون استسلام و التحاق جنود جيش التحرير، فجاء ليبددها: «[...] أنت يا من غرر به بهذه الأكاذيب التي أرهقتة، ويريد العودة إلى بيته. تريد ذلك ولا تجرأ على القيام به لأن رؤسائك، الذين يحتفظون لأنفسهم بأموال الاشتراكات، يهددونك بالقتل إن فعلت و يخوفونك بقولهم لك بأن السلطات الفرنسية ستقتلك رميا بالرصاص بمجرد مثولك بين يديها. فاعلم بأنه لا شيء من ذلك. فإذا كنت لم تتورط في سرقة ما أو قتل أو ذبح لشخص ما، فامثل بنفسك أمام ضابط المكتب العربي مرفوقا بهذه الورقة و سلاحك و بذخيرتك. وإذا كان لك رفقاء يشاطرونك نفس النية ولم يتورطوا في أي فعل ذي خطورة، فاتحدوا لقتل رؤسائكم و التحقوا بنا بأسلحتكم. وفي هذه الحالة "ألي فات مات" حيث يمكنكم مساعدتنا على استعادة الهناء و العافية لكم و لعائلاتكم كما في

¹ - SHAT, 1H 2408, Lettre du Général d'Armée Salan à Monsieur le Ministre de l'Algérie sur l'action psychologique sur les camps FLN en Tunisie, (s. d.).

² - أنظر الملحق رقم : 68.

³ - أنظر الملحق رقم : 62.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 84.

الماضي»¹. مناشير الالتحاق قد تأخذ بدورها شكل رسالة شخصية تودع لدى أسر الثوار، الذين يُكَلَّفون بتبليغها إلى ذويهم المنخرطين في الثورة. الملحق رقم : 69 هو عينة على هذا النوع من المناشير، حيث نميز فيه بوضوح أسلوبه الشخصي المباشر في الخطاب، فهو يخاطب المرسل إليه شخصيا دون ما سواه من الثوار. مضمون هذا المنشور جيد الحبكة، شديد الإحكام، اختار محرره أسلوب التهديد و الوعيد، و هو يبدو واثقا فيما يتوعد به².

« حرب المناشير » بين جيش التحرير الوطني و الجيش الفرنسي

في هذه الحرب المعلنة بالمنشور ضد جيش التحرير الوطني، كان من الطبيعي أن يقوم هذا الأخير بممارسة حقه في الرد على ما قد يعتبره دعاية مضللة و أكاذيب مختلفة. رد جيش التحرير هنا، و من خلال العينات التي وقفنا عليها، اكتسى غالبا شكل مبادرات فردية، أخذت شكل رسالة شخصية موجهة إلى هذا الضابط أو ذاك بغرض الرد و التنفيذ، أو رجوع للصدى على هذا المنشور أو ذاك. أما طريقة تبليغه، فلا تتعدى غالبا شكل رسالة مرسلة بالبريد العادي، أو منشور ترك بالمسجد أو علق على عمود كهرباء أو ألصق بجدار السوق.

من ذلك منشور صادر عن المنطقة الرابع للولاية الأولى عثر عليه بكل من باتنة و تمقاد ليلتي الـ 11 و 15 نوفمبر 1956، و الذي جاء ردا على مجموعة من المناشير، استغلت فيها أحداث حجز الباخرة لاطوس و اختطاف طائرة الخمسة. كما تضمن تقديم نداءات للاستسلام. حيث نقرأ فيه: « مند فترة من الزمن، كثفت مصالحكم النفسية النداءات لمقاتلي جيش التحرير الوطني - [للالتحاق و الاستسلام] -، و في هذا اعتراف ضمني بفشل سياسة القوة التي تنتهجونها. كما أن مناشيركم المروجة لانتصاراتكم المرعومة لم تخدع أحدا. للأسف، نداءاتكم لم تقنعنا، و سيتوجب عليكم الانتظار طويلا حتى نأتيكم لتسليم أسلحتنا [...] ». و بعد أن يسفّه المنشور دعايتهم حول حادث اختطاف طائرة الخمسة و حجز باخرة لاطوس، يختم بما يلي: « فلتناموا في هناء، لأن مقاتلي جيش التحرير هم الآن أكثر عزيمة من ذي قبل على مواصلة القتال حتى تسود على هذه الأرض قيم العدالة و الحرية. فلا تنتظروا مجيئهم لطلب الأمان كما تأملون »³.

منشور آخر جاء ردا على مجموعة من المناشير الفرنسية، نقرأ فيه: «... لا أحد يصدق ما تقولون، بما في ذلك الأوروبيون، و من باب أولى المسلمون [...] أما حملتكم الدعائية النفسية فمآلها الفشل باستمرار. فنحن لم نرى أبدا مسلما - [جزائريا] - من أي منطقة كانت، يقرأ تُرْهاتكم، فاستمروا في السخرية بأنفسكم »⁴. منشور آخر بعنوان : « من الكاذب ؟ »، وجد معلقا على جدار سوق مدينة سوق أهراس - و الذي جاء على ما يبدو ردا على منشور فرنسي بعنوان: « يامسلمون »⁵ - تضمن تكديبا للمزاعم الفرنسية التي

¹ - أنظر الملحق رقم : 67 (tract n° 2).

² - أنظر الملحق رقم : 69.

³ - أنظر الملحق رقم : 73.

⁴ - SHAT, 1H 2587/d.2, tract FLN- ALN intitulé : " Quelques exemplaires parmi tant d'autres "

⁵ - أنظر الملحق رقم : 34.

تنتعت جبهة التحرير بالكذب و العجز عن تنفيذ ما قطعته على نفسها، مدحضا إياها الواحدة تلوى الأخرى. فمثلا بالنسبة للزعم القائل بأن فرنسا باقية في الجزائر بدليل كثرة الإمدادات التي تصل كل يوم إلى الجزائر، نقرأ فيه ما يلي: « إن الإمدادات تصل كل يوم، هذا صحيح و لكن من أجل الاحتفاظ بجزائرننا الغالية. ربما، قد يحدث، أن يُحتفظ بالجزائر و لكن هيئات أن يحتفظ بقلوب و عقول الجزائريين. 500 ألف رجل مسلح، تدعمها الدبابات و الطائرات و العتاد الثقيل لم يفلحوا في استئصال حفنة من الأشرار كما تزعمون. لماذا؟ الأمر بسيط: لأننا نقاتل في سبيل حريتنا و من أجل عدالة قضيتنا »¹.

و لأن العديد من المناشير الفرنسية صورت مرور الثوري بأنه مرور يدل على « الأخذ و الحزن و الدموع و الجوع و الشقاء يعني الموزية ».² فقد جاء منشور للثورة بعنوان : « هذه الصورة الفلاف » للدفع هذه المزاعم، حيث جاء فيه : « حيثما مر الفلاف: فهو يخلف وراءه السعادة؛ و هو يأخذ دراهمكم ليساعد على تحرير بلدنا الجميل؛ و هو يأخذ ابنكم ليقاتل به عدونا المشترك و هو الإمبريالية الفرنسية. و هو يخرب المدارس ليبنى بدلها كتايب قرآنية [...] و هو يقطع أعمدة الهاتف و التلغراف ليقطع اتصالات العدو. فمروره إذن يدل على: النجدة و الكرامة و الشرف. فهو يكافح ضد جراد اليوم : الاستعمار و الإمبريالية الفرنسية. فانضموا عزمًا إلى جانب جيش التحرير الوطني الجزائري »³. و على ذكر " الجراد" نشير إلى أن الدعاية الفرنسية كانت سبابة في استعمال هذا النعت و نعت المجاهدين به من خلال منشور شديد الإيحاء⁴، و الذي يكون قد لقي نجاحا كبيرا بين السكان، مما أزعج جيش التحرير الوطني و نال من بعض معنوياته. فاستدعى الأمر الرد عليه بمنشور وُجه للشعب لتنويره. مما جاء فيه : « أيها الشعب الجزائري: إن الامبريالية الفرنسية قد كثفت في المدة الأخيرة من دعايتها المغرضة ضد مقاتلي جبهة التحرير، ناعته إياهم بالجراد، ناسية وحشيتها و بربريتها. و لأن جيشها، جيش "التهدة" المزعوم، لم يستطع القضاء على مقاومتنا العنيدة فهو يلجأ إلى استعمال الكذب، سلاح الضعفاء و الجبناء. أيها الشعب الجزائري: كن حكما يحكم على الأحداث بموضوعية : من هو الجراد؟.. أليس هو ذلك الذي يحرق غابات بوطالب و الشليا و بينام و القبائل الصغرى، أين قضت نار قنابل النبالم البائسة على مئات الآلاف من الهكتارات؟ لا شك أنه الإمبريالية الفرنسية. أليس هو ذلك الذي يسرق حلي النساء و أفرشة الفلاحين و أجور العمال المعدومين خلال عمليات التمشيط التي أصبحت يومية؟ لا شك أنهم جنود الإمبريالية الفرنسية. أليس هو ذلك الذي يقنبل المشاتي و الدواوير و القرى؟ إنه و لا شك الإمبريالية الفرنسية [...]»⁵. منشور آخر شديد اللهجة، نقرأ فيه: « أيها الفرنسيون: تعتقدون أنكم رجال، فلما تنعتوننا بالجراد. [...] نحن صرحاء - [أي من أهل الوضوح]- أهل حقيقة، أما أنتم فمجرمون. تبا [merde] لفرنسا »⁶.

¹ - أنظر الملحق رقم : 74.

² - أنظر الملحق رقم : 52.

³ - أنظر الملحق رقم : 76.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 47.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 77.

⁶ - أنظر الملحق رقم : 78.

و لأن منطقة القبائل، كقلعة من قلاع الثورة، كانت تشهد عملاً ثورياً مكثفاً، فقد استهدفتها مصالح الدعاية و النشاط النفسي بنشاط مركز. فردا على منشور فرنسي بعنوان: «أيها القبائل، كونوا يقظين و متبصرين»، و الذي جاء فيه بأن جبهة التحرير تشتبه السكان القبائل و لا تثق بهم و تعمل على إقصائهم...¹ وُجّهت رسالة من ضابط بجيش التحرير برتبة رقيب (sergent) تضمنت رداً موجهاً إلى ضابط بالجيش الفرنسي برتبة نقيب (Capitaine) بقرية إغيل انتالة، التابعة لقطاع بجاية، و هي رسالة طويلة أودعت بمسجد القرية ليلة الـ 11 نوفمبر 1956. حيث جاء فيها: «إنني أسمح لنفسني بمكاتبتكم لأقول لكم بأنني على علم بالمناشير التي يوزعها جنودكم و التي مفادها أن جبهة التحرير لا تثق في السكان القبائل. إن حكومتكم تخطف الصواب. سأقول لك شيئاً واحداً فقط و هو أن أغلب القبائل هم ضباط في جيش التحرير الوطني. و سأكتفي بذكر واحد منهم: هو عميروش العنيد»². و بعد أن استطردت الرسالة في استعراض مدى نقض الحكومة الفرنسية لوعودها و كيف أنها بعد إخفاقها في استعمال وسائل الشدة هاهي تلجأ لاستعمال وسائل اللين، نقرأ ما يلي: «و لكن عنصركم و طريقة لِقَمكم و دوارانكم في الكلام و الوعود لا تنسجم و عقولنا. فلو كان مطلبنا هو مجرد الحصول على المساواة، لكان الأمر قد فُضّ منذ زمن بعيد. و لكن أنتم دائماً لا تريدون أن تفهموا بأن شعباً، يقاتل من أجل حريته، لا يمكن أن يعوق سبيله أي عائق. لقد تخليتكم مكرهين عن الهند الصينية و المغرب و تونس و خلال أيام قليلة ستتخلون عن الجزائر. و ما يجزني في كل ذلك هو نساؤكم و أطفالكم الذين تركتموهم بفرنسا: فأنتم معشر الجنود الفرنسيين، جيء بأغلبكم واقفاً على ظهر الباخرة و سيعاد عليها محمولاً في تابوت [...] و بينما الوزير روبرت لاكوست ما فتئ يُسَمِّن جدعه - [أي جسمه] - و جيبه، لا زلتم أنتم العسكريون تقاتلون من أجل الكولون. و معظمكم قد اعترف بأنه جاء ليموت هداراً. فوداعاً فرنسا الزمن القديم، لأن فرنسا اليوم قد أعطت الحكم لليهود. و الفرنسي الحقيقي هو من يعطي اعتباراً للإنسان و يعرف معنى أن يقرر شعباً مصيره [...]»³.

رسائل و مناشير جيش التحرير الوطني مليئة بحماسة و فروسية و فخر، فهي تصدر عن نفس أبيّة واثقة: ففيها تحدٍ و معارضة و دعوة إلى النزال، كما فيها تهكم و سُخرية، قذح و طعن، و أحياناً أيضاً شتم. ففي مجال المعارضة و الدعوة إلى النزال، نقرأ في المنشور السالف الذكر: «إذن يا نقيب سأوجه لك نصيحة: دع المدنيين في سلام. و إذا كنتم تريدون النزال، فسيكون ذلك يوماً عندما نلتقي. أعتقد أنكم على علم بالأثر الذكري الذي تركته لكم بتاريخ 28 أكتوبر 1956 بقرية تاويريرت أوبالة. فإن تركتم المدنيين و شأهم فذاك، و إلا فسيأتي اليوم الذي أترك لكم فيه أنتم أيضاً أثراً ذكرياً. ستتخلون عن الجزائر مرغمين، و الأحسن لكم طلب السلامة لأنفسكم و الإلتحاق بعائلتكم سالمين معافين»⁴. أما في مجال السخرية و الطعن، فنقرأ في منشور صادر عن رئيس منطقة دوار عيسى ميمون بالقبائل الكبرى و الموجه إلى جنود

¹ - أنظر الملحق رقم : 40.

² - أنظر الملحق رقم : 79.

³ - الملحق السابق.

⁴ - الملحق السابق.

الجيش الفرنسي كإجابة على منشورهم بتاريخ 25 (؟): « إن هدفكم في الجزائر هو البحث عن بعض قطع الخبز و حبات التين خلال خرجاتكم العملية، حيث لا تجدون إلا الصغار لإخافتهم [...] إننا نعتبركم مثل النساء، و لا عبء بالعدد، فبالرغم من قلة عددنا فإن صوتنا يدوي من الشرق إلى الغرب و من الشمال إلى الجنوب. فكثرة عددكم لا تساوي شيئاً إلى جانبنا. [...] أبواب الجنة مفتوحة لنا بقدرما نقتل أكبر عدد منكم، و بعون الله سنقضي عليكم باستعمال أسلحتكم ذاتها [...] الجزائر، بلد الاسلام، بلد شباب و قوي لا يحتاج إلى دعم أي أمة لمواجهة فرنسا العفنة. فيا فرنسا القذرة أنى لك إهانة تفوق مصر و روسيا الذي لا يضاهاى. [...] اليوم فُتحت أعيننا، و جاء دورنا لكي نسود، و سيكون العالم كله بين أيدي المسلمين». تم يُختم المنشور بتهكم لاذع كالتالي: « أما بالنسبة لمسألة تسليم أسلحتنا، فإننا ندعوكم كل يوم سبت إلى التفتيش عنها بين الأرجل الخلفية للحمير، هناك ستجدون بنادق رشاشة و مدافع و غيرها...»¹. ثم يُختم المنشور بطلب الرد.

المطلب الثالث : توجيه « الضربات التحتية » للثورة

بالرغم من تعدد الأجهزة المكلفة بشن عمليات خاصة ضد الثورة، و بالرغم من وجود تنسيق مستمر بين المكتبين الخامس و الثاني و حتى الثالث في مجال استغلال بعض المعلومات فإن تناول عمليات الحرب النفسية المنفذة ضد الثورة يجرنا إلى إثارة نقطة لا بد منها تتعلق بتحديد الأعمال و العمليات التي قامت بها المصالح المختلفة للجيش الفرنسي و التي يمكن أن ينطبق عليها و بجدارة الوصف بأنها عمليات من صميم أعمال الحرب النفسية. إنها عقبة كئود لا بد من إزالتها : فما هو ذلك العمل من أعمال الحرب الذي يمكن أن نقول عنه بأنه عمل من صميم أعمال الحرب النفسية ضد الثورة. و ما هو المعيار الذي يجب اعتماده في تحديد ذلك ؟ هل العبء هنا بالدوافع الباعثة على العملية أم بالغايات المرجوة من وراءها، أم باعتبار الجهة المنفذة لها و التي من المفروض أن تكون المكتب الخامس ؟ إن أهمية الإجابة على هذا السؤال تكمن في أن نمط الحرب الذي اعتمده الثورة في شن الحرب ضد فرنسا - أي حرب العصابات- قد حدّ كثيرا من فرص المواجهة المباشرة في الميدان بين الطرفين، مما دفع بالطرف الفرنسي إلى اعتماد أساليب حربية متنوعة للرد على الثورة، و هو ما أدى بدوره إلى تنوع في عملياته الحربية الخفية و السرية، صحبه تنوع في الأجهزة المنفذة لها. إن جوهر المشكلة يتمثل في أن هذا التنوع في العمليات و في الأجهزة و ما أحيط به بعضها من سرية و خفاء قد زاد في صعوبة التمييز بين ما هو عمل أمني و مخبراتي- جوسسي بحت، و بين ما هو عمل من أعمال الحرب النفسية: فليس كل عملية أمنية أو حربية أحيطت بالسرية و الخفاء هي بالضرورة عملا من أعمال الحرب النفسية. إن مصدر المشكلة يكمن في أن الاستفادة من المعلومة الحربية أو الأمنية قد أفرز بدوره أشكالا متعددة لاستغلالها، استغلالا قد يجمع في ثناياه بين خدمة أهداف للحرب النفسية و خدمة أهداف أمنية و عملياتية أخرى. و ما يزيد في جعل هذه المشكلة أكثر تعقيدا هو أن أغلب الأجهزة المكلفة بتوجيه « الضربات الخفية » ضد الثورة لم تكن تتبع للمكتب الخامس المكلف بشن الحرب النفسية، و إن كنا نتوقع

¹ - أنظر الملحق رقم : 80.

أن تنفيذ هذه الأجهزة لـ "ضرباتها" كان يتم حتما بالتنسيق معه على مستوى القيادة. و لتوضيح لب المشكلة، نورد كمثال حادث اختطاف طائرة الخمسة : فهذا الحادث هو في أصله عمل أمني مخبراتي -جوسسي بحث نستبعد أي مساهمة للمكتب الخامس في التخطيط له، كما أن الجهة المنفذة له و هي (S.D.E.C.E) و (D.S.T.) لا تتبع للمكتب الخامس، لكن الاستغلال الأمثل لنتائجه قد عادت لهذا المكتب. ففي أي خانة إذن يمكن تصنيف هذه العملية ؟ و هل يمكن تصنيفها ضمن عمليات الحرب النفسية ضد الثورة بغض النظر عن دوافعها الأمنية و المخبراتية و الأجهزة المنفذة لها؟ لذلك، و وعيا منا بهذه الصعوبة، سنركز، عند تناولنا لعمليات الحرب النفسية المضادة للثورة على إيراد كل ما له بعد حربي نفسي واضح بغض النظر عن الجهة المنفذة له. لأن هذا الاختيار ينسجم و تعريفنا الخاص للحرب النفسية و الذي ينص بأن الحرب النفسية هي "كل ما يؤدي إلى القضاء على الخصم خارج ساحة القتال" أما بالنسبة للمجال، فسنعصر عملنا على ما شُنّ من عمليات ضد الثورة داخل القطر، بمعنى أن عمليات الحرب النفسية الفرنسية الموجهة ضد الثورة خارج القطر - (الحكومة المؤقتة، مكاتب البعثات الدبلوماسية المنتشرة في العالم، هيئة أركان جيش التحرير على الحدود...)¹ - لن تستوقفنا.

من بين العمليات أعلاه، التي اصطلح الفرنسيون على تسميتها بـ "الضربات التحتية" (les coups bas) ، - و التي يراد بها مجموع العمليات التي اضطلع بتنفيذها ما يسمى بـ "المصالح الخاصة" (les Services Spéciaux) على تنوعها، مستعملة في ذلك طرقا و أساليب حربية غير معهودة (non conventionnelles)، أين يكون الأثر النفسي لهذه العمليات وقع أشد من أثرها المادي، و هو ما تعكسه بقوة مصطلحاتها الدالة عليها- نجد هناك : التظليل و التسميم (désinformation et intoxication)؛ الاختراق و التوغل (infiltration et noyautage)؛ التثبيط و التعفين (démoralisation et pourrissement) ؛ و هناك أيضا التصنيفات الداخلية أو ما يعرف بتطهير الصفوف (les purges) و هي كلها مصطلحات أسرفت المصادر في استعمالها و أحيانا بشكل متضارب.

فالتثبيط هو كسر العزيمة و الروح القتالية للخصم، بهز معنوياته و زعزعتها و إدخال الشك و اليأس إلى يقينياته. و يحصل بالتضليل، الذي هو القصدُ عمدا إلى ترويج و نشر معلومات مزيفة لإعطاء الخصم صورة مشوهة أو كاذبة عن الواقع. كما يحصل أيضا بالتسميم الذي هو الترويج لمعلومات سامة داخل معسكر الخصم، لتستولي على نفسه و تشل مداركه النقدية، باستغلال تناقضاته الداخلية، و إثارة الخلافات و الشحنات الموجودة بين مختلف عناصره و جماعاته، بما يؤدي في النهاية إلى حدوث التصدع في صفه. و هنا يكمن الفرق الجوهرى بين التضليل و التسميم: فالأول يأتي من الخارج بينما يأتي الثاني من الداخل.

¹ - من أجل بعض الإشارات في هذا الموضوع يمكن العودة إلى :

أما الاختراق و التوغل فهو إحداث فجوة في صفوف الخصم تستغل في زرع عناصر صديقة في معسكره لتتولى مهمة تسريب معلومات عنه و إحداث "التعفين"، الذي هو العمل على تحلُّل تنظيم الخصم لينهار من الداخل، من خلال بث التشييط و إفشاء حالة من التذمر العام الممهدة لشيوع حالة من الفوضى و الاضطراب الداخلي داخل التنظيم، بما يُمْكِّن في الأخير من السيطرة على أزمة القيادة فيه. و بما يدفعه إلى الدخول في سلسلة من عمليات "التصفية" لتطهير صفوفه، التي إن لم تقضي عليه فإنها ستستنفذ الكثير من جهده و وقته و امكانياته البشرية و المادية.

يمثل الترتيب: تضليل فتسميم، ثم تشييط فاخترق و توغل، ثم تعفين فتصفيات... تسلسلا نموذجيا لما يجب أن تكون عليه عمليات الحرب النفسية التي تعتمد المرحلية و تأخذ حيزها ضمن الزمان و المكان. و هذا يقتضي معرفة جيدة بالخصم و الحصول على المؤشرات المؤذنة بانتهاء مرحلة سابقة للدخول في مرحلة جديدة. و لأنه أمر متعذر غالبا، فإن احترام التسلسل أعلاه غالبا ما يتأثر بمختلف الظروف و المعطيات المحيطة.

ففي مجال محاربة الثورة باعتماد التضليل و التسميم، حققت المصالح الفرنسية الخاصة عددا من النجاحات التي لا يستهان بها و التي تسببت في إزهاق أرواح المئات من المجاهدين الأبرياء، و الذين ما كانوا ليسقطوا حتى في مواجهة مباشرة مع الجيش الفرنسي على أرضية الميدان. هذه العمليات هي، بالرغم من حصيلتها الضخمة، لا تزيد في بدايتها عن عملية بسيطة لزرع الشك و تعهده في معسكر جيش التحرير الوطني من خلال إشاعة جو عام يوحي بوجود مؤامرة نسجت خيوطها في الخفاء. فتندلع سلسلة لا متناهية من أعمال التحقيق، التي تُنقذ بغرض "تطهير الصفوف من الخونة" و تتجدد بتجدد "الإعترافات و الاتهامات" التي غالبا ما تنتزع انتزاعا. فيكون من نتائج كل ذلك التضحية بمئات الأبرياء من "الخونة المزعومين". و إذا لم تتدخل عناية الله فإن آلة التطهير ستواصل عملها في حصد أرواح ما شاء الله من الأبرياء الآخرين. ذلك هو باختصار ما وقع في الولاية الثالثة و اشتهر باسم «حادثة لابلويت»¹ بداية من مارس 1958 واتسع ليطول تراب الولاية الرابعة سنة 1959². و هو عينة نموذجية عن ما يمكن تحقيقه بواسطة عمليتي التسميم و التعفين. فقد استطاع النقيب لحيه³، و هو أحد أعوان العقيد فودار، باستعمال مختلف أنواع الضغوط و أساليب الخداع أن يستغل أسراه و سجنائوه في تنفيذ عملياته هذه. فقد كان يعرض على هؤلاء، في مقابل

¹ - لن نتوقف هنا عند التفاصيل الدقيقة لهذا الحادث، و بالأخص أن الروايات المقدمة حولها تتفق إجمالا في كون مصدرها هو عملية تسميم من النقيب لحيه و لا تكاد تختلف إلا حول عدد ضحاياها. لذلك سنقتصر هنا على الإحالة على بعض مصادر. فبالنسبة لـ "الرواية الجزائرية" للحادثة، فإن شهادة السيد التومي هي خير ما يمكن الرجوع إليه. لأنها شهادة رجل عايش الحادث عن قرب. أنظر :

Djoudi ATTOUMI, Le Colonel Amirouche entre légende et histoire, la longue marche du lion de la Soum-mam, témoignage authentique d'un ancien officier de l'ALN en Kabylie 1956- 1962, Alger, Imprimerie Hasnaoui, (s. d.), p. 161- 175 ; Voir aussi : Abdelhafid Amokran El HASSANI, Mémoires de combat, (Mémoires et témoignages), Alger, Editions Dar El Oumma, 1998, p. 85- 87

أما بالنسبة للرواية الفرنسية أو لنقل الروايات الفرنسية لهذا الحدث، فيمكن العودة إلى:

Philippe Tripier, Autopsie de la guerre d'Algérie, Paris, Ed. France- Empire, 1972, p. 348 ; Roger Trinquier, p. 325.

² - Mohammed TEGUIA, L'Armée de Libération Nationale en Wilaya IV, préface de Madeleine REBÉRIEUX, Alger, Casbah Editions, 2002, p. 110- 115.

³ - voir Djoudi ATTOUMI p. 174.

الإفراج عنهم، القيام بمهام وساطة بينه و بين عناصر في الجبل، محملا إياهم لخطابات و رسائل إلى هؤلاء، مدعيا أنه على اتصال بهم و ميرهننا على ذلك برسائل و خطابات و وثائق ملفقة زاعما وصولها من لدنهم. هذه الرسائل و الخطابات و الوثائق كثيرا ما تعمد عن مكر تركها على مكتبه حتى يتسنى لضحاياه، خلال فترات غيابه المفتعلة، الإطلاع سرقة على بعض ما جاء فيها و التأكد من إمضاءات و أختام أصحابها. فيقبل هؤلاء مهمة الوساطة إما عن خوف أو طواعية أو عن حيلة و مراوغة بهدف الفرار. حتى إذا التحقوا بجيش التحرير في الجبل و جرى تفتيشهم تفتيشا دقيقا و إخراج ما دُسّ في ثنايا جلاباتهم و أحذيتهم عن غفلة و جهل منهم، ذهلوا و خافوا، ثم جرى استنطاقهم فباحوا و اتهموا. فتندلع عندئذ سلسلة طويلة من العمليات التي تبدأ بالتوقيف فاستنطاق خشن، ثم اعتراف منتزع، فاتهامات، ثم تصفيات، فتوقيف فاستنطاق... كل ذلك بغرض تطهير الصفوف و الكشف عن خيوط المؤامرة المزعومة و تخليص الثورة من المتآمرين عليها المندسين في صفوفها¹. ذلك ما وقع أكثر من مرة خلال الثورة و كلف جيش التحرير ضحايا أبرياء من خيرة رجاله، الذين و إن هم لم يكن كلهم أبرياء فلا شك أنهم ليسوا كلهم مذنبين. و على ذكر الضحايا، نشير إلى التضارب الكبير الذي يلف ضحايا «حادثة لابلويت» فمن مُقَدِّر لهم بالمئات إلى مُقَدِّر لهم بالآلاف²، تضاف إلى أرقام أخرى سجلت خلال «تصفيات» مماثلة عصفت بولايات أخرى، قدرتها بعض المصادر ما بين اثني عشر و خمسة عشر ألف «قتيل»، الذين تمت تصفيتهم خلال الفترة ما بين 1958 و نهاية 1962³. و هو ما يدل على عظم المؤامرة التي تعرضت لها الثورة.

أما في مجال الاختراق و التوغل بواسطة دس و تجنيد أعوان متعاونين في جسم الثورة و على مختلف مستويات تنظيمها الهرمي، فلا نستبعد أن تكون الأجهزة الفرنسية الخاصة، و على رأسها المكتبين الثاني

¹ - Voir : Achour Chourfi, op. cit., p.76- 77; Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, op. cit., p. 214.

² - الباحث العسكري موريس فايفر (Maurice Faivre)، يقدر ضحايا "لابلويت" بألفين جندي في الولاية الثالثة و خمسمائة جندي في الولاية الرابعة. أنظر: (Maurice Faivre, *Les archives inédites de la politique algérienne*, p. 102) أما فيليب تريبيه، فيورد هو الآخر رقم الألفين من الضحايا، الذين يكون بينهم ما يقارب الألف و المائتي جندي. كما يتمني لو وضع تحت الإطلاع العام «خدمة للحقيقة» الملفات من محاضر المحاكمات التي احتجزت بعد استشهاد العقيد عميروش رحمه الله. أنظر: (Philippe Trippier, p. 349) أما الباحث بيار منوتانيون فيستقل بإيراد رقم ثلاثة آلاف ضحية في الولاية الثالثة و خمسمائة على الأقل بالولاية الرابعة. أنظر: (Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, op. cit., p. 214.) أنظر أيضا: (Achour Cheurfi, p. 77). العقيد ترانكييه، الذي كلف يوما بالبحث عن «المقابر الجماعية» التي خلفها العقيد عميروش بغابة الأكفادو، يصرح بوجوده لست أو سبع منها، احتوت كل واحدة منها ما بين الأربعين و الخمسين جثة. أنظر: (Roger Trinquier, *Le temps perdu*, p. 325) أما بالنسبة لبعض الشهادات الجزائرية فإن السيد عبد الحفيظ أمقران الحسني لا يستبعد أن يزيد عدد ضحاياها عن الألف، (مرجع سابق، ص. 86). و لكن ما ذهب إليه السيد جودي التومي، من حصر عدد ضحايا حادثة لابلويت في 300 ضحية، يبدو رقما مؤسسا جدا. أنظر: (Djoudi Attoumi, p. 171).

³ - الباحث شارل روبرت أجرون قام بتقديم مسح و حوصلة شاملة لأغلب عمليات «التصفية» المعروفة و التي وقعت في صفوف جيش التحرير ما بين الفترة 1958 و 1961. و بالمناسبة فهو يري في رقم الخمسة عشر ألف قتيل رقما مبالغا فيه باعتبار أن تعداد جيش التحرير الوطني لم يتجاوز أبدا الثلاثة و العشرين ألف جندي. أنظر: Charles- Robert Ageron, «Complots et purges dans l'Armée de Libération Algérienne», in *Vingtième Siècle*, n° 59, juillet- septembre 1998, pp. 15- 27.

للاستعلامات و "مكتب الدراسات و التنسيق" (le BEL) ، قد حققت شيئا من النجاح، و إن كان يصعب تقديره. فبعض المصادر الفرنسية تصوّر المكتب الثاني على أنه جهاز استطاع اختراق الثورة و كانت له معرفة دقيقة بما. فيلى جانب « التقاط و فك رموز كل المراسلات السرية الجزائرية - [أي للثورة الجزائرية]- كان للمكتب الثاني جواسيس و أعوان يزودونه بالمعلومات اللازمة عن جيش التحرير و يطلعونه على الحالة النفسية السائدة به و يعملون على إفشاء و تسريع حالة التدمير فيه»¹. و هو أمر يصعب الفصل فيه، كما أن الشواهد المتوفرة عنه قليلة و لا تكفي لوحدها لدعم صورة مثل هذه فالعقيد جاكان نفسه، رئيس المكتب الثاني و مكتب الدراسات و التنسيق، هو نفسه، يعترف بصعوبة دس أعوان داخل تنظيم جبهة التحرير². أما فيما يخص المعرفة الدقيقة للمكتب عن الثورة فيمكن فهمها و تفسيرها بما غنمه الفرنسيون من مادة وثائقية ضخمة عن الثورة، ثم باستعمال مصالحه لكل وسائل الاستنطاق الخشن.

علما أن مساعي الفرنسيين للتجسس و الاستخبار حول مختلف الأوساط الجزائرية هو قديم قدم الاحتلال نفسه، و بالأخص إذا كانت هاته الجهات و الأوساط معروفة برفضها لوجوده و بتطلعاتها الوطنية للتخلص منه، مثلما كان واضح في منحي حزب الشعب الجزائري و بعده حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. و في هذا المقام، يعد اكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950 شاهدا قويا على نشاط هاته المصالح لكسر الإرادة الجزائرية نحو التحرر. فقد تم اكتشافها بفعل عناصر مدسوسة أفشت السر، يمكن أن نذكر من بينهم المدعو عبد القادر بن الحاج الجليلي، المعروف بالعميل كويس الذي واصل مسيرته الخيانية خلال انتمائه للجنة الثورية للوحدة و العمل، لتمتد بعد ذلك إلى تكوين جيب مقاومة مناوى للثورة بمنطقة الشلف³.

و لذا، فإن زرع الجواسيس و الأعوان المندسين في جسم الثورة هو أمر يمكن توقعه بسهولة و بالأخص بالمستويات الدنيا للتنظيم الثوري، على مستوى الخلايا الثورية، أين تجعل الظروف اللا أمنية المناضلين أهدافا سهلة للعدو الفرنسي، الذي يمكنه بسهولة القبض عليهم و جرهم بمختلف وسائل الضغط و التعذيب على التعاون معه. أما بالنسبة لدس أعوان و جواسيس بالمستويات العليا للتنظيم الثوري، على مستوى قيادة الولايات أو الحكومة المؤقتة مثلا، فهو أمر يصعب تصوره كما أن الشواهد عليه قليلة. و هنا تمثل حالة المدعو كواح مراد (Kaouah Mourad)، و هو إطار سامي عمل سابقا أمينا عاما بوزارة التسليح و المواصلات العامة التي كان يشرف عليها محمود شريف، تمثل عينة على ما أمكن للمصالح الخاصة الفرنسية تحقيقه في هذا المجال. فحسب شهادة السيد إبراهيم حرش المدعو "غاني" الذي عمل إطارا بجهاز "المالغ" للحكومة المؤقتة، يكون هذا العميل ووراء فشل ست محاولات لتموين الولاية الخامسة بالمعدات و السلاح عن طريق البحر انطلاقا من الموانئ المغربية. و بعد افتضاح أمره التحق هذا الشخص بالقاعدة العسكرية الفرنسية ببنزرت، ممتطيا لسيارة من نوع مرسيدس تابعة للوزير كريم بلقاسم، أين استغلت المصالح النفسية و الدعاية لفرنسا هذا

¹ - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, p. 301.

² - voir : Henri JACQUIN, p. 98 et 124

³ - Azzédine (Cdt), *Les Fellagas*, op. cit., p. 232 ; Claude Paillat, *Dossier secret de l'Algérie*, 2^{ème} 1954- 1958, Paris, les Presses de la Cité, 1962, p. 459- 460.

نشير هنا إلى أن الكاتب كان مجرد صحفي بمجلة باري ماتش الفرنسية . و كتابه مثل هذه المجلة يغلب عليه عنصر الإثارة و التشويق.

الالتحاق في توجيه دعاية مركزة على وحدات جيش التحرير المرابط على الحدود. لكن حبل النجاة لم يدم طويلا لهذا الخائن إذ سرعان ما تم القضاء عليه من طرف فدائيي مدينة الجزائر¹.

أما في مجال التثبيط و ضرب المعنويات فيمكن اعتبار قضية سي صالح، أو ما عرف لدى الفرنسيين بـ "العملية تيلسيت" (Opération Tilsitt) التي بدأت فصولها في ربيع 1960² نموذجا لعملية تثبيط ناجحة كادت أن تؤدي أكلها و أن تؤدي إلى وضع سلاح و استسلام ولاية بكاملها، هي الولاية الرابعة، مع ما قد يترتب عن ذلك من حذو ولايات أخرى مجاورة لنفس منحائها، لولا يقظة الثورة و تدخل ظروف ملابسة محيطة. فتحت ضغط العمليات العسكرية الكبرى لمخطط شال، و التي اشتهرت بـ "المكداس الضاغط" أصبحت الولاية الرابعة تعيش حالة من التدهور العام عصفت بتنظيمها؛ تدهور زاد في حدته انقطاع التمويل و عدم وصول إمدادات من الخارج. فأصبحت الولاية الرابعة تعيش الاختناق و تعالج الموت البطيء. فكان أن قامت المصالح النفسية للجيش الفرنسي، التي كانت على ما يبدو على إطلاع جيد بالوضعية المتدهورة لهذه الولاية، باستغلال هذه الوضعية لزوع التثبيط و تعميق حالة التذمر المنتشرة بين إطاراتها. حيث قامت مصالحتها بإصدار و توزيع نشرة بعنوان : "آخر الأخبار بالولايتين الرابعة و الخامسة" التي ساهمت في تقويض معنويات إطارات الولاية بما تضمنته من أخبار تثبيطية، دقيقة و صحيحة³. حيث تم العزف في هذه الدعاية على محور "قيادة الخارج تتخلى عن الداخل" و الإكثار من الدعوة إلى الاستسلام و الالتحاق، فالساعة كانت تدق لـ "سلم الشجعان". و فعلا كان الأمر كذلك : فقائد الولاية الرابعة، سي صالح، الذي كان يعيش عن قرب ما تعانيه ولايته و يتألم له كثيرا، وجد نفسه مدعوا لتحمل مسؤولياته و عمل أي شيء لإنقاذها بأي شكل من الأشكال. قال الأمر عنده إلى أن "سلم الشجعان" قد يكون "مخرجا مقبولا" من وضعية الانسداد التي توجد فيها ولايته، وبالأخص أنه، كرجل ميدان، قد فقد كل أمل في قيادة الثورة بالخارج للتدخل لنجدته. مراسلته الأخيرة إلى الحكومة المؤقتة بتاريخ 15 أبريل 1960، و التي نقلتها بعض المصادر الفرنسية، هي - إن صحت - خير ما يعكس حالة التذني التي وصلت إليها معنويات الرجل، فمما جاء فيها : « بما أنه أصبح واضحا و بصفة نهائية بأننا لم نعد نتحاور فيما بيننا إلا بلغة الصم، فإننا نسمح لأنفسنا بموافاتكم بهذا الخطاب الأخير... لقد قطعتم و بصفة نهائية منذ 1958 كل إرسال للكاتب و العناد الحربي... كما أن الولاية الأولى لا تتوفر على قائد لها، و كذلك الحال بالنسبة للثالثة. كما أنكم لم تقوموا بعمل أي شيء للتخفيف من معاناة هذه الأخيرة. زد على ذلك، فإن الولايتين الأولى و السادسة تتم تهدنتهما و تنظيم سكانيهما في فرق للدفاع الذاتي، و هي عملية بدأت تأخذ منحى مقلقا [...] لقد بقيتم في كل الأوقات تتجاهلون حالة الشعب و حالة

¹ - Lahrech Brahim, dit « Ghani », op. cit, p. 176, 180 et 197

² - لا يعيننا هنا تناول هذه العملية في حياتها و تفاصيلها الدقيقة. و سنكتفي هنا بالإحالة على أهم مصادرها. فبالنسبة للمصادر الجزائرية يمكن العودة إلى شهادة السيد لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، الجزائر، دار الحكمة للترجمة و النشر، 1990. أما بالنسبة للمصادر الفرنسية فيمكن

Pierre MONTAGNON, L'affaire Si Salah, secret d'état, Paris, Pygmalion, 1987.

العودة إلى :

³ - Maurice Faivre, Les archives inédites de la politique algérienne 1958- 1962, p. 102

جيش التحرير، متمادين أكثر فأكثر في تسييركم البيروقراطي. من جانبنا، لا يمكننا أن نقبل بالتمفرج مكتوفي الأيدي أمام عملية القضاء التدريجي على جيشنا الغالي، جيش التحرير الوطني»¹.

مباشرة بعد ذلك، دخل قائد الولاية، سي صالح، بدعم من مساعديه المقربين الرائد سي محمد و سي لخضر، في اتصالات مباشرة مع عدد من المسؤولين العسكريين و السياسيين الفرنسيين : في البداية مع كل من العقيد فورنيي فوش (Fournier-Foch) رئيس المكتب الثاني بمنطقة الشلف، بالتنسيق مع العقيد جاكان و مونتانيو (Montagnon)، ليرتفع مستوى الاتصالات في مرحلة تالية بتعيين برنارد تريكو (Bernard Tricot) عن الإليزي و العقيد ماتون (Mathon) عن قصر ماتيون. حيث يكون الأمر قد وصل إلى مناقشة مسألة وضع جيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة لأسلحته و مناقشة الضمانات و مصير ضباطه جنوده². ليسفر الأمر عن تنظيم مقابلة مع رئيس الجمهورية الفرنسي الجنرال دوغول بتاريخ 10 جوان 1960 بهدف إكساب العملية بعدا رسميا حقيقيا. لكن من لطف الله بالثورة أو من عجائب الأقدار أن تتوقف الأمور عند هذا الحد. أسباب ذلك، التمسها البعض في نية دوغول التوصل إلى حل سياسي لـ "الأزمة الجزائرية" من خلال التفاوض فقط مع سياسيين جزائريين، حيث ينطوي إقصائه للعسكريين الجزائريين على إقصاء ممثلي للعسكريين الفرنسيين بالجزائر، إقصاء يستبعدهم من المشاركة في صياغة أي تسوية أو فرضها. و لذا، كان عدم تحمسه للسير في عملية « استسلام » قيادة الولاية الرابعة، هو حتى لا تسجل العملية في خانة نجاحات العسكريين الذين يكونون بذلك قد فرضوا واقعا عسكريا على أرضية الميدان كان وراء دفع الولاية الرابعة إلى الاستسلام و قبول "سلم الشجعان"³. و من هذا المنظور، يرى البعض، بأن دوغول، بواسطة وزيره إدموند ميشليه (Edmond Michelet)، هو الذي كان وراء تسريب خبر اتصالاته مع قيادة الولاية الرابعة إلى الحكومة المؤقتة⁴، التي تدخلت في الحين و بقوة لإجهاض العملية. أما آخرون، فقد التمسوا أسباب توقف هذه العملية في عدم ثقته دوغول في مثل هذه "التسويات" الجزئية التي لا تقدم حلا شاملا لـ « الأزمة الجزائرية ». و هنا لنا أن نساءل، مثلما ذهب إليه آخرون، عما إذا لم يكن للنهاية المخيبة لتجربة «التحاق» الرائد عز الدين، سنة و نصف قبل ذلك و الذي عاد سالما غائما إلى صفوف جيش التحرير، دور في عزوف دوغول عن خوض هذه التجربة الجديدة⁵.

و على كل، و مهما يكن من أمر أسباب توقف هذه العملية، فإن مبادرة قيادة الولاية الرابعة إلى مناقشة «استسلامها» أو بالأحرى « وضع سلاحها و توقيف المقاومة » و لو بشروط « مشرفة »، هو من زاوية الحرب النفسية، مؤشر خطير الدلالة، على أن الانهزامية قد شقت طريقها إلى النفوس. و هنا لا يسعنا إلا التساؤل عن النهاية أو "المنعرج" الذي كان سيأخذه التاريخ لو قدر لهذه العملية أن تسير إلى نهايتها. علما، أن هذه العملية، كانت من أهم الحجج التي اعتد بها لاحقا خصوم دوغول من عسكري الجيش الفرنسي بالجزائر

¹ - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, p. 301.

² - Maurice Faivre, *Les archives inédites de la politique algérienne 1958- 1962*, p. 102

³ - المرجع السابق، ص. 238.

⁴ - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, p. 302- 303..

⁵ - Achour Cheurfi, p. 50.

للتدليل على أن حسم المقاومة الجزائرية حسمًا عسكريًا كان أمرًا ممكنًا لولا تعارضه مع نوايا و مقاصد دوغول¹.

أما في مجال نسج التنظيمات الهرمية الموازية بين السكان (les hiérarchies parallèles)، و الذي هو من صميم أعمال الحرب النفسية، و بالأخص، إذا اعتمد في نسجها على استعمال نفس عناصر الخصم بعد أن يتم قلبهم عليه، فإن معركة الجزائر، جانفي 1957، تُعد عيّنة نموذجية لما يمكن تحقيقه في هذا المجال. ففي مساعيهم الحثيثة لإفشال إضراب الثمانية أيام الذي دعت إليه جبهة التحرير، دعما لمطلب تسجيل القضية الجزائرية في أشغال الأمم المتحدة، وجد الفرنسيون أنفسهم مجبرين على كسر التنظيم السياسي و الإداري للثورة، الذي كان يظم ما بين 4 و 5 آلاف مناضل²، كانوا يؤطرون سكان مدينة الجزائر و تحديدا بحي القصبة العتيق. حيث تم توقيف العديد من المناضلين العاملين في التنظيم الثوري، ليتم تحت ضغط التهديد و المساومات جبرهم على الانقلاب على الثورة و التعاون مع الجيش الفرنسي في كشف تنظيمهم و كشف العناصر العاملة به واحدا واحدا. حتى إذا تم تفكيك تنظيم الثورة، استعين بهم في نسج تنظيم مواز، مناوئ للثورة، توكل له مهمه قطع طريق العودة علي هذه الأخيرة للعودة إلى مدينة الجزائر، و إجهاض كل محاولات إعادة زرع خلاياها السياسية و الإدارية بين السكان. هذا التنظيم وضع تحت إشراف النقيب ليجيه (Léger)، الخبير بالمسائل الأهلية و عرف بـ «الشوافون الزرق» (les bleus du Chauffe) - من فعل شاف-، أما الزرق فلأنهم كانوا يلبسون بذلة زرقاء- محاكاة لتنظيم مماثل جرى نسجه خلال الحرب بالهند الصينية ضد الثوار الفيتناميين، يدعى السود، لأن عناصره كانت تلبس بذلة سوداء. هذا التنظيم الموازي ضم ما يقارب الستة آلاف عنصر من «الملتحقين»³، الذين كانوا يتولون مراقبة تحركات السكان و نقل الأوامر إليهم. و هو الذي كان وراء توقيف العديد من المناضلين بحي القصبة، مثل ياسف سعدي و عمار علي المعروف بـ «علي لابوانت» و رفقائه، و المحافظ السياسي بن حميدة و آخرون. كما كانت عناصره وسيلة لاختراق الولاية الثالثة الذي انجر عنه حادثة «لابلوت»⁴. و بعد انتهاء «معركة الجزائر» تم ادراج هذا التنظيم الموازي ضمن «فرق الحماية الحضرية» (D.P.U.)، الذي كان يخضع للتوجيه و لإشراف المباشر للعقيد روجي ترانكيي الذين استغله في تأطير سكان القصبة وتنظيمهم للخروج و«بطريقة عفوية» - كما يطيب له وصف ذلك- للمشاركة في التظاهرات الكبرى مثل أحداث الثالث عشر من ماي 1958⁴. علما أن التجربة المستفادة من معركة الجزائر في مجال نسج التنظيم الموازي هي التي مهدت لاحقا لتنفيذ العمليات الكبرى، مثل «بيلوت رقم 1» التي سنتناولها في الفصل اللاحق.

¹ - Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, p. 304- 305.

² - Roger Trinquier (Col.), *Le temps perdu*, Paris, Albin Michel, 1978, p. 239

³ - Achour CHEURFI, *Dictionnaire de la révolution algérienne (1954- 1962)*, Alger, Casbah Editions, 2004, p. 331.

⁴ - Roger Trinquier (Col.), *Le temps perdu*, p. 239- 256 et 290.

كما يمكن أن نعد من بين الضربات الخفية، مختلف عمليات التصفية الجسدية التي دبرتها المصالح الخاصة للجيش الفرنسي (S.D.E.C.E.) لتصفية العناصر القيادية للثورة لتجريد الثورة من رموزها ورجالها، سواء بالاختطاف، مثلما حدث مع "طائرة الخمسة" الذي هو في ذاته عملية من عمليات الحرب النفسية لما فيه من تظليل و خداع؛ أو باللجوء إلى التصفية جسدية، باستعمال الطرود المفخخة، كأجهزة الاتصال و البطاريات و الذخيرة المغشوشة¹. و قد كان من أول ضحايا مثل هذه العمليات، الشهيد مصطفى بن بولعيد 23-24 مارس 1956، الذي أراد تجربة جهاز راديو للاتصال اللاسلكي، أُلقي ملغما من الجو، لاحتمال استعماله في الاتصال بقيادة الخارج بتونس. فكان أن انفجر الجهاز انفجارا شديدا موديا بحياة الشهيد مصطفى بن بولعيد و بعدد آخر من رفاقه². كما كان المجاهد عبد الحفيظ أمقران الحسني هو الآخر، المحافظ السياسي بالولاية الثالثة، و معه الرائد سي محمد أولحاج، ضحيتين لحادث مماثل، نجم عن انفجار بطارية لجهاز إرسال خلفها الجيش الفرنسي ورائه عمدا بعد انسحابه من إحدى العمليات³. كما تم تسجيل العديد من الحالات التي راح ضحيتها جنود لجيش التحرير، قتلا أو جرحا، من جراء استعمال ذخيرة مغشوشة.

و في هذا المقام دائما، يمكننا أن نضيف إلى عمليات الخداع أعلاه، دسائس الجيش الفرنسي باستعمال سلاح الاتصال باللاسلكي، في إطار ما عرف بـ "حرب الأمواج". ففي كل مرة استولي فيها الجيش الفرنسي على جهاز لاسلكي لجيش التحرير أو على شفرة من شفرات مراسلاته إلا و حاول استغلال ذلك إلى أقصى حد للنيل من جيش التحرير، بالتقاط مراسلاته و فك رموزها و الرد عليها بمراسلات تنطوي على كل أنواع التضييل و التسميم، و تنصب الكمائن لأفراده و وحداته⁴. و ما استشهد العقيد لطفي و الرائد زكريا بتاريخ 6 فيفري و 15 مارس 1960 على التوالي، إلا عينة على ذلك⁵.

أخيرا، يمكن أن نضيف إلى كل العمليات أعلاه، لجوء المصالح الخاصة للجيش الفرنسي إلى ممارسة التلفيق و التزييف و التزوير في نصوص الثورة و في وثائقها، مثل ما وقع ذلك في بعض أعداد جريدة المجاهد، أين استطاع المكتب الثاني للجيش الفرنسي إدخال تغييرات في مضامين بعض المقالات قبل سحب الجريدة. هذه هي بعض العينات - و ليست كلها- التي استطعنا الوقوف عليها، لما لها من بعد نفسي واضح يجعل منها بجدارة عملية من عمليات الحرب النفسية. و الواقع هو أنه من الصعوبة بمكان الإحاطة بكل هذا النوع من

¹ - Djoudi Attoumi, *Le Colonel Amirouche entre légende et histoire*, p. 152- 154.

² - حول بعض الشهادات الجزائرية عن تفاصيل هذا الحادث، يمكن العودة إلى شهادة العقيد الحاج لخضر، قائد الولاية الأولى، قيسات من ثورة أول نوفمبر كما عايشها، الجزائر، شركة الشهاب، (بدون تاريخ)، ص 182-186؛ و أنظر أيضا : (Brahime Lahreche,

Pierre « Ghani », op. cit., p. 147). أما بالنسبة للرواية الفرنسية لهذا الحادث، فيمكن العودة إلى : Pierre Montagnon, *la Guerre d'Algérie*, p. 148 ; Claude Paillat, *Dossier secret de l'Algérie*, 2^{ème}, p. 189.

هذا و نشير إلى أن الباحث بيار مونتينيون أثار امكانية أن يكون استشهاد الشهيد بن بولعيد يندرج ضمن سلسلة الخلافات و التصفيات التي شهدتها الثورة بمنطقة الأوراس لما كان يكنه من تعاطف لشخص مصالي. أنظر : (Pierre Montagnon, op. cit., p. 148) و لكن المجاهد الحاج لخضر يستبعد أن يكون وراء استشهاد بن بولعيد أي يد للمجاهدين في الداخل. أنظر: العقيد حاج لخضر. مرجع

سابق، ص. 184

³ - Abdelhafid Amokran El HASSANI, *Mémoires de combat*, p. 92- 94.

⁴ - Voir, Abdelkrim HASSANI, dit El Ghouti), *Guerilla sans visage*, tome I les premiers réseaux, Alger, Co-édition En. A.P.- O.P.U., 1988, p. 169 et suite.

⁵ - Brahim LAHRECHE, op. cit, p. 157-161 ; aussi, Henri JACQUIN, p. 239- 250.

العمليات التي بقي العديد منها في طي الكتمان. كما أن هناك الكثير مما لم نعلم بذكره : كعمليات استغلال الخلافات و التناقضات الداخلية التي قد توجد بين العناصر و المجموعات داخل جيش التحرير الوطني. أين يتولى بعض ضباط الجيش الفرنسي جذب الخيوط في الخفاء لتأليب البعض على البعض الآخر لكسر وحدة صف جيش التحرير و إحداث عمليات التحاق و استسلام نحو الجيش الفرنسي، كما حدث ذلك مرارا في الأوراس (مثل التحاق عجول عجول) و في الولاية الرابعة و السادسة، مع مؤامرة المدعو الشريف بن السعيد.

المطلب الرابع : تكوين جيوب مقاومة مسلحة مناوئة للثورة

و هو فصل آخر من فصول الحرب النفسية الفرنسية ضد الثورة، حيث تتمثل جدواه في ضرب شرعية الثورة كمثل شرعي وحيد للشعب الجزائري من خلال الادعاء بوجود جيوب مقاومة مسلحة "ثورية" أخرى ترفض شرعية جبهة التحرير الوطني، تختلف معها في الطرح و تناصبها العداة أيضا. فإلى جانب الدعم العسكري الميداني الذي تنتظره فرنسا من هذه الجيوب في محاربة الثورة، فإنها تتوقع أيضا امكانية التعويل عليها مستقبلا في فرض تسوية ما موافقة لها من خلال فرض هذه الجيوب طرفا فاعلا على طاولة المفاوضات. و من هذا المنظور، فإن اللجوء إلى تكوين و دعم و تشجيع بروز جيوب مقاومة مسلحة مناوئة للثورة يندرج ضمن ذلك المسعى الأبدي لفرنسا للبحث عن قوة ثالثة عسكرية تضاف إلى قوة ثالثة سياسية يتم فرضها على الثورة. و هو مسعى ما فتئت فرنسا تجتهد في تحقيقه و تشهره سلاحا حتى اللحظات الأخيرة للحرب، على طاولة المفاوضات، و لكن دون تحقيق نجاح يذكر. وما عملية "العصفور الأزرق"، ثم "بن لونيس" و بعده "كوبيس"، بما في ذلك قضية "سي صالح" و أخيرا "الجبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي" (F.A.A.D.) إلا دليل على ذلك¹. علما أن جيوب المقاومة المناوئة للثورة هي غير فرق الحزبة و فرق الدفاع الذاتي التي عُمد إلى إنشائها بين السكان، حيث تتمثل خصوصيتها في أن المبدأ الباعث على إنشائها هو إيجاد خصم مناوئ للثورة، يكون عسكريا ندا كفوءا لها، يستلهم نفس مبادئها و يطبق نفس خططها، و يتمتع بشيء من الاستقلالية في تنظيمه الداخلي و شيء من المبادرة و الحرية في تطبيق استراتيجيته الخاصة به (Un maquis). لا يربطه بالجيش الفرنسي إلا الدعم المادي و التنسيق العملياتي. كما يشترط لنجاحه أن تكون عناصره، أو على الأقل نواته الفاعلة من "المحترفين" من الذين يجيدون ممارسة " فن الثورة "، فهم غالبا عناصر تربت في الثورة و انقلبت عليها، أي أنهم أكثر من مجرد مرتزقة مأجورين أو عملاء يعملون لحساب الغير، لأنه في نجاح مثل هذه الجيوب، يكون للقناعات الشخصية لفاعليها و للحقد الذي قد يضمرونه للثورة دور حاسم. فالأمر عندئذ يكون بالنسبة لهم أكثر من مجرد عمالة للاستعمار، إنه تصفية حسابات شخصية مع الثورة. علما أن عدد المقاتلين في الجيوب المقاومة المناوئة هو عادة أكبر من عدد المقاتلين بفرق الحزبة.

¹ - في تعدادنا لمحاولات فرنسا لخلق قوة ثالثة عسكرية، جارينا في ذلك تعداد الباحث الجنرال موريس فافر، الذي اعتبر كل هذه عمليات، بما في ذلك قضية "سي صالح"، كلها عمليات تندرج في إطار البحث عن قوة ثالثة عسكرية. أنظر : (Maurice Faivre, op. cit., p. 84).

عملية "العصفور الأزرق"

أولى محاولات فرنسا في هذا الاتجاه، تمثلها عملية "العصفور الأزرق" (Oiseau bleu) التي جرى تنفيذها بالولاية الثالثة، التي كانت تشهد عملاً ثورياً مكثفاً، وتحديدًا بمنطقة القبائل البحرية، أين عُمد إلى تجنيد 293 شاب، منحوا اللباس و السلاح و الذخيرة بهدف خلق قوة مسلحة مناوئة لجيش التحرير الوطني بهذه المنطقة. هذه العملية شرع في تنفيذها بداية من أكتوبر 1955 و امتدت حتى نوفمبر 1956، بموافقة و تزكية من السلطات العليا السياسية و العسكرية الفرنسية بالجزائر. لكن قيادة جيش التحرير بهذه الولاية، و التي كانت على علم بالعملية و تُسائر تطورها، عرفت كيف تستفيد منها و تحوّلها إلى صالحها، لتجعل منها وصمة فشل و هزيمة في جين مخططيها. و عندما بدأت الشكوك تخالج المخططين الفرنسيين للعملية، قدرت قيادة الولاية الثالثة نضج العملية و أعطت الأمر لعناصرها للالتحاق بالثورة في الجبال محمّلين بكل الأسلحة و الذخيرة و اللباس الذي تلقوه من الجيش الفرنسي. جاعلة من ذلك هدية ثمينة تقدم للثورة و خبراً ساراً يُثلج الصدور، زفه السيد كريم بلقاسم إلى المجتمعين بمؤتمر الصومام. أما بالنسبة لحصيلة هذه العملية بالنسبة للثورة، فإن بعض المصادر الجزائرية تقدرها بحوالي: 600 مجاهد التحقوا بالجبال و ما يقارب الألف قطعة سلاح حربية و مائة و عشرين مليوناً من الفرنكات القديمة¹. في حين تقدرها بعض المصادر الفرنسية بـ: 393 رجل و 850 قطعة سلاح و أربعة و ثمانين مليوناً من الفرنكات القديمة².

العملية « ابن لوئيس »

ثاني محاولة فرنسية لتشكيل جيب مقاومة مناوئ للثورة تمثلها العملية "بن لوئيس". فمند اندلاع الثورة، كانت الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة مصالي الحاج معين لا ينضب للمصالح الفرنسية الخاصة لنسج مختلف المؤامرات و الدسائس، مستغلة في ذلك العداوة المستحكمة بينها و بين جبهة التحرير لتنفيذ عدد من عمليات الحرب النفسية، كإصدار تصريحات و بلاغات و مناشير و شائعات مضادة لجبهة التحرير الوطني، تحمل ختم الحركة الوطنية الجزائرية. كما كان يحدث أيضاً الاستعانة بعناصرها لتنفيذ بعض العمليات الخاصة، كما حدث مع بن لوئيس.

مُجد بن لوئيس، هو من مواليد برج منايل سنة 1912. التحق بحزب الشعب في سنة 1938 و شارك في أحداث 8 ماي 1945 أين اعتقل بسببها لفترة من الزمن. و بعد اندلاع الأزمة الداخلية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، 1953-1954، بقي وفيًا لزعيمها مصالي الحاج الذي يكون أوكل إليه، ستة أشهر بعد اندلاع الثورة، مهمة قيادة المجموعات المسلحة التابعة للحزب بمنطقة القبائل، مما جعله يدخل في

¹ - Abdelhafid Amokran El Hassani, *Mémoires de combats*, p. 59- 60

كما يمكن العودة أيضاً إلى كُتَيْب السيد مُجد الصالح الصديق، *عملية العصفور الأزرق*، منشورات دحلُب، 1990، 68 ص. علماً أن منشور تابع للثورة، صدر في إطار الاستغلال النفسي لفشل عملية العصفور الأزرق، قدم قائمة اسمية للعناصر الذين جندتهم فرنسا ضمت 287 اسماً. أما جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير فقد قدمت بدورها قائمة بـ اسماً. أنظر :

El Moudjahid,

² - Camille Lacoste- Dujardin, L'opération « Oiseau bleu », in *Le retentissement de la révolution algérienne*, colloque internationale d'Alger, organisé par le Centre Nationale d'Etudes Historiques, 24- 28 novembre 1984, pp. 267- 273.

مواجهات مباشرة مع جيش التحرير، الذي قام بتعبئة وحدات عسكرية عديدة لتصفيته و تصفية أتباعه، حيث كان من أهم فصول هذه المواجهات أحداث ملوزة في 28 ماي 1957 التي أجبرته على إخلاء الميدان و التراجع جنوبا كما دفعت به إلى الوقوع بين محالب الجيش الفرنسي طلبا للحماية و الدعم. فكان له ذلك بشروط، من بينها : تكثيف العمليات العسكرية ضد الثورة و تقديم المعلومات عنها. كل ذلك في مقابل دعم عسكري و لوجستيكي من الجيش الفرنسي يتناسب مع "الخدمات" المقدمة. لتبدأ بذلك فصول ما اصطلح الفرنسيون على تسميته بالعملية « أوليفيه » (L'Opération Ollivier). فقد منح ابن لويس نفسه رتبة "الجنرال" - جنرال الصحراء- و أعطى جيشه تسمية "الجيش الوطني للشعب الجزائري"، الذي تجاوز تعداده الثلاثة آلاف جندي، وظفها في شن حرب لا هوادة فيها ضد الثورة. و هو ما كلف هذه الأخيرة التضحية بالمئات من إطاراتها و جنودها بالولاية السادسة، و كلف الطرفين العديد من الخسائر المادية التي كان يمكن أن تعبأ ضد الجيش الفرنسي¹. و بالمقابل، سُجل على بن لويس قيامه بأنشطة موازية، اعتبرها الفرنسيون إخلالا بالشروط المتفق عليها، من ذلك رفعه لراية العلم الجزائري فوق معسكرات مقاتليه و فتحه الباب لتجنيد عناصر جديدة. و قيامه بنشاط سياسي مكثف بين السكان الجزائريين ذو مضمون وطني مناوئ للمستعمر، بما في ذلك نسجه لتنظيم سياسي بينهم على منوال التنظيم السياسي للثورة، و فرضه لضرائب تستخلص منهم لتغطية نفقات جيشه، إلى غير ذلك من الأنشطة التي جنت عليه لاحقا و أيقظت الشكوك حول نواياه و مراميه.

و لكن، و بغرابة، يبدو بن لويس عميل من نوع خاص : فبالرغم من الضرواة القتالية التي أبدتها في محاربة الثورة، و بالرغم من تصريحاته التي فيها تراجع واضح عن مطلب الاستقلال و قبول بفكرة الاندماج، فإن بن لويس يبدو صاحب مطامح و تطلعات، سياسية و عسكرية، خاصة و كبيرة، فيها تطلُّع واضح لنظام جديد ينشد التغيير، نظاما قد لا يتفق مع النظام الذي تتطلع إليه الثورة و لكنه أيضا لا يتحد بالضرورة مع النظام الذي تحن إليه فرنسا قبل 1954. لكن، يبدو أن الظروف فرضت عليه، لتحقيق أهدافه، الدخول في لعبة خطيرة، أجبر فيها على اللعب على الحبلين و التواطؤ مع العدو و تقديم تنازلات له على حساب المصلحة الوطنية. و هو ما لم يمنعه، مع ذلك، من السعي دوما للحفاظ على شيء من "الاستقلالية و الندية" في تعامله مع السلطات العسكرية الفرنسية. لذلك، كانت له بعض المواقف و الأفعال الخاصة التي لا تتم عن سير أعمى في خط الخيانة. من ذلك مثلا رفضه للقانون الإطار الذي جاء به مورييس بورجس مونوري، و رفضه تسليم أسراه من جنود جيش التحرير الوطني إلى الفرنسيين. كما كان لأتباعه و جنوده بعض الأنشطة الدعائية التي كانت في محتواها دعاية وطنية أزعجت السلطات المدنية و العسكرية الفرنسية. و هي كلها أعمال جنت عليه و تلقى لأجلها الإنذار تلوى الإنذار. فتقرر وقف العملية «أوليفيه» بتصفية فاعلها الأول، بن لويس، تصفيته جسدية من طرف الفرقة الحادية عشرة المظلية الصاعقة، و ذلك بمقر قيادته بقصر الشيوخ بتاريخ 14 جويلية

¹ - حول الاستنزاف المادي الذي سببه بن لويس للثورة بالولاية السادسة، أنظر : مُجد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952 و 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص تاريخ الثورة، تحت إشراف الدكتور جمال فنان، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، بوزريعة، 1999، ص. 195-196.

1958. لتشتت بعد ذلك قواته: حيث التحقت أعداد منها بالثورة، و انتظمت أعداد أخرى في فرق للحركة للعمل مع الجيش الفرنسي، و بقي الباقي تحت قيادة خلفه المدعو سي مفتاح¹.

العملية « كوبيس »

المحاولة الفرنسية الثالثة لتشكيل جيب مقاومة مناوئ للثورة جسدها العملية "كوبيس" التي اتخذت كمسرح لها منطقة الشلف. "كوبيس"، هو اسم مستعار لعميل قديم للمصالح الأمنية و الاستخباراتية الفرنسية يدعى عبد القادر بن الحاج الجيلالي، الذين يكون واحدا من قدماء المنظمة الخاصة لحزب الشعب، و الذي يكون - بصفته كعميل - وراء افتتاح أمر هذه الأخيرة و إلقاء القبض على عناصرها سنة 1950. كما يكون أيضا وراء إخطار مدير الأمن العام الفرنسي بالجزائر فوجور (Vaujour) بوشوك اندلاع ثورة عارمة أياما قلائل قبيل نوفمبر 1954، مستغلا في ذلك علاقته ببعض المناضلين في اللجنة الثورية للوحدة و العمل².

تعود بدايات المغامرة "كوبيس" أو "القوة ك" (La force K) إلى أكتوبر من سنة 1956، عندما عمد، بموافقة و تمويل و دعم من مصلحة أمن الإقليم (D.S.T.) و الجيش الفرنسي، إلى تكوين مجموعة مسلحة من أربعين رجلا بالقسم الأوسط لوادي الشلف، و هي منطقة معهود لها بكونها ميدان نشاط قديم و مكثف للحزب الشيوعي الجزائري، أين أمكنه بسهولة إيجاد عناصر مناسبة لتجنيدها. ليبلغ تعداد قوته بحلول ربيع سنة 1957 الأربعمئة رجلا مسلحين تسليحا متواضعا ثم 1400 سنة 1958. كما تلقى وعودا من الولاية العامة برفع عددهم مستقبلا إلى ألفي رجل. و قد أعطى كوبيس مقاتليه اسم "مقاتلي الاستقلال" و اقتبس في تنظيمهم نظام جيش التحرير الوطني في الهيئة و الرتب، ليشن بعد ذلك حربا لا هوادة فيها على هذا الأخير. و لجعل أتباعه يستسيغون الحرب ضد جيش التحرير كان يذيع فيهم مراوغا بأن " الاستعمار ممقوت و مآله حتما الاندحار، و هو أمر أكيد و قريب. و لذلك فالمصلحة ليست في قتال فرنسا و إنما في قتال عدو آخر أشد و أفتك خطرا آلا و هو جبهة التحرير الوطني، التي كان يوصمها بالشيوعية و يدعى ارتباطها بالشيوعية العالمية و بالتالي بالعداء للإسلام. و متى قُضي على جبهة التحرير سيصبح من السهل التفاهم مع فرنسا". و إذا كان ابن لويس قد رفض القانون الإطار فإن العميل كوبيس كان يشيع بين أتباعه بأن هذا القانون هو « فرصة لا يجب تفويتها ». لكن أتباعه لم يكونوا بهذا القدر من السذاجة، إذ سرعان ما اكتشفوا تواطئه المتين مع المستعمر و بالأخص خلال العمليات الحربية المنفذة ضد جيش التحرير، أين كان يستفيد من تغطية الجيش الفرنسي و دعم قوات الحركة التابعة للباش آغا بوعلام، ليدركوا عندئذ حقيقة عمالته للاستعمار. فكان رد فعلهم هو التخلص منه بنهاية أبريل 1958، ليلتحق ما يقارب التسعمائة و الخمسين مقاتلا منهم بكامل أسلحتهم بجيش التحرير، جاعلين من رأس كوبيس عربون توبة للتكفير عن خطأ انسياقهم وراءه، ليسدل الستار نهائيا على فصول المغامرة كوبيس³.

¹ - Claude PAILLAT, Dossier secret de l'Algérie, 2^{ème} 1954- 1958, p. 444- 458.

² - Azzedine (Cdt.), Les Fellagas, p. 231- 232 ; Claude Paillat, Dossier secret de l'Algérie, 2^{ème} 1954- 1958, p. 459.

³ - Voir : Azzedine (Cdt.), Les Fellagas, p. 231- 240 ; Claude Paillat, Dossier secret de l'Algérie, 2^{ème} 1954- 1958, p. 460- 470.

إن الفضل في فشل هذه العملية يعود إلى قيادة الولاية الرابع، و بالتحديد إلى الرائد عمر أوصديق و النقيب سي أمجد، اللذان عرفا بدورهما كيف ينازلان مختصو الجيش الفرنسي في ساحتهم و بنفس أسلحتهم، أين عاد النصر فيها لمن أجاد استعمال الدهاء و الخدعة الحربية¹.

إن من بين النتائج التي يمكن أن نستخلصها حول الأسباب العامة لفشل مثل هذه المحاولات المتكررة لخلق جيوب مقاومة مسلحة ضد الثورة، و التي كانت تنشط على طريقة جيش التحرير، نجد هناك، إلى جانب الثورة، الأسباب التالية : أولا شخصية النشطاء المعهود لهم بمهمة تشكيل هاته الجيوب. إنهم في الغالب مغامرين لا مبدأ لهم و لا قضية، تحذوهم أطماع شخصية استهانوا دونها باللعب على الحبلين. ثانيا صعوبة الدور الذي اطلعوا به : فمن جهة هم متعاونون مع الجيش الفرنسي و لكنهم أمام أتباعهم و أمام الشعب كانوا يحاولون إظهار أنفسهم بمظهر الوطنيين، لكسب صف هؤلاء و إبعاد وصف الخيانة و العمالة عن أنفسهم، فكان النجاح يحالفهم تارة و يخذلهم أخرى. ففي كل مرة انكشف فيها المستور إلا و عصفت المتاعب بمعسكرهم بسبب تمرد الأتباع المغرر بهم، الذين انخرطوا عن حسن نية في صفوفهم. فكانت كل عملية لإعادة النظام و الانضباط إلى معسكرهم لا تتم إلا بعد دفع ثمن باهظ من عمليات التطهير و التصفيات الجسدية داخل صفوف الأتباع، مما شحن الجو العام داخل هاته الجيوب و سهل من مهمة الثورة لاختراقها. ثالثا كان تطلعهم المستمر لتوسيع منطقة عملهم - و بالأخص لدى بن لونيس- مصدر خلاف مستمر مع الجيش الفرنسي الذي كان يعارض كل توسع لهم. أما السلاح الذي كان يأتيهم من الجيش الفرنسي، مثله مثل غيره من أنواع الدعم المادية الأخرى، فقد كان هو الآخر أسير حسابات قيادة الجيش الفرنسي، التي كان يتحكم فيها مدى التزام الناشط المحلي ببند الاتفاق مع الجيش الفرنسي و مدى مردودية أعماله المقدمة في محاربة الثورة. ثم خامسا و أخيرا هناك هاجس الخوف المستحكم لدى القيادة الفرنسية من أن تسفر يوما مختلف جهودها عن ولاء كاذب تكون فيه الثورة، أي جبهة التحرير، هي الرابح الأكبر من العملية، كما حدث مع عملية " العصفور الأزرق". لذلك كان الشك و الحذر (la méfiance) هو القاعدة العامة في التعامل مع هؤلاء النشطاء.

المطلب الخامس : تعبئة الشعب و تسليحه ضد الثورة

مند بداية الأعمال المدشنة للثورة، ما فتئت فرنسا حكومة و جيشا، تعلن للعالم بأن هذه "الأحداث" هي من صنع حفنة من الأشخاص الخارجين عن القانون، الغريباء عن الشعب، الذين لا تربطهم به رابطة، و أن هذا الأخير هو في عمومها باق على وفائه و ولائه لفرنسا. و لتجسيد ذلك في الميدان، قامت فرنسا بتسليح الشعب لضرب الثورة به.

فإلى جانب الدعم العسكري الذي كانت تنتظره فرنسا من هذا الإجراء، فإن لجوءها إلى تعبئة الشعب و تسليحه للجزء به في القتال إلى جانبها ضد الثورة هو في ذاته منازلة لهذه الأخيرة في ميدان بسط النفوذ على

¹ - Azzedine (Cdt.), *Les Fellagas*, p. 235- 238.

السكان. و أي دليل أبلغ على كسب السكان و انخراطهم إلى هذا الطرف أو ذاك من قتالهم إلى جانبه باستعمال السلاح ؟ علما أن تسليح فرنسا للشعب للقتال إلى جانبها ضد الثورة، ينطوي على رسالة ضمنية مفادها أن مطلب الانفصال عن فرنسا هو مطلب لا يحظى بإجماع كل الجزائريين، بدليل وجود فئة عريضة من الجزائريين تقاتل « الانفصاليين » إلى جانب فرنسا. كما أن رفع عدد الجزائريين المقاتلين إلى جانب فرنسا كان يستجيب لمقتضيات سياسية و دعائية للترويج بأن عدد الجزائريين المنخرطين إلى جانب فرنسا هو أكبر من عدد الجزائريين المنخرطين في الثورة¹.

لنعبئة الشعب ضد الثورة قامت فرنسا، خلال الحرب، بإنشاء عدة تشكيلات من المقاتلين الجزائريين في إطار ما كان يعرف بالقوات الإضافية (Les Forces Supplétives). و قد كان لكل منها إطاره و نظامه الخاص. حيث نجد من أهم هذه التشكيلات ما يلي :

- فرق الحزكة (Harkas) : و هي تشكيلات مسلحة عُمد إلى إنشائها مع بداية الحرب، في نوفمبر 1954 للقتال إلى جانب الجيش الفرنسي، ثم اعتمدت رسميا بتاريخ 8 فيفري 1956 من طرف القيادة العليا للجيش، التي أقرت إنشاء فرق الحركة بمعدل تشكيلة لكل قطاع فرعي عسكري (Quartier). أين تم إنشاء وحدات مؤطرة من طرف ضباط فرنسيين. هذه الوحدات كان يتم تمويلها من ميزانية الجزائر و كان الجيش الفرنسي يتولى تنظيمها و توظيفها و تدعيمها². أما بالنسبة لتسليحها، فقد كان يتم في البداية منح عناصرها بنادق للصيد، ليتم تدريجيا منحهم أسلحة حربية. أما بالنسبة لمشاركة هاته الفرق في الأعمال الحربية، فكانت تأخذ تارة شكل مفرزات صغيرة تناور ضمن فصائل و كتائب الجيش المدججة بها، أو شكل وحدات مستقلة تناور ضمن وحدات الجيش التي تتحملها. كما كان يتم توظيفها بشكل منعزل كفرق كومندو. و قد كان لهذه الفرق دور خطير في عرقلة مسيرة الثورة لأن جل عناصرها كانوا من أبناء المنطقة و على معرفة تامة بما و يتقبلون في محيطها. كما كانت لهم معرفة بالثورة و بأساليب عملها، و تم تكييف أسلوب قتالهم مع أسلوب جيش التحرير الوطني. مما جعل هذه الفرق تحوز « بإجماع الرضى و التقدير على أعمالها، على المستويين العسكري و النفسي، لما لها من تأثير على السكان »³. كفرقة الحزكة "مرشي" - نسبة إلى صاحبها الآغا مرشي بآريس- التي تميزت بحصيلة أعمالها العسكرية ضد الثورة : فهي تقوم بالتجوال ليلا و نهارا، تراقب و تترصد، و تنصب الكمائن لمجاهدى جيش التحرير الوطني⁴.

- فرق الدفاع الذاتي (G.A.D.) : و هي فرق تخضع أيضا لرقابة الجيش، تم تشكيلها بعناصر من بين سكان نفس المنطقة، للاضطلاع بمهام قارة للدفاع عن القرية و حماية نقاطها الحساسة. عناصرها لا يتلقون راتبا و مسلحون ببنادق صيد. وقد تناولنا تطور تعدادهم في الفصل السابق.

¹ - Mohand Hamoumou, Et ils sont devenus harkis, p. 146 et 162- 163.

² - المرجع السابق، ص. 115 - 116.

³ - Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches extra militaires de pacification, op. cit., p. 26

⁴ - Pierre Montagnon, La guerre d'Algérie, p. 154.

- الفرق الأمنية المتنقلة (Groupes Mobiles de Sécurité) : و هي في أصلها، الفرق المتنقلة للحماية الريفية (Groupes Mobiles de Protection Rurale)، و هي فرق جندتها الإدارة المدنية لاستعمالها في حماية المناطق الغابية.

- فرق المخزن (Le Maghzen) : و هي فرق جرى تكوينها بتجنيد عناصر محلية لتوظف بعين المكان لتوفير الحماية الأمنية لضباط لاصاص، سواء بـ "البرج" مقر إقامتهم، أو خلال تنقلاتهم. و قد كان من بين هذه الفرق من تميزت بأعمالها في محاربة الثورة، مثل مخزن فم الطوب بآريس، فجرى تحويلها إلى عناصر كومندو¹.

إلى جانب التشكيلات المسلحة أعلاه، يجب إضافة الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي، من المنخرطين النظاميين و الاحتياطيين المستدعين في إطار الخدمة العسكرية الإجبارية، و الذين بلغ مجموعهم أكثر من ستين ألف مجند خلال السنوات الأخيرة للحرب.

إن التعداد العام لهذه التشكيلات شديد الدلالة على الجهد الذي بذلته فرنسا في هذا الاتجاه. الباحث العسكري موريس فافر يقدر مجموع الجزائريين العاملين ضمن قوات «حفظ النظام» بحلول جوان 1961 بـ : « 158.000 مقاتل من أصل 561.500 مقاتل (و هذا بدون حساب الـ 65.000 من عناصر الدفاع الذاتي) و هو ما يمثل ما نسبته 28% من مجموع هاته القوات »². فإذا أضفنا عدد عناصر الدفاع الذاتي إلى هذا المجموع فإن عدد الجزائريين المقاتلين إلى جانب فرنسا سيكون 223.000 مقاتل. و هو تقريبا نفس الرقم الوارد في تقرير لوزارة الداخلية الفرنسية بتاريخ 19 مارس 1962، الذي حدد عدد الجزائريين المنخرطين إلى جانب فرنسا بـ 263.00 رجل يتوزعون كالأتي : «20.000 منخرط عسكري؛ 40.000 مستدعى للخدمة العسكرية؛ 58.000 حركي؛ 20.000 مخازني؛ 15.000 من عناصر الفرق الأمنية المتنقلة؛ و 60.000 من عناصر الدفاع الذاتي؛ يضاف إليهم ما يقارب الـ 50.000 عنصر من المنتخبين و قدماء المحاربين و الموظفين»³.

إن الأرقام أعلاه، تكتسي أهميتها البالغة بمقارنتها بأرقام جيش التحرير الوطني بالداخل. و هي مقارنة على أهميتها لا تسلم من مخاطرة، إذا أخذنا في الاعتبار أن تعبئة الثورة للجزائريين كانت عملية يتحكم فيها بشكل كبير الإمكانيات المحدودة للثورة لا إرادة الانخراط عند الشعب. بدليل أنه بالرغم من شساعة الفارق بين امكانيات فرنسا و امكانيات الثورة فإن هذا لم يمنع من استمرار الحرب لسنوات، مما يعني أن الثورة لم تعدد دوما نفوسا على استعداد للتضحية⁴. فاستنادا إلى بعض المصادر الجزائرية، يكون جيش التحرير الوطني قد بلغ أوج قوته سنة 1958 بقوات وصل تعدادها التسعين ألف جندي على الأكثر، (منهم 60 إلى 70 ألف جندي

¹ - Maurice Faivre, p. 42.

² - Maurice Faivre, p. 389.

³ - Achour Cheurfi, p. 182 ; Mohand Hamoumou, p. 121- 122.

⁴ - Mohand Hamoumou, p. 146.

بالداخل و ما بين 15 إلى 20 ألف جندي وراء الحدود بكل من تونس و المغرب). و مع بداية تنفيذ العمليات الجهنمية لمخطط شال 1959-1961 شهد هذه القوات تراجعاً مريعاً وصل إلى حد فقدان 50% من تعداد هذه القوات. ليقدّر تعدادها بنهاية الحرب بما بين 30 و 35 ألف مقاتل في الداخل¹.

و قبل أن نختم هذه النقطة، نشير إلى أن مساعي فرنسا في تعبئة الشعب الجزائري ضد ثورته قد شهدت أطوارها أغرب التجارب و أخطر المبادرات، التي جرى تنفيذها بدعم من الإدارة الفرنسية، المدنية و العسكرية. فهنا و هناك، عمد ضباط عسكريون و متعاونون مع الإدارة إلى خلق تشكيلات مسلحة مضادة للثورة : مثال ذلك فرقة "حركة بودوان" أو "قوم بوعلام" التي تشكلت في أواسط سنة 1956 و كان يقودها الباش آغا بوعلام و بلغ تعدادها الـ 160 مقاتلاً. و هناك أيضاً "حرّكة بومعد" (BOU MAAD) المكونة من 120 مقاتلاً. و هناك أيضاً "حرّكة لودالوز" (LOUDALOUZ) المكونة من 140 مقاتلاً². و هناك أيضاً "الكومندو جورج" (Commando Georges). بل لقد جرى التخطيط لإنشاء "قوات جزائرية حرة" (les Forces Algériennes Libres) متكونة من الحرّكة و التي كان سيتم إنشاؤها في إطار العملية "بيلوت 1"³. علماً أن مثل هذه التجارب و المبادرات لم تستثنى حتى النساء الجزائريات، فقد وجد من المبادرات ما استهدف تسليح المرأة الجزائرية لضرب الثورة بما كتلك المبادرة التي عمد إليه ضابط لاصاص بسطارة (Catinat)، جنوب شرق الميلية، حيث قام بتسليح ثمانية عشر امرأة، عهد إليهن بمهمة حراسة لاصاص⁴.

أخيراً، يبقى التساؤل قائماً حول البواعث التي تجعل الجزائري يندفع إلى الانخراط في صفوف هاته التشكيلات و القتال إلى جانب الجيش الفرنسي ضد الثورة. لا شك أن بواعث ذلك كثيرة، يمكن تلمس بعضها في ضعف إعلام الثورة خلال السنوات الأولى و الذي زاد في حدته قوة التشويه الذي مارسه دعاة و إعلام العدو؛ و لربما الخوف أيضاً. و هناك أيضاً من الأسباب ما يعود إلى صعوبة الإلتحاق بالثورة، عدا عن الأخطاء التي ارتكبتها هذه الأخيرة في حق بعض السكان و التي أورثت حقداً و ضغينة، عرفت فرنسا كيف تجعل منها ثأراً يُطلب. ثم هناك أيضاً الضغوط و الإكراهات من قبل الجيش الفرنسي⁵، عدا عن المآسي الإنسانية التي تدفع بآبن العائلة إلى الانخراط بهاته التشكيلات لتعويض أخيه الذي التحق بالثورة في الجبال، بما يحول دون وقوع نقمة الجيش الفرنسي على كل العائلة. يضاف إلى كل ذلك الفقر و البطالة التي قد تحمل المضطر على ركوب الصعب...⁶ و يبقى بعد كل هذه الأسباب و الدوافع الخيارات التي تفرضها الحرب على كل شخص، و التي قد تجعله يتنكر لمبادئه و قناعاته، و قبول القتال إلى جانب أعدائه ضد قومه و بني جلدته.

¹ - Acheur Cheurfi, p. 41.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Annexe n° 12, Opération Pilote, évolution de la situation des harkas, (s. d.), p. 1.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 6- 7.

⁴ - Philippe Hédouy, *Algérie française 42- 62*, p. 249.

⁵ - Mohand Hamoumou, p. 134- 188

⁶ - المصدر السابق، ص. 190 - 197.

المبحث الثالث : الاستسلام و الالتحاق (La reddition et le ralliement)

من بين المظاهر الأخرى البارزة للحرب النفسية الفرنسية ضد الثورة هو شنّها حملات مكثفة لدعوة مجاهدي جيش التحرير الوطني، بما في ذلك السكان الخاضعين لتأثيرهم، إلى الاستسلام و الالتحاق بفرنسا. حيث يندرج عمل فرنسا في هذا الاتجاه ضمن مخطّطها لضرب جيش التحرير الوطني من خلال تفتيته بإحداث سلسلة من عمليات الاستسلام و الالتحاق الفردية و الجماعية لعناصره بالجيش الفرنسي، بما يشتمل صفوف هذا الجيش و يقضي على روحه القتالية.

تعليمة روبرت لاکوست، بتاريخ 15 مارس 1957، ميّزت بين الاستسلام و الالتحاق: فالاستسلام يخص غالبا الجزائريين الفارين من التشكيلات المسلحة أو الوحدات العسكرية التي انتسبوا إليها في إطار الجندية أو الخدمة العسكرية؛ بينما يخص الالتحاق الجزائريين الثائرين، المنخرطين في جبهة و جيش التحرير الوطني. و قد عرّفت هذه التعليمة الاستسلام (La reddition) بأنه امتثال شخص فار، «خارج عن القانون»، أمام السلطات الأمنية أو العسكرية لفرنسا، بما في ذلك أمام ضباط لاصاص. حيث يكون امتثاله « فعلا إراديا ينطوي على دليل صدق لا لبس فيه على صدق نية المعني، يتضمن : أولا تسليم سلاح أو ذخيرة أو عتاد أو أموال لخارجين عن القانون من أتباع جبهة التحرير الوطني، أو الحركة الوطنية الجزائرية أو الحزب الشيوعي؛ ثانيا تقديم معلومة قابلة للاستغلال؛ ثالثا المشاركة في عمليات عسكرية ضد الخارجين عن القانون». و في مقابل ذلك، يتم تأمين سلامة هذا الشخص المستسلم، و كذا أمواله و عائلته. كما تمنح له رخصة تنقل مؤقتة (Sauf-conduit) قابلة للتجديد كل ستة أشهر، في انتظار تسليمه "شهادة استسلام نهائية" و ذلك بعد فتح تحقيق للتأكد من « عدم تورطه في أعمال إرهابية ضد السكان المدنيين أو جنود بلا سلاح». فإذا تبث تورطه و حالت « خطورة جرمه» دون قبول استسلامه فإن «حسن نيته و توبته ستأخذان كظروف مخففة»¹.

أما بالنسبة للالتحاق (Le ralliement)، فقد عرّفته نفس التعليمة بأنه: « هجر شخص أو مجموعة من السكان لموقف مبدئي متردد أو متواطئ أو معادي لفرنسا إلى موقف آخر يساهم في عودة و دوام السلم الفرنسي»². عملية التحاق السكان كانت تتم بإرسال ممثلين عنهم، يتم اختيارهم من بين الشخصيات النافذة فيهم، إلى السلطات الفرنسية لتقديم طلب الالتحاق، معززين طلبهم هذا بأدلة ملموسة دالة عن صدق نيّتهم، كتسليمهم أسلحة تابعة للثوار و تقديمهم معلومات عنهم قابلة للاستغلال. ليطلق بعد ذلك على هؤلاء وصف " السكان الملتحقين". غير أن تعليمة متأخرة، صادرة بتاريخ 5 سبتمبر 1960، جعلت الشكل الوحيد للالتحاق السكان هو الانخراط في الدفاع الذاتي³.

أما بالنسبة للالتحاق الفردي فإن الإجراء هو نفسه بالنسبة للشخص المستسلم، حيث تسلم للملتحق "شهادة التحاق مؤقتة" في انتظار تسليمه "شهادة التحاق نهائية"، وذلك بعد فتح تحقيق يثبت عدم تورطه في « أعمال إرهابية ضد السكان المدنيين أو ضد جنود بلا سلاح». فإذا أثبت التحقيق تورطه في إحدى هذه

¹ - SHAT, 1H 2581/d.1, Directive particulière concernant les reddition et les ralliement, signé Robert Lacoste, Alger 15 mars 1957, p. 1.

² - المصدر السابق، ص. 2.

³ - المصدر السابق، نفسه.

الأعمال، رُفض طلب المعني و أعيدت له حريته و أمكنه عندئذ العودة إلى الجبل إن شاء¹. و في كل الأحوال لا يقبل التحاق الملتحق إلا بتسليمه لسلاحه أو تقديمه لمعلومة يؤكد صحتها الاستغلال².

يُعد الالتحاق، من وجهة نظر الحرب النفسية، أمرا أكثر من الممكن، فالشوار ليسوا كلهم على نفس القدر من الصلابة المعنوية : « ففي كل الحركات المسلحة، هناك دائما نواة صلبة تسبح في مدارها عدد من النفوس المتزدة، التي يمكن استرجاعها بشيء من الدعاية الذكية »³. حيث يكون استرجاعها -أي التحاقها- هو، نظريا، تنويجا لسلسلة متتالية من العمليات، التي تم تنفيذها و مباشرتها منذ فترة طويلة. أي أن الثائر الذي وصل إلى عتبة الالتحاق، يفترض فيه أنه قد مر بتطور نفسي داخلي عميق، اجتاز فيها المراحل الست من مراحل "الشر الضروري"، التي تتحدد ملامحها في: أولا بلوغ الشك مداه في نفسه، فهو فاقد للثقة في رؤسائه، يئس من انتصار قضيته، و من وصول الدعم الخارجي الذي طالما انتظره هو و رفاقه. ثانيها أن لديه عقدة نقص تجاه الجيش الفرنسي، فهو يراه جيشا لا يقهر و أن النصر حليفه لا محالة. و هو بالمقابل متيقن -ثالثا- بأن الهزيمة واقعة بالثورة لا محالة أيضا. و لأنه لا يري جدوى من كل التضحيات المبذولة، فهو يرفض -رابعا- مواصلة الكفاح، و لا يفكر -خامسا- إلا في طلب السلامة لنفسه، حيث يرى -سادسا- بأن التحاقه بالجيش الفرنسي فرصة أخيرة قد لا تعوض، يجب عليه اغتنامها قبل فوات الأوان⁴. و لأن الالتحاق عادة ما تأباه النفوس الأبية، لما ينطوي عليه من ذل و انكسار، و جب عدم اللجوء إليه و عدم دعوة الخصم إليه إلا إذا كان في وضع يؤذن فعلا باندهاره، كأن تدور الدائرة عليه في الاشتباك فلا يجد مخرجا غير الاستسلام⁵. و هذا معناه عدم التسرع و حرق المراحل، التي أولها: العمل على ترسيخ فكرة الهزيمة في نفسه، بأنه هُزم و بأنه يواصل مقاومة يائسة لا جدوى منها. ثانيها أن استمراره في المقاومة لن يجدي شيئا. ثالثها: إخطاره و إيهامه بأنه يوشك أن يوجد في وضعية ميتوس منها و تحديد بعض معالمها له. رابعها: إعطاءه تعليمات واضحة تبين له كيفية الاستسلام أو الالتحاق، و تقديم الضمانات اللازمة له بأنه سيعامل بإحسان⁶. و في هذا الصدد يجب تفادي كل ما قد يوغر صدره أو يُشعره بالإهانة فيدفعه إلى الإصرار و الاستماتة في القتال : فبدلا من دعوته إلى "وضع السلاح" و "الاستسلام" سيكون من الأحسن دعوته إلى "وقف المقاومة"، إلى "الانضمام إلينا" و "القتال معنا"⁷.

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Conditions de ralliement, n° 6269 EMP/2/O.I./S, Alger, 19 octobre 1959 ; Note de service : Ralliement au cours de l'Opération JUMELLES, n° 26/ARTHOIS/5/OPS/S, ARTHOIS, 12 septembre ?.

³ - SHAT, 1H 2410/d.1, Fiche- Exposé sur l'action psychologique en 10° R. M., (s. d.), p. 4.

⁴ - SHAT, 1H 1113/d.2, Plan d'action psychologique (suite à la Note d'Orientation n° 6), n° 625/EM.10/PSY/PR, 22 novembre 1956, p.2.

- أنظر أيضا الملحق رقم :7.

⁵ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : campagne de ralliement, n° 432/5SC, Zone Nord Algérois, 23/1/59.

⁶ - SHAT, 1H 1113/d.2, Technique du ralliement- le tract, fiche de documentation n° 11.8, 4 février 1958.

⁷ - SHAT, 1H 2581/ d.1, Note de service : Action sur les rebelles, n° 2932/CAC/5/ACT, 25 juin 1959.

خلال الحرب، قامت المصالح النفسية للجيش الفرنسي بتنظيم عدة حملات نفسية لإحداث عمليات التحاق فردية وجماعية في صفوف جيش التحرير، بما في ذلك صفوف السكان الخاضعين لتأثيره. من ذلك، حملة الالتحاق التي تم تدشينها ابتداء من 10 أبريل سنة 1957. حينها، قدرت القيادة الفرنسية وجود مناخ نفسي عام موافق، يسود في معسكر الثورة، و يمكن استغلاله لتحقيق سلسلة من عمليات الالتحاق الواسعة بالجيش الفرنسي. هذا المناخ، ميزه « تعب ظاهر لدى عناصر التمرد، و بالأخص، بعد سلسلة الخيبات التي تلقوها و التي كان أهمها: فشل الاضراب المدرسي، فشل إضراب الثمانية أيام، رفض الأمم المتحدة مطلب الدول العربية لتسجيل القضية الجزائرية ضمن جدول أعمالها. يضاف إلى كل ذلك تسجيل عدد آخر من الإخفاقات العسكرية في الميدان، التي زادت في الخسائر البشرية و المادية للمتمردين »¹.

لإنجاح هذه الحملة تمت تعبئة جميع الوسائل الدعائية، المقروءة و المسموعة، كالمناشير، و الملصقات، و اللافتات، و الكتابة على الجدران، و اللوحات الإعلامية؛ بما في ذلك الاستعانة بخدمات "فرق مكبرات الصوت و المناشير" لبث مختلف التسجيلات الصوتية و تنظيم مختلف التجمعات للسكان و توزيع المناشير عليهم و شرح مضمونها لهم. و في هذا الصدد تم ضبط قائمة من الشعارات (slogans) المناسبة لترديدها طيلة الحملة، تمحورت في مجملها حول المحاور التالية: « فشل التمرد و عزمها على الفراغ سريعا منه؛ و كرم فرنسا و عزمها على العفو؛ و رغبتها في إنقاذ حياة المقاتلين المغرر بهم الذين أخطروا عن حسن نية في التمرد؛ ثم مدى كرم فرنسا، التي لن تكتفي فقط بانقاد حياة الملتحقين و لكنها أيضا ستعمل على مساعدتهم على الاستقرار مع عائلاتهم و ستجد لهم عملا. ثم أخيرا، التأكيد على أهمية مشاركة كل السكان في هذه الحملة بتوزيعهم للمناشير و توجيههم للمتمردين إلى المراكز العسكرية و الأمنية لإعلان التحاقهم »².

في هذه الشعارات نقرأ مثلا: « الرجوع إلى الحق فضيلة ». « ارجعوا لفرنسا حياتكم تكون طويلة ». « المتوخر في الرجوع يحط رأسه، هز رأسك و سبقه ». « مادام تتراخو في رجوعكم، مادام يزيد في ذنبكم و ندمانكم ». « من رجع إلى فرنسا تنجى عائلته من البؤس ». « من الذي تكلف بدارك و اهلك، أنت غايب، راهم مضرورين، تجهيم عجلا ب رجوعك إلى فرنسا ». « رجوعكم إلى فرنسا هو سعادة أولادكم »...³. في هذه الحملة أيضا، تم إسناد دور خاص للقوات العاملة في الميدان (la troupe)، التي هي على احتكاك مستمر مع الشعب حيث تتمثل مهمتها الأولى في تحقيق أوسع توزيع للمناشير، و ذلك بتسليمه إلى السكان بالمشاتي خلال عمليات المراقبة و الإحصاء و للأشخاص الذين يتم الالتقاء بهم خلال السير بالمسالك و الطرق؛ و إلى العاملين بمختلف الورشات و الحقول. بما في ذلك، و لما لا، تسليمه إلى الأطفال. و زلقه في الدور، من تحت الأبواب و من فوق الجدران. متوخين في كل ذلك كامل الحرص على بلوغ المنشور مقصده:

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Instruction sur la rôle de la troupe dans la campagne " RALLIEMENT", 10 Avril 57, p.1.

² - SHAT, 1H 2409/d.1, Instruction sur la rôle de la troupe dans la campagne " RALLIEMENT", 10 Avril 57, p. 3.

³ - SHAT, 1H 2409/d.1, Slogans de " RALLIEMENT", annexe à la note de service n° 310/EM.10/PSY/GP du 10.4.57, 11p. ; Aussi : 1H 2581/d.2.

« ففي الحرب الثورية، كالتى نحن مجبرون على خوضها، يكتسي المنشور أهمية بالغة لا تقل عن أهمية لغم أو قنبلة يدوية. لذلك يتوجب عدم إلقائه كيفما اتفق، بل يجب وضعه في المكان الذي يجب »¹.

المهمة الثانية، الموكلة لهذه القوات، تتمثل في شرح مضمون مختلف المنشور: فقد تبث بالتجربة أن المنشور لن يمارس تأثيره العميق إلا إذا أسهب في شرحه و توضيحه قبل تسليمه. و لهذا السبب فإن الطريقة المثلى لنشره على أوسع نطاق هي تجميع الرجال و النساء بالقرى بما في ذلك أطفالهم و شرح المنشور لهم و تبيان طريقة استخدامه، ثم طرح أسئلة عليهم للتأكد من حسن فهمهم له، ليتم بعد ذلك توزيعه عليهم. أما بالنسبة للمنشور الموجه لاستعماله كإذن بالمرور (sauf-conduit) فيمكن شرحه بعروض تمثيلية من لوحتين: اللوحة الأولى و تتمثل في تسليمه ل «فلاش» من طرف رجل أو امرأة أو طفل؛ بينما تشكل اللوحة الثانية من مشهد التحاق ل «فلاش» بنقطة ما من نقاط المراقبة².

في مسعى حملة البحث عن ملتحقين، أنجز المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العاشرة العسكرية و وزع ما عدده مليون و نصف منشور³، المتعددة الأنواع شكلا و مضمونا: فهناك من المنشور ما هو مكتوب و منها ما هو مرسوم و منها الحامل لصورة. و هي كلها تحت على الالتحاق بشتى أساليب التهديد و الإقناع، بما في ذلك الإغراء المادي، حيث تم توزيع منشور هي بمثابة أوراق مالية بقيمة عشرة آلاف فرنك يقبضها الملتحق حال التحاقه⁴. كما كان هناك من المنشور ما يبين كيفية الالتحاق، و هي منشور يمكن اتخاذها ك "إذن بالمرور"، تسمح للملتحق بالامتثال أمام مراكز المراقبة العسكرية دونما خوف على نفسه⁵. و لأن الدوق الأهلي « يقدر الأختام»، فإن هذه المنشور الأخيرة يمكن أن تكون ممضاة و محتومة بختم القيادة العليا أو المحلية، بما يزيد في مصداقيتها عند حاملها من الملتحقين⁶.

لتبليغ هذه المنشور إلى المعنيين، أي إلى الثوار بالجمال، كان يتم، إلى جانب اعتماد الطرق التقليدية في التوزيع و التي من بينها الإلقاء بالطيران، الاستعانة بأسر الثوار أنفسهم و تكليفهم بتسليم المنشور إلى أقربائهم المنخرطين في الثورة. و هي طريقة ثبتت نجاعتها بالتجربة⁷. ذلك أن حنين الثائر إلى أهله و ذويه سيقوده عاجلا أو آجلا إلى الاتصال بهم، بل و لربما أيضا إلى زيارتهم خلال الإجازات، و هو ما يعني أن الاتصال بينه

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Instruction sur la rôle de la troupe dans la campagne " RALLIEMENT", 10 Avril 57, p. 2.

² - المصدر السابق، نفسه. أنظر أيضا الملحقين : 81 و 82.

³ - SHAT, 1H 1113/d.1, L'action psychologique en Algérie, deuxième partie, année 1957, p. 10.

⁴ - Georges FLEURY, La guerre en Algérie, Plon, 1993, p. 352.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 81 و 82.

⁶ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service n° 460/EM.10/PSY-GP, Alger 28 mai 1957.

⁷ - الملحق رقم : 69 هو منشور، أخذ شكل رسالة شخصية، سلمت بتاريخ 19 جانفي (1956 ؟) إلى بعض الأسر الجزائرية بالشرق

الجزائري. ليتولوا بدورهم تسليمها إلى عدد من ذويهم المجاهدين العاملين بالثورة، ضمن فوج العيفة محجوب، الذي كان ينشط بين منطقتي واد الزناتي و عين عبيد إلى الشرق من مدينة قسنطينة. و قد كان من نتائج هذه العملية التحاق عنصرين على الأقل. إلا أن المدعو بابوري عثمان، و هو أحد المرسل إليهم، و كان يعمل مسؤولا سياسيا بدوار سوحاليا و محاسبا ماليا لفوج العيفة محجوب، قد رفض

الالتحاق، مفضلا بدلا عن ذلك الاستشهاد بمشطته بتاريخ 11 فيفري من نفس السنة. أنظر :

SHAT, 1H 1113/d.2, Annexe n° 1, exemple d'action psychologique pouvant être menée par une Unité, (1956 ?), 4 p.

و بينهم ليس مقطوعا تماما. و في هذا المقام لم يغفل الفرنسيون الدور الذي يمكن أن تطلع به المرأة الجزائرية، كأم و زوجة و أخت، في التأثير على قريبتها بالجبل و حمله على الالتحاق و العودة إلى المنزل¹. علما أن الاستجابات التي أجريت مع الأسري و الملتحقين قد كشفت عن وجود بعض الصعوبات التي كانت تحول دون وصول المنشور الفرنسي إلى ضباط و جنود جيش التحرير الوطني، فقد أصدر هذا الأخير تعليمات صارمة تحض على الجنود، و أيضا على الشعب، قراءة المنشور الفرنسي². لذلك، و عملا بنصائح بعض المُسْتَجَوِّين، أسندت إلى جنود وحدات الجيش الفرنسي مهمة توزيع منشور الالتحاق داخل الغابات و الأحرش، على طول المسالك التي يسلكها جنود جيش التحرير الوطني خلال تنقلاتهم، و وضعها بكيفية تسمح لهؤلاء بأخذ المنشور و قراءته دونما خشية من رقيب³. نفس هذه الاستجابات لفتت انتباه الفرنسيين إلى « التزييف » الذي يكون مضمون المنشور الفرنسي عُرضة له من طرف المسؤولين في جيش التحرير الوطني، مستغلين في ذلك أمية الجنود. و لمضادة مثل هذا العمل، كان الاقتراح هو قيام وحدات الجيش الفرنسي العاملة في الميدان بشرح مضمون المنشور للسكان الذين سيقومون بدورهم بشرحه إلى أقربائهم المنخرطين في الثورة، فلا يستطيع بعد ذلك مسؤولو جيش التحرير قول ما يخالف هذا الشرح⁴.

ولكن، ما هي الحصيلة العددية لحمالات الالتحاق هذه ؟ هنا أيضا نجد أنفسنا أمام نفس الصعوبات التي اعترضتنا في محاولتنا لتحديد عدد فرق و عناصر الدفاع الذاتي و تحديد عدد مسؤولي السكان الذين تم تكوينهم في مراكز تكوين مسؤولي السكان. فالوثائق التي وقفنا عليها و المتضمنة لهذه « الإحصائيات»، أو بالأحرى "الأرقام"، لا يوجد فيها ما يدل على رسميتها، فهي غالبا مجرد مسودات، غير ممضاة و غير مختومة. أولى هذه الأرقام نجدها تدرج جيوب المقاومة المسلحة المناوئة للثورة في عداد الملتحقين - و هو أمر يخالف الدقة- و تقدم رقم الـ 4.811 ملتحق بالنسبة لسنة 1957، الذين يتوزعون كالتالي : 3000 منخرط مع بن لويس؛ 700 منخرط مع الشريف بن السعيد؛ و 300 منخرط في "قوم بوعلام"، و 150 منخرط مع كوبيس. يضاف إليهم الملتحقون بشكل فردي و عددهم 661 ملتحق من حَمَلَة منشور الإذن بالمرور (Laissez-passer). أما بالنسبة لحملة الالتحاق، فقد قدرت حصيلتها ما بين العاشر أبريل إلى الخامس عشر نوفمبر 1957 بـ 463 ملتحق⁵. مصادر أخرى تشير إلى أنه، بعد ثلاثة أشهر من انطلاق الحملة، أي بحلول جويلية 1957، تم تسجيل 300 عملية التحاق و استرجاع مائتي قطعة سلاح⁶.

الملحق رقم : 90 يقدم لنا حصيلة شهرية للفترة ما بين أكتوبر 1957 و جانفي 1959، و هي حصيلة يصعب تحليلها أو التعليق عليها لعدم توفرنا على المعطيات اللازمة لذلك. على أن ما يلفت الانتباه في هذا الجدول هو الحصيلة الشهرية لعدد « الأسرى ؟ » المرفقة بهذا الجدول: فإلى جانب الإجمام الذي يثيره مدلول

¹ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Compagne de ralliement- Tracts " Sauf Conduits", n° 963/CAC/PY, Constantine, 12 avril 1957, p.2.

² - أنظر الملحق رقم : 12، ص. 3.

³ - SHAT, 1H 2408, Note de service : Diffusion de tracts destinés aux rebelles.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 12، ص. 3.

⁵ - SHAT, 1H 2581/d.2, Fiche à l'attention du Colonel Chef du 2^{ème} Bureau de l'E.M.A., (s. d.), p. 2.

⁶ - SHAT, 1H 1113/d.1, L'arme psychologique en 10^o Région Militaire, n° 152/RM.10/CEM, (s. d.), p. 7.

كلمة أسير - (لا ندري هل يتعلق الأمر هنا فقط بأسرى حقيقيين من مجاهدي جيش التحرير، أسروا في ساحة المعركة خلال العمليات الحربية، أم أن الأمر يتعلق أيضا بـ «موقوفين مشتبه فيهم»؟) - فإن عددهم، الذي يقارب العشرة آلاف (9.900) أسير خلال مجرد فترة ستة عشر شهرا، بمعدل يفوق الستمئة "أسير" في الشهر، ليشير أكثر من تساؤل حول دقة هذه الأرقام أولا و عن الروح القتالية التي كانت سائدة عند مقاتلي جيش التحرير الوطني ثانيا و عن مصير هذا الجيش لو طال أمد الحرب ؟

حصيلة الالتحاقيات بالجدول السابق، يمكن استكمالها بالملاحق من 1/91 إلى 4/91 بالنسبة للشهور: فيفري، مارس و أبريل من سنة 1959، و التي بلغ خلالها عدد حالات الالتحاق: 143، 235 و 385 على التوالي، أي ما مجموعه 2657 ملتحق، التحقوا ما بين الأول من أكتوبر 1957 و 30 أبريل 1959. كما تبين نفس هاته الملاحق النقاط الجغرافية التي سجلت فيها حالات الالتحاق خلال الأربعة أشهر الأولى من سنة 1959، حيث نلاحظ و بغرابة أن العدد الأكبر منها قد وقع في المثلثين: بجاية- بوسعادة- الجزائر، و تنس- تيارت- مستغانم، مع امتداد و انحصار لهذين المثلثين حسب الشهور.

بنهاية أوت 1960 بلغ إجمالي عدد الملتحقين 5.531 ملتحق، منهم 2.690 بأسلحتهم و الباقي بدون سلاح، حيث كانت سنتي 58 و 59 سنتين مشهودتين في هذا المجال، بالتحاق 1911 ملتحق و 2.307 ملتحق على التوالي¹. و هي نتيجة يمكن فهمها بكون السنتين كانتا سنتي "سلم الشجعان" و بداية المخطط الجهنمي لموريس شال. و يبدو أن هذه النتيجة الإجمالية كانت مرشحة للارتفاع لولا وجود عدد من الصعوبات الموضوعية، من أهمها :

أولا الوضع العام داخل معسكر الثوار : فقد أكدت المعلومات المستقاة من الملتحقين بأنه: « إذا كان قادة المتمردين لا يزالون في الغالب في قبضة جبهة التحرير، فإن تابعيهم من الضباط الصغار و الجنود يبدون تدمرا دائما و لا يتطلعون في حالات عدة إلا إلى مغادرة صفوف الخارجين عن القانون، لا يمنعهم من ذلك إلا شيئين اثنين هما: الأول، المراقبة الصارمة التي يمارسها هؤلاء القادة عليهم، فقد عمد هؤلاء القادة إلى زرع عناصر وقيّة لهم ضمن مختلف الأفواج و الوحدات، تقوم بالجوسسة لصالحهم و تعهد مناخ من الشك الدائم (la méfiance) . و الثاني هو الخوف من انتقام قوات حفظ النظام منهم. فهناك دعاية نشطة عند المتمردين تعمل على غرس القناعة بأنه لا أمل في الحصول على عفو قوات حفظ النظام، و أن كل من التحق أو أسر فمآله الموت باستمرار »². يضاف إلى ذلك، اتخاذ قيادة جيش التحرير لجملة من الإجراءات لمواجهة هذه الحملة و الحفاظ على "عدم نفاذية" (impermeabilité) جيش التحرير للدعاية الفرنسية، من ذلك حضرها على الجنود الاستماع إلى دعاية العدو و قراءة مناشيره. مما جعل هؤلاء في جهل تام بهذه الحملة و بشروط الالتحاق و بكيفياته. و الأدهى من ذلك كله هو ما سجل على الضباط الكبار بجيش

¹ - أنظر الملحق رقم : 92. كما نشير هنا أيضا إلى أن الباحث شارل روبرت أجرون قدم رقما إجماليا آخر أكثر ارتفاعا لعدد الملتحقين بالجيش الفرنسي، مع أو بدون سلاح، يقدر بـ 6.105 ملتحق. أنظر :

Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », p. 222.
² - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Directive au sujet de l'exploitation des ralliements, n° 2688/ C.A.C./PY, 12 septembre 1957.

التحرير- و هذا من خلال استجوابات الملتحقين- من استهانتهم و عدم اكتراثهم المطلق بالحملة، و كأنهم لن يكونون يوما « مطالبين بتقديم حساباتهم إلى فرنسا »، عدا عن أنهم قد أخذوا كامل ترتيباتهم على ضوء ذلك¹.

ثانيا سلوك جنود الجيش الفرنسي أثناء المعركة : فقد استخلص من استجوابات الملتحقين، أن الخوف من القتل كثيرا ما حال دون استسلامهم و التحاقهم، « فالجنود الفرنسيون الشباب لهم إصبع خفيفة على الزناد »²، و هو ما جعل جنود جيش التحرير يفضلون الاستماتة في المقاومة على الالتحاق، فيكون رد الجيش الفرنسي هو التدخل بكل قوته للقضاء عليهم. و للخروج من هذه الدائرة المغلقة، حاول الجيش الفرنسي، كل ما أمكنه ذلك خلال الاشتباكات، إعلان « وقف حذر لإطلاق النار » يستغل في توجيه نداءات للالتحاق عبر مكبرات الصوت لمقاتلي جيش التحرير و إظهارهم بمنشور "الإذن بالمرور"³.

ثالثا عدم تعاون السكان : فالسكان لا يشجعون على الالتحاق و لا يتمنونه لأنهم ببساطة هم أول ضحاياهم. فأغلبهم، إن لم نقل كلهم، قد دفع الاشتراكات و أوى و أطعم المجاهدين و نقل الأخبار للثورة، لذلك كلما وقع حادث التحاق و ذاع خبره بفعل الإشاعة، إلا و استولت على السكان حالة ذعر عامة لما يترتب عن ذلك عادة من سلسلة طويلة من التوقيفات، هم أول ضحاياها⁴.

بعد هذا، بقي لنا أن نتساءل عن الحقيقة الفعلية لكل هذه الالتحاكات ؟ و إلى أي مدى يمكن اعتبارها نجاحات مسجلة ضد الثورة ؟ فبعض الشواهد المسجلة هنا و هناك تكاد تفيد شيئا آخر إن لم نقل العكس. فخلال سنة 1959، و التي هي سنة مشهودة في ارتفاع عدد الالتحاكات بين صفوف الثوار نحو الجيش الفرنسي، سجل تصاعد في عدد الفارين بأسلحتهم بين الجزائريين العاملين في القوات الفرنسية، النظامية و الإضافية (les supplétifs) نحو الثورة، و بالأخص بين المنخرطين في فرق الحركة، كما تشهد بذلك إحصائيات الثلاثي الثالث لهذه السنة : فهناك 85 فار و 64 سلاح مفقود في شهر جويلية؛ و هناك 114 فار و 97 سلاح مفقود في شهر أوت؛ و هناك 119 فار و 110 سلاح مفقود في سبتمبر من نفس السنة⁵. مما يجعلنا نتساءل إذا لم نكن أمام شبه حركة معاكسة لحملة الالتحاق ؟ ما يؤكد ذلك هو أنه خلال هذه الفترة بالذات، تم تسجيل و اكتشاف العديد من عمليات " التوغل و الاختراق التخريبي " (subversion) و سرقة الاسلحة و الفرار الجماعي بوحدات الحركة (ثمانية في أوت و عشرة في سبتمبر)، ثبت في جميعها تورط ملتحقين سابقين، مما لا يدع مجالاً للشك في أن الثورة قد لعبت ورقة "الملتحق المزيف" (les faux rallies)

¹ - SHAT, 1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, p. 2.

² - SHAT, 1H 2581/d.1, Fiche à l'attention du Chef de Bataillon COGNIET, 8 décembre 1958.

³ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Reprise de la Campagne Ralliement, (sans référence), (après janvier 1959), p. 3.

⁴ - SHAT, 1H 2581/d.1, Fiche à l'attention du Chef de Bataillon COGNIET, 8 décembre 1958.

⁵ - SHAT, 1H 1113/d. ?, Action subversive sur le personnel F.S.N.A. des Forces de l'Ordre, 2^{em} Bureau, Section " O. I. ", (s. d. 1959 ?).

لاختراق قوات الحركة و الجيش الفرنسي، بقصد إحداث عمليات التحاق جماعية بها، و إن كنا نجهد تماما حجم و أبعاد ذلك ¹.

هذا و نشير إلى أن حالات الالتحاق المسجلة من الثورة في اتجاه الجيش الفرنسي كانت في أغلبها حالات فردية، أي قلما كانت جماعية ². و إذا بحثنا في أسبابها و بواعثها سنجد كل الأسباب و الدوافع ما عدا الكفر بالثورة أو الاقتناع بالدعاية الفرنسية. بمعنى أن أغلب حالات الالتحاق التي وقعت لم تكن ثمارا خالصة لحرب نفسية تم تطبيقها بحنكة و دهاء، ففي الغالب لا نجد لها سببا آخر غير خلافات وقعت داخل معسكر الثورة و دفعت بالعناصر «الملتحقه» إلى اللوذ بالجيش الفرنسي صونا لحياتها لا أكثر. و ذلك ما وقع فعلا للملتحقين من أمثال كرابادو علي ³ و عاجل عجول ⁴ و الشريف بن السعيد ⁵ و على حنبلي و غيرهم ...، بدليل أن مما يؤثر من سيرة هذا الأخير، أي على حنبلي، -الذي كان التحاقه أكبر عملية التحاق جماعية بالجيش الفرنسي بعد عملية التحاق الشريف بن السعيد- هو رفضه التعاون مع الفرنسيين لاستغلال التحاقه نفسيا و دعائيا ضد الثورة من خلال تصريحات يلقبها أمام السكان. فقد كان يخاطب هؤلاء بقوله: « لا تصغوا إليّ، إنما أنا قرد، أنا خائن للثورة، و الفرنسيون يستعملونني و يسخرون بكم ». فلم يجد الفرنسيون بعد ذلك إلا قتله للتخلص منه ⁶.

بعد هذا لنا أن نتساءل عن مصير الملتحق بعد التحاقه ؟

بعد امتثال الشخص -«الثوري»- أمام إحدى الهيئات الأمنية أو العسكرية لفرنسا لإعلان التحاقه، يتم النظر في طلبه للبت فيه. و بمجرد "قبوله"، يتم الشروع في عمليتين : الأولى هي الاستفادة من الملتحق و استغلاله على المستوى المعلوماتي و العملياتي و النفسي، و الثانية تحديد مصيره النهائي. فبالنسبة للعملية الأولى ⁷، فمن ضمن الشروط المبدئية، التي يتوقف عليها قبول التحاق الملتحق هو تسليمه لسلحه و ذخيرته و تقديمه لمعلومات يؤكد صحتها الاستغلال. لذلك فإن أول ما يتعرض له هذا الملتحق هو استجواب طويل، يتوجب عليه فيه الإجابة على قائمة طويلة من الأسئلة المتعددة الجوانب، مبديا في ذلك كامل تعاونه في الرد عليها، بما في ذلك اشتراكه ميدانيا في عملية استغلالها، كأن يقتاد إلى أماكن بعينها لتحديد عددا من الأهداف الحيوية و الاستراتيجية للثوار: كالمراكز و المخابئ و المصحات و الوثائق و غيرها... مثلما حدث ذلك مع الملتحق كرابادو علي في ديسمبر 1955 ⁸. في عملية الاستجواب هذه،

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - SHAT, 1H 2581, Fiche à l'attention du Colonel Chef du 5^{ème} Bureau de la X^{ème} R. M., 26 février 1959.

³ - حول ظروف التحاق كرابادو علي أنظر : Mohammed Larbi MADACI, Les tamiseurs du sable : Aurès- Nememcha : 1954- 1959, Alger, Editions ANEP, 2001, p. 133.

Mohammed Larbi MADACI, p. 199- 201.

⁴ - حول ظروف التحاق عجول عجول أنظر :

Azzedine (Cdt.), Les Fellagas, p. 111- 117.

⁵ - حول ظروف التحاق الشريف بن السعيد، أنظر :

⁶ - Achour Cheurfi, Dictionnaire de la révolution algérienne 1954- 1962, p. 180.

⁷ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Directive au sujet de l'exploitation des ralliements, n° 2688/C.A.C/PY, 12 septembre 1957.

⁸ - SHAT, 1H 1113/d.4, Note d'orientation n° 2 : Directives et documents pour les bureaux psychologiques pour la période du 20 janvier au 29 février 1956, Alger, 21 janvier 1956, p. 8- 9.

تحتوي المعلومات الخاصة بالحرب النفسية بمكانة خاصة. الملحق رقم 11 يقدم لنا عينة عن طبيعة الأسئلة التي كان يتم طرحها على الملتحقين. بينما يمثل الملحق 89 عينة خاصة من الأسئلة، تتوجه إلى فئة معينة من الملتحقين كالذين يفدون من الثورة خارج الحدود، بكل من تونس و المغرب. أما الملحق رقم 12 فهو عينة على الأسئلة و الإجابات التي يمكن الحصول عليها من هؤلاء¹.

عملية استغلال الالتحاق نفسيا و دعائيا كانت تتم غالبا بواسطة مناشير تنجز مركزيا، أو حتى محليا، و بالأخص إذا كانت هناك معلومات تقتضي الأهمية المسارعة في استغلالها لضرب معنويات الثوار. مضمون هذه المناشير يتمثل غالبا في صورة شمسية للملتحق أو للملتحقين مع ذكر تاريخ و مكان التحاقهم. كما يتضمن أيضا نصا هو تصريح لـ « الملتحق » و هو أيضا بمثابة رسالة موجهة منه إلى رفقاته في الجبل. في هذا التصريح عادة ما يشير الملتحق إلى اسمه و رتبته و نوع السلاح الذي كان يستعمله في الجبل - كعلامة يتعرف بها عليه رفقاؤه-، كما يشير أيضا إلى « العفو والأمان » و المعاملة الحسنة التي لقيهما من الجنود الفرنسيين « اللي دارو فيه دائما الخير»، و كيف أنهم « فتحوا له عينيه » فارتد بصيرا، فاكتشف بأنه كان على « طريق الشر»، و كيف أنه -تكفيرا عن ذنبه- قرر الانخراط إلى جانب الجيش الفرنسي لقتال « المجرمين » اللذين « ايسلك فيهم الخارج »، و الذين غرروا به و غرروا برفقاته، مغتتما الفرصة لتوجيه الدعوة لهم للحدو حدوه و الانضمام إلى « القاملية الفرنسية الكبيرة »². نفس المنشور كان يتم تكبيره و استعماله كملصق يلصق بمختلف اللوحات الإعلامية، بالأسواق و أماكن التجمع العامة. كما كان يتم إنجاز تسجيلات صوتية للملتحقين، لبثها عبر مكبرات الصوت في الأسواق و أماكن الاكتظاظ. إلى جانب ذلك، كان يتم استغلال الملتحقين في خرجات وجولات دعائية ليراه السكان و يسمعو "شهادته" ضد الثورة، مثلما حدث مع الملتحقين كؤارة و مكناش³.

إظهار الملتحقين أمام الجمهور كان الغرض منه تحقيق هدف مزدوج: الأول هو الدعاية ضد الثورة باستعمال واحد من عناصرها، و الثاني هو الرد على دعايتها القائلة بأن الجيش الفرنسي لا يحتفظ بالأسرى و يقتل الملتحقين⁴. فالحضور الجسدي للملتحق سيشهد بالمعاملة الحسنة التي حظي بها هذا الأخير. و هذه الشهادة "المربية" يتم تعزيزها بشهادة "صوتية" من تصريحاته عبر المكروفون و مكبر الصوت، تم يترك بعد ذلك للإشاعة المحلية كيما تعمل عملها بين السكان⁵. فعندما يرى هؤلاء الملتحق، الذي هو غالبا واحد منهم، فإن من شأن ذلك أن يدفعهم إلى تشجيع أقربائهم العاملين في الثورة على العودة و طلب الالتحاق. و لكن الأمر لم يكن دائما بهذه السهولة لأنه يتوقف أساسا على شخصية الملتحق و مدى إجادته للدور الذي أسند له. و هنا كثيرا ما سجل على الملتحقين الذين يتم إظهارهم للسكان ضعف في "الإشعاع و النفوذ

¹ - أنظر الملحق رقم: 11 و 12 و 89.

² - كعينة على استغلال الالتحاق بالمنشور، أنظر الملاحق رقم: 83، 84، 85، 86، و 87.

³ - SHAT, 1H 2553/d.1, Bulletin annuel des activités des Forces de l'Ordre dans le Corps d'Armée de Constantine, année 1960.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 88.

⁵ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Directive au sujet de l'exploitation des ralliements, n° 2688/C.A.C/PY, 12 septembre 1957.

السياسي فهم لا يستعملون غالبا إلا كمرتزقة " ¹ . لذلك، عُمد غالبا، قبل عرض الملحق أمام السكان إلى "تهيئته" نفسيا من خلال إيداعه مدة ثمانية أيام لدى المكتب الخامس الذي يتولى اعداده نفسيا (La remise en condition) للدخول في "الحياة العامة". هذه التهيئة و هذا الاعداد يتضمنان ما يلي: إعداد نداءات للالتحاق تلقى في الملاء و تسجل على أشرطة مغنطيسية لبثها عبر مكبرات الصوت في الأسواق و أماكن التجمعات العامة و حتى عبر الراديو؛ كتابة رسائل إلى الرفاق بالجبل لحضهم على وقف المقاومة و الالتحاق؛ تحديد المناطق التي يمكن استهدافها بعمليات إلقاء و توزيع منشور "الإذن بالمرور"؛ ثم أخيرا رسم خريطة نفسية للمناطق التي يعرفها الملحق مثلما يرى وضعيتها هو ² .

الملحق رقم 93 يقدم لنا ست حالات للمتحقين تمت استعادتهم و أصبح يتم الاستعانة بهم في تنشيط حصص دعائية على السكان، مما يعني أن النشاط النفسي على المتحقين لم يعد كلية حظه من النجاح ³ .

العملية الثانية هي عملية تحديد المصير النهائي للملحق، أي إيجاد مكان له في "الحياة المدنية". و هي عملية كانت تعترضها عقبتان: الأولى و تتمثل في المتابعة القضائية المفتوحة ضد الشخص؛ و الثانية تتمثل في ما يمكن أن يحصل عليه الملحق من "امتيازات مادية". فبالنسبة للعقبة الأولى فإن الإشكال يتمثل في كيفية التوفيق بين ضمانات "الأمان" المقدمة للملحق نظير التحاقه و بين أوامر المتابعة القضائية المفتوحة ضده و التي قد تتضمن الملاحقة ضد «جرائم» سابقة تدخل تحت طائلة القانون العام، حيث يكون في العفو عنها تعطيلا لـ «العدالة»، و هو ما من شأنه أن يثير حفيظة السكان الذين بقوا «أوفياء» لفرنسا - بما في ذلك السكان الذين لاذوا بموقف الانتظار (les attentistes) - الذين سيرون فيه ضعفا و قلة حزم منها ⁴ . أما بالنسبة للعقبة الثانية، فالإشكال هو نفسه تقريبا: إيجاد مكان للملحق ضمن "الحياة المدنية" يمر حتما عبر توفير المسكن له و لأسرته و منحه مورد رزق قار، يُرغبه في الاستقرار و يغرى غيره من الثوار على الحدو حذوه. و هي كلها امتيازات مادية قد تساوي أو تزيد على ما عند السكان الذين بقوا «أوفياء» لفرنسا، مما قد يرى فيها هؤلاء سلوكا يتعارض مع العدل. و من ثمة كان السؤال المطروح هو: هل يجب على فرنسا أن تنتهج "سياسة التحاق" بأي ثمن، حتى لو اقتضى الأمر أن تتولى هي دفع فاتورتها؟ ⁵ و يبدو ان الجواب كان بنعم، و بالأخص بالنسبة للمتابعات القضائية، فقد تقرر تعليقها على الأقل إلى حين استتباب الوضع ⁶ .

¹ - SHAT, 1H 2409/d.1, Rapport d'un Officier Itinérant du 5° Bureau de l'Etat-Major de la 10° Région Militaire au sujet de la formation d'une "équipe psychologique" de secteur, Annexe à la lettre du Général Salan à messieurs les Généraux Cdt des Corps d'Armées d'Algérie, n° 0999/RM.10/5-OPS-S, 1^{er} mai 1958.

² - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Reprise de la Campagne Ralliement (sans référence), (après janvier 1959) p. 4.

³ - أنظر الملحق رقم : 93.

⁴ - SHAT, 1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, p. 3 et 6.

⁵ - المصدر السابق، ص. 3.

⁶ - SHAT, 1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, p. 9 ; aussi, SHAT, 1H 2581/d.1, Lettre du Général d'Armée Raoul SALAN à Monsieur le Ministre de la Défense National..., n° 311/C.S.I.A./CAB/GJ, Alger, le 1^{er} avril 1958.

بالتحاق الملتحق، يتحدد مصيره بواحد من الاحتمالين التاليين :

1- التجنيد المباشر بفرق الحركة بالنسبة للملتحقين الذين لا ينطوي التحاقهم على أي شبهة: كالذين التحقوا بعد قتلهم لمؤسسيهم و تقديمهم أسلحة و معلومات هامة أكد صحتها الاستغلال. كما حدث مثلا مع الملتحق «العقيد» الشريف بن السعيد، الذي قتل قائد الولاية السادسة العقيد على ملاح ثم التحق بالجيش الفرنسي¹. ما عدا ذلك، فالملتحق هو على الأقل في مرحلة أولى "مشتبه فيه"، لأنه قد يكون "ملتحقا مزيفا" تسعى الثورة لزرعه داخل فرق الحركة لإحداث عمليات التحاق جماعية بها. و هنا يفرض الحذر عدم الإسراع في تجنيده، و لا إرساله إلى دواره مما قد يعرضه لخطر الانتقام من الثورة و من السكان، و الأمثل في كل ذلك هو وضعه ضمن "مجموعة مؤطرة" لتلقي معالجة أولية تخلصه من "التسميم" (désintoxication) الذي يكون قد تلقاه خلال فترة انتسابه للثورة².

2- توجيهه مباشرة إلى الحياة المدنية بتوفير منصب عمل قار له بإحدى الورشات الزراعية أو الصناعية أو الاستعانة به كمخبر أو واش على اتصال مع السكان. و هنا قد يقتضي الأمر إرساله إلى فرنسا للعمل بها أو منحه تكوينا مهنيا معيناً بأحد المراكز³. و هذا الخيار الثاني يخص بالأساس الملتحقين الذين لا رغبة لهم في الحياة العسكرية، لأنهم لا يريدون « استبدال بذلة الفلاف ببذلة الحركي و استبدال خطر أول بخطر ثاني »⁴.

و في كل الأحوال كان يتم توفير الحماية للملتحق و لأسرته و لأملاكه و تمكينه من مساعدة مادية و اجتماعية. كما كان يتم، بكل قطاع فرعي عسكري، تشكيل "لجان استقبال" مكونة من ثلاثة أو أربعة عناصر مدنية و عسكرية، كان يتم انتقاؤهم بعناية فائقة و إشراك الجزائريين بينهم. هذه اللجان، تتمثل مهمتها، بالتنسيق مع المكتب الخامس، في الأخذ بيد الملتحق الذي يخطو خطواته الأولى في "حياته الجديدة"، و مساعدته و حسن توجيهه حتى يتسنى له الاستقرار جيدا، و الأهم من كل ذلك هو تعريفه بالإنجازات الفرنسية الجديدة من خلال تنظيم جولات إعلامية له إلى عدد من المعالم و المنشآت الاقتصادية و الاجتماعية، بما يساعد في إعادة تربيته (rééducation)⁵.

المبحث الرابع : النشاط النفسي على المعتقلين بمراكز الاعتقال أو « استرجاع الأسرى »

و نقصد بذلك مجموع الأنشطة النفسية و الدعائية التي كان يتم تطبيقها على السجناء من الأسرى والمعتقلين بمراكز الاعتقال (Camps d'Internement Militaires) و مراكز الفرز و العبور (Centres de Triage et de Transite) بهدف استرجاعهم و كسبهم لصالح « القضية » الفرنسية بالجزائر لضرب الثورة بهم.

¹ - SHAT, 1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, p.

² - SHAT, 1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, p. 9 et 10.

³ - SHAT, 1H 2581/d.2, Lettre de Monsieur le Ministre de l'Algérie à Monsieur le Général d'Armée, Commandant la 10^e Région Militaire, objet : Rebelles ralliés, n° 6021/CM, Alger, 5 octobre 1957.

⁴ - SHAT, 1H 2581/d.1, Lettre du Monsieur le Délégué Général du gouvernement en Algérie à Monsieur les Préfets des départements d'Algérie, (projet, sans référence, s. d.)

⁵ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Reprise de la Campagne Ralliement, (sans référence et sans date), p. 4.

في البداية، كانت الغاية الأولى من هذه المعتقلات هي جعلها دليلاً قائماً أمام الثوار يشهد بأن فرنسا لا تقتل الأسرى بعد اعتقالهم و إنما تحتجزهم في معتقلات. فقد تبث من خلال العديد من الاستجابات مع الأسرى من جنود جيش التحرير الوطني أن استماتتهم في القتال كان سببها دعاية الثورة التي « تُهَوَّل » من المصير الذي ينتظر هؤلاء في حال وقوعهم في الأسر، و الذي لن يكون شيئاً آخر غير القتل، مما كان يدفع بهم إلى الاستماتة في القتال، مكبلين قوات الجيش الفرنسي خسائر بالغة في الأرواح. لذلك كان القصد من إنشاء هذه المعتقلات هو الرد على دعاية الثورة و كسر الإرادة القتالية للثوار للتخفيف من الخسائر البشرية للجيش الفرنسي¹. أما الغاية الثانية من إنشاء هذه المعتقلات فهي الحرص على « استعادة و كسب أكبر عدد من المعتقلين، لتحويلهم، بعد إرجاعهم إلى الحرية، لأنصار راسخي القناعة لصالح القضية الفرنسية بالجزائر. و بعبارة أخرى، فإن الأمر يتعلق هنا بإعادة دمج، ضمن الجماعة الفرنسية- المسلمة، مواطنين فرنسيين وواعين بعدم جدوى و مآل قضية المتمردين؛ و واعين أيضاً بالطابع الإجرامي للحركة التمردية؛ و واعين أيضاً بعزم و إرادة فرنسا بالبقاء و الدوام في الجزائر و تطبيق الإصلاحات اللازمة التي ستمنح هذه الجماعة الفرنسية-الجزائرية السلم و السعادة و الازدهار »². و لكن يجب أولاً و قبل كل شيء معالجة هؤلاء المعتقلين، فالثوري الأسير هو، من وجهة نظر الحرب النفسية، شخص « مُسَمِّم الفكر (intoxiqué) » يجب إخضاعه إلى معالجة خاصة، تغسل دماغه و تخلصه من التسميم (désintoxication)، و هي المهمة المسندة لهذه المعتقلات.

منذ البداية كان يُعتمد إلى فرز المعتقلين و تصنيفهم ضمن واحدة من الفئات الثلاث التالية :

- الفئة الأولى و هي الفئة " أ " و هي تخص فئة "الصُّلبُ العُنْداء" (Les dures et les irréductibles) من المعتقدين الراسخي العقيدة و أعضاء الخلايا السياسية و الإدارية النشطة و محرّكو الجموع. الذين لا أمل في استعادتهم.
- الفئة الثانية و هي الفئة "ب" و تتعلق بالعناصر " الرطبة و الرخوة" من المتشككين الذين يمكن التأثير عليهم لضعف قناعتهم.
- الفئة الثالثة و هي الفئة "ج" و تشمل كل المعتقلين من جمهور المشتبه فيهم الذين يمكن استعادتهم لأنهم غالباً إنما « تورطوا في الثورة بفعل الإكراه ». وهذه الفئة هي التي يمكنها الاستفادة من الإفراج.

هذا الفرز كان يتم إجراؤه بناء على ملاحظات المختصين بمراكز الفرز و العبور، المدونة ببطاقات المراقبة المرفقة بكل معتقل. و هو فرز ليس نهائياً، فالملاحظات التالية على سلوك المعتقل بالمركز من شأنها أن تجعله يرتقي أو يتراجع في سلم هذا التصنيف.

¹ - SHAT, 1H 2581/d.1, Note de service : Camps d'Internés Militaires, n° 250/RM.10/6/S.C., Alger, 19 mars 58.

² - C.A.N., G.P.R.A., 17. 15. 5, La guerre psychologique dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, par le Général GAUSSAULT, chef du 5^e Bureau de la X^e Région Militaire (article paru dans la revue *L'Atlantique Nord*, Paris, juin 1958), 13 p.

بعد تصنيف المعتقلين بين الفئات الثلاثة أعلاه، كان يتم توزيعهم، ضمن كل فئة، على فصائل، يوجد على رأس كل منها مسؤول ثقة يتولى تطبيق النشاط النفسي على من بها من المعتقلين. كل فصيلة تتكون من أربعة أفواج، و الفوج من اثني عشر معتقلا. كما كان يتم إدراج المعتقلين، حسب استعداداتهم الخاصة، ضمن فرق متعددة الأنشطة لتنشيط الحياة بالمعتقل و تسهيل عملية دمج المعتقلين مستقبلا في الحياة العامة، و ذلك من خلال تشكيل فرق للرياضة الجماعية، و أخرى لمختلف الأعمال اليدوية كالبناء و البستنة، و أخرى حرفية للخياطة و النجارة و صناعة الجلود، و أخرى ترفيهية للتمثيل و الرقص و الحكايات الشعبية، و أخرى ثقافية لتقديم دراسات سياسية و تحرير بيانات عامة. أما بالنسبة للظروف الحياتية بالمعتقل فقد كان يراعى فيها أن تكون « إنسانية ما أمكن » في كل ما يتعلق بالإيواء و الغذاء و اللباس و النوم و الرعاية الطبية، بما في ذلك الترفيه و الأنشطة الرياضية. أما بالنسبة للممارسة الدينية فكان يتم التسامح فيها دون تشجيعها.

النشاط النفسي المطبق على المعتقلين هو نشاط يستلهم أسسه من المبادئ الخاصة بعلم النفس الأفراد و الجماعات، بعد تكييف هذه المبادئ مع مقتضيات النفسية الجزائرية. أما بالنسبة للفترات اللازمة لاستعادة شخص "مُسمم" فقد حددتها التجارب السوفياتية و الصينية و الكورية و الفيتنامية بستة أشهر للجندي العادي و بثمانية عشر شهرا لضباط الصف (Sous-officiers) و بأكثر من ذلك لمن عداهم من الضباط. على أن هناك عوامل أخرى تتحكم في تحديد مدة هاته الفترات، من ذلك المستوى التربوي و الثقافي للشخص "المسمم"، ثم عمق قناعته السياسية، و أخيرا قيمة النشاط النفسي المطبق عليه.

النشاط النفسي بالمعتقل هو نشاط دائم و مستمر، من الشروق إلى المغرب. يشرف عليه مختصون، يساعدهم في تطبيقه منشطون، هم بدورهم يعتمدون في أدائه على رجال ثقافت. كما كانت تتم مراقبته و توجيهه و تصحيحه بناء على الملاحظات الدقيقة و المتأنية على سلوك المعتقلين. هذا النشاط، كان يستعمل كل الوسائل المادية للدعاية، كمكبرات الصوت و السينما و الجرائد و المجلات و اللوحات الإعلامية و الشعارات و اللافتات و الملصقات و المناشير. و كان يتضمن فيما يتضمن إلقاء محاضرات حسب الفئات و تنشيط نقاشات موجهة حسب الفصائل و تنشيط نقاشات حرة داخل الأفواج، التي على إثرها يقدم المعتقلون قائمة بمختلف التساؤلات حول النقاط التي تبدوا لهم مبهمة أو غامضة، فيتلقون شروحا عنها و تكون الإجابة عنها مناسبة لضبط المحور المتناول في شكله النهائي.

و لأن الحياة في المعتقل هي حياة تنشد « إعادة دمج فرد متمرد في المجتمع » و جب إذن أن تكون حياة جماعية و منظمة. لذا جرى دعوة المعتقلين إلى وضع "قانون" يحظى بإجماعهم جميعا، يحفظ الانضباط داخل المعتقل و يبين الواجبات و الحقوق و يُحدد المخالفات و العقوبة عليها. هذا القانون يشمل : تنظيم مواقيت العمل و النوم؛ و تطبيق إجراءات النظافة و الصحة العامة؛ و الالتزام بتأدية العمل المسند؛ و التخلق بالأمانة و الشرف (l'honnêteté) تجاه الإدارة و المعتقلين الآخرين؛ و ممارسة الرياضات الجماعية و الدراسة... إلى غير ذلك من الأمور التي كان يعتبر الإخلال بواحدة منها « مخالفة إجرامية ضد الجماعة ككل »¹.

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 6.

النشاط النفسي على المعتقلين كان يتم تطبيقه على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى، و هي تنقسم إلى زمنين :

ففي زمن أول، كان يجري العمل على تحقيق العزلة المعنوية للشخص المعتقل و فصله و قطعه عن الوسط الذي كان يحي فيه سابقا. و في هذا الصدد، جرى قطع كل صلة للمعتقلين بالخارج، و إلغاء الرتب العسكرية و الإدارية التي كانت لهم في الثورة، عملا بمبدأ "التسوية أرضا بالأفراد" (nivellement des individus) فليس هناك لا مسؤول و لا تابع. كما جرى فصل العناصر المعتبرة "صلبة و عنيدة" كالحفاظين السياسيين و تقنيو الدعاية الثورية عن باقي المعتقلين، بما في ذلك المثقفين و البرجوازيين، الذين قد يكون في إشعاعهم و نفوذهم على الآخرين ما من شأنه عرقلة النشاط النفسي على المعتقلين. و في هذا المقام و ضمن هذا المسعى، جرى تصميم المرافق المادية للحياة بالمعتقل بكيفية تمنع كل عودة لأي شكل من أشكال الحياة الخلوية و السرية (la cloisonnement)، المشجعة على بعث الأشكال السابقة للتنظيم السري للثورة أو الحياة ضمن مجموعات منغلقة على نفسها.

بعدها كان يتم ضرب المرجعية الثورية في ذهن المعتقلين، في رموزها و رجالاتها و أخلاقياتها الفكرية، السياسية و الإيديولوجية، من خلال : وصف قادة الثورة بالعجز و إضمارهم لنيات سياسية غير معلنة و استعمالهم لطرق و وسائل إجرامية لتحقيقها؛ و وصف الثورة بالقتل و التخريب و انتهاك الحرمات. كل ذلك، بما يجلب المعتقلين إلى تبني "القناعة" التالية : « لقد غرر بنا قادتنا. إنهم قادة أنانيون، جبناء و مصلحيون و مأجورون، يعمل لحساب تونس أو مدفوعون لتحقيق أطماعهم الشخصية »¹.

بالموازاة مع ذلك، و من خلال حصص تشبه حصص التربية المدنية، كان يتم تعريف المعتقلين بفرنسا: من خلال تعريفهم بمؤسساتها السياسية و الإدارية؛ و بنوايا حكومتها في الجزائر، من خلال تناول مختلف الإصلاحات الآتية و المستقبلية. بعدها و في زمن ثان، كان يتم العمل على جعل المعتقلين في حالة تلقي و استقبال من خلال إحداث صدمة نفسية عميقة لديهم، تنبع من إدراك و وعي هؤلاء « بفضاعة الجرائم التي ارتكبوها ضد السكان » و الخوف من العقوبة، التي لن تكون شيئا آخر غير الإعدام أو السجن المؤبد. تحقيق ذلك كان يتم من خلال دراسة « الإرهاب » دراسة معمقة و تناوله باعتباره جريمة ضد السكان، أي الشعب الجزائري، و ضد القرآن و ضد الشعب الفرنسي. و لذا، فإن كل معتقل هو، إنطلاقا من هذا المنظور، « إما متواطئ في جريمة أو جبانا لعدم منع وقوعها. لقد تجرأ على تعاليم القرآن التي تمنع القتل (دون المبالغة في الاحتجاج بذلك). و لذا فهو يستحق الموت و الخلود في النار »².

المرحلة الثانية

و هي مرحلة خلق ضمير جمعي لدى المعتقلين بتجديد التشريب المعتقدي (Ré endoctrinement)، و تنقسم بدورها إلى ثلاثة أزمنة :

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 7.

² - نفس المصدر السابق، ص. 8.

الزمن الأول و يخصص لشرح أسباب محاربة فرنسا « للمتمردين »، و التي هي ليست شيئا آخر غير « الدفاع عن الحريات الشخصية و العامة و حمايتها و حماية السكان من تسلط القاهرة و موسكو و بورقيبة و إقرار السلم و الأمن و مواصلة تجسيد الإصلاحات الموعودة، بما يجعل الجزائر بلدا عصريا و غنيا... »¹.

الزمن الثاني و يخصص لشرح الوسائل و الأساليب التي اعتمدها فرنسا في محاربة « المتمردين ». و هنا كان يتم التركيز على أن فرنسا لا تستهدف بحال السكان المدنيين و إنما تستهدف فقط « المتمردين، الذين هم في حقيقتهم الأعداء الحقيقيون للسكان ». و أن فرنسا في حربها هذه قد أرسلت بالخيرة من أبنائها إلى الجزائر و هي تنفق الأموال المعتبرة في ذلك، كما أنها تحظى بدعم الرأي العام العالمي.

في الزمن الثالث من هذه المرحلة يُشرع في تناول الأهم، و هو الدور المنوط بالمعتقلين الاضطلاع به في هذه الحرب المعلنة ضد « التمرد و المتمردين » ، لأنه لا يمكنهم البقاء مكتوفي الأيدي و الوقوف موقف المتفرج. فهم الآن يدركون جيدا « بأن قادتهم قد غرروا بهم، و بأن هؤلاء هم مكترثون أكثر بإشباع رغباتهم و أطماعهم الشخصية المخجلة أكثر من اكتراثهم بتخفيف معاناة و بؤس الجزائريين. و هم مدركون أكثر بأن سياسة فرنسا تمثل القانون و العدل، و التقدم و الحرية. و هم واعون أكثر بأنهم كانوا، بسبب خورهم و تخاذلهم و قلة شجاعتهم، شركاء للمجرمين و اللصوص من قادة جبهة التحرير و المحافظين السياسيين و جامعو الاشتراكات. لقد كانوا في عمى، و الآن قد أنجست الغشاوة عن عيونهم و سقطت الحُجُب عن أبصارهم. لقد تصرفوا مثل الدواب، فجاهروا الله و أنبيائه بالمعصية و انتهكوا حرمة القرآن (دون المبالغة في استعمال هذه الحجة و استعمالها بحذر شديد) »².

و الآن، و قد عرفوا ذلك، فقد حان الوقت ليتفكروا في مصيرهم : هل يريدون المكوث أبدا في السجن، أم أنهم يريدون التوبة و التكفير عن أخطائهم ؟ و ما هي شروط هذه التوبة ليكتسبوا مجددا صفتهم كأناس و كمؤمنين ؟ لا شك أن الطريق المؤدية إلى ذلك هي في العمل على وقف « المجازر » و إيقاف ضماير إخوانهم بالجلب، و القتال إلى جانب الجيش الفرنسي ضد « الخارجين عن القانون ». و لأن المرء ضعيف بنفسه قوي بإخوانه فإنه يتوجب على المعتقلين أن يكونوا جماعة و منظمين.

المرحلة الثالثة : و هي مرحلة إيجاد الجماعة التي تؤثر على الفرد.

في زمن أول، و بهدف خلق أداة « للنضال و التعبير »، يتم دفع المعتقلين إلى "انتخاب" لجنة تدعى بـ "لجنة النضال من أجل الجزائر الفرنسية الجديدة"، يتم دعمها بانتخاب لجان نضال فرعية على مستوى كل جناح من أجنحة المعتقل. مهمة هذه اللجنة تتمثل في بلورة شعارات و مبادئ نضالية؛ و ضبط طرقا و وسائل لهذا النضال، كتوجيه رسائل إلى الثوار في الجبال و توجيه بيانات إلى الشعب الجزائري و الشعب الفرنسي

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 8.

² - نفس المصدر السابق.

بالمتربول و الجيش الفرنسي؛ بالإضافة إلى دراسة الإصلاحات الواجب تطبيقها و تسطير خطط عمل مستقبلية¹.

في زمن ثان، يشرع في التأثير على الفرد بواسطة الجماعة: هنا يصبح الكل مطالب بتحسين سلوكاته و مواقفه و الجهر بإيمانه و إرادته القتالية. و لذا، فإن كل متردد أو لائذ بالصمت سيعتبر من قبل الجماعة خائنا لـ "قضية الجزائر الفرنسية"، حيث يتوجب عليها أخذه بقبضة اليد و العمل على تحويله إلى صانع من صناع هذه الجزائر الفرنسية الجديدة.

الزمن الثالث من هذه المرحلة هو زمن مجازاة النخبة و تكريمها على ما حققته من تصحيح في سلوكاتها و مواقفها. و هل هناك جزاء آخر يمكن أن يتطلع إليه المعتقل أكبر من الإفراج عنه ؟ و لكن الإفراج عنه ليذهب إلى أين ؟ ليقع مرة أخرى ضحية و شريكا لـ « الخارجين عن القانون » ؟ و إذن فما معنى وجوده بالمعتقل، ألم يكن يوما شريكا لهم في « ارتكاب الجرائم » ؟ ألم يعي بعد دوره كمواطن جزائري-فرنسي صالح ؟ أليس من واجبه أن يبذل غاية وسعه لانتشال إخوانه من الخطأ و وضع حد « لمجازر المدنيين » ؟ و إذا كان الأمر بالإيجاب، فما هي الضمانات التي يقدمها دليلا على إيمانه الجديد و على إرادته الصادقة في العمل من أجل بناء جزائر فرنسية جديدة ؟ ثم لماذا وقع هو في الخطأ، و كيف اكتشف بأنه كان على طريق الخطأ ؟ و هل هو فعلا عازم على أن يكون صانعا من صناع الجزائر الفرنسية الجديدة ؟...

إنها مرحلة حاسمة من مراحل النشاط النفسي على المعتقلين، إنها مرحلة نقد الذات، التي يتوجب فيها على كل معتقل أن يراجع نفسه و أن يسائل ذاته و أن يستعرض مراحل تطوره الخاص. هذه المرحلة، كما يُقدر المختصون، من شأنها، إن أحسن تسييرها، أن تُدخل الشخص المعتقل في أزمة داخلية رهيبية، و التي بانفراجها، تتكشف النيات الصادقة و الإرادات المخلصة².

الزمن الرابع من هذه المرحلة هو زمن الإفراج عن المعتقلين : و لكن من له الحق في الإفراج عن هؤلاء المعتقلين؟ أهو إدارة المعتقل ؟ طبعا لا. فالواجب الأول لهذه الأخيرة هو حماية السكان بالإبقاء على « المجرمين و الخارجين عن القانون و الضعاف و الجبناء » داخل السجن. و إذن، فالحق يعود إلى السكان، إلى الشعب، « الضحية و المتضرر الأول من عمل هؤلاء الخارجين عن القانون»، الذي يعود إليه الحق في تقديم العفو و احتضان أبنائه الثائبين. و لكن ما هو الضمان الذي يتحصّل عليه الشعب في مقابل ذلك ؟ الضمان هنا يُقدمه أصدقاء و أسر و سكان قرى هؤلاء المعتقلين. و إذن لم يبقى إلا تحديد المعتقلين المستأهلين للإفراج : فمن يعود له الحق إذن في تقدير مدى أهلية هذا المعتقل أو ذاك للاستفادة من الإفراج و الحصول بجدارة و استحقاق على عنوان " صانع من صناع الجزائر الفرنسية الجديدة" ؟ الحق هنا يعود إلى مجموع المعتقلين بالمعتقل، فهم وحدهم الأقدر على تحديد ذلك. و إذن لم يبقى إلا ضبط قوائم المستأهلين للإفراج و تقديمها إلى إدارة المركز. أما بالنسبة للذين لم ترد أسماؤهم بالقائمة فلهم الحق في تقديم الطعون على هذا الرفيق أو ذاك، و توجيه التهمة له بالنفاق و الكذب و بعدم استحقاقه الإفراج، و أخذ مكانه بالقائمة. فالكل يمكنه إبداء رأيه

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 9.

² - نفس المصدر السابق، ص. 10.

والجماعة هي الحكم. و لنا أن نتصور هنا ذلك الموقف الذي يجعل رفقاء الأمس في النضال، يهتمون بعضهم البعض بشتى الأعمال، كل منهم يطلب السلامة لنفسه دون الآخر، أملا في أخذ مكانه بالقائمة. و في لقاء نهائي يتم تسليم المفرج عنهم، من "صناع الجزائر الفرنسية الجديدة" إلى الشعب، الذي سيستقبلهم في أجواء احتفالية بهيجة¹.

أجواء الاحتفال كان يتم تنظيمها غالبا في شكل مهرجان يصعق النفوس، مهرجان يأخذ شكل سهرة مخيم جبلية، تبعث أجواءها على الارتخاء النفسي و الانطلاق الروحي. فهناك خطب تلقى على الحشود لعرض و تناول بعض المحاور؛ و هناك مناقشات يتم تنشيطها داخل المجموعات للتمكين لبعض المفاهيم و الشعارات من التجذُر في الأفهام؛ كما تُحال فيها الكلمة أيضا للمفرج عنهم، لإبداء قناعتهم الجديدة، و الإعتراف بـ « جرائمهم السابقة » و اقتراح أساليب و وسائل أخرى "للنضال". الفرصة هي أيضا مناسبة لمعاينة المخالفين للنظام و الانضباط و انتخاب الأعضاء الجدد للجنة "النضال من أجل الجزائر الفرنسية الجديدة". في هذا الاحتفال كانت تتم المداولة بين عروض التشريب المعتقدي الخالص و العروض الترفيهية كالغناء و الرقص و المسرح الموجه، و العروض التربوية حول الصحة و النظافة العامة. أما المثقفون فيتولون تحرير مقالات و بيانات تتم قراءتها علنا و المصادقة عليها².

تلك هي الخطوط العريضة للنشاط النفسي الذي كان يتم تطبيقه على المعتقلين. و يبقى السؤال قائما حول نصيب هذا النشاط من النجاح؟ علما أنه بحلول مارس من سنة 1958 كانت هناك عشرة مراكز اعتقال، تضم مائتي و سبعة آلاف (7200) معتقل من المحكوم عليهم بالإقامة الجبرية. هذه المراكز تخضع لإشراف المالي و الإداري لوزارة الجزائر، بينما يتولى الجيش تأمين حمايتها و تقديم المنشطين اللازمين لتطبيق النشاط النفسي على المعتقلين بها³.

هذا بالنسبة للنشاط النفسي على المعتقلين بالمعتقلات، أما بالنسبة للمعتقلين، الذين كانت لهم مهام و مسؤوليات نوعية في التنظيم الهرمي للثورة، فقد كانت تُتبع معهم طرقا أخرى، تعتمد اللين و الإقناع، في إطار "النشاط النفسي على القلوب" (la psychologie du cœur)، للتأثير عليهم أملا في كسبهم إلى الصف الفرنسي. مثلما وقع ذلك مع المجاهدين، السادة الرائد عز الدين و ياسف سعدي و السيدة زهرة ظريف⁴. هذا النشاط، كان يتولاه ضباط متمرسون، أوتوا ما يكفي من اللين و الصبر و طول النفس و كذلك الوقت. ضباط يمارسون نشاطهم خارج المعتقل، في أجواء مليئة بالأحاسيس و المشاعر الإنسانية. لقد كانوا أولا

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 11.

² - نفس المصدر السابق، ص. 12.

³ - SHAT, 1H 2403/d.1, Fiche : Evolution des différents problèmes traités par le 6^{ème} Bureau durant la période du 1^{er} Octobre au 31 mars 1958, n° 230 R/M.10/6/Sc, mars 1958, p. 2.

⁴ - آثرنا عدم الخوض فيما وقع لكل واحد منهم، مكتفين في ذلك بالإحالة إلى تجربتهم في مضامنا. فبالنسبة لمحاولة استعادة الرائد عز الدين أنظر شهادته في كتابه : (Les fellagas, p. 254- 265). أما بالنسبة لوقائع محاولة استعادة السيد ياسف سعدي فانظر : (Roger Triquier (Col.), Le temps perdu, p. 263- 266.) أنظر أيضا كعبية أخرى وقائع محاولة استعادة عون اتصال لاسلكي يعمل في جيش التحرير

يُشعرون المُعتقل بالاحترام لصفته كمقاتل يناضل من أجل قضية و يُقرّون له بالبطولة و الانتصار في مواقع بعينها، كما كانوا يشعرونه بالتفهّم للأسباب و الدوافع التي دفعته لحمل السلاح و الصعود إلى الجبل، فإنما هو " حُر انتصر ". و لكنهم فقط يُفهمونه بأنهم يرون الأشياء بمنظور مختلف: فهذه الحرب التي مضت عليها سنوات و لم تسفر بعد إلى أي شيء ما عدا حصد آلاف الأرواح من الجانبين و بالأخص الزيادة في معاناة الشعب الجزائري. و على فرض استمرارها إلى سنوات أخرى فهل سيغيّر ذلك شيئا في واقع الأشياء؟ و إذن فاستمرارها إلى أين و إلى متى؟ زد على ذلك فإن معطيات الطرف الحالي تختلف اختلافا جذريا عما كانت عليه الأمور في نوفمبر 1954. و أن الجيش الفرنسي المتفوق عددا و عُدة عازم على استعادة الأمن و السلم، لأن الحرب و الفوضى لا تصلح إطارا للبناء و التشييد. و إذا قيل هذا، فإنهم، أي مجموع الطبقة العسكرية العاملة بالجيش الفرنسي بالجزائر، لا يرضيهم و لا يخطر ببالهم أن تؤول يوما ما كل جهودهم و تضحياتهم لإقرار وضع سابق على الأول من نوفمبر 1954 لا يستفيد منهم إلا الكولون. و إذن فالنية صادقة و الإرادة موجودة لبناء جزائر جديدة لا تقصي أيا من أبنائها. و هو ما يمكنه أن يُشكل أرضية للحوار و النقاش. و ما على المعتقل إلا إثبات نية و إرادة مقابلة. و هنا، يجري إفهام الأسير المعتقل بأن المطلوب منه هو ليس التخلي أو التنكر لقناعاته السابقة أو أن يتحوّل إلى خائن أو عميل، و إنما المطلوب منه فقط هو البحث سويا عن السبيل الكفيلة بوضع حد لهذه الحرب و وضع حد لمعاناة الشعب الجزائري.

بمثل هذه الأساليب، كان يجري جرّ المعتقلين إلى "التجاوب و التعاون" مع الجيش الفرنسي، سواء من خلال تحرير خطابات و نداءات إلى الرفقاء في الجبال أو بالقيام بمساعي عملية لديهم لصالح الجيش الفرنسي¹.

¹ - كعينة على هذه الرسائل المكتوبة بوحى من هذا النشاط، هناك رسالة نسبها العقيد ترانكييه إلى السيد ياسف سعدي بعدما ألقى القبض عليه، زاعما أن هذا الأخير وجهها إلى السيد كريم بلقاسم. (Roger Triquier (Col.), Le temps perdu, p. 266). أما بالنسبة للنداءات و المساعي فيمكن العودة إلى شهادة الرائد عز الدين.

الفصل السادس:
العملية « بيلوت رقم: 1 »

الفصل السادس:

العملية « بيلوت رقم: 1 »

المبحث الأول : العملية « بيلوت رقم: 1 » : التصور و المفهوم

أدت النتائج الهزيلة المسجلة عقب عمليات التمشيط العسكرية الواسعة التي كان يشنها الجيش الفرنسي في أكثر من مكان إلى دفع قيادة هذا الجيش إلى التفكير مليا في جدوى مثل هذه العمليات : فبالنسبة لهذه القيادة، فإنه من غير المستساغ، أن تكفل نتائج عملية عسكرية واسعة للتمشيط بحثا عن الثوار، استغرق الإعداد لها أشهرا طويلة و سخرت لأجلها إمكانيات مادية و بشرية هامة، أن تكفل بنتيجة هزيلة قد لا تزيد عن أسر أو القضاء على عدد محدود من الثوار و استرجاع بندقية أو اثنين من بنادق الصيد.

إلى جانب ذلك، سجل في أكثر من مرة، مباشرة بعد انسحاب الجيش الفرنسي و على خطاه، عودة سرية لولايات جيش التحرير الوطني بين السكان للاستراحة و المؤونة و الاستعلام، عودة كان يصاحبها انبعاث في نشاط الخلايا التنظيمية للثورة التي كانت تبقى كامنة فيما يشبه البيات الشتوي خلال عمليات التمشيط. و في هذا المقام سَجَل على بعض الأهالي قوله، في سخرية لا تخلو من دلالة -دلالة على عدم جدوى مثل هذه العمليات- بأنه أطمع الجنود الفرنسيين من نفس الطعام الذي أطمع منه جنود جيش التحرير. و هو ما جعل قيادة الجيش الفرنسي تخلص إلى عَقْم مثل هذه العمليات التي تعتمد على التكتيك العسكري وحده¹. فقرر كل من الوزير المقيم بالجزائر و القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالجزائر شن «عملية سياسية- عسكرية تستهدف وضع تنظيم سياسي و عسكري موال لفرنسا بين السكان»². و هي العملية التي أطلق عليها اسم العملية "بيلوت رقم 1" و شرع في تنفيذها خلال السداسي الأول من سنة 1957 على الناحية الغربية للجزائر الوسطى التي تقابل مساحتها مساحة الولاية الرابعة. هذه العملية أريد لها كما ورد في إحدى التعليمات « تهدئة المنطقة الغربية للجزائر الوسطى باعتماد عملية نفسية- سياسية- عسكرية [...] تكون بمثابة تحضير، في رقعة صغيرة من الإقليم، للوجه الجديد الذي ستكون عليه الجزائر الفرنسية غدا»³. هذه العملية تتمثل في خطة نفسية-سياسية-عسكرية مركزة، تستهدف تقديم معالجة على السطح و العمق للمناطق التي تشملها، وفقا للخطة التي صممها الإثنولوجف جون سرفييه (l'ethnologue Jean SERVIER) العامل بالولاية العامة بهدف استدامة نتائج و آثار عمليات التمشيط العسكرية واستئصال الثورة من الجذور بهذه المنطقة.

السيد جون سرفييه، واضع التصور لهذه العملية، ضبط تصوره في وثيقة من ثماني صفحات، أصبحت تعرف باسمه " الوثيقة سرفييه" و غدت مرجعا معتمدا و ضابطا للعملية بيلوت⁴. في هذه الوثيقة يرى السيد جون

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : opération "Pilote", n° 119/RM.10/PSY-PL, Alger, 10 février 1957, p.1

² - SHAT, 1H 2575/d.1, Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense, p. 37.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Instruction pour l'opération "Pilote", n° 556/ZOA/3/TS, Orléansville, le 19 mars 1957, par le Général M. BREBISSE, commandant la Zone Ouest de l'Algérois, p. 1.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (sans référence et sans date), 8 p.

سرفييه بأن « تهدئة الجزائر لا يمكن بلوغها إلا بانخراط السكان و رجوعهم إلى جانب فرنسا. و لذا، فإن هذه التهدئة لا تعتمد إلا بقسط قليل على العمليات العسكرية، التي، بدون الدعم الشعبي، ستبقى نتائجها مؤقتة و نسبية. ذلك أن استعادة عدد معين من الأسلحة هو عديم الأهمية إذا كانت إرادة السكان تساهم في إخفاء كميات أكبر منها. كما أن القضاء على عدد معين من الخارجين عن القانون هو عديم الأهمية إذا كان السكان يقدمون من يخلفهم »¹. كما يرى أيضا بأن « جبهة التحرير، ذات الكُنه الفكري و البرجوازي، لا تتوفر على روابط عميقة مع الجماهير الريفية، و أمّا إنما تتحكم في هذه الأخيرة فقط بفعل التخويف و التهيب. و أن جبهة التحرير، في الوضع الحالي للأشياء، هي في وضع يستحيل لها فيه أن تبلغ المرحلة الثانية لكل حرب ثورية و المتمثلة في بسط سيطرتها الفعلية على جزء من الإقليم من خلال تحقيق نصر عسكري حاسم. لكن، يمكن لها أن تستعيز عن هذا النصر بنصر آخر على مستوى الرأي العام، من شأنه أن يجبر فرنسا بشكل أو بآخر على تنظيم انتخابات يكون النصر فيها حليف الجبهة »². أما الأسباب العميقة لهذا الانتصار، و الذي يمكن توقعه من الآن، فيرجعها السيد جون سرفييه إلى كون الحكومة الفرنسية لم تعتمد، عن وعي أو لا وعي، إلا على مواجهة عسكرية قمعية تهدف إلى إعادة الأمور إلى الوضع السابق. كما أن تطبيقها لإصلاحات "ممنوحة"، التي و إن كانت موجهة للشعب الجزائري، فهي لم تقرر و لم تنفذ لا به و لا معه³. و بعد أن يوضح التكتيك الحربي لجبهة التحرير و المتمثل في اعتماد أسلوب حرب العصابات في مواجهة الجيش الفرنسي من خلال تشكيل وحدات مسلحة، خفيفة و قليلة العدد، تعتمد الكر و الفر، و تتحاشى تشكيل جبهة مواجهة مع الجيش الفرنسي و ترى في الانسحاب الناجح عملا لا يقل أهمية عن النصر المظفر طالما هو يرهق قوات العدو و يدخلها في عمليات مطاردة لا طائلة منها بسبب ثقل حركة هاته القوات، يسترسل بأن جبهة التحرير « ستحاول في مرحلة أولى، و باستعمال الإكراه، الحصول على الدعم الشعبي لتحقيق التعبئة السياسية، كآخر مرحلة من مراحل الحرب الثورية، و التي بلوغها تصبح قوات الأمن مجبرة، و دونما إطلاق رصاصة واحدة، على مغادرة البلد مخلفة إياه بين يدي حزب واحد »⁴. السيد جون سرفييه يتوقع أن تأتي نهاية الصراع من خلال تنظيم انتخابات، يتوجب على فرنسا الاستعداد لها من الآن، إذ أن اقتنارها على تطبيق الجانب العسكري ما هو إلا مضيعة للجهد و الوقت. هذا الاستعداد يتمثل في الحصول على الدعم الشعبي من خلال الأخذ بقبضة اليد بمقالييد تنظيم البلد. أما وسائل ذلك فتتمثل في العمل منذ الآن على إعداد النفوس و تهيئتها. و هذا أمر لا يتأتى إلا بالعمل على تحقيق فكرتين أساسيتين، بسيطتين و ثوريتين في نفس الوقت -حسب رأيه- هما : تحرير السكان من أحكام البؤس، و تحرير المرأة. و هما هدفان لا يمكن - بزعمه- لجبهة التحرير أن تدعيهما أو أن تتطلع إليهما لأنهما يتعارضان مع أصولها البرجوازية

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (sans référence et sans date), par Jean Servier, 8 p. ; aussi : 1H 2536/d.1, Conditions générales de l'opération " Pilote", (sans date et sans référence), 3 p.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, op. cit., p. 1.

³ - المصدر السابق، نفسه.

⁴ - المصدر السابق، ص. 2.

و صفوفها المثخنة بالوافدين من جمعية العلماء المسلمين¹. السيد جون سرفيه يقترح كوسيلة لتحقيق عودة السكان إلى فرنسا اختيار و تحديد منطقة معينة، و لتكن إحدى العمالات على سبيل المثال، لتتخذ بمثابة أرضية لتطبيق تجربة نموذجية "رائدة" يتم تعميمها لاحقا، فيما يشبه بقعة الزيت، إلى كل ربوع الجزائر. بهذه المنطقة يتم حشد و تركيز قوات عسكرية كبيرة و امكانيات نفسية هامة توظف لـ «تطهير» المنطقة و تحقيق معالجة لها على السطح و العمق، و ذلك من خلال تطبيق عمليات واسعة و منسقة في آن واحد تشمل شن عمليات بوليسية و أمنية بالمراكز المدنية لتفكيك التنظيم السري للثورة و توقيف عناصره، و شن عمليات عسكرية واسعة للقضاء على وحدات جيش التحرير و تفريقها، و شن عمليات نفسية مركزة على السكان لتحقيق عودتهم إلى فرنسا بعد أن تم «تخليصهم من قبضة الثورة». خلال هذه المرحلة التحضيرية تتولى مصلحة خاصة، مدعومة بخبرة العناصر التابعة للإدارة المدنية و القسماات الإدارية المختصة - لاصاص، وضع تنظيم سياسي مؤقت، موحد الشكل، تكون الغاية الأساسية من إنشائه هو التحضير لهذه الانتخابات، أو بعبارة أخرى: «تحقيق التعبئة السياسية للجماهير لصالح فرنسا و ليس لصالح جبهة التحرير»². هذا التنظيم يكتسي طابعا شموليا مطابقا لتنظيم جبهة التحرير، يحترم الخلية الأولية الممثلة في العرش و الدوار. كما يتوفر في كل مستوى من مستوياته على محافظ سياسي و محافظ عسكري و مجلس، بمثابة لجنة يقظة، يتم دعم نشاطه بلجان مساعدة تؤطر الشباب و النساء³. هذا التنظيم الذي يمكن الشروع فيه بالدواوير التي تمت «تهدئتها» يتم مده شيئا فشيئا، فيما يشبه رقعة الزيت، إلى الدواوير المجاورة «المتردة» التي يجري في أثناء ذلك استهدافها بنشاط مماثل. و أخيرا، اقترح السيد جون سرفيه إنشاء تنظيم عسكري خاص يدعى "القوات الجزائرية الحرة" (F.A.L.)⁴، و هي قوات شديدة التسييس (politisées)، و مُشكّلة من وحدات تضم خمسين رجلا من الأنصار، يعملون تحت إمرة ضابط فرنسي⁵.

ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن تصور العملية بيلوت بالشكل الذي تم عرضه لا ينطوي على جدة أو أصالة، و ما هو إلا توظيف للأساليب الثورية بالمقلوب. ذلك أن الوقت الذي داهم الفرنسيين و الرغبة في تدارك التأخير المسجل أمام جبهة التحرير في مسعى «السيطرة على السكان» - بزعمهم، قد دفعا بالفرنسيين إلى اعتماده⁶. هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن أفكار السيد جون سرفيه - حسب رأي بعض العسكريين- ليست كلها مستوحاة من خالص فكره. فقد سبق له أن أجرى تربصا بباريس حول النشاط النفسي و الحرب الثورية خلال ربيع سنة 1956، أين يكون قد "تتلمذ" على العقيد فوسو (Goussault) أحد الذين تعاقبوا على المكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العاشرة. كما أن جل أفكاره حول العملية "بيلوت 1" كانت موجودة و متضمنة في كراسة متداولة بالمدرسة العليا للحربية بباريس خلال هاته

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - المصدر السابق، ص. 3.

³ - و قد فصلنا القول في هذا التنظيم. أنظر أعلاه، ص. 137 و 138.

⁴ - Forces Algériennes Libres

⁵ - SHAT, 1H 2536/d.1, Conditions générales de l'opération "Pilote", (sans date et sans référence), 3 p.

⁶ - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : opération "Pilote", n° 119/RM.10/PSY-PL, Alger, 10 février 1957, p. 2.

الفترة. و لأنه هو واضع التصوّر للعملية بيلوت 1 فقد تم تعيينه كمنتدب بدرجة مستشار سياسي في ميدان النشاط النفسي لدى السلطات المكلفة بقيادة هذه العملية بمنطقة الشلف، كما عُيّن أيضا أمرا بالدفع للاعتمادات المالية المخصصة لها ¹.

شيء آخر تجدر الإشارة إليه، و هو أن السيد جون سرفيه، الدارس و الخبير بعقلية الأهالي الجزائريين و نفسيتهم - حيث عمل باحثا ملحقا بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي (C.N.R.S.)، و أقام مدة بمنطقة الأوراس و القبائل لإعداد أطروحة حول البربر من سكان المنطقتين و كان يتقن العربية و القبائلية والشاوية ² - قد سبق له و أن وضع و طبق تصورات مماثلة لعمليات تصب كلها في اتجاه ضرب الجزائريين بعضهم ببعض، لوأد الثورة بواسطة الشعب الذي جاءت لتحرره. فهو يريد، حسب رأي الباحث إيف كوريار « تطبيق و إنجاح تجربة جزائرية نموذجية بحثة بعناصر جزائرية. فهو يعي ما هم عليه سكان الأرياف من سلبية تبعث على اليأس : فالجماهير هنا تترصد و تنتظر قبل أن تنخرط، مما يجعل السباق على أشده مع جبهة التحرير، التي تواجه هي الأخرى و تعاني من هذه السلبية » ³. فمما يُعزى إليه أنه كان أول من بادر و في أول يوم من اندلاع الثورة إلى إنشاء أول فرقة للحركة، حركة أولاد عبدي بالقرب من أريس، مستغلا في ذلك الخلافات القبيلية المستحكمة بين هؤلاء و قبيلة التوابة ⁴. و هي المبادرة التي أعاد تطبيقها في تجربة مماثلة لإنشاء حركة أولاد بومعد، بالقرب من مدينة الشلف، التي بلغ تعداد عناصرها التسعمائة مسلح ⁵. فكانت مبادراته هاته و النتائج التي حققتها في ميدان محاربة الثورة وراء دفع قيادة الجيش الفرنسي إلى تعميم العمل بها و تشكيل فرق مماثلة للحركة، بمعدل فرقة لكل قطاع فرعي عسكري (Quartier militaire). ليبليغ تعداد عناصرها بنهاية الحرب ما يقارب أو يزيد عن الستين ألف مقاتل. كما يعزى إليه أيضا وضع التصور لعملية "العصفور الأزرق" التي تم تطبيق تجربتها الفاشلة بمنطقة القبائل بالولاية الثالثة ⁶. مستعينا في رسم خطوطها بمعارفه كإثنولوج لمنطقة إفلوسن لبحر التي أقام فيها مدة من السنوات لدراسة سكانها. و من يدري فلعله يكون أيضا وراء عمليات أخرى، المستقبل وحده كفيل بكشف خباياها. و أخيرا، نشير أيضا إلى أن روح العملية "بيلوت 1" قد استمدت من "معركة الجزائر" و من عمليات أخرى مماثلة، تم تطبيقها بمنطقة الساحل تحت قيادة العقيد فودار (Col. Godard) و التي كان جوهر تكتيكها هو تفكيك تنظيم الخصم و استبداله بتنظيم موالٍ يحل مكانه، يتم تشكيله باستخدام عناصر من السكان في إطار الحرب النفسية باستعمال ما يعرف بـ "التنظيمات الموازية" (les hiérarchies parallèles) ⁷.

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Note au sujet de Mr. Jean Servier en date du 20 Juin 1957, MG/EJ- 28.6.1957, 3p.

² - Yves Courrière, La guerre d'Algérie 1954- 1957 : les fils de la toussant, Editins Robert Laffont, Paris, 1998, p. 219-222.

³ - Yves Courrière, La guerre d'Algérie 1958- 1962 : l'heure des coloneles, p. 27.

⁴ - Yves Courrière, La guerre d'Algérie 1954- 1957 : les fils de la Toussant, p. 332.

⁵ - Yves Courrière, La guerre d'Algérie 1954- 1957 : L'heure des coloneles, p. 24- 27.

⁶ - Camile Lacoste Dujardin, Opération oiseau bleu, des kabyles, des ethnologues et la guerre d'Algérie, Paris, Editions La Découverte, 1997, p. 47- 49.

⁷ - SHAT, 1H 2577/d.1, Note d'orientation sur la lutte contre l'infrastructure rebelle et la reprise du contact avec la population, n° 187- S/RM.10/5, Alger, le 10 avril 1957, 8 p. ; Directives pour la 5° section de l'Etat-major Alger- Sahel, n° 666/SA5, Alger 17 septembre 1957, 4 p.

خريطة العملية بيلوت

تشمل منطقة عمليات العملية بيلوت 1 كل عمالة الشلف بالإضافة إلى الجانب الغربي لعمالة الجزائر. أي منطقة الشلف الممتدة شمال سهل الشلف إلى دوار عدلية (Adelia). وبتحديد آخر كل المنطقة الواقعة ما بين خطي شرشال-مليانة شرقا و تنس-الشلف غربا مع امتدادات إلى الشرق و الغرب. و من البحر شمالا إلى جبال الونشريس جنوبا¹. و هو ما يمثل مساحة إجمالية تقدر بـ 14.000 كلم² و بمجموع واحد و خمسين دوارا يقطنها مائتي ألف نسمة يضاف إليهم ثمانون و مائة ألف نسمة بالمراكز الحضرية. هذه الرقعة تقابل في التقسيم الجغرافي و السياسي للثورة ثلاثة مناطق من الولاية الرابعة، بالإضافة إلى منطقة رابعة من الولاية الخامسة، تقع إلى الغرب من الخط تنس-الشلف². اختيار هذه المنطقة تم بضغط من السلطات العسكرية التي استبعدت منطقة سطيف المقترحة من طرف السيد جون سرفيه كمجال للعملية، بدعوى أن هذه الأخيرة لا تتوفر على المواصفات المطلوبة : فهي منطقة ذات كثافة سكانية عالية، و بها درجة «عفن» مبكر و متقدم، - أي مشاركة مبكرة في الثورة-، كما أن سكانها على مستوى من التعليم سمح برواج الصحافة الوطنية³.

بهذه المنطقة، جرى اختيار عدد من الدواوير لتتخذ كـ " قواعد انطلاق " لانتشار العملية في شكل بقعة زيت. و هو اختيار تحكمت فيه اعتبارات شتى، منها الموقع الجغرافي للدوار، بحيث يكون سهلا الوصول إليه و الانطلاق منه إلى غيره، ثم، و بالأخص، «نقائه»، أي سلامته من مؤثرات الثورة، الإيديولوجية و العسكرية. و هي الشروط التي لم تتوفر إلا في دوايري بني بودوان بالقرب من مدينة الشلف و دوار بومعد بالقرب من مليانة. و في حين كانت دواوير كل من باقدورة و حوميز بالقرب من تنس و دواوير زاتيمة و أقبال بالقرب من شرشال تتوفر على شروط سياسية موافقة نسبيا، كانت دواوير أسلي و قربوسة و بني وزان و جزء من دوار تفلوت تتطور نحو إعلان الالتحاق بفرنسا. أما بالنسبة لدوايري تيركانين و زدين فكانا يمثلان حالة خاصة بفعل تواجد جيوب مقاومة بهما مناوئة للثورة⁴. فوقع الاختيار على كل من دواوير باقدورة و حوميز و زاتيمة و بومعد لتكون " قواعد انطلاق " لهذه العملية⁵.

تاريخ انطلاق العملية حُدد ببداية فيفري 1957، و هي فترة غير مواتية بالنظر إلى الظروف المناخية التي تسود هذه المنطقة. فالفترة هي موسم لأمطار فصلية لا تنتهي إلا في النصف الثاني من شهر مارس. كما أن الطبيعة الجيولوجية لهذه المنطقة تُحيل الأرض إلى وحل سائل يقطع الطرق و يشل حركة المواصلات، كما أن الثلوج تصبح مألوفة بالمستويات التي يزيد ارتفاعها على 800 م⁶.

لإنجاح هذه العملية سخرت لإجلها امكانيات بشرية و مادية، عسكرية و مدنية هامة. ففي مجال العمليات و التغطية العسكرية تم تعبئة ستة فيالق للعمليات معززة بفيلق للهندسة العسكرية و فرقة للنقل بالإضافة إلى غطاء جوي يمكنه نقل خمسين جنديا في آن واحد. كما تم تعزيز هذه الحشود بمختلف الكوادر من الضباط. أما في مجال النشاط النفسي و الحرب النفسية فقد تولى المكتب النفسي للمنطقة العاشرة تسخير إمكانياته

¹ - أنظر خريطة مجال العملية بالصفحة المقابلة.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : Opération "Pilote" de M. Servier, Orléansville, 25 janvier 1957, p. 1.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Note au sujet de Mr. Jean Servier en date du 20 Juin 1957, MG/EJ- 28.6.1957, p. 2.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote" au 1^{er} juillet 1957, n° 1/ZOA/5/SC, (s. d.), p. 4.

⁵ - SHAT, 1H 2536/d.1, Plan pour l'Opération " Pilote I",

⁶ - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : Opération "Pilote" de M. Servier, Orléansville, 25 janvier 1957, p. 2.

النفسية، ممثلة في : فرقتين من فرق مكبرات الصوت و المناشير (C.H.P.T.) و عشرة ضباط متنقلين، بالإضافة إلى وسائل و إمكانيات دعائية ضخمة تم وضعها تحت تصرف مركز قيادة نفسي متقدم، أسند إليه إعداد و إنجاز مختلف الملصقات و المناشير المناسبة لاستغلال وضعيات بعينها، و تقديم مساهمته في عملية فرز المشتبه فيهم بواسطة الضباط المتنقلين الذين ينتدبهم لدي القيادات الفرعية للقطاعات العسكرية. و تكثيف الدعاية السياسية بمختلف الوسائل المنطوقة و المكتوبة وفقا لتعليمات السيد جون سرفيه. و أخيرا الإشراف على تنظيم و تسيير و تأطير مراكز التكوين المدني للإطارات الريفية. أما في مجال العمل السياسي و الإداري فقد تم حشد ما يلزم من الموظفين و الأعوان السياسيين و الإداريين. أما في مجال العمل الاجتماعي و الصحي فقد تم تجنيد عدد هام من فرق المساعدة الطبية المجانية، المتكونة من طبيب و ممرض أو ممرضة و مساعدة اجتماعية، لممارسة النشاط النفسي على سكان الدواوير، باستعمال غطاء المساعدة الصحية و الاجتماعية. و قد تم تعزيز كل ذلك باعتمادات مالية هامة¹.

قيادة هذه العملية لم تغفل الدور الحساس و المتميز الذي يمكن أن يضطلع به ضباط لاصاص خلال المراحل الثلاث لهذه العملية. و ذلك لما لهم من معرفة عميقة بالبلاد و سكانها و بالاتجاهات السياسية المنتشرة بينهم، بالإضافة إلى إطلاعهم الواسع على المشاكل الاقتصادية التي هم على احتكاك يومي بها. و لهذه الغاية أصدرت هذه القيادة التعليمات اللازمة المحددة لدور هؤلاء و مهامهم في هذه العملية. فبالنسبة للمرحلة التحضيرية يتوجب على ضباط لاصاص أن يقدموا للقادة العسكريين كل ما يجوزهم من معلومات حول السكان و العناصر المشتبه فيهم و الأشخاص الذين تحسن مُهادنتهم أو الذين يتوجب توريطهم، بما في ذلك المعلومات الأخرى المتعلقة بالمنطقة كالطرق و المسالك و نقاط الماء. أما بالنسبة للمرحلة التنفيذية فيتوجب على هؤلاء تقديم الأدلاء المناسبين لإرشاد القوات العسكرية، دون أن يشاركوا هم في العمليات العسكرية التي يتوجب عليهم تفادي ظهورهم فيها. أما بالنسبة لمرحلة الاستغلال فإن دور هؤلاء الضباط يتمثل في :

- مواصلة العمليات « التطهيرية » ضد الثورة بمساعدة السكان و قوات الأمن.
- تقديم مقترحات إلى رئيس العمالة و نائبه حول كل ما يتعلق بالمندوبيات الخاصة، كتعيينها، أو تغييرها أو إلغائها.
- دفع عجلة الاقتصاد المحلي، باقتراح الورشات التي يجب فتحها، و المساعدات التي يجب تقديمها، بما في ذلك ترشيد المساعدة الطبية و الاجتماعية و فتح المدارس و المكاتب البريدية و اقتراح الفروع الإدارية التي يمكن فتحها ولو ضمن شروط عمل دنيا، بما يُعجل بالعودة إلى الحياة العادية².

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Instruction pour l'opération "Pilote", n° 556/ZOA/3/TS , Orléansville, le 19 mars 1957, par le Général M. BREBISSON, commandant la Zone Ouest de l'Algérois, p. 4- 6 + annexes ; SHAT, 1H 2536/d.1, Instruction générale : Conduite de l'opération "Pilote n° 1", Préfecture d'Alger, n° 5804/CAB/BCAB, 26 mars 1957, 4 p.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Annexe X : Participation des Officiers des Affaires Algériennes – Chefs de S.A.S. à l'opération "Pilote", (sans date et sans référence).

مخطط العملية في إطار المكان، كان يسير على الشكل التالي : فقد تم تقسيم مجال العملية بيلوت إلى ثلاث قطاعات فرعية، حيث تم بكل منها تحديد دوار معين ليكون بمثابة نقطة انطلاق و ارتكاز لمختلف العمليات العسكرية لبيلوت:

- فبالنسبة للقطاع الفرعي لتنس، تم تعيين كل من دوازي باقدورة و حوميز ليكونا نقطتي انطلاق للعمليات العسكرية، التي تستهدف بالأساس القضاء على البنى التحتية لجيش التحرير الوطني بكل من منطقتي سنفيتة و بني حوى (Sinfita et Beni Haoua) لتمتد هذه العمليات العسكرية لتشمل الجهة الغربية لهذا القطاع الفرعي بكل من تالاسا (Talassa) و البعش (Baache) و أولاد عبد الله و لتتصدى في نفس الوقت لكل محاولات التسرب المحتملة التي قد يقوم بها جيش التحرير الوطني بجبال الظهرة.

- أما بالنسبة للقطاع الفرعي لشرشال، فبعد أن يتم شل حركة الثورة بكل من دوازي بوحلال و الثورين يتم توجيه الجهود نحو دوازي زاتيمة و أقبال، لتمتد العمليات في حركة شعاعية تقودها إلى القطاع الفرعي لتنس.

- و أخيرا، بالنسبة للقطاع الفرعي لمليانة، فإن الجهود العسكري بهذا القطاع يتمثل ابتداء في أنشطة نفسية و اجتماعية و سياسية بالدوار الملتحق، دوار بومعد، لتمتد هذه الأنشطة في اتجاه دوار عدلية شرقا لضمان السيطرة على وادي الشلف، جنوب منطقة العمليات¹.

مخطط العملية في نطاق الزمان كان يشمل المراحل التالية²:

المرحلة التحضيرية : و تشمل القيام بنشاط استعلامي كبير للحصول على المعلومات في الميادين التالية:

- 1- المعلومات النفسية لرصد المناخ النفسي السائد بين السكان و تقدير درجة «التعفن» بينهم.
- 2- المعلومات المتعلقة بالتنظيم الثوري : لرصد شبكاته و خلاياه و التعرف على مسؤوليه و عناصره، تمهيدا لتوقيفها.
- 3- المعلومات العسكرية لتحديد أماكن تمركز وحدات جيش التحرير و التعرف على مسالكها و قواعدها الخلفية.

خلال هذه المرحلة التحضيرية كان يجري أيضا تطبيق نشاط نفسي مكثف على مختلف قوات الجيش الفرنسي لتعريفهم و إقناعهم بأهداف هذه العملية و بالأشكال التي يجب أن تأخذها أنشطتهم تبعاً لذلك، بما يمكنهم من تنفيذها على أحسن وجه.

في المرحلة الأولى، و اعتمادا على المعلومات المستقاة، يتم تحديد الدوار أو مجموعة الدواوير المستهدفة بالمعالجة. ليتم في شكل عملية متعددة الأشكال، تكتيكية و سياسية و نفسية، تطويق الدوار المعني

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Plan pour l'opération "Pilote", annexe à la lettre du M. le Général BREBISSON à M. le Général de Division, commandant la Division Militaire d'Alger, n° 441/D9/3/TS, 24 février 1957 ; SHAT, 1H 2536/d.1, Instruction pour l'opération "Pilote", n° 556/ZOA/3/TS, Orléansville, le 19 mars 1957, par le Général M. BREBISSON, commandant la Zone Ouest de l'Algérois, p. 3- 4.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : Opération "Pilote", n° 119/RM.10/PSY-PL, Alger, 10 février 1957, 3p.

بقوات كافية للتحكم في شتى مداخله و توقيف «المشتبه» فيهم من المسلمين و الفدائيين و جامعي الاشتراكات و غيرهم من عناصر التنظيم الثوري، بما يوجه ضربة قاضية إلى خلايا الدعم اللوجيستيكي، ضربة «تحرر السكان من الخوف» و تقطع الإمداد و المعلومات عن الوحدات المسلحة بالجبال. نتائج هذه العمليات كان يتم استغلالها للتو بالوسائل النفسية في نشاط مكثف على سكان الدواوير لإشاعة جو نفسي موافق بينهم، حيث كان يُعتمد إلى تجميعهم بإحدى الساحات، الرجال من جهة و النساء و الأطفال من جهة أخرى و استهدافهم بمختلف الخطب و الشعارات و النقاش الموجه. يليها قيام فرق المساعدة الطبية و الاجتماعية بتقديم فحوصات و إسعافات طبية للسكان و رصد احتياجاتهم الاجتماعية المستعجلة لسدها. و بالتوازي مع ذلك كان أعوان إداريون يتولون تحديد بعض المشاريع ذات الأولوية التي يمكن تنفيذها لصالح الدوار، لتكون في نفس الوقت بمثابة ورشات لتشغيل سكانه. نتائج هذه العملية كان يتم تنويعها بدعوة السكان إلى المشاركة في «حماية أنفسهم» من خلال المشاركة في الحراسة الليلية للدوار، تمهيدا لإنشاء فرقة أو فرق للدفاع الذاتي. عملية تحقيق مشاركة السكان في «حماية أنفسهم» كان يتم تحقيقها بالشكل التالي: في البداية، كان يتم تشكيل نواة من أربعة أو خمسة رجال، كان يتم إسكانهم بمعية أسرهم على مقربة من معسكر وحدات الجيش الفرنسي التي تُجندهم و تدفع أجرتهم. في أول الأمر، كان يكتفى في استعمال هؤلاء على تكليفهم بالقيام ببعض أشغال السخرة، ليتم تدريجيا و بقدر تنامي الثقة فيهم، اصطحابهم خلال العمليات العسكرية كمجرد حملة لبعض العتاد، كجهاز اللاسلكي مثلا...، ليتم بعدها تسليحهم ببندقية صيد تسحب منهم عند القبول من العملية، و يستمر الأمر كذلك إلى أن يُسلموا يوما ما ببندقية حربية. ثم أخيرا، و متى قدموا ما يكفي من دلائل الولاء و الفعالية، كان يتم تجميعهم ضمن وحدات صغيرة تعمل و تحيا ضمن الوحدة الأم، التي تقدم العناصر اللازمة لتأطيرهم بما يشكل نواة مستقبلية لفرقة حركة¹.

في الوقت نفسه، كان يجري البحث عن عناصر بين السكان، تتوفر فيها مواصفات القيادة لتعيين مستقبلا كـ "محافظين سياسيين" و مسؤولين على السكان. و هو اختيار كان يشرف عليه الضباط المنتقلون، الذي كان يناط بهم السهر على توفّر مختلف هذه المواصفات المطلوبة في العناصر المختارة، تمهيدا لإرسالها لمتابعة تكوين خاص، إيديولوجي و نفسي و عسكري و إداري، في مراكز تكوين مسؤولي السكان التي تم استحداثها خصيصا لذلك. ليستعان بها، بعد إعادة زرعها في وسطها الأصلي، في نسج التنظيم السري المناوئ للثورة.

لتحقيق انتقاء أمثل لهذه العناصر خدمة لأهداف العملية ببلوت بالذات، تم ضبط بعض المعايير الدنيا التي يتوجب التركيز عليها في عملية اختيار هذه العناصر، هذه المعايير تم تقسيمها إلى قسمين:

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Instruction pour l'opération "Pilote", n° 556/ZOA/3/TS, Orléansville, le 19 mars 1957, par le Général M. BREBISSON, commandant la Zone Ouest de l'Algérois, annexe n° IV.

- القسم الأول : و يتعلق بالمواصفات و الاستعدادات الطبيعية للشخص، و هي تركز على استعداداته الفكرية و العقلية بالأساس، مثل : الذكاء و حسن النظر (le bon sens) ، الإثارة و الجاذبية، قوة الذاكرة و قوة الانتباه و الملاحظة، الدقة...

- القسم الثاني : و يتعلق بعدد من الخصائص و المواصفات المكتسبة، و هي تركز على الاستعدادات الشخصية و المزاجية للشخص، و تشمل : الصراحة و قوة النفوذ و التأثير، الحركية و النشاط، التفاني في العمل، و اللامصلحية.

و لكن يبدو أن هذه المواصفات، التي قد يسهل توفرها عند أشخاص لهم حد أدنى من التعليم، لم تتوفر على بساطتها عند غالبية الجزائريين الذين تم ترشيحهم لتولي المسؤولية و ذلك بسبب أميهم و «تخلفهم». مما استدعى البحث عن معايير أخرى يتم اعتمادها كمقاييس اختبار. فجرى العودة إلى عدد من المختصين الذين اعتادوا إجراء اختبارات نفسية على الجزائريين. فكان الاتصال بالبروفيسور بوج (Bourge) ؟ و بالسيد ريو (Rio)، رئيس مخبر علم النفس التطبيقي التابع لكلية الآداب بجامعة الجزائر. كما تمت الاستعانة أيضا بالضابط المكلف باختبار و توجيه المجندين المسلمين الوافدين إلى مركز التدريب التابع للفرقة الأولى للرماة الجزائريين (1^{er} R. T. A.) بالبليدة. و هو ما قاد في الأخير إلى الحد من استعمال الاختبارات التي تعتمد الكتابة و الرسم (testing graphique) و استبعاد استعمال بعض الأجهزة القياسية التي كانت مقررة في البدء، مثل جهاز التريمومتر (Le trémomètre)، المستعمل في قياس و تحديد العاطفية و الطمأنينة، المرونة و انتظام ردود الأفعال، الإرادة و المثابرة و الطموح، الثقة في النفس. كما تم استبعاد جهاز ال.ب. ت. أو ال.س. ر. (le B. T. ou le C. R.)، المستعملين في قياس الاستعدادات المزاجية. و قد وقع استبعاد هذه الأجهزة لأنها لم تعطي نتائج جيدة عند استعمالها على أشخاص جزائريين. و بعد محاولات شتى، اقترح مخبر علم النفس التطبيقي لكلية الآداب اعتماد الاختبار التالي، و المتكون من:

1- الاختبارات المستعملة بفرق المدفعية و فرق الرماة الجزائريون بالبليدة.

2- إختبار الرسم (رسما يمثل إنسان) و اختبار اللوزنج (Test de losange) المحددة للعمر العقلي.

3- اختبار الشجرة لتحديد المناخ العاطفي للشخص.

4- اختبار الوضعية، و هو اختبار لقياس رد فعل الحواس على الصدمات و المفاجآت و يتم تحت مراقبة طبية لردود الأفعال.

5- اختبار الصدق و الأمانة (l'honnêteté).

6- اختبار فهم الصور لقياس حسن النظر (le bon sens).

7- اختبار الدقة و السرعة، و هو اختبار يطلب فيه من الشخص قص أو تقطيع ورقة وفقا لخط من الثقوب المرسومة عليها لقياس مدى دقته و سرعته في إنجاز ذلك ¹.

المرحلة الثانية : و يتم فيها زرع العناصر التي تم تكوينها بمسقط رأسها. و هي عملية تتم في سرية تامة بمساعدة السلطات المحلية بعين المكان، ممثلة في ضابط لاصاص و القيادة العسكرية المحلية التي تتولى حماية هذه العناصر و مراقبتها. عندئذ تبدأ هذه العناصر في تجميع عناصر أخرى حولها من خيرة السكان، و تقسيمهم إلى قسمين : القسم الأول و يستعان به في تشكيل فرق مسلحة تعمل في نطاق محدود و تطبق الأساليب القتالية لجهة التحرير. هذه الفرق لا يطلب منها تقديم مجهود حربي كبير ضد جيش التحرير و إنما يقتصر دورها على العمل كصفارة إنذار فقط؛ أما القسم الثاني فيستعان به في نسج تنظيم سري سياسي و إداري على منوال تنظيم جبهة التحرير يعتمد العزل بين الخلايا (Le cloisonnement) لحمايتها من ضربات الثورة. هذا التنظيم هو بمثابة إدارة أولية لإحكام القبضة على السكان، يمارس نشاطه في سرية تامة و ذلك إلى حين استتباب الأمن، أين يمكن عندئذ ترسيمه في شكل مندوبية خاصة. و بالموازاة مع ذلك كان يتم ترسيم الفرق المسلحة في شكل فرقٍ للحركة، التي سيتم ربطها بالوحدات العاملة في القطاع العسكري لتساهم في توفير الأمن على السطح. علما أنه بالتزامن مع الجهود العسكري و النفسي الذي كان يجري تطبيقه على الدوار أو الدواوير، كانت المناطق المجاورة، و في شعاع يمتد إلى بضعة كيلومترات، تشهد عمليات تمشيط واسعة للقضاء على وحدات جيش التحرير الوطني النشطة بالجهة و تفكيك قواعدها الخلفية من مراكز و مصحات و مستودعات للذخيرة و المؤونة.

المبحث الثاني : نتائج العملية « بيلوت رقم 1 »

النقائص

في الظروف المشار إليها أعلاه، انطلقت العملية بيلوت رقم واحد بهدف تحقيق ثلاثة أهداف أساسية، تتمثل في القضاء على التنظيم السياسي و الإداري للثورة بين السكان و محو تأثيرها الإيديولوجي عليهم و خلق الظروف المواتية التي تسمح بنسج تنظيم سري يعمل لصالح فرنسا. و بالرغم من التحضيرات المكثفة لها فقد تم تسجيل عددا من النقائص التي أثرت على سيرها الحسن. هذه النقائص تعود في بعض منها إلى تردد صادر عن السلطات المدنية بعين المكان التي لم تهضم مبدأ أولوية العسكري على المدني و بالأخص في مجال تسيير الاعتمادات المخصصة للعملية بيلوت، كما تعود في بعضها الآخر إلى تحفظ و تردد صادرين من السلطات العسكرية بعين المكان التي رأت في العملية طريقة عمل مفروضة من قيادة الجزائر (Alger)، و خشيت بالتالي أن تسفر نتائجها على نجاح قد لا تعود فائدته عليها ².

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Testing des français- musulmans (Opération " Pilote"), Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel, Chef du Bureau Psychologique Régional, Alger, 20 février 1957.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'opération "Pilote", AF/MB 10.5.1957, p. 1 et 2 ; -----, Ordre du jour de la conférence du 13 mai 1957, (sans date et sans référence), p. 1 et 2.

أما بالنسبة للتحضير البشري لهذه العملية، فقد سجل في أكثر من مرة نقص فادح في عدد القوات اللازمة لتحقيق تطويق محكم لمجال العملية بيلوت. و بالرغم من النشاط النفسي المكثف الذي تم تطبيقه على الضباط الكوادر لتشييعهم بروح العملية بيلوت من خلال تعريفهم بالأساليب الثورية في القتال و تعريفهم بطرق الرد عليها، فإن الغالبية العظمى من هؤلاء الضباط الكوادر بقيت على سلبيتها و عدم تفاعلها: فهناك عشرة بالمائة معادون لتطبيق الجيش لهذه الأساليب؛ و هناك عشرون بالمائة متشككون و غير فعّالون؛ و هناك خمسون بالمائة تنقصهم القناعة و يطبقون الأساليب الحربية بطريقة خرقاء. و إذاً لم يبق إلا عشرون بالمائة منهم الذين اقتنعوا فعلا بما علموا و طبقوا بطريقة صحيحة ما تعلموا¹. هذا العجز المسجل في ميدان الحرب النفسية عند الضباط الكوادر تم استشعاره بحدة و في أكثر من مكان وبالأخص في مجال التنسيق للبحث عن المعلومات النفسية و حسن توظيفها و استغلال نتائجها، و أيضا في البحث عن العناصر الأهلية الجيدة التي يمكن أن تُرشح للزعامة و القيادة. " ضعف الإيمان " هذا لدى الكوادر القيادية انعكس سلبا و بصورة أخص في توظيف الضباط المنتقلين الذين لم يجدوا دائما الدعم و التعاون المطلوبين : فبدلاً من أن ترى فيهم قيادات المستويات الدنيا عناصر دعم لها، لم تر فيهم سوى مجرد "عيون" تعمل لحساب القيادة العليا². و إذاً، فإن التجاوب الحقيقي قد سجل أكثر لدى الضباط الصغار الذين كانت تحوهم القناعة بأهمية القيام بنشاط نفسي على السكان. لكن كثرة الأعباء و تعدد المهام و اضطلاعهم بمهمات خارج مجال تواجدهم الأصلي قد حال دون قيامهم بنشاط نفسي دائم و متواصل على السكان. و إذا كانت النفوس قد سجلت بمضي الوقت تطوراً نوعياً في مجال "التشبع بروح العملية بيلوت" و اعتناق أساليب الحرب النفسية و الثورية، فإن الطريق كان لا يزال طويلاً أمام هذه الأخيرة حتى تغدوا ممارسة سائدة في الأذهان و السلوكات³.

نتائج العملية في مجال القضاء على التنظيم السياسي و الإداري للثورة

أما في مجال البحث عن المعلومات المتعلقة بالخلايا الثورية و تفكيك البنى التحتية للثورة، فلم تكن عند ضباط الاستعلامات (les O. R.) إلا معرفة غير دقيقة و غير متكاملة في هذا الجانب، و ذلك لسبب واحد هو تركيزهم فيما سبق لجهودهم و أساليب عملهم على البحث عن المعلومات المتعلقة بوحدة جيش التحرير. و لكن مع انطلاق العملية بيلوت تم توجيهه و ترشيد جهود هؤلاء نحو البحث عن المعلومات الخاصة بالتنظيم الثوري. و باستثناء القطاعين العسكريين لكل من تنس و مليانة، اللذين حققا نتائج مهمة، فإن القطاعات الأخرى بقيت تسجل عجزاً فادحاً في هذا المجال، عجزاً عُزي مرة أخرى إلى القيادات المحلية التي، بسبب "ضعف إيمانها" و جهلها بأساليب الحرب النفسية و الثورية، لم تقدم الدفع اللازم لأجهزتها الاستعلامية⁴. و عليه، فقد تم تقدير نسبة العمل المنجز، بعد ثلاثة أشهر من انطلاق العملية بيلوت، بتفكيك ما نسبته ستين

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan Opération " Pilote ", par le Capitaine J. GUYOMAR, Officier Itinérant, (sans date et sans référence), p.1.

² - SHAT, 1H 2536/d.1., Ordre du jour de la conférence du 13 mai 1957, (sans date et sans référence), p.1et2.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan Opération " Pilote ", par le Capitaine J. GUYOMAR, Officier Itinérant, (sans date et sans référence), p.1.

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

بالمائة من مجموع التنظيم الثوري الذي كان متواجدا بعين المكان¹. و هي نسبة يرجعها الضابط المنتقل جاك فيومار إلى نسبة عشرين في المائة فقط².

أما في مجال محاربة العمل الفدائي بالمراكز الحضرية، فقد قام الجيش الفرنسي بتكثيف عملياته بكل من مدن : الشلف، مليانة و خميس مليانة (Affreville)، شرشال و تنس، بالإضافة إلى مراكز حضرية أخرى أصغر مثل العطف و واد فضة و عين الدفلة (Duperre). و قد كانت حصيلة كل هذه العمليات تفكيك التنظيم الفدائي الثوري تفكيكا شبه كليا بأغلب هذه المراكز و اعتقال الغالبية من أعضائه و اعتقال سبعمائة شخص وضعوا رهن الإقامة الجبرية. كما أصدرت أحكام بالإعدام ضد عدد منهم، من بينهم اثني عشر شخصا بمدينة مليانة وحدها³.

نتائج العملية في مجال القضاء على وحدات جيش التحرير الوطني

أما في مجال العمليات العسكرية الموجهة للقضاء على وحدات جيش التحرير الوطني، فإن توقيت انطلاق العملية بيلوت قد تزامن مع بداية عملية واسعة لإعادة هيكلة و تكييف وحدات جيش التحرير الوطني بكامل القطر الجزائري. و هي عملية شُرع فيها على ما يبدو تنفيذًا لمقرارات مؤتمر الصومام، و مست كل الجوانب المتعلقة بالرتب العسكرية و تعداد الوحدات و التنظيم الإداري و العسكري و التقسيم الجغرافي. لذلك شهدت منطقة العملية بيلوت في هذه الأونة تشكيل فرق كومندو على مستوى المناطق (commando zonal) و تشكيل كتائب جهوية (compagnies régionales) مسلحة تسليحا جيدا بما تلقتة من إمدادات واردة من الحدود المغربية و بما طُعمت به من عناصر بشرية، من مسبلين و فدائيين، تم إدراجهم بالوحدات المسلحة بعد تفكيك خلاياهم المدنية. و قد غير كل ذلك و بصورة جذرية من المعطيات التي كانت متوفرة آنذاك عن جيش التحرير الوطني عند قيادة العملية بيلوت⁴.

نتائج العمليات العسكرية ضد جيش التحرير الوطني في إطار العملية بيلوت تمثلت في استعادة كميات هامة من الأسلحة أغلبها بنادق للصيد⁵؛ و استشهاد أو توقيف سبعة عشر مسؤولا عسكريا⁶؛ و « التحاق » أربعين عنصرا آخر من جيش التحرير بفرنسا⁷. و بعد القضاء على قسم كبير من التنظيم المدني وجدت العديد من وحدات جيش التحرير نفسها مجبرة إما على مغادرة منطقة العمليات أو التكتل و التشكُّل في وحدات أكبر بمناطق جبلية و غابية آمنة، بكل من : بوحلال و بني مراحبة و بيسة و زكار و جبل دوي⁸، التي اعتبرت بمثابة « نقاط سوداء » في نتائج العملية بيلوت. و إلى جانب النتائج السابقة يمكن إضافة نتيجة أخرى تمثلت في تحسُّن معارف القيادة الفرنسية حول وحدات جيش التحرير العامل بالجهة و

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 juillet 1957. p. 5

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan Opération " Pilote ", par le Capitaine J. GUYOMAR, Officier Itinérant, p. 2.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 juillet 1957. p. 7.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 juillet 1957. p. 5

⁵ - أنظر الملحق رقم : 94، (Piece n° 4) .

⁶ - أنظر القائمة الاسمية لهؤلاء بالملحق رقم : 94، (pièce n° 5) .

⁷ - أنظر الملحق رقم : 94، (pièce n° 6) .

⁸ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 juillet 1957. p. 6.

ذلك بفضل الاستغلال و التوظيف الجيدين لفرق الحركّة سواء كان ذلك في مجال البحث عن المعلومات أو في مجال مطاردة وحدات جيش التحرير. الملحق رقم 94 يبين لنا تقديرات القيادة الفرنسية لقوة جيش التحرير الوطني بالمنطقة، و هي قوة تبدو وكأنها قد استفادت من العملية أكثر مما تضررت منها¹.

نتائج العملية بيلوت على تطور الحالة النفسية للسكان

إن النتائج المحققة في مجالي القضاء على التنظيم السري و القضاء على وحدات جيش التحرير العاملة بالجهة، أمكن تلمس آثارها تلمسا واضحا في الحالة النفسية لسكان مجال العملية بيلوت التي تطورت تطورا بينا ما بين الأول من مارس و الأول من جويلية 1957، و هي حالة نفسية موافقة رأى فيها الفرنسيون بواد «حركة عودة للسكان نحو فرنسا». فعند انطلاق العملية بيلوت في الأول من مارس 1957، كانت ملامح الحالة النفسية للسكان الحضرين القاطنين بمجال العملية بيلوت تكاد تكون مائة بالمائة موافقة للثورة : فمن أصل ما عدده مائتي ألف ساكن، قُدر بأن هناك ما عدده خمسة عشر ألف ساكن فقط في حالة « نقاء و طهر » - أي في سلامة من مؤثرات الثورة و من أنشطتها-؛ يضاف إليهم سبعة عشر ألف ساكن كانوا بصدد إعلان التحاقهم بفرنسا؛ كل ذلك في مقابل اثنين و ثلاثين ألف ساكن قُدر بأنهم « مصابون جزئيا بالعدوى » - أي الخضوع لتأثير الثورة- و ست و ثلاثين و مائة ألف آخرين مستهم « العدوى كلية ». لكن بحلول الأول من جويلية 1957 تغيرت هذه المعطيات تغيرا جذريا و ذلك بفضل العملية بيلوت، حيث أصبحت ملامح الحالة النفسية لهؤلاء السكان تتشكل كالآتي : فهناك مائة ألف ساكن أصبحوا في حالة « نقاء و طهر » من مؤثرات الثورة و أنشطتها يضاف إليهم ما عدده ثمانية عشر ألف ساكن كانوا بصدد إعلان التحاقهم بفرنسا. و إذا لم يبق هناك إلا خمسين ألف ساكن قُدر بأنهم « مصابون جزئيا بالعدوى » يضافون إلى اثنين و ثلاثين ألف ساكن قد تمكنت منهم «العدوى» و بالتالي يتوجب الاستمرار في معالجتهم².

نتائج مماثلة و لكن بنجاح أقل تم تحقيقها مع سكان الأرياف من القاطنين في منطقة العملية بيلوت : فمن أصل واحد و خمسين دوارا كان هناك في الأول من مارس 1957 دُوران اثنان فقط في حالة «خلو» من مؤثرات الثورة و من أنشطتها يضاف إليهم ثلاثة دواوير كانت بصدد إعلان التحاقها بفرنسا، كل ذلك في مقابلة ثمانية دواوير قُدر « إصابتها إصابة جزئية بعدوى الثورة » تضاف إلى ثمانية و ثلاثين دوارا خاضعة تماما للثورة. لكن بحلول الأول من جويلية 1957 تغيرت هذه المعطيات تغيرا جذريا : فهناك واحد و عشرون دوارا أصبحت في حالة « نقاء و طهر » تضاف إليها أربعة دواوير كانت بصدد إعلان التحاقها بفرنسا، و ذلك في مقابلة ثمانية عشر دوار قُدر بقاؤها جزئيا مصابة بعدوى الثورة إلى جانب ثمانية دواوير لازالت خاضعة كلية للثورة و تنتظر المعالجة³.

¹ - أنظر الملحق رقم : 94، (pièce n° 7).

² - أنظر الملحق رقم : 94، (Piece n° 3).

³ - أنظر الملحق رقم : 94، (Piece n° 3).

النتائج أعلاه كانت بدورها ترجمة شبه حتمية لنشاط نفسي مكثف متعدد الأشكال طبقته الأجهزة النفسية للعملية بيلوت على السكان. فهذه الأجهزة، لم تأل جهدا أو وسيلة إلا وظيفتها للتأثير عليهم لقبولهم ضد الثورة. نشاط هذه الأجهزة و إن كان يعتمد ظاهرا على الدعاية باستعمال المناشير و الملصقات و الجرائد و السينما و إمطار السكان بالخطب من خلال مكبرات الصوت في الأسواق و نقاط التجمُّعات، بما في ذلك تقديم مختلف «المساعدات» الصحية و الاجتماعية لهم، فإنه كان في عمقه يعتمد على شاشة خلفية قائمة من الخوف و الرعب اللذان زرعتهما مختلف أساليب القمع و القهر الوحشي التي وظيفتها الجيش الفرنسي ضد السكان و التي لم يكن ليتردد في توظيفها عليهم مرة أخرى متى اقتضت الحاجة ذلك.

نشاط هذه الأجهزة مس ما بين 60 إلى 70% من مجموع سكان القاطنين في مجال العملية بيلوت، ولكنه لم يكن فعالا إلا على ما نسبته 25% منهم. فمثلا بالنسبة للمناطق التي تم القيام فيها بنشاط نفسي فعال على السكان فقد تم تسجيل نتائج ملموسة: ففي الأيام الأولى لتطبيق النشاط النفسي كانت المناشير و الملصقات تمزق بمجرد توزيعها و إصاقها؛ و كانت الخطب عبر مكبرات الصوت تكاد لا تُسمع و في أحيان كثيرة تُقاطع؛ و كان السكان يتجنبون الدخول في اتصال مع القوات الفرنسية بل و يفرون بمجرد رؤيتها؛ كما كانت التجمعات السياسية لا يتم حضورها إلا قهرا و بالتالي كان توارد المعلومات العفوية قليلا و نادرا. و لكن بعد ثلاثة أشهر من بدء العملية، لم تعد المناشير تقرأ فقط و لكن أصبحت أيضا يحتفظ بها كما لم تعد الملصقات تمزق؛ و أصبحت الخطب عبر مكبرات الصوت و التجمعات السياسية تجتذب مستمعين أكثر و تتم متابعتها باهتمام أكبر؛ كما أصبح من السهل على القوات الفرنسية بعث الاتصال مع السكان الذين لم يعودوا يفرون لرؤيتها، و أصبح بالتالي توارد المعلومات يتم بشكل أكثر غزارة و إن كان غالبا مع شيء من التأخير، الذي كثيرا ما حال دون استغلالها و الاستفادة منها في الوقت المناسب¹.

نتائج العملية في مجال «مساعدة» السكان

و لأن العملية بيلوت رقم 1 هي عملية حربية شاملة تنشُد أن تكون ردا شاملا لأسلوب الحرب الثورية، فإن الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية قد حظيت بما تستحقه من الاهتمام. فإلى جانب المساعدة الاجتماعية و الطبية المقدمة للسكان و إعادة فتح المدارس، قام الجيش بفتح عدة ورشات لتشغيل جموع العاطلين. ففي ما بين شهري مارس و جوان 1957 قام الجيش بافتتاح ما لا يقل عن عشرين ورشة في الشهر شغلت ما لا يقل عن 1200 عامل شهريا. هذه الورشات كانت في مجملها إما سكنات جزائريين تم حشدهم حول معسكرات الجيش الفرنسي، أو تهيئة و إصلاح لعدد من المسالك لتسهيل عملية توغل الجيش الفرنسي نحو مختلف الدواوير، أو تهيئة لبعض الأرضيات المخصصة لاستقبال و إقلاع الطائرات الصغيرة، أو مد لشبكة توزيع الماء. و قد عرفت مصالح الاستعلامات العسكرية كيف تستغل هذه الورشات بجعلها مصدرا لا ينضب لاستيقاء المعلومات و رصد الحالة النفسية عند السكان : فمثلا كان كل مرور أو اتصال لمجاهدي جيش

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience "Pilote" au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 /07/ 1957, p. 9-10.

التحرير بالسكان يترك أثره دائما على هؤلاء و يسجل بانخفاض محسوس و ملفت للانتباه في عدد الملتحقين منهم بالورشات في اليوم التالي¹.

نتائج العملية بيلوت في مجال نسج تنظيم موال لفرنسا و تنظيم السكان في فرق الدفاع الذاتي

العملية بيلوت كان من بين أهدافها أيضا إحصاء السكان، و هي عملية مست أهم المراكز الحضرية و لكنها لم تمس إلا 30% من السكان المتمركزين بوادي الشلف. أما في مجال زرع و نسج التنظيمات الموازية الصديقة التي تعمل على منوال تنظيم جبهة التحرير الوطني فقد تم تشكيل تسع و أربعين جماعة (مجلس دوار)² جرى تنصيبها في تسرع ظاهر و في بهرجة دعائية تتنافى و السرية المطلوبة لنجاح مثل هذه الأعمال. كما جرى تنصيبها أيضا دوغما تحر و تدقيق في دوافع السكان بين ما هو « التحاق صادق بفرنسا»، و بين ما هو مجرد «طلب حمايتها». فالذي كان يهم القيادات المحلية بالأساس هو تحقيق نتائج علنية، سريعة و باهرة (des bilans !)³. أما بالنسبة لعملية تنظيم السكان في فرق للدفاع الذاتي فقد تعثرت بعض الشيء بسبب عدم التمكن من القضاء نهائيا على وحدات جيش التحرير النشطة بالمنطقة و التي كانت هي الأخرى على قدر من القتالية و البأس⁴.

نتائج العملية بيلوت في مجال البحث عن القيادات المستقبلية

أما في مجال اختيار و انتقاء "المحافظين السياسيين"، كعناصر مرشحة مستقبلا للاضطلاع بمسؤوليات قيادية في وسطها الأصلي بعد الحصول على تكوين خاص، فقد تم العثور على سبعة و أربعين مرشحا، من بينهم خمسة فقط يتوفرون على المواصفات المطلوبة و بإمكانهم تقديم خدمات حقيقية، أما الباقي فكلهم يتوفرون على مؤهلات متواضعة إن لم نقل رديئة. أسباب سوء الاختيار هذه تعود في مجملها إلى المناخ العام الذي أحاط العملية في بدايتها، مناخ ميزه انقطاع في الاتصال بين الجيش و السكان و عدم تحقق تعاون كاف بين الضباط المنتقلين من جهة و القيادات العسكرية المحلية و ضباط لاصاص من جهة أخرى، مما حال دون اكتشاف العناصر المناسبة. فقد كانت الذهنية السائدة عند هؤلاء، أي القيادات العسكرية المحلية تغفل «الجانب البناء» في العملية بيلوت و المتمثل في نسج تنظيم صديق موال لفرنسا و يخضع لمراقبة و إشراف الجيش. و بالتالي، فقد جعلوا من مسألة البحث عن عناصر قيادية مستقبلية مسألة يناط أمرها بالمختصين وحدهم من العاملين بالمكتب النفسي الإقليمي للمنطقة العاشرة. و إذا كان هذا الأمر قد تم تدراكه لاحقا، بدليل أن عناصر الدفعة الثانية من المرشحين كانت أحسن بكثير من سابقتها، فإن عملية زرع هؤلاء المرشحين - الذين أصبحوا مسؤولين بعد تكوينهم- قد أفرزت بدورها مشاكل جمة لا تقل صعوبة عن مشكلة اختيارهم : فإنعدام التعليمات الواردة من القيادة العليا بشأن إعادة زرعهم و توظيفهم و تحريكهم قد ألقى

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience "Pilote" au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 /07/ 1957, p. 12.

² - المصدر السابق، ص. 11.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Ordre du jour de la conférence du 13 mai 1957, (sans date et sans référence), p.1.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience "Pilote" au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 /07/ 1957, p. 16.

مسؤولية كل ذلك على عاتق الضباط المتنقلين، يساعدهم في ذلك بعض ضباط الوحدات و ضباط لاصاص. لكن كثرة الأعباء عند هؤلاء و قلة تحضيرهم للقيام بهذا النوع من المهام قد جعلهم يباشرون ذلك وفق اجتهاداتهم الخاصة، مكتفين في إشرافهم على هؤلاء المسؤولين على القيام بمتابعتهم عن بعد، كما اقتصرنا في توظيفهم و استغلالهم على جعلهم مجرد مخبرين و وشاة للحصول على المعلومات أو جعلهم، في أحوال أخرى، مجرد أعوان للدعاية و الترويج لبعض الشائعات، غير ساعين في الوقت نفسه إلى تحقيق مردودية قصوى من عمل هؤلاء بدفعهم لنسج تنظيم سري مماثل لتنظيم جبهة التحرير بوسطهم كما هو مقرر ضمن أهداف العملية¹. و لأهمية هذه "التجربة"، أي البحث عن مسؤولين مستقبليين لتكوينهم و إعادة زرعهم بوسطهم الأصلي ليكونوا أداة لضرب الثورة و تطبيق سياسية فرنسية على المدى البعيد، فإن التربص الأول الذي نظم لتكوين أول دفعة لهذه الغاية يحتاج إلى وقفة خاصة.

التربص الأول لتكوين « المحافظين السياسيين »

انطلق أول تربص لتكوين مسؤولي السكان أو الدواوير - و هو التربص الذي أطلق عليه اسم "التربص الأول لتكوين الطلاب الفرنسيين المسلمين الرتباء"² - في الثالث و العشرين من شهر أبريل سنة 1957 و استمر إلى غاية الثالث من جوان من السنة نفسها، بمركز تكوين صغير، أشبه بالمعسكر، أنشئ في ظل مركز التدريب على حرب التهذئة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزيو (C.I.P.C.G.). و قد ضم هذا التربص الأول سبعة و أربعين متربصا، تم انتقاؤهم في الظروف أعلاه، و كانوا يتمتعون بالموصفات التالية:

- أولا شعور صادق بالولاء لفرنسا، فأغلبهم هم إما عسكريون قدماء في الجيش الفرنسي، أو حركة، أو موظفون في الإدارة الفرنسية أو من سكان المحتشدات.
- ثانيا حمل أغلبهم لحقد دفين للثورة، بسبب أعمال تكون قد ارتكبتها في حقهم.
- ثالثا سمعة جيدة و سلوك قويم، و إن لم يُعدم بينهم بعض أصحاب السوابق، كبعض اللصوص و القتلة المأجورين و بعض القوادين (souteneurs).
- رابعا إرادة جيدة تدعمها روح انضباط عالية، و بالأخص رغبة قوية للتعلم بسرعة.

لكن هذه "المواصفات الجيدة" قد قابلتها عيوب حقيقية أهمها:

- أولا حالة صحية متدهورة عند أغلب العناصر أثرت بشكل سلبي على وتيرة التكوين. فخلال الأسابيع الستة للتربص تم تسجيل أربع و ثمانين تدخلا طبيا مبررا.
- ثانيا مستوى تعليمي جد متدنٍ: فمن بين السبعة و الأربعين مترشحا كان هناك مترشحان اثنان فقط بحوزتهما الشهادة الابتدائية، و عشرة مترشحين فقط يمكنهم بصعوبة قراءة و كتابة الفرنسية، في مقابل تسعة و عشرين متربصا في حالة أمية كاملة.

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan Opération " Pilote ", par le Capitaine J. GUYOMAR, Officier Itinérant, (sans date et sans référence), p. 2 et 3..

² - Premier stage des élèves gradés Français- Musulmans

- ثالثا نقص في الانسجام بين المترشحين مرده إلى عوامل عدة أهمها:

- أولا فوارق كبيرة في السن تتراوح من الواحد والعشرين سنة إلى الستين سنة، مما جعل "حماس الشباب" يصطدم في أحيان كثيرة بـ "تحفظ الشيوخ"؛
- ثانيا حذر متبادل بين المترشحين لأن عدد منهم كانوا يعرفون بعضهم البعض و يخشون لذلك افتضاح أمرهم في حالة انكشاف العملية؛
- ثالثا وجود بعض المعوقات، التي من بينها : ارتفاع معدل سن المترشحين الذي بلغ ثلاثا وثلاثين سنة، مما سلب التريص شيئا من دينامكيته؛ ثم تعدد مشاربهم و طغيان العنصر الريفي عليهم، الذي - لأسباب نجهلها - لم يتفاعل جيدا مع التكوين، فاستحق الوصف بأنه « متحفظ و ذو تفكير أرض-أرض و لا يتفاعل مع الأفكار ». يضاف إلى كل ذلك وجود غايات نفعية و مصلحة واضحة لدى عدد منهم: فهم لا ينشدون "خدمة القضية" بقدر ما ينشدون الحصول على منصب عمل قار و مريح يُوقر لهم و لأسرهم اللقمة و الأمن. و أخيرا افتقاد أغلبهم، أي المترشحين، للإشعاع و الهيبة اللتان تستوجبهما مهامهم المستقبلية و تجعل منهم زعامات حقيقية تُحرّك الجموع و تفرض نفسها على الناس : فمن أصل سبعة و أربعين متربصا هناك عشرة متربصين فقط يتوفرون على المؤهلات اللازمة للزعامة و القيادة¹.

مدة التكوين تم تقسيمها إلى ثلاثة فترات: الفترة الأولى و كانت مدتها ثمانية أيام، خصصت لغسل دماغ المتربصين مما يكون قد علق بهم من شوائب « تسميم » الثورة. أما الفترة الثانية و كانت مدتها اثنين و عشرين يوما، فخصصت لتناول و ترسيخ الأفكار الخاصة بـ « الجزائر الجديدة ». أما الفترة الثالثة و كانت مدتها عشرة أيام، فقد تم تخصيصها لتقديم تكوين عملي و تطبيقي. أما بالنسبة لبرنامج التكوين فقد قام بضبطه المكتب النفسي الإقليمي و كان يتكون من أربعة أقسام تتناول تقديم تكوين سياسي و عسكري، مدني و أخلاقي، بالإضافة إلى قسم خامس خصص لتناول مسائل متفرقة².

القسم السياسي من البرنامج خصص للتمكين لعدد من الأفكار بهدف غسل أدمغة المتربصين و منحهم مثلا أعلى يمكنهم القتال من أجله، متمثلا في القتال دفاعا عن « المجموعة الفرنسية الجزائرية في الإطار الأوروبي-الإفريقي (Eurafrique) ». كما خصص هذا القسم أيضا لتدريب المتربصين على استعمال بعض الطرق و الأساليب البسيطة التي يمكن توظيفها في محاربة الثورة. هذه الأساليب منها ما هو عسكري، كالبحت عن المعلومات و تبليغها بطريقة سريعة و منها ما يتعلق بالدعاية كبلورة محاور و شعارات دعائية بسيطة و موضوعية و تنظيم جهاز للدعاية على مستوى الدوار. علما أن المستوى المتدني للمتربصين قد حال دون طرق بعض المحاور و الإكتفاء فيها على عموميات دون أي طابع سري: «فقد كان من غير المجدي، بل

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Rapport du Capitaine Jacques GUYOMAR sur le fonctionnement du stage d'élèves-gradés Français- Musulmans du 23 Avril au 3 juin 1957. Orléansville, le 4 juin 1957, 12 p., p. 1-2.

² - المصدر السابق، ص. 3-4.

و الخطير إطلاع كل المتربصين على الأساليب و الأهداف الحقيقية للتنظيم - [أي كما وردت في الوثيقة سرفييه] - «¹.

أما بالنسبة للقسم العسكري من التكوين فقد خصص لتدريب المتربصين على استعمال بعض الأسلحة اليدوية، كالمسدسات و أسلحة الصيد و القنابل اليدوية. غاية التكوين هنا هي منح المتربصين الثقة في أنفسهم. أما بالنسبة للقسم الخاص بالتكوين المدني فقد تم التركيز فيه على تناول واجبات و حقوق المواطن بالإضافة إلى مفاهيم عامة حول التنظيم الإقليمي للقطر.

القسم الخاص بالتكوين الأخلاقي تم التركيز فيه على تعريف المتربصين بـ « المواصفات الأخلاقية المطلوبة التي تجعل منهم قدوة و مثلاً يحتذى به غيرهم من مواطنيهم في إطار الجزائر الجديدة ». حيث تتمثل هذه المواصفات في : أولاً التحلي بـ « التضامن » مع جميع « المواطنين » على اختلاف أعراقهم و دياناتهم. ثانياً التحلي بروح « المقاومة » ضد الثورة و ضد « الأراء و الأحكام الرجعية » من أجل انتصار الجزائر الجديدة. ثالثاً التحلي باليقظة، تجاه الذات و تجاه « أعداء الشعب الجزائري ». رابعاً التحلي بالطهر و الاستقامة في السلوك و الولاء للمسؤولين، و النزاهة في الحكم و التفاني في العمل².

أما بالنسبة للقسم الخاص بالمتفرقات فقد خصص لتقديم حصص يومية لتعليم الكتابة للمتربصين، و تعليمهم كيفية الإمضاء و تطوير معارف بعضهم الآخر ليستعينوا بها عند اللزوم في تحرير رسائل خاصة بالمعلومات. كما تضمن أيضاً تقديم بعض المبادئ الكشفية، كتقديم بعض الإسعافات الأولية و نقل الجرحى و احترام بعض شروط الصحة و النظافة.

في هذا البرنامج، كانت منهجية التعليم تعتمد على عملية توليد الأفكار من خلال تناول حالات معينة و مناقشتها لاستخلاص نتائج بسيطة و دقيقة منها. كما كانت تعتمد أيضاً طريقة النقاش الجماعي الموجه داخل المجموعة الواحدة ثم بين المجموعات، بما يساعد على خلق ضمير جمعي متسق و موحد بين الجميع. كما تم تدعيم هذا البرنامج بخصص ترفيهية و ترويجية، حُرص على ربطها ما أمكن بالبرنامج. كالعروض السينمائية و المسرحية التي كانت غالباً هادفة و موحية.

نتائج التربص على المتربصين كانت كالاتي:

فبالنسبة للجانب الأخلاقي، وعى المتربصون « ضرورة الوحدة و الاتحاد بين كل العناصر المكونة للشعب الجزائري ». و هي فكرة اعتنقوها بسرعة. و لكن، لأنهم واعون أيضاً بأنهم يعيشون تجربة استثنائية و خاصة، فقد عبروا عن خشيتهم من افتقادهم لهذا الجو الأخوي الذي عاشوه بالمعسكر بمجرد عودتهم إلى مسقط رأسهم لدى الفرنسيين الآخرين من مدنيين و عسكريين. و بالمقابل، أصبح مفهوم التضامن في مجال القتال ضد الثورة و التعاون من أجل بناء الجزائر الجديدة واضحاً للجميع. فالآن، الكل يعلم بأنه لا مكان للبقاء على الحياد أمام الأحداث الحالية. و بالرغم من أن روح القتال لم تمانح إلا جزئياً نفوس أولئك الذين

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 4.

² - نفس المصدر السابق، ص. 3.

جاؤوا بحثا عن المنصب المريح و اللقمة و الأمن، فإن هناك عناصر أخرى من طراز أعلى، بدا واضحا بأنها عاقدة العزم على العمل و الانتقال إلى مرحلة التنفيذ. هذا، و قد بذل المتربصون خلال التربص جهودا حقيقية للتحلي بالصفات الخلقية المطلوبة كالاستقامة و النزاهة و التفاني وغيرها... و إن سُجل عليهم، و بغرابة، يأسهم في امكانية نقل هاته الخصال إلى مواطنيهم بما يُحوّهم هم أيضا إلى أناس جدد في خدمة الجزائر الجديدة¹.

أما بالنسبة لنتائج التربص على المتربصين في المجال السياسي، فإن عملية غسل دماغهم لتخليصهم من «التسميم» كانت سريعة. و هو ما حرر بدوره كل الأحقاد المتراكمة في نفوسهم ضد الثورة منذ أكثر من عامين. كما بدا الحضور الفرنسي في الجزائر ضرورة واضحة للجميع، و حظيت الإنجازات الفرنسية بالجزائر بالاعتراف و الإكبار. كما تابعوا بتفصيل و اهتمام كبيرين الأسس الجديدة التي ستبني عليها "الجزائر الجديدة"، حيث كان تناول الإصلاحات الجارية و المستقبلية و ضرورة تحقيق تنمية زراعية و صناعية، بما في ذلك ضرورة تغيير الذهنيات و العادات و الممارسات (les mœurs)... كانت كلها ماثرا لنقاشات مثيرة بين المتربصين. فالآن، كل المتربصين مقتنعون و معتقدون في الغايات البناءة التي تعمل فرنسا على تحقيقها في الجزائر، بمعنى أن المتربصين هم الآن محصنون بما فيه الكفاية ضد دعاية الثورة و لهم الحجج اللازمة لدفعها و الرد عليها. و بالرغم من كل هذه النتائج الايجابية فقد كان من الصعب جدا تلقين العناصر الريفية من المتربصين -«ذوو الطبع الجلف (fruste) و المتحفظ، و التفكير أرض-أرض، و الذين لا يتفاعلون بسهولة مع الأفكار»- مثلا أعلى يقاتلون من أجله. كما أن أغلبهم لم يع بعد أن العمل الذي تباشره فرنسا الآن لا يناط بها وحدها و إنما تناط مسؤوليته بجميع سكان الجزائر. لا يستثنى في ذلك إلا العناصر الشابة و الحيوية من المتربصين الذين عرفوا كيف يجدون في "الجزائر الجديدة" مثلا أعلى يمكنهم العمل و القتال من أجله².

نتائج التربص على المتربصين بالنسبة للقسم المدني تميزت باهتمام كبير أبداه هؤلاء لمختلف المواضيع المطروقة، و إن أبدوا صعوبة ظاهرة في فهم طريقة عمل البلدية. صعوبة رسخت القناعة لديهم بأن المسلمين - أي الجزائريين - ليسوا بعد في مستوى تسييرها بمفردهم، بما يعنيه ذلك أن دعم الأوروبيين و مساعدتهم، و بالتالي حضورهم و تواجدهم، هما ضرورتان ملحتان أكثر من ذي قبل. أما بالنسبة للقسم العسكري من التكوين، فإن أغلب المتربصين كانت لهم القدرة على استعمال السلاح، كما تفرّد بعضهم بمهارات خاصة في فن الرماية³. تلك هي إجمالا نتائج التربص على المتربصين. و هي نتائج كانت في مجملها «إيجابية و مشجعة» لقيت الارتياح و الرضى عند القائمين عليه لولا المستوى المتدني للمتربصين. لذلك كانت هذه التجربة مناسبة للوقوف على النقائص و استخلاص الدروس تحضيرا لتربصات قادمة⁴. علما أنه بتاريخ 08 سبتمبر 1957 صدرت

¹ - نفس المصدر السابق، ص. 7.

² - نفس المصدر السابق، ص. 7.

³ - نفس المصدر السابق، ص. 8.

⁴ - نفس المصدر السابق، ص. 10-12.

تعلّمة خاصة حددت كلفيات إعادة زرع و توظف هؤلاء المتربصين بوسطهم الأصلي، و هو ما فصلنا فله القول فف الفصل الرابع.

نتائج العملية ببلوت فف مجال تشكيل فرق الحركة

تمثل عملية تشكيل فرق للحركة، إلى جانب نسج التنظيمات الهرمية الموازية بين السكان، هدفين استراتيجيين من صميم أهداف العملية ببلوت 1. فالأمر بالنسبة للفرنسيين يتعلق بإخراج السكان من موقف « الصمت و الانتظار» و جرهم إلى اتخاذ موقف علني و حاسم لصالح فرنسا، بحملهم السلاح ضد الثورة و دخولهم معترك الصراع إلى جانب الجيش الفرنسي.

فعند انطلاق العملية ببلوت لم يكن فف مجال هذه العملية إلا فرقتان من فرق الحركة هما: حركة بني بودوان تحت قيادة الباش آغا بوعلام، و التي تشكلت فف أواسط سنة 1956 و بلغ تعداد عناصرها الستون و المائة (160) رجلا مسلحا؛ و حركّة بومعد ذات التكوين المتأخر و التي بلغ تعدادها التسع و ثلاثين و مائة (139) رجلا مسلحا. و فف أثناء العملية ببلوت تم هيكلة هاتين الحركتين فف كتيبتين اثنتين، حيث أخذت حركة بني بودوان تسمية "قوم بوعلام" و أصبحت تضم أربعين و مائتي (240) رجلا مسلحا، مع إمكانية رفع هذا العدد إلى عدد أكبر، إذ طلب الباش آغا بوعلام إدماج ثلاثين و مائة (130) عنصرا من عناصر الدفاع الذاتي فف هذه الكتيبة. أما بالنسبة للكتيبة الثانية و هي كتيبة حركة بومعد فقد تراجع عدد عناصرها إلى عشرين و مائة عنصر (120) كما تم تطيرها بضباط فرنسيين. و إلى جانب هاتين الكتيبتين، تم إضافة كتيبة ثالثة هي كتيبة لودالوز (Loudalouze)، التي بلغ تعدادها الأربعين و مائة (140) رجلا مسلحا¹.

إلى جانب هذه الكتائب الثلاث، يمكن إضافة تشكيلة مسلحة أخرى كانت تحمل تسمية " القوة ك " ؟ (la force K) التي تشكلت بمبادرة من أحد الضباط و بلغ تعدادها الخمسة و الستين و أربعمائة رجلا مسلحا (465)، تسليحا ضعيفا و غير كامل. هذه التشكيلة كانت تتخذ كمجال نشاط لها مراقبة المنطقة السهلية الواقعة جنوب مدينة الشلف، ما بين العطاف و جبل دوي².

كإجراء احتياطي، تم حشد عائلات الحركة و تجميعها حول مراكز الجيش لتحقيق غايتين مزدوجتين هما حماية الحركة و عائلاتهم و فف الوقت نفسه اتخذ هذه العائلات رهينة و ضمان فف يد الجيش يحولان دون وقوع مفاجآت غير سارة من عناصر هذه التشكيلات. و هو إجراء بدت فعاليته جلية واضحة: فإلى جانب الولاء التام لهذه التشكيلات لم تسجل علي عناصرها أي حالة من حالات الفرار. أما بالنسبة لمساهمة هذه التشكيلات فف المجهود العسكري الفرنسي، فإن حداثة تكوينها و ضعف تسليحها قد أديا إلى الاكتفاء فف توظيفها على استعمالها كقوات طلائعية و استكشافية فف الميدان، تعمل تحت مظلة الوحدات التي تتحملها، و هو دور حظي كثيرا برضى القيادة الفرنسية. أما خارج العمليات، فكان يستعان بها لتحقيق مراقبة محكمة

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Annexe n° 12 : Opération " Pilote " - évolution de la situation des harkas, (s. d.), p.1.

² - المصدر السابق، ص. 2.

للدواوير و الحصول على المعلومات، بما يسمح للجيش الفرنسي بالتدخل و إصابة أهدافه بسرعة و بدون كلفة تذكر. و هذا عدا عن الأثر النفسي الذي كان لهذه الفرق في تحقيق انخراط السكان في صف فرنسا¹. بحلول الأول من جويلية من سنة 1957 بلغ إجمالي تعداد العناصر المقاتلة في فرق الحركة، سواء تلك التي تم تعزيزها أو تلك التي تم إنشاؤها في إطار العملية بيلوت، ست و عشرين و سبعمائة و ألف (1726) رجلا مسلحا². و كان من الممكن رفع هذا العدد قبل حلول نهاية السنة إلى ثلاثة آلاف رجل، لتصبح فرق الحركة تمثل ما نسبته 15% من مجموع القوات العاملة بالمنطقة³. تلك هي إجمالا أهم نتائج العملية بيلوت رقم 1 التي وقفنا عليها. و حتى نظفر بنظرة أوضح لتطبيق هذه العملية على أرضية الميدان، ارتأينا تناوؤها من خلال بعض "العينات" الميدانية التي كانت مجالا لتطبيق هذه العملية بكل من القطاع العسكري لتنس و القطاع العسكري لثنية الحد و دوار درابلية. هذه "العينات" لا تستجيب لانتقاء معين و إنما فرضها توفر المادة لا غير.

عينات محلية لوقائع تطبيق العملية بيلوت على أرضية الميدان

وقائع العملية بيلوت بقطاع تنس

قبل بداية العملية بيلوت كانت ملامح الوضعية العامة بقطاع تنس تتشكل كالتالي : المنطقة هي منطقة نشاط حيوي للثورة، فالتنظيم الثوري متجذر بقوة بين السكان و يوظفهم تأطيرا جيدا. و بالمقابل كانت وحدات الجيش الفرنسي العاملة بهذا القطاع غير فعالة، ينقصها التأطير و تجهل قواعد الحرب الثورية و آساليب الرد عليها. و كانت في مجملها متشككة في نجاعة السلاح النفسي، مما جعلها لا تعير اهتماما لبعث الاتصال مع السكان. و لهذا السبب كانت العلاقات معهم شبه معدومة، و هو ما صعب لاحقا عملية البحث عن مسؤولين جدد. أما بالنسبة للعلاقة بين الجزائريين و الأوربيين من سكان هذا القطاع فقد كانت تميزها هوة عميقة ما فتئت تتسع مع مرور الأيام⁴.

بعد تنفيذ العملية بيلوت لم تتغير أوضاع هذا القطاع كثيرا، فالنتائج المحققة لم تزد عن 20% عما كان منتظرا : فبالنسبة لعملية تفكيك التنظيم الثوري بالقطاع فإنه لم يتم تحقيق نتائج مهمة إلا بشقه الشرقي و بالأخص بمنطقتي بني حواء و سُحالية (Beni Haoua et Soualias). أما بالنسبة لشقه الغربي فقد بقي على ما كان عليه ما عدا منطقة فرومونتان بعش (Fromentin Baach). أما بالنسبة لعملية البحث عن مسؤولين فلم يكتشف منهم إلا تسعة عناصر، أربعة منهم فقط يمكنهم تقديم خدمات حقيقية⁵.

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - أنظر تفصيل تعداد هذه التشكيلات في الملحق رقم : 95.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Annexe n° 12 : Opération " Pilote " - évolution de la situation des harkas, (s. d.), p.3.

⁴ - SHAT, 1H 2536/d.1, Rapport du Capitaine de LA CROIX-VAUBOIS concernant l'Opération " Pilote" dans le secteur de Ténès, Ténès, le 9 juillet 1957, 2 p.

⁵ - نفس المصدر السابق.

هذه النتائج المتواضعة تعود في ضآلتها إلى أن العملية بهذا القطاع تمت في ظروف عمل غير موافقة : فالمكتب النفسي معزول عن طاقم قيادة العملية، المشكّل من المكتبين الثاني و الثالث فقط. كما أن روح التعاون و التنسيق بين مختلف الفاعلين تكاد تكون غائبة تماما : فهناك خلافات و شحناء بين المدنيين و العسكريين من جهة، و بين العسكريين و ضباط لاصاص من جهة ثانية، و حتى بين العسكريين أنفسهم. يضاف إلى كل ذلك، أن العملية لم تتلق الدعم و الدفع اللازمين من القيادة العليا. و لولا الدعم المقدم من بعض قادة الكتائب، الذين كانوا هم أنفسهم مدفوعين بتحريض من الضباط المنتقلين، لما تحقق شيء منها. علما أن هذه النتائج المتواضعة، على ضآلتها، قد حُشي عليها الاندثار ذلك أن « الأذهان لم تع بعد بأن بيلوت ليست مجرد عملية تأخذ حيزها من الوقت و تنتهي بانتهائه، بل هي أكثر من ذلك : إنها حركة في الزمن، طريقة عمل و روح أيضا». و لهذا السبب كانت هناك قلة قليلة فقط تدرك العلاقة الموجودة بين العملية ببيلوت و عملية البحث عن مسؤولين مستقبليين¹.

وقائع العملية ببيلوت بقطاع ثنية الأحد

بدأت العملية بهذا القطاع بتكثيف البحث عن المعلومات المتعلقة بالتنظيم الثوري. و هي عملية باشرتها أجهزة شتى في غير ما تنسيق كما اعترضتها مجموعة من الصعوبات تعود في جانب منها إلى نقص في عدد العاملين و في جانب آخر إلى صعوبات عمل ميدانية كصعوبة الأرض و مواقف العداء الصريح من جانب السكان. لذلك كانت النتائج في مجملها متواضعة كالاتي :

- معرفة جيدة و كاملة للتنظيم الثوري بدواوير مداد، حُبازة، ليرة، دوي حسيني، بني ناوري، إغود.

- معرفة جزئية للتنظيم الثوري بدواوير تيفيزيرت و هروات.

- معرفة ضعيفة للتنظيم الثوري بدواوير بني محرز، عين عنصر و تازة.

- معرفة منعدمة للتنظيم الثوري بدواوير عماري، روابح، بايزيد و بني لنت.

أما بالنسبة لمدينة ثنية الحد ذاتها فقد تم ضبط القائمة الكاملة للتنظيم الثوري بها. و لكن، و بالرغم من هذه المعرفة النسبية للتنظيم الثوري، فإن عملية تفكيكه لم تتحقق. ففي مجال توقيف عناصر التنظيم الثوري بهذا القطاع لم يتم توقيف إلا المحافظين السياسيين لدوار بني محرز و مدينة ثنية الأحد. في حين لم تمس باقي التوقيفات إلا عناصر بسيطة في التنظيم كعضء المكلفين بجمع الاشتراكات و التموين و بعض "الشوافة" و غيرهم².

أما بالنسبة لعملية القضاء على وحدات جيش التحرير الوطني العاملة بالقطاع، فإن النتائج الحقة ما بين السابع عشر من ديسمبر 1956 و الخامس من جويلية 1957 كانت كالتالي: القضاء على ثمانية و مائة (108) من المجاهدين؛ القضاء على ثلاثة من جامعي الاشتراكات؛ اغتيال ثلاثين (فارا؟)؛ القضاء على فدائي واحد؛ القضاء على ثلاثة من عناصر المراقبة و الترصد " شوافة "؛ توقيف ستة عشر مجاهدا؛ أسر ثمانية عشر

¹ - نفس المصدر السابق.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Bilan de l'opération Pilote menée dans le secteur de Téniete el Haâd jusqu'au 7 juillet 1957, Téniet el Haâd, le 7 juillet 1957, 5 p.

مجاهدا مجروحا؛ مراقبة الهوية لاثنين و ثمانين و ثلاثمائة و أحد عشر ألف (11382) شخص؛ و توقيف واحد و أربعين و مائة و ألف (1141) مشتبه فيها، من بينهم تسعة و عشرون و أربعمائة (429) تم إيداعهم السجن؛ و استعادة ثمانية بنادق من نوع كرايين (Carabine)، و ثمانية عشر بندقية حربية و ست و ستين و مائة (166) بندقية صيد، و خمسة مسدسات و سبعة عشر مسدسا أوتوماتيكيا بالإضافة إلى عتاد و ذخيرة و متفجرات أخرى¹.

أما في مجال البحث عن قادة مستقبلين فإن هذه العملية قد تعثرت بدورها لسببين: الأول هو عدم العثور على عناصر جديدة بالنقطة. و الثاني هو عدم النجاح في توقيف كل عناصر التنظيم الثوري الذي بقي قويا و بالأخص بالجهة الشمالية للقطاع. و حتى العناصر القليلة التي تم العثور عليها بمساعدة ضباط مكاتب لاصاص، تعذر تكوينها و إعادة زرعها بسبب انعدام الأمن. لذلك كان تحقيق أي نتائج مهمة في هذا الاتجاه يتوقف على أمرين اثنين هما: القضاء على التنظيم الثوري نهائيا بهذا القطاع و هو ما يقتضي توفير القوات اللازمة لتحقيق تطويق محكم لكل مناطق القطاع، و هو أمر كان يبدو صعب التحقيق؛ و الثاني هو تجميع السكان - و بالأخص سكان شمال القطاع- في محتشدات حول المراكز العسكرية بما يوفر الجو المناسب و الأمن للعناصر التي سيتم زرعها بين السكان. و هذا الأمر الثاني كان يبدو أيضا صعب التحقيق بسبب نقص الامكانيات².

أما بالنسبة لانتشار «روح العملية بيلوت» بين ضباط و جنود هذه العملية، فإن الأمر هنا هو أحسن بكثير مما هو عليه لدى قوات قطاع تنس. فالضباط الكوادر هنا هم غالبا مقتنعون و فاعلون بدرجات متفاوتة و يعملون في حدود الامكانيات المتاحة لهم، و هي امكانيات محدودة و ضعيفة، بالأخص في شمال القطاع أين يتوفر الثوار على مرتكزات استقرار قوية تدعمها أرضية صعبة التضاريس و يقطنها سكان فقراء متعاطفون مع الثورة و لهم نفاذية كبيرة لدعايتها³.

وقائع العملية بيلوت بدوار درابلية

بتاريخ 19 جويلية 1957، استيقظ سكان دوار درابلية - و هو دوار يتكون من ثلاثة عروش صغيرة هي : سيدي عبد القادر و درابلية و موسى بوحلوفة- على وقع مدهامة الجيش الفرنسي، الذي أحكم الطوق على دوارهم، ملقيا القبض على اثنين و عشرين شخصا، مشتبه في انتمائهم إلى التنظيم الثوري. و في حدود الساعة الثامنة و النصف قام الجيش الفرنسي بحشد سكان الدوار و تنظيم أول تجمع لهم. هذا التجمع حضره ما يقارب الخمسون و مائة رجلا و سبعون و مائة امرأة بصحبة أطفالهن. حضور الفرقة النفسية المكلفة بتنشيط التجمع أزاح مخاوف شتى في نفوس السكان و طمأنهم حول ما ينتظرهم. غاية هذا التجمع الأول كانت تتمثل في دفع السكان إلى تعيين لجنة من ثلاثة مسؤولين عن كل عرش، لتمثيل دوارهم لدى القائد

¹ - نفس المصدر السابق.

² - نفس المصدر السابق.

³ - نفس المصدر السابق.

العسكري بمديونة. مضمون التجمع دار حول محور : « لا تتركوا أنفسكم تؤكلون من طرف الذئاب، ساعدونا على حماية أرواحكم و أموالكم ». بالتوازي مع ذلك شرعت فرقان طيبتان، واحدة للرجال و ثانية للنساء تعمل بها مساعدة جزائرية، في تقديم فحوص و علاجات لكل منهما. و في الساعة العاشرة و النصف قامت إحدى الطائرات بعملية إلقاء للمناشير من الجو. ليتفرق الجميع عند الساعة الحادية عشر و النصف، أين ضرب موعد للرجال للعودة على الساعة الواحدة و النصف ظهرا¹.

أمسية ما بعد الظهر نشطها أحد الضباط المنتقلين لاستغلال النتائج المحققة خلال الفترة الصباحية. حيث دشن تجمعهم المسائي بإحداث صعقة نفسية قوية في النفوس، تمتل في الإفراج عن اثني عشر شخصا من بين الموقوفين الاثني و العشرين. و هو عمل أشاع جوا من البهجة و الحماس بين الحضور، الذين انطلقوا مصفقين و هاتفين، بحياة فرنسا: "تحيا فرنسا" "تحيا فرنسا"... و هو جو سهّل في الوقت نفسه عملية تعيين لجنة الثلاثة للدوار : فبعد أن تطوع اثنان من تلقاء نفسيهما، عُيّن ثالث آخر من طرف زملائه. جو الفرحة الذي ساد التجمع كان من القوة بحيث أنه حلّ عقدة بعض الألسنة: فيها هو أحدهم يطلب أسلحة لحماية الدوار ! و في أثناء ذلك طلب من طائرة من نوع ت 6 (T 6) - كانت تعبر الأجواء " صدفة " بالتحليق قريبا من الدوار لإبراز القوة العسكرية لفرنسا و هو ما كان له وقعه الكبير في النفوس. لينتهي التجمع بحلول الساعة الثالثة و النصف حيث أذن للحضور في الانصراف. لكن هؤلاء، و تحت وقع النشوة، لموا أماكنهم مشيعين عناصر الجيش الفرنسي و مطالبين إياهم بالعودة قريبا. أما النساء، فقد مكثن غير بعيد مترصدات مرور المساعدات الطبيّات لشكرهن بجرارة على ما قدمنه لهن من فحوصات و علاج. رد فعل السكان هذا رأى فيها المختصون نجاحا محضا للعملية و مؤشرا دالا على حدوث انقلاب حقيقي في نفوسهم، يبشر بتحقيق نجاحات مماثلة في المستقبل. و للتأكد من ذلك طلب من الفرقة السادسة للقناصة الإفريقيين (6^{ème} Régiment de Chasseurs d'Afrique) القيام بمراقبة عسكرية سرية للدوار ليلا و نهارا، كما طلب أيضا من ضابط الاستعلامات تتبع ردود فعل الثورة على هذه العملية².

بعد تسعة أيام من هذا التاريخ عاد الجيش الفرنسي بنفس المراسيم إلى الدوار لتنظيم تجمع ثان للسكان. تجمع هذه المرة حدد له كهدف رئيسي مناهضة دعاية الثورة و الرد عليها و الحصول على مساهمة السكان في عملية « الدفاع عن دوارهم ». و كالمعتاد، انطلق التجمع في الوقت المحدد له، حيث حضره ما يقارب الخمسين و مائتي رجل، من بينهم الاثني عشر شخصا المفرج عنهم و المسئولين الثلاثة عن الدوار، كما حضره أيضا عدد مماثل من النساء بصحبة أطفالهن. و بخلاف التجمع السابق كانت نفوس السكان هذه المرة أكثر ارتياحا، فالأمر بالنسبة لهم يتعلق بمجرد حصة للدعاية.

استهل التجمع بعرض بعض الأخبار المحلية و شرح بعض المحاور الدعائية التي دارت حول بعض الشعارات ك « قوة فرنسا و عزمها على البقاء في الجزائر » و شعار « عليكم أن تختاروا بين فرنسا و بين الثوار الذين سيجلبون لكم الخراب ». كما أُعيد في نفس الوقت تناول شعار « ساعدونا على الدفاع عنكم و

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Douar Drablia (KY 21 GH 3), juillet 1957, 5 p.

² - نفس المصدر السابق.

تحسين ظروفكم الحياتية» الذي تناوله الضابط النفسي للفرقة السادسة للقناصة الأفارقة شرحا و توضيحا. و كالمعتاد، قامت الفرقتان الطبيتان بتقديم فحوص و علاجات للسكان. أما بالنسبة لمساهمة السكان في عملية «الدفاع عن دوارهم» فقد استطاعت الفرقة النفسية أن تنتزع منهم الالتزام بقيام كل عرش بتعيين ستة من رجاله لتأمين الحراسة حوله. و في مقابل ذلك تقدم السكان ببعض المطالب لإنجاز بعض أشغال الري لتزويد الدوار بالماء الشروب، و الحصول على التعويضات المالية في مقابل الأضرار التي تكبدوها بسبب البرد. و هي المطالب التي وعد ضابط لاصاص بالنظر فيها.

بالرغم من هذه النتائج المحققة، و بالأخص «قبول» السكان المساهمة في الدفاع عن دوارهم، و ما قد يعنيه ذلك من عودة السكان إلى صف فرنسا، فإن الأمر غير ذلك تماما. فمند التجمع الماضي لم يُسجل ورود أي معلومة عفوية عن نشاط الثوار بالجهة، و الذي هو عادة - أي ورود المعلومات العفوية - المؤشر الحقيقي الدال على النجاح في مثل هذه الأعمال: «فالأفواه لا تزال مكتمة. و بالرغم من الأمن الذي توفره لهم الحماية العسكرية فالسكان باقون على سلبيتهم، لاندون بموقف الانتظار»¹.

تجُمع ثالث نظمه الجيش لسكان الدوار بتاريخ 28 جويلية، بهدف تقوية ثقتهم في فرنسا و إقناعهم بضرورة تأمين دفاعهم عن أنفسهم بأنفسهم. كما تم استغلال هذا التجمع أيضا لمناهضة دعاية الثورة القادمة من دوار قطار (؟)، أين توعد أحد مسؤولي جيش التحرير بمعاينة الدواوير التي تتعامل مع الفرنسيين. و بالرغم من كل المساعي التي قام بها القائمون على العملية، فإنهم لم يحصلوا على شيء يذكر من السكان، مما جعلهم يخلصون إلى أن «سلبية السكان» هي أصعب ما يواجههم في هذه العملية: «فهنا تعترضنا سلبية لا حدود لها لدى السكان. فهؤلاء يطالبون بحماية فعالة و في نفس الوقت هم لا يقومون بأي شيء للدفاع عن أنفسهم. و ما ذاك عن خوف صادر عن تهديدات جبهة التحرير بقدر ما هو صادر عن خور و كسل مميزين للطبع المسلم - [أي الجزائري] - الذي يلوذ بموقف الانتظار و يتقاعس عن التغيير»².

المبحث الثالث : تعميم العملية بيلوت إلى مناطق أخرى

على ضوء النجاحات المحققة في العملية بيلوت 1، تقرر باكرا، و مثل ما هو مسطر في التصور الأساسي لهذه العملية، تعميمها و مدها إلى مناطق أخرى لتمتد نتائجها و آثارها فيما يشبه بقعة الزيت و تعم كل ربوع الجزائر، حيث تقرر مبدئيا مدها إلى المناطق التالية :

- 1- إلى كل من متيجة و قطاع أومال (Aumale) التابعين للناحية العسكرية للجزائر الوسطى.
- 2- إلى كل من عمالة سطيف و جزء كبير من عمالة قسنطينة التابعين للناحية العسكرية للشرق الجزائري.

- 3- إلى عمالة مستغانم، التابعة للناحية العسكرية للغرب الجزائري³.

¹ - المصدر السابق نفسه.

² - المصدر السابق نفسه.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Fiche : Extension de l'Opération Pilote, (s. réf.), 4 avril 1957, 3 p.

تحضيراً لهذه العمليات تم القيام بعملية تحضيرية و تدريبية بقطاع الظهرة شمال منطقة الشلف، انطلقت بداية من شهر جوان و امتدت على مدى شهري جويلية و أوت. و هي عملية تم السعي فيها إلى الاستفادة من الدروس المكتسبة خلال العملية ببلوت 1 و في نفس الوقت تفادي الأخطاء و النقائص المسجلة خلال تنفيذها¹.

كما بادر الوزير المقيم روبرت لاکوست في بداية أوت 1957 إلى إنشاء " هيئة للدراسة و الإشراف على العمليات من نوع بيلوت ". هذه الهيئة، التي كانت تعمل على مقربة منه، تم ربطها بهيئة الأركان المشتركة المشكلة بين المدنيين و العسكريين. حيث حددت لها الاضطلاع بالمهام التالية :

- 1- إعداد التعليمات اللازمة و المتعلقة بالعمليات ببلوت المزمع تنفيذها.
- 2- القيام، بطلب من السلطات المدنية أو العسكرية، بدراسات أولية لتنفيذ مثل هذه العمليات بالمناطق التي تحددها هذه السلطات.
- 3- القيام، بمعية هذه السلطات، بتحديد جغرافي لمناطق تنفيذ هذه العمليات.
- 4- و بمعيتها أيضاً، تحديد خطة العمل الواجب تنفيذها
- 5- توفير الوسائل اللازمة و وضعها تحت تصرف هذه السلطات.
- 6- التنسيق بين عدة عمليات مختلفة يتم القيام بها في مناطق متعددة و في آن واحد بنفس الناحية العسكرية (Corps d'Armées).
- 7- مراقبة عملية تنفيذ هذه العمليات، و بالأخص حث مختلف المصالح المكلفة بتوفير مختلف الوسائل و تقديمها في الوقت المناسب للسلطات المشرفة على هذه العملية².

و للأسف، فنحن لا نتوفر على معلومات كثيرة حول العمليات التي تم تنفيذها لاحقاً في إطار تعميم العمل بالعملية ببلوت 1. و كل ما نعرفه هو أنه تم تنفيذ عملية أخرى باسم بيلوت 2، تم تنفيذها على منطقتين : الأولى، و تعرف في الاصطلاح العسكري الفرنسي بالمنطقة : ن.ك. 3 (N. K. 3)، و تشمل الجهتين الغربية و الجنوبية الغربية لمدينة الأخضرية، بالستروا سابقاً. و هي عملية انطلقت في شهر ماي 1957. أما المنطقة الثانية، فتعرف في الاصطلاح العسكري الفرنسي بالمنطقة ن.ك. 15 (N. K. 15)، و تشمل الأطلس البلدي و تابلاط و الشفة. لكننا لا نعرف شيئاً كثيراً عن نتائجها. و كل ما نعرفه هو أن مد العملية ببلوت إلى المنطقة ن.ك. 3 قد لقي معارضة السيد جون سرفييه الذي يكون قد اقترح منطقة بديلة أخرى بنواحي بوسعادة، و هو ما عمق - على ما يبدو- من هوة الخلاف بينه و بين السلطات العسكرية³. كما نعلم أيضاً أنه تم خلال هذه العملية توقيف ما عدده ثمان و سبعون و ستمائة (678) شخصاً أودعوا الإقامة الجبرية بمركز الفرز بالأخضرية. كما تم إلقاء القبض على سبعة و عشرين و أربعين (427)

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Etude sur la pacification dans le Dahra, 5^{ème} Division Blindée, Antenne Psychologique, (s. d. et s. réf.), 8 p.

² - SHAT, 1H 2536/d.1, Circulaire du Monsieur le Ministre de l'Algérie à Messieurs les I.G.M.E. et Préfets, n° 467- DGAP/Sp., Alger, le 7 Décembre 1957, 5 p.

³ - SHAT, 1H 2536/d.1, Note au sujet de Mr. Jean Servier en date du 20 Juin 1957, MG/EJ- 28.6.1957, p. 2.

مشتبه فيه سُلموا لمكتب لاصاص للإفراج عنهم، بعد تلقيهم لـ «معالجة خاصة» - أي غسل الدماغ- قبل الإفراج عنهم بمركز العبور بيني عمران. و يبدو أن هذه المعالجة كانت على درجة من النجاح، أكسبت المعتقلين منعكسا شرطيا جعلهم يرددون - و ذلك كلما ذُكر « الفلاف » - عبارة : « الله يلعنو »¹. و أخيرا، نشير إلى أن هناك عملية أخرى تم تنفيذها بمنطقة مستغانم في نهاية أوت 1957 و أطلق عليها اسم العملية بيلوت بالظهرة - و لعلها هي العملية بيلوت رقم 3 - و التي تكون هي الأخرى قد حققت عددا من النتائج².

تلك هي إجمالا العملية بيلوت 1 و ما ترتب عنها من نتائج مختلفة. و لا شك أن فتح أرشيفات جيش التحرير الوطني يوما ما سيسلط الضوء على العديد من الجوانب الخفية و غير المعروفة في هذه العملية، و بالأخص ما تعلق منها بردود فعل السكان و معها رد فعل جيش التحرير، الذي نتوقع أنه تأثر و تكيف أيضا في تنظيمه و أسلوبه لمواجهة هذه العملية.

¹ - SHAT, 1H 2536/d.1, Annexe : Action psychologique sur les retenus au cours opération N. K. 3, (s. d. et s. réf.), 4 p.

² - SHAT, 1H 2538/d.1, Instruction pour la pacification en Algérie, op. cit, p. 97- 100.

الفصل السابع : الثورة الجزائرية و رد فعلها على الحرب النفسية لفرنسا

الفصل السابع :

الثورة الجزائرية و رد فعلها على الحرب النفسية لفرنسا

المبحث الأول : « الحرب النفسية » للثورة الجزائرية

رأينا في الفصل الأول من هذه الدراسة أن الفرنسيين قد عزوا إلى الثورة الجزائرية السابق في مجال استخدام النشاط النفسي، باعتبار أن الحرب التي شنتها عليهم كانت حربا تعتمد في أسلوبها المنهج اللينيني في الوصول إلى السلطة باستخدام الإرهاب و حرب العصابات و الدعاية. جاعلين - أي الفرنسيين - من استخدامهم للنشاط النفسي و الحرب النفسية مجرد "رد فعل" على نشاطها في هذا الميدان¹. و هو ما يطرح منطلقيا مسألة تصنيف عمل الثورة في خانة الفعل أو في خانة رد الفعل؟ لكن إذا أخذنا في الاعتبار أن اندلاع الثورة الجزائرية كان في كليته رد فعل على الاحتلال أمكننا بسهولة وضع النشاط النفسي للثورة في خانة رد الفعل. هذا الاختيار تعززه و تدعمه مجريات الحرب التي عادت المبادرة فيها غالبا إلى الفرنسيين، الذين كانت لهم السيطرة الفعلية على أرضية الميدان، و كان لهم التفوق أيضا في الإمكانيات البشرية و المادية على الثورة، سواء كان ذلك في مجال الدعاية و الحرب النفسية أو في المجالات الأخرى.

الثورة الجزائرية، التي كانت واعية بهذا التفوق، كانت أيضا واعية بالحرب النفسية لفرنسا و بأبعادها و بالخطر الحقيقي الذي كانت تمثله بالنسبة لها و للشعب. تشهد بذلك العديد من المقالات المنشورة بجريدة المجاهد و منشور جيش التحرير وتقاريره حول مختلف أنشطة الجيش الفرنسي على السكان من تجمعات و خطب في الحشود والأسواق و منشور و أنشطة طبية و اجتماعية و غيرها. و في هذا المجال، حظي نشاط القسامات الإدارية المختصة - لاصاص - باهتمام و مراقبة خاصين من طرف أجهزة الثورة. هذا الوعي و هذا الاهتمام، نجد لهما انعكاسا و تجسيدا ملموسين في شيئين اثنين هما: أولا، إنشاء جهاز خاص و قائم بذاته للحرب النفسية، و ثانيا بلورة مذهب حربي في نفس المجال.

المطلب الأول : إنشاء جهاز للدعاية و الحرب النفسية

حسب الباحث شارل روبرت أجرون (Ch.-R. Ageron)، يكون جيش التحرير « قد اقتنع باكرا، و مند سنة 1956، بضرورة تنظيم "حرب نفسية" تعتمد أساسا على "دعاية هجومية" »². و بالفعل، تناولت مقررات مؤتمر الصومام مسألة الحرب النفسية، إذ جعلت أنشطة الحرب النفسية، والدعاية و الإعلام، و تربية السكان و تنظيمهم من صميم المهام المناطة بالمحافظ السياسي، الذي يتوجب عليه أن ينظم بكل القسامات (secteur) مصلحة للدعاية «لدحض أكاذيب وافتراءات ضباط لاصاص على المستوى

¹ - Maurice FAIVRE, *les archives inédites de la politique algérienne 1958- 1962*, op. cit., p. 79- 81.

² - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », in *La guerre d'Algérie et les Algériens*, Actes de la table ronde organisée à Paris, du 26 au 27 mars 1996, sous la direction de Charles-Robert Ageron, « Références » Histoires, Paris, Armand Colin, 1997, 341 p., p. 201.

الخلي « 1. و هو أمر مُوحى حول نظرة الثورة إلى الحرب النفسية الفرنسية، التي تجعل من ضابط لاصاص رأس الحربة فيها. كما تقرر إلى جانب هذا تمكين كل نواحي الولايات من آلة كاتبة و أخرى للسحب، وهو أمر شديد الدلالة أيضا على الأهمية المعطاة للدعاية المكتوبة، و بالأخص الدعاية بالمنشور، في دعاية جيش التحرير الوطني. علما أنه في نفس هذه المقررات، قد جرى الحديث أيضا عن "لجنة وطنية للدعاية و الإعلام"، التي يتعين على المحافظين السياسيين بكل مستوياتهم رفع تقاريرهم إليها لإخطارها بكل ما يقع بقسماتهم و نواحيهم و مناطقهم المكوّنة لولاياتهم من أحداث تتعلق بأعمال العدو و تجاوزاته، وانتصارات جيش التحرير الوطني، و معنويات الشعب، بما في ذلك كل مبادرة سعيدة يتم اتخاذها وتنفيذها محليا 2.

لأجل هذا، و من خلال ما سبق، يلاحظ أن المحافظ السياسي، و بالرغم من طابعه "السياسي"، يكاد يكون فعليا و حقيقيا هو الجهاز الذي كان بحوزة جيش التحرير للتصدي للأنشطة التخريبية و الهدامة للمكتب الخامس و الأجهزة الملحقة به. وهو ما يطرح آليا مسألة طبيعة الرد الذي تبنته الثورة في ردها على أنشطة الحرب النفسية للمكتب أعلاه : هل هو رد سياسي أم هو رد نفسي دعائي ؟ و هو ما سنحاول التعرّض له عند تناولنا للمذهب الحربي للثورة في مجال الحرب النفسية.

أما عمليا و في الميدان، فقد كانت "مصالح الدعاية و الإعلام" (S. P. I) المتواجدة بمختلف مستويات التنظيم الإداري-العسكري لكل ولاية تاريخية، هي الجهاز المكلف بالتصدي لدعاية العدو و الرد عليها. و هي مصالح متفرعة عن مصلحة الاستعلامات و الاتصال (R. L.). و هو ما يطرح التساؤل حول طبيعة العلاقة و أشكال التنسيق التي كان من المفروض أن توجد بينها و بين المحافظ السياسي. هذا الأخير، الذي كان لا يتبع فرع الاستعلامات و الاتصال و إنما كان يتبع الفرع السياسي في التنظيم الإداري للولاية. أما بالنسبة للمهمة المسندة لهذه المصالح فتتمثل في: « دراسة تكتيك العدو في مجال النشاط النفسي و مناهضته بكيفية دقيقة لا تحمل أدنى التفاصيل، بما يؤدي إلى إبطال دعائيه المغرضة و تقويض كل آماله في هذا المجال و فضح الوجه الحقيقي لفرنسا. -[كما كانت هذه المهمة تتمثل أيضا في] - شرح الحرب التي تقوم بها الثورة و رصد تطورها التاريخي و إثبات بأن الثورة في تقدم لا محالة نحو النصر النهائي و على جميع الأصعدة، و أن فرنسا في تقهقر مستمر على أرضية الميدان. و أن الشعب الجزائري قد عقد، وبصفة نهائية، العزم على النصر. وهو يعرف فرنسا بما فيه الكفاية حتى لا يغتر بوعودها و نواياها مرة أخرى [...]»³. كما كان يُنابذ بهذه المصلحة أيضا، إعلام الشعب بالسياسة الخارجية للثورة و تمكينه من شروح و تعاليق حول كل الأحداث التي لها صلة بالثورة، وذلك من خلال توزيع آلاف المناشير و القصاصات و النشرات و الجرائد، يوميا و في كل ربوع الجزائر. كما جرى أيضا بهذه المصالح إنشاء أقسام خاصة للقيام بالدعاية في اتجاه الجيش

¹ - Acheur CHEURFI, op. cit., p. 391.

² - المرجع السابق، ص. 392.

³ - C.A.N., G.P.R.A., b. 17.15.3, Analyse sur l'organisation politico-sociale de l'ALN, p. 4- 5.

الفرنسي بمختلف مكوناته : من جنود فرنسيين بالأصالة و مجندون جزائريون و مغاربة و أفارقة و ليفيف أجنبي. و كان يتم التوجّه لكل صنف من هذه الأصناف بدعاية تناسبه بهدف تحقيق عمليات فرار و التحاق من الجيش الفرنسي نحو جيش التحرير الوطني¹. و يبدو ظاهرا أن النشاط الدعائي لهذه المصالح، كان نشاط يعتمد أساسا على الدعاية المكتوبة، باستعمال المنشور و سحب بعض العناوين «الصحفية» المحدودة. أما بالنسبة للإمكانات المادية لهذه المصالح فيبدو، و هذا من خلال بعض الشهادات²، أنها كانت من الضعف و البدائية مما لا يدع أي مجال لمقارنتها أو مقاربتها بالإمكانات الفرنسية في هذا المجال.

المطلب الثاني : بلورة مذهب حربي خاص بالحرب النفسية

مما سبق يتضح جليا أنه كان لدى الثورة في الداخل جهازان للتصدي لأنشطة الدعاية و الحرب النفسية للمكتب الخامس: الجهاز الأول، و هو جهاز دعائي نفسي بحث، يتمثل في "مصالح الدعاية و الإعلام" التابعة للمصلحة الكبرى للاستعلامات و الاتصال؛ و الثاني، و هو جهاز سياسي بحث، يتمثل في "المحافظ السياسي" التابع للمصلحة السياسية الكبرى. و هو ما يدعو إلى التساؤل عما إذا لم تكن هذه الثنائية في الأجهزة هي انعكاسا لتداخل في المهام³، أو بالأحرى انعكاسا لغياب تصور واضح المعالم لدى الثورة حول الرد الواجب اعتماده في الرد على أنشطة الحرب النفسية و الدعائية للعدو؟ أي افتقاد الثورة لمذهب حربي للحرب النفسية، و بالأخص أن الثورة كثيرا ما عانت خلال مسيرتها من غياب مذهب معتقدي عام، يُرشد مسيرتها في مختلف المجالات.

و لكن الأمر غير ذلك تماما. فمنذ البداية كان يتوجّب على الثورة اعتماد واحد من خيارين اثنين هما: إما الرد على الأنشطة النفسية و الدعائية للمكتب الخامس و الأجهزة الملحقة به بأنشطة نفسية و دعائية مماثلة، و إما الرد عليها بنشاط سياسي. الخيار الثاني كانت تؤيده و تدعمه اعتبارات شتى أهمها : أولا أن الحرب التي يشنها جيش التحرير هي حرب ثورية تجعل من هذا الأخير أساسا «قوة ثورية ذات طابع سياسي تعمل و تناضل من أجل إحداث تحوّل عميق في المجتمع الجزائري»⁴. ثانيا أن المجاهد - جندي التحرير- قد انخرط بجيش التحرير بناء على اختيار سياسي منه، أي أن القناعة السياسية موجودة لديه، مما يجعل منه «جندي-مناضل»، و هذا بخلاف الجندي الفرنسي الذي هو مجرد «جندي-مواطن»، كما يجعل هذا أيضا من جيش التحرير «تجمّع لمناضلين في ساحة المعركة». و هو ما يعني أهمية إعطاء الأولوية للنشاط السياسي لتعزيز و ترسيخ هذه القناعات و تحويلها إلى قوة ديناميكية. فإذا قيل هذا، فإن المهمة المسندة لجيش التحرير هي مهمة مزدوجة: فبالتوازي مع الكفاح الذي يقوم به لتحرير الوطن فهو يعمل أيضا على تحطيم قدرات العدو، بما في ذلك النفسية منها. و هنا، و فقط هنا، يمكن الحديث عن استعمال "النشاط

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - Voir : Mohammed TEGUIA, L'Armée de Libération Nationale en Wilaya IV, p. 73- 75 ; voir aussi, Azzedine (Cdt.), Les Féllagas, op. cit., p. 161- 162.

³ - بعض التعليمات الخاصة بالدور المناط بالمحافظ السياسي نجدها تدرج نشاطي الدعاية و الإعلام و نشاط الحرب النفسية ضمن المهام

السياسية للمحافظ السياسي. أنظر: SHAT, 1H 2582/d.1, Directives Générales, en date de 30/11/1956,

(document récupéré à Ténès fin janvier 1957).

⁴ - C.A.N., G.P.R.A., b. n° 25.10, L'action politique de l'Armée de Libération Nationale Algérienne, signé Tewfik Bouattoura, Tunis, 18 septembre 1959, p.1 .

النفسي" الذي يجب أن يعمل على إضعاف -إن لم نقل القضاء- على القدرات المعنوية للعدو. و حتى هذا النشاط النفسي على العدو كان يجب تصوره و تطبيقه ضمن إطار النشاط السياسي ككل. ذلك أن الطبيعة الثورية للحرب التي يشنها جيش التحرير تفترض تحقيق تطور و مبادرة دائمين على المستوى السياسي، أين يكون النشاط النفسي مجرد أداة تُوظف لتحقيق ذلك¹.

و لكن هناك مستوى آخر يمكن فيه المزاوجة بين النشاطين، إنه مستوى الجماهير، أو بالأحرى الشعب: فالمزاوجة بين النشاطين في هذا المستوى من شأنها أن تحفظ الروح القتالية لدى الشعب كما من شأنها أن تزيد في تلاحمه مع الحركة الثورية عموما و جيش التحرير على وجه الخصوص. دور النشاط النفسي بهذا المستوى يتمثل في الحفاظ على المقاومة الشعبية متقدة، بينما يتمثل دور النشاط السياسي في تحويل هذه القوة العاطلة إلى قوة ديناميكية².

و من هنا فإنه يمكن الحديث عن مذهب حربي خاص بجيش التحرير في ميدان الحرب النفسية قوامه نشاط مزدوج، نفسي-سياسي، و دفاعي و هجومي في آن واحد : دفاعي من خلال تنظيمه للمقاومة الشعبية مجسدا إياها في شكل عدم تعاون كامل مع العدو. و هجومي من خلال توجُّهه نحو تحقيق الإنجازات السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية واستغلالها كعناصر استقطاب³. و يلاحظ على هذا المذهب الحربي للثورة بأنه و إن كان قد زواج بين النشاطين و لم يهمل النشاط النفسي فإنه مع ذلك قد خص النشاط السياسي بأولوية أكبر. و في هذا الصدد تمت، في أواخر سنة 1959، دراسة مشروع لإنشاء مصلحة للنشاط السياسي تتبع مباشرة لوزارة القوات المسلحة الجزائرية، التي كان سيكون من مهامها «تنفيذ تعليمات وزير القوات المسلحة في ميادين التربية و الإعلام و الدعاية السياسية في إطار جيش التحرير الوطني»⁴. كما تقرر تدعيم هذه المصلحة بمدرسة لتكوين المحافظين السياسيين⁵. مما يعني أن المحافظ السياسي كان و سيغدو رأس الحربة في معركة التصدي للحرب النفسية الفرنسية. و نظرا للأهمية التي يكتسبها هذا "الجهاز"، أي المحافظ السياسي، فإننا سنفرده بتناول خاص. و لكن و قبل ذلك، و تكملة لما سبق، سنحاول التعرض لمذهب الثورة في مجال الحرب النفسية : فما هي معالم هذا المذهب ؟

من بين المآثر التي سُحسب للولاية الخامسة التاريخية هو مبادرتها⁶ إلى بلورة مذهب حربي خاص باستعمال السلاح النفسي قائم على الدعاية. هذا المذهب تم ضبطه في وثيقة من حوالي عشرين ورقة سحبت في أواخر 1957 و وزعت

¹ - المصدر السابق، نفسه، ص. 2.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، ص. 4.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 96.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 97.

⁶ - تبدو الولاية الخامسة ولاية رائدة، إن لم نقل سباقة، إلى ترشيد الكفاح المسلح للثورة، من خلال ضبطه بنصوص و دراسات مرجعية أساسية كان يتم طبعها و توزيعها بمختلف مستويات التنظيم. مثال ذلك الوثيقة التي بين أيدينا و المتعلقة باستعمال السلاح النفسي و التي صدرت في حوالي عشرين صفحة بالعربية. كما توجد أيضا دراسة أخرى تتعلق بمكاتب لاصاص و مختلف أنشطتها الهدامة،

بمختلف مستويات التنظيم بالولاية بهدف « سد فجوة موجودة في كفاحنا ». الوثيقة تتحدث صراحة عن "حربنا النفسية" : فنحن الجزائريون - كما ورد في الوثيقة، « نملك بين أيدينا سلاحا مروعا و رهيبا قد حان الوقت لاستعماله. فلنحضر أنفسنا لذلك و لنعمل على نشره و استعماله و تحسين استغلاله. هذا السلاح هو الحرب "النفسية"، "حرب الأعصاب"، "الحرب الباردة"، "الحرب الخفية"، إنه "الدعاية" التي تقوّض تنظيم عدونا و تلحق به الهزائم المتتالية و تقضي على قواه و تحكم على مخططاته بالإفلاس و تجبره على الاستسلام »¹. السلاح النفسي للثورة هو سلاح من حدين، إنه دعاية تقوم على « البناء و الهدم » : البناء، عندما يتعلق الأمر بممارسة الدعاية على جيش التحرير و الشعب؛ و الهدم، عندما يتعلق الأمر بممارسة الدعاية ضد الاستعمارية الفرنسية.

أما مضمون هذه الدعاية فيتمثل في دعاية تقوم على قواعد صلبة من : « الواقع و الحقيقة و العمل الإيجابي »²، لأن شعارها « الحقيقة وحدها هي الثورية »³. و هي دعاية غير التهريج و التحريض (l'agitation)، الذي يتميز بالعنف اللفظي العقيم، الذي لا غدا له. إنها خطاب جاد و متزن و هادف، يعكس و يترجم نضج الشعب لنحو العمل العسكري الإيجابي والمثمر⁴. و بالتالي، فإن مصطلح "الدعاية" هنا ليس فيه ما يعيب : « لأن اختزاله إلى مجرد الحشو الفكري العقيم [(bourrage de crâne)] معناه إهمال الجانب الإيجابي و البناء فيه و المتمثل في تحرير أناس و وضعيات و أفكار من الاستعمار، من خلال جرّ المقاتلين و الجماهير إلى القيام بتفكير شخصي يمنح كل واحد منهم معنأ لنضاله، و يُخلصهم من الشعور بالعزلة الذي تفرضه طبيعة القتال في الجبل »⁵.

هذه الدعاية هي أيضا دعاية تنبذ الارتجال، و تعرف كيف تضرب أهدافها في الوقت و المكان المناسبين، لأنها تقوم على معرفة تامة بوسط العدو، مدنيا كان أو عسكريا. و هو ما يعني أهمية الاستعلامات في الحرب النفسية للثورة، بهدف رصد التغييرات المعنوية و النفسية التي تطرأ على مختلف الأوساط، لتكييف محاور الدعاية وفق ما يناسبها. وبهذا الصدد عملت الثورة على أن يكون لها أعوان و مخبرين بمختلف الأوساط، كأوساط المثقفين و التجار و الصناعيين، و أوساط العمال و النساء و الرجال و غيرهم. كما عملت أيضا على زرع و إيجاد أعوان مخبرين لها بمختلف الأماكن التي يتردد عليها الناس، كالأسواق و المساجد، المصانع و الورشات، المستشفيات و المدارس، المقاهي و الملاهي و الملاعب، و غيرها... فبكل وسط من هذه الأوساط و بكل مكان من هذه الأماكن كان للثورة حضور عن طريق أعوان للاستعلامات الذي كان يتوجب عليهم تحقيق معرفة جيدة بعناصر ذلك الوسط : عددهم، أسماءهم، تطلعاتهم، درجة مشاعرهم الوطنية، رأيهم و موقفهم العام من الحرب و من الثورة، ثم رؤاهم المختلفة حول مستقبل الجزائر و الدور الذي يتطلعون إلى

طبع في كُتَيْب أنيق، هو الأول من «سلسلة» "الأصداء السياسية للولاية الخامسة" بعنوان : "مكاتب لاصاص، سياستها، دورها و أساليبها". وثيقة فرنسية مرفقة بهذا الكُتَيْب شهدت بدقة الدراسة و بموضوعيتها. أنظر :

SHAT, 1H 2556/1, Echos politiques de la Wilaya 5, Les S.A.S., leur politique, rôle et méthodes, 10 mars 1958, 24 p.

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Fiche de documentation sur l'emploi de l'arme psychologique par le F.L.N. : traduction d'un document F.L.N. émanant de la Section Propagande et Publication du CDT gal. de la Wilaya d'Oran le 12-10-57, p.1.

² - SHAT, 1H 2586/d.1, Fiche de documentation sur l'emploi de l'arme psychologique par le F.L.N., p.7.

³ - Mohammed Teguia, L'Armée de Libération Nationale en Wilaya IV, p. 74.

⁴ - El Moudjahid, Organe central du Front de Libération National, numéro spécial, Editions « Résistance algérienne », (s. d.), p. 22.

⁵ - Azzedine, (Cdt.), Les Féllagas, op. cit., p. 162.

لعبه فيه. مهمة رجل الاستعلامات هنا تتمثل في تسجيل وكتابة كل ما يراه و يسمعه. و حتى لو بدا له شيء ما بأنه دونما أهمية فإنه يتوجب عليه تسجيله في تقاريره وإرساله بأسرع ما يكون إلى مسؤوليه حتى تتم الاستفادة منه و استغلاله بسرعة أيضا. نشاط الاستعلام، كان على درجة من الجدية و الخطورة، فكثيرا ما اعتبرت عدم كفاية المعلومات و عدم دقتها، و التهاون في تسجيلها ونقلها، بمثابة جرائم من جرائم «الخيانة العظمى عن جهل»، لأنها تفوت فرصا سانحة على الثورة، كان يمكن لها أن تلحق فيها هزائم فادحة بالعدو. هذا عدا عن أن تكرار تفويت مثل هذه الفرص الضائعة سيؤول بأنه دليل على عجز الثورة و قوة فرنسا¹.

تتحدد أهداف الحرب النفسية للثورة في «ضرب معنويات العدو و معها مخططاته الحربية بما يدفعه إلى وضع السلاح. و رفع معنويات الشعب الجزائري و وحدات جيش التحرير، و إبطال الدعاية الهدامة للعدو»². أما بالنسبة لمجال استخدام هذا السلاح، فهو يغطي جميع الفئات و المجموعات الإنسانية المتواجدة على أرض الجزائر بدون استثناء: « فحيثما تتجلى مظاهر الحياة الإنسانية، يجب أن تتواجد دعايتنا أيضا، التي يجب أن تكون فاعلة على النفوس، تترك أثرها عليها و تمحي آثار دعاية العدو و تُعرّف بالثورة حيثما كانت مجهولة. هذه الدعاية تستغل انتصاراتنا السياسية و العسكرية لإضعاف العدو و تحطيم معنوياته من جهة، و تقوية معنويات شعبنا و قواتنا من جهة أخرى»³. و لتحقيق هذه الدعاية، تم اعتماد تصنيف من خمسة أقسام لتصنيف « الجماعات الإنسانية» القاطنة بأرض الجزائر، لأن المستهدفين بدعاية الثورة لا يخرجون عن يكونوا واحدا من الأصناف الخمسة التالية، و ذلك مهما كانت أصولهم العرقية و الاجتماعية و معتقدتهم الديني و الفكري⁴:

- الصنف الأول و يشمل كل أولئك الذين يعملون على فشل الثورة و هزيمتها؛
- الصنف الثاني، و يشمل كل أولئك الذين يتمنون فشل الثورة و هزيمتها و لكنهم لا يقومون بأي شيء لتحقيق ذلك؛
- الصنف الثالث، و يشمل كل أولئك الذين يخشون فشل الثورة و لا يجدون في أنفسهم القوة لمحاربة هذا الخوف؛
- الصنف الرابع، و يشمل كل أولئك الذين يخشون فشل الثورة و لكنهم يعملون أيضا على دفع و محاربة هذا الخوف؛
- الصنف الخامس، و يشمل كل أولئك الذين يريدون نجاح الثورة و يبذلون كل ما في وسعهم لإنجاحها.

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Fiche de documentation sur l'emploi de l'arme psychologique par le F.L.N., op. cit., p.2.

² - المصدر السابق، ص. 1.

³ - المصدر السابق، ص. 2.

⁴ - المصدر السابق، ص. 3.

و بناء على هذا التصنيف، حُصِّت كل فئة من هذه الفئات بدعاية تناسبها:

- فبالنسبة للصنف لأول، فإن أعضاؤه لا يتواجدون في منطقة بعينها، وإنما هم متفرقون لا يجمع بينهم سوى المصالح و الظروف. لذلك فإن مهمة الدعاية تجاههم تتمثل في إكتشافهم و جعلهم يعملون من أجل نفس الهدف.

- و بالنسبة للصنفين الثاني، من الذين يتمنون فشل الثورة و لا يقومون بأي شيء لتحقيق ذلك، سواء كانوا جزائريين أو غير جزائريين، فيتمثل دور الدعاية تجاههما في العمل على حملهما على إعادة النظر في موقفيهما تجاه الثورة، بما يجزّهما على الأقل في مرحلة أولى تمّني نجاحها، ثم في مرحلة ثانية إلى العمل على تحقيق نجاحها. ذلك أن دعاية العدو باتجاه هؤلاء، و بالأخص في اتجاه المسلمين الجزائريين «تهدف إلى تحويل أمانيتهم في فشل الثورة إلى أفعال ملموسة، يجرحهم إلى الخيانة. لذلك، يتوجب علينا عدم الاكتفاء بمحاربة دعاية العدو التي يمارسها على هذا الوسط و إنما يجب أيضا العمل على إبطائها و شل مفعولها و العمل على مرور أعضاء هذا الوسط إلى صفنا. لأنه بدون ذلك لن نكون دعائيين أقوياء»¹.

- و أما بالنسبة للصنف الثالث، فإن مهمة الدعاية تجاه الجزائريين تتمثل في كسر الخوف الذي يعتلج نفوس أعضائه من إمكانية فشل الثورة، و تحويل هذا الخوف إلى إرادة قوية و رغبة عارمة في القتال من أجل التحرر. أعضاء هذا الصنف يجب تعهدهم دوما و عدم تركهم لأنفسهم و لو للحظة واحدة، لأنهم إن وقعوا ضحية خوفهم المُشل فإنهم سيسقطون حتما فريسة للدعاية الهدامة للعدو. و في هذا المقام، يجب على دعائي الثورة التصدي لدعاية العدو التي تحاول استغلال بعض المفاهيم السائدة كـ "المكتوب" لشل القوى و كسر الإرادات؛ فيتوجب عليهم تعليم الشعب بأن المكتوب هو ليس شيء آخر غير «العمل و نتيجته»².

هذا بالنسبة للجزائريين، أما بالنسبة لغيرهم من أعضاء هاته الأصناف، من يهود و إسبان و فرنسيين، فإن دعاية الثورة في اتجاههم يجب أن تعمل على تقوية الخوف في نفوسهم من فشل و انهزام الجيش الفرنسي، الذي يجب تصويره بأنه أمر واقع لا محالة، و تصوير انتصاره على جيش التحرير بأنه ضرب من الخيال، و تصوير انتصار الثورة عليه بالأمر الأكيد.

- أما بالنسبة لأعضاء الصنف الرابع، الذين يخشون فشل الثورة و يعملون كل ما في وسعهم لإنجاحها، فإن دور الدعاية هنا هو أن تعمل على تشجيعهم على مواصلة أدائهم لمهامهم. و هم، إما ينتمون إلى صفوف الثورة و إلى الشعب، وعندئذ يتوجب على الدعاية فعل المستحيل لتقوية إرادتهم في بلوغ النصر. و إما أنهم ينتمون إلى العدو أو يتواجدون ضمن صفوفه، و إذن فدور الدعاية عندئذ «لا يقتصر فقط على تعهدهم و تقوية الشعور لديهم بأن الجيش الاستعماري و معه كل القوى الاستعمارية الفرنسية تسير نحو الهزيمة - بما يعني بطريقة أخرى انتصار الثورة- و إنما يجب أن يمتد أيضا إلى تحويل

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - المصدر السابق، ص. 4.

هذا الشعور إلى حقيقة واقعة تشل رد فعلهم و تجعلهم يتقبلون الأحداث في استسلام. ليتم في مرحلة تالية جلبهم إلى العمل من أجل إنجاح الثورة الجزائرية، إذا كانوا يرغبون فعلا في الحصول على الطمأنينة الداخلية و الاحتفاظ بممتلكاتهم تحت راية العدالة الجزائرية التي ستأتي يوم النصر الكبير و التي سيعم حكمها كل ربوع الجزائر وساكنيها، مهما كانت دياناتهم و أعراقهم و أصولهم ¹. و بالطبع، فإنه توجد بين كل هذه الفئات، فئة لا تنفع معها أي دعاية. لذلك فالدعاية الوحيدة التي ستتوجه إليها هي دعاية « الرصاص و الموت و النار (نار جهنم) » ².

هذا بالنسبة للجانب المجهوم في دعاية الثورة، أما بالنسبة للجانب الدفاعي منها، فقد تم ضبط سلسلة من القواعد و التدابير العملية، التي هي أشبه ما تكون بالتدابير "الدفاعية و الاحترازية"، التي من شأنها أن تُحکم الخناق على العدو و تقطع الطريق على دعايته، كما من شأنها أن تُوفّر أقصى حظوظ النجاح لدعاية الثورة. ذلك ما نلمسه جيدا من التدابير التالية ³ :

- أولا، قطع كل علاقة بين العدو و الشعب، في الأرياف و المدن و القرى، و تعميم حالة اللا أمن، و تحكيم القوانين العرفية المحلية بدل قوانينه و إدارته، و حثُّ الشعب على الفرار قبل وصول قواته بما يقطع عليه كل مورد للمعلومات قد يفيد حوله الثورة، و بما يُمكن من اكتشاف الخونة و المتعاونين معه، و بما يجعل الشعب أيضا في مأمن من دعايته.

- ثانيا، عند التعليق على دعاية العدو، يجب دحض أكاذيبه بأمثلة دقيقة و عدم إعطاء دعايته كبير أهمية، بل، على العكس، يجب تجاهلها بسرعة و تركها تنسى في صمت، حتى لا تتحول الثورة، عن غير قصد، إلى مروج لها كما يريد ذلك العدو.

- ثالثا، عدم الثقة في أي شيء يصدر عن العدو، حتى و لو كان حقا.

- رابعا، عند القيام برد مكثف على دعاية العدو، فإن التكتيك المعتمد هو الانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم.

- خامسا، مراقبة كل القنوات الناقلة للمعلومات بواسطة تنظيمات محلية خفيفة تنشأ لهذا الغرض.

- سادسا، العمل على تقوية الحس الوطني لدى المقاتلين و الشعب و الشباب و تكثيف التربية الثورية لديهم، و تنمية روح العداوة في أنفسهم تجاه الاستعمارية الفرنسية.

- سابعا، العمل على مكافحة كل أسباب الشقاق التي قد تُلغم صفوف الثورة، حتى لو كانت تصدر عن نية حسنة.

- ثامنا، لا ثقة إلا في ما يصدر عن قادة الثورة و مسؤوليها.

- تاسعا، لا ثقة إلا في مطبوعات الثورة و في مصادر معلوماتها الخاصة.

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - المصدر السابق، ص. 3.

³ - المصدر السابق، ص. 5.

- عاشوا، العمل دوماً على تجنب الشعب و المقاتلين الأفكار المضللة و الفراغ، و العمل على شغل أوقاتهم بأنشطة مستمرة، حتى لا يقعون فريسة للكسل و البطالة، اللذين يجبطان المعنويات و يوفران الجو المناسب لدعاية العدو.

المطلب الثالث : دور المحافظ السياسي

رأينا فيما سبق أن المحافظ السياسي كان، إلى جانب مصلحة الدعاية و الإعلام، هو "الجهاز" الحقيقي و الفعلي الذي كان في يد جبهة و جيش التحرير للتصدي لدعاية العدو و الرد عليها و نفخ الروح القتالية في الشعب و المجاهدين. و هي مهمة ليست بالسهلة، بالنظر إلى شراسة العدو و محدودية إمكانيات الثورة. لذلك كان التعويل كبيراً على ما للمحافظ السياسي من قدرات و استعدادات ذاتية و مكتسبة، عقلية و نفسية، لتعويض عدم التكافؤ هذا في الإمكانيات مع الفرنسيين. و لأنه رجل ينتظر منه الكثير، فقد كان المطلوب منه أن يكون رجلاً فوق المعتاد في ثقافته و استعداداته، رجل يتقن فن تحريك الجموع و قيادة الرجال. صلباً، لا يكثرث بأموره العائلية و المعنوية. له ثقافة واسعة بالفرنسية و العربية الفصحى و معرفة عميقة بالقرآن الكريم و يجيد إحدى اللهجات البربرية، كالشاوية أو القبائلية¹. رجل، يعرف شعبه، يحبه و يشفق عليه، و يتعامل معه بإحساس مرهف، يهادن حساسياته في الأمور التي لا تعيق تقدم الثورة. رجل له من عبقرية التنظيم ما يُعِينه على اكتشاف ميولات و استعدادات هذا الشعب و تثمين مزاياه و إصلاح عيوبه². فهو بالنسبة له كالسراج الذي يهديه في الظلام الحالك ليقوده إلى بر الأمان. و لأنه كذلك، فهو يقدم له من نفسه أحسن القدوة و يضرب له من نفسه أحسن المثل. شعاره: "كل شيء من أجل الشعب". فهو قريب من شعبه و في خدمته، فحيثما مرّ، شمر على ساعديه و شارك السكان مختلف أنشطتهم اليومية، فلا يري فيه هؤلاء لا متسلطاً و لا دكتاتورياً³. أما تجاه آلة الحرب النفسية للجيش الفرنسي فهو على معرفة تامة بأهدافها و أساليب عملها و يعرف كيفية إبطال مساعيها و تحويلها إلى انتصارات نفسية و سياسية لصالح جيش التحرير⁴.

تتمثل المهمة الأساسية للمحافظ السياسي في العمل على إيجاد قاعدة شعبية عريضة لجبهة التحرير، بزرع تنظيمها و العمل على تجذره بين الجماهير. و تحقيق عملية "فتح السكان"، من خلال تعريف هؤلاء بالثورة و تعبئتهم لتحقيق أهدافها، و تنظيمهم ضمن خلايا ثورية تُحقق تأطيرهم و تُؤمن مساهمتهم في الجهود الحربية

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens (Renseignements fournis par un chef rebelle fait prisonnier), p. 1.

² - SHAT, 1H 2582/d.2, Directives politiques à tous les commissaires politiques, signé Mahmoud, commissaire politique de la Région IV, Zone II, Wilaya IV, (s. d.).

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives Générales, en date de 30/11/1956, (document récupéré à Ténès fin janvier 1957).

⁴ - SHAT, 1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens, op. cit., p. 2, 4- 6; voir aussi, Abdelhafid Amokran El Hassani, Mémoires de combat, p. 93- 94.

لتحرير البلاد. كما يتمثل دور المحافظ السياسي أيضا في العمل على إحداث القطيعة بين الشعب و الإدارة الاستعمارية و إفراغ سلطة هذه الأخيرة من محتواها وذلك من خلال استحداث إدارة موازية تحرر الشعب من ربة هذه الأخيرة و تربطه بجهة التحرير الوطني. تلك هي الغاية من إنشاء مجالس الشعب، التي يتعين عليه السهر على ضمان السير الحسن لمختلف أنشطتها، كإمساك دفاتر الحالة المدنية المتعلقة بالولادات و الوفيات و الزواج و الطلاق. و تنظيم الشؤون القضائية والمالية والاقتصادية و الشرطة و التموين.

أما في مجال الدعاية و الإعلام، فيتمثل دور المحافظ السياسي في تعريف الشعب بأوامر جبهة التحرير و نشر أديباتها بين السكان. و تنظيم تجمعات له لتنويره بالسياسة الداخلية و الخارجية. وإنجاز مناشير للرد على الدعاية الاستعمارية، تتم قراءتها علنا في التجمعات و التعليق عليها. و بهذا الصدد يتوجب على المحافظ السياسي المداومة على قراءة الصحف والاستماع إلى الراديو لتكثيف عمله السياسي و النفسي مع المناخ العام السائد في الجزائر و فرنسا و العالم و إطلاع الشعب بمختلف الأحداث و التطورات، خاصة و أن هذا الأخير لا يتوفر على وسائل الاستعلام. كما يدخل ضمن مهامه أيضا السهر على التربية السياسية للمجاهدين ورفع معنوياتهم و معنويات المسبلين. و اتخاذ جميع الوسائل اللازمة، سواء باستعمال الرسائل أو بواسطة الاتصال الشخصي، للاتصال بالمجندين الجزائريين في فرق "الثوم" بغرض ردهم إلى الطريق السوي. أما في مجال الحرب النفسية، فتتمثل مهمة المحافظ السياسي في مواجهة نشاط الفرنسيين لعزل الشعب عن الثورة بنسج روابط قوية بين هذا الأخير و جيش التحرير و تقوية اللُّحمة بينهما بما يجعل هذه الروابط مبنية على الأخوة و التآزر و بما يحول دون وقوع أخطاء أو صدور هفوات نفسية عن المجاهدين في حق الشعب و معاينة مرتكبيها. و أخيرا و ليس آخر، القيام بمساعي مختلفة في اتجاه الأقلية الأوروبية والتكفل بأسرى الحرب¹.

أما من الناحية التنظيمية، فإن المهام السياسية و التنظيمية للمحافظ السياسي تمنح هذا الأخير طابعا سياسيا باعتباره ممثلا لجبهة التحرير لدى قيادة جيش التحرير الوطني، مكلف بمهام الإشراف و المراقبة الإيديولوجية². لكن الممارسة، كانت تؤكد صراحة على طابعه العسكري. ذلك أن المهام السياسية و التنظيمية للمحافظ السياسي، و التي تجعله يلعب دور "المسؤول عن السكان المدنيين"، لا تسلبه شيئا من طبيعته العسكرية. فهو يبقى أولا و أخيرا «عسكري مثل باقي إخوانه المكافحين بجيش التحرير»³. و في هذا الاتجاه، كان مجيء قرارات مؤتمر الصومام لتعزيز إدماج المحافظين السياسيين في التنظيم الهرمي لجيش التحرير بمنحهم نفس الرتب التي هي عند ضباط الهيئات التي ينتمون إليها⁴. إلى جانب هذا، تجدر الإشارة إلى شيء آخر و هو وجود نوعين من المحافظين السياسيين : الأول مكلف بالنشاط السياسي و الدعائي لدى

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives Générales, en date de 30/11/1956, (document récupéré à Ténès fin janvier 1957).

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Note de renseignements : organisation territoriale, militaire et politico-administrative de l'A.L.N.- F.L.N., n° 2442/EM/10/2/EMI, Alger le 18 juin 1956, p. 1.

³ - SHAT, 1H 2577/d.1, Directives aux chefs responsables concernant l'organisation et la hiérarchie de l'ALN, Zone n° 4, 16 juin 1956.

⁴ - Achour Cheurfi, op. cit., p. 389.

الشعب، و الثاني مكلف بنفس النشاط بين المجاهدين. هذا الثاني، كثيرا ما أخذ تسمية "المرشد" بوحدات جيش التحرير. و لكن يمكن لكل منهما تقديم مساعدته للأخر و استخلافه عند اللزوم¹.

هذا و قد كانت للمحافظ السياسي سلطات واسعة جدا. فهو رئيس للجنة الثلاثة للدوار المتكونة من : المساعد العسكري، و المساعد المكلف بالاستعلامات و الاتصال، و المساعد الإداري، الذي هو في نفس الوقت رئيس مجلس الشعب، المتكون بدوره من خمسة أعضاء، المكلفين بتسيير شؤون الداخلية للدوار أو العرش. مما يعني أنه كان للمحافظ السياسي، بالمستويات الدنيا للتنظيم، صلاحيات و سلطة قرار كبيرة تحوّل النظر و الفصل في مختلف المسائل الشائكة، سواء ما تعلق منها بتنظيم السكان، كالفصل في مسائل الحالة المدنية من زواج وطلاق و فض النزاعات والخصومات، أو ما تعلق منها بالعمل الثوري، كتوجيه مختلف الأنشطة السياسية و الدعائية، و جمع الأموال و التموين، و تنفيذ العمليات الفدائية والعسكرية. و من هنا، تظهر الأهمية الحيوية لشخص المحافظ السياسي الذي يبدو بالفعل كالرأس المدبرة والمشرقة والمنسقة في التنظيم الثوري و أداة دفع على مستوى القسامات. و منه أيضا نفهم الحرص الذي كان عند الجيش الفرنسي للإيقاع به و القبض عليه. فلا غرابة إذن إن كانت تعليمات جيش التحرير تحضّر مشاركته في العمليات العسكرية للحيلولة دون وقوعه قتيلا أو أسيرا بين يدي الفرنسيين. ذلك أنه من السهل جدا استخلاف مجاهد سقط شهيدا بمسبل ينتظر الحصول على السلاح، من تكوين أو إيجاد مجاهد له خبرة و تجربة ليكون إطارا صحيا أو مسؤولا سياسيا². مما يجعل المحافظ السياسي رجلا ثمينا و نادرا.

ندرة هذا النوع من الرجال بالمواصفات أعلاه، ثم وقوع أغلبهم في قبضة العدو، باعتبارهم أول مطلوب خلال عمليات تفكيك الخلايا الثورية، قد دفع قيادة الثورة إلى الانشغال و بصفة جدية بمسألة إيجادهم و توفيرهم بأعداد كافية و بالمواصفات المطلوبة. ذلك ما نلمسه جيدا من مشروع ضُبط في أواخر سنة 1959 لإنشاء مدرسة لتكوين المحافظين السياسيين، و هي مدرسة كان من المفروض أن يتم إنشاؤها على مستوى قيادة الحدود الشرقية و الغربية و تتبع مباشرة إلى مصلحة النشاط السياسي التي تتبع بدورها مباشرة لوزير القوات المسلحة الجزائرية. برنامج التكوين بهذه المدرسة تضمن دروسا موزعة على سبعة محاور : السياسة العامة، الاقتصاد، الاستراتيجية، الدبلوماسية، الثقافة، التنظيم ثم الدعاية. و هو برنامج يعتمد النقاش و الحوار في التدريس، كما يهدف إلى تطوير قدرات المترشحين في مجال التحرير و الخطابة و الملاحظة³.

المبحث الثاني : إمكانيات جيش التحرير الوطني في مجال الدعاية

في تناولنا لإمكانيات و وسائل الدعاية التابعة للثورة سنركز أكثر على تناول إمكانيات و وسائل جيش التحرير في الداخل فقط و ذلك لسببين اثنين هما: الأول هو أن تواجد هذا الأخير على خطوط التماس المباشرة

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire en date du 24.03.1958 adressé aux commissaires politiques par le Lieutenant Moussa de la zone III wilaya IV au sujet de la politisation de l'appareil militaire. (Documents récupérés au cours de l'opération 'BREBIS' le 29 mai 1958 en K. Y. 88), 2 p.

² - Abdelhafid Amokran El Hassani, *Mémoires de combat*, p. 48- 49.

³ - أنظر الملحق رقم : 97.

مع دعاية العدو، قد جعل دعايته أكثر ميدانية، لأنها تمس مسا مباشرا المجاهدين و الشعب و العدو بمختلف مكوناته و تتأثر بنتائج كل ذلك. و الثاني هو أن تناول دعاية الثورة ككل و تحليل مضمونها هو أمر يتجاوز نطاق هذا الفصل بكثير¹. و بالطبع فإنه من الصعب وضع خطوط فاصلة بين دعاية الثورة الموجهة من الداخل -أي داخل الجزائر- و بين دعايتها الموجهة من الخارج: فلا شك أن الدعاية المسموعة للثورة، و التي كان يتم بثها من خارج القطر بواسطة "صوت الجزائر الحرة المكافحة" و "صوت الجزائر العربية الشقيقة"، كانت أوسع مدى - و لربما أقوى نفوذا أيضا- من مناشير جيش التحرير و من حصص تجمعاته التي كان ينظمها للشعب داخل القطر. و هذا بخلاف الدعاية المكتوبة للثورة التي كان إدخالها إلى الجزائر لا يقل في صعوبته عن صعوبة إدخال السلاح.

يمثل المنشور أبرز وسيلة للدعاية كانت بحوزة جيش التحرير في الداخل، و هذا بالرغم من أن الوسائل المستعملة في إنجازها كانت غالبا متواضعة و بدائية، مما يجعلنا نتساءل حول الإمكانيات الحقيقية التي كانت تتيحها هذه الوسيلة : فلا شك أن ندرة آلات السحب و الكتابة و تعطلها المستمر، و نفاذ مخزون الورق و الحبر أو تلفه في المخابئ بسبب ظروف الحرب و الظروف الطبيعية كالفيضانات و السيول التي تغمر المخابئ، قد حدّ كثيرا من استعمال هذه الوسيلة على أوسع نطاق. فالمناشير المسترجعة من طرف الفرنسيين قلما زادت عن الواحد، مما يدل على محدودية النسخ المسحوبة، و هذا مقارنة بالمناشير الفرنسية التي كانت تسحب بعشرات الآلاف و حتى الملايين، كما رأينا ذلك في الفصل الأول.

خصائص مناشير جيش التحرير

منشور جيش التحرير هو من الناحية الشكلية مجرد ورقة مكتوبة. لكنه من ناحية المضمون هو، في الغالب، نص عالي الجودة، محكم الصياغة، متين و متماسك، و يعكس فكرا. حيث يمكننا - و هذا من خلال المناشير التي وقفنا عليها² - أن نتميز فيه بين أنواع عدة بحسب الغاية : فهناك المنشور "الإعلامي" الموجه للشعب بغرض رفع معنوياته، و الكشف له عن الأطوار الجديدة للسياسة الفرنسية و تعريفه بالتطورات التي سجلتها القضية الجزائرية في الداخل و الخارج. ثم هناك "النداء"، الذي هو عادة منشور يحمل أمرا أو نهيًا، و قد يكون إنذارا أيضا يُحذّر من الانسياق وراء الدعاية الفرنسية و الالتحاق بفرنسا، بالعيش بالقرب من وحداتها و الالتفاف حول مراكزها العسكرية، أو التعامل مع إدارتها و المشاركة في المندوبيات الخاصة وغيرها. و

¹ - للتوسع، نشير إلى أن هناك دراسات تناولت بالتحليل دعاية الثورة خارج القطر: فبالنسبة لجريدة المجاهد يمكن العودة إلى الدراسة التالية:

Albert Fitte, *Spectroscopie d'une propagande révolutionnaire*, Etudes militaires (1), Université Paul Valéry, Comité international des Sciences Historiques, Commission Française d'Histoire militaire, Centre de Montpellier, 1974, 160 + 150 p.

أما بالنسبة للدعاية المسموعة عبر الأمواج، فيمكن العودة إلى البحث التالي :

Charles-Robert Ageron, « Un aspect de la guerre d'Algérie : la propagande radiophonique du FLN et des Etats arabes », in, *La guerre d'Algérie et les Algériens*, op. cit., p. 245- 259.

² - أغلب هذه المناشير موجودة بالعلبة رقم : SHAT, 1H 2587/d.1.

هذا النوع الأخير من المناشير يمكن أن يأخذ شكل خطاب أو رسالة شخصية موجهة إلى أشخاص معينين أو إلى مجموعة من السكان بعينها¹.

و كعينة على المناشير أعلاه، نتناول المنشور "الإعلامي" الموجه إلى الشعب بغرض رفع معنوياته، حيث نجد فيه استنهاضا للهم و شحذا للعزائم و نفخا للروح القتالية. هذا النوع من المناشير تتردد فيه بعض القوالب فتغدو مألوفة: من ذلك تصوير الشعب بأنه محط أنظار العالم ف «كل شعوب العالم تتطلع إلى كفاحك بإعجاب»، كما ورد في أحد المناشير. و تصوير الاستعمارية الفرنسية بأنها تحتضر، فهي «على فراش الموت»، لأنها تسير من هزيمة إلى أخرى و من فشل إلى مثله. فقد أفضل جيش التحرير مخططاتها و سقّه أحلامها و آملها. لذلك، فهي لا تجد أمامها إلا سلوك مسلك البائسين و المهزمين، بالانتقام من الأبرياء من سكان الشعب الأعزل، و قنبلة القرى و المداشر و حرق الغابات بالنابالم و إبادة الشيوخ و النساء و الأطفال. و بما أن الأمر كذلك، فما علي الشعب إلا التجلّد والثبات والتحلي بالشجاعة، لأن الشعب يوجد «في آخر مرحلة من كفاحه المظفر و على أبواب النجاح». خاتمة هذا النوع من المناشير، غالبا ما تكون حماسية، تحث على الإقدام و عدم التراجع: «فإلى الأمام أيها الشعب المكافح فالله ناصرك و مؤيدك فيما تصبو إليه، فعشت و عاشت جزائرك الخالدة تحت راية الكفاح و الله أكبر و العزة و النصر للعرب في مغربنا العربي و في أرض العروبة». أو «تحيا الجزائر و يحيا شمال إفريقيا، يحيي جيش التحرير، الموت للاستعمار أينما كان، الموت لسياسة مولي-لاكوست و النصر لنا بفضل الله» أو «الله أكبر، المجد للمجاهدين الأحرار، جيش التحرير الوطني»².

مناشير أخرى كانت تتناول التعريف بالانتصارات العسكرية لجيش التحرير الوطني على الجيش الفرنسي، من خلال ذكر وقائع بعينها خاضها، فيها ذكر لأماكنها و تواريخها و نتائجها³. في هذا النوع من المناشير كان يتم تفخيم و تعظيم صورة جيش التحرير. فهو ليس مجموعة من قطاع الطرق و إنما هو جيش منظم يحترم المعاهدات الدولية. و هو جيش في خدمة قضية عادلة و ربانية «أمامك»- [الخطاب هنا للشعب]- جيش التحرير، الذي عاهد الله و عاهدك على الموت أو الاستقلال و الثأر لك من عدوك و مقابلة عدائه بالعداء حتى تعلق كلمة الله على كلمة الاستعمار». أو «جيش التحرير نذر الله أن لا يوقف الجهاد إلى آخر قطرة من دم أو الاستقلال». و بالمقابل، كان يجري في هذا النوع من المناشير تقزيم الجيش الفرنسي بتصويره بأنه جيش «يفر دائما أمام جيش التحرير و لا يحسن إلا مهاجمة الأبرياء من السكان المدنيين»، فهو يقتل الشيوخ و النساء و الأطفال و يحرق القرى و المداشر و يعجز عن مواجهة جيش

¹ - مثال ذلك المنشور الذي وجهه الشهيد عميروش بتاريخ 29 جويلية 1956 إلى السيد أورابح، الذي كان قائدا لإحدى فرق الحركة و الذي دعاه فيه إلى الإلتحاق بجيش التحرير. منشور آخر وُجه إلى سكان بني محالي؟ (Beni Mohali) لدعوتهم إلى عدم العيش حول مراكز و وحدات الجيش الفرنسي. و منشور آخر وجه إلى سكان بني مسرة؟ (Beni Miscera) لثنيهم عن الإلتحاق بفرنسا. منشور آخر وجه إلى سكان مدينة المدية ليتوقفوا عن مقاطعة التجار القبائل. منشور آخر وجه أيضا إلى سكان قرية أولاد علي بن عثمان (؟) لدعوتهم إلى الإلتحاق بجيش التحرير. كعينة على ذلك، أنظر الملحقين رقم: 98 و 99.

² - أنظر الملحق رقم: 100.

³ - أنظر الملحق رقم: 101 و 102.

التحرير. كما كان يتم غالبا نعت جنوده بكلمة (La soldatesque) التي تعني أشباه الجنود في الخشونة و عدم الانضباط.

مناشير جيش التحرير، و بالأخص الموجهة إلى الشعب، تتميز بصبغة دينية واضحة. فبعضها يبدأ بالبسملة أو الله أكبر و التاريخ بالهجري ثم الميلادي مثلما جرى عليه العمل بالولاية الأولى¹. كما لا نعدم أيضا مناشير فيها استشهادا بآيات قرآنية. كما نجد في بعضها الآخر إشارات متكررة إلى الله و الإسلام، و الإيمان و العروبة و المغرب العربي، مثل « فيلى الأمام أيها الشعب المكافح فالله ناصرك و مؤيدك فيما تصبو إليه، فعشت و عاشت جزائرك الخالدة تحت راية الكفاح و الله أكبر و العزة و النصر للعرب في مغربنا العربي و في أرض العروبة ». كما أن خطاب بعضها يقوم على تأجيج العاطفة و الحماس الديني ضد « الكافر » الفرنسي²، حيث نقرأ في بعضها « أنتم الذين تعدون أنفسكم مسلمين ! المسلم له شجاعة و إيمان يثبتانه في الحن و الظروف الصعبة. [...] المسلم الحق هو الذي تُصدّق أفعاله إيمانه. [...] المسلم يأمل في العيش عيشة مستقلة أو الموت، و لكنه لا يريد العيش في ظل المسيحي و بجوار قواته». كما نقرأ في منشور آخر: « كما يوجد من بينكم من يريد التقرب من القوات الفرنسية لتأمين مستقبله. و لكن المسلم الحقيقي لا يمكنه قبول ذلك و هو يفضل الموت على الثقة في الوعود المقدمة من طرف الاستعمار الذي سيعمل على استغلالكم طيلة حياتكم ».

أما بالنسبة للغة المستعملة في تحرير المناشير، فيبدو أن الغلبة كانت للمناشير المكتوبة باللغة الفرنسية، و هو أمر يراه البعض راجعا إلى ندرة في الآلات الكاتبة بالعربية³، و إن كانت أسبابه تعود أيضا إلى غلبة اللغة الفرنسية، التي أصبحت لغة الإدارة الثورية. علما أن المناشير المكتوبة بالعربية غالبا ما كانت تتراوح ما بين لغة عامية إلى فصحي، هي أحيانا موهلة في الفصاحة و تستشهد بالشعر « عش عزيزا أو مت و أنت كريم... »⁴. كما أن هناك مناشير يتألف نصها من خالص الشعر الملحون، مثلما هو الحال بالنسبة لذلك المنشور الموجه إلى الجزائريين المجندين في فرق الحركة⁵.

في مناشير جيش التحرير، كثيرا ما جرى استعمال أسلوب الخطاب المباشر، الموجه للمخاطب المفرد، و هو أسلوب من شأنه استثارة و شد اهتمام القارئ و السامع و توقيفه بما لا يدع له مجالا في البقاء على الحياد. من ذلك ما جاء في منشور يدعو إلى مقاطعة عملية تعيين المستشارين البلديين : « لأجل ذلك، فإنك لن تشارك في هذه الاجتماعات، لتثبت نضجك السياسي للرأي العام العالمي، و تبدي احتقارك و كرهك لمن يريدون التلاعب بك، و تثبت أيضا مدى بقاءك و فيا لجيش التحرير ومدى امتنانك و اعترافك لأولئك الذين جادوا بحياتهم من أجل سعادتك، فكان هتافهم دوما: تحيا الجزائر حرة مستقلة، تحيا جيش التحرير، تحيا جبهة

¹ - الحاج لخضر (العقيد، قائد الولاية الأولى)، قبسات من ثورة أول نوفمبر 1954 كما عايشتها، (مذكرات) كتبها: الطاهر حليس، الجزائر، شركة الشهاب، (ب. ت.)، ص. 121.

² - أنظر الملحق رقم : 98 و 99.

³ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », op. cit., p. 202.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 100 و 103.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 104.

التحرير»¹. أو كما نقرأ في منشور آخر: «راك ما زلت شاد إيمانك للثورة الجزائرية. راك ما زلت تظهر الموقف انتاعك للاستعمار: النصر أو الموت. باش تحتفظ بالشرف انتاعك، و مستقبل أولادك، باش الجزائر تعيش حرة و سعيدة»².

أما بالنسبة للشريحة المستهدفة، فإن الباحث شارل روبرت أجرون، وزّع المنشور الصادر عن الولايات التاريخية بحسب الفئات أو الشرائح المستهدفة بين النسب التالية: 80% موجهة إلى العاملين بالجيش الفرنسي (موزعة بدورها كالتالي: 34% في اتجاه العسكريين الفرنسيين؛ 18% في اتجاه المجندين الأفارقة، و التي منها 0.3% في اتجاه الطابور المغربي-؛ 6% في اتجاه اللغيف الأجنبي؛ و 20.5% في اتجاه المجندين الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي و بالتشكيلات الشبه عسكرية الأخرى، و هو ما يمثل خمس المنشور). أما بالنسبة للعشرين في المائة الباقية فقد كانت تتوجه للمدنيين، موزعة هي الأخرى بين ما نسبته 12.5% للشعب الجزائري، و 8% للأوروبيين و اليهود³.

إلى جانب الدعاية بالمنشور، نسجل لجوء جيش التحرير، بعدد من الولايات التاريخية، إلى إصدار عدد من «العناوين الصحفية» بالجبل⁴. هذه «الجرائد»، نقدر أنه لم يكن لها مدى دعائي كبير و ذلك بسبب عدم انتظامها و محدودية سحبها و توزيعها. فهي لم تزد في حقيقتها عن مجرد نشرة داخلية، تتكون من مجموعة من الأوراق المرقونة والمسحوبة بالورق الحريري. و لكن عندما تتأمل في الوسائل التي كان يتم بها سحب المنشور و الجرائد أعلاه، كما وصفها كل من السيدين الرائد عز الدين و محمد تقي في كتابيهما، و التي أقل ما يمكن قوله عنها أنها كانت تتم في ظروف صعبة و شاقة و بوسائل جد بدائية، و بالتأكيد شبه متماثلة في أغلب الولايات، فإننا لا نتمالك من التساؤل عن حظوظ و إمكانيات النجاح التي كانت متوفرة أمام مثل هذا النوع من الدعاية الثورية؟

و كإجابة على ذلك، نشير إلى أن الثورة كانت واعية بضآلة وسائلها الدعائية مقارنة بوسائل العدو، و لكنها مع ذلك كانت واثقة في قدرتها ليس فقط على التصدي لدعايته و إنما أيضا في قدرتها على إبطال مفعولها و أثرها. سرُّ ثقة الثورة في نفسها يكمن في أن دعاية العدو، بالرغم من قوة وسائلها، «ليس لها أي تأثير على الشعب و المقاتلين» و هذا لسبب بسيط هو «أن دعايته لا تقوم على الواقع. لأن العدو لا يعيش بين ظهرائنا شعبنا و مقاتلينا، و لذا فهو لن يستطيع أبدا هزيمتنا في مجال الدعاية. إنه ينجز المنشور و الملصقات ثم يلقيها من الطائرات. وهي طريقة مآلها الفشل لأن 90% من الشعب لا يعرف القراءة و الكتابة. و هو يقوم ببث حصص دعائية كاذبة بالعربية و الفرنسية و القبائلية و لكنه في نفس الوقت يصادر كل أجهزة الاستقبال التي بحوزة الجزائريين، و بالأخص، تلك التي عند القرويين و سكان الأرياف، سعيا منه لمنعهم الاستماع إلى صوت الجزائر الحرة المكافحة. و إذن، فلم يبقى أمام العدو إلا وسيلة وحيدة لنشر دعايته بين

¹ - SHAT, 1H 2587/d.2, tract émanant de la Wilaya n° I, Zones A et B, opposé le 2 décembre 1956 vers 15h.00 sur les murs du stade de l'A. S. B. à Batna.

² - SHAT, 1H 2587/d.2, Malgré les mensonges... Malgré la terreur..., tract dessiné émanant de la Wilaya I, Aures- Nememchas, (s. d.).

³ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », op. cit., p. 203.

⁴ - المرجع السابق، ص. 202.

شعبنا تتمثل في نسج علاقات إنسانية مع السكان. و لكن كل الوطنيين الجزائريين يعرفون طبيعة هذه العلاقات، التي أقلها القتل و التخريب و الترويع و إجبار الأبرياء على الفرار و انتهاك الأعراض و تدنيس المقدرات»¹.

و إذن، فالثورة ترى في حضورها الجسدي و تواجدها المادي بين الشعب و العيش بين ظهرانيه وسيلة دعائية قوية لا تقل مردودية عن الوسائل الدعائية الأخرى. وسيلة، من شأنها أن تعوض العجز و النقص المسجل في الميادين الأخرى. و لذلك نجد الثورة قد أعطت هذا الجانب ما يستحق من الاهتمام، بضبطها لـ "سياسة خاصة للاتصال و التواصل مع الشعب" و هي سياسة تقوم على إلزام عناصرها من مختلف المستويات على التحلي بـ "السلوك القدوة و الانضباط الفكري" ليتحقق ما تسميه بتمرير الدعاية بواسطة "العدوى السلوكية"، لكل فرد من عناصرها. فالدعاية بالسلوك و الأفعال لا تقل أهمية عن نصب كمين للعدو أو الهجوم على أحد مراكزه². و قد كانت التعليمات الصادرة بهذا الشأن تحثُ جندي جيش التحرير، الذي يستمد قدوته و مثله الأعلى من الجهاد، « أن يترك بصماته حيثما مرّ، بطيبته و حسن ولائه، بصبره و تضحيته، بسخائه و شجاعته. كما يتوجب عليه أن يسحق العدو بسمو أخلاقه، لأن هذه الأخلاق لا وجود لها عند الخصم. كما يتوجب عليه أيضا أن يتسامى عن ارتكاب كل شائنة تمس بشرف و كرامة الشعب»³. و بالفعل فقد أعطت هاته "السياسة" أكلها، و أصبح للمجاهد بجيش التحرير - و هذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم - من الهيبة و السمعة الحسنة عند الشعب ما لم يحزه الجندي الفرنسي و هذا بالرغم ما بينهما من تفاوت كبير في الإمكانيات العسكرية⁴.

و قبل أن نختتم تناولنا لإمكانيات جيش التحرير في مجال الدعاية، نشير إلى استعمال جيش التحرير لوسائل دعائية أخرى: كتنظيم تجمعات و حصص دعائية للشعب، و الدعاية باستعمال الإشاعة. كما سجلت بعض المحاولات للبت الإذاعي من الجبل، مثل مبادرة "صوت الجزائر المكافحة من قلب الجزائر" التي قامت بها الولاية الثالثة سنة 1958⁵. بالإضافة إلى محاولة أخرى قامت بها قيادة الولاية الرابعة خلال أحداث الثالث عشر من ماي 1958.

المبحث الثالث : النشاط النفسي للثورة في اتجاه الشعب

مقولة الشهيد العربي بن مهيدي : « ارموا بالثورة إلى الشارع، يحتضنها الشعب»، هي كلمة عميقة و بالغة الدلالة، وجدت تطبيقا لها طيلة فترة الثورة. فبما أن غاية الثورة هي تحرير الشعب، فإنه كان يتوجب على هذا الأخير أن يتحمل مسؤوليته كاملة في دعمها و نصرتها لتحقيق الهدف المنشود. و لأن ثورة نوفمبر 1954 هي

¹ - 1H 2586/d.1, Emploi de l'arme psychologique par le F.L.N., op. cit, p. 4 ; aussi, SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire concernant l'organisation rebelle, trouvé le 28 janvier 1958, p. 5.

² - Mohammed Harbi et Gilbert Meynier, Le FLN, documents et histoire 1954- 1962, Alger, Casbah Editions, 2004, p. 114.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Note de service, Wilaya n° 3, (s. d.), 2 p.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 105.

⁵ - Abdelhafid Amokran El Hassani, Mémoires de combat, p. 90- 91.

ثورة شعبية لا ثورة قصور، فقد كان اعتناق الشعب و تحمله لها هو أكثر من مجرد هدف تكتيكي آني، و لكنه كان أيضا مسألة حياة أو موت بالنسبة للثورة.

و لكن إلى أي مدى كان الشعب مقتنعا بالثورة و هل كان هو الآخر يحتاج إلى "عملية فتح" ؟ جوابا على ذلك نجيب بأن الشعب الجزائري كان واعيا بما فيه الكفاية بما يعانیه من بؤس و ظلم و سلبا للحرية، لكن هذا الوعي بالبؤس والظلم لم يكن يكفي وحده لإحداث التغيير المطلوب، فهناك أيضا الخوف المتراكم عبر السنين و مشاهد القمع الوحشي للجيش الاستعماري التي كانت تشل القوى و تكبح إرادة المقاومة و التحرر لدى النفوس. لذلك، لم يكن الهدف الأساسي للثورة من توجهها إلى الشعب يتمثل في كسب اعتناقه لقضيتها - الذي كان أمرا واقعا- بقدر ما كان يتمثل في كسر هذا الخوف و التردد الذي يسيطر على النفوس بما يحقق التعبئة النضالية للشعب، و من هنا فالأمر بالنسبة للثورة لم يكن يتمثل في "فتح النفوس" بقدر ما كان يتمثل في "فتح الأرض"¹.

يهدف النشاط النفسي و الدعائي للثورة على الشعب تحقيق الأهداف التالية :

1- تعبئة الشعب و بعث روح المقاومة و التحرر في نفسه، من خلال كسر الخوف و التردد المتكئين في النفوس.

2- الرد على دعاية العدو التي تستهدف الشعب، من أجل تنفيذها و إبطائها، و بالأخص الدعاية الصادرة عن فرق مكبرات الصوت و المناشير، التي سجل ضد نشاطها انزعاج ظاهر لمسؤولي الثورة، فقد كانت هذه الفرق تشارك في العمليات التكتيكية و تقوم بتنظيم تجمعات للسكان، أين كانت تمطرهم خلالها بشتى أنواع المناشير و الخطابات².

3- إحداث الهوة بين الشعب و المستعمر، بإحداث القطيعة بين الشعب و الإدارة الاستعمارية في مختلف المجالات.

في ممارستها للنشاط النفسي و الدعائي على الشعب، سلكت الثورة منهجا توعويا و تعبويا كان يتم تطبيقه على ثلاثة مراحل، مراحل كانت تأخذ حيزها من المكان و الزمان. فعند التوجه إلى منطقة ما من الريف الجزائري بغرض كسبها إلى صف الثورة كان المحافظ السياسي يقوم باختيار الدوار الأكثر تحمسا للثورة. بعدها، و في زمن أول، كان هذا الأخير يشرع في ربط اتصالات مكثفة مع عناصره الموثوق في وطنيتها و تحمسها، لإعلامها و تنويرها بحقيقة الثورة و بأهدافها و جعلها على إطلاع بمختلف التطورات على ساحة النضال. و في نفس الوقت كان المحافظ السياسي، و بالتعاون مع هذه العناصر المناصرة للثورة، يشرع في عملية سبر للعناصر الأخرى بالدوار لاكتشاف مناصرين جدد و تمييز المعارضين و كشف الخونة والمندسين و غيرهم من الموالين للإدارة الاستعمارية، بما في ذلك إحصاء الأسلحة المتواجدة بين يدي السكان³.

¹ - Mohand HAMOUMOU, *Et ils sont devenus harkis*, 148- 150.

² - SHAT, 1H 2534/d.1, Enseignements à tirer de l'emploi des Compagnies de Haut- Parleurs, Bureau Psychologique, n° 4598/RM10/PSY-GP, Alger, 21 septembre 1957, p. 3 ; aussi,, Les Compagnies de Diffusion et de Production en Algérie, un cas concret : METLIPAX , (1961), p. 3.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Etude sur le FLN, n° 474/EM.10/BP/DR, Alger, 20 septembre 1956, p. 6.

بعدها، و في مرحلة ثانية، كان يتم الشروع في إعداد الأراضية النفسية و اللوجيستية و تشكيل الخلايا الثورية تمهيدا لاستقبال وحدات جيش التحرير. هذه المرحلة كان يتم تنفيذها على مرحلتين :

- المرحلة الأولى و تخصص لإعداد الأراضية النفسية اللازمة لتحقيق عملية "فتح للنفوس". حيث يتم في زمن أول خلق "جدار الصمت" بتطهير الدوار من المخبرين و الوشاة الذين يعملون لحساب الإدارة الاستعمارية، بما يُجسّد "المصير الذي ينتظر الخونة" و يُنضّب المصادر الاستعلامية للعدو و يُكتم أفواه المتعاطفين معه. بهذه المرحلة أيضا كان يتم العمل على تحويل الأفراد و المجموعات إلى مناصرين أوفياء بتشكيل الخلايا الثورية و الفرق الفدائية.

- المرحلة الثانية من هذه المرحلة، كانت تخصص لإعداد الأراضية اللوجيستية اللازمة للعمل الثوري. و هي مرحلة كان يتم تدشينها أولا بتحطيم و تخريب كل الوسائل و المنشآت المستعملة من طرف العدو، كوسائل الاتصال و طرق المواصلات و المنشآت العمومية و الخاصة لشل حركته. و في مقابل ذلك، كان يتم الشروع في حشد و تجميع الوسائل اللازمة للعمل الثوري، كتشكيل المستودعات الخاصة بالمؤونة، و إقامة نظام للحراسة و الإنذار المبكر لرصد و مراقبة تحركات العدو، و تشكيل مصالح للاتصال و جمع الاشتراكات و الأموال و إقامة ورشات لتصنيع الذخيرة و إصلاح الأسلحة¹.

بجول المرحلة الثالثة، يكون قد تم الفراغ من إعداد الأراضية النفسية و اللوجيستية، عندئذ يمكن اتخاذ الدوار كقاعدة للثورة و منطلقا لفتح الدواوير المجاورة. و عندئذ أيضا يمكن استقبال أولى وحدات جيش التحرير، التي غالبا ما كانت تدشن دخولها إلى المنطقة بسلسلة من الكمائن و الهجومات ضد وحدات الجيش الفرنسي و حماياته. نتائج هذه الكمائن و الهجومات كان يتم استغلالها على الفور في نشاط دعائي على السكان².

عملية دخول وحدات جيش التحرير الوطني إلى الدواوير و القرى، كان يجري التحضير لها بعناية فائقة جدا لتحقيق الموقع النفسي الأشد على السكان، وقعا يبهتهم و يدفع بهم إلى الانخراط في الثورة. فعند الدخول إلى أحد الدواوير، كانت وحدات جيش التحرير تنقسم إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول من الوحدة، و يتشكل من العناصر الأحسن تسليحا و لباسا، هذه العناصر كانت تسند لها مهمة بعث الاتصال مع السكان، و هي مناسبة للقيام باستعراضات عسكرية أمامهم لإبهارهم، حيث يكون لحسن هيئة الجنود و انضباط حركتهم أقوى الأثر في نفوس هؤلاء. أما القسم الثاني من الوحدة، و يتكون من العناصر الأضعف تسليحا و لباسا، فقد كانوا يكلفون بالسير حول الدوار في حركة دائرية يزيد شعاعها عن مائة متر أو أكثر، أين يعطي المرور المنتظم للجنود بنفس النقاط الانطباع بأن الدوار محاط بأعداد كبيرة من الجنود. أما بالنسبة للقسم الثالث، و الذي كان يتشكل في كليته من العناصر التي لا تتوفر على أي سلاح أو لباس،

¹ - المصدر السابق، ص. 7.

² - المصدر السابق، نفسه.

فتمثل مهمته في إشعال النار على قمم الجبال، بما يوهم السكان بوجود أعداد أخرى هامة من الجنود بقيت معسكرة على التلال، لمراقبة الدوار من بعيد¹.

في عملية "الفتح النفسي للسكان" كان المحافظ السياسي يطلع بدور حاسم في تعبئة الشعب و تجنيده في الثورة، فهو وسيلة الثورة و أدواتها الأولى في هذه العملية. حيث تتمثل مهمته الأساسية في تقوية الوحدة بين الشعب و جيش التحرير، بجعلها وحدة تقوم على التآخي. و في هذا المقام يتوجب على المحافظ السياسي الحيلولة دون وقوع أخطاء و هفوات نفسية من طرف جنود و ضباط جيش التحرير، التي قد تُخلف طعما بالمرارة لدى النفوس قد يؤدي إلى رفض الثورة : « فجندي جيش التحرير، الجدير بهذا الاسم، يتوجب عليه أن لا ينسى، باعتباره ابنا للشعب، بأنه هو الخادم الوفي لهذا الشعب. كما يتوجب على المجاهد أيضا أن لا ينسى بأن هدفه الأول من الكفاح هو تحرير الشعب الجزائري من براثن الاستعمار الفرنسي. كما يتوجب أيضا على ضباط جيش التحرير المعاقبة و بصرامة كل المخالفات التي تصدر من المجاهدين في حق الشعب »².

أما في اتجاه الشعب، فتمثل مهمة المحافظ السياسي في تعريف هذا الأخير بالثورة و شرح أهدافها له و نفخ الروح القتالية فيه من خلال تنظيم التجمعات الشعبية الدورية، التي كان يدعى إلى حضورها كل البالغين من الذكور بالدوار. أما بالنسبة لمخاور هذه التجمعات، فقد كانت تدور غالبا حول مواضيع تتناول "شجاعة و صمود شعب يواجه الحرب" كما كانت تتناول أيضا عرض صفحات من تاريخ بطولات الجزائر من خلال جهاد أبنائها، إلى غير ذلك من المخاور التي تهدف إلى غرس الروح الثورية، و تعزيز الوحدة بين الجزائريين و بعث الحماس و شحذ الروح القتالية و تعريف الشعب بانتصارات جيش التحرير و تحذيره من دعاية العدو. و في هذا المقام كان يتم تصوير الثورة بأنها نهاية المطاف لسنوات طويلة من القهر و الإذلال. كما كان يتم تناول محور "الاستقلال" من خلال تبيان المكاسب المادية و المعنوية التي ستعود على الشعب ببلوغه إياه، كالأرض التي ستعود لأصحابها الحقيقيين. و لكن يبقى المحور المهيم على كل المخاور الأخرى هو "الدعوة إلى الجهاد" لشدة قربه من النفوس : « فدعاتنا - [كما يشهد الباحث محمد حربي] - لم يكن يصغى لهم عندما كانوا يتحدثون عن الوطنية، و لكنهم عندما كانوا يتحدثون عن انتشار الاسلام كان الفلاحون يرددون : "هذا هو الكلام الذي كنا ننتظره منذ مائة سنة" »³.

في مسعاها لتعبئة الشعب، قد يحدث أن تجد الثورة نفسها مجبرة، لتحقيق اعتناق السكان لها و انخراطهم فيها، إلى اللجوء إلى استعمال وسائل و أساليب أخرى غير مألوفة، التي قد تختلف و قد تتعارض مع وسائل الإقناع المعتادة. هذه الوسائل و الأساليب غير المألوفة فرضتها غالبا اعتبارات الفعالية و النجاعة في العمل الثوري، كما فرضتها أيضا أسباب و ظروف ملازمة أخرى كوجود موقف مبدئي معارض للثورة لدى سكان منطقة ما : فمثلا توجد وسائل أنجع من أخرى، فهناك أيضا سكان أقل اعتناقا و انخراطا - إن لم نقل أكثر

¹ - La guerre d'Algérie « 25 ans après », document sonores, 7 cassettes de Radio France, cassettes n° 2, (témoignage du M. Rabah Zerrari, dit Cdt Azzedine).

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives du C.C.E., (s. d.), p. 6..

³ - Maurice FAIVRE, op. cit, p. 80 ; aussi, Charles-Robert AGERON, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », op. cit., p. 223- 224.

« ترددًا و معارضة » - من آخرين، مما يستلزم معهم إدخال تغيير في الوسائل و الأساليب المستعملة. هذه الأخيرة كانت تتأرجح ما بين استعمال الإشاعة و الحيلة لفرض ما يعرف بـ "الانضباط الجماهيري" على الشعب...، إلى اللجوء إلى الإكراه النفسي و البدني، كما يتضح ذلك من الأمثلة التالية :

1 - استعمال الإشاعة لتمرير خطاب ما أو أمر أو نهي بطريقة غير مباشرة : و هي وسيلة يتوقف النجاح فيها على ما للمحافظ السياسي من دهاء يُعينه على حُسن حبكها، كما يظهر ذلك جيدا من الإشاعة التالية التي حُبكت في قالب تراثي جميل، هو قالب "الرؤية الصالحة" و تم الترويج لها في وقت ما بمدينة بجاية. فلما كان أداء فريضة الحج يُكلّف مبالغ هامة، الثورة هي أحوج ما تكون إليها؛ و بما أنه لا يمكن ثني الناس عن الحج بدعوى أن دعم الثورة هو أفضل من الحج، مما قد يحتاج لتحقيقه إلى فتوى، تم نشر الإشاعة التالية التي مؤداها أن دعم الثورة هو في ذاته واجب مقدس لا يقل في شيء عن أداء فريضة الحج. ذلك هو مغزى الإشاعة التالية التي أخذت شكل الحكاية التالية: حيث يحكى أن امرأة عجوزا، غنية جدا، و تقطن بمدينة الجزائر، كانت تُعد نفسها و تتأهب لأداء فريضة الحج خلال هذه السنة، عندما رأت في منامها، في الليلة السابقة لذهابها إلى الحج، "الرؤية" التالية : فقد رأت نفسها، فيما يرى النائم، أنها كانت محمّلة بحقائبها تتجول بأحد الشوارع، عندما بادرها أحد الأهالي، ممن لا تعرفه، سائلا إياها عن وجهتها. فأجابته بأنها تعترز التوجّه إلى الحج. فرد عليها هذا الأخير بأنه لا داعي و لا فائدة من الذهاب إلى مكة، بما أنه يمكن أداء فريضة الحج بعين المكان، بتبني و إطعام و إلباس أطفال المجاهدين الذين سقطوا شهداء في المعارك ضد الفرنسيين، أو بمساعدة و دعم السجناء السياسيين. و لما سألته عن اسمه و عن من يكون ؟ أجابها: بأنه سيطلعها على ذلك إن هي قطعت له يمينا على نفسها بفعل كل ما أشار به عليها. فلما أجابته إلى ذلك، قال لها : بأنه "النبي مُحمّد، جاء إلى الجزائر لدعم جيش التحرير الوطني". و دائما حسب هذه الحكاية، تكون هذه المرأة قد عدّلت من الغد عن سفرها إلى الحج و تفرّغت للتكفّل بأبناء المساجين السياسيين¹.

إشاعة أخرى مماثلة تم نشرها و الترويج لها بمدينة أقبو، و التي أراد لها مروجوها تأجيج الحس الوطني من خلال تحريك العاطفة الدينية لدى الشعب و دعم أوامر جبهة التحرير في امتثال بعض النواهي، كالامتناع عن التدخين و شرب الخمر و لعب القمار. حيث يُحكى أن أحد سكان بني عباس (سكان بني عباس و يشملون كل من دواوير إقيل علي، آيت ارزيم، ثقرين، موكا و بوني) تلقى رسالة من أحد أقربائه القاطنين بمكة منذ أزيد من عشرين سنة، و التي قص له فيها الرؤية التالية، التي يكون قد رآها. يقول : « رأيت نفسي فيما يرى النائم أنني كنت خارج الحرم المكي عندما شدّ انتباهي رؤية مسجد و كنيسة متواجدين أمامي. و بعد فترة رأيت رجال إسعاف ينقلون أمواتا و يتوجهون بهم إلى الكنيسة. فبادرت أحد رجال الإسعاف سائلا إياه عن مصدر كل هؤلاء الأموات. فأجابه بأنه جيء بهم من الجزائر. فبادرته ثانية مستفهما : لماذا كل هؤلاء الأموات هم

¹ - SHAT, 1H 2586/d.2, Formes de propagande rebelle, (s. d.).

من المسيحيين في حين أن الصحافة و الإذاعات تطالعا في كل يوم بأن الجيش الفرنسي يقتل العديد من المسلمين ؟ فأجابني رجل الإسعاف بأنه لم يستلم إلا موتى مسيحيين وأنه في الجزائر لا يوجد مسلمون حقيقيون، فكلهم يشرب الخمر و يلعب القمار و يتعاطى الدخان «¹.

2 - استعمال الدهاء و الحيلة لتحقيق حصول القناعة و الاعتناق في الثورة لدى السكان. ففي الأحوال العادية، و بالمناطق المناصرة للثورة، كان المحافظ السياسي، عندما يدخل دوارا ما لأول مرة لتعبئته و تنظيمه في الثورة، يقوم بتجميع سكانه و الخطابة فيهم لتعريفهم بالثورة و شرح أهدافها لهم، حاثا إياهم على ضرورة مساندتها و إنجاحها لتحقيق الهدف المنشود، مادحا شجاعتهم و تمسكهم بالدين و مشيدا بمواقفهم التاريخية و ماضيهم العريق في مقاومة المستعمر و نصرته الإسلام... ليقوم بعد ذلك، و دونما صعوبة تذكر، باختيار بعض العناصر منهم، المعروفة سلفا لديه، و تعيينها على الفور كمسؤولين عن السكان. فيرى هؤلاء في هذا التعيين ثقةً خصوا بها و رفعةً في القدر و الشأن تبعث على الفخر. فيجتهدون في عملهم الثوري و يبذلون البلاء الحسن و يرمون بالقبيلة في حضان الثورة و يتحوّل الدوار إلى قاعدة جديدة من قواعد جيش التحرير. و يصبح الجميع مجبرا على السير إلى الأمام، لأن التراجع هنا يعني الموت².

لكن في بعض الأحيان و في بعض المناطق تصطدم جهود المحافظ السياسي بشيء من التردد و المعارضة، كأن يكون الدوار أو القبيلة متورط و متواطئ مع المستعمر، أو يحمل الولاء إلى جهة أخرى مناوئة لجهة التحرير كالحركة الوطنية الجزائرية التابعة لمصالي الحاج. هنا، يجد المحافظ السياسي نفسه مجبرا على اللجوء إلى وسائل أخرى لإعادة الدوار أو القبيلة إلى الطريق المستقيم، فالطرف لا يسمح بالبقاء على الحياد.

في هذه الحالة، يبذل المحافظ السياسي كل ما في وسعه لإقناع القبيلة وكسبها إلى صف الثورة. فإن أبت، توقف عن بذل مساعي أخرى. و أرسل بعد بضعة أيام من ذلك بفوج من جنود جيش التحرير للقيام بعملية تخريبية ضد بعض أهداف العدو الواقعة ضمن مجال القبيلة، حيث يتم تنفيذ العملية التخريبية بمعية أفراد من القبيلة، يتم إجبارهم قسرا على المشاركة فيها. و بعد أيام أخرى يتم تكرار نفس العملية و استعمال عناصر أخرى من القبيلة. و هكذا، يتم تكرار العملية مرة و مرات أخرى حتى يتم توريث كامل القبيلة. عندئذ، يكفي إصدار أي أمر لهذه الأخيرة حتى تمتثله بسرعة، فتقوم بنفسها بقطع طرق العدو و نشر أعمدة خطوطه الهاتفية. و عندئذ أيضا يمكن للمحافظ السياسي ممارسة نفوذه على كامل القبيلة و تعيين مسؤولين من أفرادها ليشرفوا على التنظيم الثوري بها.

و لكن، قد يحدث أيضا أن ترفض القبيلة إبداء أي تعاون مع الثورة، بالرغم من كل ما بُذل معها من مساعي. عندئذ لا مفر من استخدام الوسائل الأشد. حيث يعتمد جيش التحرير إلى نصب

¹ - المصدر السابق.

² - SHAT, 1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens (Renseignements fournis par un chef rebelle fait prisonnier), n° 1100/ CSTT/5/E, Tunis, 30 octobre 1956, p. 2.

كمن للجيش الفرنسي على مجال منطقة القبيلة. فيقوم هذا الأخير بتنفيذ عملية انتقامية ضد سكان القبيلة المعنية لاعتقاد تواطنهم مع الثورة، فيقتل و يدمر و يحرق الغابات و يأسر الرجال. فيستغل المحافظ السياسي كل ذلك، للدلالة على أن القبيلة لا تتمتع بثقة الفرنسيين، فهي بالرغم من ولائها لهم تبقى في نظرهم مشبوهة، تماما مثل غيرها من القبائل التي تنتصر للثورة. عندها لا تجد القبيلة أمام كل ما لحق بها إلا الارتقاء في أحضان الثورة¹.

3 - استعمال الإكراه النفسي و الجسدي، و هو آخر ما يلجأ إليه، فأخر الدواء الكي. مما يعني أن الإقناع وحده لم يكن دائما وسيلة الثورة الوحيد للحصول على قناعة الشعب. فالنفوس المريضة و المترددة و مخططات الحرب النفسية الجهنمية و الفتاكة للعدو، لضرب الثورة و تشتيت صفها، ما كان يمكن التصدي لها لولا صرامة من الحديد تعاقب الخونة و تتعقب المندسين و تردع الجبناء و المترددين. لذلك لا عجب إن حدث في بعض التجمعات الشعبية لجوء المحافظ السياسي إلى استعمال التهيب بعد الترغيب و أخذ المواثيق المغلظة من الحضور، بالقسم على المصحف الشريف، من أجل العمل على نصرته الثورة إلى آخر نقطة من دم أو الاستقلال. و ربما قد لا يكفي كل ذلك، فيحتاج المحافظ السياسي إلى وسيلة أبلغ و أرفع. و في هذا المقام قد يحدث للمحافظ السياسي أن يسأل سكيينا كبيرة من غمدها، يشهرها على الحضور، و يلوح بها قائلا : « القسم على المصحف شيء جيد... و لكن هناك وسيلة أخرى أيضا... فمن أراد السير في الطريق المستقيم فبها؛ و من أبي إلا الزقزاق -[الاعوجاج]- و الخروج عن الطريق فله هذا [و يشير إلى السكين الكبيرة] »². و في هذا المقام، تُعد أحداث دواي ملوزة و وقرام (Melouza et Wagram) التي وقعت في أواخر ماي 1957، عينة على ما قد تبلغه صرامة الثورة في التعامل مع المترددين. و إن كان هذا الحادث يكاد يكون الوحيد من نوعه تقريبا الذي لجأت فيه الثورة إلى اعتماد مبدأ العقاب الجماعي.

4 - العمل على تحقيق و فرض ما يعرف بـ "الانضباط الجماهيري" : و ذلك من خلال إصدار سلسلة من الأوامر و النواهي التي يتوجب على الشعب الالتزام بها بما يؤدي في النهاية إلى فرض سلطة الثورة على الجميع. من ذلك قائمة الأوامر و النواهي التي يجب إتزامها و التي كان الإخلال بها يجلب العقوبة لمخالفيها، من ذلك :

- النهي عن التدخين و لعب القمار، و التردد على المقاهي و أماكن اللهو؛
- النهي عن إرسال الأطفال إلى المدرسة و الدعوة إلى مقاطعة المدارس الفرنسية؛
- النهي عن إجراء مختلف المعاملات العقارية، و دفع الضرائب للخزينة الفرنسية؛
- النهي عن الذهاب إلى الحاكم الإداري و الاحتكام إلى العدالة الفرنسية، بما في ذلك التردد على مكاتب لاصاص و الالتحاق بمراكز الجيش الفرنسي و ثكناته بغرض العيش حولها؛

¹ - المصدر السابق، ص. 2.

² - Mohand HAMOUMOU, *Et ils sont devenus harkis*, p. 149.

- النهي عن حمل بطاقة التعريف و التصويت في الانتخابات و المشاركة في المندوبيات؛
- الأمر بمقاطعة التجار الأوروبيين و النهي عن العمل لدى الكولون، خلال مواسم الحصاد و جني العنب، و كذا العمل بورشات إنجاز و إصلاح طرق المواصلات؛
- كما يمكن أن نضيف إلى ذلك أمر الثورة في بعض السنوات بعدم أداء فريضة الحج¹.

تلك هي بعض النواهي و الأوامر التي أصدرتها الثورة و التي تعددت و تطورت باستمرار الحرب. على أن هناك ثلاث ملاحظات يمكن إيرادها على هذه الأوامر و النواهي:

- الأولى، هو أن هذه الأوامر و النواهي غالبا ما أرفقت ببيان في شكل منشور يوزع على الشعب، لشرح أبعاد و مرامي ذلك الأمر أو النهي، حتى يكون الامتثال لهذه الأوامر أو النهي صادر عن قناعة و إيمان لا خوف. من ذلك المناشير المتعلقة بمقاطعة التعليم الفرنسي و الامتناع عن أداء فريضة الحج و الامتناع عن التدخين. هذا الأخير، على سبيل المثال، شُرح أسبابه في عبارات وجيزة و بناء منطقي رائع، كما يلي :

« - إن شراؤك لعلبة سجائر، معناه مساهمتك في تمويل ميزانية الحرب لفرنسا؛

- و شراؤك لعلبة سجائر، معناه وضعك رصاصة في مسدسٍ يُوجّه إليك؛

- و شراؤك لعلبة سجائر، معناه أيضا تفجير هذه الرصاصة على نفسك، لتقتلك؛

- و إذن فشراؤك لعلبة سجائر معناه انتحارك...

... و قد علمت أن الانتحار جريمة، يعاقب الله عليها².

- الثانية، هي الصرامة الشديدة التي كان يتم التعامل بها مع المخالفين لها، و التي كانت تتمثل في عقوبات قد تصل إلى الموت في بعض الأحيان، و بالأخص تجاه الذين يخالفون أمر الثورة بعدم المشاركة في المندوبيات الخاصة³. كما كان يترتب عنها، في حالات أخرى، جلع الأنف كما بالنسبة للذين يخالفون أمر الثورة بعدم التدخين، و تفجير المقهى، كما بالنسبة للذين يجعلون من مقاهيهم محلا للعب الدومينو و الورق⁴.

- أما الثالثة، فتتمثل في الانضباط المثالي الذي كان يقابل به السكان أوامر جبهة التحرير بالرغم من الحرج الذي كانت تجلبه لهم هذه الأوامر. فهي لم تكن تخلو من مشقة و صعوبة، و كثيرا ما عادت عليهم بمتاعب كبيرة، و هو ما جعلهم في أحيان كثيرة يدفعون ثمنا باهظا لامتناعهم الحرفي لها. و في هذا المقام، لا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض أوامر الجبهة كانت مصدر ضيق حقيقي للسكان،

¹ - أنظر، كعينة على هذه الأوامر و النواهي، أنظر الملحق رقم : 103 الخاص بالنهي عن العمل لدى المزارعين الكولون لجي العنب و العمل بمختلف الورشات الأخرى كإصلاح الطرق و خطوط السكة الحديدية التي خربتها الثورة لأن فيها ضرب لاقتصاد العدو. أما بالنسبة للأمر بمقاطعة التعليم

الفرنسي، فأنظر الملحق رقم : 107. أما بالنسبة للأمر بعدم أداء فريضة الحج فانظر الملحق رقم : 108.

² - أنظر الملحق رقم : 106.

³ - أنظر الملحق رقم : 109.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 110.

و بالأخص عندما يتعلق الأمر بالنهي عن العمل لدى الكولون خلال موسمي الحصاد و جني لعنب، الذي كان مصدر رزق لشريحة عريضة من السكان. أو الأمر الموجه للعاملين بمزارع الكولون و المتضمن الأمر بقتل هؤلاء و حرق مزارعهم و غلالهم¹.

على أن هذا لا يعني بحال أن أسلوب الثورة تجاه الشعب لم يكن شيئاً آخر غير الإكراه و العنف. فالثورة التي كانت واعية بنفسها بأنها إنما جاءت لتحرّر الشعب، ما كانت لتسمح لنفسها بانتهاج سلوك يؤدي إلى عزلها عنه، سلوك هو أقرب و أليق بالمستعمر من الحرر. لذلك نجد الثورة قد ضببت تعاملها مع الشعب بضوابط الأخوة و الاحترام، تشهد على ذلك الشواهد التالية :

- فرض احترام الشعب على كل عناصر الثورة، سواء كانوا قادة كباراً أم جنوداً بسطاء، و اعتماد اللين و الحسنى في التعامل معه و مهادنة حساسيته فيما لا ضرر فيه على الثورة. و هنا يكون دور المحافظ السياسي عظيماً جداً للحيلولة دون وقوع أخطاء و هفوات نفسية قد لا تحمد عقباها من رجال الثورة في حق الشعب. لأن الشعب « هو رأس مال الثورة الوحيد »²، فهو الذي يدلُّ و يُعلم، و يُطعم و يُمون، و يقدم المال و الرجال ... و لذا فإن واجب الجندي هو دائماً و أبداً احترام الشعب، لأن انتماءه إلى جيش التحرير الوطني يفرض عليه ذلك. فمن البديهي أن صفة "المقاتل" التي يتحلى بها هذا الجندي تفترض فيه تمتعه بنضج سياسي أكبر، مما يترتب عليه وجود فوارق فكرية و عقلية بينة، بينه و بين رجل الريف العادي، و ذلك أمر بديهي. و هنا يكون دور القائد المسؤول كبيراً بفهمه و تفهّمه لهذه الفوارق و حمل أتباعه على التحلي بالسلوك الوطني، و الحيلولة دون تحول هذه الفوارق إلى هوة أو شرخ تُفرّق بين الجزائريين. لأنه: « يجب تفادي حدوث أي هوة بين الجزائريين، فمن المهم جداً السير - [في الثورة]- و الوصول بشكل عادي، دون صدم إخوتنا أو الاصطدام بهم. هؤلاء، الذين تريد الاستعمارية المنحطة إبقاءهم في الجهالة، مثل الطريقة على سبيل المثال التي تجب محاربتها بذكاء. فإنه من غير المعقول و لا معنى له، بل و من الإجرام أيضاً، استعجال التغيير في عادات الناس »³. مبدأ اللين و التدرج في التعامل مع الشعب لتحقيق أهداف الثورة، نجد تطبيقات عديدة له في مواقف بعينها و قفتها الثورة لتسوية العديد من الحالات و المشاكل التي وقعت خلال مسيرتها. و في هذا المقام، تعد الطريقة التي انتهجتها الولاية الرابعة مثلاً في معالجة قضية الحائن "الشريف بن السعيد"، عيّنة بارزة على ذلك. حيث نجحت قيادة الولاية الرابعة في تطويق هذه القضية و الحيلولة دون اكتسابها لأبعاد تضر بوحدة الشعب⁴.

¹ - SHAT, 1H 2586/d.2, Fiche de renseignements, n° 3345/EM.10/2/OPE, Alger, 20 juin 1957

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Décisions prises au PC de la Wilaya d'Oran, au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, (documents récupérés le 19 novembre 1957 par la Gendarmerie Française de Ain Temouchent), p. 11.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1.; Circulaires émanant de la Wilaya IV, annexe au fiche de renseignements sur l'organisation rebelle n° 5653/EM.10/2/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, Circulaire n° 1, p. 7.

⁴ - Azzedine (Cdt.), Les fellagas, p. 115- 120.

- عدم إرهاب الشعب و مطالبته بما لا يمتثل: « فشحعبنا يتحمل منذ ثلاث سنوات كل عبئ الحرب، فلنتفادى مطالبته بما لا يستطيع تقديمه، ففي ذلك السبيل الوحيد لإبقائه حليفا أكيدا و دائما»¹.

- الرفق بالشعب و الاكتراث لأوضاعه و مواساته خلال المآسي، و بالأخص عندما يتعرض لانتقام و فتك الجيش الفرنسي، و تقديم يد العون له، فالثورة لا تأخذ فقط و إنما تعطي أيضا. فبعد كل عملية قمعية للجيش الفرنسي كان يتوجب على المحافظ السياسي المسارعة فورا إلى نجدة العائلات المتضررة من القمع، لإسعافها و تقديم يد المساعدة لها. و هي عملية كانت تتم بحضور رئيس مجلس الشعب شخصيا، أو نائبه، لياشر بنفسه تقديم المعونات المادية، بما يعزز من نفوذ و سلطة مجلس الشعب على سكان الدوار². كما كان يتم أيضا فتح سجلين لإحصاء ضحايا القمع الوحشي، الأول للشهداء المدنيين و الثاني للمعتقلين السياسيين، لتستفيد عائلاتهم من منحة. نفس هذه المعلومات، كان يتوجب على المحافظ السياسي الإشارة إليها ضمن فصل خاص يفرد لها في تقريره الشهري الذي يرفعه إلى القيادة³.

حضور الثورة بين الشعب لم يكن يقتصر فقط على التواجد عقب العمليات القمعية للجيش الفرنسي، و إنما كان ينشد أيضا تحقيق حضور دائم و مستمر لتربية الشعب و تنظيمه و إعداده لتحمل استقلال مستقبلي حقيقي، و هو أمر يتم الشروع في وضع أسسه من الآن. و في هذا المقام، باشرت الثورة تطبيق أنشطة عديدة للتكفل بالشعب، كتوفير التعليم من خلال نشر المدارس القرآنية و حث الشعب على التردد عليها؛ و توفير الرعاية الطبية بواسطة فرق تمرير تؤمن خدمة طبية مزدوجة للجيش و الشعب؛ و تشجيع الأنشطة الاقتصادية بالريف الجزائري من خلال تشجيع الفلاحين و مربي المواشي على العمل و الإنتاج و دعمهم ماديا و ماليا في ذلك⁴. و قد كان نجاح الثورة في هذا المسعى يختلف بحسب الولايات.

و عموما كان المسار العام للنشاط النفسي و الدعائي للثورة باتجاه الشعب يمر بأربعة مراحل أساسية هي : حماية الشعب، إعلامه، تنظيمه ثم تعبئته في الحرب. و لأهمية هذه المراحل الأربع سنخص كل منها بتناول خاص.

المطلب الأول : حماية الشعب

و المقصود بحماية الشعب هنا هو جعله بمنأى عن كل التأثيرات المعادية للدعاية الفرنسية التي تستهدف ضرب معنوياته و روحه القتالية و شل مقاومته و دفعه إلى الاستسلام. عمل الثورة هنا كان يتم من خلال القتال على عدة جبهات :

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives du C.C.E., 20 août 1956, publiées par la Wilaya VI, novembre 1956, p.3.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives politiques émanant de la Wilaya IV, Zone II, Région IV, signées par MAHMOUD, (s. d.), p. 3

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives générales FLN- ALN, 30 /11 /1956, (documents récupérés à Ténès fin janvier 1957) ; aussi, circulaire de la Zone n° 6, Wilaya V sur le recensement des pertes civiles, (s. d.).

⁴ - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire n° 1 aux comités de Zones, Régions et Secteurs, Wilaya du Nord du Constantinois, 9 décembre 1956, p. 3.

الجبهة الأولى، و هي جبهة تُشن فيها الحرب على الإدارة الاستعمارية، حيث يتمثل مسعى الثورة هنا في قطع كل رابطة أو تبعية للشعب تجاه الإدارة الفرنسية بمختلف أجهزتها، بهدف خلق فراغ إداري يجبر الشعب على القطع مع سلوكات الولاء المعتادة تجاه هذه الإدارة و بما يمهّد في نفس الوقت الطريق للإدارة الثورية كيما تأخذ مكانها و تفرض سلطتها. تحقيق الفراغ الإداري كان يتم من خلال إصدار سلسلة من الأوامر و النواهي التي تعرقل السير العادي للإدارة الاستعمارية، كنهى الشعب عن دفع الضرائب لها أو التعاون مع أعوانها أو العمل لدى الكولون؛ بالإضافة إلى تجريد الأشخاص من بطاقات التعريف و تقطيعها، و حضر المشاركة في الانتخابات و إعدام مرشحيها. و بالتوازي مع كل ذلك، كان يُشرع في نسج إدارة ثورية تبسط نفوذها تدريجيا على السكان من خلال تنظيمها لمختلف مناحي حياتهم اليومية¹.

الجبهة الثانية - و هي امتداد للأولى - هي جبهة القتال ضد القسّمات الإدارية المختصة - لاصاص، التي كانت تضطلع بدور هدام على درجة عالية من الخطورة على الثورة و الشعب معا. حيث نسجل - و هذا من خلال الوثائق التي اطلعنا عليها - انزعاجا ظاهرا لمسؤولي الثورة من نشاطها الهدام. تماما كما يتجلى واضحا في تلك الرسالة المسترجعة بتاريخ 16 ماي 1957 و الصادرة عن المدعو حسان (?) و الموجهة إلى سي خير الدين، المحافظ السياسي بقطاع مَعَلَة (Maala) جنوب مدينة الأخصرية، حيث نقرأ فيها ما يلي: « جوابا على رسالتك بتاريخ 11 أفريل 1957، أطلب منك أيها الأخ العزيز التكفّل و عن قرب بموضوع السياسة الجديدة لمكاتب لاصاص. أعرف جيدا بأن الأمر صعب، و لكنه أمر يتعلق بمصلحة تنظيمنا و أيضا بمصلحة شعبنا. استعمل كل الوسائل المتاحة للقضاء على هذه "الآفة": و زرع القمح و الشعير و كذلك المال. و اتصل بسعيد محمود(?) حتى يُمدك بقماش مدني، قم بتوزيعه على المداشر المجاورة و المحتشدات. أما بالنسبة للمصححة، فقد وضعت تحت تصرفك عون تقني في الصحة، و لك أن تطلب من محمود أن يشتري له الأدوية اللازمة. استعمل جميع الوسائل، و لا تنسى بالخصوص أن تصطحب معك كميات من الحلوى و الكعك كي توزّعها على الأطفال و الشعب. إني أعوّل عليك أيها الأخ لتحقيق تسيير جيد لهذا القطاع، لأنك أنت وحدك من يمكنه فهم هذا الشعب و تخفيف آلامه. فابذل وسعك، فأنا أعتمد عليك [...]»².

في محاربتها للأنشطة الهدامة لمكاتب لاصاص، اتبعت الثورة خطة منهجية قوامها المعرفة الدقيقة للخصم، معرفة تتوخى الإحاطة بأهدافه و أساليب عمله و أنشطته، بما في ذلك معرفة الأشخاص العاملين بمئاته المكاتب، من ضابط مكتب لاصاص إلى كُتّابه و معاونيه و عناصر حرسه. فمثلا بالنسبة لمعرفة ضباط لاصاص، كان المطلوب هو الحصول على اسمه و لقبه، رتبته و وضعيته العائلية، مزاجه و الأصول التي ينحدر منها، تنقلاته و رقم سيارته و لوّنها. كما كان المطلوب أيضا المعرفة، معرفة إجمالية و مفصّلة، التوجهات العامة لسياسته و لنتائجها، و محاور خطبه على السكان. بما في ذلك معرفة معاونيه، كل باسمه و هويته و مزاجه و الدور الذي يطّلع به؛ و معرفة العناصر الخارجية التي تتعاون معه، كالأعيان و أعضاء المندوبيات

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Aspect de l'implantation rebelle dans une zone de l'Aurès, n° 6893/EM/10/2/OPE/P, Alger, 29 novembre 1957, p. 2 et 3.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Copie d'une lettre rebelle récupérée le 16/05/1957.

الخاصة و مسؤولو الدواوير و العروش. علما أن هذا النشاط الاستعلامي لم يكن يسلم منه حتى السكان المترددون على هاته المكاتب، الذين كان يتوجب في حقهم الحصول مبدئيا على رخصة خاصة من رئيس مجلس الشعب للتردد على هاته المكاتب. و بمجرد خروجهم منها، كانوا يخضعون لاستجواب دقيق حول كل ما جرى لهم داخل هاته المكاتب¹. و بالفعل، فقد استشعر المستعمر و بصفة مباشرة شدة الرقابة التي سلطتها الثورة على هيئاته و أنشطته : « إن المتمردين يبذلون ما في وسعهم لاختراق هيئاتنا، مثل مكاتب لاصاص، و تشكيلات الحركة و فرق المخزن، و المفزعات العمالياتية للحماية - (D.O.P.) - و هي الهيئات التي يحاولون بها إيجاد عناصر موالية لهم. ففي مناطق عديدة توجد كل مكاتب لاصاص تحت رقابتهم المستمرة، أين يتم تسجيل كل أسماء المسلمين الذين يترددون عليها للتأكد عما إذا حصلوا على إذن من قائد الناحية »².

و في هذا المقام، كان للولاية الخامسة التاريخية قصب السبق و الريادة في مجال الاستعلام حول مكاتب لاصاص، فقد أصدرت قيادتها أمرا إلى كل قادة المناطق جاء فيه : « المطلوب من كل قادة المناطق مراقبة ضباط مكاتب لاصاص في كل حركاتهم و أفعالهم و المتابعة الدقيقة لكل تطور في سياستهم. و بهذا الصدد سيتم انتداب أشخاص مختصين لدراسة مناهج و وسائل عمل هاته المكاتب على وجه الخصوص، لأنه فقط بالمعرفة الدقيقة للعدو يمكن تفادي ضرباته »³. و بالفعل، لم يمضي وقت طويل حتى كُلت الجهود الاستعلامية للولاية الخامسة بإصدار هذه الأخيرة، في مارس 1958، لدراسة قيمة في شكل كُتيب قشيب من قسمين، خصص كلية لمكاتب لاصاص لبحث أساليبها و طرق عملها و استعراض مختلف أنشطتها الهدامة و اقتراح أنجع السبل للرد عليها. و قد صدر هذا الكُتيب في طبعة أنيقة ضمن العدد الأول من «سلسلة» «الأصداء السياسية للولاية الخامسة» بعنوان : «مكاتب لاصاص، سياستها، دورها و أساليبها». وثيقة فرنسية مرفقة بهذا الكُتيب شهدت بدقة الدراسة و بموضوعيتها⁴.

أما في مجال مكافحة مكاتب لاصاص و التصدي لأنشطتها الهدامة، فقد اتخذت الثورة جملة من الإجراءات، أهمها :

- أولا، القضاء على العناصر العاملة بمكاتب لاصاص باعتماد أسلوب التصفية الجسدية، و بالأخص ضد شخص ضابط لاصاص. و بهذا الصدد كانت التعليمات الصادرة عن الثورة صريحة واضحة بضرورة شن حرب لا هوادة فيها ضد هذه المكاتب و ضد ضباطها، مثلما فعلت ذلك قيادة الولاية الخامسة، التي جاء في إحدى تعليماتها ما يلي : « تمثل مكاتب لاصاص خلية قاعدية في سياسة العدو. فهي التي تُعدّب و تحيك الشبكات الاستعلامية التي تعرقل عملنا الثوري. لذلك فهي تمثل الهدف الأول الذي يجب علينا مواجهته. و لذا يتوجب على كل قادة المناطق العملياتية تخطيط هاته البنية التحتية القمعية للعدو و شن حرب لا هوادة فيها ضد مكاتب لاصاص على

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Bulletin de Renseignements, n° 421/ZSA/2.S, Alger, 22 février 1958, p. 5- 6.

² - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, janvier- février 1959, p. 3.

³ - SHAT, 1H 5821/d.1, Décisions prises par le Commandement de la Wilaya d'Oran au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, p. 11- 12.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 111.

مستوى المناطق، حيث يمكن لقادة المناطق شحذ روح التنافس بين جنودهم بتحديد عدد من المكافآت (كمنح ترقية في الرتب العسكرية، و منح أوسمة، وغيرها..) لكل مجاهد أو فدائي يطيح برأس ضابط لمكتب لاصاص. و بكلمة، فإن الحرب ضد مكاتب لاصاص يجب أن تكون شرسة و دائمة ¹. و بالفعل، فقد حققت الثورة في مضمار مكافحة ضباط مكاتب لاصاص بعض النتائج، تمثلت في القضاء على 73 ضابطا من ضباط لاصاص، بالإضافة إلى 33 ضابط صف و 42 ملحقا مدنيا و 612 عنصرا من حرس المخزن ². و هي نتائج متواضعة بالنظر إلى العدد الكبير لهذه المكاتب، الذي زاد في وقت ما عن 730 مكتب، مما يجعلنا نقدر بأن نشاط هذه المكاتب لم يتأثر كثيرا بالثورة.

- ثانيا، العمل على اختراق هذه المكاتب، و إيجاد أعوان بداخلها، من خلال قيام الثورة "بعملية استرجاع" للعناصر التي يمكن استمالتها، و بالأخص عندما تكون هناك ظروف مواتية تسمح بذلك، كمرور الحكومة الفرنسية مثلا بضائقة مالية تُحتم عليها إجراء تقليص في ميزانية الجزائر، مما يترتب عليه تعليق بعض المنح، فيكون العاملون بتشكيلات الحركة و فرق المخزن هم أول المتضررين من ذلك مما ينعكس على معنوياتهم و يُكوّن لديهم القابلية للتعاون مع الثورة ³.

- ثالثا، و بالتوازي مع أسلوب التصفية الجسدية ضد ضباط مكاتب لاصاص و المتعاونين معهم، باشرت الثورة حربا نفسية و دعائية متعددة الأشكال ضد هؤلاء : « سوف نناهض السياسة الماكرة و الخداعة لضباط لاصاص بسلوك ينسجم و تقاليدنا الدينية، و بشجاعة لا حدود لها، و بتفاني تام و إخلاص صادق. و سوف نُفند دعاية مكاتب لاصاص بإصدار مناشير محلية، بالعربية و الفرنسية، نوزّعها بين سكان الدواوير» ⁴. و بالفعل تم إصدار و توزيع العديد من المناشير، التي تناولت في مجموعها فضح أطوار سياسة ضباط لاصاص، التي تشكّل تناقضاتها جزء من تناقضات السياسة الفرنسية ككل. حيث نقرأ في منشور بعنوان : "العبقرية المبدعة لضباط لاصاص" ما يلي : « إنه لمن المذهل حقا ما يمكن أن تتفتق عنه قريحة ضباط لاصاص. فهل ستفشل طريقة "توزيع الحلوى على الصغار" هي الأخرى ؟ إذن سيطبّقون طريقة أخرى تتمثل في "تقديم العلاج و المساعدات". نعم العلاج لأولئك الذين وقعوا، بسبب هؤلاء السادة، فريسة للأمراض. و العلاج أيضا لأولئك الفتيات اللاتي تعرضن للاغتصاب من طرفهم. و العلاج أيضا لأولئك الشيوخ الذين تعرضوا للتعذيب من طرفهم. و أخيرا العلاج أيضا لأولئك الأطفال الذين حرموا

¹ - SHAT, 1H 5821/d.1, Décisions prises par le Commandement de la Wilaya d'Oran au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, p. 9 ; aussi, Philippe Hédouy, *Algérie Française 42-62*, p. 201.

² - Brahim Lahrache, dit « Ghani », op. cit., p. 172; Pierre Montagnon, *La guerre d'Algérie*, p. 146.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de la Zone VII, Wilaya V, à tous les Chefs de Régions, 29 mars 1958.

⁴ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives politiques à tous les Commissaires politiques, Wilaya IV, Zone II, Région IV.

الأب، لأنهم قتلوه. أما المساعدات فهي لأولئك الجياع، الذين أحرقت غلاتهم وهدمت دورهم و أتلفت و نُهبت ممتلكاتهم (...)»¹.

و لأن الأسواق الأسبوعية تمثل منتدى يؤمه كل سكان الريف، حيث يجد فيها ضباط لاصاص فرصة لتمير دعايتهم، فقد عملت الثورة - كما تم ذلك في بعض المناطق - على تغيير أيامها و فرض الحصول على رخصة خاصة من رئيس مجلس الشعب للتردد عليها و تشجيع تجار الدواير بدعمهم ماليا لتكوين مستودعات تجارية تسد حاجة الشعب و تغنيه عن هذه الأسواق و تحقق القطيعة بينه و بين فرنسا. و على ذكر هذا العنصر الأخير، أي تحقيق القطيعة بين الشعب و فرنسا، كانت التعليمات الصادرة تتضمن ما يلي : « نتابع حاليا تدشين مكاتب لاصاص لعمل هجومي في اتجاه الشعب. ففرنسا يستولي عليها الظن بأن الشعب يسير نحو الالتحاق بها. و لكن شعبنا له من النضج ما يمنعه من الاغترار بذلك. و مع ذلك، يتوجب علينا عدم الاستخفاف بقدرات العدو و البقاء دوما يقظين. لذا يتوجب على مسؤولينا أن يملؤا بحضورهم السياسي و العسكري كل مداشرنا، بحيث لا يخلو دوار واحد من تواجد لمخافض سياسي، أو لقائد عسكري، أو لمسؤول للاتصال و الاستعلامات، أو لمفتش للتعليم، أو لمساعد اجتماعي أو غير ذلك. كما يتوجب علينا تبادل الحديث مع الناس، و الابتسامة في وجه الأطفال و توزيع الحلوى عليهم، و توقيير الشيوخ و النساء، و الحديث لهم عن جهاد نبينا، و حث الشعب على إبداء روح التضحية. و لكن كل ذلك، لا يجب أن يفقدنا الحزم اللازم في التعامل مع الخونة : فمتى تبين لنا وجود أحد الخونة، من الذين لا شبهة في خيانتهم، فيجب تصفيته دوما ترداد »².

- رابعا، مناهضة كل أنشطة الهيئات التابعة لمكاتب لاصاص، و بالأخص الهيئات التي تتخذ من تقديم المساعدات و الخدمات الطبية و الاجتماعية و غيرها - كمنشطي الشباب - مطية لبلوغ السكان و تحقيق مآرب سياسية و عسكرية أخرى لصالح المستعمر. و في هذا المقام كانت "الفرق الطبية و الاجتماعية المتنقلة" محل متابعة و مطاردة من قبل مصالح الثورة. حيث، و من أجل الحيلولة دون توجه الشعب نحو هذه الفرق، قامت المصالح الدعائية للثورة بالترويج لإشاعة مفادها أن هذه الفرق، و تحت غطاء تقديم المساعدة الطبية و الاجتماعية، تقوم بتنفيذ عملية واسعة للقضاء على خصوبة النسل عند السكان من خلال منح هؤلاء مواد كيميائية تؤدي إلى العقم. بل جرى أيضا الحديث عن حرب جرثومية ضد الشعب³، و ممارسة المستعمر لعمليات جراحية لخصي الرجال، أجريت لهم بالمعتقلات⁴. منشور صادر عن الولاية الثانية

¹ - SHAT, 1H 2587, Tracts FLN- ALN intitulés : « Le génie créateur des Officiers S.A.S. » et « Les colonialistes jouent les ruses »

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives politiques et rapport organique, Wilaya IV, Zone II, Région IV, (s. d.), p. 3.

³ - Mohammed Harbi et Gilbert Meynier, Le FLN, documents et histoire 1954- 1962, op. cit., p. 116.

⁴ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », p. 218.

يترك الانطباع بأن الأمر ليس مجرد إشاعة و إنما هو حقيقة مبنية على وقائع تشهد عليها¹. أما الأسباب الدافعة على ذلك فيراها المنشور تتمثل في: «أنا شعب يتوفر على واحدة من أعلى نسب النمو ديموغرافي في العالم (50%) من الشباب تقل أعمارهم عن عشرين سنة) و من الطبيعي أن يخيف هذا المستعمر وأن يدفعه إلى استعمال وسائل من شأنها أن تُسرّع في عملية تخريب الشعب»².

منشطو الشباب، كانوا هم الآخرون محل متابعة و مطاردة من قبل الثورة لاضطلاعهم بدور هدام لا يقل خطورة عن دور الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، من حيث أنهم يُشغلون الشباب بأمور ثانوية الغاية منها صرفهم عن الثورة و عن التطلّع إلى تحقيق الأهداف الوطنية العليا. إلى جانب ذلك، فإن هؤلاء المنشطين هم أيضا أداة في يد مكاتب لاصاص لنسج شبكات استعلامية لفائدة هاته المكاتب بين السكان: «لأن ضباط لاصاص هم الآن واعون بالجدار النفسي الذي يفصلهم عن الشعب فهم لذلك يستعملون أكثر فأكثر منشطين للشباب من المسلمين، الذين يقومون في سرية تامة بالدخول في اتصالات مع السكان. ليكتفي بعد ذلك هؤلاء الضباط بجذب الخيوط في الخفاء»³. و لأن أنشطة هؤلاء المنشطين تضُرُّ بالثورة، فقد تعقبتهم الثورة بالإنذار أولا ثم بالعقاب ثانيا، لأن موقفهم المتمثل في اللعب على الحبلين هو موقف غير مريح : فمن جهة هم جزائريون و مسلمون و من جهة أخرى هم يتعاملون مع الفرنسيين دونما اعتبار للأرواح الجزائرية المزهقة. و إذن يتوجب وقف هذه المهزلة : «لقد طال أمد هذه المهزلة في الصداقة مع الفرنسيين. فإما أنكم معنا و بالتالي يتوجب عليكم طاعتنا، و إما أنكم ضدنا و بالتالي فأنتم تَهزؤون بالدم المسفوك»⁴. مطلب الثورة من هؤلاء كان يتمثل غالبا في تقديم الاستقالة و وقف كل "الصداقات" المعلنة و بالأخص الخفية مع الفرنسيين و من والاهم. فالثورة لا يخفى عليها شيء : «نحن على علم بكل شيء، بل أحسن بكثير من الشرطة الفرنسية نفسها، التي ستكون عاجزة عن توفير الحماية لكم، لأنها دائما و في كل مرة تصل متأخرة و لن تستطيع إلقاء القبض على مرتكب "الجريمة"، و بالأخص أنه لن يكون هناك شهود. فاحذروا من الهزء بنا، و إلا فالموت ينتظركم و ينتظر من يدعمكم»⁵.

¹ - و في هذا المضمار، يمكن سرد ما ورد في تقرير لجنة التنسيق و التنفيذ المقدم إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية، المنعقد في دورته بالقاهرة في أوت 1957، الذي تضمن ذكرا لحالة وفاة جماعية لـ 22 طفلا تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات، توفوا كلهم في نفس اليوم بعد تلقيهم لحننة من طبيب عسكري بمكتب لاصاص دومالرب (Demalherbe ?). أنظر :

Acheur CHEURFI, op. cit., p. 416- 417.

² - أنظر الملحق رقم : 112.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de la Zone VII, Wilaya V, au Frère 25, objet renseignements, 29 mars 1958.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 113.

⁵ - أنظر الملحق السابق.

الجبهة الثالثة و هي جبهة القتال من أجل إفشال ما يسمى بـ "الاصلاحات السياسية و الإدارية"، التي تعترم فرنسا تطبيقها لإشراك الجزائريين في الحياة السياسية و الإدارية للجزائر دون جبهة التحرير. حيث قامت فرنسا بتنظيم انتخابات محلية، بلدية، و تنصيب مندوبيات خاصة، التي شارك فيها بعض الجزائريين باختيار من فرنسا و بإيعاز منها. و هو الأمر الذي رفضته جبهة التحرير و تصدت لتحقيقه بكل السبل، لأنها تعتبره مجرد طور من أطوار السياسة الفرنسية، الغاية منه المناورة و إيهام الرأي العام الداخلي و الخارجي - وبالأخص منظمة الأمم المتحدة- بنجاح «حرب التهذئة» و بأن الجزائريين «يشاركون و بقوة داخل المندوبيات الخاصة في تسيير شؤونهم الخاصة»¹. و بالتالي تميم المطالب الحقيقة للجزائريين، المتمثلة بالخصوص في مطلب الاستقلال.

مناشير جبهة و جيش التحرير الموجهة إلى الشعب تناولت كشف أبعاد و مرامي هذه "المناورة الفرنسية" جاعلة منها مناورة من لاكوست « لإخفاء الإخفاقات و مغالطة الرأي العام الفرنسي و العالمي»². و «إسرافا في استغلال النوايا الحسنة للجزائريين»³. و لذلك فإن هذه "المناورة" هي مناورة مكشوفة : « فالحقيقة هي أن الاستعمار قد فشل في استعمال سياسة القوة. و أن نداءاته للمقاتلين بالاستسلام و وضع السلاح بقيت بدون صدى؛ كما أن الرأي العام العالمي قد فهم المشكل الجزائري و هو يستعد الآن لإدانة السياسة الفرنسية بالجزائر»⁴. لذلك كان النداء الموجه للجزائريين يتمثل في مقاطعة هذه المساعي بالكلية، أي عدم الترشح و عدم التصويت : « لأجل ذلك، فإنك لن تشارك في هذه الاجتماعات، لتثبت نضجك السياسي للرأي العام العالمي، و تبدي احتقارك و كرهك لمن يريدون التلاعب بك، و تثبت أيضا مدى وفاقك لجيش التحرير ومدى امتنانك و اعترافك لأولئك الذين جادوا بحياتهم من أجل سعادتك، فكان هتافهم دوما: تحيا الجزائر حرة مستقلة، يحيا جيش التحرير، تحيا جبهة التحرير»⁵.

أما بالنسبة للمناضلين في جيش و جبهة التحرير فقد كانت التعليمات الصادرة إليهم تتضمن ما يلي : « (...) فمن المهم إذن تنوير إخواننا بشأن اللعبة الماكرة للعدو، و أن نبين لهم بأن التعاون مع العدو داخل المندوبيات الخاصة معناه العمل ضد مصلحة الجزائر و الجزائريين، أي الخيانة. لذا يجب أن يكون تحذير المتطلعين لمنصب "المندوب الخاص" و دعوة الحاصلين على هذا المنصب كي يقدموا استقالتهم منه، من أهم أولويات عملنا. كما يجب النضال و بكل وسيلة، وفق التعليمات الصادرة، ضد تنصيب المندوبيات و المشاركة في الانتخابات. لأنه سيكون من غير الحزم الاستهانة بالآثار النفسية التي ستحدث في فرنسا و في العالم من تنظيم مثل هذه انتخابات في الجزائر. هذه الانتخابات التي لا يمكن تنظيمها إلا عندما تكون للجزائر

¹ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract : La vérité sur les Délégations spéciales, Wilaya III, Zone III.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - SHAT, 1H 2587/d.2, tract émanant de la Wilaya n° I, Zones A et B, opposé le 2 décembre 1956 vers 15 H.00 sur les murs du stade de l'A. S. B. à Batna.

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

⁵ - المصدر السابق، نفسه.

حكومة حرة»¹. و يحتتم المنشور بدعوة المناضلين إلى تدشين حملة دعائية تحت عنوان: «المنذوبيات الخاصة و الانتخابات تحت حكم الاحتلال»².

و إذن فقد كانت التعليمات الصادرة من القيادة إلى المناضلين بمختلف المستويات تتمثل في ما يلي :

1- تحذير الأشخاص الذين يتلقون عروضاً بالمشاركة في المنذوبيات الخاصة؛

2- تنبيه المعنيين، الذين يكونون قد انساقوا وراء عروض مماثلة؛

3- التصفية الجسدية، و بدون محاكمة، لكل شخص يتعاون مع العدو داخل المنذوبيات

الخاصة³.

و بالفعل، فقد تلقى الكثير من أعضاء المنذوبيات الخاصة رسائل تنبيه و تحذير و تهديد. كما تعرض العديد منهم للخطف، و نفذ في عدد آخر منهم حكم الثورة بالإعدام، مما أحال حياتهم إلى ما يشبه الجحيم. كذلك المنذوب بمدينة الأخرسية، الذي استهان بتحذير الثورة و كان الجزائري الوحيد الذي بقي متمسكا بمنصبه في المنذوبية الخاصة، و لأنه يعلم بأن الثورة تطلبه فقد لزم بيته و امتنع عن الخروج منه إلا لضرورة. و لكن هيهات أن ينفع حذر مع قدر، فقد لقي حتفه بفناء بيته، بعد أن دخله عليه أحد الفدائيين، فأرداه قتيلا برصاصتين في الكبد. و رغم أن السلطات الفرنسية طوّقت المكان و استوقفت كل من كان متواجدا فيه، فإن أحدا منهم لم ينس بنت شفة⁴. مما يعكس قوة الثورة في ضرب أهدافها و تنفيذ ما توعدت به و مدى انضباط الشعب في لزوم الصمت.

و على ذكر العمل الفدائي، نشير إلى أن الثورة قد وجدت فيه سلاحا تكتيكيا و نفسيا على درجة عالية من الردعية، فهو بحق «قنبلة النووية»، حيث نقرأ: «إن العمل الفدائي هو أداة معتبرة. فالوَقْعُ النفسي الناتج عن عملية تصفية جسدية هو أكبر من الوَقْعِ النفسي الذي يمكن أن ينتج عن اشتباك. فالعمل الفدائي يُجسّس الرأي العام للعدو، و يُرسّخ ثقة الشعب فينا، و يُصيب أعصاب المستعمر الفرنسي بالانهيار. فالعمل الفدائي هو بمثابة القنبلة النووية للمناضل الثوري. هذه القنبلة هي أيضا سلاح تكتيكي، فهي، برغم كل الاستراتيجيات، تشل و تقوّض معنويات العدو»⁵.

أما بالنسبة لحصيلة الثورة في مجال محاربة المنذوبيات الخاصة و إفشال "الانتخابات" التي نظمتها فرنسا في إطار الإصلاح الإداري و السياسي، فنحن لا نتوفر على حصيلة رسمية يمكن التعميل عليها، اللهم إلا بعض الأرقام المتناثرة هنا و هناك. فحسب وثيقة دعائية، كان عدد الجزائريين المشاركين في المنذوبيات الخاصة بحلول الأول من جانفي 1958 هو: 3.789 مندوبا خاصا. فقامت الثورة، التي استشعرت الخطر، بإعدام عشرة منهم في شهر جانفي، و ثلاثة في شهر فيفري، و اثني عشر في شهر مارس، و ثلاثة عشر خلال شهر أفريل من نفس السنة، أي بمجموع يقدر بـ 38 مندوبا. و يبدو أن هذا العدد من الضحايا لم يكن رادعا بما فيه الكفاية،

¹ - أنظر الملحق رقم : 114 .

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - أنظر الملحق رقم : 115 .

⁴ - Jean NOEL, *Journal d'un administrateur à Palestro*, Alger, Editions Baconnier, 1958, p. 77.

⁵ - SHAT, 1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de la Zone VII, Wilaya V, au Frère 25, objet enseignements, 29 mars 1958.

إذ سرعان ما ارتفع عدد المشاركين في المندوبيات الخاصة، ليبلغ في شهر أفريل من نفس السنة: 7.337 مندوبا خاصا، أي بزيادة تقدر بالضعف (؟) ¹. هذا، و يورد الباحث شارل روبرت أجرون، أنه من بين 1756 مدني جزائري قتلوا ما بين جويلية 1959 و جوان 1960، هناك 118 مدني كانوا أعضاء ضمن المندوبيات الخاصة ². أما الباحث موريس فافر، فيورد من جهته أنه في أوت 1960، اشتدت ضغوط جبهة التحرير على المنتخبين، فكانت الحصيلة تتمثل في : قتل ثمانية رؤساء للبلديات و أربعة و ستون مستشارا بلديا؛ و جرح أربعة عشر منتخبا محليا و اختطاف ثلاثة و سبعون آخرين؛ و بالإضافة إلى تلقي تسعة و أربعون و مائة منهم لرسائل تهديد، قام ثلاثة و مائة منهم بتقديم استقالتهم ³.

المطلب الثاني : إعلام الشعب

و نقصد بإعلام الشعب، هو جعله على دراية تامة بتطور الثورة و ما تحققه من إنجازات يومية بكل ربوع الجزائر، حتى يستطيع مسايرتها و تقديم مساهمته الخاصة في تحملها و نصرتها. إعلام الثورة يهدف أيضا إلى تمكين الشعب الجزائري من إعلام يساعده على بناء موقفه الخاص، فذلك هو السبيل الوحيد للحيلولة دون وقوعه فريسة للدعاية المضللة للعدو الفرنسي.

هذا، و قد تعرضنا في الصفحات السابقة لإمكانيات جيش التحرير في الداخل في مجال الدعاية، و رأينا أنها دعاية تستمد قوتها الحقيقية من حضور الثورة بين السكان. و هو الحضور الذي يؤمنه تواجد المقاتلين و عيشهم بين ظهري الشعب، و تقاسمهم لحياته اليومية في آملها و معاناتها. في هذا الحضور اليومي و البسيط للثورة بين الشعب، يقع العبء الأكبر على المحافظ السياسي كي ما يثمن هذا الحضور بتنظيمه للتجمعات الشعبية لتعريف السكان بالثورة و بأهدافها و تعريفهم بفرنسا و تاريخها الطويل في محاربة التطلعات الوطنية للجزائريين، مقدما شواهد حية على ما فعلته في الماضي و ما تفعله في الحاضر لسحق هذه الآمال و التطلعات، مفندا كل مزاعمها الدعائية ضد الثورة، باعنا الأمل و روح التضحية في نفوسهم و حاثا إياهم على الإصرار و الصبر لبلوغ الهدف المنشود. ضاربا لهم أروع الأمثلة من حياة كبار رجال الدين و أبطال الجزائر عبر مختلف حقب التاريخ.

هذه التجمعات، غالبا ما كان يتم تنظيمها ليلا، بحضور المحافظ السياسي و بعض مسؤولي جيش التحرير و أعضاء لجنة الثلاثة و أعضاء مجلس الشعب، و طبعا بحضور كل البالغين من الذكور بالدوار. خلال هذه التجمعات، كانت تحال الكلمة إلى المحافظ السياسي ثم إلى غيره من المسؤولين. الذين كانوا يركزون مجمل تدخلاتهم على تناول القضايا ذات الصلة بالثورة، كمعطيات الحرب في الجزائر، و تصريحات قادة الثورة و ما يقابلها من تصريحات الساسة و العسكريين الفرنسيين. كل ذلك اعتمادا على ما تنشره الصحف و تذييعه الإذاعات، اللتان كانتا مصدرا إعلام لا غنى عنه بالنسبة لمسؤولي الثورة و بالأخص بالنسبة للمحافظ السياسي،

¹ - SHAT, 1H 2411/d.1, Message d'action psychologique n° 19, Service d'Action Psychologique et d'Information du Ministère de la Défense Nationale et des Forces Armées, 18 avril 1958.

² - Charles-Robert Ageron, «Complots et purges dans l'Armée de Libération Algérienne (1958- 1961)», op. cit., p.16.

³ - Maurice FAIVRE, op. cit., p. 40.

لأنها تطلعه على ما يحدث في العالم و يُطعم دعايته بمحاور و حجج جديدة¹. كما كان يتم أيضا تناول الأعمال القمعية للجيش الفرنسي ضد السكان المدنيين بالقرى و المداشر و سرد انتصارات جيش التحرير، ليختم التجمُّع بتناول المسائل التنظيمية و استعراض عمل مختلف الهيئات.

و إلى جانب التجمعات، كان المنشور يمثل وسيلة أخرى من وسائل الثورة لإعلام الشعب، حيث تميّز فيه تعدد الأغراض : فهناك المنشور "الإخباري" الذي يتناول مسائل بعينها من مسائل قضايا الساعة ذات الصلة بتطورات القضية الجزائرية، كاختطاف طائرة الخمسة، و مقاطعة المدارس الفرنسية، و إضراب الثمانية أيام، و تدويل القضية الجزائرية في أشغال منظمة الأمم المتحدة، و غيرها... كما نجد فيه تناولا لتطورات السياسة الفرنسية، كتصريحات لاكوست و ديغول، الإصلاح الإداري و السياسي، تنصيب المندوبيات الخاصة، سياسة مكاتب لاصاص، أحداث الثالث عشر من ماي 1958، و غيرها. كما نجد من بين هذه المنشورات ما يشبه "البلاغات العسكرية" التي تتناول التصريح بالأنشطة العسكرية لجيش التحرير، و التي تتضمن غالبا ذكرا لنتائج هجوماته و كمائنه التي نصبها ضد الجيش الفرنسي، حيث نجد فيه ذكرا لتواريخها و أماكنها و نتائجها على الجانبين، بما في ذلك أحيانا أسامي ضباط الجيش الفرنسي الذين حضروها. و إلى جانب هذان النوعان، نجد منشور أخرى غايتها مواساة الشعب و الرفع من معنوياته إلى جانب تنبيه و تحذيره من مخططات الاستعمار التي تستهدف تركيبه و فصله عن ثورته.

و مع ذلك، فنحن نقدر، و هذا لأسباب شرحناها أنفا، بأن هذه الوسيلة الثانية كانت نتائجها نسبية و محدودة و هذا بسبب محدودية وسائل الثورة في مجال إنجاز المنشور، ثم ثانيا أمية السكان. لذلك، فنحن نقدر بأن الوسيلة الإعلامية الأكثر فعالية التي كانت بحوزة الثورة هي المحطات الإذاعية التي كانت تبث برامجها انطلاقا من تونس و المغرب و مصر، و التي كان يتم التقاطها بالريف الجزائري، و بالأخص أن أغلب سكان الريف كانوا يتوفرون على مذياع².

المطلب الثالث : تنظيم و تعبئة الشعب

في الحروب الثورية، يمثل التنظيم - بكل ما ينطوي عليه من معاني التخطيط الحُكم لترشيد استعمال الوسائل و بلوغ الأهداف- أحسن أداة يُمكن أن تتوفر عليها حركة ثورية من أجل عقلنة وسائلها و ترشيد استعمال إمكانياتها، بما يحول دون إهدار طاقتها، و بما يؤدي إلى تعويض العجز المسجل لديها أمام قدرات العدو و إمكانياته، فيتحقق لها شيئا من التوازن يُمكنها من بلوغ أهدافها بأقل كلفة و خسارة.

و في هذا المقام، يُمثل الشعب، الذي تُنشد الثورة تحريره، منجما غنيا بالوسائل و الإمكانيات، التي يمكنها تقديم الكثير للثورة. و هو أمر لا يتأتى للثورة الاستفادة منه إلا إذا عرفت هذه الأخيرة كيف تُثمنه بطريقة عقلانية و منظمة باعتماد التنظيم. و هو ما سعت فعلا الثورة الجزائرية إلى تحقيقه من خلال عملها الدعوي لتنظيم الشعب الجزائري للاستفادة من طاقاته و تعبئته في معركة الشرف لاستعادة حريته و سيادته على

¹ - Azzedine, (Cdt.), *Les Féllagas*, op. cit., p. 161.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire concernant l'organisation rebelle, découverte le 28 janvier 1958 en LY4LB4, p. 5.

أرضه. و في هذا المسعى، كانت طموحات الثورة تتعلق بالثريا، فهدفها هو الوصول إلى درجة من الكفاءة و التنظيم و الفعالية في إدارة الحرب تماثل أو تفوق الكفاءة التي أدار بها حوالي ألفين من الإداريين البريطانيين مستعمرة الهند¹. و في هذا المجال فإن الإنجازات المحققة من طرف جبهة و جيش التحرير هي إنجازات لا يستهان بها. و يكفي دليلا على ذلك هو ذلك الشبوع الواسع لعدد من المصطلحات التي غدت منتشرة بين المجاهدين و أصبحت متمكنة في قاموسهم قولاً و فعلاً، مثل: الإدارة، النظام، التنظيم، الانضباط، التعليمات، الأوامر، المسؤول،... و غيرها من المصطلحات التنظيمية الأخرى، بما في ذلك اعتبار كل عمل مناوئ للثورة و من شأنه عرقلتها على أنه " تشويش " - أي مضاد للنظام و الانضباط - و اعتبار صاحبه من " المُشوشين ". و في هذا المقام، فإن شهادة العدو الفرنسي هي مما ليس عليه مزيد، حيث نقرأ في إحدى التقارير ما يلي: « لتبليغ أوامره و تحقيق شيء من الوحدة في التنفيذ بكل المستويات، تستعمل مختلف هيئات التمرد ما تسميه بـ "التعليمات". و إنه لمن المثير للدهشة حقاً أن نلاحظ، و هذا بالرغم من غياب مذهب معتقدي عام، المدى الذي أخذته هاته الكلمة لدى "المسؤولين" و الحرص الذي يولونه في الرجوع إليها لتبرير أعمالهم السابقة و إصدارهم لأوامرهم بناء عليها. (... ..) إن هذا الانضباط الفكري و هذا السلوك في التقيّد الحرفي بالنصوص يمنح مختلف أروقة إدارة التمرد وحدة في التصور و التفكير لا يمكن نكرانها، كما يمنحها أيضاً شيء من الوحدة و الانسجام في التنفيذ »².

تحدد أهداف الثورة الجزائرية من تنظيمها للشعب الجزائري في تحقيق الأهداف التالية :

- 1- إعداد الأرضية اللازمة للعمل الثوري، من خلال نسج الخلايا الثورية التي تؤمن التأطير السياسي و الإيديولوجي للسكان و توفر الدعم اللوجيستيكي للوحدات العسكرية لجيش التحرير. لأن حياة هذه الأخيرة تتوقف و بصفة كلية على وجود الخلايا الثورية كما أنها بانعدامها ستندم³. عملية تنظيم السكان هي أوج كل حرب نفسية لما تتميز به من إنشاء لـ " تنظيمات هرمية موازية " بين السكان، تُعطل من سيادة و سلطة الخصم عليهم.
- 2- تحقيق التعبئة العامة للشعب، حتى يتسنى لكل فرد من أفراد المشاركة في معركة استعادة السيادة، و ذلك من خلال « تعليم فن الحرب للأمين و الجهال بمختلف الأوساط »⁴ حتى لا يبقوا على هامش الصراع، أو يصبحوا، عن جهل، متواجدين ضمن صفوف العدو. تحقيق التعبئة العامة للشعب فيها استفادة واضحة من دروس الماضي حول فشل مختلف انتفاضات المقاومة الشعبية.
- 3- إعادة السيادة للشعب، و ذلك من خلال تدريبه على تسييره شؤونه بنفسه و ممارسته لحقوقه و واجباته، كما يليق ذلك بشعب حر و سيّد⁵. تحقيق ذلك يتم من خلال إنشاء مجالس الشعب

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Introduction : l'Organisation est la somme des principes..., Wilaya IV, (s. d.), p. 1.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Aspect de l'implantation rebelle dans une Zone des Aurès, n° 6893/EM/10/2/OPE/P, Alger, 29 novembre 1957, p. 2.

³ - SHAT, 1H 2577/d.1, Directives générales sur la guerre subversive, 3^e Bureau, n° 478/CAA/3/OPE, Alger, 24 février 1959, p. 3.

⁴ - SHAT, 1H 2586/d.1, Fiche de documentation sur l'emploi de l'arme psychologique par le F.L.N., op. cit, p. 5.

⁵ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives du C.C.E., Congrès 20 aout 1956, p. 7.

بالمناطق الخاضعة لنفوذ الثورة: « بواسطة مجالسه، سيتعلم الشعب كيف يدير شؤونه بنفسه. فتنمو في كل مواطن روح المسؤولية والواجب لأنه سيكون باستمرار مجبرا على مواجهة و اجتياز الصعوبات التي تعترضه في الحياة الاجتماعية. فيرى عندئذ شخصيته تعبر عن نفسها في إطار الحق والعدالة، مما يعود عليه بارتياح و رضى كبيرين. و سيعي أيضا أنه بالتنظيم يمكنه تجاهل الإدارة الاستعمارية و التمتع بحريته. فيهجر محاكم العدو و مقرات بلدياته و غيرها من المصالح الأخرى. بل حتى بالنسبة للعلاج فلن يحتاج إلى الذهاب إلى المستشفيات الفرنسية بما أنه توجد بجوزته المصالح الصحية لجيش التحرير (...) »¹. هذه المجالس، و بالإضافة إلى مهمتها المتمثلة في تسيير الشؤون المحلية، ستكون بمثابة مدرسة لإعداد الكوادر التي تحتاجها الجزائر المستقلة غدا: « إن المحافظين السياسيين و ضباط جيش التحرير و رؤساء الجان المحلية و رؤساء مجالس الشعب و رؤساء النقابات... يجب أن يعلموا بأن الوطن يعول عليهم ليكونوا غدا كوادر الجزائر. لذلك يتوجب عليهم و بدون تأخير الاستعداد للمسؤوليات الجديدة التي تنتظرهم. كما يتوجب عليهم، من الآن فصاعدا، الاهتمام بالمشاكل المختلفة (السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية) التي يتوجب حلها غداة تحرير البلاد. و لهذا الغرض، يتوجب عليهم الشروع في الدراسة و التوثيق حول هذه المشاكل (...) »².

في عملية تنظيم السكان بالريف، يضطلع المحافظ السياسي بدور أساس، فهو بحق أداة دفع و تنفيذ في هذه العملية. فبالدواوير التي تم فتحها قريبا، يعتمد المحافظ السياسي بكل دوار إلى تشكيل "لجنة الثلاثة" التي ستتولى تشكيل الخلايا الثورية بكل عرش. فرقة الثلاثة، تتكون من رئيس الدوار و المساعد الإداري المكلف بالتنسيق و مراقبة و توجيه عمل رؤساء مجالس الشعب لكل عرش، و المساعد السياسي المكلف بمراقبة و توجيه مسؤولي تنظيم جبهة التحرير بكل عرش أيضا. بتشكيل هذه اللجنة على مستوى الدوار، يُشرع في تشكيل لجان ثلاثة ماثلة على مستوى كل عرش، تتكون بدورها من رئيس العرش و مساعديه الإداري و السياسي³ :

- المساعد الإداري، و هو حتما رئيس مجلس الشعب لهذا العرش، و يتولى بنفسه الإشراف على العمليات المحلية لدر الأموال (اشتراكات، تبرعات، ضرائب..) لصالح الجبهة و السهر على تربية الشعب من خلال عقد تجمعات إعلامية و محادثات تربية، و تنشيط حصص نقدية و دعائية، تمكّن لإيديولوجية الثورة بين السكان.

- أما المساعد السياسي، فهو المسؤول عن تنظيم جبهة التحرير بهذا العرش أيضا. و هو يمارس سلطة جبهة التحرير في الإشراف على ثلاثة معاونين : الأول، و هو مكلف بالتموين، حيث يقوم بتسيير عدد من المخازن التي يضع مخزونها تحت تصرف وحدات جيش التحرير عند مرورها بالعرش.

¹ - C.A.N., G.P.R.A., 17. 15. 03, Analyse sur l'organisation politico- social de l'A.L.N., (s. d.), p. 2

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Instructions, Wilaya d'Oran, (s. d.), p. 3.

³ - أنظر الملحق رقم : 116.

و الثاني، و هو عون اتصال و بريد، مكلف بتأمين الاتصالات ما بين جبهة و جيش التحرير. أما الثالث فهو عون مكلف بالعمل الفدائي.

و من خلال توزيع المهام أعلاه، يظهر أن دور "لجنة الثلاثة" هو أن تكون أداة ربط بين الشعب و جبهة التحرير، « تقدم الاقتراحات و تراقب ميولات الشعب و تحظر سلطات الثورة عنها »¹. كما أنها تحقق الحضور الفعال لجبهة التحرير بوسط السكان من جهة و حضور هؤلاء في الثورة من جهة أخرى. بتشكيل لجنة الثلاثة، يشرع في انتخاب مجلس الشعب المتكون من خمسة أعضاء، الذين يتوزعون المهام كالتالي² :

- العضو الأول، و هو مكلف بالصحة و إمساك و تعهد سجلات الحالة المدنية من ولادات و وفيات، زواج و طلاق، التي يقوم المحافظ السياسي بمراجعتها مرة كل ثلاثة أشهر. فإذا ما حدث وجود اختلال يقدر في انضباطها ترتب عن ذلك حلّ المجلس و أدين أعضاؤه بالإهمال و اقتيدوا جميعا أمام محكمة القطاع. علما أن كل شخص من السكان تبث في حقه اهمال تسجيل عقد من هذه العقود في أجل خمسة أيام، أو قام بتسجيله في سجلات الحالة المدنية الفرنسية، هو شخص يستوجب التعميم.

- العضو الثاني، و هو عضو مكلف بالمسائل المالية و الاقتصادية، و بالأخص جمع الأموال من اشتراكات و هبات و ضرائب و غرامات، و دفع المنح لعائلات المجاهدين و المعتقلين السياسيين و المسبلين و ضحايا القمع و المحتاجين و غيرهم...، بما في ذلك تغطية تموين وحدات جيش التحرير.

- الثالث، و هو عضو مكلف بالمسائل القضائية و الإسلامية. فهو رئيس المحكمة المكوّنة من ثلاثة أو أربعة أعضاء للنظر و الفصل في الخصومات و النزاعات التي تقع بين سكان العرش. و هي تتولى النظر في جميع المسائل ما عدا الخطيرة منها، كالمعلقة بالجنايات. كما يدخل ضمن مهامه أيضا تعهد و ترميم المساجد و المدارس و السهر على السير الحسن للدروس بها.

- الرابع، و هو عضو مكلف بالشرطة و المياه و الغابات. حيث تقترب مهامه من المهام الأمنية و التنظيمية للشرطة في كل ما يتعلق بالمخالفات التي تسيء إلى النظام العام. كما يتولى أيضا البحث عن نقاط الماء و تعهدها و الحفاظ على الغابات و حث الفلاحين على خدمة أراضيهم.

- الخامس، و هو رئيس مجلس الشعب، و يتولى الإشراف و التنسيق على عمل الأعضاء الآخرين و تعويضهم بأخرين في حال عجزهم عن تأدية مهامهم أو عند إلقاء القبض عليهم من طرف العدو. كما يضطلع أيضا بالتنسيق بين مجلس الشعب و لجنة الثلاثة باعتباره يجمع في شخصه بين المساعد الإداري و رئاسة مجلس الشعب.

¹ - SHAT, 1H 2582/d.2, Directives politiques à tous les commissaires politiques, Wilaya IV, Zone II, Région IV.

² - SHAt, 1H 2582/d.1, Directives générales ALN- FLN, 30/11/1956, récupérées à Ténès fin janvier 1957 ; aussi, 1H 2582/d.2, Directives politiques à tous les commissaires politiques, Wilaya IV, Zone II, Région IV ;

يعقد مجلس الشعب اجتماعين في الشهر، غالبا بعد صلاة الجمعة، أين يُقدّم كل عضو تقريرا عن أنشطته الشهرية أما المجلس. كما يعقد المجلس أيضا مرة في كل شهر جمعية عامة و مفتوحة أمام السكان حتى يعوا بأنهم « سادة في تقرير مصيرهم » و لكنهم لا يتدخلون في مداولات المجلس، فهم مجرد حضور. كما كان يتم تنظيم مداومات لاستقبال شكاوي و مطالب و اقتراحات السكان¹.

و بالطبع، فقد كان يراعى في اختيار هؤلاء الأعضاء أن يكونوا من بين العناصر الأكثر نزاهة و وطنية و ذكاء، و من المحبوبين من طرف الجميع، الذين لهم القدرة على تحمّل الأعباء التي تفرضها مسؤولياتهم. حيث كان المحافظ السياسي يقترح على السكان العرش أو القرية قائمة من خمسة أعضاء، « لانتخابهم بالهتاف » (Vote par acclamations). و في حالة وجود معارضة، كان يتم اللجوء إلى « الاقتراع السري ». و على كل، كانت التعليمات الصادرة تؤكد على ضرورة أن تكون هاته « الانتخابات » حرة و ديمقراطية حتى « تبرز الفوارق الموجودة بين النظام الاستعماري و النظام الذي نرغب في إرسائه هنا بوطننا »².

بتشكيل لجنة الثلاثة و مجلس الشعب، يصبح سكان العرش مؤطرين تأطيرا مزدوجا من الداخل: تأطير أول، مصدره جبهة التحرير، يشرف عليه و ينشطه المساعد السياسي بلجنة الثلاثة للعرش؛ و تأطير ثان، يتم بواسطة مجلس الشعب و تحت رئاسة المساعد الإداري. هذا التأطير الثاني هو -من المفروض- أن يكون صادرا عن الإرادة الشعبية. مثل هذا التأطير المزدوج تنبني عليه نتيجتان هامتان بالنسبة للثورة هما: الأولى، و تتمثل في الشرعية التي اكتسبتها جبهة التحرير من هذا التأطير، باعتبار أن وجودها ما هو إلا تعبيرا عن الإرادة الشعبية. و الثانية، و تتعلق بالسكان، و تتمثل فيما يفرضه هذا التأطير المزدوج على الأفراد - باعتبارهم متواجدين بداخله- من شعور يُحتم عليهم ضرورة المشاركة في النضال. فبغض النظر عن المسؤوليات الموزعة، فإن تعدد الأنشطة سيؤدي حتما إلى تعبئة كل شخص قادر، حيث يجد كل شخص نفسه ملزما بشكل أو بآخر على إيجاد مكان له في الثورة. و هكذا يتوزع السكان بين مناضلين و منخرطين و متعاطفين بحسب درجة تفاعلهم مع الثورة³. علما أن الثورة قد عملت على نشر هذا التنظيم على أوسع نطاق، بحيث لا يخلو منه أي ربع من ربوع الجزائر، بما في ذلك المناطق الواقعة تحت الحراسة المشددة للعدو، كالمحتشدات و المعتقلات و السجون و نقاط تجمع السكان حول معسكرات الجيش، التي كان الحرص شديدا على وجود مجالس للشعب بها. فالإدارة الثورية تتبع السكان حيثما كانوا في حلهم و ترحالهم : « فبالرغم من الحراسة المشددة للعدو كان السكان دائما يتوفرون على مجالسهم و مسؤوليهم، و يحصلون على المساعدة و المناشير و الأوامر و يقدمون في نفس الوقت لجيش التحرير التموين و المعلومات »⁴.

¹ - SHAT, 1H 2582/d.2, Directives politiques à tous les commissaires politiques, Wilaya IV, Zone II, Région IV.

² - المصدر السابق، نفسه. أنظر أيضا : Cdt Azzedine, Les Fellagas, p. 172.

³ - Philippe Tripiet, Autopsie de la guerre d'Algérie, Paris, Ed. France-Empire, 1972, p. 102- 103.

⁴ - C.A.N., G.P.R.A., 17. 15. 3, Analyse sur l'organisation politico- social de l'ALN, p.5

و لكن إلى أي مدى نجحت الثورة في بسط تنظيمها الثوري لتأطير السكان ؟

إنه لمن الصعب، في غياب معلومات متوفرة و دقيقة، تقييم تجربة المجالس الشعبية و تقدير مساهمتها في جهود الحربي للثورة. لا شك أن العدو، الذي كان واعيا بما فيه الكفاية بالخطورة التي يمثلها بالنسبة له تنظيم الثورة لتأطير الشعب، قد شن حربا لا هوادة فيها للقضاء على الخلايا الثورية و تفكيكها، مبتكرا في ذلك أصنافا و ضروبا من الوسائل و الأساليب للتضييق على أعضائها و تعقبهم و عرقلة نشاطهم. فإذا أخذنا بعين الاعتبار الهشاشة التي كانت عليها هذه الخلايا بسبب ما هي عليه من ثبات و استقرار، لأنها تنشط بين السكان، علمنا إلى أي مدى كانت هذه الخلايا أهدافا سهلة للعدو : فأعضاؤها معروفون من طرف الشعب و عيون العدو ماثوثة في كل مكان و التعذيب في مقدوره حل عقدة كل الألسنة. و إذا، لم يبقى أمام أعضاء هاته الخلايا، خلال مدهمات الجيش الفرنسي، إلا الالتحاق بالجليل أو الوقوع بين يدي الجيش الفرنسي. مما يعني أنه بعد كل مدهمة للجيش الفرنسي، كانت تضيع جهود عظيمة للثورة من الإعداد و التنظيم، تجربها في كل مرة على البدء من الصفر لإعادة زرع تنظيمها بين السكان.

لهذه الأسباب و غيرها، تميّز وجود هذه المجالس في أغلب الولايات بالعمر القصير. فإلى جانب ما سبق، سُجّل على العديد منها - كما سجل ذلك في الولاية الرابعة - اضطرابا في التسيير: فهذه المنطقة مثلا سُجلت انتخابات غير نظامية، و بتلك المنطقة وُجدت مجالس تعمل في غياب لجنة الثلاثة، و غير بعيد منها أيضا وُجدت مجالس لا يحترم نصابها العدد المطلوب، فهي تتكون من أربعة أو ستة أعضاء. و أبعد منها أيضا وُجدت لجان للثلاثة توسعت إلى أربعة، و هذا عدا ما سجل من عدم انتظام في الاجتماعات...¹ هذا الخلل في التسيير، قد دفع الثورة، بالإضافة إلى أسباب أمنية أخرى، إلى إصدار الحكم بجلها. و عموما، يمكن القول، بالإضافة إلى ما سبق، أن نجاح هاته المجالس أو فشلها كان يتوقف غالبا على قيمة الكوادر التي تشرف عليها، ثم مدى تجاوب السكان معها، يليه بعد ذلك الموقع الجغرافي لهاته المنطقة ثم ما هي عليه من غنى.

على أن هذا لا يعني بحال فشل الثورة في مساعيها لتنظيم الشعب. فهناك العديد من الشواهد المتفرقة هنا و هناك التي تقدم نماذج رائعة عن تنظيم ثوري صلب و فعال، مثلما كان الحال بالولاية الثانية - الشمال القسنطيني - التي كان تنظيمها على ما يبدو يتمتع بشيء من القوة و الصلابة، بدليل شروع قيادة هاته الولاية في إصدار نصوص تنظيمية دقيقة لتنظيم مختلف أنشطة هذه المجالس². و كذلك الحال بالنسبة للمنطقة الأولى من الولاية الأولى، التي، باعتراف العدو، كانت إدارتها الثورية « متمرسة بما فيه الكفاية ». ففي أقل من عام على انعقاد مؤتمر الصومام كانت هذه المنطقة قد طبقت بشكل واسع تعليمات لجنة التنسيق و التنفيذ، و أصبحت تتوفر على إدارة « مهيكلت بقوة » و هذا بالرغم من كل الصعاب. لذلك، كان وجود هاته الإدارة

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Annexe IV, Note de service aux Commissaires Politiques, FLN- ALN, (s. d.) ; aussi, Circulaire n° 1, émanant de la Wilaya IV, Zone III, 27 mai 1957.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire n° 3 relatif aux attribution des membres des Assemblées Populaires de Douars et Circulaire n° 5 concernant le règlement de Gendarmerie rurale, deux circulaires annexes à la note de service sur l'Organisation politico- administrative, n° 2.829/ EM.10/2/ENI, Alger 28 mai 1957.

هو في ذاته تحد كبير، و حسبها نجاحا أنها استطاعت في الكثير من الأحيان صرف السكان عن الاتجاه إلى الإدارة الاستعمارية¹.

فإذا قبل هذا، فإن حظ الثورة من النجاح في مجال تنظيم الشعب لا يستهان به : فتوحيد المشاعر و العقول حول هدف واحد و مصيري (الحرية و الاستقلال) و توحيدهما أيضا حول طريقة عمل موحدة (الكفاح المسلح) هو ليس بالأمر الهين. كما يمكن أن نعد أيضا من بين نجاحات الثورة في هذا الميدان، هو تعزيزها لتلك الوحدة القائمة بين الشعب و الثورة، مما جعل المجاهد يعيش بحق بين الشعب كما تعيش السمكة في الماء، و لما لا و هو ابن للشعب². فوقع التلاحم و التمازج بين الشعب و الثورة، و اكتشف كل منهما الآخر³ ، فتبنى الشعب الثورة و تبنت الثورة الشعب، فكان النتاج هو شعبا نائرا و ثورة شعبية. و هو ما أمد الثورة أيضا، في أكثر من مرة، و في أحلك ظروفها، نفسا و دفعا جديدين، كان مصدرهما الشعب. ذلك هو الانطباع الذي خرج به السيد أحمد تقيية من مظاهرات الشعب الجزائري بتاريخ 11 ديسمبر 1960، حيث قال : « لأي نتيجة أفضل يمكن أن يتطلع إليها أولئك الذين يخوضون الكفاح المسلح غير ذلك النضج في الضمائر على مستوى شعب بأكمله. سوف يكون ذلك نفسا جديدا يبعث الحياة في الثورة : فعندما تلتقي معارك الجبال بالحركة العارمة للشعب فإن ذلك من شأنه أن يُسرّع مجيء الحل و ينتزع الاستقلال »⁴.

المطلب الرابع : النشاط النفسي للثورة في اتجاه المرأة الجزائرية

و قبل أن نختتم تناولنا للنشاط النفسي للثورة في اتجاه الشعب، يجدر بنا التوقف قليلا عند نقطة مهمة تتعلق برد فعل الثورة الجزائرية على النشاط النفسي الفرنسي المطبق في اتجاه الجزائريات. فكما رأينا في الفصل الرابع، كانت المرأة الجزائرية موضوع نشاط نفسي فرنسي شديد و مكثف، كان يبتغي الاستحواذ عليها و تسخيرها خدمة لأهدافه استعمارية. جاعلا من نشاطه النفسي على المرأة وسيلة للقضاء على الثورة⁵. و هو، لتحقيق ذلك، قد رفع شعار " تحرير المرأة و تحسين أوضاعها الاجتماعية "، جاعلا من هذا الشعار تحد يُرفع في وجه الثورة الجزائرية. و كأن لسان حاله يقول: " إذا كانت الثورة الجزائرية فعلا ثورية فما عليها إلا اتخاذ إجراءات ملموسة تُغيّر جذريا من واقع المرأة الجزائرية". و فرنسا في رفعها لهذا الشعار لم تكن تحذوها نية حسنة و خالصة تجاه المرأة الجزائرية، و إلا أين كانت هاته " النية الحسنة و الخالصة" مند عقود : فهي لم تقدم شيئا للمرأة الجزائرية غير البؤس و الدمار. ثم ما الغاية من طرح مسألة كهذه في توقيت مثل هذا، إذا لم يكن القصد شيئا آخر غير جعل الشعار « تحدٍ » يُرفع في وجه الثورة الجزائرية لإدخالها في حرب على جبهات ثانوية، ثانوية مقارنة بقضيتها المصيرية المتمثلة في تحرير وطنها. هذا، و قد كانت فرنسا، تملؤها الثقة في النفس في الانتصار على الثورة الجزائرية في هذا المجال

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Aspects de l'implantation rebelle dans une zone des Aurès, n° 6893/EM/10/2/OPE/P, Alger le 29 novembre 1957, 6 p.

² - أنظر الملحق رقم : 117.

³ - أنظر الملحق رقم : 118.

⁴ - Mohammed Teguija, L'Armée de Libération Nationale en Wilaya IV, p. 162.

⁵ - SHAT, 1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (s. d.), p. 2.

بالذات، لأن الثورة بزعمها لن تستطيع أن تقدم للمرأة الجزائرية الشيء الكثير لأن صفوفها قد أُنخنت بالوافدين عليها من جمعية العلماء المسلمين، الذين - بما أوتوا من مرجعية محافظة- لن يسايروا الثورة مطلقا في مسار « تحرير المرأة الجزائرية ».

الثورة الجزائرية، التي كانت تعمل على تححر مجتمع بكامله، مجتمع سلبت حرته و استعبد فوق أرضه، ما كانت لتقف مكتوفة الأيدي أمام ما يتهدد الجزائريات -نصف المجتمع الجزائري- من مخاطر، قد تؤدي إلى صرف الشعب الجزائري عن قضايا الأساسية، و الانشغال بقضايا أخرى، هي على أهميتها ثانوية في الأهمية بالنسبة لقضايا مصيرية أكثر إلحاحا، تتعلق بتحرير وطن و تحرير شعب من لاستعباد و تمكينه من سيادته و استقلاله، اللذان لا يمكن بدونهما تصوّر أي اعتناق أو تححر لأي فرد من أفراد.

لذلك، كان النشاط النفسي الفرنسي على المرأة الجزائرية بالريف و المدن، موضوع متابعة و تحليل دقيقين من قبل مصالح الثورة، للوقوف على أهدافه و وسائل عمله و إيجاد السبل الأنجع للرد عليه. تعليمة صادرة عن جبهة التحرير، كشفت أهداف الفرنسيين من وراء نشاطهم النفسي على المرأة الجزائرية، و رفعهم لشعار تحريرها : « إن العدو باعتماد تحرير المرأة يعمل على تحقيق هدفين اثنين : الأول، و هو هدف عاجل، يتمثل في ربح ثقة المرأة الجزائرية لبلوغ الزوج و الأخ و الولد، الذين هم دعامة الثورة الجزائرية، و بالتالي إفشال نضال هذه الأخيرة. كما أن العنصر النسوي يمكنه دعم و تعضيد صوت الأقلية الأوروبية بمشاركته في الانتخابات. أما الهدف الثاني، فهو هدف دعائي، يهدف، باستعمال الجرائد و المجلات و التصريحات و الأفلام، الترويج لفرنسا في العالم حول ما تقدمه من "أعمال إنسانية" للشعب الجزائري »¹. تم تناولت الوثيقة مساعي العدو للوصول إلى المرأة الجزائرية، و التي من بينها استحداث شبكة خاصة لتطويقها و الاستحواذ عليها، سواء بالريف أو المدينة. مستعملا للحصول على ثققتها، وسائل موافقة، كتقديم الرعاية الطبية و الاجتماعية التي تتناسب مع ما هي عليه من بؤس و مرض. و مستعملا أيضا نساء منشطات، هن جزائريات مثلها يتحدثن لغتها و يفهمن ضميرها، و هذا بعد أن فشلت الأوروبيات في هاته المهمة لكونهن غريبات. تلك هي حقيقة الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة (E.M.S.I.)، و تلك هي أيضا حقيقة الجزائريات اللاتي يعملن بهاته الفرق كمساعدات صحيات و اجتماعيات ريفيات ملحقات (Adjointes Sanitaires et Sociales rurales auxiliaires). و لهذه الأسباب، كان النشاط النفسي الفرنسي يتوفر على كل حظوظ النجاح للإيقاع بالجزائرية في شباكه: « مستعينا بالجزائرية للتأثير على الجزائرية، يمارس العدو نشاطه النفسي على المرأة الجزائرية تحت غطاء اجتماعي، مما يوفر لنشاطه كل حظوظ النجاح و الفعالية. ثم، شيئا فشيئا، يقوم باستغلال عاطفة الأمومة و الأبوة لديها، و يستغل شعورها كأم تغمرها السعادة لرؤية وليدها يحظى بالرعاية و الاهتمام. و هي فعلا كلها عناصر قابلة للاستغلال، بالأخص إذا تم قرنها بالبؤس و المرض. مما يعني أن الطابع الرخيص و المنافق و الاستغلالي لهذه المساعدة سيغيب كلية في نظر ذلك المحتاج إليه، الذي لن يري فيمن يساعده إلا صديقا و محسنا، يعطي دون مقابل »². و بهذا، تسقط المرأة فريسة سهلة لكل عمليات

¹ - SHAT, 1H 2461/d.1, Directives F.L.N. : Propagande et contre propagande à mener vis-à-vis de la femme musulmane (Copie d'un document récupéré dans la sacoche de Si Boumediane, adjoint politique en Nahia 4 Nord, Mintaqua 8, tué le 26 Novembre 1958 en LQ 60 C 9.), (Wilaya 5 ?), (s. d.), p. 1.

² - المصدر السابق، ص. 2.

غسل الدماغ و الحشو الفكري. و لأنها تشعر بالامتنان على كل ما أقدم إليها، و لأنها تشعر بالزهو على ما حظيت به من رعاية و اهتمام، سهّل عندئذ تسخيرها لبلوغ زوجها و التأثير في محيطها : « لماذا يبقى زوجك و ولدك يعانون الموت بالجبل مع أنه يمكنهم الاستسلام بسهولة؟... فرنسا سخية و هي تعرف كيف تعفو... لماذا تبقون هنا للموت جوعا، تعالوا إلى المحتشد، ستمنحون مساكن مريحة، و سيغدوا أطفالكم إلى المدرسة، و ستعمون بالسلامة و النجاة لأن فرنسا ستؤمن حمايتكم »¹.

للتصدي للنشاط النفسي الفرنسي، اتخذت الثورة مجموعة من الإجراءات تمثلت فيما يلي :

أولا، توجيه نشاط دعائي مكثف ضد مختلف هيئات العدو، العاملة في حقل النشاط النفسي على المرأة الجزائرية لكشفها و فضح أهدافها و التحذير من خطرها. و ضمن هذا الإطار، يمكن إدراج النشاط الدعائي للثورة ضد الفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة، التي سجل بشأنها، خلال العديد من المرات، انزعاج ظاهر لمسؤولي الثورة من نشاطها. النشاط الدعائي للثورة ضد هاته الفرق اعتمد بقوة على الإشاعة، متهما هذه الفرق بشن حرب جرثومية ضد الشعب الجزائري و تنفيذ عملية واسعة النطاق للقضاء على خصوبة النسل عند السكان من خلال منحهم مواد كيميائية تؤدي إلى العقم، كما رأينا ذلك أعلاه في معرض تناولنا لعنصر حماية الثورة للشعب من خطر مكاتب لاصاص و الهيئات التابعة لها². أما بالنسبة لشعار تحرير المرأة، الذي ترفعه مختلف هاته الهيئات، فقد تم تصويره بأنه دعوة « إلى سلخ المرأة الجزائرية عن قيمها، كخطوة ممهدة لتنصيرها، مما سيترتب عنه انحطاط في سلوكها و ضياع لشرفها »³. منشور مناوئ لاستفتاء 28 سبتمبر 1958 صوّر ذلك أحسن تصوير⁴.

ثانيا، و بالمقابل، قامت الثورة أيضا ببلورة دعاية مضادة في اتجاه المرأة الجزائرية لتحسينها من دعاية العدو. محاور هذه الدعاية تم تكييفها لتتوافق مع وضع المرأة في الريف أو في المدينة. فبالنسبة للمرأة الجزائرية بالريف، تضمنت هذه الدعاية المحاور التالية :

- تذكيرها بالعديد من الجرائم و التجاوزات و الانتهاكات المرتكبة من طرف جيش العدو، بذكر أماكنها و تواريخها، بما في ذلك ذكر ما ارتكبه من مجازر ضد النساء و الأطفال.
- مساءلتها عم فعلته فرنسا بالجزائرية، غير جعلها مجرد خادمة في البيوت، محل إذلال مستمر من طرف الكولون أو ابنه.
- تنويرها بالمخاطر التي يترتب عليها انسياقها وراء المخططات الفرنسية، كقبولها التصويت و المشاركة في الانتخابات. و كان المقصود هنا استفتاء 28 سبتمبر 1958 على وجه الخصوص، الذي صوّرت

¹ - المصدر السابق، ص. 2.

² - أنظر أعلاه، ص. 275.

³ - SHAT, 1H 2586/d.1, Note de service, n° 1680/RM. 10/5/OPS/S, Alger, 31 juillet 1958.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 119.

مشاركتها فيه بأنها « قبول منها بأن تتحول إلى فرنسية و أن تتنكر لدينها و وطنها، و بالتالي قبولها بأن تصبح الجزائر أرضا فرنسية »¹.

- و في نفس السياق، تم تحذيرها من إرسال أطفالها إلى المدرسة « لأن العدو سيعلّمهم لغته ليسلّخهم عن دينهم... حتى إذا كبروا، تنكروا لوالديهم و تزوجوا بفرنسيات، و أصبحوا جنودا يدافعون عن فرنسا »².

أما بالنسبة للمرأة الحضرية، فقد كانت محاور دعاية الثورة باتجاهها تتمثل في شد انتباهها إلى طرق أخرى للتحرر، انتهجتها نساء أخريات، هن مسلمات مثلها، من بلدان مسلمة و مستقلة كمصر و تركيا و سوريا. و بالتالي ليس من الضروري « أن تتحول الجزائرية إلى فرنسية كي تتحرر ». أما بالنسبة إلى ما تتلقاه المرأة الجزائرية من مساعدة و رعاية طبية و اجتماعية من العدو، فهو شيء طبيعي « لأن العدو يبحث عن ثقة الشعب، لأنه أصبح يخشى هذا الشعب، بعد أن أصبح هذا الشعب قويا بثورته. و هو - [أي العدو] - يفعل الخير و يفعل الشر - [أي الحرب] - و لا يفعل الخير إلا عندما يشن الحرب »³. و إلى جانب ما سبق، تقرر تكثيف الأنشطة الطبية و الاجتماعية في اتجاه سكان الريف من خلال فرق من الممرضين و الممرضات، تجوب الدواوير و تقدم العون و المساعدة إلى المحتاجين و توزّع الأغذية و الألبسة و المال عليهم. كما تم أيضا مطالبة المحافظين السياسيين بتكثيف عملهم و عقد تجمعات تحسيسية و توعوية لسكان القرى. كما تقرر أيضا تعزيز تنظيم جبهة التحرير داخل المدن و البقاء على اتصال دائم مع عناصره، الذين يمكن استعمالهم كجواسيس على العدو.

و لكن، يبقى الإجراء الأهم في كل هذا، الذي اتخذته الثورة ردا على الأنشطة النفسية و الدعائية الهدامة لفرنسا، هو فتحها باب الثورة واسعا أمام المرأة الجزائرية، كيما تقدم مساهمتها كاملة في عملية تحرير وطنها. و في هذا المقام، سيكون من المبكر و السابق لأوانه و في مثل هذه الظروف بالذات، مطالبة الثورة بالفصل في موضوع ترقية و تحرير المرأة الجزائرية و مطالبتها بالإفصاح عن الوضع الذي تعترض منحه لها غدا، في الجزائر المستقلة. و إن كنا نجد شذرات لهذه المسألة متفرقة هنا و هناك. و هي و إن كان من الصعب اعتبارها بوادر و إرهابات لمشروع ثوري في هذا الموضوع، فهي تكشف على الأقل بأن مسألة ترقية المرأة الجزائرية لم تكن غائبة تماما في اهتمامات قيادة جبهة التحرير. حيث نقرأ في إحدى الوثائق ما يلي : « إن الجزائريات يعشن منذ عقود في ظروف مادية و معنوية و فكرية تعود إلى القرون الوسطى، مما جعلهن يشكلن النصف غير الواعي لجسد الأمة الجزائرية. و هو ما يستدعي تقديم علاجات مستعجلة، تكون موافقة لروح ثورتنا الوطنية و موافقة للمتطلبات الجديدة و المتعددة، لتحضيرهن لمهامهن المتعلقة بتحرير البلاد و بناء المستقبل الجزائري، ضمن نطاق صلاحياتهن الطبيعية، كزوجات و أمهات و ربوات بيوت و مواطنات. و أمام

¹ - SHAT, 1H 2461/d.1, Directives F.L.N. : Propagande et contre propagande à mener vis-à-vis de la femme musulmane, op. cit., p. 3.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - المصدر السابق، نفسه.

المشاكل المتعددة التي ما فتئت تطرح عليهن، فإن جبهة التحرير تنصحهن بأن يستمدن من المبادئ الإيجابية للأخلاق الإسلامية غذاءهن الروحي دون أن يمنعهن ذلك من أن يستلهمن بذكاء من أمثلة و نماذج تطور المرأة بالمجتمعات المتطورة، متى وافقت هذه قيم بلدنا و نضالنا التحرري من أجل اعتناق وطننا»¹.

و في هذا المقام سجل الفرنسيون خلال الحرب مؤشرات عدة لجهود حثيثة بذلتها الثورة لتنظيم فئة النساء الجزائريات². و لكن، بالرغم من إنشاء الثورة لتنظيمات جماهيرية خاصة بالعمال و الطلبة و التجار، فإن إنشاء تنظيم جماهيري خاص بالنساء الجزائريات، قد بقي مجرد مشروع و هذا حتى الاستقلال³. على أن هذا لا يمنع وجود مساع بذلت في هذا الاتجاه. من ذلك مساعي المجاهدة السيدة زهرة ظريف لإنشاء تنظيم نسوي بالقصبة، و لكنه تنظيم وئد في نفس اليوم الذي رأى النور فيه، مع اعتقال هذه المجاهدة برفقة السيد ياسف سعدي خلال معركة الجزائر، سنة 1957⁴.

علما أن الثورة، في ندائها الذي وجهته إلى الطلبة الجزائريين بقصد مقاطعة المدارس الفرنسية، لم تستثني الطالبة الجزائرية، التي دعتهما للالتحاق بجبهة و جيش التحرير لتقديم مساهمتها في عملية تحرير الوطن⁵. و هو ما عزز صفوف جيش التحرير بأعداد من الطالبات الوافدات، اللاتي، لم يكن تواجدهن بين المجاهدين دون إفراز جملة من المشاكل لجيش التحرير، أجبرته لاحقا على استبعادهن من صفوفه و توجيههن للعمل بالهينات المدنية لجبهة التحرير، للاضطلاع بتقديم خدمات طبية و اجتماعية لصالح السكان⁶.

و يبدو أن الدواعي التنظيمية قد دفعت لاحقا بقيادة جيش التحرير إلى إحداث إطار خاص يضبط مشاركتهن في الثورة. ذلك ما نلمسه من مبادرة الولاية الثانية إلى إنشاء سلك "النساء المجاهدات" (Corps des femmes combattantes)، اللاتي كن يضطلعن بدور مزدوج : الأول و هو دور طبي، يتمثل في العمل كمرضات لتقديم العلاج للمجاهدين ب «مستشفيات» جيش التحرير، و تقديم العلاج أيضا للسكان المدنيين خارج هذه المستشفيات. و الثاني و هو دور اجتماعي و سياسي : اجتماعي يتمثل في العمل كمساعدة اجتماعية في خدمة المرأة الجزائرية لمنحها نصائح و إرشادات تُعينها على تدبير شؤون بيتها و تربية أطفالها و مراعاة قواعد الصحة و النظافة... و سياسي، يتمثل في توعية هذه المرأة، بتحسيسها و تنويرها بالأوضاع السياسية القائمة، حيث يناط بما أن تشرح لهذه الأخيرة ما هو جيش التحرير و ما هي جبهة التحرير و ما هي أهداف الثورة الجزائرية، بما في ذلك تبيان واجب هذه المرأة تجاه الثورة. هذا، و قد كان

¹ - SHAT, 1H 2586/d.2, Extraits de deux documents rebelles, annexe à la Note de service n° 861/EM.10/PSY./DR, Alger, 27 février 1957, p. 6.

² - أنظر الملحق رقم : 120.

³ - Voir, Achour, op. cit., p. 157 et 271.

⁴ - SHAT, 1H 2582/d.1, Analyse : Organisation féminine de la Z. A. A., n° 5915/EM.10/2/OPE/A, 14 oct. 57. ⁵ - أنظر الملحق رقم : 107.

⁶ - و ذلك ما حدث فعلا بالولاية الخامسة، التي اتخذت قيادتها المجتمع بتاريخ 2 إلى 7 أكتوبر 1957، القرار التالي : « إنه من غير المتصور إحالة المرأة إلى مستوى ثانوي في الأهمية. فقد اكتسبت المرأة مكانتها بجدارة في الثورة. و لكن أمام المشاكل المتعددة التي يطرحها تواجدها بصفوف جيش التحرير، فإنه سوف يتم إدماج كل النساء العاملات بالجيش في تنظيم جبهة التحرير للعمل بين السكان المدنيين، الذين يتوجب عليهن تربيتهن. فدور المرأة في المجال الاجتماعي كبير جدا. فلتبدي المرأة مهارتها في هذا الميدان و لتكن صاحبة مبادرة لإخراج المرأة الجزائرية بالريف من تعاستها الاجتماعية و من الجهل. فللمرأة دور تلعبه في الثورة ».

SHAT, 1H 2582/d.1, Wilaya V, Décisions prises au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, p. 10- 11.

النشاط السياسي لهاته النساء المقاتلات يخضع للمسؤولية المباشرة للمحافظ السياسي للقسم¹. و قد أسدى هذا السلك خدمات جليلة للثورة، مثلما تؤكد شهادة السيدة أنيسة بركات: « لقد كانت أنشطتنا متعددة داخل جيش التحرير: فتارة نحن ممرضات، و تارة مساعدات اجتماعيات، و تارة كاتبات في السكريتاريا، وأحيانا أخرى مسؤولات عن التنظيم النسوي. لقد كنا نقدم باستمرار، و بهمة لا تعرف الكلل، العلاج و الإسعافات للمجاهدين الجرحى. كما كنا نقوم أيضا بإجراء زيارات للمرضى المدنيين. و نعالج النساء و الأطفال و الرجال. و نقدم إرشادات و نصائح قيمة حول مبادئ الصحة العامة لسكان الريف. و كنا نعمل أيضا على تحسين ظروف المرأة الريفية. و خلال فترات الهدوء، كنا نعقد اجتماعات سياسية للنساء لنؤجج فيهن اللهب الثوري، من خلال شرحنا لهن أهداف الثورة و تطورات الأوضاع، حتى يعين بصورة أفضل مدى نبل قضيتنا و يشاركن بحماس و شجاعة في معركة التحرير. و عند نفاذ مخزون الأدوية، كنا نقدم مساعدتنا إلى كتابة المنطقة، حيث كنا نحرر مئات المنشير الدعائية، و نكتب وصلات جمع المال، و نترجم التعليمات العسكرية الداخلية إلى العربية، بما في ذلك القرارات و معلومات أخرى².

و مما سبق، يتضح أن حظ النشاط النفسي للثورة في اتجاه المرأة الجزائرية من النجاح كان لا يستهان به : فقد نجحت الثورة بوسائلها المحدودة في أن تنصدي للنشاط النفسي الفرنسي ضد المرأة الجزائرية، و استطاعت أن تكسب الجزائرية و أن توجه جهودها وجهة صحيحة لخوض معركتها الأهم، هي معركة تحرير وطنها، و ذلك بعد ما حاول المستعمر صرفها إلى خوض معارك خاسرة في وقتها و لن تعود عليها بشيء. و إذا كان المستعمر قد سعى من وراء نشاطه النفسي على المرأة الجزائرية تسخيرها أداة لتحقيق أهدافه الاستعمارية، فإن الثورة قد نجحت في جعل المرأة تكافح من أجل تحقيق أهداف هي، المتمثلة في استقلال وطنها الجزائري، الذي لا يمكن بدونه تصوّر أي ترقية لفرد من أفرادها. نجاح الثورة هذا، لا يفسره و لا يبرهن عليه إلا ذلك السخاء في التضحية الذي قابلت به المرأة الجزائرية الثورة، و الذي هو بلا شك يتجاوز في حجمه كل الأرقام و الإحصائيات³.

المبحث الرابع : « النشاط النفسي » للثورة على المجاهدين

يمثل جيش التحرير الوطني وسيلة الثورة و أداها الأولى لبلوغ أهدافها المتمثلة في تحرير البلاد و انتزاع الاستقلال. و لأنه الضمان الوحيد لتحقيق هذه الأهداف، فقد كان صون وحدته و تعزيز تماسكه و انضباط صفوفه من الأهمية بمكان بالنسبة للثورة. و قد رأينا في بداية هذا الفصل، عند تناولنا للمذهب الحربي للثورة في مجال الحرب النفسية، بأن النشاط على الجنود كان نشاطا ذا طابع سياسي و ليس نفسي، لأن جندي جيش التحرير هو "جندي مناضل"، تتوفر فيه القناعة و الانخراط، و هذا بخلاف الجندي الفرنسي الذي هو مجرد

¹ - أنظر الملحق رقم : 121 المتضمن نص المنشور رقم 9 المتعلق بإنشاء سلك "النساء المقاتلات" بالولاية الثانية.

² - Centre National d'Etudes Historiques, Un témoignage d'Anissa Barkat, née Derrar, 1977, p. 3.

³ - السيد عاشور شرقي يورد في كتابه، نقلا عن بعض الأعمال الجامعية، أرقاما حول ضريبة الدم التي دفعتها المرأة كمجاهدة و مسبلة : فمن أصل 1735 مجاهدة هناك 314 سقطن في ساحة الشرف. و من بين 10.949 مسبلة هناك 948 سقطن شهيدات. أنظر :

Acheur Cheurfi, op. cit., p. 157.

"جندي مواطن"، مما يجعل من جيش التحرير "تجمع لمناضلين بساحة المعركة". و بما أن القناعة عند جندي جيش التحرير متوفرة، و هي سياسية بالأساس، فإن النشاط الأمثل لترسيخها و تعزيزها و تدعيمها هو نشاط ذا طابع سياسي بالأساس أيضا. لذلك كان خيار الثورة يتمثل في تسييس المقاومة بالجلب إلى أبعد الحدود (La politisation du maquis).

فإذا قيل هذا، فإن النشاط السياسي للثورة على المجاهدين، لم يستبعد و لم يخلوا تماما من تطبيق للنشاط النفسي. فالقناعة السياسية الراسخة تحتاج بدورها إلى معنويات مرتفعة للصدوم و الاستبسال في المقاومة، و هي مهمة النشاط النفسي. لذلك كان النشاط السياسي و النفسي للثورة على المجاهدين يهدف إلى تحقيق شيئين اثنين هما : الأول تحقيق الحصانة المعنوية للنفوس من الخطرين الخارجي و الداخلي. و الثاني تقوية الوحدة و تعزيز التماسك في صفوف جيش التحرير.

أولا : تحقيق الحصانة المعنوية للنفوس

و يتمثل ذلك في درء كل الأخطار التي قد تتهدد صفوف جيش التحرير، للنيل من معنوياته و روحه القتالية. هذه الأخطار هي على نوعين : أخطار خارجية و أخطار داخلية. فالأخطار الخارجية تشمل كل ما قد يصدر عن العدو من عمليات تظليل و تسميم، و اختراق و توغّل، و تشييط و تعفين، و ما قد تفرزه هاته من تصفيات داخلية بغرض تطهير الصفوف من "الخونة و المندسين". و هو ما أشارنا إلى نبذة منه في الفصل الخامس. أما الأخطار الداخلية، فهي تشمل كل الأعمال و المحاولات و المخططات التي يمكن أن تصدر عن بعض العناصر في الداخل لمختلف الأسباب و الدوافع، و التي قد يترتب عنها إلحاق أضرار بجيش التحرير، قد تمس وحدته و تزعزع انضباطه و تلحق الوَهَنَ بالروح القتالية لدى جنوده. هذه الأخطار قد تأخذ شكل الجوسسة لصالح العدو، إفشاء أسرار تتعلق بالجيش، الترويج لإشاعات مضادة، التدبير لمؤمرات داخلية، الدعوة إلى التمرد ضد القيادة، بث الانهزامية في النفوس و الفرار من الجيش، إلى غير ذلك من الجرائم، التي صنفتها النصوص التنظيمية الداخلية لجيش التحرير ضمن خانة " الأخطاء الكبيرة " و "جرائم الخيانة العظمى"، و التي غالبا ما كانت عقوبتها الموت¹.

و في هذا المقام، يعد الحزم الذي عولجت بها بعض القضايا، كقضية "لابلويت" بالولایتين الثالثة و الرابعة و قضية قيادة الولاية الرابعة التي تقابلت مع دوغول، و التي عرفت " بحادثة الإلبيزي"، و قضية تمرد العقيد لعموري، و ما نجم عن كل هذه القضايا من عمليات تطهير داخلية، عينة على ما قد تبلغه صرامة الثورة في هذا المجال. لأن الأمر يتعلق هنا بأمن و سلامة الثورة، حيث يكون للتواني و التراخي هنا عواقبه الوخيمة. علما أن هذه الصرامة، و إن كان قد سُجّل عليها كثير من التطرف في بداية الأمر، فقد اكتسبت لا

¹ - Mohammed Guentari, op. cit., volume I, p. 207- 220 ; Mohammed Harbi et Gilbert Meynier, Le FLN Documents et histoire 1954- 1962, p. 53 et 54 et 65.

حقا الكثير من التبصّر و عمق النظر، حتى لا تغدو "الصرامة الثورية" هي الأخرى ضحية للكيد الاستعماري، الذي يجعل منها مجرد آلة لحصد الأرواح¹.

ثانيا : تقوية الوحدة و تعزيز التماسك بين صفوف جيش التحرير

درء كل هذه الأخطار، سواء كانت داخلية أو خارجية، كان يمر حتما عبر اتخاذ كافة الإجراءات الوقائية اللازمة، و لكن أيضا و بالأخص، من خلال العمل على تعزيز الوحدة و التماسك بين صفوف جيش التحرير، و التي تفر هي الأخرى حتما من خلال منح المجاهد تكوينا سياسيا عاليا و ترقية حسه الأخلاقي، بما يجعله في مستوى انتمائه لجيش التحرير، الذي هو جيش يتكون من « شباب وطنيين و متطوعين يحترمون مبادئ الإنسانية و العدل و في خدمة قضية عادلة»، و يقاتلون من أجل « المثل العليا، الجزائر و الإسلام و الديمقراطية»، و هذا بخلاف الجيش الفرنسي الذي « يسرق و يغتصب و يقتل و ينشر الرذيلة»، و الذي هو جيش تشكل عناصره من مجرد « أجلاف دمويون و مرتزقة من السكارى و المعريدين في خدمة استعمارية آيلة إلى الزوال »². لذلك، و تحقيقا لهذه الغاية استحدث جيش التحرير منصبين في كل كتيبة هما منصبا المرشد الديني و المحافظ السياسي للكتيبة.

المرشد الديني و المحافظ السياسي للكتيبة، كلاهما مجرد جندي من جنود الكتيبة، و الذي قد تكون له رتبة، و لكهنا، كباقي المجاهدين، يمارسان نفس الحقوق و يؤديان نفس الواجبات. تعينهما الناحية، و تتولى، من خلال محافظتهما السياسيين - للناحية طبعاً، تزويدهما بالتعليمات و المعلومات اللازمة لأداء مهامهما.

المرشد الديني، هو مجاهد له نصيب من المعارف الدينية، و الذي يتوجب عليه، من خلال إيمانه و تطبيقه لواجباته الدينية كمسلم، أن يقدم أحسن القدوة لمن حوله في الكتيبة. كما يتوجب عليه السهر و الحرص على تأدية كل المجاهدين لكل تعاليم الإسلام. و هو في ذلك يقدم لهم حصصا للوعظ و الإرشاد، يتناول فيها مختلف المسائل الدينية.

استحدثت منصب المرشد الديني في الكتيبة فيه دلالة واضحة على البعد الديني القوي الذي كان متمكنا في نفوس المجاهدين بالجبل³، كما فيه أيضا دلالة على أن النشاط النفسي على المجاهدين كان ذا طابع ديني بالأساس و يستمد قوته من الدين الإسلامي، من خلال تأجيج العاطفة و الحس الديني عند المجاهدين لتحقيق التعبئة الجهادية و حث النفوس على بذل النفس و الاستماتة في التضحية. فمثلا خلال مناسبات إحياء الأعياد الدينية، كعيد الفطر و عيد الأضحى، معركة أحد و معركة بدر، فتح مكة و عاشوراء، و غيرها من

¹ - ما يدل على ذلك هو أن رد فعل الثورة في التعامل مع الخونة المرسل بهم من طرف المصالح النفسية الفرنسية كان يتمثل في بداية الأمر في إعدام المشتبه فيه، المتلبس بتهمة التآمر على الثورة. لكن و بعد فترة، نجد الثورة، و كأنها قد استعادت وعيها، تستدرك ما وقعت فيه من انزلاق جعلها تتحول إلى آلة لحصد الأرواح، و تنفذ العمل بإجراءات أكثر تبصرا لتفادي إهراق الدم الجزائري. أنظر :

Maurice Faivre, op. cit., p. 402 ; aussi, Charles- Robert Ageron, «Complots et purges dans l'Armée de Libération Algérienne », p. 21.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire en date du 24. 3. 1958 adressé aux Commissaires Politiques par le Lieutenant Moussa du Conseil de Zone III, Wilaya IV, au sujet de la politisation de l'appareil militaire. (Documents récupérés au cours de l'opération " BREBIS " , le 29 mai 1958 en K. Y. 88).

³ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », op. cit., p. 226.

المناسبات... كان المرشد الديني -و حتى المحافظ السياسي- يغتنم مثل هذه المناسبات لتحقيق تعبئة مزدوجة، نفسية و سياسية للمجاهدين الذين قدموا إلى مركز القيادة خصيصا لذلك. فبعد أن يقوم المرشد بتقديم نبذة تاريخية عن المناسبة، كان يثني ذلك بتقديم نبذة تاريخية عن الثورة، حيث كان يحرص في عرضه هذا على إقامة روابط متينة بين الاثنين، تجعل كلاهما يندرج ضمن "الجهاد ضد الكافر"، الذي هو في الوقت الحالي "الرومي"، و هو المصطلح الذي قد يتسع معناه فيشمل كل الأروبيين، بما في ذلك الجزائريين الأوفياء لهم. و في هذا المقام، كان المرشد الديني يُطعم خطابه بآيات من القرآن الكريم و يحض الحضور على الجهاد و الاستشهاد و الفوز بجنة عرضها السموات و الأرض. و إلى جانبه، كان المحافظ السياسي يتناول المسائل السياسية، شارحا كيف أن هذا النضال ليست له غاية أخرى غير تحرير البلاد، مسهبا في ذكر الامتيازات و الفوائد المادية و المعنوية التي ستعود على الجزائريين من جراء الاستقلال، كالأرض و الثروة و العمل و المنصب و غيرها... و يختتم الخطاب بدعوة المجاهدين إلى الاستماتة و الاستبسال في المقاومة و التنافس في مجال تحقيق الأعمال البطولية، حتى يغدوا أصحابها قدوة و مثالا يضرب بين الرفاق¹.

أما بالنسبة للمحافظ السياسي للكتيبة، فهو الشخص المكلف بمهام التربية و الإعلام و الدعاية داخل الكتيبة و لدى سكان الدواوير المجاورين لمكان تعسكرها. و بالتالي فهو الشخص الذي تقع على كاهله مهمة تسييس المقاومة بالجبل من خلال منح المقاومين تكوينا سياسيا و وطنيا يعضد تكوينهم العسكري بما يزيد في قوة و شوكة جيش التحرير. تحقيق ذلك كان يتم من خلال تكوين جنود شباب يتفرون على قدر من التعليم و منحهم تكوينا سياسيا يُعدّهم مستقبلا لتولي مهام سياسية. و إذأ، فمهمته تتمثل و بصفة محددة في « تحويل مقاتلين جاءوا إلى جيش التحرير إلى مناضلين ثوريين في خدمة هدف واحد هو تحرير البلاد »². و لهذا الغرض فهو ينظم لهم اجتماعات دورية مضبوطة بجدول أعمال محدد و دقيق. في هذه الاجتماعات لا يتعلق الأمر بخطيب مفوّه يلقي خطابا في حضرة حضور كريم مستمع، و لكن الأمر يتعلق باجتماع يجمع مناضلين واعين بتأدية نقاش جاد و متزن حول موضوع محدد، نقاش يثير تدخلات و منبرا لتعميق التفكير حول مفاهيم و جوانب تتعلق بمختلف مناحي الثورة³. و بانتهاء هذا التكوين، الذي عادة ما يدوم بضعة أسابيع، يشرع هؤلاء

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens, N° 1100/CSTT/5/E, Tunis, 30 novembre 1956, p. 1.

² - المصدر السابق، نفسه.

³ - من بين محاور هذه المواضيع يمكن أن نذكر :

- تعميق التفكير حول الدور المناط بالمحافظ السياسي؛
 - تعميق التفكير حول دور مختلف الهيئات السياسية و العسكرية للثورة، كالمجلس الوطني للثورة الجزائرية، لجنة التنسيق و التنفيذ، الولاية، المنطقة، الناحية، القسمة، الدوار، المدينة؛
 - تعميق التفكير حول بعض المسائل العسكرية التي تتعلق بدور الكتيبة، المسبلين، الهندسة العسكرية، صناعة الألغام و القنابل، الهلال الأحمر؛
 - تعميق التفكير حول بعض المسائل السياسية مثل : الثقافة، الدعاية، الإعلام.
- أما بالنسبة للمفاهيم، فقد كان يتم فتح النقاش حول مواضيع مثل :
- "الانضباط الثوري"، "التضحية"، العلاقة بين جيش التحرير و الشعب، "الديمقراطية السياسية و الاجتماعية"، الجهوية...؛
 - المجالس الشعبية و المندوبيات الخاصة؛

بدورهم في العمل من خلال تقديم عروض دعائية مضادة، بمعدل مرة في الأسبوع للجنود و بمعدل مرة في كل شهر للمدنيين. فبالنسبة للجنود، كانت محاور هذه العروض تدور حول شرح أصول الثورة و أهدافها و شرح تنظيمها و الهيئات التابعة لها كقنابة الاتحاد العام للعمال الجزائريين و شرح عمل الخلايا الثورية. كما كان يناط بهؤلاء رفع تقارير شهرية عن معنويات الجنود¹.

و إلى جانب هذه المهمة - أي تكوين و تخريج الكوادر السياسية- كان يناط بالمحافظ السياسي للكتيبة تقديم يد العون للمحافظ السياسي للتنظيم الإداري المحلي لجهة التحرير بعين المكان، و القيام بتنظيم تجمعات للسكان المجاورين لمكان تعسكر الكتيبة و تقديم حصصا تربوية و إعلامية لهم. فاتحا العين، ملاحظا و متتبعا لنقاط العجز و مواطن القصور التي قد تعترض التنظيم الثوري المحلي بعين المكان، خاصة و أن الشعب غالبا ما يتجه إلى الجيش لرفع شكواه عن أخطاء الإدارة المدنية. و في هذا المقام، كان يتوجب عليه سماع الشعب و الاستعلام عن معنوياته و جس درجة مشاعره تجاه الثورة و مدى دعمه لها، و تقدير احتياجاته المادية و المعنوية، ثم تبليغ كل ذلك إلى المحافظ السياسي بعين المكان².

ذلك ما كان من أمري المرشد الديني و المحافظ السياسي للكتيبة و ما يتعلق بدورها في تكوين جنود جيش التحرير و رفع معنوياتهم. علما أن الثورة قد قامت، بالموازاة مع الجهود أعلاه لتقوية وحدة جيش التحرير و تعزيز تماسك صفوفه، ببذل جهودا حثيثة أخرى، تمثلت في اعتماد جملة من الإجراءات المادية و الوقائية، التي كانت الغاية منها درء مختلف الأخطار الخارجية و الداخلية التي قد تتهدد جيش التحرير، و بالأخص قطع الطريق على الجيش الفرنسي حتى لا ينال من جيش التحرير. هذه الإجراءات سنقف على جملة منها عند تناولنا للحرب النفسية للثورة ضد الجيش الفرنسي.

و لكن ما هو حظ الثورة من النجاح في نشاطها على جنود جيش التحرير ؟

إنه لمن الصعب، أمام تعذر الإطلاع على أرشيف جيش التحرير بالداخل، و حتى بالخارج، تقديم إجابة دقيقة عن مآل جهود الثورة في اتجاه المجاهدين. لا شك أن جيش التحرير، مثل غيره من الجيوش في زمن الحرب، قد حقق عدد من النجاحات مثلما يكون قد سجل أيضا عدد من الإخفاقات، حيث تكون الموازنة بين الاثنين هي المعيار في الإجابة على السؤال أعلاه.

فإذا بدأنا بجانب الإخفاقات فإن جيش التحرير لم يسلم كلية و لم يكن بمنأى عن بعض الأزمات التي هزت صفوفه بشدة و أدخلت عليها الخلاف و الشقاق. نقول ذلك و نحن نتمثل أزمات كبيرة عصفت بصفوفه كاستشهاد عدد من كبار قادته و رجاله و ما خلفه ذلك من فراغ كبير فتح أحيانا الباب على سباق

-
- الحركة الوطنية بمختلف مكوناتها، الرعامة و عبادة الأشخاص، الوطنية و الشيوعية، نضال الجزائر؛
 - الجزائر المستقلة غدا أمام المغرب العربي، العالم العربي، العالم الإسلامي، الكتلة الرأسمالية و الكتلة الشيوعية؛
 - جغرافية الجزائر و شمال إفريقيا، ثروات الجزائر المنجمية والزراعية، الاقتصاد الوطني والاقتصاد الاستعماري؛
 - المرأة و الثورة الجزائرية، الاسلام و فرنسا، إلى غير ذلك من المحاور و المفاهيم.

أنظر : SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire en date du 24. 3. 1958..., op. cit. p.2

¹ - Charles-Robert Ageron, «la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », p. 225.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire en date du 24. 3. 1958..., op. cit. p. 2.

شرس على القيادة. حيث يمكن أن نذكر هنا استشهاد كل من الشهيد بن بولعيد و زيغود يوسف، عميروش و الحواس، و تصفية كل من شيهاني بشير و عبان رمضان و علي ملاح. ثم هناك عمليات التصفية الداخلية التي طالت المئات، إن لم نقل الآلاف من الضباط و الجنود في إطار ما عرف بقضية « لابلويت ». التي عصفت خصيصا بالولايتين الثالثة و الرابعة. يضاف إلى ذلك « قضايا » أخرى، يمكن أن نذكر من بينها : قضية التحاق عاجل عجول بالولاية الأولى؛ قضية العقيد لعموري، المعروفة بـ «مؤامرة العقداء» بتونس؛ قضية العرابوي و عراب بالولاية الخامسة؛ قضية سي الزبير بالمغرب، قضية لامين دباغين بالقاهرة، قضية عبد الحفي بتونس، قضية سي صالح بالولاية الرابعة؛ تمرد العقيد علي حنبلي بتونس؛ الخلاف بين هيئة الأركان و الحكومة المؤقتة... إلى غير ذلك من القضايا و الأزمات التي كادت من خطورتها أن تتغير و بصورة جذرية في المسار العام للأحداث و أن تفتح الثورة على باب من الشكر كبير. لكن المفارقة الكبيرة هي أن نفس هاته الأزمات و نفس هاته « القضايا أو المسائل» هي نفسها مواطن النجاح بالنسبة للثورة و لجيش التحرير: فكونها، على الرغم من خطورتها، لم تفرض واقعا آخر على الثورة فهذا معناه أن صفوف جيش التحرير و معنويات جنوده كانتا من المناعة و الحصانة ما مكناهما من الصمود أمام هاته الهزات و الصدمات. و في هذا المقام لا يسعنا إلا أن نساير الباحث زهير إحاددن فيما ذهب إليه من الاستنتاجات التالية¹ :

- الأولى : و تتمثل في أن أي من هذه الأزمات لم تهرز جبهة التحرير : فأى منها لم تشكل عقبة حقيقية أعاق سيرها نحو الاستقلال. فتاريخيا، جبهة التحرير هي نجاح تام، لأنها حققت الهدف الذي أنشئت من أجله، و لذا كان جانب النجاح أكثر بروزا في ظاهرة جبهة التحرير من جانب الفشل.

- الثانية، هي أن سر نجاح الثورة يكمن بالتأكيد في أن دعايتها لم تثر أبدا هاته الأزمات، لا في شكل منشور و لا في شكل مقال منشور في صحافتها. فبمجرد حدوث الأزمة كان يتم تطويقها جغرافيا و إنسانيا. فمثلا قضية سي صالح، لم يتعد مداها إطار هيئة أركان الولاية الرابعة؛ كما أن قضية سي الزبير أيضا لم تخرج في إطارها عن الحدود الجزائرية المغربية؛ و نفس الأمر بالنسبة لقضية عبان رمضان، التي بقيت قضية بحتة لا تعني غير لجنة التنسيق و التنفيذ و بعض المناضلين الذين كانوا على اتصال به. لقد كانت لجبهة التحرير عبقرية تجيد لف و إحاطة مثل هذه القضايا بجدار من السرية و الكتمان، بحيث أن أغلبها لم يُعرف إلا بعد مجيء الاستقلال. و لا شك أن الانضباط الثوري الذي كان يتحلى به مناضلوها و مقاتلوها كان خير عون لها في هذا المجال.

و على ذكر هذه النقطة الأخيرة، أي مسألة الانضباط الذي كان سائدا في صفوف المناضلين و المجاهدين، كنا قد أشرنا إلى تسجيل عدد من حالات الالتحاق لعناصر من جيش التحرير بالجيش الفرنسي، الذي هو في ذاته مؤشر قوي يعكس ما كانت عليه معنويات جيش التحرير خلال فترة ما؛ كما أنه يدل على أن جيش التحرير لم يسلم كلية من تسجيل حالات فرار للجنود بين صفوفه². و إذا كنا نتوفر على بعض الأرقام

¹ - Zahir Ihaddaden, « La propagande du FLN pendant la Guerre de libération nationale », in La guerre d'Algérie et les Algériens, Actes de la table ronde organisée à Paris, du 26 au 27 mars 1996, sous la direction de Charles-Robert Ageron, op. cit., p. 183- 184.

² - Maurice Faivre, p. 403- 404.

لتقدير عدد الملتحقين (و الذي هو، كما قدرته بعض المصادر الفرنسية بـ 5.531 ملتحق بنهاية أوت 1960) فإننا بالمقابل و للأسف لا تتوفر على أي رقم حول عدد حالات الفرار هذه¹، و إن كنا نتوقع أن عددها هو نفسه عدد حالات الالتحاق، باعتبار أن الفار من جيش التحرير ليس أمامه خيار آخر غير الالتحاق بالجيش الفرنسي للإفلات من عدالة الثورة. و على كل سببى فتح أرشيف جيش التحرير يوما ما هو السبيل الوحيد للإجابة على السؤال أعلاه و رسم منحى لمعنويات جنود جيش التحرير خلال الحرب.

المبحث الخامس : « الحرب النفسية » للثورة ضد الجيش الفرنسي

يمثل الجيش الفرنسي جهة أخرى من جبهات الأنشطة النفسية للثورة، إن لم نقل أهمها. و كيف لا، و الجيش الفرنسي يمثل أشد خطر يُخشى منه على الثورة. النشاط النفسي للثورة في اتجاه الجيش الفرنسي كان يسير على مسارين اثنين هما: الأول ويتمثل في قطع الطريق على مصالحه الاستعلامية، من خلال تتبع و مطاردة أعوانها من العملاء و الخونة، كما تُصَاب مصادرها الاستعلامية بالنضوب، فلا تستطيع النيل من الثورة بأي شكل من الأشكال؛ و الثاني يتمثل في استهداف هذا الجيش بدعاية مضادة للنيل من معنوياته و روحه القتالية، و ذلك من خلال استهداف مختلف مكوناته بدعاية تناسبهم.

أولا : قطع الطريق على الجيش الفرنسي

و هو ما تمت ترجمته عمليا من خلال اعتماد الثورة للكثير من الإجراءات الوقائية، التي يمكن أن نذكر من بينها الإجراءات التالية :

- أولا العمل على غرس و ترسيخ روح الانضباط في نفوس المجاهدين و تعريفهم بماهية التجسس، و توعيتهم بأشكاله و وسائله و بأخطاره على التنظيم العسكري و المدني، و تبيان سبل الوقاية منه، و المتمثلة في : أولا التحلي بالكتمان و حفظ السر، لأن " حفظ السر هو أيضا سلاح"؛ و ثانيا بإتباع النظام في تأدية العمل و الحذر من الإهمال و التسبب، لأن " النظام يعيق مهمة الجاسوس، في حين أن الفوضى تساعد"؛ و ثالثا بالالتزام و التقيد بالاحترام الدقيق للتعليمات؛ ثم أخيرا و ليس آخرا، حثهم على إخطار قيادتهم و في الوقت المناسب بكل شاردة و واردة².

¹ - كعينة على بعض هاته الأرقام، نذكر على سبيل المثال لا الحصر أن العلبة رقم : 302.3 من أرشيف الحكومة المؤقتة للحكومة الجزائرية، المحفوظ بمركز الأرشيف الوطني، تتوفر على قوائم للفارين من جيش التحرير سنة 1961، و لكن لم يسمح لنا بالإطلاع عليها. بالمقابل، علمنا أنه يوجد بالعلبة رقم 220 من نفس الرصيد، ثلاثة قوائم لـ " الفارين الجزائريين الذين لم يلتحقوا بمراكزهم حتى تاريخ 1961" ؟ هذه القوائم تتضمن 156 + 31 + 56 اسما، في أوت 1961، و لم يرد فيها - على ما يبدو - أي ذكر لأسباب ذلك. كما أننا لا ندري هل يتعلق الأمر بالفارين الجزائريين من جيش التحرير أم من الجيش الفرنسي ؟ أنظر :

C.A.N., G.P.R.A., boîte n° 302.3, Note sur les déserteurs de l'ALN, 1961; aussi, boîte n° 220, Liste des déserteurs algériens n'ayant pas rejoints leur poste à cette date 1961.

² - SHAT, 2586/d.1, Sécurité militaire : L'espionnage, document FLN- ALN, rédigé par Si Abdelkader du Conseil de Zone (?), Wilaya (?), (s. d.), 6 p. أنظر أيضا الملحق رقم : 122

- ثانيا مكافحة حالات الفرار من الجيش و تكثيف الأنشطة العسكرية حتى لا يقع المجاهدون فريسة للبطالة و الفراغ، لأثرهما السيء على معنويات الجنود¹.

- ثالثا حض الضباط و الجنود على الابتعاد عن كل ما قد يلحق بهم شبهة العمالة للعدو أو التورط في قضية "لابلويت".

- رابعا حض مصالحها للاستعلام و الاتصال على تكثيف نشاطها في مجال مراقبة و مطاردة عملاء العدو من الخونة و الجواسيس، المندسين في الصفوف و كشف أعمالهم التخريبية ضد الجيش و الشعب. نشاط الثورة في هذا الاتجاه، كان يبتغي في المقام الأول حماية الثورة و مختلف هياتها من التجسس و الاختراق، بمراقبة صفوفها أولا، مستفيدة في ذلك من دروس الماضي : « إن المستعمر يحاول التمكين لنفسه من أجل البقاء من خلال تعبئة وسائل ضخمة. و بالرغم من تواجد 600.000 جندي، تدعمهم فرق الدرك و الوحدات الإقليمية، فهو لم يستطع أن يهزم جيش التحرير، الذي ما فتئت قوته تنعزز. و بالرغم من الصعوبة التي يجدها في تجنيد الوشاة و المخبرين، فإن الخونة موجودون. و لأن المجال لا يمكن أن يخلو منهم بحال، فإن واجبنا هو تصفيتهم و تصفية كل من يحاول اختراق صفوفنا لإخبار العدو. فمن المهم الاستفادة من دروس الماضي عندما استطاعت فرنسا تحقيق انتصارات كبيرة علينا في هذا الاتجاه. فقد اخترقت حزب الشعب الجزائري من خلال عملاء كانوا يحتلون مناصب كبيرة الأهمية. فاستطاعت بذلك أن تؤخر اندلاع الثورة و لكنها لم تستطع هزيمتها، لأن جبهة التحرير نقية. و الأكيد هو أن كل المسؤولين هم عناصر وطنية مخلصنة. و مع ذلك، فإن حالة عجول عجول تدعونا إلى ضرورة التحلي باليقظة الدائمة. و لذلك أيضا يتوجب علينا تتبع مسار مناضلينا، لمعرفة ماضيهم، مستواهم الحياتي، و علاقاتهم [...]»².

و في هذا المقام، كثيرا ما كان الشعب عن قهرٍ مصدرا استعلاميا للعدو : « فضباط لاصاص، الذين كانوا يبذلون ما في وسعهم لاختراق الإدارة المدنية للثورة، كانوا يعلمون بأن الشعب على اتصال دائم بالثورة. فهو يرى كل شيء و يعرف كافة المسؤولين و كل المراكز و الكثير من المستودعات (التي تتوفر على السلاح و الذخيرة و المؤونة و الألبسة و الأدوية ..). فكان ضباط لاصاص يقومون ببث أعوانهم في الدواوير لترصد أخبار الثورة. و بمجرد حصول هؤلاء على معلومات ذات أهمية و قابلة للاستغلال - (كمروور أحد المسؤولين بأحد الدواوير، أو تواجد فصيلة عسكرية بأحد المراكز... -) كانوا يقومون بتبليغ ذلك بأسرع ما يمكن إلى أقرب مركز للجيش الفرنسي »³. و في هذا السياق دائما، كانت الأسواق، التي كان الشعب يتردد

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives générales, document de l'ALN récupéré le 17 avril 1957 au sud ouest de Port- Gyedon, p. 1.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Fiche de renseignements sur l'organisation rebelle, (Etude de documents appartenant vraisemblablement à Si Tayeb, chargé des liaisons et renseignements de la Wilaya IV) n° 5653/EM.10/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, p. 3- 4.

الملحق رقم : 123 يعطينا عينة على نشاط مصالح الاستعلامات للثورة في ميدان حماية هيات الثورة.

³ - C.A.N., G.P.R.A., 5. 14. 1, Rapport sur la situation Militaire, (s. d.), p. 57.

عليها، مصدر متاعب عديدة للثورة. فالعدو الذي كان على علم بأن الشعب على اتصال دائم بالمجاهدين كان يجتهد في جعل هذه الأسواق الأسبوعية مصدرا استعلاميا لا ينضب عن الثورة، حيث كانت هذه الأسواق فرصة مواتية لضباط لاصاص لنسج شبكاتهم استعلامية بين السكان و الاتصال بأعوانهم لتقصي أخبار الثورة. و هو ما حدى بهذه الأخيرة، في أحيان كثيرة، إلى حظر ذهاب السكان إليها و إجبار المترددين عليها على الحصول مبدئيا على رخصة خاصة من رئيس مجلس الشعب، بما في ذلك تغيير أيام هاته الأسواق و العمل، من أجل الاستعاضة عنها، على تشجيع التجارة المحلية بكل دوار، من خلال منح تجار الدواوير قروضا طويلة الأمد لتشكيل مستودعات تجارية بعين المكان¹. كما نشير أيضا إلى لجوء الثورة، أي جيش التحرير، ضمن ما اتخذته من إجراءات و تدابير احترازية للحيلولة دون اختراق العدو لتنظيمها المدني و العسكري، إلى قَصْرِ «مستشفياتها» على استقبال عناصر جيش التحرير فقط، بعدما كانت تستقبل الشعب أيضا². و قد كان الدافع على هذا الإجراء هو أن العدو الفرنسي كثيرا ما استطاع تحديد أماكن هاته «المستشفيات» و الغارة عليها بناء على معلومات تمكن من الحصول عليها أو انتزاعها من السكان.

ثانيا : « الحرب النفسية » على الجيش الفرنسي

يبدو من الصعب الحديث عن «حرب نفسية» للثورة ضد جيش الفرنسي، ففي ماعدا تنظيم عمليات فرار و التحاق للمجندين بالجيش الفرنسي من جزائريين و مرتزقة أجنب بالليف الأجنبي، فإننا لا نجد أنفسنا أمام استراتيجية ثورية واضحة الملامح استهدفت ضرب العمق الحساس للجيش الفرنسي بهدف تركيعه. فالثورة لم تقم -على سبيل المثال لا الحصر، و على غرار جيش الفيات منه (Viet-Minh)- بوضع و تطوير « سلسلة من التمارين الروحية الخاصة بالحرب-النفسية »³، لتقديم معالجة نفسية لعناصر الجيش الفرنسي؛ و لا هي قامت أيضا بإنشاء مراكز اعتقال خاصة بأسراه، لإخضاعهم فيها لألوان من عمليات غسل الدماغ و التشريب المعتقدية⁴. و لعل ما يزيد في تعزيز هذا الكلام هو أننا، إلى جانب افتقارنا لاستراتيجية واضحة الملامح، لا نجد أمامنا أثرا لجهاز أو مصلحة خاصة، على غرار المكتب الخامس للجيش الفرنسي، أنشأتها الثورة و أسندت إليها

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives politiques, Wilaya IV, Zone II, Région IV, signées Mahmoud, (s. d.), p. 3; Ibid, Note de service: A messieurs les commissaires politiques, Wilaya IV, Zone opérationnelle n° II, le 2/3/1957.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire n° 2 : Règlement du service sanitaire de la Wilaya, Wilaya II, 9/12/ 1956.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Note de renseignements, n° 2442/EM/10/2/EMI, Alger, 18 juin 1956, commentaire de l'organigramme, p. 1.

⁴ - لا شك أن الاختلاف الجوهرى الموجود بين الثورتين، أي بين الثورة الفيتنامية و الثورة الجزائرية، يفسر ذلك إلى حد كبير : فالثورة الجزائرية هي ثورة تحررية كان هدفها يتمثل في تحرير البلاد و إرساء أسس نظام اجتماعي و ديمقراطي شعبي؛ في حين أن الثورة الفيتنامية هي ثورة تحررية كان هدفها يتمثل أيضا في تحرير البلاد و لكن أيضا في إرساء نظام اشتراكي شيوعي، يشكل قيامه جزء من المد الشيوعي العالمي. و بالتالي فالصراع الإيديولوجي هو على أشده مع الفرنسيين الذين يمثلون في المقابل قوة إمبريالية، رأس مالية و توسعية.

مهمة شن حرب نفسية - بكل ما في الكلمة من معنى - ضد الجيش الفرنسي¹، و إن كانت هناك شواهد كثيرة تؤكد على أن إنشاء مثل هذا الجهاز أو مثل هذه المصلحة لم يرغب تماما في تفكير قيادة الثورة، بل لا شك أنه قد وجد تجسيدا له في فترة ما بإحدى الولايات، و من ذلك الولاية الخامسة، التي حض قائد منطقتها السابعة على ضرورة إنشاء مصلحة خاصة لتنظيم التحاق الجزائريين العاملين بوحدات " القومية". حيث جاء في مراسلة له إلى قادة النواحي، بتاريخ 29 مارس 1958 - و هو تاريخ له دلالة، في عكس التأخر المسجل - ما يلي : « يجب اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لجلب القومية، الذين هم ليسوا كلهم أعداء و لكنهم مجرد ظالين. كما يجب أن يكون النشاط السياسي باتجاههم مكثف و مدروس. كما نطلب منكم إنشاء مصالح خاصة باختراق الجزائريين العاملين بمراكز لاصاص. و في هذا المقام، نذكركم بأنه في الهند الصينية، كان جيش الفيات منه يتوفر على مصلحة متخصصة في الاختراق تعمل على المستوى الوطني»².

و يبدو أن هاته المهمة كانت تدخل ضمن المهام المسندة إلى مصالح الدعاية و الإعلام (SPI) المتواجدة بكل ولاية، و التي كانت تتبع المصلحة الكبرى الاستعلامات و الاتصال، حيث كانت تتوفر على مصالح فرعية مختصة بالجيش الفرنسي : واحدة للجنود الفرنسيين، و ثانية للمرتزقة من المجندين بالليف الأجنبي و المظليين، و ثالثة للمجندين من الأفارقة و الجزائريين المنخرطين عن طوع أو كراهية بالجيش الفرنسي³. و هي المصالح، التي يبقى المنشور أهم شاهد على تواجدها⁴. لذلك، فإننا و نحن نسوق هذا الكلام، لا نصدر حكما بقدر ما نسجل انطبعا. فنحن واعون تمام الوعي أن عدم فتح الكثير من أرشيفات الثورة، و بالأخص أرشيف جيش التحرير بالولايات التاريخية، يحول دون الخروج بتصوير متكامل حول النشاط النفسي للثورة في اتجاه الجيش الفرنسي. و لذلك أيضا، فنحن واثقون بأن فتح مثل هذا الأرشيف يوما ما سوف يزيح الغطاء و يسلط الكثير من الضوء على جوانب خفية و جهود عظيمة بذلتها الثورة، تبعث على الفخر و الإكبار. و لهذا السبب بالذات، سوف نسمح لأنفسنا بالحديث عن حرب نفسية للثورة خالية من كل تحفظ.

تهدف الحرب النفسية للثورة في اتجاه الجيش الفرنسي ضرب تلاحمه من خلال استهدافه بدعاية هجومية تنسف مرجعياته الأخلاقية و العقائدية التي يقاتل من أجلها في الجزائر. كما كانت تستهدف أيضا فضح أساليبه و سلوكاته اللا إنسانية التي يعتمدها و يطبقها في شن هذه الحرب. محاور هذه الدعاية الهجومية، كانت تبتغي توعية و إفهام الجندي الفرنسي، سواء القادم من المتروبول أو من المستعمرات، بأن الحرب التي يشنها في الجزائر

¹ - لا شك أن جهاز " المالف"، الذي هو "وزارة التسليح و المواصلات العامة" قد اضطلع ببعض المهام المتعلقة بشن حرب نفسية ضد الجيش الفرنسي، و بالأخص فيما يتعلق بالاستعلام و التجسس على الجيش الفرنسي و تسهيل عمليات الفرار إلى خارج الحدود للمجندين الأجانب بفرق الليف الأجنبي، و إن كانت أغلب أنشطة هذا الجهاز قد اتخذت كهدف أساسي لها هو حماية جيش التحرير المرابط على الحدود و حماية مكاتب البعثات الدبلوماسية الجزائرية في الخارج. (أنظر : Brahimi Lahrache, dit « Ghani », op. cit., p.183,).
189- 186. لكن معلوماتنا حول هذا الجهاز - الذي لا يزال محاطا بالكثير من السرية و الغموض - لا تزال محدودة و متواضعة، الأمر الذي يصعب معه تقرير أي حقيقة ما في هذا الاتجاه.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de Zone VII, Wilaya V, à tous les Chefs de Régions, 29 mars 1958. (Documents " rebelles" récupérés le 24. 04. 1958).

³ - C.A.N., G.P.R.A., boîte 17. 15. 3, Analyse sur l'organisation politico-sociale de l'ALN, (s. d.), p. 4- 5.

⁴ - Mohammed Tegui, op. cit., p. 75.

هي حرب غير عادلة و يدينها الضمير الإنساني و لن نخدم في شيء لا فرنسا و لا المواطن الفرنسي، و بدرجة أقل الجندي الوافد من المستعمرات، لأنها حرب تسعى فقط لتحقيق و خدمة مصالح و أطماع حفنة من الانتهازيين، من المعمرين و أصحاب الأموال. و لأجل ذلك، فإن هذه الحرب لن يكون من نتائجها إلا إطالة أمد معاناة شعب يتعرض للإبادة على يد هذا الجيش، لا لشيء إلا لأنه يطالب بالحصول على حريته و استقلاله و العيش سيدا فوق أرضه. و أن فرنسا التي تشن هذه الحرب "القدرة" لن تجني منها في النهاية سوى العار ! هذا، و قد كانت هذه الدعاية تتخذ من المنشور وسيلتها الأولى لبلوغ مختلف مكونات و عناصر هذا الجيش. هذا المنشور، كان يتم تارة إلقاؤه في طريق الجيش الفرنسي كما كان يتم، تارة أخرى، إرساله عبر البريد في شكل رسالة شخصية إلى هذا الضابط أو ذاك. و هو ما سنتناوله بشيء من التوسع في نهاية هذا المبحث. و إلى جانب هذه الدعاية الهجومية، انتهجت الثورة الجزائرية، بمكوناتها الأساسية : جبهة و جيش التحرير، سبلا أخرى لبلوغ الجيش الفرنسي و النيل منه. من ذلك إخضاعه لنشاط استعلامي و تجسسي كبير يستوعب كل أنشطته و تحركاته و يرفع عنه كل شاردة و واردة. و في هذا المقام، كانت وحداته المختلفة، بما في ذلك مراكزه و ثكناته و حتى ضباطه موضوع مراقبة مستمرة. هذه الرقابة، كان يؤمنها و يسهر على تنفيذها أعوان من مصالح الاستعلام و الاتصال. هؤلاء الأعوان كان يشترط فيهم، إلى جانب تمتعهم بسلامة الجسم و الروح، توفرهم على قوة الملاحظة، أي القدرة على نقل ما رأوا و ما سمعوا بأمانة فائقة و دقيقة لا تهمل أدنى التفاصيل، دون تضخيم أو مبالغة. و في هذا المقام كان يتوجب عليهم أن يكون لهم من الحس و المهارة ما يمكنهم من استنطاق الآخرين دون أن يبدوا هم مستنطقين لهم. و أن يعرفوا كيف يكتسبوا وُدهم و محبتهم، حتى يعرفوهم جيدا من خلال أقوالهم و أفعالهم. و بالمقابل كان يتوجب عليهم أن يكونوا صرحاء و مخلصين لمسؤوليهم، بكمنا مع الآخرين. أما في مجال الاستعلام و التجسس على الجيش الفرنسي، فقد كان يتعين عليهم إخطار مسؤوليهم بكل حضور و تواجد للعدو، بذكر تشكيلاته، نوعها و مهامها، و ذكر معسكره و المنشآت التي يتوفر عليها و منافذه، أي نقاط الدخول و الخروج و نقاط الماء لتزويد المعسكر بالماء الشروب. إلى جانب ذلك، كان يتعين ذكر عدد خيامه و عدد ضباطه من مختلف الرتب و عدد جنوده. مع ذكر، إن أمكن، أصولهم و أسماءهم و ألقابهم و عناوينهم. كل ذلك يتبع بتقديم مخطط تفصيلي للمعسكر يحدد موقعه الجغرافي و طريقة توزُّع منشآته. و لتحقيق كل ذلك، كان يتم استنفار عونين للقيام بتأمين الرقابة على المعسكر، كل واحد على واحد من جانبيه الاثني. هذه الرقابة تستمر ليلا و نهارا لمدة تتراوح من أربعة إلى سبعة أيام أو أكثر، يتم خلالها التعرف على حركة المعسكر، و التعرف على مواعيد الدخول و الخروج منه و إليه، سواء بالنسبة للقوات أو بالنسبة للتموين، بما في ذلك مواعيد دخول و خروج كبار الضباط و غيرهم من العاملين، بالإضافة إلى السير وراء الجيش الفرنسي خلال خرجاته العمالياتية للقيام بعمليات تمشيط واسعة. كل هذه المعلومات كان يتوجب تبليغها يوميا و بأسرع ما يمكن إلى مركز القيادة، على مستوى القسمة أو الناحية أو المنطقة¹.

¹ - SHAT, 1H 2586/d.1, Documents FLN- ALN intitulés : « Guide à l'officier de renseignement, conseils pratique, le Conseil régional » et « Sécurité militaire : espionage », signé Si ABDELKADER du Conseil de Zone, Zone Ouest Oranais, Wilaya V, annexe à la note n° 461/RM.10/5/ETU/S., 1^{er} Avril 1959, 7p.

إلى جانب هذه المعلومات العملية، كانت المعلومات النفسية المتعلقة بالجيش الفرنسي و بأعوانه تحظى بمكانة هامة في استعلامات الثورة. فبالنسبة للمعلومات النفسية كانت المهمة المسندة إلى أعوان الاستعلامات تتمثل في:

1- رصد الحالة النفسية للجيش الفرنسي، بحسب التشكيلات و بحسب رتب الضباط العاملين فيها.

2- العمل على اختراق الجيش الفرنسي من خلال الاتصال بعناصره و بالأخص الضباط و ضباط الصف و الكتاب و أمناء المخازن، لنسج شبكة من المتواطئين بداخله، و بمختلف تشكيلاته. تحقيق ذلك كان يتم من خلال تفعيل الحس الوطني لهاته العناصر إن كانت جزائرية، أو بشراء ضمائرهم ماليا إن كانت أجنبية : « يجب أن نعمل على تنظيم فرق تابعة لجهة التحرير داخل ثكنات الجيش الفرنسي. تحقيق ذلك أمر ممكن و الإمكانيات في ذلك جد كبيرة، ذلك أن المجرمون الفرنسيون ينجحون دائما في تأليب كل الجزائريين ضدهم. أما الهدف من ذلك فيتمثل في القيام بعمل ما داخل الثكنات أو تنظيم عمليات التحاق لجنود بأسلحتهم انطلاقا منها نحو الثورة. لتحقيق ذلك، يجب الاستعانة بمناضلين لا شبهة فيهم لدى العدو، كما يمكن الاستعانة أيضا بعناصر لا تنتظر إلا التكفير عن ذنبها لدى الثورة لأجل أخطاء ارتكبتها في الماضي. و بالفعل، هناك أعوان إداريون تعاونوا مع الثورة و قدموا لها خدمات جليلة. لذلك، فإننا باستعمال الحذر و بالاستعانة بتجربتنا المكتسبة سوف يمكننا فعل الكثير. و هنا تجدر الإشارة إلى أننا استطعنا في الماضي، و باستعمال أساليب تقليدية جد بسيطة، تحقيق نجاحات كثيرة. و لا شك أن نجاحاتنا ستكون أعظم باستعمال الطرق و الوسائل العلمية»¹.

"الطرق و الوسائل العلمية" هنا، هي ليست شيئا آخر غير نشاط الاستعلامات و التجسس المبني على أسس و قواعد منهجية، حيث تكون الغاية منه هو خلق "تواطؤات" (des complicités) داخل صفوف الجيش الفرنسي للحصول على المعلومات في الميدانين العمليتين و النفسي. من ذلك مثلا معرفة مخطط التحصينات داخل الثكنات و المعسكرات، كالأسلح الشائكة، الحواجز و الخنادق، صفرات الإنذار، مصابيح الإضاءة القوية و مداها...؛ مخازن البارود و السلاح؛ نوعية السلاح، ثقيلًا كان أو خفيفًا؛ معرفة نوع التشكيلة العسكرية، قائدها، رتبته و أصوله العائلية و عنوانه...؛ و معرفة أيام خروج الجيش و وجهته و عدد القوات التي ستشارك في العملية و عدد القوات المتبقية في المعسكر أو الثكنة... إلى غير ذلك من المعلومات. علما أنه في عملية اختراق الجيش الفرنسي، كثيرا ما تم الدفع بعناصر مثقفة، تم تكوينها سلفا، إلى الانخراط في بعض

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Fiche de renseignements sur l'organisation rebelle, (Etude de documents appartenant vraisemblablement à Si Tayeb, chargé des liaisons et renseignements de la Wilaya IV) n° 5653/EM.10/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, p. 3.

تشكيلاته، كفرقة الرماة الجزائريون (les Tirailleurs algériens) و فرق اللفييف الأجنبي (la Légion étrangère) لتعفيينها من الداخول و تنظيم عمليات فرار منها. عمليات الاختراق هذه كانت تطال أيضا الإدارة الاستعمارية بمختلف مصالحها، و مكاتب لاصاص، بما في ذلك المكتب الثاني نفسه التابع للجيش الفرنسي و المكلف بالاستعلامات¹.
أما بالنسبة لأعوان الجيش الفرنسي، فقد كانت التعليمات بشأنهم الموجهة إلي أعوان الاستعلامات، تشمل فيما تشمل، ما يلي :

1- مراقبة "الطابور الخامس" التابع للجيش الفرنسي و المتكون من عناصر جزائرية معادية للثورة، تعمل على نشر التشييط و إشاعة الانهزامية بين الشعب لضرب معنوياته. حيث كانت الأوامر هنا تتمثل في البحث عن مرّوجي الأخبار الكاذبة و مراقبة أحاديثهم لرصد غاياتهم و أهدافهم و دراسة طباعهم و أمزجتهم، ثم اعدامهم إن اقتضى الأمر. كما كانت الأوامر تتمثل أيضا في العمل على إحداث طابور خامس للثورة لمضادة النشاط الهدام للطابور أعلاه.

2- مراقبة كل الأشخاص الذين ألقى القبض عليهم ثم أفرج عنهم بعد فترة من طرف الجيش الفرنسي، بما في ذلك العناصر المترددة على المدينة و القادمة منها إلى الريف، و العناصر المترددة على مكاتب لاصاص، لاحتمال تواطؤهم مع الجيش الفرنسي و السلطات الفرنسية من أجل الاندساس بين الشعب و القيام بأنشطة معادية للثورة².

نشاط الثورة الجزائرية في مجال الاستعلام و التجسس على الجيش الفرنسي لم يفقد حظه من النجاح :
فإلى جانب إفادتها منه في مجال الحصول على المعلومات العملياتية المسرية من داخله الجيش الفرنسي، و التي أفادتها بالتأكيد في توقي الكثير من ضرباته المحققة و توجيه أخرى ناجحة له، كما أفادتها أيضا في الحصول على أسلحة و ذخيرة مهربة من ثكناته...، فإنها قد استفادت منه أيضا في مجال الحرب النفسية. و يكفي تدليلا على نجاعة نشاطها في هذا الميدان ذكر عملية "العصفور الأزرق" التي رغم تصنيف قيادة الجيش الفرنسي لها ضمن خانة "السري جدا" فقد كانت معروفة من قبل الثورة، بل و قامت بتوجيهها طيلة ما يقارب العام. و نفس الأمر ينطبق على عملية "بيلوت رقم 1"، فبالرغم من السرية الشديدة التي أحيطت بها فقد كانت معروفة من قبل الثورة، و بالأخص في أدق تفاصيلها المتمثلة في إرسال عناصر معينة من السكان لتلقي تكويننا خاصا بأرزيو³.
هذا، و لا يفوتنا أن نشير أيضا إلى أن إطلاع الثورة بالمناخ النفسي السائد في عدد من التشكيلات

¹ - SHAT, 1H 2582/d.1, Bulletin de renseignement, n° 421/ZSA/2.S du 22 février 1958, portant sur des documents appartenant vraisemblablement à un Commissaire Politique et trouvé le 15 février 1958 au douar HAOUARA au cours d'une fouille de terrain, 5 p.

² - SHAT, 1H 2582/d.1, Bulletin de renseignement, n° 421/ZSA/2.S du 22 février 1958, portant sur des documents appartenant vraisemblablement à un Commissaire Politique et trouvé le 15 février 1958 au douar HAOUARA au cours d'une fouille de terrain, 5 p.

³ - المصدر السابق، ص. 2 و 4.

العسكرية الفرنسية، و بالأخص بفرق الليف الأجنبي و الرماة الجزائريون، قد مكنتها أحيانا كثيرة من استغلاله و الاستفادة منه، كما حدث ذلك في غير ما مرة بفرق الليف الأجنبي التي كانت تتكون في غالبية عناصرها من مرتزقة يفتقدون التوافق و الانسجام، فكان الخلاف ينشب بينهم و بين مسؤوليهم الفرنسيين، فتتوتر العلاقات و ينعكس ذلك على معنويات هؤلاء الجنود المرتزقة، و يصبحون على استعداد لفعل أي شيء، بما في ذلك الفرار، فيلتنجون إلى الثورة، و تعينهم هاته عن طواعية¹.

المبحث السادس : «الحرب النفسية» للثورة ضد الجيش الفرنسي باستعمال المنشور

رأينا في تناولنا أعلاه لخصائص مناشير جيش التحرير أن الباحث شارل روبرت أجرون، قد وجد أن ما نسبته 80 % من المناشير الصادرة عن الولايات التاريخية كانت تتوجه أساسا إلى الجيش الفرنسي بمختلف مكوناته، موزعة بين ما نسبته 34 % في اتجاه العسكريين الفرنسيين؛ و 18 % في اتجاه المجندين الأفارقة (منها 0.3 % في اتجاه الطابور المغربي)؛ و 6 % في اتجاه الليف الأجنبي؛ و 20.5 % في اتجاه المجندين الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي و بالتشكيلات الشبه عسكرية الأخرى، أي ما يمثل ربع هاته المناشير². و نظرا لضخامة هذا الجهد، فإن المنشور الموجه إلى الجيش الفرنسي بمختلف مكوناته يحتاج إلى وقفة خاصة.

المطلب الأول : المنشور الموجه إلى الجندي الفرنسي بالأصالة

و نقصد بذلك الجندي القادم من فرنسا، من "المتروبول". المنشور الموجه إليه هو منشور حرر بكيفية تتبغى مخاطبة ضميره و قلبه باعتباره إنسان وُرط في حرب لا تعنيه³. و لأن الفرنسي إنسان ديكارتي بطبعه (cartésien)، فقد روعي في تحرير المنشور تناول المنطقي القائم على عرض المقدمات المنطقية، التي تؤدي بالضرورة إلى نتائج منطقية أيضا. لذلك، كثيرا ما أخذت هذه المناشير شكل مسالة تدعو الجندي الفرنسي إلى التدبر و أعمال الفكر في سبب مجيئه إلى الجزائر و عن الحرب التي يخوضها، و عن العدو الذي يقاتله، و عن الأشخاص أو الجهات التي يدافع عنها... إلى غير ذلك من الأسئلة و الاستفهامات الأخرى⁴. حيث تم التركيز في هذا النوع من المناشير على ما يلي :

أ- فبالنسبة لسبب مجيئه إلى الجزائر و عن الحرب التي يخوضها: فهو لم يأتي هنا للدفاع عن وطنه و لا عن مواطنيه. فجبهة التحرير لا تشن حربا على أرض فرنسية و لا تستهدف الفرنسيين بالذات. و بالتالي فالحرب التي يشنها هو خارج فرنسا هي حرب غير عادلة و مشاركته فيها تخلو من كل مثل أعلى.

¹ - Redouane Ainad Tabet, *Histoire d'Algérie : Sidi-Bel Abbès, de la Colonisation à la Guerre de Libération en Zone 5 - Wilaya V (1830- 1960)*. Avec la collaboration de Tayeb NEHARI, officier de l'A. L N., Alger, ENAG/Editions, 1999, p. 369- 372.

² - أنظر أعلاه، ص. 262.

³ - Azzedine, (Cdt.), *Les fellagas*, op. cit., p. 165.

⁴ - Voir aussi, Daniel LEFEUVRE, « Les réactions algériennes à la propagande économique pendant la guerre d'Algérie », in *La guerre d'Algérie et les Algériens*, Actes de la table ronde organisée à Paris, du 26 au 27 mars 1996, sous la direction de Charles-Robert Ageron, « Références » Histoires, Paris, Armand Colin, 1997, 341 p., p. 238- 241.

ب - أما بالنسبة للعدو الذي جاء ليقاتله فهو ليس عدو وطني أرضه و صادر حرته و خيراته و انتهك أعراضه، كما فعل ذلك الألمان، و إنما هم وطنيون يدافعون عن قضية عادلة لأنهم يقاتلون من أجل استعادة حرية شعبهم و وطنهم. و في هذا المقام كثيرا ما ورد في هاته المناشير ضرب مقارنة بين ما فعله المقاومون الفرنسيون خلال الحرب الثانية ضد المحتل الألماني، و بين ما يفعله الوطنيون الجزائريون الآن. فالأمر واحد بين الاثنين: « خلال الاحتلال الألماني، عومل إخوانكم، و لربما أنتم أيضا، بالجناء و الخارجين عن القانون؛ فما كانت جرميتكم ؟ إنما لم تكن شيئا آخر غير حبكم لوطنكم. اليوم، نحن أيضا في نفس النقطة التي كنتم بها أنتم خلال زمن الاحتلال [...]»¹. لذلك، و كما ورد في منشور آخر، فإن نظرة الجزائريين اليوم لهذا الجندي هي نفسها نظرة آباءه قريبا للمحتل الألماني. مناشير أخرى جاء فيها تذكير لهذا الجندي بأن الشعب الذي جاء ليقاتله و يعترض سبيله نحو الحرية هو نفس الشعب الذي وقف إلى جانب شعبه و قاتل معه و خاض معه أعتى الحروب من أجل حرته: « [...] و جئت لتقاتل شعبا مستعبدا يبحث عن كسر أغلاله، و الذي ساهم بسخاء في كسر الأغلال التي كانت بأرجلكم طيلة أربع سنوات تحت الاحتلال النازي، فياله من عار. فهل نسيت ذلك مع قرب الذكرى ؟ فاعلم أن الشعب الذي جئت لتقاتله قد أعطى كل شيء حتى تعيشوا أنتم أحرارا. فهل يليق أن يُجازى و أن يُرد له الجميل بهذا الشكل ؟ فاسمح لي إذن أن أقول لك بأن الحرب التي تشنها لا تليق بفرنسي أصيل، حر و متمدن، و يدعي محبة الحرية »². و في هذا المقام كان يجري التأكيد في هاته المناشير على أن الوطنيون الجزائريين هم ليسوا مجرد "مجرمين" و لا "عصابات خارجة عن القانون" أو مأجورة، تعمل لحساب قوى أجنبية و إنما هم جيش منظم يشن حربا عادلة، يحترم فيها المواثيق الدولية. و هم لا يحملون حقدا و لا كرهية له و إنما عدوهم الحقيقي هو الاستعمار الجاثم على قلب الشعوب.

ج- أما بالنسبة للأشخاص أو الجهات التي جاء الجندي الفرنسي للدفاع عنها و التضحية بحياته من أجلها، فهي بالتأكيد لا تمثل المصلحة الوطنية لفرنسا و لا حدودها و لا شعبها، و إنما هم حفنة من الانتهازيين من أصحاب الأموال و كبار ملاك الأراضي من المعمرين، الذين هم أحرص على خزائهم المالية من حرصهم على فرنسا أو الجزائر، كما أنهم لا يعيرون أي أهمية لتضحيته. ففي الوقت الذي يعاني فيه هو الولايات من جراء قساوة ظروف الخدمة و البعد عن الأهل و الأوطان و ما يتعرض له من أخطار، عدا عن عداوة الأرض و السكان، و غيرها من الأخطار الأخرى...، التي قد تعيده إلى أهله مجرد جثة هامدة في تابوت...، يعيش هؤلاء الانتهازيون مع ذويهم، بعيدا، في أمن و دعة و في أرغد عيش، و يقضون أجمل الأوقات على أجمل الشواطئ و بصحبة أجمل الغواني... كما يبقى أبناءهم من طلاب الجامعة المركزية يواصلون دراستهم

¹ - SHAT, 1H 2587/d.1, Rappel et appelle, copie d'un tract opposé sur le mur de la compagnie d'appui du 152° R. I. à Souk- Ahras, début septembre 1956

² - SHAT, 1H 2587/d.1, Tract FLN- ALN, intitulé: « Soldats métropolitains », distribué à Constantine, (s. d.).

و يمرحون في مغازلة طالباتها... و هنا، تحاول بعض المناشير التأثير على الجندي الفرنسي من خلال لمس الجانب العاطفي فيه : « فيبينما يحتفل شباب العالم أجمع بعيد الميلاد و عيد رأس السنة الجديدة بين أهلهم و ذويهم، تبقى أنت هنا لا لشيء إلا بسبب بعض أوباش مدينة الجزائر، الذين هم في مأمّن من كل خطر. بينما تبقى أنت تعرّض حياتك يوميا للخطر، تعاني الجوع و البرد و تعاني العزلة. و لكن لما كل هذا ؟ للا شيء ! »¹. و بالتالي فتضحيتها لا معنى لها، و إلا فماذا كسب أمثاله من الجنود الفرنسيين الذين استماتوا "دفاعا عن فرنسا" و جادوا بأرواحهم لأجلها بكل من الهند الصينية و سوريا و لبنان و تونس و المغرب. لقد استقلت هاته الأوطان، فمن يذكرهم أو يتحدث عنهم الآن ؟ لا أحد ! و حتى الذين نجوا بأنفسهم، ماذا كسبوا ؟ لا شيء، اللهم إلا العار!

د - خاتمة هذا النوع من المناشير غالبا ما كانت دعوة موجهة إلى هذا الجندي الفرنسي كي يتفكّر في حاله و يتدبر مآله و يعمل على أخذ زمام مصيره بيده، قبل فوات الأوان، و كيما لا تذهب حياته سُدًا. تحقيق ذلك يتم بمطالبتة بالعودة إلى فرنسا و رفضه الخروج في العمليات العسكرية. بعض مناشير جيش التحرير فيها دعوة لهذا الجندي إلى الالتحاق بجيش التحرير، الذي يتعهد بصون حياته و تبليغه مأمّنه ليعيش مجددا بين أهله و دويه².

المطلب الثاني : المنشور الموجه إلى المجندين الجزائريين العاملين بمختلف التشكيلات

و نقصد بذلك المجندين الجزائريين بمختلف التشكيلات العسكرية و الشبه عسكرية، التي أنشأتها فرنسا لضرب الثورة بما. فإلى جانب المنخرطين النظاميين و الاحتياطيين الذين تم استدعاؤهم في إطار الخدمة العسكرية الإجبارية بالجيش الفرنسي، كان هناك المنخرطون بفرق الحُرْكة (Harkas)، و الفرق الأمنية المتنقلة (Groupes Mobiles de Sécurité)، و فرق المخزن (Les mokhaznis)، و هم العناصر الذين بلغ تعدادهم بحلول جوان 1961 : 158.000 مقاتل، أي ما نسبته 28% من مجموع ما يسمى بقوات «حفظ النظام»، التي بلغ تعدادها في نفس هذا التاريخ الـ 561.500 مقاتل. و هذا بدون حساب الـ 65.000 من عناصر الدفاع الذاتي، الذين بإضافتهم يصبح التعداد العام للمجندين الجزائريين هو ثلاثة و عشرين و مائتي ألف (223.000) مقاتل، كما رأينا ذلك أعلاه³.

و من هنا نفهم الحرص الذي أولته الثورة في توجُّهها إلى هذه الشريحة من المجندين⁴، الذين و إن هم لم يكونوا مع الثورة فهم بالتأكيد لم يكونوا كلهم ضدها: فصلة الدم و الدين التي تجمعهم بإخوانهم المنخرطين في الثورة، ثم عدالة القضية التي يقاتل من أجلها هؤلاء، تجعل المجندين وسطا أكثر نفاذية و استقبالا لخطاب الثورة

¹ - SHAT, 1H 2586/d.2, Tracts découvertes le 15 février 1960 sur les lieux de saccage des orangers de la Société Djabel Doui en LY 42 E 81...

² - كعينة على هذا النوع من المناشير أنظر الملحق رقم : 124 و 125.

³ - أنظر أعلاه، ص. 205.

⁴ - Djoudi ATTOUMI, p. 96.

من غيرهم. هذا، و قد رأينا الظروف و الملابس العامة التي كانت وراء « انخراط » هؤلاء المجندين في الصفوف الفرنسية، و التي كانت بلا شك تجعل الكثيرين منهم يعتريه شعور بالخزي و المهانة لموقفه الخاص، الذي يجعله يقاتل في صف عدوه ضد شعبه¹.

مناشير جيش التحرير المتوجهة إلى هاته الفئة كانت تركز غالبا على المحاور التالية²:

أ- إيقافهم من غفلتهم بإفهام هؤلاء بأنهم يتواجدون في صف عدوهم، عدو شعبهم و وطنهم، و بأنهم يقاتلون معه إخوانا لهم، مجاهدون و وطنيون يرفضون العيش تحت الذل و الاستعباد، و يضحون بأنفسهم كي يعيش هذا الوطن حرا مستقلا. فهم بذلك أداة في يد الاستعمار الذي يستعملهم لتحقيق غاياته، فأصبحوا في قتالهم لإخوانهم ك « الحديد الذي يُقْل بعضه بعضا»، كما جاء ذلك في أحد المناشير. بدليل أن جثة القتلى التي تبقى في الميدان بعد الاشتباكات هي ليست إلا جزائريين من القوم و من جيش التحرير الوطني³. و لكن ذلك الزمن الذي كان يتم فيه «ضرب مُحَمَّد بمحمد» - أي الجزائري بالجزائري- قد ولى : « فالجزائري - [مثلما جاء في أحد المناشير]- لا يمكنه بحال قتال أخيه الذي يقاتل من أجل العدالة و الحرية و المساواة »⁴. و بالتالي فقتال هؤلاء القومية يخلوا من كل مثل أعلى، لأنهم إنما يقاتلون ضد دينهم و عقيدتهم، كل ذلك من أجل سنتيمات لا تسمن و لا تغني من جوع⁵. كما أن فرنسا لن تعترف لهم ب "الجميل" بدليل أنها لو كانت تفعل ذلك لفعلته مع الجزائريين الذين ساعدوها في تحرير وطنها. فردها عليهم لم يكن شيئا آخر غير الذبح و التقتيل، خلال مجازر 8 ماي 1945⁶. و إلى جانب هذا فإن هناك ما هو أدهى و أمر، فهؤلاء القوم هم أول ضحايا الاشتباكات العسكرية، لأن الجيش الفرنسي كان دائما يدفع بهم إلى صفوفه الأمامية، كي يكونوا هم أول من يتلقى الضربات. ذلك هو موضوع منشور مرسوم، رسم عليه رسم لجندي فرنسي، الذي، في حين بقي هو متخلفا إلى الوراء، دفع أمامه بقومي ليسير نحو وجهة الموت، كما تدل على ذلك لافتة كتبت عليها كلمة الموت باللغتين الفرنسية و العربية. كتابة في أسفل المنشور جاء فيها ما يلي: « القُومي يتقدم و الرومي يطبع فيه »⁷.

ب- مطالبتهم و دعوتهم إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير، الذي هو جيشهم، للعمل من أجل تحرير وطنهم العزيز، حتى لا يتخلفوا عن الركب، مثلما فعل ذلك إخوان لهم سبقوهم في ذلك، التحقوا بأسلحتهم و عتادهم. و في هذا المقام كانت بعض المناشير تورد ذكرا للتحقين بأسمائهم و أعدادهم و أماكن التحاقهم و الوحدات الفرنسية التي كانوا ينتسبون إليها، للدلالة على أن

¹ - أنظر أعلاه، ص. 206.

² - SHAT, 1H 2587/d.1, Tract ALN intitulé : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers ».

³ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract ALN intitulé : « Appel aux Goumiers ». [58/46]

⁴ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract ALN « Appel aux goumiers », tract récupéré le 2.3.1957 par le I/57 R. I. dans la région 15 Kms sud-est Oued Amizour, Secteur de Bougie, (s. d.).

⁵ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract ALN intitulé : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers ». [58/44p.2]

⁶ - أنظر الملحق رقم : 126.

⁷ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract dessiné ALN- FLN, Wilaya IV, Zone II, (s. d.).

الالتحاق ليس أمرا ممكنا فقط و إنما هو واقع أيضا. أحد المناشير يورد ذكرا للالتحاق أربعين قومية من دوار أشمول، و تسعة عشر آخر من دوار تكوت و خمسة و عشرين آخرين من الزبيرات (؟)، يضافون إلى سبعين مجندا جزائريا إلتحقوا بكل من عين توتة و بسكرة... و هذا عدا عن الأجانب من تونسيين و مغاربة و لقيف أجنبي¹. هذا، و قد كان يجري، إلى جانب مطالبة هؤلاء بالالتحاق، دعوتهم أيضا إلى عدم استعمال أسلحتهم و إطلاقهم النار على إخوانهم بجيش التحرير خلال الاشتباكات.

ج- المناشير المتضمنة النداءات الداعية إلى الالتحاق لم تكن تخلوا أحيانا من لهجة تهديد : « نحرص هنا على تذكير المتخلفين و المتأخرين بأن الوقت لم يفت بعد لتصحيح خطأهم و أن أعزّ رغبة لجيش التحرير الوطني هي منحهم العفو، لتوحيد كل أبناء الجزائر لحوض معركة واحدة »². عدد من هاته المناشير، و بغرض دفع القومية و من كان على شاكلتهم إلى الالتحاق بجيش التحرير، كانت تسترسل في تصوير الحرج الذي يوجد عليه موقف هؤلاء، حيث لا مخرج لهم منه سوى الالتحاق بجيش التحرير : « إن عائلاتكم، على غرار باقي العائلات الجزائرية، قد مسها القمع المسلط على كل الجزائر. و إن أفرادا من عائلاتكم، هم إخوة و أخوات و بني عمومة و أصدقاء لكم، هم الآن في صفوف جيش التحرير الجزائري، فهل ستجرؤون على إطلاق النار عليهم ؟ و بالمقابل هل لكم الشجاعة على عدم فعل ذلك؟ إذن سوف تتعرضون لنقمة العدو الذي يسيركم. فلم يبقى أمامكم إذن سوى منفذ واحد، يمليه عليكم شرفكم و كبرياءكم و مستقبلكم : التحقوا فورا بإخوانكم الذين يقاتلون من أجل تحرير كل الجزائر... »³. مناشير أخرى، و كأنها تخرق حجب الغيب و تسبر المستقبل، كانت تحذر الجندين الجزائريين و القومية من التبعات و العواقب المستقبلية الوخيمة التي ستقع نتائجها عليهم و على ذريتهم من بعدهم، غدا يوم الاستقلال، من جراء استمرارهم في موقف العمالة للفرنسيين، حيث نقرأ في أحد هاته المناشير ما يلي : « و أنتم ماذا سيكون موقفكم غدا أمام إخوانكم ؟ بما ستبررونه ؟ و ما سيكون ردكم لتبرير موقفكم الحالي إذا لم تغادروا صفوف العدو في أقرب وقت ؟ لأنه سيأتي يوم يكون فيه الوقت قد فات (...). »⁴. منشور آخر، صادر عن الولاية الثالثة، ألح إلى أن موقفهم الحالي في العمالة للاستعمار ستقع تبعاته أيضا على أبنائهم من بعدهم : « نحن نحذركم من كل ما سيعاني منه أولادكم غدا من جراء سلوككم اليوم، إذا ما قررتم مواصلة السير على نهج الخطأ. كما أننا لفتنا انتباهكم أيضا إلى الاحتقار الذي يكنه لكم الجنود الفرنسيون، الذين يعاملونكم كمرتقة و خونة لوطنكم و عن الجحود و النكران اللذين ستقابل بهما فرنسا خدماتكم المقدمة إليها. كما بيّنا لكم أيضا مدى الحرج الذي سيكون عليه موقفكم غدا، بعد الحصول على

¹ - SHAT, 1H 2587/d.1, Tract ALN : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers », (s. d.).

² - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract ALN « Appel aux goumiers », tract récupéré le 2.3.1957 par le I/57 R. I. dans la région 15 Kms sud-est Oued Amizour, Secteur de Bougie, (s. d.).

³ - أنظر الملحق رقم : 127.

⁴ - أنظر الملحق رقم : 127 و 128.

الاستقلال. [...] أيها الثوم، إخواننا، كونوا صرحاء مع أنفسكم، و لتكن عندكم الشجاعة لتسألوا أنفسكم عن المال الذي يقودكم إليه عنادكم في العمل ضد مصلحة وطنكم»¹. و بعد كل هاته النداءات، تكون الثورة قد أعذرت و أنذرت، فلا عذر لمعتذر غدا: « أيها العسكريون - [أي المجندون] - الجزائريون: اليوم، أقيمت عليكم الحجة، ولم يبقى لكم عذر مقبول. لقد ناديناكم و نبهناكم و حذرناكم أكثر من مرة. فالיום يتوجب عليكم الاختيار: إما الالتحاق بنا، بجيش التحرير، بعد مغادرة الجيش الفرنسي، و إلا فأنتم في عداد أعدائنا. في هاته الحالة الأخيرة، سيصدر في حقكم حكم الإعدام و سيتم تنفيذه حتى و لو بعد الاستقلال، و هو الأمر الذي لن يتأخر طويلا [...] فقد أعذر من أنذر، فلا تلوموا إلا أنفسكم»².

مناشير أخرى نجد فيها لهجة أكثر غلظة، مثل تلك التي عكسها أحد المناشير، الذي جاء عنوانه دالا عليه، كالتالي: « إلى القومية الحونة، إلى المتوحشين الملعونين»، و الذي نقرأ فيه ما يلي: « أنتم تعلمون أن رأس الجزائر يبرز من [مستنقع] الدم لضحاياكم. إن الجزائر تبتهج بالحرب المقدسة في البلاد. و الاستعمار الذي هو سيّدك، سيتآكل و يندثر، و يتركك. فخير لك أن تلتحق بنا الآن. كما نحيطك علما أيضا أن الجزائر ستعيش حرة و مستقلة، و سيكون ذلك بالقوة، شئت أم أبيت، و رغما عن أنف الذين يستخدمونك. فمن أراد صالحا لنفسه فليأتي معنا، أما الخائن فسبقي مع الاستعمار، مثل الكلب، الذي دأبه البحث عن شيء يحمله إلى سيده. فهو لذلك إنسان يعمل من غير شرف و لا نصيب له في المجد»³.

هذا و نشير إلى أنه إلى جانب استعمال الثورة للغة التشديد و التهديد في خطابها إلى هؤلاء، قد لجأت أيضا إلى استعمال وسائل أخرى للضغط عليهم كإصدار فتاوى تكفيرية في حقهم، التي تجعل من حجهم و صلاحهم عملا لا طائل منه⁴، ثم اعتمادها لوسائل ملتوية لزعزعة ثقة العدو فيهم من خلال توجيه رسائل لهم، تورطهم و تشكك في ولاءهم له⁵.

علما أن لهجة و خطاب جيش و جبهة التحرير نحو المجندين الجزائريين، و بالأخص نحو القومية من فرق الحركة و فرق المخزن، قد عرفا تطورا نوعيا ملحوظا خلال الحرب، مثلما يسجل ذلك الباحث شارل روبرت آجرون: فبعد أن كان الموقف المبدئي للثورة يتمثل في اعتبارهم "خونة، مهديري الدم"، تطور هذا الموقف ليصبحوا مجرد "إخوة غالطين" يجوز في حقهم "الصفح"⁶. و لذلك تم إصدار سلسلة من المناشير بعنوان: "ورقة السماح" (titre de pardon)، و التي هي بمثابة شهادة عفو و صفح لمن يريد الفرار من الصفوف الفرنسية

¹ - SHAT, 1H 2587/d.2, « Appel aux goumiers », tract FLN- ALN, Wilaya III, mai 1958.

² - SHAT, 1H 2587/d.1, Tract FLN : « Appel aux musulmans algériens de l'Armée française », traduction d'un tract ronéotypé en arabe trouvé dans le Massif du Bou Taleb (Zone opérationnelle Ouest) le 20.9.1956.

³ - أنظر الملحق رقم : 104 و 129.

⁴ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », p. 227.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 130.

⁶ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », p. 210- 213 ; aussi, Maurice Faivre, op. cit., p. 402.

و الالتحاق بجيش التحرير. و قد جاءت هاته المناشير على شاكلة مناشير "الإذن بالمرور" التي أصدرها الفرنسيون¹.

د- في غالبية هاته المناشير نجد روحا مشحونة حماسا و همة، روحا تتم عن معنويات عالية. حيث نجد فيها فخرا و افتخارا بجيش التحرير، الذي أصبح من « أقوى جيوش العالم العربي » و الذي أصبح أيضا، بما له من بنادق رشاشة و رشاشات، يمتلك « زمام المبادرة في الميدان أمام الجيش الفرنسي »². كما نجد فيها أيضا اعتداد بالنفس و افتخارا بالعرق و الدين، مثلما جاء في أحد المناشير : « يأيها الجنود المسلمين و يأيها القومية [...] لقد حان الوقت أن تفهموا بأنكم مسلمين و جزائريين، من جنس أرقى و خالص »³. كما نجد فيه أيضا ثقة في النصر و المستقبل: « فيها التحقوا بجيشكم، جيش التحرير، لأن الاستقلال قريب و النصر أكيد بعون الله »⁴.

المطلب الثالث : منشور جيش التحرير الموجه إلى عناصر اللفييف الأجنبي

حظي عناصر اللفييف الأجنبي هم الآخرون بمكانة هامة في دعاية الثورة. فكون هؤلاء مجرد تشكيلات مكونة من مرتزقة، من شُداد الآفاق و طالبي الثروة، قد جعل الثورة تستهدفهم بدعاية مناسبة رجاء استمالتهم و كسبهم إلى صفها، و أيضا بهدف تهيدهم و إخراجهم من حلبة الصراع الدائر. و هذا بالأخص أن هؤلاء المرتزقة هم عناصر تفتقد التوافق و الانسجام، و تفتقد أيضا و أكثر من ذلك، المثل الأعلى الذي يقاتل من أجله أصحاب القضايا العادلة، التي تجعلهم يضحون من أجلها بالنفس و النفيس. فهم لا يقاتلون دفاعا عن وطن و لا أهل و إنما يقاتلون طلبا للمال و الثروة. و هو مطلب عادة ما لا تهون دونه التضحية بالنفس، فمتى حمي و طيس المعركة تحركت غريزة الحياة و حب البقاء و أصبحت السلامة رأس كل مغنم. و إذن فقد كانت الثورة تتوفر على كل حظوظ النجاح في مسعاها تجاه هؤلاء.

مناشير جيش التحرير الموجهة إلى هاته الفئة كانت، على غرار المناشير الموجهة إلى الفئات الأخرى، تركز على المحاور التالية :

أ- مخاطبة ضمير و إنسانية هؤلاء، لتتويرهم بأسباب و أهداف الثورة الجزائرية من وراء قتالها للفرنسيين. أحد هاته المناشير كان يتوجه إلى عناصر اللفييف الأجنبي بالخطاب التالي: « تحيّل مثلا أن وطنك يدمي مند أكثر من 130 سنة بسبب تسلّط قوة أجنبية عليه، فهل كنت ستقبل ذلك لفترة أطول لو أتيحت لك الفرصة لحمل السلاح ضد الغاصب المحتل ؟ لا نعتقد ذلك، و لذلك ثرنا نحن. فنحن الجزائريون لا نريد أن نُستغل أو أن ترفض حقوقنا »⁵.

¹ - أنظر الملحق رقم : 131.

² - أنظر الملحق رقم : 126.

³ - SHAT, 1H 2587/d.1, Tract ALN : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers », (s. d.).

⁴ - المصدر السابق، نفسه.

⁵ - أنظر الملحق رقم : 132.

ب- تبيان مدى بطلان و عدم عدالة القضية التي يقاتل من أجلها هؤلاء ضمن الصفوف الفرنسية. و في هذا المقام كثيرا ما ركزت مناشير جيش التحرير على تبيان مدى حرج و بؤس الموقف الذي يوجد فيه جندي اللفييف الأجنبي، لأنه يقاتل دفاعا عن قضية خاسرة مند البداية هي الاستعمار، و يقبل أيضا، و من أجل الفرنسيين، جعل نفسه لقمة سائغة لمدافع جيش التحرير (Chaire à canon). هذا، و لم تكن تغفل عدد من مناشير جيش التحرير استغلال و إثارة الحزازات النفسية ذات العمق الوطني و التاريخي، التي قد توجد بين هؤلاء المرتزقة و الفرنسيين، كتلك الموجودة بين الفرنسيين و الألمان. و من ذلك نجد أن نفس المنشور أعلاه كان يتساءل بحرقة كالتالي: « و لكن نحن لا نفهم أن تقبل أنت، أنت الألماني، إعطاء دمك و حياتك لعدو ألمانيا و عدونا؟ إنا نخاطب فيك شرفك و حسك الوطني: لا تقاتل من أجل حفنة من المستغلين الذين لن يعطونك شيئا. ثم لما تقبل بالبقاء في جيش الاستعباد، الذي أنت فيه مجرد رقم و كفى »¹. منشور آخر جاء فيه: « لماذا تقوم أنت بحماية الفرنسيين، حماية أهلهم و ذويهم، نساءهم و خطيباتهم و أخواتهم، بينما هم [أي الفرنسيين] لا زالوا يحتفظون بوطنك ألمانيا تحت نير الاستعباد. [...] لا تنسى فضائع أفعالهم عند احتلالهم لوطنك ألمانيا بعد أن تغلبوا عليه بمساعدة العالم أجمع »².

ج- توجيه نداء هؤلاء كي يرجعوا عن غيهم و يحفظوا إنسانيتهم، و ذلك بالكف عن استمرارهم في تسليط عدوانهم على الشعب الجزائري، الذي لم يطلب أكثر من العيش حرا سيدا على أرضه. و في هذا المقام كان جيش التحرير يدعوهم إلى الفرار و مغادرة الجيش الفرنسي، ملتزما بمساعدتهم على الخروج من ثكناته و مخيرا إياهم بين تبليغهم إلى موطنهم الأصلي ليعودوا بين أهلهم و ذويهم؛ أو البقاء ضمن صفوفه للقتال معه، و في هاته الحالة الأخيرة سوف يستفيدون من كامل الحقوق، بما في ذلك حقوق أخرى لا يستفيد منها جنوده³.

د- في أغلب هاته المناشير كان يجري تبيان أن جيش التحرير الوطني هو جيش منظم بآتم معنى الكلمة و أنه ليس مجرد عصابات من المتمردين و قطاع الطرق، كما تروج لذلك الدعاية الفرنسية⁴. المناشير الموجهة إلى اللفييف الأجنبي، كان يتم تحرير أغلبها بلغة الموجه إيلهم، كالألمانية بالنسبة للألمان، بسبب كثرة تواجد هؤلاء بتشكيلات اللفييف الأجنبي، و لذلك كثيرا ما استعين في تحريرها بألمان من أبناء هاته اللغة، الذين يُسرت لهم عملية الفرار من تشكيلاتهم الأصلية و بُلغوا مأمئهم بموطنهم الأصلي.

تلك هي إجمالا دعاية جيش التحرير، التي وجهها باستعمال المنشور، إلى عناصر الجيش الفرنسي بمختلف تشكيلاتهم، من جنود فرنسيين بالأصالة، مجندون جزائريون بمختلف التشكيلات، و لفييف أجنبي.

¹ - الملحق السابق.

² - أنظر الملحق رقم : 133.

³ - أنظر الملحق رقم : 132 و 133 و 134.

⁴ - SHAT, 1H 2587/d.2, Tract ALN, « Legionnaires Allemands »

علما أن دعاية الثورة لم تغفل أيضا المجندين الأفارقة و المغاربة، الذين كان خطاب الثورة إليهم يسير غالبا على نفس المنوال مع تشديد أكبر على أخوة الدم و الدين، و وحدة العدو و المصير المشترك¹.

هذا و نشير إلى أن جيش التحرير، في نشاطه النفسي و الدعائي ضد العدو، لم يغفل الأهمية التي يمثلها الأسير كقناة يمكن أن تُوصِل رسالة و خطاب الثورة إلى الخصوم. هاته الرسالة يمكنها، بقدر ما تردع الأعداء، أن تكسب لها العديد من المتعاطفين. و لذا كانت القاعدة العامة في جيش التحرير تقوم على حسن معاملة الأسير و تحسين ظروف أسره و عدم الإساءة إليه بأي شكل من الأشكال و هذا بالرغم من المعاملة السيئة التي كان يتلقاها أسرى جيش التحرير لدى الجيش الفرنسي : « بالرغم من الموقف السيئ للاستعمار الفرنسي تجاه أسرانا فإنه يتوجب علينا أن لا نسيء بأي حال من الأحوال معاملة أسرى العدو. بل على العكس، فإن أسرى العدو سوف يعاملون بإحسان (أنظر كمثال على ذلك معاملة الثوار الفيتناميين لأسراهم) ثم يخلى سبيلهم بعد تعهدهم شرفيا بعدم حمل السلاح ضد الجزائريين. مثل هاته المعاملة، سوف تسمح لجميع الديمقراطيين من الجنود الفرنسيين، الذين يدينون حرب الاستعادة الاستعمارية و الذين تم تجنيدهم بقوة، على الجيء إلينا بأسلحتهم. و في هذا المجال، تماما مثلما في غيره، يجب أن يكون ديدنا عدم الإصغاء إلى قلوبنا و لكن الإصغاء إلى عقولنا كي تكون أفعالنا أعمالا مثمرة و ذات مردودية »². و لذا، كانت تعليمات جيش التحرير تحضّر حضراً قتل الأسرى و توجب الإفراج عنهم متى أصبح وجودهم يعيق حركة جيش التحرير. كما كان هناك أيضا إلحاح على إحداث مصلحة خاصة بأسرى الحرب على مستوى كل منطقة تكون مهمتها « الترويج لعدالة قضيتنا »³. و في هذا المقام، كثيرا ما كان يحدث أن يُطلب من الأسرى كتابة بعض الرسائل إلى أهلهم و ذويهم و أصدقائهم، لتحسيسهم و تنويرهم بحقيقة الأوضاع، و لكن كانت تترك لهم كامل الحرية في ذلك⁴. أما بالنسبة لتحقيق استغلال نفسي للأسرى، خدمة لبعض أهداف الحرب النفسية، فقد كان يتم ذلك من خلال إصدار بعض المناشير التي كان يتم توجيهها إلى زملائهم في المعسكر أو الثكنة. أو بعرض الأسير أمام سكان الدواوير ثم الإفراج عنه حتى يعلم هؤلاء « أن جيش التحرير هو الآخر له أسراه »⁵.

المبحث السابع : تقييم رد فعل الثورة الجزائرية على الحرب النفسية الفرنسية

و لكن إلى أي مدى نجحت الثورة في مساعيها للنيل من الجيش الفرنسي، و هل نالت أنشطتها فعلا من معنوياته ؟

هنا مرة أخرى، كما في المرات السابقة، لا يسعنا إلا أن نستشعر بفداحة غياب أرشيف جيش التحرير بالولايات التاريخية، لأنه الوحيد المؤهل لإعطائنا تقييم أقرب ما يمكن إلى الواقع عن نتائج نشاطه النفسي على مختلف مكونات الجيش الفرنسي. لكن، و بالرغم من هذا النقص، سنحاول مستأنسين بمصادر أخرى، أن نضبط، و بشكل تقريبي، تقييمنا لهذا الجهد.

¹ - أنظر الملحق رقم : 135.

² - Achour Cheurfi, p. 392 ; voir aussi, Cdt, Azzedine, op. cit., p. 120.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, ALN, « Directives générales »

⁴ - SHAT, 1H 2582/d.1, ALN, « Directives générales », récupéré à Ténès fin janvier 1957.

⁵ - Cdt, Azzedine, op. cit., p. 120.

1- فبالنسبة لنتائج النشاط النفسي لجيش التحرير على الجنود الفرنسيين بالأصالة و الجنود الأفارقة، و بالأخص فيما يتعلق بانداءات جيش التحرير المتكررة لهم بالفرار و الالتحاق و التي كانت تمثل المقصد الأول في نشاطه، فإن الباحث شارل روبرت أجرون، يقدرها بأنها لم تكن إلا « فشلا محضا »¹. و هي في أحسن الأحوال لم تفرز - على حد تعبير آخر، و بالأخص في سنة 1959 - « حالات فرار أكبر مما كانت عليه في وقت السلم »². بالمقابل، و عن الطرف الجزائري، فيقدر السيد ززاري رايح، المعروف بالرائد عز الدين، بأن نشاط الثورة قد مسّ الكثيرين من جنود الجيش الفرنسي، الذين عادوا لأوطانهم « ينخرهم الانطباع بأنه غُرر بهم [...] بالإضافة إلى شعور بالمرارة و تحفظ قلق استوليا عليهم طيلة حياتهم [...]»³.

2- أما بالنسبة للنشاط النفسي و الدعائي للثورة باتجاه المجندين الجزائريين بالجيش الفرنسي و بالتشكيلات العسكرية الأخرى -و الذين كانوا يمثلون الأهم في اهتمامات الثورة- فيبدو أن نشاطها عليهم لم يعدم كلية نصيبه من النجاح، مثلما تشهد به شواهد عديدة، تجعل من حالات "الإختراق" و "الفرار" بين صفوف هؤلاء حالات شائعة كثيرة الوقوع.

و بالفعل، سجل الفرنسيون جهودا حثيثة للثورة عملت على اختراق مختلف قواتهم العسكرية و تشكيلاتهم الشبه عسكرية لبلوغ العاملين فيها من الجزائريين : « إن المتمردين يجتهدون لإختراق كل هيئاتنا : مثل مكاتب لاصاص، و المفربات العملياتية للحماية (D.O.P.) و فرق الحركة و فرق المخزن... و غيرها، ساعين في نفس الوقت إلى إحلال عناصر موالية لهم بها. و في نواحي عديدة، يخضع الكثير من مكاتب لاصاص للمراقبة المستمرة لإحصاء من يدخلها من الجزائريين، الذين تُسجّل أسماؤهم للتأكد من مدى حصولهم على تراخيص من مسؤول الناحية أو عدمه »⁴. كما سجلوا أيضا تبني الثورة لـ "سياسة التحاق" مشابهة لتلك التي يطبقها الفرنسيون، محورها العفو، و كانت تقوم بتطبيقها تجاه المجندين الجزائريين المتعاونين مع فرنسا، الذين، بعد أن كانت تعتبرهم في الماضي "خونة"، أصبحت تعتبرهم، عن قناعة أو تكتيك، مجرد إخوة ضالين يجوز في حقهم الصفح و العفو : « ليس من مصلحتنا تضخيم صفوف عدونا بسبب تصلبنا. لا بد أن يكون دأبنا هو العفو تجاه أولئك الذين راحو ضحية لدعاية العدو، إذا أردنا كسبهم لصالح قضيتنا» أو « يجب أن لا نسترسل علنا في توجيه تهديدات ضد الحركة و القومية. فهذه التهديدات، و إن كان لها ما يبررها، فإنه من شأنها أن تولبهم أكثر ضدنا. [...] أكثرنا من إشاعة الشعار التالي: " إن القوم، هم أولا و قبل كل شيء إخواننا، و سيكون نصيبهم العفو إذا ما التحقوا بجيش التحرير... " و قد طبق مثل هذا الشعار في نواحي عديدة و أعطى نتائج إيجابية »⁵.

هذا و نشير إلى أنه، و لبلوغ المجندين الجزائريين، كثيرا ما كان يتم الاستعانة برسل من أقربائهم، فيجتهد هؤلاء في إقناعهم تارة باسم أخوة الدم و تارة باسم أخوة الدين و الوطن. كما كان يتم، لتأليف قلوبهم، تقديم وعودا و ضمانات لهم كتأمين الحماية لأسرهم و السماح لهم بزراعة أرضهم، كل ذلك في مقابل

¹ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », p. 221.

² - Georges Fleury, *la guerre en Algérie*, Plon, 1993, p. 352.

³ - Azzedine (Cdt.), *Les Fellagas*, op. cit., p. 165.

⁴ - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacune de notre action en Algérie, janvier- février 1959, p. 3.

⁵ - SHAT, 1H 2581/d.2, Note de renseignements n° 6015, objet : La campagne rebelle de désertion sur les supplétifs français, signé L.-Col. BOURDONCLE, Alger, 8 octobre 1959.

دفعهم لاشتراك شهري و تقديم كمية من الذخيرة، التي تُتبع لاحقا بتقديم بعض المعلومات. كما كان يتم تبليغهم بأنهم في يوم كذا بمكان كذا وجدوا تحت مرمى بنادق جيش التحرير، لكن هذا الأخير لم يطلق النار عليهم. و بالتالي يتوجب عليهم أن يفعلوا مثله عند اللقاء و أن لا يطلقوا النار عليه، و إن أطلقوها، فليكن ذلك في الهواء فقط ¹.

كما سجل الفرنسيون أيضا و عمليا، العديد من الحالات الفعلية لعمليات الاختراق و التوغل داخل الثكنات، قامت بها عناصر مجندة ضمن وحداتها. و قد استطاعت هاته العناصر، بتوجيه خارجي من المحافظ السياسي و تواطؤ داخلي، من تكوين خلايا دعم لصالح الثورة. و هو ما جعل الفرنسيين يضاعفون من إجراءات الحذر و الرقابة داخل هاته الثكنات ².

و لكن يبقى السؤال قائما : ما هي الحصيلة الفعلية لنشاط الثورة في اتجاه هؤلاء ؟

فبالنسبة للباحث شارل روبرت آجران، فإن الثورة هنا أيضا لم تحقق نتائج ذات بال، اللهم إلا إذا أخذنا في الاعتبار حالات العصيان و الامتناع عن تأدية «واجب» الخدمة العسكرية، الذي دعت إليه الثورة و الذي ما فتئت نسبه في تصاعد مستمر : فبعد أن كانت هاته النسبة تقدر بـ 42% خلال سنة 1958، ارتفعت إلى 44% ما بين 1959 و 1960، ثم إلى 62.6% سنة 1961. و لكن، و في المقابل، فإن أرقام الجزائريين المجندين بالجيش الفرنسي، كنظاميين و احتياطيين، ما فتئت هي الأخرى تسجل ارتفاعا لتبلغ 60.000 مجند بحلول أبريل 1960 ³.

و لكن يبقى المؤشر الأقوى دلالة على نجاح الثورة في مسعاها هو عدد حالات فرار المجندين الجزائريين من الجيش الفرنسي و من التشكيلات الشبه عسكرية الأخرى و التي يقدرها الباحث شارل روبرت آجران بـ 9.768 فار، و هو رقم تحسن مقارنته بعدد الفارين من الثورة و الملتحقين بالجيش الفرنسي و الذي يقدره أيضا بـ 6.105 ملتحق ⁴. هذا، و قد كنا أوردنا كعينة بعض الأرقام عن حالات الفرار المسجلة خلال الثلاثي الثالث من سنة 1959 ⁵، و هي الأرقام التي يمكن تعزيزها بأرقام أخرى للثلاثي الثاني لسنة 1960، حيث تم تسجيل

¹ - SHAT, 1H 2410/d.1, Efficacité et lacune de notre action en Algérie, janvier- février 1959, p. 3.

² - أنظر الملحق رقم : 136.

³ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », p. 222.

⁴ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale... », p. 222.

⁵ - جدول خاص بتطور حالات الفرار مع أو بدون سلاح للجزائريين العاملين بالقوات الفرنسية، النظامية و الإضافية، للثلاثي الثالث (1959)

(٥)

الشهر	القوات النظامية		القوات الإضافية		المجموع	السلاح			
	بدون سلاح	مع السلاح	بدون سلاح	مع السلاح		سلاح جماعي	مسلس	بنديقية	D A. و بنديقية صيد
جويلية	19	27	37	2	85	2	10	50	2
أوت	28	32	44	10	114	10	20	64	3
سبتمبر	43	25	51	0	119	5	21	77	7

ما عدده 247 حالة فرار (منها 192 حالة فرار مع حمل السلاح) و هو ما يمثل ما نسبته 0.147 % من مجموع الجزائريين المجندين بمختلف التشكيلات العسكرية و الشبه العسكرية المتواجدة بالجزائر و الصحراء و التي بلغ تعدادها بهذا التاريخ 167.077 مجند. و هاته الحصيلة هي أضعف حصيلة ثلاثية تم تسجيلها منذ اندلاع الثورة¹. و خلال نفس الثلاثي، تم اجهاض ما عدده 54 محاولة فرار، تورط فيها 283 مجند. علما أن أغلب هاته الحالات، أي حالات الفرار و محاولات الفرار، قد تم تسجيل أغلبها ضمن الوحدات القادمة من فرنسا المتروبول و ليس ضمن الوحدات الشمال إفريقية².

أما من وجهة نظر الثورة، و كما يستشف ذلك من بعض وثائقها، فإن العملية كانت نجاحا محضا: « فالجزائريون - [أي المجندون، كما ورد في وثيقة صادرة عن الولاية الرابعة] - لا يطلبون أكثر من مغادرة صفوف جيش الاحتلال و الالتحاق بجيش التحرير المجيد »³. و لكن هناك عوائق موضوعية كثيرا ما حالت دون تحقيقهم لهاته الرغبة الغالية، هاته العوائق عددها الوثيقة كالتالي :

- العائق الأول هو صعوبة الاتصال بالثورة : فهم كلما بحثوا عن سبل للاتصال بالثورة لم يجدوها و هو أمر لم تعزه الوثيقة إلا لشيء واحد هو "الإهمال الإجرامي"؛
- الثاني سوء التنظيم، المتمثل في تدخل العديد من المسؤولين للإشراف و تسيير حالات الفرار، و هو أمر يتعارض مع شروط السرية الذي يتوقف عليها نجاح العمل؛
- الثالث هو التأخر الكبير المسجل في إخراج الإخوة الراغبين في الفرار من الثكنات. و هو التأخر الذي كثيرا ما أدى إلى افتضاح أمرهم و كشف خططهم. و بالأخص أن الجيش الفرنسي كان

- SHAT, 1H 1113/d. ?, Action subversive sur le personnel F.S.N.A. des Forces de l'Ordre, 2^{em} Bureau, Section " O. I. ", (s. d. 1959 ?).

¹ - علما أن تطور عدد حالات الفرار المسجلة خلال الثلاثيات الثلاثة الأخيرة كان كالتالي :

الثلاثي الرابع لسنة	الثلاثي الأول لسنة	الثلاثي الثاني لسنة	
1959	1960	1960	
387	386	247	مجموع حالات الفرار
286	288	192	حالات فرار مع حمل السلاح
% 0.24	% 0.24	% 0.147	النسبة المئوية

SHAT, 1H 2581/d.2, Synthèse trimestrielle concernant les désertions et les tentatives de désertions et de noyautage des FSNA, enregistrées dans les Unités des Forces de l'Ordre en Algérie et au Sahara au cours du 2^o Trimestre 1960, 15 juillet 1960, 9 p. + 7 annexes. [58/6]

² - المصدر السابق، ص. 4.

³ - أنظر الملحق رقم : 137.

نشير هنا إلى وجود وثيقتين مهمتين في الموضوع برصيد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المحفوظ بمركز الأرشيف الوطني ببيئر خادم و لكن لم يسمح لنا بالإطلاع عليهما :

CAN, GPRA, b. n° 26, Ralliement d'officiers algériens servants dans l'Armée française, 1959 ; aussi la boîte n° 94, déserteurs de l'Armée française 1959.

يضاعف من إجراءاته الأمنية للتصدي لمحاولات الفرار و خروج الأسلحة و الذخيرة. و هي إجراءات كثيرا ما أثبتت نجاعتها¹.

و عموما، يمكن القول، بأن المجندين الجزائريين في مجموعهم لم يكونوا غير مكثرتين تماما بندايات الثورة الداعية إلى الفرار من الجيش الفرنسي و الالتحاق بها. بدليل أن الكثيرين منهم، من الذين كانوا واعيين بمدى حرج وضعيتهم، كانوا يجتهدون، عن قناعة أو خوف، في مساعدتها ببعض المال و الذخيرة و المؤونة في مقابل حصولهم على وصل اعتراف بمساهمتهم فيها، كوثيقة قد تحفظ لهم شيئا من المستقبل الذي كان يبدو قائما لهم². و في هذا المقام أيضا، نشير، إلى أن الثورة في فترة ما، و بالأخص خلال فترة تنفيذ الجيش الفرنسي لعملياته الكبرى في إطار مخطط شال الذي استنزف الكثير من إمكانيات جيش التحرير و فكك وحداته إلى مجموعات قليلة العدد، كانت، بدلا من تشجيع المجندين الجزائريين على الفرار إليها، كانت تشجعهم على البقاء في أماكنهم و مساعدتها بما يقدرون عليه من مال و ذخيرة و مؤونة، لأن ذلك أفيد و أنجع لهم و لها.

بعد التحاق المجند الجزائري الفار من الجيش الفرنسي أو من التشكيلات الأخرى التابعة له بجيش التحرير، كان يتم احترام عهد الأمان الذي أعطي له³. كما كانت تتم دراسة حالته بدقة للوقوف على الغايات الحقيقية الكامنة وراء التحاقه لقطع الطريق أمام كل محاولات التوغل و الاختراق التي قد تسعى إليها المصالح الفرنسية من خلاله⁴. كما كان قد يحدث أن يتم بشكل من الأشكال تحقيق استغلال دعائي- نفسي للالتحاقه من خلال إنجاز مناشير تشيد بالتحاقه و تدعو غيره من المجندين إلى الحذو حذوه، كما حدث ذلك مع العريفيين الأوليين عواشيرية و بن سالم و الضابط الأول أحمد بن الشريف، هذا الأخير الذي إلتحق بجيش التحرير رفقة عدد من جنوده بأسلحتهم بتاريخ 20 جويلية 1957⁵. لتبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى مهمة، و التي قد تكون شاقة و طويلة، تتمثل في الأخذ بيد هذا الملتحق و مساعدته على التأقلم مع ظروف حياته الجديدة : « فالضابط الجزائري الذي غادر جيش العدو و التحق بجيش التحرير لا بد عليه أن يتكوّن بيننا. لا شك أن معارفه المتعددة نافعة و مفيدة، و لكنها لا تتوفر على التجربة التي حازها إخوتنا بعد شهور طويلة من المعاناة و النضال »⁶. إلى جانب ذلك كان يتم السهر باستمرار على رفع معنويات هؤلاء، و بالأخص أنها

¹ - أنظر الملحق رقم : 137. و في هذا المقام، يشير السيد الجودي التومي إلى أن من بين الإجراءات التي اعتمدها فرنسا لمكافحة فرار المجندين الجزائريين من وحداتها و قطع كل اتصال لهم بالثورة، هو إرسالها لهؤلاء لأداء خدمتهم بمناطق مجهولة تماما لديهم، كتعيين المجندين من الشرق في الغرب و تعيين المجندين من الغرب في الوسط، فيصعب عليهم الاحتكاك بالسكان و بالتالي ربطهم بالإتصال بالثورة. أنظر :

Djoudi Attoumi, *Le colonel Amirouche*, op. cit., p. 96- 97.

² - SHAT, 1H 2581/d.2, Synthèse trimestrielle concernant les désertions et les tentatives de désertions et de noyautage des FSNA, enregistrées dans les Unités des Forces de l'Ordre en Algérie et au Sahara au cours du 2° Trimestre 1960, 15 juillet 1960, p. 8 ; aussi, SHAT, 1H 2408, Note d'orientation, n° 574/EM.10/BP/AMM.TM, objet : Militaires Français- Musulmans, maintenus et protection du Moral et de l'état d'esprit, Alger 31 octobre 1956, 2 p.

³ - SHAT, 1H 2582/d.1, Directives générales, Armée de Libération Nationale, Wilaya de Kabylie, document trouvé le 14/06/1957 sur des rebelles abattus, 2 p.

⁴ - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire du FLN- ALN, annexe au fiche de renseignements, n° 5.653/EM.10/2/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, p. 9 ; Brahim Lahrache, dit « Ghani », op. cit., p. 188.

⁵ - أنظر الملحقين رقم : 128 و 138.

⁶ - SHAT, 1H 2582/d.1, Circulaire du FLN- ALN, annexe au fiche de renseignements, n° 5.653/EM.10/2/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, p. 9.

كانت تتعرض لامتحان عصيب بمجرد وصول هؤلاء إلى الجبل و معاينتهم لظروف و امكانيات النضال: « فكثر من الرجال يعتقدون بأنهم سيجدون عندنا ثكنات. فتخبو شعلتهم بمجرد معاينتهم لامكانياتنا. فيجب علينا إذن أن نساعدهم في البداية و أن ندفعهم إلى العمل، و أن نرفع من معنوياتهم حتى نجعل منهم مقاتلين جديرين بالانتماء إلى جيش التحرير. ويجب أيضا أن نتفهم ضعفهم، فالجيش الفرنسي هو مدرسة لتعليم الجريمة و القتل و التعذيب و الوشاية، فهو جيش ليس في خدمة قضية نبيلة، و إذاً فلا يمكن بحال مقارنته بجيشنا. و لهذا السبب بالذات كان الذين يغادرونه ليأتون إلينا، يأتوننا مليئي العيوب: فهم حُشِن و عُنف، يتميزون بالميوعة و البذاءة و فحش القول كما ينقصهم التكوين السياسي. و لأجل هذا السبب كان تقديم الدعم المعنوي لهم و تربيتهم من أسمى الواجبات»¹.

3- أما بالنسبة لجهود الثورة تجاه المجندين الأفارقة، فنسجل هنا أنه كانت للثورة الجزائرية جهود حثيثة في اتجاه هؤلاء. ففي وقت باكر سجلت المصالح الاستخباراتية الفرنسية مساعي مكثفة لاستدراج المجندين الأفارقة، و بالأخص المسلمين منهم، للتردد على المساجد « لاستهدافهم بدعاية مناسبة، لصالح إخوانهم الوطنيين الجزائريين»². و لكن هاته الجهود، و هذا حسب عدد من الشهادات، لم يكن لها حظ كبير من النجاح. فقد كان للأفارقة ولاء غريب للفرنسيين³.

4- أما بالنسبة لنتائج النشاط النفسي للثورة تجاه عناصر اللقيف الأجنبي، فهنا يمكن القول أيضا بأن الثورة قد لاقت قدرا من النجاح و إن كان يصعب تقدير مداها.

فحسب الباحث شارل روبرت آجرون، و استنادا لإحصائيات عن المكتب الثاني للجيش الفرنسي يكون قد تم تسجيل ما عدده 3.229 فار طيلة مدة الحرب⁴ و هو بغرابة نفس الرقم الوارد مفصلا في بعض المصادر الجزائرية!⁵، كما يورد أيضا و استنادا إلى مصادر ألمانية أن هناك ما عدده 2.500 جندي من اللقيف الأجنبي قد تمت إعادتهم إلى وطنهم - [بمساعدة من ؟] - ما بين 1954 و جويلية 1960⁶. أما بالنسبة للمصادر الجزائرية، فإن العديد من الشهادات تجعل من فرار جنود اللقيف الأجنبي و التحاقهم بالثورة للحصول على مساعدتها للعودة إلى أوطانهم ظاهرة شبه مألوفة و إن كان يصعب تحديد حجمها الحقيقي⁷. فبعض الشهادات تفيد بأن هاته الظاهرة لم تكن عرضية، كما أن الفارين لم يكونوا مجرد واحد أو اثنان مثال ذلك شهادة المجاهد الطيب نھاري التي تروي وقائع ترحيل 107 جندي من جنود

¹ - المصدر السابق، نفسه.

² - SHAT, 1H 2586/d.2, Propagande sur les militaires d'Afrique Noire, note à l'attention de monsieur le Général TABUIS, n° 867 EMM/P, Alger, le 24 avril 1956. 58/3

³ - حول هاته النقطة، أنظر شهادتي كل من السيدين علي كافي و منصور رحال :

Ali Kafi, Du militant politique au dirigeant militaire, mémoire 1946- 1962, Alger, Casbah Editions, 2002, p.108; Mensour Rahal, Les maquisards, pages du maquis des Aurès durant la guerre de libération, I, Alger, Imprimerie Ech Chourouk, 2000, p. 118.

⁴ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération... », p. 221.

⁵ - أنظر : رضوان، عناد ثابت، نقلا عن جريدة المجاهد لسان حال الثورة الجزائرية، عدد 71، بتاريخ 14 أكتوبر 1960.

Voir, Redouane Aïnad Tabet, Histoire d'Algérie : Sidi-Bel Abbès, p. 218- 219.

⁶ - Charles-Robert Ageron, « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération... », p. 206, 221-222.

Mensour Rahal, Les maquisards, p. 117-119.

⁷ - كعبية عن هاته الشهادات، يمكن العودة إلى :

اللفيف الأجنبي، دفعة واحدة، نحو الحدود المغربية في بداية 1957¹. و هي شهادة يمكن تدعيمها بشهادة السيد سهلي إدريس، أحد قدماء جهاز المالف، الذي يورد في شهادته مشاركته في ترحيل خمسين جنديا من جنود اللفيف الأجنبي من نواحي منطقة معسكر نحو الحدود المغربية، و ذلك بمناسبة ذكرى 5 جويلية 1958. في نفس هاته الشهادة قدّم السيد سهلي إدريس عدد الـ 4300 جندي من جنود اللفيف الأجنبي الذين تم ترحيلهم و ترحيلهم إلى أوطانهم، و هو ما يمثل ما نسبته 10 % من مجموع جنود هذا السلك².

و مهما يكن من عدد جنود اللفيف الأجنبي الذين تم ترحيلهم و ترحيلهم، فإنه لا يفوتنا أن نشير إلى الثورة قد عرفت و نجحت نجاحا كبيرا في تحقيق استغلال جيد لعمليات ترحيل هؤلاء الجنود لأوطانهم، من أجل تحقيق مكاسب نفسية و دعائية و سياسية و دبلوماسية، زادت في التعريف بالقضية الجزائرية و إكسابها أنصارا جدد. و هي المكاسب التي ما كان لها أن تتحقق لو اكتفت الثورة بتصفية هؤلاء الجنود في الميدان. فقد كان يتم إرسال هؤلاء الجنود إلى أوطانهم بواسطة الطائرة، و عند وصولهم، كان يتم تنظيم حفل استقبال لهم يحضره، بالإضافة إلى أهالي و أقارب هؤلاء الجنود، ممثلون عن البعثة الدبلوماسية للثورة الجزائرية و ممثلون عن سلطات البلد المضيف و ممثلون عن الصليب الأحمر الدولي و الصحافة بكل أنواعها. فكان في حضور هؤلاء شبه اعتراف ضمني بجهة التحرير و الثورة الجزائرية. في هذا الحفل، كان يتم تنظيم ندوة صحفية تعطي فيها الكلمة هؤلاء الجنود للتعبير عن فرحتهم بالعودة و بتواجدهم مجددا بين أهلهم و ذويهم. كما كانوا يقدمون شهادتهم عما یرتكبه الجيش الفرنسي من جرائم في حق الشعب الجزائري، مدعمين أقوالهم بأوامر أصدرت لهم و وقائع شاركوا فيها بأنفسهم. فكانت تصريحاتهم لعفويتها و حرارتها تترك وقعا قويا في النفوس. بعدها كان يتم تعهد العلاقة معهم للاستفادة من خدماتهم في تحقيق عمليات فرار لزملائهم الذين لا يزالون متواجدين بوحدات اللفيف الأجنبي³.

¹ - Voir, Redouane Ainad Tabet, *Histoire d'Algérie : Sidi-Bel Abbes*, p. 369- 372.

² - أنظر : التسليح و المواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956- 1962، منشورات وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2001، ص. 131- 132.

³ - حول هاته النقطة أنظر : التسليح و المواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956- 1962، منشورات وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2001، ص. 129-131.

الختمة

من خلال دراستي للحرب النفسية خلصت إلى النتائج التالية :

- أولا : أن الحرب التي شنتها فرنسا على الجزائريين ثورة و شعبا كانت نفسية بقدرما كانت عسكرية. و هي في حجمها و أبعادها لا تقل خطورة و ضراوة عن ما عبأته من وسائل عسكرية كلاسيكية أذاقت الجزائريين ألوانا من العذاب و التشريد و التقتيل. فاعتماد الفرنسيين لتحليلهم الخاص بطبيعة الحرب التي شنتها الثورة عليهم قد أفضى بهم إلى توظيف وسائل أخرى غير كلاسيكية في الحرب هيمنت باستمرار على مجريات الحرب. و هي حقيقة يتوجب أخذها بعين الاعتبار عند كل دراسة لتاريخ الثورة الجزائرية.

- ثانيا، خلصنا في تقييمنا لنتائج الحرب النفسية لفرنسا ضد الثورة الجزائرية إلى أن الحرب النفسية التي طبقتها فرنسا ضد الشعب و الثورة الجزائريين كانت حربا شاملة و معقدة تتجاوز في مداها حدود الزمان و المكان. لذلك، فإن اختزالها في ترديد مجموعة من الشعارات أو اختزالها إلى مجموعة من المناشير، التي ضُمنت رسوما ساذجة و عبارات ثم أُلقيت من الطائرة أو عُلقت على الجدران أو رُلقت من تحت أبواب الدور، و اختزالها أيضا إلى مجرد خطاب أُلقيت و رددت على السكان... لن يفيدنا كل حقاها و سيضمر حتما بفهمها و تمثيلها بشكل صحيح. إن الحرب النفسية لفرنسا هي أخطر من ذلك بكثير، إنها خطة أُحكمت بهدف الاستحواذ على مجتمع بأكمله بغرض إعادة صياغته من الجذور. دليل ذلك هو أنه خلال هذه الحرب تحولت الجزائر إلى مخبر نفسي كبير و تحول معها الشعب الجزائري إلى كائن مخبري جُعل لتطبيق و تجريب مختلف النظريات النفسية المخبرية، تارة بدعوى فتح النفوس و تارة أخرى بدعوى اكتساب القلوب. و ليتها كانت ذلك، و لكنها كانت في الواقع لترويض هذا الشعب و معرفة كيفية السيطرة عليه. فالكل يطبق و يجرب ما شاء و كيفما شاء: ضابط النشاط النفسي، الضابط المتنقل، ضابط لصاص، الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، منشطات حركات الدوائر النسوية، منشطو الشباب، و غيرهم بالإضافة إلى ضباط الوحدات المتمركزة و العابرة الذين وجدوا في احتكاكهم بالسكان مناسبة لقياس باعهم فيما تلقوه من دروس عن الضابط النفسي و الضابط المتنقل. و هو ما أدى في النهاية إلى تطبيق التجارب و المحاولات الأكثر غرابة و إثارة من أجل اقتلاع و تحطيم كل أثر للعزة و الإباء و التطلع لتحرر يعتلج في قلب الشعب.

- ثالثا خلصت من خلال دراستنا للحرب النفسية لفرنسا ضد الشعب الجزائري، و بالأخص الأنشطة النفسية التي طُبقت على فئتي النساء و الشباب، بما في ذلك دفعات « مسؤولي السكان » الذين تم تخريبهم لتسليمهم مقاليد إدارة الجزائر المستقلة، و غيرها... إلى أن أهداف الحرب النفسية لفرنسا ضد الشعب و الثورة الجزائريين كانت تتجاوز في مداها نهاية الحرب و وقف نيران المعارك، لأن أهدافها كانت تتمثل بالأساس في فرض تصور خاص حول مشروع مجتمع للمجتمع الجزائري و هذا بغض النظر عن أشكال الروابط التي كانت ستربطه بفرنسا بعد الاستقلال.

- رابعا، خلصت في بحثي هذا إلى صعوبة تقديم تقييم كمي يمكن من خلاله تقدير مقدار النجاح الذي حققه الفرنسيون في حربهم النفسية، سواء ضد المجاهدين في الجبال أو ضد الشعب الجزائري الأعزل. صحيح أنهم حققوا قدرا لا يستهان به من النجاح في عملية مطاردة و تفكيك الخلايا الثورية و إحداث سلسلة

من عمليات الاستسلام و الالتحاق كما حققوا قدرا آخر من النجاح في عملية تنصيب جيوب مقاومة مناوئة للثورة استنزفت الكثير من جهودها، و التي كان يمكن أن توجه ضد الجيش الفرنسي و تُعجل بساعة الحسم. كما نجحوا أيضا في تجنيد و تسليح آلاف الجزائريين لضرب الثورة بهم... و لكن كل هاته النجاحات يصعب تقييمها و تقديرها لأنها، و إن استطاعت أن تعرقل الثورة فهي لم تستطع أن تنال منها أو تقضي عليها.

و ما يقال على الحرب النفسية ضد المجاهدين يقال أيضا على الحرب النفسية ضد الشعب الجزائري، الذي عان الأمرين منها لما ترتب عنها من تشردم و تمزق لحق به. فأنشطة الدعاية المغرضة و المتنوعة التي مارسها المكتب الخامس في اتجاه الشعب، و مساعيه لـ « تنظيم الشعب » في إطار ما عرف بنسخ التنظيمات الهرمية الموازية، و ما مارسه هذا المكتب من أنشطة نفسية للتأثير على فئتي الشباب و النساء و تخريجه لدفعات متتالية من « مسؤولي السكان »، الذين أسند إليهم بمقاييد الإدارة الجزائرية لوضع الجزائر المستقلة أمام الأمر الواقع... هي كلها نجاحات يصعب تقييمها و تقديرها.

- خامسا، خلُصت في تقييمي لعمل الثورة الجزائرية في مواجهة الحرب النفسية الفرنسية بأن عملها لم يكن "فعلا" و إنما كان "رد فعل" على الحرب النفسية الفرنسية. و أن رد فعلها كان ذا طابع سياسي أكثر منه حربا نفسية، لأن القناعة عند الشعب و المجاهدين كانت موجودة سلفا، قد غداها و عمقها جور و صلف فرنسا و تاريخها الطويل في محاربة التطلعات الوطنية للجزائريين. مع ذلك، فإننا لم نعدم عند الثورة محاولات ثورية لبلورة رد يتسم بطابع الحرب النفسية و يعتمد على مذهب حربي خاص بها.

- سادسا : خلصت في دراستي هاته للحرب النفسية التي دارت رحاها بين الجيش الفرنسي من جهة و جبهة و جيش التحرير الوطني من جهة أخرى، إلى أهمية دور المحافظ السياسي. هذا الأخير، الذي بالرغم من ضعف و محدودية إمكانياته، كان يمثل رأس الحربة في أسلحة الثورة للرد على أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس. و أنه تحقيقا لهاته المهمة كان مطالبا بفعل المستحيل و القتال على أكثر من جبهة، و منازل ضباط النشاط النفسي و الضباط متنقلون و مكاتب لاصاص في آن واحد. و أنه بالنظر إلى أهميته و خطورته هاته، فقد كان القبض عليه يمثل أهم أولويات الفرنسيين في مساعيهم للبحث عن الخلايا الثورية لتفكيكها و القضاء عليها.

- سابعا : أن السكان، أي الشعب الجزائري، كانوا هم فعلا الرهان الحقيقي للحرب النفسية الفرنسية. و لأنهم كانوا كذلك، فقد كانوا هم وسيلتها و هدفها و أرضيتها المثلى :

- فالشعب كهدف للحرب النفسية الفرنسية، تجسّد من خلال اتّخاذ فرنسا الشعب كرهان راهنت عليه لكسب الحرب، عملا بمبدأ " أن النصر في النهاية هو حليف من يكسب الشعب إلى صفه". لذلك كان اجتهاد الفرنسيين عظيما لبلوغ هاته الغاية من خلال توظيفهم لجميع الوسائل التي كانت يجوزتهم لزعزعة ثقة هذا الشعب في نفسه و في ثورته و في النصر، و سحق روحه القتالية و إجباره قسرا على العودة إلى فرنسا و القبول بالحلول التي تفرضها.

- أما الشعب كوسيلة من وسائل الحرب النفسية، فيتمثل في جهود الفرنسيين الرامية إلى تحويل الشعب من مجرد هدف من أهداف الحرب النفسية إلى أداة فعالة، بل إلى سلاح من أسلحتها، يستخدمونه في قتالهم للثورة و ذلك بإخراج الشعب من موقف « الانتظار و الترقب » كما يزعمون، و جره إلى تبني موقف آخر يحوله إلى "طرف فاعل" يجعله يرفض الثورة و يرفض تنفيذ أوامرها و يتخندق مع الفرنسيين في خندقهم ليقاتل الثورة معهم بالسلاح، كما رأينا ذلك في الفصلين الرابع و الخامس.

- أما بالنسبة للشعب كأرضية للحرب النفسية، فيتمثل في كون المخططات الفرنسية للاستحواذ على الشعب و السيطرة عليه و تسخيرها في خدمة أهدافها قد جعلها تصطدم بجهود مقابلة بذلتها الثورة في اتجاهه لتحريره من قيوده، بتوعيته و تنظيمه و تعبئته ليستعيد حريته و كرامته. و هو أمر ليس بالسهل، لما يتطلبه من تضحيات جسام. و بالتالي فقد عايش الشعب مخنا كبيرة و خاصة مع بدء حرب نسج التنظيمات الهرمية الموازية بين الثورة و الجيش الفرنسي : فالثورة في مسعاها لنسف النظام الاستعماري قامت بنسج تنظيمها الهرمي الموازي بين الشعب لتنظيمه و تأطيره و تعبئته لتحرير البلاد. و بالمقابل، قامت فرنسا، لعرقلة عمل الثورة، بالرد على ذلك بنسج تنظيمها الهرمي الموازي الخاص بها بين السكان. مما جعل السكان يتواجدون في وضعية غير مريحة، بين شقي الرحي : فبغض النظر عن قناعاتهم و ميولاتهم و ولائهم لهذا الطرف أو ذاك، كانوا مجبرين على التعامل مع الطرفين، يتجاذبهم ولاء صادق لهذا الطرف و مداراة و تصنع للآخر. و نحن نتوقع، أنه لو لم تتدخل عناية الله بوضع نهاية للحرب، لرأى السكان ألوانا و فنونا من التشردم و التمزق و الحن. و عندما نقف على حجم المؤامرة التي نفذت على الشعب الجزائري و التي استطاعت أن تغرر بعشرات الآلاف من الجزائريين، الذين غالبا ما انضموا إلى صف فرنسا بسبب الضغوط و التغير لا يسعنا إلا نراجع نظرتنا حول موقفهم التاريخي هذا، فهم بدورهم مجرد ضحايا لهاته الحرب.

- ثامنا، خلصت إلى أن حرب التحرير الوطنية كانت، من وجهة نظر نفسية، امتحانا عصيبا و معاناة نفسية شديدة لكل الأطراف التي عايشتها و ذلك حسب مستويات متفاوتة : فالأكثر معاناة هو الشعب الجزائري و المجاهدون في الجبال، ثم الأقلية الأوروبية و بعدها الجيش الفرنسي.

- فبالنسبة للشعب، أدت طبيعة الصراع الدائر، التي جعلت الشعب " كالأرضية المتنازع عليها"، إلى جعل الشعب محلا لجميع الضغوط و المساومات من قبل فرنسا، و هو ما زاد في تمزقه و تشردمه و عيائه. لذلك، كانت الآثار المترتبة عن مختلف الوسائل الجهنمية التي وظفتها فرنسا من تفجير و تجويع، و انتهاك للأعراض و المحرمات، و تعذيب و محتشدات، قد جعلت الوضعية العامة للشعب الجزائري بحلول الاستقلال تزداد تدهور بعدة مستويات عما كانت عليه الأوضاع من تدهور في الأول من نوفمبر 1954. لكن هاته الوضعية كان من مكاسبها -و هذا بفضل الثورة التحريرية- هو أن الشعب بحكم هاته الظروف قد خضع لعملية انصهار و سبك عززت من وحدته و تضامنه.

- أما بالنسبة للمجاهدين، فنقدر أن الدعاية الفرنسية المغرضة لم تكن لها آثارها الحاسمة على معنوياتهم و ذلك لسببين هما : أولا القناعات الوطنية المبدئية التي كان يتمتع بها جل المجاهدين، و التي اكتسبوها بحكم ماضيهم النضالي الطويل في مواجهة فرنسا و معرفتهم الجيدة بنوايا هاته الأخيرة من أجل القضاء على التطلعات التحررية الوطنية؛ ثانيا، قوة الانضباط الثوري الذي فرضته الثورة عليهم و كان يتمتع به أغلبهم، و هو ما جعل صفوف الثورة أقل نفاذية لمثل هاته الدعاية.

لكن الشيء الذي نال فعلا من الثورة و حقق قدرا من النجاح للمستعمر، كان يتمثل بالأخص في نشاط التسميم و الاختراق، بزرع الشك و تعهده، و هو النشاط الذي كانت تقوم به و في الخفاء المصالح الخاصة الفرنسية، و الذي كانا وراء وقوع الكثير من المآسي التي تسببت في حدوث العديد من عمليات تطهير و التصفيات داخل الصفوف، و هي العمليات التي أزهدت فيها العديد من الأرواح البريئة، مثلما حدث ذلك بالولايتين الثالثة و الرابعة.

- أما بالنسبة للسكان الأوروبيين و الجيش الفرنسي، فإن طول أمد الحرب و عجز الجيش الفرنسي عن تحقيق حسم عسكري في الميدان، ثم التقلبات التي شهدتها المواقف الرسمية لفرنسا من الحرب و من الحلول المقترحة لمعالجتها و بالأخص مع مجيء ديغول، الذي كانت تصريحاته العلنية تتضارب كثيرا و سياسته العملية المطبقة في الميدان...، كل ذلك كان مصدر متاعب نفسية حقيقية للسكان الأوروبيين و للجيش معا. متاعب انعكست بشكل ظاهر على معنوياتهم التي ما فتئت تدهورا بمرور الأيام، بسبب تزايد الشكوك و عدم اليقين في المستقبل. و في هذا المقام يعد ظهور المنظمة السرية و ما ارتكبه من جرائم شنيعة في حق الجزائريين و ما ترتب عنها من رحيل جماعي للأوروبيين مؤشرا واضحا حول التدني الذي بلغته معنويات هؤلاء.

- تاسعا و أخيرا، خلصت في ختام بحثي هذا إلى أهمية إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث و الدراسة، فاعتمادنا على الأرشيف بنسبة كبيرة هو دلالة بعينها على قلة الأبحاث و الدراسات في هذا الموضوع، إن لم نقل ندرتها و انعدامها. و نحن بتناولنا لهذا الموضوع لم نزد في حقيقة الأمر على تسليط الضوء على الجوانب المختلفة لهذا الموضوع.

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

الحرب النفسية الفرنسية و رد فعل الثورة الجزائرية (1955-1960)

دراسة في أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي بالمنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر

الجزء الثاني

تحت إشراف الأستاذة:

د. / مسعودة يحياوي

من إعداد الطالب :

محمد بن داره

السنة الجامعية 2007/2008

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

رقم :

الحرب النفسية الفرنسية و رد فعل الثورة الجزائرية (1955 - 1960)

دراسة في أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي بالمنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر

الجزء الثاني

أعضاء لجنة المناقشة :

- أ. د. / عبد الكريم بوصفصاف : رئيسا ؛
- أ. دة. / مسعودة يحيوي : مشرفا و مقرا ؛
- أ. د. / عيسى قرقب : عضوا ؛
- د. /
- د. /

السنة الجامعية 2007/2008

الاحق البحث

10° REGION MILITAIRE
 COMES D'ARMES DE CONSTATINE
 ZONE
 SECTEUR DE
 URIVE

3

référence photo de Service n° 227
 PSY/OP du 13 Mai 1957.

FIGURE D'OBSERVATION DE TRACÉ OU D'AFFICHES

TRACÉ
 AFFICHES

TRACÉ DE LA PRODUCTION

1° LIEU DE L'OBSERVATION
 BOUEN OU LOCALITE
 SECOURS DE

2° DATE DE L'OBSERVATION

3° GRAB, FORMATION ET FONCTIONS DE L'OBSERVATEUR

4° CONDITIONS DANS LESQUELLES LE DOCUMENT A ETE DIFFUSE (1)

- De la main à la main { avec commentaires sans commentaires
- Au cours des réunions hebdomadaires et après commentaires.
- Glissé sous les portes de nuit par petrouilles.
- Distribué sur les marchés.
- Distribué dans les halls d'information.
- Largué par avion.
- Collé sur
- AUTRES PROCÉDES employés pour la diffusion

(1) - Erreur les mentions inutiles.

Observation

المالح رقم 2: نموذج لـ " بطاقة ملاحظة " التي يتوجب ملئها من طرف المعين بالمصالح الأمنية عقب كل عملية توزيع للمناشير والملصقات.

المصدر : SHAT, 1H 2509/d.1, Fiche d'observations

5° REACTIONS DES POPULAIRES A L'EMMISSION DES AFFICHES DE PRODUCTION A E

a) TRACÉ - Le tracé a-t-il été observé ?
 jeté ?
 décollé ?
 redémarré ?
 A-t-il donné lieu à des commentaires ?
 lesquels ? (si possible)

b) AFFICHES - L'affiche a-t-elle donné lieu à des attentions ?
 lesquelles ? (si possible)
 L'affiche a-t-elle été lue ?

6° REACTIONS DE L'OBSERVATEUR
 critiques

modifications à apporter dans l'éventualité d'une nouvelle diffusion

observations sur le texte

sur la présentation

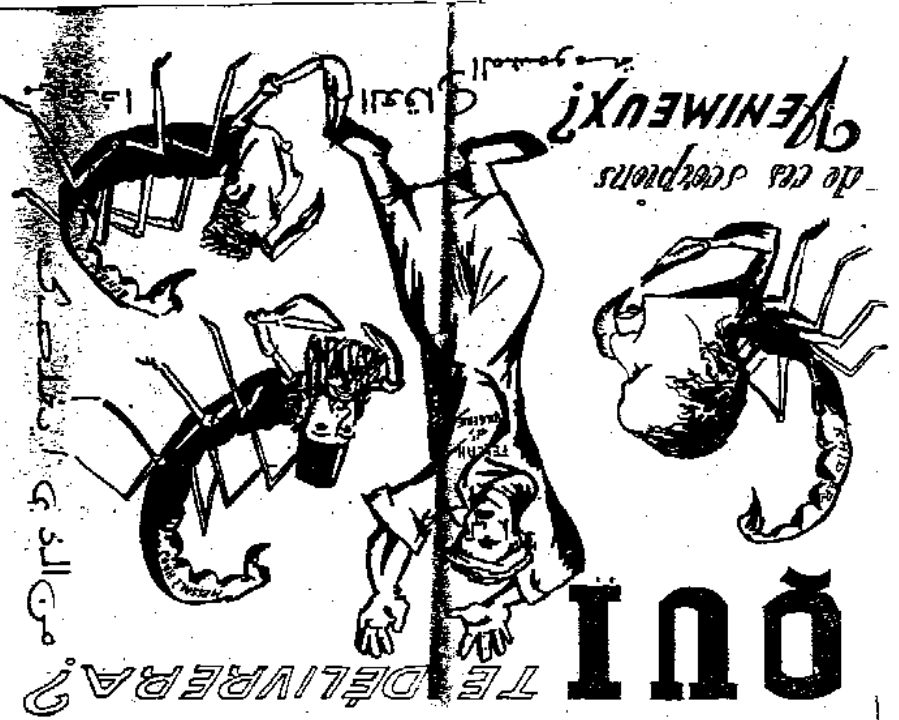
sur la diffusion

IDENTIFICATEUR
 - M. le Colonel Chef du Bureau
 Psychologique Régional
 - E.P. 07.195

Signature
 A. S.P.
 Le (grade, nom, unité)

المجلد رقم 3 : سجل رصد لردود الأهالي على بعض المنشور
والملفات الصغرى :

SHAT, 1H 2509/d.1, « Fiches d'observations »



360

24

10^e REGION MIL.
DIVISION MILITA.
13^e DIVISION D'
SECTEUR DE SIDI
BUREAU PSYCHO.
N° 27 / 82/

SIDI BEL ABESS, le 12 OCTOBRE 1956

-o- FICHE CONCERNANT LES REACTIONS A LA SUITE

DE LA DIFFUSION DU TRACT

" QUI TE DELIVRERA DE CES SCORPIONS VENIMEUX "

- 1) Les tracts ont été distribués à la Population par les soins :
- 2) - Le Sous-Péfet de SIDI BEL ABESS (Officier de liaison).
- 3) - Le Chef de Bataillon, Commandant le 1/21ème R.I. à PAKEMHET

4) - REACTIONS DES POPULATIONS :

- a) + Marocaines :
La population européenne continue à demeurer indifférente qu'elle ignore tout ce que peuvent représenter les "SLOGANS" en d'Action Psychologique.
- b) - Musulmanes :
Les tracts ont été accueillis, en général, avec intérêt. Hommes que les ravaux surtout les vendeurs, cherchaient à lire et conservaient soigneusement le papier.
5) - Il reste que la diffusion du tract est un moyen pour aborder français-musulmans. La distribution, en elle-même, est souvent comme une marque d'indifférence que l'armée porte à la population b) - Il semble toutefois que le tract n'était pas souvent compris. Les questions posées ont permis de se rendre compte que, dans certains personnages représentés n'étaient pas connus, que le signifiant lique du SCORPION n'était pas comprise.

Le Colonel L E M E D U N I E R,
le Sous-Secteur de SIDI BEL
P.O. Le Capitaine MONT, Officier d
Psychologique.

Signé : FORT

10^e REGION MIL
DIVISION MILITA
BUREAU PSYCHO
N° 27 / 82/

ORA M, le 2 novembre 1956.

COPIE CONFORME
NOTIFIÉE à

" pour information "

- M. Le Général, Chef du Bureau Psychologique
de la 10^e Région Militaire, A.E.P.E.R

Le Capitaine B A Z Y
Pvt. Chef du Bureau Ps.



B.P. 861371, Le 10 Juin 1957.

10° REGION ALGERAINE
CENTRE D'ARCHIVES DE CONSTATION
3° Cie de RAVITAILLEMENT ET
TRAFFIC
N° 95/77/DP

L'INTERIEUR MECANIQUE DE 2° CLASSE
DU LA MARINE MARCHANDE.

MORISSEUR LE CAPITAINE
COMMANDEANT LA 3° Cie H F E

OBJET : Réactions des populations musulmanes
Algériennes ; Entée de Service de 16-4-57 et du 1-6-57.
du Chef de Bataillon PSABRAS

II AFFICHES

Les affiches attirant l'attention de la population comportent un minimum de texte simple, mais sont abondamment illustrées de dessins, photos, couleurs vives. Ce sont notamment "Algerien ohai", "Les routes mères de la France", "Le Village jeune, la France fut le", "Picnic".

Par contre, une affiche abondamment illustrée est "L'Algérien Français, pivot de l'Afrique", qu'on peut juger trop abstrait et peu attrayant.

III TRACTS

Les tracts s'inscrivent volontiers aux tracts comportent un texte important : "Régional", "Le Bonisme Communiste procureur de l'Algérie", "L'O.N.U. fait confiance à la France".

Les tracts d'âge mûr sont davantage attirés par les tracts demandant l'adhésion à l'U.L. et d'âge mûr "Les communistes", "Les Algériens la révolution".

Les tracts se comportent sans illustration et attirent peu l'attention.

IV PANNEAUX

Les panneaux sont toujours regardés mais, pour attirer l'attention, ils doivent être renouvelés fréquemment.

Les panneaux exposant des photos locales (marchés, fêtes, spectacles, dispensaires, écoles, destruction, scènes de la vie quotidienne) sont, si le message est plus apprécié. Il nous a même été demandé, dans certains cas, des exemplaires des photos exposées que les intéressés voulaient conserver à titre personnel.

V CONCLUSIONS

Nos investigations ont porté sur une population essentiellement jeune. Peu avec peu évolue intellectuellement et plus sensible au graphique qu'à la littérature.

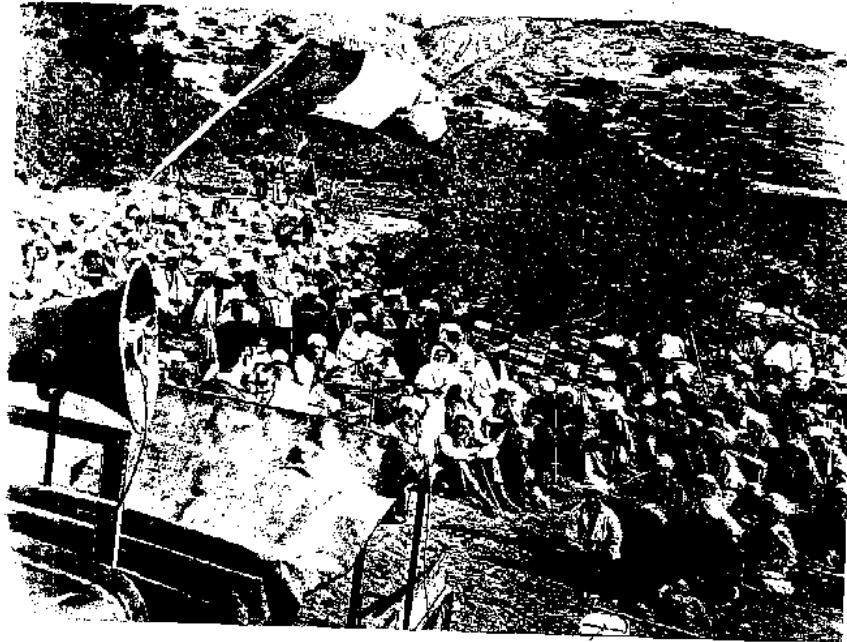
Il semble que, dans ce cas bien précis, il faille s'orienter vers les affiches et tracts comportant des textes simples, concrets (prohiber abondamment l'abstraction qui reste incompréhensible), abondamment illustrés et vers les panneaux d'actualité locales. Le programme doit agir, sur les populations, davantage par la vue que par l'écrit.

L. L.M. 2 VASBARY
Chef de la section "Action"

المحقق رقم 4 : جمال رضا لبرود الأحمدي على بعض النماذج
والملاحظات الصادر :

SHAT, IH 2509/d.1, « Fiches d'observation »

17/19



ملحق رقم 5 : تطبيق الدعاية على السكان الجزائريين باستعمال واحد منهم

SHAT, IH

المصدر :





363

1/8

**NOTICE PERICULOSIQUE PAR NAUR-PARLEUR
INTERFETION SUR LES MARCHES**

9 Mardamas (Ibad Allah).

Nous sommes venus aujourd'hui vous voir, vous malheur. Nous sommes venus vous donner des nouvelles parce que dans tout ce que vous attendez, il y a des choses vraies et des choses fausses. Nous allons parler avec vous un bon moment. Ne soyez pas qui ont fait de mauvaises affaires sont les camblier et ceux qui ont fait de bonnes affaires seront encore plus combattus.

AIR DE MURIQUE

Voici quelques nouvelles dont se réjouiront ceux qui aiment vivre en paix et travailler en paix et qui feront réfléchir ceux qui sont dans l'erreur.

Frankémmat - Il y a quelques jours, un bateau qui transportait des armes a été capturé par les marins français. Il y avait dans le bateau pour 600 millions de francs d'armes. Ces armes, en les apportait sur l'Algérie. Les armées et voyez d'où ils ont pu avoir 600 millions pour les acheter. En maintenant, ils ont tout perdu à la batou, l'argent et les armes.

- un temps d'arrêt -

Danilématt - Les grands chefs des rebelles qui s'appellent BEN BELLA, BOUDIAF, KILDER, AÏT ABDEL, LADJAL, ont été pris par le gouvernement algérien. Cela, vous le savez. Bien les a punis pour avoir dit à leurs hommes, après les avoir trompés, de tuer les gens les civils de brûler les maisons, de prendre l'argent et la nourriture chez ceux qui travaillaient pour faire vivre leur famille.

- un temps d'arrêt -

SHAT, AH 2534/01 Divon non date

- 2 -

Frankémmat : Il y a quelque temps, un grand chef des Fellaghas, dans le Constantinois a été tué. Un autre a été tué par le d'Etat, dans le Sud-est.

Tous les jours une centaine de Fellaghas sont tués ou faits prisonniers.

Les chefs de tribus, qui ne risquent rien, parce qu'ils sont à l'abri, ont dit aux algériens de ne pas travailler. Mais presque tous ont travaillé. Quand même, ceux qui n'ont pas peur. Ils n'ont pas peur.

Toutes ces nouvelles doivent nous réjouir. Mais nous ne sommes pas contents parce qu'il y a des Algériens, nous sommes contents parce que même si, l'Etat, tous les malheurs, seront finis.

AIR DE MURIQUE

Et maintenant nous allons dire un peu. Je vais vous raconter une histoire.

J'HA avait un fils. Une nuit, un voleur vint le lui prendre dans son sommeil. Et le matin J'HA ne trouva plus son fils.

Il était très en colère et recommença à malheur à son frère. Sa femme lui dit de chercher un orien public et envoi le sur le souk pour acheter. J'HA a dit que si ce ne lui rendait pas son fils aujourd'hui même, il ferait comme a fait son père le jour où on a volé son fils. J'HA fit alors elle lui dit. Le orien alla sur le souk et cria : quelqu'un a volé l'âne de J'HA. Qui ne lui fut pas son père et voir même, il va faire comme son père lorsqu'on lui a volé son âne, à lui même.

Le voleur entendit ces mots et fut peur. Le même nuit, il ramena l'âne dans l'écurie et J'HA le trouva le matin.

Tout content, il vint dans le souk et alla au marché. Ses amis le félicitèrent. Lui dit : J'HA ne s'attendait pas à ce que son fils revienne. Tous les gens ont dit : mais dis-moi qu'a fait ton père quand on lui a volé son âne ? J'HA répondit : "il en a acheté un autre".

ELIMINE

Tout un autre histoire.

Un jour, J'HA vendit sa maison à MORA. Il lui dit : je te vende ma maison mais il y a un alim que j'ai planté dans la cour de la chambre je ne veux pas te le vendre". MORA dit dans sa

...../.....

2/6

tâtes "il est un peu fou... mais ça ne fait rien" et il dit à JEMIA "ag'neerde".

Le soir même, MOHAMED mit ses affaires dans le mallem. Le lendemain, JEMIA entra dans le mallem, entra dans le mallem et dit que MOHAMED était comblé de la félicité. MOHAMED lui dit à quel point il aime le faire et que MOHAMED lui dit à quel point il aime le faire. Il encouragea ses vœux au dire et remercia.

Le lendemain se fut pareil. A la fin, MOHAMED se fêta et alla se plaindre au Cadi. Le Cadi fit appeler JEMIA et lui dit qu'il avait dit dans une mallem que MOHAMED était comblé de la félicité. MOHAMED lui dit à quel point il aime le faire et que MOHAMED lui dit à quel point il aime le faire. MOHAMED et JEMIA se dirent que MOHAMED était comblé de la félicité. MOHAMED et JEMIA se dirent que MOHAMED était comblé de la félicité.

MUHAMMAD

365

Et maintenant je vais vous dire des paroles de sagesse (Kisan el Masroul).

Mentôt, in Challah, vous pourrez vivre et travailler en paix, comme vous le voulez.

Savez-vous que les rebelles tuent les musulmans tous les jours. Pourquoi c'est parce qu'ils savent que vous ne voulez qu'une chose, travailler en paix pour pourrir vos mallem. Mais eux veulent vous faire peur pour vous démasquer et vous exploiter.

Ils sont dans l'erreur. Il y a 8 jours, un chef rebelle, appelé ABDOUL ADJOUZ, en Kabylie a demandé l'islam.

Il a dit et tout cela ne nous apporte que la misère et la faim. Il veut nous remettre du côté de la FRANCE. Il n'y a qu'avec la FRANCE que nous pourrions vivre et travailler en paix, donner nos mallem et les instruire.

Le chef, il a raison. Vous savez que la FRANCE ne vous veut pas de mal. Si elle avait voulu, elle aurait envoyé beaucoup d'avions et de tanks et elle aurait pu régler la question très vite. Mais elle n'a pas voulu tuer les femmes et les enfants, ni les hommes qui sont tranquilles.

Elle ne veut punir que les méchants, parce que les méchants apportent la mort et le sang. Même les Fellaghas, nous savons qu'ils

...../.....

ce sont pas tous méchants. Beaucoup d'entre eux ont été trompés en forcé au tour et de trahir (beaucoup méchants).

Bien plus, s'ils respectent leurs mallem, ils respectent de l'argent. C'est-à-dire, ils seront punis, s'ils demandent l'argent.

Vous savez bien que quand le fils a quitté la mallem et qu'il s'est marié, c'est un mallem. Quand il revient, c'est la fille et le père lui pardonne et lui le mallem (il est de la).

Voilà ce que nous voulons vous dire. Vous, vous le savez, mais il faut le dire à ceux qui ne savent pas. Bitez-le à ceux qui sont sortis du droit chemin (in Irak et Khorasan), pour qu'ils y reviennent et que, tous ensemble, nous réalisons la paix.

Salon mallem aux rebelles allah.
Salut à tous.

JE SAIS, JE SAIS, JE SAIS
PARI ENCORE, PARI ENCORE
EL Y A DES MEMES QUI SE SONT ENNEMES
PARCE QU'ON LES A ENNEMES
MAIS NOUS POUVONS
S'ILS SONT ENNEMES
RACHETER LE CALME ET LA PAIX
DANS LEUR EFFORT,
DANS LEUR COURSE,
PLUSIEURS QUI SE SONT ENNEMES,
ONT RETROUVE LA QUINTE
LE TRAVAIL
LES JOIES DE LA FAMILLE
CHUX QUI CONTINUENT LA LUTTE
PRATIQUENT LEONER,
INVAISONS AMIGRES NOI
PEUT-ETRE
ILS VAMBERONT DE JOUR OU L'AUTRE,
CEMBLES, SONT MORTS
JE FUS VIXI POUR FERTVS
QUE LES COPONS DE CUS JOURNAUX (FRANCAIS ET BRAS)
LEURS PLUS GRANDS CRENS
CEUX QUI PARLAIENT EN VOTRE NON (SOIX DIZANT)
SONT TOMBES ENTRE NOS MAINS
LA 'DEBILITE D'UN AVENIR SANS ISSUE EST FROCHE
IL FAUT QU'ILS LE COMPRENDENT,
ILS MENSURENT ENCORE UNE VIE DE FRANCAIS
SE VENGENT LE JOUR,
CHERCHENT CHACUN SOLE UNE NOUVELLE JOURNEE,
FRANCAIS A VOS FAMILLES DE VOS ENFANTS
UNE MORTIFICE DESA FEU AERODIEN

2/1/86

NOUS SOUFFRONS D'ACCIDENTS
POUR VOUS TOURNER PLUS VITE
VERS L'ESPoir QUI SE LEVE
LA VOIE DE L'AVENIR PEUT S'OUVRIR NOUS OUVRE
QU'AVEC LA PAIX ! ...
LE GRAND PONT (L'ASIM) D'ORLEANS, DEBAIN,
" 24 JOUR EST VENU POUR NOUS ZARDIL A LA NOIT
DEBOUTS COME LE FRALACHA NOUS OUVRE
NOUS TE SUPPLIONS,
O MENTISSE DE LA QUINTE,
DE NOUS FAIRE PROFITER PAR LES MILITAIRES
... NOUS AVONS QUINTE NOS PONES,
NOUS S'APARTE,
NOUS SOMMES VENUS VOUS PROTEGER
NOUS VOUS PROTEGE
ET VOUS PROTEGER
JE COMPTES SUR VOUS.
ET D'EST-CE QUE JE VOUS DEMANDE
DE M'AMER A M'AMER A NOUS
LES BOGRES QUI SE SONT MIS K.L.L.L.
CAR PLUS VITE LA PAIX VIENRA,
ET PLUS VITE NOUS ENFERMERONS
ENSEMBLE
DE RECONSTRUIRE
DE METTRE A EXECUTION
LES SAGESSES PROGRES
QUI PRODUIT DE L'ALGERIE MENTISSE,
VUS VRES PROGRES
ET REPENSES,
AUX CRIS MILAN POIS ENFERS DE !

VIVE LA FRANCE !

J'AI VOI CREE LE MORGELIN
CDS ENFANTS,
CES ENFANTS,
MILAIRES ? ...
- NON ! -
SANS - ALIENNES
TERMINONS PAR LA PAIX ! ...
IL FAUT QUE CREESE CE CHEM
ET POUR CELA

ORGANIGRAMME DU BUREAU PSYCHOLOGIQUE REGIONAL

Chef de Bureau :
Officier Adjoint :

Section	de Commandement et des Services	Action Psychologique	Guerre Psychologique	Documentaire Renseignements	Radio-Théâtre	Le Eled	S.C.A.
Attributions	Administration du B.P.R.	Action sur les troupes (ac- tal, informa- tions, etc..) les rebelles troupe - tions et sur les présente - tions et sur les générale - tions et sur les	Documenta- tion - tions et sur les générale - tions et sur les présente - tions et sur les générale - tions et sur les	Documenta- tion - tions et sur les générale - tions et sur les présente - tions et sur les générale - tions et sur les	Radiodiffusion Militaire - Tournées artis- tiques	Hebdomadaires Militaire	Production et diffusion de films. Repro- tages photo- graphiques. Travaux photo.
Composition	1 Off. Sub. (A)	2 Off. Sup. (R) 2 Off. Sup. (A) 2 Off. Sub. (A) 1 Off. Sub. (A)	1 Off. Sub. (R) 1 Off. Sub. (A)	1 Off. Sup. (A)	1 Off. Sup. (A)	2 Off. Sub. (A) 1 Off. Sub. (A)	2 Off. Sub. (A)
		134 Off. I.T. (A)	Ident 1 Off. Sp				

Total Officiers	Active	Réserve	A + R
Supérieurs	7	2	9
Subalternes	41	3	44
	48	5	53

NOTA - Le Service Social est placé par rapport au Bureau Psychologique Régional dans la position d'un service à l'égard d'un 4^e Bureau

الملحق رقم : 8، الهيكل الإداري و التنظيمي للمكتب النفسي للمنطقة المعاصرة للجيش الفرنسي
SHAT, 1H 1113/d.1, L'annex psychologique en 10^e Régio Militaire, n° 152/RM.10/CEM, Annexe I :

N° des Stages	D A T E	R E P O R T		R E S U L T A T S	
		1959	1960	1959	1960
B. 23	12	27	131	484	104
B. 24	4	17	101	27	164
B. 25	24	7	111	50	119
B. 26	14	28	66	35	7
TOTAL		79	316	616	304

ANNEXE N° 2
RENDU DE LA C.P.C.E.

N° des Stages	D A T E	R E P O R T		R E S U L T A T S	
		1959	1960	1959	1960
B. 1	15	23	12	9	29
B. 2	21	2	8	42	211
B. 3	4	16	24	23	65
B. 4	17	20	17	9	41
B. 5	1	14	61	44	117
B. 6	22	9	13	12	90
B. 7	6	10	59	24	54
B. 8	14	28	13	32	100
B. 9	2	19	5	28	58
B. 10	23	11	60	54	148
B. 11	15	20	37	25	99
B. 12	3	4	6	1206	2751
B. 13	20	7	77	13	86
B. 14	10	25	147	81	225
B. 15	1	17	24	54	194
B. 16	20	6	2	54	172
B. 17	9	23	61	49	166
B. 18	16	24	2	3	208
B. 19	17	25	11	11	300
B. 20	21	12	14	24	204
B. 21	24	7	2	23	228
B. 22	30	24	117	85	312
B. 23	1	15	72	46	117
B. 24	1	18	8	61	289
B. 25	12	9	123	83	197
B. 26	1	6	125	81	189
B. 27	1	5	2	4	102
B. 28	12	5	160	90	164
B. 29	2	5	71	30	207
B. 30	2	1	11	9	113
B. 31	11	5	23	16	208
B. 32	11	5	16	89	123
B. 33	8	7	20	50	133
B. 34	23	17	163	31	442
B. 35	22	6	20	25	164
A REUSSIR		251	1551	1020	3876

المحقق رقم 9 : جنرال فضلي بالبريد التي نظمتها مركز التدريب على حرب
التهديد و الحرب المعادة لحرب المصائد بأرزاق مع لوائح إجرائها و رتب الضابط
SHAT, LH 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel
Brige André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Centre
Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, annexe n° 3.

1/10

30/2.1968/IN
1^{er} BUREAU MILITAIRE
COMMANDEMENT DU G. G. 2^e
DIRECTION DES RESSOURCES
Moy. S. R. C. I. O. N.
ACTION PSYCHOLOGIQUE

PLANS DE DOCUMENTATION
NUMERO DE REFERENCE : 6.2

PLAN DE RECHERCHES DE RESSOURCES PSYCHOLOGIQUES

- a) RESSOURCES SUR LES POPULATIONS MILITAIRES MARIAGES
- Document l'état d'esprit des populations.
 - Réactions à la suite des séjours de biens privés, vacances, atrocités commises par les rebelles.
 - Médiocrité à la suite de destructions d'écoles ou d'établissements scolaires par les rebelles.
 - Parties engagées à la population par les opérations de maintien de l'ordre, répression à la suite de destructions ou de dommages causés par les groupes armés de l'ordre.
 - Craintes quant aux conséquences de l'arrivée de bagages militaires ou de forces de conditions de vie, difficultés de réajustement et situation sanitaire ; absence d'un terrain noir et de profiteurs.
 - Connaissances de la situation militaire et politique d'ensemble.
 - Relations entre éléments de la population et chefs rebelles (sympathie, abus d'autorité, corruption).
 - Médiocrité d'opinions politiques exprimées au sein de la population.
 - Connaissances dans l'avenir au sujet de rebelles.
 - Connaissances dans les esprits de l'Administration Française envers un pays.
 - Attitudes des chefs traditionnels et religieux.
 - Médiocrité d'émigration vers la FRANCE ou d'autres pays.
- b) Document la situation rebelle sur les populations :
- Existence de "Mouvements Politiques" au sein de la population.
 - Médiocrité d'engagement à l'égard des rebelles, bagages engagés, précédents utilisés, problèmes développés.
 - Evolution de l'efficacité de ces mouvements et degré de connaissance des objectifs de la rébellion et de stratégies pour ces objectifs.

- Degré d'implantation de l'infrastructure rebelle.
- Activités et méditations des rebelles au Royaume de la rébellion et rébellion in plus grande / relations à la suite de ces destructions.
- Connaissances l'efficacité de la propagande orale.
- Textes et journaux écrits, imprimés, etc.
- Réactions à la suite de ces textes.
- Implantation des rebelles qui semblent les plus efficaces.
- Contre-propagande faite dans la population par les "Commandements Politiques" contre-terroristes.
- Activités et méditations des rebelles sous-terraines (propagande des autres activités, réseaux administratifs, connaissance des fonctions à la situation militaire etc ...)

B) RESSOURCES SUR LES MARCHES REBELLES

- a) Document l'état d'esprit et le moral des rebelles.
- Parties engagées au moment ou par l'absence ou par l'absence de recettes.
 - Conditions de vie des familles et priorités de leur existence (manque d'argent, matériel des familles).
 - Médiocrité du foyer, de la France, des enfants.
 - Difficultés de réajustement.
 - Situation sanitaire ; conditions d'hygiène des malades et des blessés.
 - Connaissances des rebelles.
 - Médiocrité de confiance dans l'avenir du pays.
 - Connaissances de la victoire finale.
 - Craintes quant aux conséquences d'une victoire, d'une rébellion, espoir d'union, craintes de la mort.
 - Connaissances de la situation militaire et morale.
 - Connaissances de l'état sanitaire et moral de l'ennemi.
- b) Document la situation du groupe rebelle.
- Relations entre rebelles et forces, bagages de confiance dans le commandement.
 - Relations entre chefs.
 - Médiocrité d'engagement des rebelles ou de groupes militaires.
 - Médiocrité de corruption des rebelles.
 - Loyautés personnelles et dévouement aux chefs.

2/10

- 3 -

- Actes d'indiscipline et d'injustice à l'endroit des Unités, indignités des sacrifices consentis, des conditions de vie.
- Tous signes de décomposition dans les Unités.

c) Concernant l'Organisation, les techniques et les thèmes de la Propagande adressés par nos propres troupes.

- Méthodes de "Communication Politique" dans l'Unité, à quel écheveau?
- Méthodes d'enseignement : but recherché, moyens employés, résultats obtenus, thèmes développés.
- Evaluation de l'efficacité de cet enseignement : septennaires constatés, manque de confiance dans les objectifs de la lutte (ou ignorance de ces objectifs), réactions à la suite de ces séjours.
- Manque de confiance entre les Chefs Militaires et les Commandants Politiques.

d) Concernant l'efficacité de la Propagande Amie.

- Tracts et journaux envoyés, reçus, lus.
- Réactions des Individus et du Groupe à la suite de ces tracts.
- Evaluation des thèmes qui semblent les plus efficaces.
- Contre-propagande faite dans l'Unité, contre-sonnerie priant.
- Connaissance et renforcement des Troupes Françaises, des succès remportés par les Troupes Françaises.

e) - **RECHERCHES SUR LES MOYENS AMIS.**

- a) Concernant l'état d'esprit, le moral et la cohésion des Unités.
- Sur marches.

Cette recherche fait partie des missions permanentes de Commandement et des Services de Sécurité Militaire.

b) Concernant l'efficacité des propagandes amies.

- Méthodes de la Troupe ou des cadres à la suite de la lecture de tracts adressés.
- Evaluation des thèmes qui semblent les plus efficaces.
- Contre-propagande faite dans l'Unité. Manque de protection priant.
- Connaissance des procédés employés par l'ennemi et de la mise en garde contre eux.

QUESTIONNAIRE NOMBRE "A"

NOTE : les questions soulignées ne sont pas à poser à des prisonniers.

- Comment vous appelez-vous ?
- De quelle région êtes-vous, Quel âge avez-vous ?
- Où habitiez-vous avant de rejoindre les hors la loi ?
- Quel était votre métier ?
- Où réside actuellement votre famille ?
- Quand avez-vous rejoint les H.L.L. ?
- Pourquoi avez-vous rejoint les H.L.L. ?
- a) Par conviction personnelle ?
- comment avez-vous eu cette idée ?
- b) Par nécessité ?
- Pourquoi ? qui a fait pression sur vous ?
- Qu'en pensez votre famille ?
- c) Par contrainte ?
- Par qui, et comment avez-vous été enrôlé ?
- A-t-on menacé votre famille ? Comment ?
- Qu'est devenu votre famille après votre départ chez les H.L.L. ?
- Comment s'appelait le Chef de bande ? ses auxiliaires ?
- Votre commissaire Politique ?
- Quand avez-vous pris la décision de quitter les H.L.L. ?
- Qu'est-ce qui vous a poussé à les quitter ?
- Pourquoi n'avez-vous pas pu les quitter plus tôt ?
- Etiez-vous surveillés ? Pourquoi ?
- Avez-vous des contacts avec les habitants dans les douars ? dans les agglomérations ?
- Si la réponse est négative : Pourquoi ?
- Si vous avez pu parler aux habitants
- que craignent-ils le plus ? les représentations des H.L.L. ou les sélections des forces de l'Ordre ?
- que pensent en général les populations au sujet des H.L.L. ?
- que pensent-elles que la France finira par offrir et qu'elle quittera l'Algérie ?
- Habitants demandent-ils de l'argent ou des vivres de force ou de bon gré ?

.../...

- 2 -

- Les habitants renseignaient-ils les H.L.L.
 - si la réponse est positive : Spontanément ou par contrainte ?
 - Les femmes sont-elles, à votre avis favorables aux H.L.L. ?
 - En avez-vous vu dans les bandes H.L.L. ?
 - Que faisaient-elles ?
- Avez-vous des causes politiques ?
- Si la réponse est positive : - tout les combien ?
 - que disait-on ?
 - la propagande des H.L.L. utilisait-elle des arguments religieux ?
- Les H.L.L. faisaient ils des causeries de propagande aux habitants ?
- Si la réponse est affirmative :
 - que leur disait-on ?
 - qu'en pensaient les habitants ?
 - Les habitants étaient-ils forcés d'y assister ?
- Que pensent les habitants de votre propagande ?
- Sont-ils intéressés ou inconnus ?
- Que dirions nous leur dire à votre avis ?
- Les H.L.L. empêchent-ils les habitants d'assister à nos réunions de propagande ? De quelles représentations les menacent-ils ?
- Nos séances de propagande sont-elles commentées par les habitants entre eux ? par les H.L.L. aux habitants ? que disent-ils ?
- Dans votre bande, avez-vous déjà vu des tracts faits par les forces de l'ordre ? Les H.L.L. les interviewent-ils, les commentent-ils ?
- Les H.L.L. vous commentaient-ils ?
- les nouvelles du journal ? (quels journaux ?)
- Les nouvelles de la Radio ? quels postes ? (ALGER, PARIS, TUNIS, LE CAIRE LA VOIX DE L'ALGERIE LIBRE ?)
- la propagande française d'une manière générale ?
- Quel est à votre avis le meilleur moyen de s'adresser aux H.L.L.
 - par tracts ?
 - par radio ?
 - par l'intermédiaire des familles, des habitants ?

.../...

المسئول رقم 11 : قائمة الأسئلة التي كان يتم طرحها على المصدر. SHAT, 1H 2581/d

- Avez-vous la radio dans votre bande ?
Si la réponse est positive : Est-ce que vous pouvez l'écouter ?
Si non : Pourquoi ?
- Etiez-vous payés ? Régulièrement ? Combien par mois ?
- Comment étiez-vous armés ? Ravitaillés ? Soignés ?
- Les familles des H.L.L. touchent-elles les allocations familiales ? Combien ? Des indemnités en cas de décès ? Combien ?
- Avez-vous la possibilité de recevoir ou d'écouter des lettres (Comment) ?
- Comment circule l'argent ?
- Les H.L.L. utilisent-ils des bureaux de poste ?
- De quoi les H.L.L. manquent-ils de plus ?
- Souffrent-ils d'être séparés de leur famille ?
- Avez-vous connaissance d'émotions commises par les H.L.L. ?
- Les rebelles considèrent-ils ces émotions comme indépendantes ? Inutiles ? Criminelles ? Comme des victoires ? Comme sans importance ? (indifférence) ?
- Êtes-vous allés en Tunisie (1) ? Si la réponse est positive :
Quand ? Où ?
Combien de temps ?
Qu'y avez-vous fait ?
- Les camps en Tunisie (1) sont-ils bien aménagés ?
Y existe-t-il des dépôts d'armes, de munitions, de vivres ?
- La population tunisienne (2) aide-t-elle les H.L.L. ?
Les soldats tunisiens aident-ils les H.L.L. ? Y en a-t-il dans les camps de Tunisie (1) ?
- Avez-vous des tunisiens dans votre bande (3) ? Dans d'autres bandes ? Quelles étaient leurs relations avec les H.L.L. algériens ?
- Si l'intéressé parle français :
- Où avez-vous appris le français ?
- Êtes-vous allé en France ?
- Qu'y faisiez-vous ?
- Y avez-vous des relations avec des membres du F.L.N. ou des communistes français ? Quand ? Où ? Comment ?

.../...
(1) Ou au Maroc
(2) Ou Marocains
(3) Ou des Marocains.

- Pouvez-vous lire le journal ?
Si la réponse est positive : Quels journaux lisez-vous ?
ou l'Echo d'Alger ou d'Oran
Lisez-vous la Dépêche de Constantine ? Des journaux de Métropole ? Lesquels ?
- Vos chefs commentaient-ils les nouvelles ? Avez-vous l'impression qu'ils vous dissimulent la vérité ?
- Vous promettaient-ils l'aide des Russes ?
des Egyptiens ?
- Si la réponse est positive : Les hommes y croyaient-ils ?
Êtes-vous allés en Tunisie ? (1)
- Si la réponse est positive : Quand ? Où ?
Combien de temps ?
Qu'y avez-vous fait ?
Comment vit la population ?
Y a-t-il du chômage ?
- Les Chefs H.L.L. vous parlaient-ils des communistes ?
- Si la réponse est positive : Étaient-ils inquiets de leur influence ?
- Les grands responsables H.L.L. venaient-ils vous visiter ?
Si la réponse est négative : Avez-vous où ils étaient et ce qu'ils faisaient ?
- Si la réponse est positive : Vos Chefs s'entendaient-ils entre eux ?
Y avait-il des bandes rivales de la votre ?
- Avez-vous de l'argent ? Où le prenez-vous ? Comment ?
- Que pensaient les habitants lorsque vous leur demandiez de l'argent ?
- Que faisiez-vous quand ils refusaient de vous en donner ?
- Excusiez-vous de vous être ralliés ?
- Les autres collègues de votre bande sont-ils fatigués de la vie que vous menez ?
- En comparant ceux qui voudraient, comme vous, quitter les H.L.L. ?
- Savent-ils que la France est généreuse pour ceux qui ont été trompés et qui se rallient ?
- Si la réponse est négative ? Pourquoi ?

vous que ce soit possible au cours d'un combat ?
- Il leur dit d'après vous ?
- Ce qui retient les H.L.L. de se rallier ?
- L. vivent-ils avec leurs hommes, et comme leurs hommes ?
- Ces craignent-ils leurs chefs ?
- Ont-ils pas s'en débarrasser ? Pourquoi ne le font-ils

QUESTIONNAIRE " B "

NOTE : Les questions soulignées ne sont pas à poser à des prisonniers.

- Comment vous appelez-vous ?
- De quel pays êtes-vous ? Quel est votre âge ?
- Où habitiez-vous avant de rejoindre les H.L.L. ?
- Quel était votre métier ?
- Quand avez-vous rejoint les H.L.L. ?
- Pourquoi avez-vous rejoint les H.L.L. ?
- a) Par conviction personnelle ?
 - comment avez-vous eu cette idée ?
 - Par nécessité ?
 - Pourquoi ? qui a fait pression sur vous ?
 - Qu'en pensait votre famille ?
- c) Par contrainte ?
 - Par qui et comment avez-vous été enrôlé ?
 - a-t-on menacé votre famille ? Comment ?
 - Comment s'appelaient le responsable de votre bande ?
 - Où était stationnée votre bande ?
 - Quand avez-vous pris la décision de quitter les H.L.L. ?
 - Qui est-ce qui vous a poussé à les quitter ?
 - Étiez-vous las de la vie des H.L.L. ? avez-vous compris que la rébellion était vouée à l'échec ? avez-vous vu l'insuccès du bras armé ?
 - A la suite d'appels faits par la radio, par des hauts-parleurs ?
 - Pourquoi n'avez-vous pas pu quitter plus tôt les H.L.L. ?
 - Étiez-vous surveillés ? Pourquoi ?
 - Vous accordait-on facilement des permissions ?
 - Si la réponse est négative : Vos Chefs traquaient-ils que vous ne reveniez pas ?
 - Pourriez-vous dire librement ce que vous pensiez ?
 - Si la réponse est négative : Pourquoi ? Punissait-on ceux qui exprimaient leurs opinions ?
 - Est-ce que beaucoup d'entre vous étaient mécontents de la vie qu'on leur faisait mener ?

Source : SHAT , MH 2581 /D2 Directives et notes de service pour interrogatoire et compagnie de ralliement 56- 59.

DECLARATIONS DU NOMME M. [REDACTED]
Rebelle rallié à MORSOTT (Zone Est Constantinnoise)
Interrogatoire fait le 27.02.1957

- Q/- Que pensez-vous du moral de la population musulmane ? Y a-t-il un changement à l'heure actuelle ?
- R/- Dans la population musulmane existe une profonde lassitude. On peut même dire qu'une certaine opposition se manifeste qui forme peu à peu des clans d'opposition. Ils se permettent de parler.
- Q/- Qui en disent les meshouls ?
- R/- Les Meshouls n'arrivent pas à trouver le moyen de ramener ces gens là car tout ce qu'ils ont dit jusqu'à maintenant se retourne peu à peu contre eux.
- Q/- Entre les rebelles et leurs comparses directs et les opprimés y a-t-il de gens qui ne savent pas vers qui se tourner ?
- R/- Non. Tous les gens s'interrogent sur les événements. Il ne peut pas y avoir de gens insensibles. Les gens ne sont plus comme avant, ils cherchent tous à se renseigner.
- Q/- Quelles sont les raisons de ce changement ?
- R/- Il y a la dette en premier lieu. L'argent gagné passe vite entre les mains des rebelles. Les provisions sont finies. La pluie ne tombe pas, la récolte sera mauvaise et les moutons n'ont plus de lait.
- Q/- Comment se fait-il que les provisions cette année se soient aussi vite tarées ?
- R/- Les habitants des douars ont fait moins de provisions que l'année dernière.
- Q/- Pourquoi ?
- R/- On nous avait dit que la fin était proche. On nous avait dit que 7 janvier puis le 15 janvier, puis le 28 janvier c'était la dernière semaine. Alors les habitants l'ont cru et ils n'ont pas fait de provisions.
- Q/- Qui sont les plus acharnés à continuer ?
- R/- Ce sont les chefs et puis les possédants et puis les villageois.
- Q/- Pourquoi les chefs ?

- R/- Ils profitent de la situation et il leur est toujours possible de se sauver en Tunisie et de vivre paisiblement.
- Q/- Et les possédants ? Pourtant c'est eux qui donnent le plus aux fellagas .
- R/- Oui mais ils ne font plus de politique. Ce ne sont pas les pauvres qui font de la politique. Ce sont ceux qui ont des boutiques, qui ont un cheptel, qui parlent politique. Ils sont devenus maintenant, communistes.
- Q/- Depuis quand ?
- R/- Depuis que le France a battu MASSER.
- Q/- Que disent-ils aux habitants ?
- R/- Ils disent cela : on ne peut pas compter sur NASSIR parce que maintenant il ne peut plus nous aider. Mais les Russes peuvent nous aider en empruntant la route de l'Egypte et de la Tunisie.
- Q/- Les auditeurs sont-ils prêts à changer la France contre la Russie ?
- R/- Ce n'est pas ça. Les communistes nous disent ceci : pour que les Russes nous aident, nous leur avons joué pour 5 ans par l'intermédiaire de BOURGUIBA tout ce que les Français possèdent. Au bout de 5 ans, tout nous reviendra.
- Q/- Et dans les villages ?
- R/- Dans les villages c'est une question d'intérêt. Les commerçants veulent que tout cela dure car leur bénéfice augmente depuis l'arrivée des militaires. Pour ne pas être brisés après de la rébellion, ils paient la dîme et renseignent les rebelles les jours de marché par l'intermédiaire des maquisards qui transportent des lettres et de l'argent. Ils se mettent en commun comme les mozabites et passent l'hiver les magasins de quelques uns par les autorités de façon à être couverts des deux côtés.
- Q/- La population des douars voudrait donc venir à nous ! Mais alors qu'est-ce qui les empêche ?
- R/- D'abord ils ont cru que la rébellion gagnerait. Maintenant ils voudraient bien revenir mais ils ont peur des représailles.
- Q/- Quelles représailles ?
- R/- Les représailles des rebelles contre leur famille et leur biens et puis les représailles des militaires qui peuvent les mettre en prison. Les rebelles disent que les Français les tuent après l'ordre.
- Q/- Tu sais bien toi que c'est faux.
- R/- Oui mais lorsque j'étais avec eux, je ne le savais pas.
- Q/- Les chefs ont-ils confiance en leur troupe ?
- R/- Personne n'a confiance en son voisin. On change sans arrêt de groupe pour que l'ami ne puisse pas mettre entre deux rebelles. On ne reste pas plus d'une nuit chez le même habitant.
- Q/- Qui sembler le plus las parmi les rebelles ?
- R/- Ce sont les jeunes surtout parce qu'ils ne savent pas pourquoi ils se battent. Ils sont commandés et c'est tout mais ils n'ont pas le droit à la parole.

Q/- Les chefs s'entendent très bien entre eux ?
 R/- Ne crains pas cela. Ils se disputent pour le terrain où ils travaillent. Il y en a eu plusieurs qui sont morts en Tunisie à la suite de batailles.
 Q/- Sais-tu qui sont ces chefs ?
 R/- Je ne sais pas. C'est un bruit qui court mais on ne le dit qu'à son ami.
 Q/- Comment se fait-il que des habitants sont tués par les rebelles ? Pour quelle raison sont-ils égorgés ?
 R/- Presque toujours ce sont des histoires de femmes ou bien quand ceux qui possèdent du bœuf ne veulent pas que leurs enfants partent dans la montagne. Ils les en traitent de force et à toute tentative de fuite ils les tuent ou bien égorgent une personne de leur famille. C'est toujours des histoires de femmes ou d'argent sinon les autres ne sont pas intéressants.
 Q/- Quand les habitants voient arriver la troupe que pensent-ils ?
 R/- Ils en ont l'habitude. Ils ont peur des avions et des tanks.
 Q/- Qu'en disent les rebelles ?
 R/- Ils se demandent où les Français peuvent trouver tout cela. Ils disent qu'on ne peut pas continuer à se battre avec des fusils contre eux, qu'il faut aussi des tanks et des avions.
 Q/- Comment comptent-ils en avoir ?
 R/- Avant je te l'ai dit, un croyant que NASSER allait venir, maintenant on dit que ce sont les Russes.
 Q/- Les rebelles croient-ils vraiment à ça ?
 R/- Ils ne croient plus mais ils ne peuvent pas le dire qu'ils pourraient tout arrêter ils le feraient mais comment ?
 Q/- Nous vous avons dit comment il fallait faire.
 R/- Jamais nous n'avons entendu parler de cela.
 Q/- Avez-vous trouvé des tracts ?
 R/- Oui. Une fois j'en ai vu un.
 Q/- Où en faisiez-vous ?
 R/- Nous les portions au Meshoul ou au chef de groupe parce que nous savons pas lire et puis parce que c'était un ordre.
 Q/- Que disaient les chefs ?
 R/- Ils nous disaient : voilà des papiers qui viennent de TUNIS. Hier nous avons vu 5 camions de Français.
 Q/- Crois-tu que nous pourrions nous aussi jeter des tracts pour leur dire comment se rendre, comment obtenir le pardon ?
 R/- Oui mais dans la montagne.
 Q/- Et s'ils ne savent pas lire qu'en feront-ils ?
 R/- Il faut dire dans les douars et les mechtas ce que contiennent le tract. Les chefs ne pourront pas lire le contraire.

Q/- Quand la troupe monte dans la mechta pour parler à la population, comment doit-elle procéder ?
 R/- Il ne faut pas fouiller. Il faut leur dire de venir écouter. Il faut leur dire que nous ne venons pas pour vous battre. Ensuite il faut leur dire : ceux qui sont avec la France se mettent à droite; ceux qui sont avec les rebelles à gauche. Les rebelles font comme cela mais en sens contraire. A ce moment là il faut faire une cérémonie du Drapeau. Et puis ensuite il faut faire parler une personne qu'ils connaissent ou un vieux du village. Cette personne leur expliquera comment il faut se rendre, la France ne fait pas de mal à celui qui se rend.
 Q/- Et pour toucher ceux qui sont dans la montagne avec les rebelles ?
 R/- Ce sont les parents qui leur disent. Et puis ce sont surtout les femmes qui n'ont pas vu leur mari depuis longtemps. Elles s'arrangeront pour leur faire porter des lettres en cachette.
 Q/- Il y a des rebelles en permission dans les villes ?
 R/- Oui mais ils ont peur car leur famille est gardée pendant ce temps là ils pourraient se rendre si leur famille était à l'abri.
 Q/- Est-ce que nous pouvons faire venir à nous un groupe entier de rebelles ?
 R/- C'est impossible, il y a trop de suspicion entre eux. Ils ne peuvent se sauver que tout seul ou bien encore quand ils sont encerclés.
 Q/- Fais moi comprendre.
 R/- Une fois j'étais encerclé. Je suis passé à 5 m. d'un militaire mais je n'ai pas pu me rendre parce que je savais qu'il ne parlait pas arabe, il m'aurait tiré dessus. Quand les militaires nous cherchent, chacun part de son côté. Mais ceux qui veulent se rendre ne savent pas comment faire.
 Q/- Que devraient faire alors les militaires.
 R/- Il faut qu'ils disent aux gens encerclés ce qu'ils doivent faire à l'aide de "machines qui crient au loin". Les chefs ne savent pas qui s'est rendu et qui est prisonnier alors ils ne peuvent pas se venger sur les familles. Mais il ne faut pas montrer ces rebelles qui se sont rendus, il faut prévenir la famille sans que personne le sache.
 Q/- Mais ces joutes qui veulent se rallier que veulent-ils faire ensuite ?
 R/- Ils voudraient s'engager dans les G. M. P. R. ou bien faire des groupes pour défendre leurs parents.
 Q/- Crois-tu qu'on puisse leur faire confiance tout de suite dès qu'ils seront revenus.
 R/- Ah non ! Il faut qu'ils montrent leur bonne volonté. Il faut qu'ils disent tout ce qu'ils savent et puis qu'ils servent la troupe française. Après il faudra les habiliter en parachutistes et c'est fini.

1997

RECRUTEMENT DE L'ARMEE A LA PAACIFICATION

- Dans les rangs de l'Armée en cours des formations suivantes :
 - Bataillon : 57.000
 - P.M.A. : 9.400
 - Régiment : 19.450
- auto-différentes : 55.859 dans 29.270 armées (séparées en 2.107 groupes)
- appelés et engagés : 63.000

soit un total plus de 217.000 P.M.A.A. alors que l'effectif moyen des unités est de 6.000 réguliers.

Role de rôle politique et l'Administration

- Algérie : 46. P.M.A.A. sur un total de 87 pour l'Algérie
- Conseillers Généraux : 250 P.M.A.A. " " de 452 " "
- Conseillers Municipaux : 11.250 P.M.A.A. " " de 14.000 " "
- Fonctionnaires : 20.000 P.M.A.A. dont 1 Ministère
1 Préfet
et plusieurs sous-Préfets.

المحقق رقم 13/ بعض الأرقام حول مساعي الإدارة
الفرنسية لمنع الجزائريين بأجهزة و هيئاتها للحد من
SHAT, 1H 2538/d.1, « Participation de
l'Armée à la pacification »

RECRUTEMENT DE L'ARMEE A LA PAACIFICATION

- Armée participe à l'administration :
 - 4.257 officiers et 770 Sous-Officiers
 - dirigent 77 P.M.A. (Sections Administratives spécialisées)
 - ou G.A.S. (Sections Administratives spéciales)

- Armée Invoqué :
 - 2.124 militaires-Administrateurs
 - soit 192.261 d'ici
 - dont les 1.616 déclassés exercent
 - et exercent constitutives pour l'Armée.

L'Armée Force :

- 67 Centres de Formation Professionnelle - 270 militaires
- 57 C.F.P.A. (Centres de Formation de la Jeunesse Algérienne)
- 863 Etablissements de Formation pour 1.000 militaires P.M.A.A. soit de 18.000 OFFICERS
- 51 Etablissements de Jeunes
- 150 Officiers - 700 Sous-Officiers ont été promus en 1993.

L'Armée soigne :

- 707 Médicins militaires exercent près de 1.500.000 consultations gratuites (A.M.O.) par an
- 245 Equipes Médico-Sociales Interarmées (M.S.S.I.) exercent dans le Sud
- 615 Services médicaux ont été créés.

L'Armée construit :

- Pès de 2.150 kmms :
- pratiquent 234 chantiers civils
- construit sur les 263 chantiers ouverts par l'Armée.

Evolution de l'engagement des F.S.M.A. dans l'Auto-Defense

	30.6.1978	30.6.1979	1.6.1980
Nombre de villages en Auto-Defense	800	1.190	1.410
Nombre de villages en armes	15.000	23.470	35.000

Evolution des Forces de Base dans l'Auto-Defense

	30.6.1977	30.6.1978	30.6.1980
Officiers F.S.M.A.	1.800	2.800	272
Officiers F.S.M.A. Caporaux	1.220 (0,6)	5.900	3.200
Officiers F.S.M.A. Caporaux			6.566

	1979	1 ^{er} trimestre 1980
Officiers F.S.M.A.	120	42
Officiers F.S.M.A. Caporaux et Caporaux	686	328
Officiers F.S.M.A. Caporaux	3.200	1.292

	1979	1980 (1.6)
Officiers F.S.M.A. Caporaux	25	37
Officiers F.S.M.A. Caporaux	5.160	9.270

Effectifs militaires et suppléants auto-Defense

1977	1980
297.750	195.000
30.000	35.000
	260.000

Evolution de l'engagement des F.S.M.A. dans les Unités Militaires de l'Ordre

Unités Militaires	1.1.1977	31.12.1977	30.6.1978	1.6.1980
Armes	6.000	11.500	23.200	35.200
Armes	14.000	14.000	21.200	29.200
Total unités militaires	20.000	25.500	44.400	64.400
Unités Militaires de l'Ordre				
Militaire	2.200	10.000	41.500	57.500
Caporaux	3.400	12.000	19.000	18.000
Caporaux	3.500	3.200	6.000	6.900
Total Unités Militaires	9.100	25.200	66.500	82.400
Total général des F.S.M.A. dans les M.U.	29.100	50.700	110.900	146.800

Pourcentage des défections en Armée (unité par mille)

	1977	1979	1980 (semestre)
Militaire	4,23	1,25	1,27
Suppléaire	1,13	0,49	0,44

Pourcentage des recrutements équivalents à l'appel, avec les départs

	1977	1978	1979
Recrutement équivalent à l'appel	54,5	66,5	70,5

المسح رقم 13 يعرض الأرقام حول مساعي الإدارة الفرنسية للمسح الجزائري بالجزائر و هيئات المصدر: SHAT, IH 2578/d.1, « Auto- défense des populations »

REPUBLIQUE FRANÇAISE
 SECRETARIAT D'ETAT AUX FORCES ARMÉES " TERRE "

90/12/90/100
 018

STAT-MAJOR DE L'ARMÉE

CABINET

SECTION PSYCHOLOGIQUE ET DU MORAL

Paris, le 26 OCT 1956

N° 20.937 BACHA
 BEYACOR

SECRET

pour
 H. Le SECRÉTAIRE D'ETAT AUX FORCES ARMÉES " TERRE "

Stat-Major Particulier

O. B. J. E. I. : Propagande et méthodes de pacification

REMERCIER : D.M. N° 2994/SEFAT/GAS/ENP/OB du 5 Octobre 1956.

Et. D.M. cité en référence, M. le Secrétaire d'Etat a attiré l'attention du Général Commandant la 10ème Région sur le développement de la propagande anti-française exploitant le thème de la " Kabylie " de l'Armée dans la répression " et sur la nécessité de réaffirmer la volonté d'augmentation de l'Armée, à tous les échelons, et de la confondre.

Cette campagne, thème majeur de la propagande rebelle au cours des derniers mois, renforcée par une certaine presse s'appuyant sur quelques faits précis mais grossis, a été sans atteindre certains éléments de nos troupes en Algérie.

Bureaux, articles de journaux, conversations rapportées... ont trouvé une certaine audience auprès de jeunes gens mal informés, et ont progressivement réussi à créer, particulièrement aux petits échelons (1), une sorte de orisme de conscience, de psychoses de culpabilité collective qui, sans être encore bien précises, s'en existe pas moins.

De tels sentiments risquent d'affaiblir la confiance de l'Armée dans l'honneur de la cause française en ALGERIE et dans le commandement qui serait supposé tolérer de telles attitudes.

(1) officiers subalternes, cadres sous-officiers, appelés et surtout rappelés et maintenus.

II.-

Aussi le Général Chef d'Etat-Major de l'Armée estime-t-il qu'une mise au point immédiate s'impose et qui devrait toucher le plus grand nombre possible d'interlocuteurs.

Il lui semble nécessaire de " débrider " ce débat d'abord visuellement, par un paragraphe d'un article, dont le fond et la forme seraient particulièrement étudiés, faisant état de quelques faits précis, connus et incontestables et mentionnant que chaque fois des sanctions sévères ont été prises à l'encontre de leurs auteurs.

Il soulignerait que ces faits ont été exceptionnels et en raison même de ce caractère, colportés et grossis au point que des vœux mal intentionnés ou parfois inconscients les ont généralisés.

Il insisterait enfin sur la vérité : dans la grande majorité des régions la pacification a été menée avec le grand succès comme le préciseraient les directives du Commandement, qui il serait opportun de rappeler.

Le plan " naturelle pour cette mise au point semble être le BESOIN de la diffusion de toute l'Armée française. Il faudrait pour certains journaux de la grande presse se faire l'écho de cette mise au point car il ne saurait y avoir de conscience de la FRANCE vis-à-vis du problème algérien : celle des militaires et celle des civils.

III.-

Enfin le Général Chef d'Etat-Major de l'Armée appelle l'attention de M. le Secrétaire d'Etat sur l'urgence de cette mise au point : il serait fâcheux en effet que des récits fantaisistes faits par des rebelles, viennent alimenter la FRANCE et par les journaux français à l'étranger la propagande déformée plus laite.

Le retour des rappelés est à peine amorcé, plus vite cette mise au point sera faite, plus grand sera le nombre de ceux qu'elle atteindra.

المدمق رقم 14 : حيا مبررات الجيش الفرنسي : عبثا
 على اساليب العاطفة التي يمكن ان تهدم قيادة الجيش
 للحفاظ على هاته المبررات
 الفصل : الصلور
 SHAT, IH 2577/d.1, « Propagande :
 contre le FLN ou en rapport avec le FLN »

ملحق رقم 15 :

الملحق رقم 16 : بين لنا المراحل السبعة في تطبيق
النشاط النفسي على الشعب الجزائري كما حدده
إحدى الصلبيات الموجهة إلى ضباط الجيش.
ملاحظة : لتسهيل قراءة الملحق أعدنا كتابته من الخلف
المصدر :

104 SECTION MILITAIRE
20 D.I.E. à T.S.G.
Secteur de GUELMA -
Quartier Sud
N° 15 / 10713

NOTE

1. L'ATTENTION DE TOUTES LES OFFICINES

Exhortation sur la population -

I - Il est devenu un lieu commun de rappeler le fait de la guerre subversive, idéologique, ou révolutionnaire :

Exhorter et tenir la population -

Malheureusement, certains cadres de l'armée d'Algérie, par goût, par attitude, par défaut de jugement, peut être même par paresse intellectuelle, ne veulent pas vraiment comprendre cette situation, affirmée par tous nos adversaires et confondant la fin avec le moyen, prétendant régler le problème qui leur est posé par la seule lutte armée.

Pourtant, plusieurs directives, diffusées par le Haut-Commandement, et la dernière note du 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 29, 30, 31 du Général, Commandant la Z.S.G., que tous les officiers doivent lire et méditer, ont clairement exposé, la nécessité inéluctable de cette action sur la population, et les méthodes à adopter pour la rendre efficace.

II - Pour réussir et tenir la population, nous bien diriger nos actions, que nous dirigerons il faut :

- la connaître
- la défendre
- la convaincre
- l'organiser
- la faire participer à la lutte

1°) Connaître la population, suppose des contacts fréquents, destinés à l'appréhender quantitativement et qualitativement, (rassemblements et contrôles) à s'intéresser à ses problèmes, à participer à sa vie, à susciter sa confiance, (palabres, visites à domicile, création d'un bureau confidentiel à recevoir la population, participation aux fêtes et cérémonies, par exemple).

2°) Défendre la population suppose une des formes de la lutte armée, aussi bien offensive par la destruction des bandes et de l'O.S.P.A., que défensive des personnes, des biens et des activités. Cette défense demande que soient prises certaines mesures, déplacements, rassemblements, réassemblés, interventions de différents cadres, et il est vivement conseillé de pourvoir et d'expliquer.

3°) Convaincre la population de la justice, et de l'intérêt de notre cause, exige un effort intense d'action psychologique, basé à l'aide de tous les moyens à notre disposition, qui mette l'accent à la fois, sur l'idéal de liberté, d'égalité et de fraternité imposés à la population et sur les progrès et réalisations culturelles, économiques, sociales, ainsi qu'au respect de la loi, par les pouvoirs publics.

4°) Organiser la population, c'est édifier dans chaque commune, douar, section, une structure verticale de responsabilité qui partent à la base de la maison ou du groupe

الملحق رقم 16 :
يبين لنا المراحل المتبعة في تطبيق النشاط النفسي على الشعب الجزائري
كما حددته إحدى التعليمات الموجهة إلى ضباط الجيش.

10° REGION MILITAIRE
2 E D. I. M. ET 2.E.C.
SECTEUR DE GUELMA
QUARTIER NORD
N° 43 / QN / 5

Note

A L'INTENTION DE TOUS LES OFFICINES

L'action sur la population :

I - Il est devenu un lien commun de rappeler le but de la guerre subversive, idéologique, ou révolutionnaire :

Conquérir et tenir la population :

Malheureusement, certains cadres de l'Armée d'Algérie, par goût, par atavismes, par défaut de jugement, peut être par paresse intellectuels, ne veulent pas encore comprendre cette évidence, affirmée par tous nos adversaires et confondent la fin avec l'un des moyens, prétendent régler le problème qui leur est soumis par la seule lutte armée.

Pourtant, plusieurs directives, diffusées par le Haut-Commandement, et la dernière note n°308, 348, 388 /ZEC du Général, Commandant la Z.E.C., que tous les Officiers doivent lire et méditer, ont clairement exposé, la nécessité inéluctable de cette action sur la population et les méthodes à adopter pour la rendre efficace.

II - Pour acquérir et tenir la population, aussi bien d'origine européenne, que Nord Africaine il faut :

- La connaître
- La défendre
- La convaincre
- L'organiser
- La faire participer à la lutte.

1°) Connaître La population suppose des contacts fréquents, destinés à l'apprécier, quantitativement et qualitativement, (recensements et contrôles) à s'intéresser à ces problèmes, à participer à sa vie, à susciter sa confiance, (palabres, visites à domicile, création d'un bureau destiné à recevoir la population participation aux fêtes et cérémonies, par exemple).

2°) Défendre la population représente une des formes de la lutte armée, aussi bien offensive par la destruction des bandes et de l'O. P. A. que protectrices des personnes, des biens et des activités. Cette défense demande que soient prises certaines mesures, déplacements resserments, recensements, interdictions de différents ordres, qu'il convient de peser et d'expliquer.

3°) Convaincre la population de la justice et de l'intérêt de notre cause, exige un effort intense d'action psychologique, mené à l'aide de tous les moyens à notre disposition, qui mette l'actio à la fois, sur l'idéal de liberté, d'égalité et de fraternité proposée à la population et sur les projets et réalisations culturels, économiques, sociaux conçus et entrepris ici, par les pouvoirs publics.

La mise en œuvre de ces tâches intermédiaires et celle du matériel d'application, est à compléter et à assurer par des méthodes horaires, les heures ne limitant pour le Quartier Nord, aux actions complémentaires, à la jeunesse, et aux femmes.

L'Organisation verticale doit être au début et pour des raisons de sécurité, presque partout clandestine. Elle permet avant tout de faire connaître aux autorités les besoins et les aspirations de la masse, que de diffuser à chaque individu les mots d'ordre, et les messages du Commandement.

7°) Faire participer la population à la lutte (renseignements, auto-défense, barrières U.F. etc....) constituer la base de cette action.

Le jour et, comme, défendus, convaincus, organisés, les hommes et les femmes d'Algérie seront transformés en partisans armés physiquement et moralement, la rébellion aura perdu toute chance de survie.

III - Les impératifs de la lutte armée, comme les missions imposées par le Commandement ont conduit jusqu'ici le Quartier Nord et singulièrement le 1/151, de consacrer à l'action directe sur la population le temps et l'énergie nécessaires.

Le barrage tient, la période électorale est terminée, les bandes rebelles se dilabrent sous nos coups, nous devons et nous devons maintenant réserver une part plus importante de nos efforts à cette action.

Les Commandants des Sous-Quartiers, en liaison avec le 5^e Bureau du Quartier, étudieront dans et proposeront pour le 15 Mai, un plan d'application concret des principes et des méthodes exposés dans la présente note.

Le but visé est que la population soit organisée valablement d'ici le 1er Juin et que sa participation progressive à la lutte atteigne une pleine efficacité à la fin de l'année.

Le Chef de Bataillon **MAUCHEMONT**,
Commandant le Quartier Nord.

Signé **MAUCHEMONT**



Distribution :

- Les Commandants des Sous-Quartiers de
- HELIOPOLIS (2 ex.)
- BELLESMAN (4 ex.)
- GADIERI (2 ex.)
- Et les Commandants des
- P.C. de Secteur (3 ex. chacun).
- P.C. Bataillon (2 ex.)
- * pour diffusion à tous les Officiers "
- * relevant de leur commandement "

Copies à : Monsieur le Colonel, Commandant le
Secteur
" à titre de Compte Rendu "

4°) Organiser la population, s'est édifier dans chaque commune, douar, mechta, une hiérarchie verticale de responsables qui partant à la base de la maison ou du gourbi aboutit après plusieurs étages intermédiaire au chef ou au comité d'agglomération. C'est compléter et l'assurer par des hiérarchies horizontales, qu'on peut limiter pour le quartier Nord, aux anciens combattants, à la jeunesse, et aux femmes.

L'organisation verticale doit être au début et pour des raisons de sécurité, presque partout clandestine. Elle permet aussi bien de faire connaître aux autorités les besoins et les aspirations de la masse, que de diffuser à chaque individu les mots d'ordre, et les consignes du Commandement.

5°) Faire participer la population à la lutte (renseignements, auto- défense, harkis U.T etc...) constitue le terme de cette action.

Le jour où, connus, défendue, convaincus, organisés, les hommes et les femmes d'Algérie seront transformés en partisans armés physiquement et moralement, la rébellion aura perdu toute chance de survie.

III) – Les impératifs de la lutte armée, comme les missions imposées par le commandement ont empêché jusqu'ici le Quartier Nord et singulièrement le 1/151, de consacrer à l'action directe sur la population le temps et l'énergie nécessaire.

Le barrage tient, la période électorale est terminée, les bandes rebelles se disloquent sous nos coups, nous pouvons et nous devons maintenant réserver une part plus importante de nos efforts à cette action.

Les Commandements des Sous- quartiers, en liaison avec le 5° Bureau du Quartier, étudieront donc et proposeront pour le 15 Mai, un plan d'application concret des principes et des méthodes exposés dans la présente note.

Le but visé est que la population soit organisée valablement d'ici 1^{er} Août et que sa participation progressive à la lutte atteigne une pleine efficacité à la fin de l'année.

Le chef de Bataille MOUCHONNET
Commandant le Quartier Nord
SIGNE : MOUCHONNET

Destinataires :

- MM. Les Commandants des Sous quartiers de :
 - HELIOPOLIS
 - KELIERMANN
 - GALLIENI
- MM. Les Commandants des
1° 2° 3° 4° Cics (5 ex. chacun).
- P.C. Bataillon (4 EX)
 - « Pour diffusion à tous les Officines »
 - « Relevant de leur commandant »

Copie à : Monsieur le Colonel Commandant le
Secteur « A titre de Compte Rendu »

26/1

N° _____
M. _____

FICHE DE CONTROLE DE MAISON

CHEF DE FAMILLE :

Nom : _____ Age : _____
Profession : _____ Douar d'Origine : _____

EPOUSES :

Nom : _____ Age : _____
Nom : _____ Age : _____

HOMMES :

Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____

FEMMES :

Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____

ENFANTS MOINS DE 15 ANS

GARÇONS :

Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____

FILLES :

Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____
Nom _____ Age _____

Date - Grade
Nom et Signature de l'assesseur ayant établi le tableau

ملحق رقم 17 "بطاقة مراقبة خاصة بالنازل". المصدر : (SHAT)

10^e RÉGION MILITAIRE
ALGER
LE CHEF DE BUREAU

ALGER, le 7 DECEMBRE 1957

COM M

à l'attention du Général d'Armée, Commandant
Supérieur Interarmées
Commandant la 10^e Région Militaire

O.P.F.E.I. - Centre de Formation des Cadres
Musulmans d'ALGER.

387

I/- L'attention à porter sur la population dans le cadre de
la Guerre Révolutionnaire ne saurait valoir seulement de l'existence.
Il est indispensable qu'elle soit conduite en partie par des cadres
issus de la masse sur laquelle il faut agir et vivre en permanence à
son contact.

II/- Il est proposé, pour agir au sein même des douars,
de constituer en Mars 1957 des centres de formation des cadres
collectifs de base et susceptibles, en raison de leurs quali-
tés naturelles, d'exercer une influence dans leurs milieux.

Dans ce but, un centre Haut créé à ALGER à l'instigation
du C.P.F.C.G. de ce centre est dirigé directement par l'Etat-Major de la
10^e Région Militaire (5^e Bureau) et commandé par les Officiers Inter-
armes de cet organisme. Il est "soutenu" matériellement par le C.I.F.R.
et financièrement par la Ministère de l'ALGERIE.

III/- Les stagiaires reçoivent une instruction qui les rend
capables à :

- participer à la mise en œuvre de la Réforme Osmannale en aidant
à la mise en place et au fonctionnement des Délégations Spéciales,

2-

- créer et contrôler l'auto-surveillance de leur douar,
- reassigner les Avancés Civiles et Militaires homologues,
- aider à la mise sur pied des baches et au contrôle du Royaume
des baches,
- diffuser les directives et enseignements des autorités.

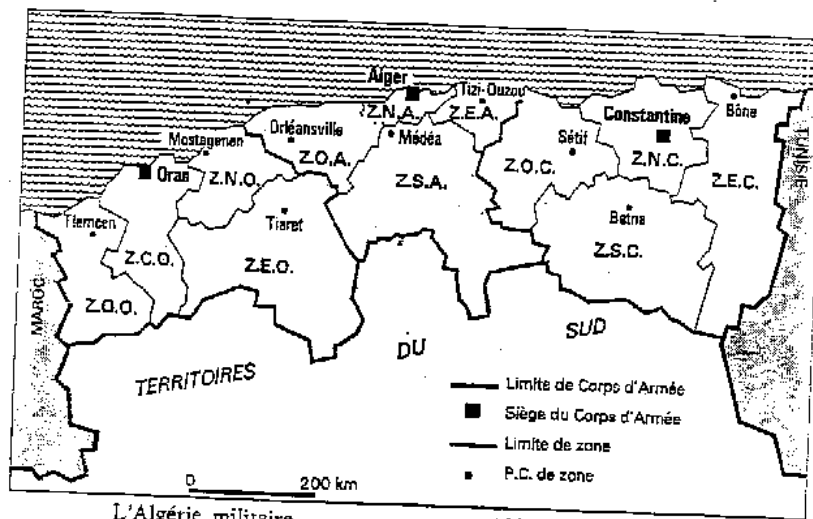
IV/- Sélections avec soin, effectuées directement et jours
douars, rétributions exactes et régulières, les responsables de douars
travaillent dans la clandestinité jusqu'au moment de l'arrestation de
la Fédération par la "force officielle".

Ils sont "multiples" dans le secret par les Officiers S.A.B.
Les Officiers et sous-officiers de la Commanderie de Alger-Quartier
suivent les circonstances.

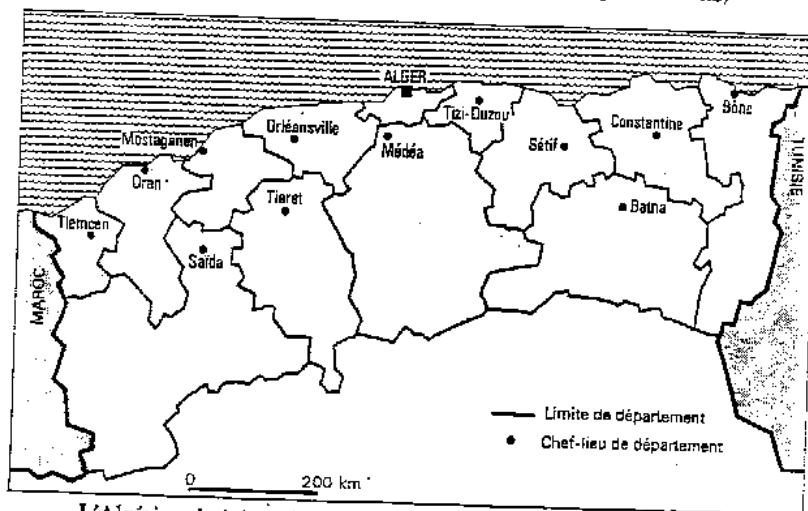
V/- Les centres à déjà formés 50 stagiaires, 40 sont écrits
en liste, 50 en Algérie. A quelques exceptions près, ils donnent toute
satisfaction. Quatre d'entre eux ont été tués par les rebelles après
tentative.

Le stage actuellement en cours (95 stagiaires) s'achève
en principe le 17 Décembre. Le prochain stage commencera le 15 Janvier.

ملحق رقم 18 مركز تكوين الإطارات المسلمة (الجزائرية) بالجزيرة
SHAT, LH 2523/d.1, Formation des musulmans 1956-57



L'Algérie militaire (découpage territorial)



L'Algérie administrative (découpage départemental)

ملحق رقم 19 : التقسيم العسكري الفرنسي للجزائر. المصدر :
 Erwan BERGOT, La guerre des appelés en Algérie 1956-1962, Paris, Presses de la Cité, 1980

A.180

ALGER, le 19 DEC. 1959

COMMANDEMENT EN CHEF DES FORCES
EN ALGERIE

ETAT-MAJOR DES INTERARMES
9 BUREAU

№ 152 LEANES AM/1/B
№ 733 I /A.M.I./2/8
№ 1899 AM.1/4/S

DIRECTIVE PARTICULIERE

D.R.J.E.E. :- Centres d'Education Civique et Militaire.

- RESUMES :- Directives № 1 en date du 24 Décembre 1959.
- Directives № 2 en date du 1er Mai 1959.
- Note № 2162/AM/1/023 - 90/AM/5/AMU du 24.1.59.
- Note № 1258/AM/5/ACT du 29 Octobre 1959.

I.- Dans ses Directives relatives aux réserves, j'ai insisté sur l'importance que j'attache à l'éducation et à l'éducation des Populations.

Mérites et efforts de guerre, ces actions doivent être préparées commandés, conduits, exploités avec le même esprit offensif que les opérations militaires de type classique. Nous n'avons pas la certitude que dans nos actions nous aurons obtenu l'adhésion efficace et la collaboration active de la masse musulmane.

II.- Pour atteindre ces objectifs, nous devons susciter la promotion d'élites nouvelles, réellement combattives de la masse, capables de s'entraîner dans la voie du progrès et devant officiellement partir.

Ces élites, choisies, éduquées et formées avec soin, constitueront l'élément indispensable de l'expansion des Populations. Elles

- Sont de véritables agents d'éducation, chefs d'auto-défense, de cours de formation, partisans, etc... Initialement responsables vis-à-vis de l'adhésion de la masse à mener, ils doivent être passés à partir maintenant à assurer seuls cette responsabilité, les cadres militaires ne contenant de la masse.

2.-

- Soit des agents d'influence sans autorité officielle mais ayant la relation permanente de diriger sans le milieu qui leur est propre, l'éducation qu'ils ont reçue.

III.- Dans cette intention, je veux attirer à créer un Centre d'Education Civique et Militaire par Secteur (C.C.M.) qui sera une institution permanente à votre initiative) avant toute décision de former des Centres similaires et pour des agents clandestins.

Au-delà de l'inspiration fondamentale qu'il dispensera, ce Centre doit permettre :

- de sélectionner, d'éduquer et de former des Responsables locaux parmi tous les éléments actifs de la population (Compagnons, résidents, équipes d'auto-défense, étudiants, équipes de village, etc...).

- de préparer, à l'usage des Responsables (R.A.D.) déjà formés et dans le cadre

IV.- Il s'agit de Centres de Secteur unit, en outre, permettre d'organiser les Centres de zone vers la formation de Responsables Supérieurs qui, amenés directement à l'échelon des Quartiers de Secteur, assurent une éducation plus approfondie.

V.- Les fonds d'installation seront mis à la disposition des Commandants des Centres d'Armée.

Un effectif de 40 habitants, prélevés sur les effectifs locaux accordés à chaque Corps d'Armée, sera affecté spécialement à chaque Centre, étant précisé que chaque Centre doit être considéré comme une Ecole et chaque stagiaire comme un élève.

VI.- L'encadrement sera prélevé sur les effectifs normaux des Secteurs intéressés.

VII.- Les amorceurs jouent les modalités d'application de la présente Note.

Le Général d'Armée Airienne H. CHELLE



ملحق رقم 20 : تعليمات خاصة بإنشاء مراكز للتربية المدنية والعسكرية
المصدر : SHAT, 1H.2575/d.1, Auto-défense des populations :

Etat du C.E.C.M. du Corps d'Armée d'Alger

ZONE	SECTEUR	DEPLACEMENT	EFFECTIF PAR STAGE	FREQUENCE DES STAGES
Z.N.A.		Fort SIDI FERROUH (Provisionnement)	120	11 par an 1 stage = 1 mois
TOTAL Z.N.A.			120	
Z.O.A.		CHOU PALESTINS MILIANA	48 à 60 40	2 par trimestre 2 par trimestre
Total Z.O.A. (1)			88 à 100	
Z.S.A.		BRAZZA LES KOUHAS DRA SOUHABI ALN MABED GUEUR ES SERGA ALN DISS	40 40 40 40 40 40	1 par mois " " " " " " " " " "
Total Z.S.A.			240	
Z.E.A.		PORT GUETTON OULED AMAR EL ESMAN MECHERASS DELLATS PALESTRO PORT DE BOUCHE	40 40 40 40 40 40 40	1 par mois " " " " " " " " " " " "
Total Z.E.A.			280	
RECAPITULATIF				
Z.N.A.			120	
Z.S.A.			240	
Z.E.A.			280	
Z.O.A.			100	
TOTAL C.A.A.			740	

ملحق رقم 21 : مراكز الترقية
المدنية و العسكرية بالناحية
المسكوية للوسط الجزائري. المصدر:
SHAT, IH 2575/d.1, Auto-
défense des populations
/ Budget 1960-1961

(1) 3 autres C.E.C.M. sont en projet dans la Z.O.A. : - 1 dans le secteur de TEMES à MOULMOTUS
- 1 dans le secteur de IMPERRE à FORT LAMONIE
- 1 dans le secteur de HENLIEF à HENLIEF EL HAAD

(2) Le Z.E.A. utilisera à compter du 1^{er} Mars le G.I.K. de HELLIS pour la formation des responsables supérieurs de Zone conformément à la Directive donnée au paragraphe III de la R.D.S. N°1524/SH/5.

10-3 MARS 1960

BUREAU	
N° 14	14
05 MARS 1960	
RECEVU	RECEVU
1000	1000
1000	1000
1000	1000
1000	1000

00/AD - 1-3-60 - Fax
COMMANDEMENT EN CHEF
DES FORCES EN ALGERIE
REGION TERRITORIALE
ET
COURS D'ANNEE DE CONSTANTINE

ETAMAKOR - S. MAROU
M. 3.30 - STAGIERS / 407
Ch. 278
TM. 13-07

RECEVU	
5 MARS 1960	
1000	
1000	
1000	
1000	

MESSAGE PORTAISE -
AUTORITE DESTINATAIRE : FOUZ AOTINE
- D.O.P.A. - M.K.L. - SERRAVAL - ALGER -

RECEVU
5 MARS 1960

C.P.F.E. : O.P.O.M. - 1000
REFERENCE : V.F.O. - 1000/3/107/9 DU 12.2.1960 - STOP -
TELMO : AUCUN CHIFFRE RELIÉ A L'ACHESON SECHER - STOP -
QUATRE CHIFFRES ROMAINS PORTIONNEMENT AUTOMATIQUES :
FERRIERE POUR LA Z.M.O.
FELIPPELLES POUR LA Z.M.O.
MISRA POUR LA Z.S.O.
TINAK POUR LA S.O.O. - STOP -
MORDECO - PACAGE DE STAGIAIRES FORMES ET ENCORE OCCUPES AU 10 FEVERIER
1960 - Z.M.O. : 241 - STOP - Z.M.O. : 305 - STOP - Z.S.O. : 1
Z.S.O. : 117 - STOP -
MAYTO : MONTAGNE STAGIAIRES PAR STAGE : 60 POUR Z.M.O. ET Z.M.O.
35 POUR Z.O.O. ET Z.S.O.
QUANTO : - VERIFICATION DES STAGES : 1 PAR MOIS POUR Z.M.O. - Z.M.O. - Z.S.O.
2 PAR MOIS POUR Z.O.O. - STOP -
SOUKTO : - FERRIERS EN COURS DANS CHAQUE SOUS - STOP -
4/ - Z.M.O. : 1 CREW A HANAN MESSOCIERS POUR LES REGIERS MOK
ORAL
CREW A SIDI KAHRI POUR LES CREWERS LA CALLE
MORDECO
1 CREW A FERRIERS EN COURS POUR LES CREWERS
TERRASA - GALEPPELLES - STOP -

3/ - Z.S.O. : 1 CREW A RAJETTARE POUR LES REGIERS M.K.L. - SIDI
ET EDWARD-BERHAN - M'ELLA (L'ANCIEN ALGER)
LE CREW DE SIDI FRAPT APPELE A FORTIFICATION POUR LES
REGIERS BOUBES-SIDI ALCH-MEROU-M. KEMUR (L'ANCIEN ELU
3/ - Z.S.O. : 1 CREW A BAKRI QUI DEVIENDRAIT CREWERS SOKAL
1 CREW A FERRIERS QUI DEVIENDRAIT CREWERS SEPTIER
1 CREW A EDWARD BERTAN QUI DEVIENDRAIT CREWERS BERTAN
3/ - Z.M.O. : LE CREWERS DE PHILIPPINES TRAVNE D'ARC VA ETRE
TRAVNE AU PORT D'ARC SUCIERS DE PHILIPPINES DON
LA CARRIERS SOKAL PRINCE A 60 STAGIERS - STOP ET J

RECEVU
5 MARS 1960

LE GENERAL DE DIVISION GENDRET
COMMANDEANT LA REGION TERRITORIALE DE LA
CORSE D'ALGERIE DE CONSTANTINE, ETC.

E.O. Le Colonel HANOUSSI
D.P. 1000/3/107/9



ملحق رقم 22: مراكز الترقية المدنية والعسكرية بالناحية العسكرية
SHAT, IH 2575/d.1, Auto- : المصدر :
défense des populations / Budget 1960- 1961

33/12

Corps d'Armée d'Alger

- ETAT DES C.F.A.D. DU C.A.A. au 1er JUILLET 1960 -

ZONE	SECTEUR	LIEU-DIT	COORDONNEES	Date d'ouverture	Capacité maximale	Nombre de stages	Nombre de stagiaires formés	OBSERVATIONS	
Z.N.A.	ALGER-SAMEL AT / ME. ELIDA	ZERALEDA	MY 17 E 95	Nov. 1968	120	8	470	CPAD commun aux 3 secteurs de la Z.N.A.	
Z.O.A.	CHERCHELL	Ferme Arcaïdes (jusq. 4.6.60) Zurich (depuis 4.6.60) 13e Ballon	LY 26 G 34	5 avr. 1960	40	3	71		
	DUPERRÉ	Ferme Fertier	LY 33 K 03	1 ^{er} avr. 1960	40	2	80		
	MILIANA	Miliane (Parti Militaire)	LY 53 H 32	25.2.60	60	4	197		
	ORLEANSVILLE	CINQ PALMIERS	KY 63 G 23	Janv. 59	60	9	254		
	RENES	MONTENOTTE	KY 75 F 34	1 ^{er} Avr. 60	40	2	72		
	TENLEY	PETER ANNES	LY 58 A 01	20.6.60	40	1	98		
Total Z.O.A.					280	21	712		
Z.S.A.	MEDEA	BRAZZA	MY 10 K 71	1.10.59	40	8 (1)	286 (2)	(1) dont 1 stage pour récupérer les C.I.T. (2) ST internés C.I.T.	
	BOGHARI	LES KOUBAS	MX 08 D 71	1.1.60	40	5	186		
	DJELFA	AIN MAHED	MY 36 L 75	1.10.59	40	8 (3)	202	(3) n'été formé 1 mois pour une tournée de récolte.	
	PAUL GAZELLES	DRA BOUARY	MX 13 L 90	15.1.60	40	5	229 (4)	(4) dont 58 formés en 59 au CPAD de DJELFA	
TOTAL Z.S.A.					240	43	1.475		
Z.E.A.	ZONE	C.I.K. DELLYS (Les Jardins)	NZ 06 K 20	20.4.59	60	8	294	Le C.I.K. de DELLYS sert de centre de base pour les unités supérieures afin de leur servir de CPAD commun à plusieurs Sect.	
	AZAZGA	PORT-GUENON	NZ 50 D 05	11.4.60	40	4	143		
	BORDJ-AMATEL	CELEB AMAR	MY 98 F 92	19.1.60	50	2	79		
	BOUIRA	EL ERHAM	MY 13 E 61	1.4.60	40	2	74		
	DRA EL HIZAN	MEFRASSA (Scie à vapeur)	NI 16 E 11	1.3.60	40	3	95		
	PORT NATIONAL	DELLYS (Les Jardins)	NZ 06 K 20	8.2.60	45	5	225		
	PALESTRO	PALESTRO	MY 76 L 35	8.2.60	60	3	93		
	WILT-ORZOU	Pont de BOUGLE	MY 27 O 95	25.4.60	30	2	54		
	TOTAL Z.E.A.					365	29	1.197	
	TOTAL ensemble C.A.A. (I)					1.005	101	3.614	(I) Y compris le C.I.K. de DELLYS

ملحق رقم 23 : مراكز تكوين مسؤولي الدفاع المدني بالناحية العسكرية للوسط الجوي

SHAT, 1H 2575/d.2, Auto - défense des population / Questions divers C. A. 1960- 1961 : المصدر

ORD. J. 11 Août 1960

Corps d'Armées d'Oran

33/14

REGION TERRITORIALE à COMES L. AMME D. OGAY

KTAN-AL-JOR - 3^e Bureau P.E.

1/10/1961/37/AM

CENTRES DE FORMATION DES AUTO-DEFENSES

CODE	CENTRE de :	Date de création	Effectif fixe	Principaux stages et durée des stages	Mr. Stagistes reçus par stage	Stagiaires formés depuis création	Population environnante	REPARTITION des FIEDRES			OBSERVATIONS
								PRIMO	SECUNDO	TERTIO	
000	Centre des Officiers de 1 ^{er} B. 001 C.P.A.D. - 1959	Sept. 1959	31	11 stages de 4 semaines de 15 jours tous les 15 jours	80	488 M.A.D. 185 Marins	805.000 dont 306.000 P.A.D.	5.000 NF	11.000 NF	87.000 NF	Le Centre de MESSERON (projet) pourra être prochainement utilisé pour la formation des stagiaires. Formations à l'échelon (M.A.D.)
001	Centre BELLAG - 01 01 1. 00	Sept. 1960	11	11 stages de 9 semaines tous les 15 jours	80	510 M.A.D. (4) 74 Marins	484.000 Algériens				
002	HIGHI-MHIA (sect. 101 01 02 01)										
003	Y.O.A.L.		28		1.800						
004	ELVELZ - 01 00 0 14 - 0000	01.7.60	5	11 stages de 3 semaines tous les 15 jours	40	1.300 M.A.D.	876.000	5.000 NF	11.000 NF	16.000 NF	Le Centre de MARCHAN est envisagé avant fin 1960 pour recevoir 60 stagiaires par stage.
005	MASARHAI - 01 00 0 21 000 - 0	01.7.60	8	11 stages de 3 semaines tous les 15 jours	40	400 M.A.D.					
006	Le MICHES - 01 00 0 1 0000	14.4.60	8	11 stages de 10 jours tous les 15 jours	40	180					
007	AIE-EL-HANJAR - 01 00 0 1 0000 (Sectoral)	18.2.59	6	11 stages de 15 jours tous les 3 semaines	80	980	80.000	5.000 NF	15.000 NF	18.000 NF	Le projet de création d'un centre sectoral de GERVILLE à 416 kilomètres au N.O. de ce projet de création d'un centre de formation plus adapté au type d'habitants de la population
008	Y.O.A.L.		16		80	2.070	281.000				
009	BOUCHERIEF Royal	01.1.0001	11	11 stages par mois	48	402					
010	MAUMBOT (VIARRE) Sectoral	10 ^e	4	11 stages de 15 jours tous les 15 jours	40	650 (4)	180.000				
011	FRONDA Sectoral	10 ^e	4	11 stages de 15 jours tous les 15 jours	40	488	70.000				
012	MORREAI (VIARRE) Sectoral	10 ^e	4	11 stages de 15 jours tous les 15 jours	40	378	64.000				
013	ARFON (création avant fin 60)										
014	3 Centres fixés dans la région										

ملحق رقم 24 : مراكز تكوين متورتي الدفاع الذاتي بالخدمة العسكرية
 SHAT, 1H12575/d.2. Auto-défense : الصلدر : Des population / Questions divers C. A. 1960. 1961

381.307

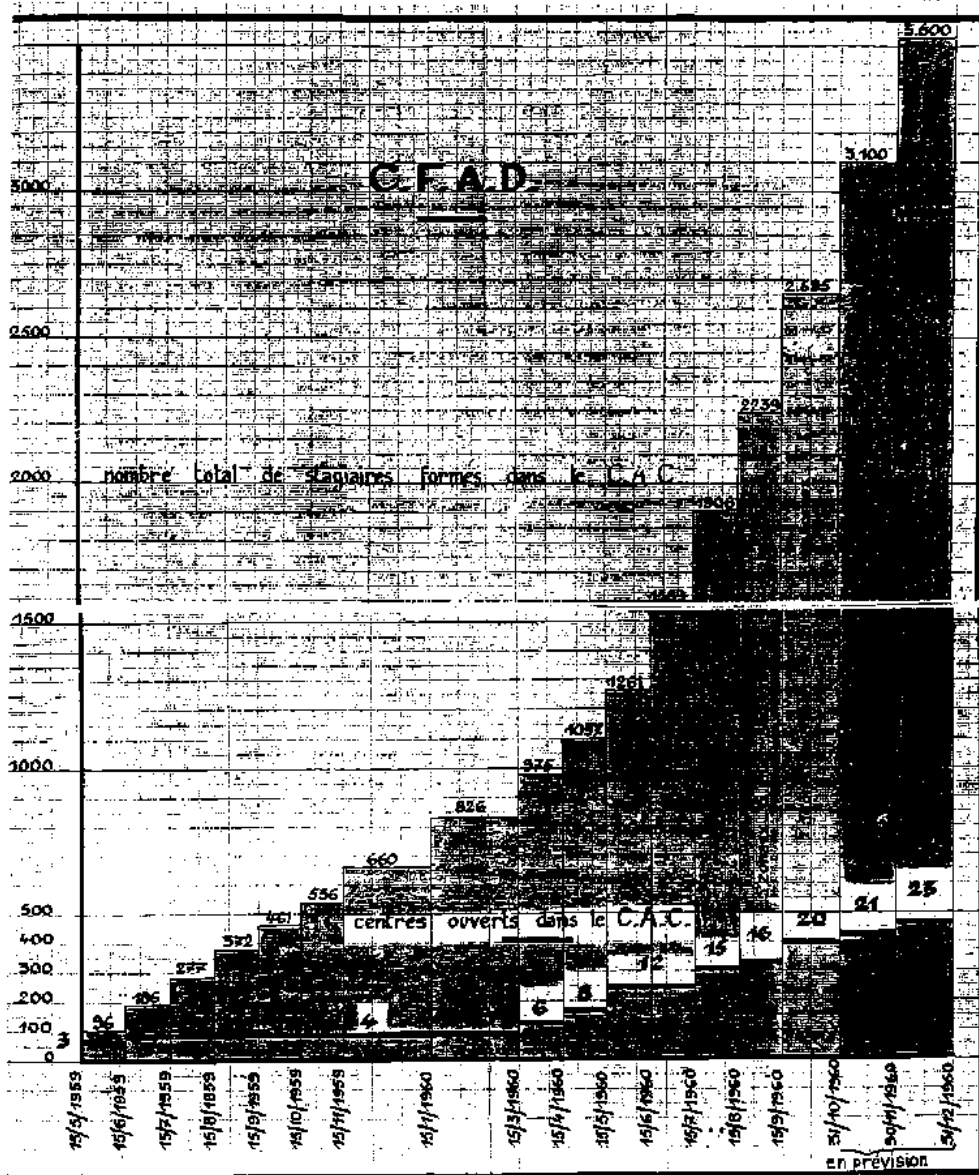
83

To 1 ML

200	201	202	203	204	205	206	207	208	209	210	211	212	213	214	215	216	217	218	219	220	221	222	223	224	225	226	227	228	229	230	231	232	233	234	235	236	237	238	239	240	241	242	243	244	245	246	247	248	249	250	251	252	253	254	255	256	257	258	259	260	261	262	263	264	265	266	267	268	269	270	271	272	273	274	275	276	277	278	279	280	281	282	283	284	285	286	287	288	289	290	291	292	293	294	295	296	297	298	299	300																																																																																																				
100	101	102	103	104	105	106	107	108	109	110	111	112	113	114	115	116	117	118	119	120	121	122	123	124	125	126	127	128	129	130	131	132	133	134	135	136	137	138	139	140	141	142	143	144	145	146	147	148	149	150	151	152	153	154	155	156	157	158	159	160	161	162	163	164	165	166	167	168	169	170	171	172	173	174	175	176	177	178	179	180	181	182	183	184	185	186	187	188	189	190	191	192	193	194	195	196	197	198	199	200	201	202	203	204	205	206	207	208	209	210	211	212	213	214	215	216	217	218	219	220	221	222	223	224	225	226	227	228	229	230	231	232	233	234	235	236	237	238	239	240	241	242	243	244	245	246	247	248	249	250	251	252	253	254	255	256	257	258	259	260	261	262	263	264	265	266	267	268	269	270	271	272	273	274	275	276	277	278	279	280	281	282	283	284	285	286	287	288	289	290	291	292	293	294	295	296	297	298	299	300

Le Général des Brigades G. A. T. A. B. P. I.
Commandant en Chef le Régiment Territorial
de la Garde d'Alger

ملحق رقم 25 : مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للشرق الجزائري
 SHAT, IH 2575/d.2, Auto-défense des population / Questions divers C. A. 1960-1961 : الملحق



Corps d'Armée 1er Constantine

PROGRAMME DU CENTRE DIVISIONNAIRE DE FORMATION D'AUTO-DEFENSES DU KREIDER

Stage du 17 Septembre au 8 Octobre 1960

	17h, 30'	18h, 15'	19h, 30'	20h	21h, 15'	22h, 30'	
1 ^{er}	Arrivée des stagiaires		Impression de contact Intégration Constitution des groupes	Accueil Officiel des stagiaires	Distribution des armes Distribution des armes leur signification	Contact humain entre instructeur et stagiaires	
2 ^e	Déroulage physique et éducation du corps		C 11 ET 131	C 112	Hygiène morale respect des Lois. Le choix dans la lutte actuelle	Hygiène individuelle et collective	Travail manuel Le bois. Outil. Emploi
3 ^e			C 12 - et 121 - 123 - 125		Auto-surveillance et auto-défense. Son sens. Son but. Exercices sur le terrain se passer, se déplacer en patrouille. Milles. Cisturne de l'instruction par un tir.	Hygiène de l'habitation et des aliments	La Liberté et la Fraternité Femmes. Dianous. La Marseille
4 ^e			C 13 & 131		Chantier de groupe. Exercice des travaux en protection de son chantier	Hygiène physique et morale de la famille	Travail manuel Le Fer - Outil - emploi
5 ^e			C 14 - 142	C 143 / 1 C 143 / 2	Exercices pratiques de protection des habitations. Exercices de défense d'une maison et d'un groupe d'habitation.	C 144	Travail manuel Construction Matériaux - Les Outils. L'exécution.

	17h, 30'	18h, 15'	19h, 30'	20h	21h, 15'	22h, 30'		
1 ^{er}	Déroulage physique et éducation du corps		C 15 - 151	C 212 - C 213	La Réalité moderne du mariage. La Sécurité Sociale son esprit	Lutte préventive contre la maladie. Lutte collective et de consolidation	Hygiène des regroupements. Soins pratiques dans le regroupement du Kreider.	
2 ^e			Visite d'une exploitation moderne					
3 ^e			C 22 - 221 222 - 223	C 224 & C 225/1	Les moyens de combattre. Le renseignement. Son importance. Son renouvellement	Tir au pistolet sur cible	La vie en commun dans la joie et la sérénité. "La Marseille"	
4 ^e					Consultation des Services de l'Armée. Son rôle. Son but. Ses buts. Ses listes. Exercices de pratique de vote	Le Service de l'Armée. Son rôle. Son but. Ses listes. Exercices de pratique de vote	Auto-défense. Organisation. Rôles des unités. La réalisation des unités	Travail manuel Amélioration des regroupements (voiries hygiéniques)
5 ^e			C 24 - 244		Notion de sa course (bleus, fractures, empoisonnement)	Exercice de patrouille. Le déplacement. Le poste d'observation. Le tir. Aborder une résistance	Travail manuel Construction faucille et se à ardoise Désinfection	
6 ^e			Révisions de fin de phase théorique synthèse sur programme C11 à 24		Exercice de synthèse pratique sur les leçons pratiques apprises dans la première phase (organisation de regroupement, hygiène, sa défense)		La vie en commun dans la joie et la sérénité. Organisation de manifestations	

ملحق رقم 26 : برنامج مركز تكوين عناصر الدفاع الذاتي بـ "كريدلر" شمال مدينة بوقطب

SHAT, 1H 2575/d.1, Fiches d'instructions par le CFAD

17h,30'		14h	15h	16h,15'	17h15'			
<p>White - d' URAN La cité industrielle - Les échanges commerciaux : grands magasins, entrepôts - Les moyens de transport : les navires, la V.F et l'avion (visite aéroport et port)</p>								
dimanche	Décrassage physique et éducation du corps		C 253 / 1	C 31 311 - 312	C 314V - Exercice pratique de tir au juger et au jeter	Élévation noct		
lundi		Entretien des chambres et petit déjeuner	Séjour Corporatifs Leve des couleurs	C 32 - 321 322 - 323 324 (fait par un officier S.A.A. désigner)	Travail d'un conseil Municipal, organisation réunion (Programme d'Etat (pratique))	Participation du G.A.O.D à la défense de la commune (importances du renseignement, l'observation des déplacements, les relations, comment et à qui donner le renseignement), Lutte contre les exactions et les sabotages	La vie en commun dans la joie et l'obscurité - Veille - Lutte des déplacements, les lieux lumineux de relations, comment et à qui donner le renseignement), Lutte contre les exactions et les sabotages	
dimanche				C31, 331, 332 (fait par un représentant préfecture)	Défense regroupement et protection anti-terroriste (des biens privés)	C34 et 343 (fait par un représentant préfecture)	Repas	Match et exercice nuit à partir de 18h. Auto-Défense pratique du renseignement en RM 50 G 75
dimanche				C 41 412 414	Avantage du village fortifié. Comment fortifier un village, aide à l'auto-défense	TRAVAIL MANUEL Organisation pratique du village fortifié sur le renseignement en RM 50 G 75 (protection des écoles, organisation de l'observation, placement auto-défense).		
dimanche					Exercice pratique sur la leçon C 42. Rôle pratique de l'auto-défense. Son contact avec la population : observer, renseigner, défendre, empêcher, informer, élever			Exercice de tir. Déclanchement de l'alarme

17h,30'		14h	15h	16h,15'	17h,15'			
dimanche	Décrassage physique et éducation du corps		C 43 à 433 / 34	Organisation pratique d'une auto-défense désignations des membres, Adaptation à leur tâche. Pratique de l'auto-défense	Exercice pratique de médiation. Son but les effets recherchés. Comment médier, Action militaires	Travaux pratiques. Culture et plants réalisables à différents niveaux des groupements		
dimanche		Entretien des chambres et petit déjeuner	Séjour Corporatifs Leve des couleurs	C 44 à 444	Rappel des notions d'hygiène individuelle et collective	Organisation territoriale militaire - Aide qu'elle apporte aux populations. Relation entre G.A.O.D et autorités militaires et civiles	Travaux pratiques de conservation et de défense de l'Etat dans un groupement	
dimanche				C 45	Participation d'un G.A.A.D. à une opération de quartier - avec exercice de tir			
dimanche					Un G.A.O.D à l'oeuvre dans un regroupement. Son activité journalière de jour et de nuit. Exemple d'emploi du temps (à réaliser sous forme pratique)			La vie en commun - échanges sur la vie
dimanche	Préparation de la fête de fin de							

Le Lieutenant - Colonel SIMON
 Commandant le quartier de Pacification de
 Bou - Rached
 Signé SIMON

SHAT, 1H 1113/1
 ALGER, le 8 JUILLET 1959
 COMMANDEMENT EN CHEF DES F.A.
 REGION TERRITORIALE &
 CORDES D'ARMES D'ALGER
 ETAT-MAJOR - STUBREAU
 Tél. No. 39-70
 N° 3.006 /CA/5/AE
 NOTE
 sur les responsables de la population.
 1/2-6
 SECRET

REFERENCE : Directive Générale n° 478/CA/3/CPZ en date du 24 février 1959.

1.- La population constitue l'enjeu de la guerre subversive. La stratégie des forces de l'Ordre consiste, comme l'a souligné la Directive Générale, à la libérer de la terreur dans laquelle l'ennemi l'advantage puis à l'amener à s'engager à nos côtés. Mais ce but ne peut être atteint que si cette population est encadrée.

Par suite de la multiplicité de leurs tâches, les Forces de l'Ordre ne peuvent arriver à elles seules à accomplir cet encadrement. Elles doivent donc être secondées par des responsables choisis au sein même de la population.

Cette Note a pour objet de traiter des problèmes concernant ces responsables.

Elle en précise d'abord la mission, sont étudiés ensuite la sélection, l'organisation, l'emploi et l'instruction.

2.- MISSION -

Agissant sur les collectivités dont ils ont la charge (centres urbains, villages traditionnels ou regroupés, douars divers), les responsables de la population ont pour mission de les encadrer afin de les faire participer à tous les aspects de la lutte :

- militaire par la formation à l'auto-défense,
- policière par le renseignement,
- psychologique par l'information, la propagande et la lutte contre l'idéologie adverse.

3.- SÉLECTION -

Le choix des responsables est un élément déterminant du problème.

Il s'exerce soit dans les collectivités elles-mêmes (centres urbains, villages et douars), soit dans les Centres Militaires d'Intégration ou les Centres de Triage et de Transit après rééducation. Le choix doit se porter sur des individus susceptibles d'exercer une réelle influence en raison de leur fonction ou sur-tout de leur personnalité.

Cette fonction peut aussi bien être celle de conseillers municipaux ou de membres des anciennes djemaa que celle de gardes-champêtres, instituteurs, commerçants, etc.

La personnalité de ces responsables sera en particulier décelée grâce au système du "parcours" des Forces "auto-défenses" par les unités, comme l'indique la Directive Générale. Rien ne s'oppose aussi à ce qu'il soit fait appel à d'anciens rebelles ralliés avant leur retour dans la vie civile.

4.- ORGANISATION - (Références : Note de Service 422/CA/5/AD du 29 Janvier 1959)

L'organisation de la population prévoit :

- d'une part, la constitution immédiate de groupes humains sur la base territoriale
 - familles, groupes de maisons, liges dans les villages et les douars,
 - buildings, blôts, arboisements dans les Centres Urbains,
- d'autre part, la constitution progressive de groupes particuliers de Jaunes, d'Anciens Combattants et de femmes dans chaque commune.

A la tête de chacun de ces groupes se trouvent des responsables. Ils ne reçoivent aucun salaire personnel. Par contre, une prime peut leur être attribuée pour tout renseignement important ou pour acte de courage.

5.- EMPLOI -

Sous l'autorité des Commandants de Quartier, actionnés par les Commandants de Sous-Quartiers et les équipes de contact, les responsables agissent en fait comme un véritable O.P.A. officielle amie :

- ils encadrent les auto-défenses et organisent en particulier un système de guet au profit des Forces de l'Ordre,
- ils participent au système de renseignements du Quartier
- ils aident les Forces de l'Ordre à informer la masse diffusant les thèmes de propagande et combattent les rumeurs adverses. Ils renseignent sur l'état d'esprit des populations.

En bref, dans le triple domaine militaire, policier et psychologique ils visent à isoler la population des rebelles;

ملحق رقم 27 : عينة على عمليات غسل الدماغ و الحشو العقدي (endocritnement) الذي كان يتم ممارستها على المواطنين براكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي. المصنوع : SHAT, 1H 1113/1

d'une part ils la mettent à l'abri de tout contact avec le F.I.M. d'autre part, ils en assurent le contrôle permanent.

Le contact doit être très étroit entre les Forces de l'Ordre et les responsables qui ne doivent jamais être abandonnés ou avoir le sentiment d'être abandonnés à eux-mêmes. Les Commandants de Sous-Quartiers, les Officiers de Renseignements et d'Action Psychologique, les équipes de contact doivent donc les visiter fréquemment. Parallèlement, des réunions tenues à l'échelon Quartier ou Sous-Quartier permettront au Commandement de faire les mises au point nécessaires et de diffuser les consignes de caractère général, tandis que les responsables prendront ainsi conscience de leur force, face à la rébellion.

5.- INSTRUCTION -

Les responsables destinés à une même collectivité (centres urbains, villages ou douars dispersés) sont inscrits en commun (voir Annexes A et B) soit dans des Centres de formation de zone, soit au cours de réunions périodiques tenues au Chef-Lieu de Quartier ou de Sous-Quartier.

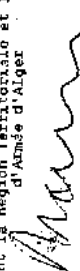
Dans une ambiance dynamique créée par la vie en commun et une discipline stricte, l'instruction vise à donner aux responsables des raisons valables d'avoir à se battre à nos côtés et d'entraîner la population dans cette voie.

Elle comporte donc :

- des séances de sport, éventuellement,
- des séances d'instruction militaire portant sur l'auto-défense et le renseignement,
- des séances d'instruction générale et de formation civique élémentaire. Ces dernières doivent prendre le plus souvent possiblement la forme de discussions dirigées.

Parallèlement, une action d'information et d'éducation quotidienne doit être menée, pendant 8 à 10 jours par les équipes de contact sur le Centre Urbain ou le village avant la mise en place définitive des responsables à l'issue des stages. La présence de la population à ces réunions doit être rendue obligatoire de façon à ce que personne ne puisse être à priori hostile ou indifférent à la prise en mains de la population par eux.

Le Général de Division MASSU,
Commandant la Région Territoriale et le Corps
d'Armée d'Alger



Annexe : Fiche " C " : Fiche d'instruction

Fiche n° 1 : Sujet : Pourquoi êtes-vous ici ?

But : - Créer une ambiance faite de curiosité et de confiance
- Provoquer un intérêt sans lequel un enseignement, quel qu'il soit, ne peut être profitable.

Moyens matériels :

- Cartes murales
- Photos grand format du Général De Gaulle
- Drapeau, Croix de Lorraine et V

Plan :

- 1- NOUS CONNAITRE
- 2- OUBLIER LE PASSER
- 3- CONSTRUIRE L'AVENIR AVEC LE GENERAL DE GAULLE
- 4- REALISER LES IDEaux DE LA REVOLUTION FRANCAISE
- 5- APPRENDRE LA VERITE
- 6- TOUS FRANCAIS

400

Fiche n° 2 : Sujet : LA REBELLION SUPRIME LES LIBERTES

But : Faire découvrir par les stagiaires les interdictions prononcées par le FLN et les amener à constater que la rébellion est une dictature dans tous les domaines

Moyens : Photos d'exactions rebelles (notamment ouvrage : « Algérie- Témoignage documents »

- Films- Strips " Pourquoi nous combattons "

Plan : 1- Les interdictions prononcées par le FLN

- A faire découvrir par les stagiaires et établir un tableau récapitulatif au fur et à mesure de leurs déclarations
- 2 - De quel droit le FLN prononce-t-il ces interdictions
- Aucun désire du peuple

- Aucun mandat populaire
- Loi de la terreur (exemples)

3- Conclusion : REBELLION = DICTATURE

Fiche n° 3 : Sujet : LA REBELLION EST DESTRUCTRICE

But : - Faire énoncer par les stagiaires les exactions rebelles qu'ils ont vues et même celles auxquelles ils ont participé.

- Les amener à constater que ces destructions ne servent qu'à aggraver La Misère du Peuple

Moyens matériels :

- Photos
- Films
- Ouvrages

- Plan : 1- Les destructions dans le domaine matériel
- 2- Des destructeurs de vies humaines (surtout musulmanes)
 - 3- Des destructions dans le domaine moral et affectif (dissension dans la famille, haine et méfiance entre amis...)
 - 4- La rébellion plonge le peuple dans le malheur
 - 5- Conclusion :

Rébellion = Destruction

Fiche n° 4 : sujet : REBELLION ET COMMUNISME

But : Après avoir expliqué que le communisme est contre l'Islam, ce que presque tout les stagiaires le savent, montrer que les rebelles utilisent les mêmes procédés et qu'en cas de victoire FLN sa faiblesse donne l'Algérie au communisme.

Moyen Matériels :

-

Fiche n° 5 - LA REBELLION FAIT DES HOMMES DES ASSASSINS

Fiche n° 6 - COMMENT S'EST CONSTRUIT L'ALGERIE

FRANÇAISE JUSQU'À 1830

- COMMENT S'EST CONSTRUITE L'ALGERIE

FRANÇAISE DEPUIS 1830

Fiches n° 7 : LA FRANCE CONSTRUIT L'ALGERIE FRANÇAISE

ملحق رقم 29 : جدول خاص بالتطور الشهري لعدد فرق الدفاع الذاتي التي تم تكوينها بالجزائر و الصحراء خلال

سنة 1960. المصدر : SHAT, IH 2575/d.1, Centres de Formation

Evolution du nombre des Groupes d'Auto- Défense en Algérie et au Sahara au cours de l'année 1960 *

Mois	Nombre de G.A.D. (Total)	Sahara	Algérie	Effectifs Totaux
Janvier	1.451	32	1.422	
Février	1.501	36	1.465	
Mars	1.595	38	1.557	
Avril	1.647	48	1.609	48.499
Mai	1.716	43	1.673	
Juin	1.791	43	1.748	54.113
Juillet	1.849	43	1.806	55.702
Août	1.891	44	1.847	58.106
Septembre	1.963	45	1.918	59.913
Octobre	1.993	46	1.947	

* Fiche à l'attention de M. le Contrôleur Général MONDON

ملحق رقم 30 : تعداد فرق الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للجزائر الوسط بتاريخ 5 نوفمبر 1960.

المصدر : SHAT, IH 2575/1, Centre de Formation d'Auto- Défense

Alger, le 05 Novembre 1960

n° 4628/CAA/3PH

Etat- Navette de Groupes d'Auto- Défense arrêté au 15 octobre 1960

Secteurs	Nombre de GAD	Jumelés	Isolés	Effectifs	Armement	
					F. de guerre	F. de chasse
برج منابل، الأخصرية، تيزي وزو، عراوقة، روية، دراع الميزان، فور ناسيونال Total C.A.A.	290	233	57	8.596	2.523	1.620
عزخال، تيس، مليقة، الشلف، ثنية الأحد، Duperre Total Z.O.A.	244	109	135	7.082	2.936	1.384
المدية، أومال، الجلفة، بوسعادة، قصر البحاري، بول شزال. Total Z.S.A.	101	47	54	2.283	1.474	602
الجزائر - الساحل، البلدية، At / MB. Total Z.N.A.	78	60	18	3.611	316	544
Total C.A.A.	713	449	264	21.572	7.249	4.150

ملحق رقم 31 : تطور عدد فرق الدفاع المدني بالبوارج العسكرية الثلاث في الجزائر وهران و قسنطينة،
 خلال سنة 1961. المصدر : SHAT, 1H 2575/d.2, Centres de Formation

Etat- Navette de Groupes d'Auto- Défense arrêté au 15 octobre 1960

Corps d'Armée		Nombre de GAD	Effectifs des GAD	Armement	
				F. de guerre	F. de chasse
C. A. Alger	Z.A.S.	1	32	4	2
	Z.N.A.	53	2.120	305	259
	Z.E.A.	238	5.226	1.166	1.855
	Z.O.A.	158	5.439	1.107	1.950
	Z.S.A.	93	2.265	547	1.376
	=====	=====	=====	=====	=====
Totaux C.A.A.	537	15.082	3.129	5.442	
C. A. Oran	Z.O.O.	78	3.894	217	263
	Z.C.O.	36	3.659	75	50
	Z.N.O.	328	8.888	1.051	1.742
	Z.E.O.	46	1.987	224	158
	Z.S.O.	7	295	75	36
	=====	=====	=====	=====	=====
Totaux C.A.O.	495	18.721	1.642	2.249	
C. A. Constantine	Z.N.C.	95	1.730	818	912
	Z.O.C.	260	6.334	4.191	2.143
	Z.S.C.	44	461	346	115
	Z.E.C.	68	622	302	320
	=====	=====	=====	=====	=====
	Totaux C.A.C.	467	9.147	5.657	3.490
Totaux Algérie		1.499	42.950	10.428	11.181

10ème REGION MILITAIRE
ETAT-MAJOR - 5ème BUREAU
SECTION ETUDES

SPHINX DES "DIRECTIVES F.L.N." CI-JOINTES

Les "Directives F.L.N." prouvent, entre autre chose, que nous avons "faupé juste".

Une propagande, soumise à la défensive, contrainte à distraire une fraction de son "efflux psychologique", à faire de la centre propagande, reconnaît déjà l'exploitement - sinon l'exploitation - que la "bonne cause" qu'elle a mission de propager n'est pas... si juste que cela!

Ainsi reconnaître que "l'impact d'un changement se résume dans un déclin" et est déjà reconnaître le "déclin" de ce "changement" (tant au mal, dans le contexte de l'abolition de la jeune musulmanne!).

C'est bien la première fois que on voit des "révolutionnaires" reconnaître un vœu aussi "révolutionnaire".

Nous avons donc "faupé juste", il importe maintenant de consolider notre succès en "faupé fort".
Ayant l'initiative de l'ennemi il serait paradoxal que nous envenions de l'ignorer à la riposte très embarrassée de l'ennemi (il est évident que il a l'argumentation négative de sa centre propagande en danger).

Has de polémique en matière de propagande! (ceci soit dit très spécialement pour les émissaires de la Veix du Bled).

Evitons de reconnaître cette dégradation de nos lances "sous-entendu" par l'argumentation de sa propagande rebelle.

Puisque nous "raugions" renchérissant en caricature nos erreurs révolutionnaires (je pense à cette E.M.S.I. qui traite avec désinvolture les bénéficiaires de son action de "beurquisme") subissant trop volontiers que, dans cette action sociale, la France de demain tout au moins que ce que l'on donne) et conservons jalousement notre initiative de l'Action.

S'agissant plus particulièrement de ces "directives de centre propagande F.L.N.", il s'agit de "bonne guerre psychologique" de la publier au Externe, sous forme de tract avec... Les émissaires qui conviennent!

12.2.55.

DIRECTIVES F.L.N.

5°. PROPAGANDE EN CONTRE PROPAGANDE A MENNER VIS-A-VIS DE LA

FEMME MUSULMANNE

(Copie d'un document réédité dans le saccache de SI BOUMBERENNE,)
adjoint politique en Kabia à Bordj, Algérie, le 21,
le 26 Novembre 1958 au 14 60 0 91.)

PROPAGANDE ENCONTRE VIS-A-VIS DE LA FEMME
CONTRE-PROPAGANDE F.L.N.

Après 100 ans d'occupation, et surtout après 4 ans de révolution, l'ennemi se propose d'effrayer notre esprit algérien des traditions éternelles qui la maltraitent sous son joug. Il veut effrayer le peuple algérien et d'hésiter par à savoir tous les moyens pour hâter son "démocratisation" en Algérie de la France.

L'ennemi se engageant l'émancipation de la Femme, vise deux buts :

EFF EFFRAYER : Egayer la population de l'Algérie pour avoir le mari, le frère, le fils, les promoteurs de la révolution algérienne. Rien de plus facile que de faire échouer notre lutte. Il suffit de faire peur à la femme, de faire échouer notre lutte. Il suffit de faire peur à la femme pour empêcher la minorité européenne par sa participation aux élections.

EFF EFFRAYER : Les journaux, revues, déclarations, films, permettent d'informer le monde sur la dite "démocratisation" qu'il connaît la France à l'égard du peuple algérien.

Actuellement, l'ennemi international se propose vis-à-vis de la femme algérienne de deux manières : soit de la faire peur, soit de la faire peur. Il concentre tous ses efforts sur ces deux manières : soit de la faire peur, soit de la faire peur. Il concentre tous ses efforts sur ces deux manières : soit de la faire peur, soit de la faire peur.

L'ennemi qui, jusqu'à présent, n'a jamais utilisé la femme pour mener sa propagande pacifiste, a été rendu compte de sa nécessité dans les donars. Il veut nous contraindre à ce qui est possible car, à l'époque d'Avril 1957, la présence de nos combattants suffisait à gagner la confiance de nos frères algériens et à en faire une farveuse militaire.

L'ennemi qui, jusqu'à présent, n'a jamais utilisé la femme pour mener sa propagande pacifiste, a été rendu compte de sa nécessité dans les donars. Il veut nous contraindre à ce qui est possible car, à l'époque d'Avril 1957, la présence de nos combattants suffisait à gagner la confiance de nos frères algériens et à en faire une farveuse militaire.

المحقق رقم 32 : الفرق الطبية - الاجماعة المتقلة سلاح من أسلحة الحرب النفسية لطرب : المشرق
المصدر : SHAT, 1H 2461/d.1 ; 2568/d.1

G.D.M.O.L.H.B.I.D.N

Nous avons essayé dans un bref aperçu de donner une idée exacte de la propagande ennemie à l'encontre de notre pays algérien. La contre-propagande queat à elle ne se limite pas aux théâtres et procédés très or-dessus avec un peu d'inspiration. Nous pourrions en découvrir d'autres pour contre-attaquer. Nous faisons appel à la chance de réussite dans ce domaine. Nous faisons appel à l'initiative des responsables locaux, qui selon les situations particulières et locales pourrnt leur trouver les méthodes adéquates. La multiplication des actions ALN est un des meilleurs procédés de contre-propagande.

Le Commandement
(cachet rouge sans 6)

R.4 N° 145 P.C. Z

406

COMMISSION ALGERIENNE

S.P. 87.186, le 11 Juin 1958

Je me réjouis de vous avoir fait confiance depuis le jour où, pour la première fois, j'ai lancé les équipes à travers l'ALGERIE pour prendre le contact avec les femmes musulmanes. Le Monde entier est aujourd'hui témoin des résultats spectaculaires de votre action, et je tiens à vous remercier pour la compréhension dont vous avez fait preuve dans l'accomplissement de votre tâche.

Pendant les mois à venir je vais être obligé de vous demander, encore une fois, un effort exceptionnel. Vous avez largement contribué à la conquête des coeurs, il faut à présent conquérir les esprits.

Le Général de GAULLE a annoncé que dans trois mois, dix millions de Français d'ALGERIE auront à décider de leur propre destin. C'est à nous, c'est à vous surtout, qui êtes quotidiennement en contact de la population, qu'il appartient de forger la réponse.

Vous considérant, au même titre que mes Officiers, des éléments essentiels de notre action, je suis assuré à vous remercier, comme je l'ai fait pour eux, de reporter de quelques mois les permissions que vous auriez l'intention de solliciter.

Je sais le sacrifice que je vous impose mais je ne doute pas que vous l'acceptiez car je sais aussi que vous comprenez l'importance de notre mission.

Je vous en remercie de grand coeur.

Handwritten signature

Colonel GOURSAUD

SHAT, 14 2568/01 FMSI ST-62

S.P. - ST. 186, - le 20-9-58

DELEGATION GENERALE DU GOUVERNEMENT
COMMANDEMENT EN CHEF DES FORCES EN ALGERIE
COMMANDEMENT SUPERIEUR INFERMIERES POSE LA 10^{EM}

ETAT-MAJOR - 5^{EM} BUREAU

Le Lt-Colonel FRAMAS

AUX

EQUIPES MEDICO-SOCIALES ITINERANTES

Le Général SALAM, Délégué Général du Gouvernement accompagné de Madame SALAM, Présidente du Comité Central d'Action Sociale et de Solidarité Femmes, parcoururent avec succès l'ALGERIE en tous sens. Ils ont bien voulu me faire part de leur satisfaction du travail accompli par les E.M.S.I. qu'ils ont rencontrés. Je suis heureux de vous en faire part à mon tour.

Les très nombreuses femmes musulmanes qui, après avoir adhéré en masse au mouvement de Solidarité Femmes, ont particulièrement leur joie de pouvoir parler à la Présidente Dame d'ALGERIE, lui ont jeté des fleurs sur son parcours, l'ont si chaleureusement entourée qu'il a fallu parfois la dégager, lui ont dit leur désir de voter "OUI", et leur fierté de pouvoir le faire; etc..... etc..... Ces femmes..... ce sont les "vôtres" pour une large part. C'est le résultat de votre persévérance.

C'est dans la satisfaction de Madame la Générale SALAM que vous trouvez la récompense de vos efforts,

.....

SHAT, 24 2518/02 EMSI ST-62

8/18

ALGER, le 8 Octobre 1958.

COMMANDEMENT EN CHEF DES FORCES EN ALGERIE
ETAT-MAJOR INTERMEDIEE

5^{EM} BUREAU

n° SENS...../2415/ACT/EMSI

- NOTE DE SERVICE -

O. B. J. E. T. : Equipes Médico-Sociales Itinérantes.

REFERENCE : M.D.S. N° 2366/WM.10/5/580 du 24.10.58.

La note de service de référence précisait que, parmi les procédés d'action, celui préconisé à l'égard de la population féminine incombaît aux équipes médico-sociales itinérantes.

L'extension de nos zones d'action est dès maintenant rendue possible par l'augmentation du nombre de postes A.S.P.A. qui permet, à chaque Corps d'Armée de disposer de 100 postes au lieu de 70.

Le milieu féminin reste celui sur lequel l'effort d'information et d'information doit être intensifié. C'est par des contacts de plus en plus fréquents avec les femmes musulmanes que les équipes médico-sociales itinérantes leur feront prendre conscience de leur personnalité civique et les amèneront à s'engager à nos côtés.

Il est rappelé que la mission de ces équipes ne se limite pas à l'aide apportée aux médecins militaires chargés de l'Assistance Médicale Gratuite. Elles doivent être à même d'adapter aux conditions locales les directives générales de commandement, et pour cela, recevoir une formation périodique, au cours de stages organisés à l'échelon des Corps d'Armée et des Zones.

Le Général d'Armée Agréé M. CHALLER
F. O. Le Colonel CALDES Chef du 5^{em} Bureau
F. O. Le Lieut. Colonel MARIEN S/Chéf du 5^{em} Bureau

DESTINATAIRES:

- M. le Général Cdt le C.A.A.
- E.M.-5^{em} Bureau (5 ex.)
- M. le Général Cdt le C.A.L.D.
- E.M.-5^{em} Bureau (10 ex.)
- M. le Général Cdt le C.A.C.
- E.M.-5^{em} Bureau (5 ex.)

"Egpr. diffusion à l'échelon zone".

SHAT, 24 2518/02

Vous allez vous contraindre aujourd'hui les soins de propreté à donner aux enfants (faire la désinfection avec urinale - sans savon en choisissant un ou plusieurs basbains).

Vous comprendrez maintenant l'importance de cette toilette de vos enfants et basins. (appliquer - consacrer les soins de la désinfection).

C) CONSEILS A DONNER

Chaque fois que nous viendrons, vos enfants devront être propretés, bénéficier de distribution de savon et repartiront chez elles laver leurs enfants, jusqu'à ce qu'ils soient propres.

D) PROPAGANDE

Avez-vous bien réfléchi à ce que nous vous avons dit à la dernière séance au sujet du malheur qu'apportent les fellaghas à la peur, la misère, la terreur, la mort mourant.

Vous devez maintenant savoir que les rebelles ont menti en affirmant que la France quitterait l'Algérie.

L'Algérie est et restera Française. Le Général DE GAULLE, Chef du Gouvernement Français - vient d'affirmer que tous les habitants d'Algérie étaient Français comme ceux de la Métropole, et que tous les hommes et femmes de ce pays auraient désormais les mêmes droits que ceux de Métropole.

Et vous pouvez croire le Général DE GAULLE : C'est un homme grand, fier, noble. Il tiendra ses promesses. Et la France entière, l'armée entière s'alignera dans son immense tâche.

Si la France ne vous a apporté que le malheur, la France ne désire que tous donner le bonheur et la paix.

Si il y a parmi vous des épouses, des mères et des veuves dont les maris, les fils ou les frères sont partis dans le maquis, vous pouvez leur dire de revenir.

La France est généreuse et sait pardonner à ceux qui n'ont pas versé le sang, qui n'ont pas commis de crimes, mais qui ont été seulement trahis par de mauvais bergers.

Voici des laisser-passer. Faites les leur parvenir.

E) QUARTIERS DES UNIVERSITES D'ALGERIE ET D'ORAN LOCALES.

A) REUSE DE TOUJOURS

Avez-vous observé les consignes données à la dernière séance ? Sinon - Toujours ! Voir les enfants les uns après les autres. Renvoyer chez eux ceux qui sont sales.

B) LIGNE D'HYGIENE DES VÊTEMENTS

Il ne servirait à rien d'être propre aux soi, si l'on soit port des vêtements sales.

Je remarque des enfants, des femmes qui ont vêtements très propres. (les contrer) - Vous pouvez toutes en tous en faire autant.

Il faut laver souvent les vêtements à l'eau et au savon. Si vous ne les avez pas lavés avec du savon, de la cendre de bois ou des produits spéciaux.

Il faut battre les vêtements et les décoller de temps à autre pour en faire tomber la poussière. Les exposer souvent au soleil. Les saupoudrer de poudre insecticide pour éloigner la vermine (mouches - pour qui pullulent dans les vêtements sales).

Il faut aussi, le temps en temps, sortir au soleil literies, couvertures, tentures, tapis, les battre et les saupoudrer de poudre insecticide.

Tout cela pour protéger la santé en chassant la vermine du mal : la puce et le pou qui transportent des germes de maladie qu'ils transmettent de l'un à l'autre (puce - peste, pou - typhus).

C) CONSEILS A DONNER

Les femmes et enfants devront être habillés de vêtements propres à notre prochain voisin.

Celles qui ne savent pas propres ne pourront bénéficier des prochaines distributions de vêtements faites aux enfants.

DA PROPAGANDE

1) Que vous ont apporté les fellaghas ou ceux qui travaillent avec eux ?

- Ils ramassent votre argent que les hommes égarés et travaillant, prennent ainsi vos enfants de pain, de sucre.

Savez-vous ce va cet argent ? Il sert à acheter des armes qui se rebourent parfois contre vous, hommes, femmes et enfants.

Il sert aussi à acheter vivres grossièrement les Chefs fellaghas, dont certains ont été à l'étranger, tandis que les hommes peinent et meurent dans le maquis.

- Ils vous menacent, afin d'imposer à tous leur loi, leurs d'ont.

- Ils tuent et égareront certainement ceux qui ne veulent pas les suivre, ceux qui préfèrent la paix, le bonheur au contentement de l'argent.

Il faut rendre tous ces individus, de ceux qui ont pris l'habitude de voler, de tuer ne pourront plus jamais être chômeurs dans...

O Frères Musulmans!

Les Algériens vous ont promis beaucoup depuis 2 ans, et qu'enfin ils tiennent ce serment en vérité ?

- La guerre,
- La terreur,
- La misère dans vos mechtas.

Et que font-ils maintenant après ces beaux serments ?

Ils envoient des Mechtas en Mechtas comme des bêtes traquées et non comme des Moudjahidines.

Ils agissent pour frères Musulmans, qui désirent vivre en Paix. Ils entourent les femmes, les enfants.

MAIS OU SONT LES GRANDS COMBATS CONTRE L'ARMÉE FRANÇAISE qui les traitent méprisamment et qui dévorent chaque jour plus forte ?

IL EST TEMPS DE COMPRENDRE LA VÉRITÉ

Les Fellaghas vous ont menti. La France ne quittera jamais l'Algérie tant qu'elle n'aura pas obtenu ce qu'elle veut. Elle veut que la Paix pour vous soit traitée comme ses fils, vous dictent les droits des citoyens libres, et vous faite bénéficier de sa puissance et de sa richesse. Les réformes qu'elle prépare vous étoufferont par leur généralité.

Mais chaque jour est en fait perdu pour vous

Tout l'argent dépensé pour les soldats et les fusils ne sert que pour entretenir vos mechtas et pourrir vos enfants.

TRAVAILLEZ BIENTÔT ENFIN DANS VOTRE INTÉRÊT ET CELUI DE VOS FAMILLES

Aidez les troupes à combattre les Fellaghas. Prévenez les Postes quand ces derniers se dirigent vers vos Mechtas.

Alors LA PAIX reviendra rapidement.

أخواننا المسلمة

هذه هاتين الصفتين كثيرتا الرغبتين . ولكن إن الحقيقة من جانبكم لم تكن كذلك . ولا همراة ولا صالبا ولا غير . لو هذه هاتين .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

بمطابق من فطنته ال جبهة . وبعرضها من مدار ال دار ال كسا ال جبهة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

والتي يصطادها اليوم التطور بعد هذه النتيجة العظيمة .

SHAT, 1H 2461 : المصنوع : « أخواننا المسلمة »

MUSULMANS REFLECHISSEZ !

Il est temps que vous ouvriez les yeux et les oreilles pour voir ce que vous ignorez de vous et entendre ce que se dit à travers le pays.

Avec les républicains de souche européenne, ses derniers loyers, après l'ère de la révolution, d'une main, les cinq dirigeants bourgeois de la rébellion ont pu se plaindre de millions, après l'armistice de l'Alger-Alger, chef important des Arabes-Nomades, de se plaindre à l'appel du Gouvernement Français en demandant à son troupe de ce qu'il a fait pour eux.

Si tel dico, ou bien les chefs rebelles se rendent, ou ils s'établissent tout à tour et dans leur amour et de vous servir, chaque jour, de jour de rébellion, ils ont le pouvoir de vous servir à votre manière libérale qui s'est en fait — et vous le savez très bien — qu'un événement décisif, puisque vous l'imposez sans aucunement l'argent, la main d'œuvre destructrice et vos biens, mais encore le « chair » et on s'est dit que vos problèmes vus et tout est en fait.

Pourquoi donc tout d'un coup à enlever ? Simplement pour préparer leur arrêt, ont écrit si simple !

Et vous, que faites-vous, au milieu de toutes ces trahisons dont vous êtes les premières victimes et les principaux intéressés ? Vous allez et vous venez simplement, tout d'un coup de votre intérêt et de vos aspirations démocratiques.

Vous vous allez alors que les chefs rebelles déclarent tout à fait bon et satisfait et acceptent de continuer à la solution d'une main et de l'autre sans aucune hésitation, libérés de la contrainte. Et qu'elle venue, les rebelles d'organisations et de révolutions ont-ils une référence pour le choix d'un homme ? Elles-vous à tout d'un coup honorables, éclairés, intelligents, courageux, n'ayant leur pays ?

MUSULMANS ! Le panique régnait chez les rebelles malgré leurs affirmations rassurantes. Tous ses républicains de compte — qu'on vous présente toujours sous l'angle de « Français libres » — s'ont d'entre eux que d'accepter l'autorité de tel ou tel chef rebelle dans la mesure où qu'elle sera éventuellement, au gré de sa volonté.

MUSULMANS ! Pensez que sans l'aide que vous leur apportez, à votre corps déshonoré, il n'y aurait plus de révoltes, plus d'agressions, plus de souffrances, plus de douleurs. Une loi nouvelle s'imposerait où la liberté et l'égalité — qui remanent la Liberté — accepterait les révoltes.

Ceux qui vous laissent à la rébellion, par écrit ou par radio, ne s'occupent pas de vos souffrances. Ils ont tellement aimé d'arrêter les autres pendant qu'on aime ailleurs vos vies finies, il est compréhensible que quelques-uns qui se sont dans une mauvaise position essayent d'arrêter à la plus de monde possible à ce ne pas être mal en cas d'arrêt.

MUSULMANS ! La rébellion est une chose, malgré tous les messages intéressés de nos chefs. La France est décidée à l'arrêter, et y va de toutes les manières et de tous les moyens.

Chaque jour que passe aggrave la situation morale et matérielle de votre pays. Ne soyez donc pas malheureux, allez à reconstruire le pays, la liberté et la prospérité.

« ملحق رقم 36 : منشور فرنسي بعنوان « مسلمين تفكروا » ».

ملحق رقم 36

ملحق رقم 36

مسلمين تفكروا

بعد الوقت انتم تعلمون انكم واثقوا في انفسكم وتصوروا انكم انتم وتصوروا انكم انتم في الوطن. بعد مقالاتي في هذا الايام بين راس جيش والاين راس ناسي يد توش الابرار حائل الاصلاح. بعد ما انتموا خدوكم الحمت فاد الثورة وما برعتم في جبرتم ملايين موارد هاهي جات ذالك جدول جدول وراس بلا خلاف من راس والملت طهرت مع ذالك الثورة الفرنسية وثابت من اصباه. يتلوا الحروب الا هو بلا تفكير.

كذلك راس الثورة. وما تالوا في جرة حركاتكم ومسيركم. يتلوا بعضهم الي خلب في بلوا راس بكم ورسد وجرودكم وحده الخليلين المكاتب عندكم بالي لغير الي تلبسهم هو الظلم والبيعتا. على خاطر كل شي من عندكم الثورة والسب والذراع والذراع والذراع وهذا الكمال بلا ذائق. ولا يتلوا السباح ملان هذا الانتقاد في القائل. كل واحد يجب يتبع رده واستتابة. وستلوا الخلة. واثقوا راس حاكم وسط الدمار والكيديت الي مركزكم.

تستجب الناس على سكونكم وطاعتكم وتذكرك في بيلكم اليسى وبلاتكم المهدية انما ما كتمتم. ولكن يكتموا كل صوت صالح ويحتمس بعد جديت في الجزائر سيد وخلص من الظلم من ايز جاد. هل ترى يتلوا الرجال على حساب جبرتم ولا عداد البدي الي ديوهم؟ يا تقي شي عندكم رجال يملين عاين ناهن شيئا ومسيرهم وطهم.

يتلوا تحت تاكيدت الثورة دخل الحوف يتلوا بدمهم زمة اللدة والحق هو بالي قصد كل واحد من الثورة يتلوا خوة باش يتبع حبه.

مسلمين تفكروا وانكم بالي بلا سكونكم لهم. ظهر بالسيف عليكم. كما ما عادي تفكروا لخيرية لادبية لآخر لآخر من وفاة الرب ويتبع عصر جديد مع الحرية والساورة وعلى سبل الخارة المسمية الي. الي يحتموا فيكم الثورة بالتم والارباصة الالانة يعني الزادير ما يتلوا في معارك الماشرة. سائل في عاين في الاربعة باش يستجبت الناس. حابة سيرة الي الي طالع في عاين حابة مائة يطبع لغيرهم. يوم باش ما يكون شي بعد وقت العدا.

يتلوا الثورة ما يفتي حامل ومخرج مع كتب راسها.

زينة مبرزة على تحريمها وهدمها بالوياب الكليل والزمان واللدة الالوية.

قال بين وتبين ولكن يريد حبه كل يوم. ما يتكلموا طوايف. وسوا راكم وباروا حشم في طريق الدابة والحرية والسد والانتقاد والسلم.

40/1

KABYLE

écoute la voix de ta raison

Tu vivais dans la paix.

Tu allais tranquille sur de belles routes pour te rendre au marché.

Tu étais fier de voir tes enfants instruire, de les voir lire et écrire.

Ton village était fier de son école.

Tu es privé de tout. Tes enfants pleurent et te réclament à manger.

Que de peine il te faut dans ton rude pays pour récolter quelques grains et économiser un peu d'argent.

Tu étais un homme libre, tu pouvais fumer comme il te plaisait.

Après une bonne journée, tu aimais parler avec tes voisins dans l'air calme du jour qui s'achève, assis près de ta maison.

Tu avais la place de ton ami sur une grosse pierre quand il venait vers toi.

Ton pays est troublé.

Qui sème le désordre ?

Qui coupe les routes ?

Tes petits enfants errant dans la campagne et sont ignorants.

Qui a brûlé l'école ?

Ceux qui te privent égorgent les moutons et vivent grassement.

Les bandits ramassent ton argent.

Où va cet argent ?

C'est interdit.

Tu vis dans la peur.

Ta maison est devenue ta prison.

La place est vide. Son sang a peut-être coulé. L'auraient-ils égorgé ?

***Ces heures de souffrance tu ne peux pas
les laisser en héritage à tes enfants***

PENSE A DEMAIN, SOIS AUJOURD'HUI AVEC NOUS

Kabyles, soyez clairvoyants

NE SUPPORTEZ PAS PLUS LONGTEMPS LA TYRANNIE DES DIRIGEANTS F.L.N.

qui veulent régner en maîtres sur l'Algérie et déjà se disputent le pouvoir.

LISEZ LEUR CORRESPONDANCE SECRETE

que nous avons saisie. Vous serez révoltés par leur duplicité, leur égoïsme et leur cruauté.

SACHEZ QUE LE FRONT DE LIBERATION NATIONALE EST DEJA BRISE.

QUEL EST LEUR BUT ?

régner en maîtres sur l'Algérie sans partage. Ils abattent tous ceux qui voudraient participer au pouvoir. Ils écrivent : « Nous sommes décidés à abattre tous les chefs mazzalates » et ils le prouvent tous les jours.

QUELS SONT LEURS ENNEMIS ?

vous savez déjà qu'ils sont les ennemis déclarés des confrères religieux et du peuple mozabite.

DES MAINTENANT LES KABYLES SONT SUSPECTS

et le F.L.N. leur refuse des armes. Un des chefs fellagha (un Kabyle), écrit : « En Oranie ils sont armés jusqu'aux dents et ils ne veulent rien nous donner encore une fois parce qu'ils se méfient de nous » et il répète un peu plus loin : « Ils sont en train de se méfier de nous (Kabyles) ».

AUCUNE CONFIANCE N'EXISTE ENTRE EUX,

le même écrit : « J'en ai plus que marre des types de l'extérieur, surtout BEN BELLA, BOU DIAF, HAKIM qui, tu le verras dans l'avenir, ne sont pas sincères avec nous ». Et, plus loin, au sujet des COMMUNISTES : « A mon avis, nous ne devons pas les accepter en tant que groupe, même avec un bateau d'armes ».

NOUS AVONS CITE ET TRANSCRIT (EN ROUGE) les extraits d'une lettre d'Abane Ramdane à Krim Belkacem du 12 avril 1956 — qui sera entièrement publiée.

VOUS VOYEZ BIEN KABYLES, VOUS QUI AIMEZ LA LIBERTE

que le F.L.N. ne vous apporte que haine et suspicion. Conduisez-vous en hommes libres — secouez l'emprise du F.L.N. qui fait le jeu des étrangers et venez

CONSTRUIRE AVEC LA FRANCE, DANS LA PAIX, MAIS AUSSI DANS LA VRAIE LIBERTE, UNE ALGERIE NOUVELLE.

ملحق رقم 40 : منشور فرنسي بعنوان « Kabyles, soyez clairvoyants »

المصدر : SHAT, IH 2461/d.2

COMMANDEMENT DE LA 4^U REGION MILITAIRE
ET DES FORCES TERRITRIALES EN ALGERIE &

CABINET

10/3
10/3
- P.I.C.H.E. - 62

Remarque :
S'agissant d'une action psychologique à mener
sur les rebelles de Kabylie. M. Le M. au g^o

Le Commandant du Secteur d'AZAZIA a constaté que
sur une portion importante de son territoire les villageois
sont pratiquement vidés de la population mâle active, les
hommes étant
soit en France
soit dans les rangs rebelles.

Les femmes kabyles sont au contact de leurs hommes
et demandent.
Il est à peu près certain que le moral de ces femmes
est déplorable.
Par elles il serait donc sans doute possible d'at-
teindre celui des hommes.

Le Colonel Commandant le Secteur d'AZAZIA propose
que soient lancées dans ce milieu féminin des équipes de jeu-
nes femmes kabyles qui forment par nos soins, qui tout en ac-
complissant une tâche médico-sociale s'attacheraient à expli-
quer aux femmes kabyles que la lutte de leurs hommes est sans
espoir et qu'elles ont tout à gagner en se ralliant.

Les douzières qui pourraient être besées dans les
S.A.S. seraient à recruter dans la Colonie Kabyle d'AZAZIA.

S. BUREAU	
N. ALGERE	27 JANV 1953
ORG. C.R.S.	MS / MPT / JMG

Bonvaux
voir au dos annotation
des Col. Leguay

Bien sûr que je suis d'accord mais il faut
y aller prudemment et avec des ASSEA de très grande
solidité.

Je ne connais pas la KABYLIE mais si les
femmes kabyles sont ce que le colonel, c'est très évidem-
ment elles qui poussent leurs Jules à passer au
maquis.

Qu'en pense BRUNET ?
De toute façon, il n'y aurait que des avan-
tages à faire un essai sérieux.

Leguay

Le Col. Brunet est tout à fait d'accord.
Bonvaux

ملحق رقم 4 : التاكيد على الجاهدين في الجبال باستعمال نسوة من اهلهم. الصغار
SHAT, 1H 2461/H.L., Action des FMSI sur les femmes musulmanes

Les "hors-la-loi" ne respectent pas le Coran... Dieu ne leur pardonnera pas!...

Il s pillent vos maisons, volent vos provisions et votre argent, ils violent les femmes et les filles...

Une preuve :

Depuis le mois de juin 1956, des « hors-la-loi » étrangers à la région, sont venus dans la commune mixte d'Aumale et ils ont violé des femmes en présence de leur mari, et de leurs enfants !

Attention !!

Si vous n'y prenez garde, demain, de semblables exactions peuvent être commises dans vos familles par les « hors-la-loi » !

Ne laissez pas le déshonneur et la honte s'introduire dans vos méchias !

**Aidez la France à maintenir la Paix dans vos foyers !
à sauver et venger votre Honneur**

Un renseignement discret c'est... un bandit de moins !

Un pas de plus vers votre vraie liberté!!

لا تحذروا الخارجين عن القانون الكفرة...
لن يغفر لهم الله تعالى

بسلبيون ذياركهم ويسرفون مؤثمتهم ودرهمكهم ويهضمون النساء والبنات

أبينة؟ ما هي!

من شهر جوان 1956 التي خارجون عن القانون اجتمعون بخصم الصور الممتزج وابتضروا به النساء لدى رجالهم وأولادهم بذاتهم

تحذيركم !!

إذا لا تحذرون الا ان يمكن ان الخارجين عن القانون يهضمون بي بلاكم هذا مثلكم مسدوا في الصور!

ووا ابضطوا والهتك عن مشائيتكم !!
وساهموا فرنسا لاستمرار السلط بي ذياركهم واسباكهم وشريكهم ولا ننتامكم عندهم

خبر يسرق... لى بلا ف نافس !

ملحق رقم 42 : نشوية صورة الثورة باستعمال الناضج المرطب

27/13

صوت العفل -

- واين راه اللّبي كان البارح خبوك ؟

- كما غشّوه خدامين البراني ترك داره وعياله
واولاده وتبع قطاعين القويين -

- خد عوله الرجال اللّبي يدسّوا ارواحهم كما الثعالب
متى نطقه فوات العدل واجمع يسف في ...
وخمرف ويقتل
حتى

عافيه الله عنّه وجل عفايا اليما -

كذلك تهلكتوا المجرمين اللّبي هجموا على البسمات
وانعدوا على سقّانها ودعوا الشيعيل رجلا وساءا
والعالا والبكمه -

ما حبّوا شي يسمعوا لصوت العفل -

بفاواد ياره خالبيه بلا رجال - واش كون يتكلّف

بهم وبالا كبحار المغبونين اللّبي رجعوا يتساء ؟

وهي الختام صوت العفل يوكره لكم ما فيه الكتاب :

الم تهلكت الاوليين ثم تشبعهم الاخوين

وكذلك يفعل بالبحر ميين -

الملحق رقم : 43 منشور فرنسي بعنت المجاهدين بـ « قطاعين الطريق و خدامين البراني »
المصدر : SHAT. IH 2461/d.2

يا نساء الجزائر



420

الفتنة الغاشمة
خلت دياركم بلا رجال
وأولادكم بالجوع

يا امهات الجزائر - من هو الذي يدي اولادكم! هو الابن
يا نساء الجزائر - من هو الذي يدي اولادكم؟ هو الابن
يا انبيات الجزائر - من هو الذي يدي خبزكم وخبزكم هو الابن
- الابن يديع باش بويكيع قطع عين الطرفي وفتاين
- الابن يديع باش يفود هم للموت بلا بأكفة ولا اصلاح
- الابن يديع باش يدخلهم بي حاجة فاسدة الي هي خسة
- فتنة وهي حاجة تتركها كثير من الناس باش يجمعوا العزساء الكريمة
- الفتنة الغاشمة متاع الابن خلّت دياركم بلا رجال
- الفتنة الغاشمة متاع الابن خلّت اولادكم بالجوع
- الفتنة الغاشمة متاع الابن خلّت دياركم بالجوع
يا نساء الجزائر برنسا الكريمة تتخلّب كل يوم
على الخير من متاع الفتنة الغاشمة باش تجمروا تعبشوا
بي الخير بي دياركم مع اولادكم
يا نساء الجزائر تجمروا تعبشوا برنسا الكريمة
اش ترد لكم السعادة -
يا نساء الجزائر تجمروا تعبشوا رجالكم باش ما يبعدهش
عليكم وياش ما يولوش مجرمين -
وروا لهم وعهموهم من الوحش والخرن والعزوية
اللي يلحقكم الا غابوا عليكم -
ما تطلوش جالكم يروحوا من الديار باش ما يطعوش
بي صوب الفتنة الغاشمة -
وهكذا باعانتكم وبعانة مرنسا الكريمة
ترجع السعادة والهناء بي دياركم -

اللمع رقم 44 : منشور فرنسي يدعو النساء الى التآمر على رجالهن حتى لا يظهروا بالثورة

27/16

Habitants des Douars

Depuis que les fellagha sont dans vos montagnes
le jour est pour vous semblable à la nuit.

A CAUSE DES FELLAGHA, vous êtes obligés de vous cacher
dans la forêt, vos enfants ont faim, vos maisons sont détruites,
la mort plane sur vos têtes.

Pendant ce temps-là les fellagha, lâches comme des chacals,
s'enfuient devant les troupes françaises en vous laissant subir
seuls les rigueurs de la guerre.

Alors, combien de temps cela va-t-il durer ?

- Cela durera aussi longtemps que vous aiderez les fellagha
aussi longtemps que vous leur obéirez
aussi longtemps que vous leur donnerez de l'argent.
aussi longtemps...

**que vous ne vous rallierez pas à
la FRANCE**

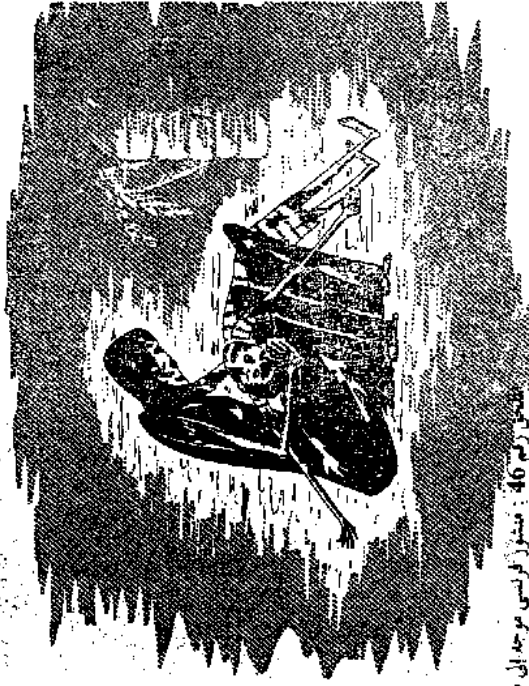
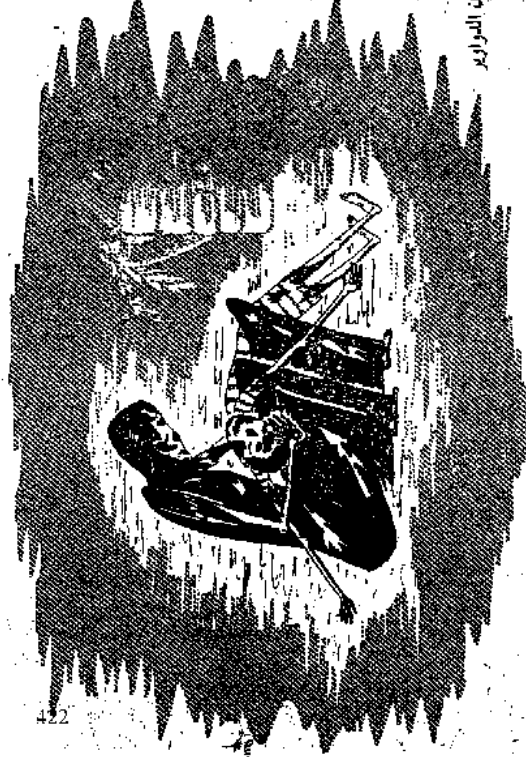
الملحق رقم 45 : منشور فرنسي موجه إلى سكان الدواوير.
المصدر : SHAT, 1H 2509/d.2, Demande de fourniture de tracts

Habitants des Douars :

*Que mangerez-vous
cet hiver ?*

Croyez-vous que les fellaghas seront capables
de ravitailler votre douar...

422



شحن رقم 46 : منشور لرئيسي موجه إلى سكان الدواوير

... et de nourrir vos enfants ?

ويطعموا اولادكم

يا سكان الدواوير

واش تاكلوا بي الشتاء الجاي

واش تظنوا باي الهلافة يقدروا

بموتوا دوايركم ويوتلوا

LES SAUTERELLES



— Ah! Ezzelem! Ebbih, comment vas-tu ?
 — Bonjour Shemsu Ezzelam Aïh.
 — Avec le bien, mon frère, avec le bien. Et toi, comment vas-tu ?
 — Avec le bien, avec le bien... avec le bien de jour naturellement, car le bien d'aujourd'hui, c'est le mal d'hier.
 — Cher! Cher! Ne parle pas si fort, toutes les oreilles sont suspectes aujourd'hui.
 — Tu vois bien que toi aussi tu penses comme moi.



— Oh! oui, hier j'ai donné ma part de récolte aux voleurs folles.
 — Moi également.
 — Et je voulais vendre la reste à la S.A.P., mais ils m'ont empêché de le faire.
 — Ah! toi aussi... ils m'ont donné l'ordre de conserver le peu qu'ils m'ont laissé à leur disposition.



— Comment allons-nous faire vivre la famille, mon frère? Moi ils m'ont menacé de m'égorgier si je voulais un grain de ce qui me reste...

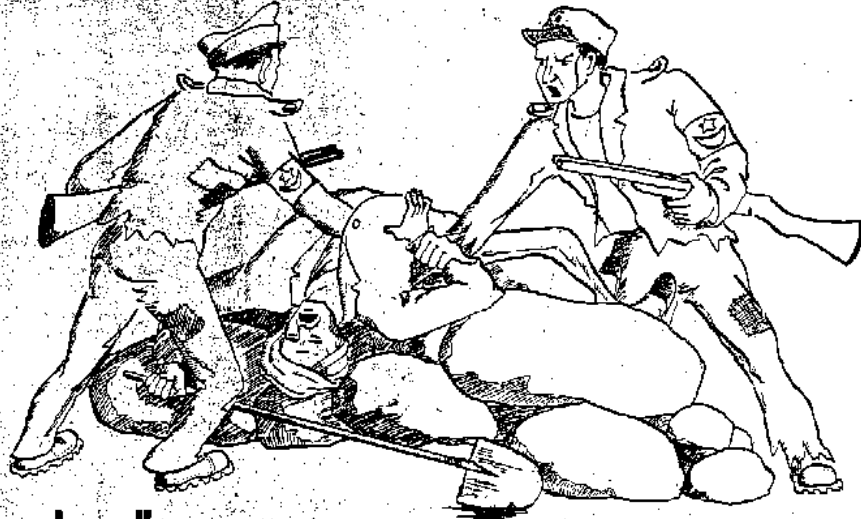


— Les vols de sauterelles ont toujours été nombreux, mais cette année ils sont plus nombreux encore, et plus effrayants qu'avant. Des sauterelles à deux pattes, mon frère, et qui se disent musulmans... et qui parlent avec le couteau à la main...
 — Tu l'as dit, mon frère, des sauterelles féroces...
 — Patience, mon frère, patience... Quand les sauterelles valent trop longtemps, elles se fatiguent et alors on les tue à loisir.
 — Que Dieu l'entende, mon frère.

الملحق رقم 47 : منشور فرنسي تحت المجاهدين تحت « الجراد »

الملحق رقم 48 : منشور فرنسي يمت الثورة و التوار بسرقة أموال الشعب
المصدر : SHAT, 1H 2509/d.2

Ils se battent comme des chacals
C'est toujours le fellah qui en fera les frais



يتعاركوا كيف الديوبه و دائماً البلاح هو الى خاسر

424



Il a travaillé avec courage



Il a gagné honnêtement son argent



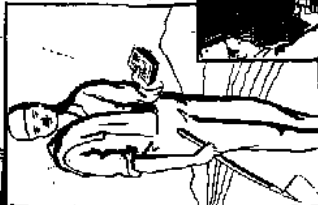
Le collecteur fellagha le lui vole



Où va l'argent volé ?



خُذِمَ بِتَلابِ والتجاعة



ماله احلال جمعه بالمشقة

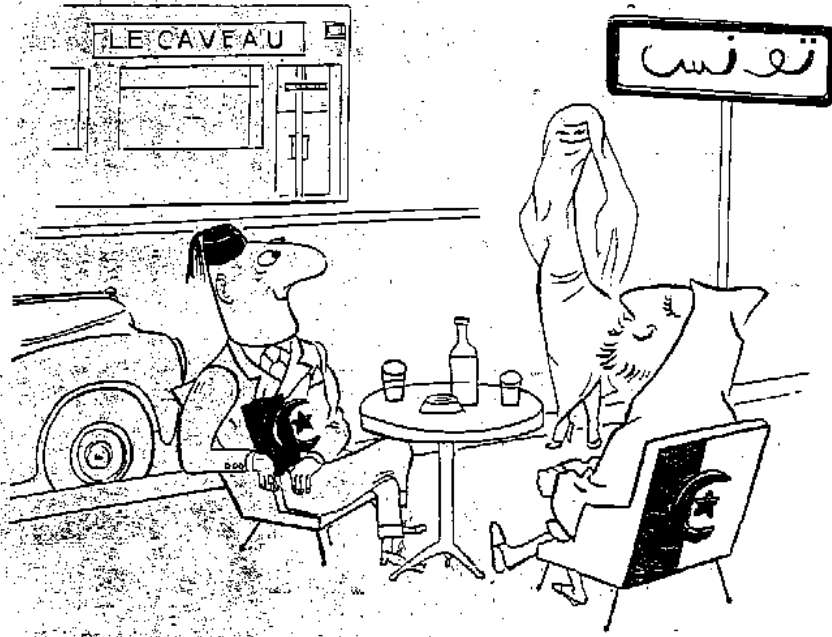


التاجر الفاض يسرق له رزقه



من يستنفع بالمال المسروق ؟

المسوق رقم 49 : منشور لفرنسي يعنت الفورة باهواز اموال الكادحين لصرفه في حياهم
SHAT, IH 2509/d.2, Demande de fourniture de tracts : انصبر :



بينما الجلافة يسفطون و يهوون
 في الجبال الزعماء يرتاحون و يلعبون
 في تونس و يصرفون الدراهم التي
 سرفوها بالتهديد و الوعي

الملحق رقم 50 : منشور فرنسي يمتع عناصر الثورة بتونس بالعيش عيشة العريضة و اللهور
 للعنبر : SHAT, 1H 2509/d.2, Demande de fourniture de tracts

Les fellaga passent... La France restera

البلدقة يوتوا... فرنسا تبقى

Les rebelles détruisent... Les Français construisent

البلدقة يوتوا... الفرنسيين يبنوا

Les fellaga passent... La France restera

البلدقة يوتوا... فرنسا تبقى

L'ALGERIE RESTERA FRANÇAISE

الجزائر تبقى فرنسية

14/7/59

الملحق رقم 51 : منشور فرنسي يصور عمل فرنسا بأنه " بناء " و يصور عمل الثورة بأنه " الهدم "

**PARTOUT OU LE BOURSAULT DU PASSE
IL NE RESTE PLUS RIEN!**

- IL PREND VOTRE ARGENT
- IL PREND VOS FILS
- IL DETRUIT LES ECOLES
- IL RUINE LES DISPENSAIRES
- IL BRULE VOS RECOLTES
- IL COUPE LES POTEAUX DU TELEPHONE ET
DU TELEGRAPHE

SON PASSAGE SIGNIFIE :
RUINE, DEUIL, LARMES, FAMINE ET MISERE
VOUS LUTTEZ CONTRE LES SAUTERELLES
LUTTEZ AUSSI CONTRE LE HORS-LA-LOI
LA SAUTERELLE D'AUJOURD'HUI

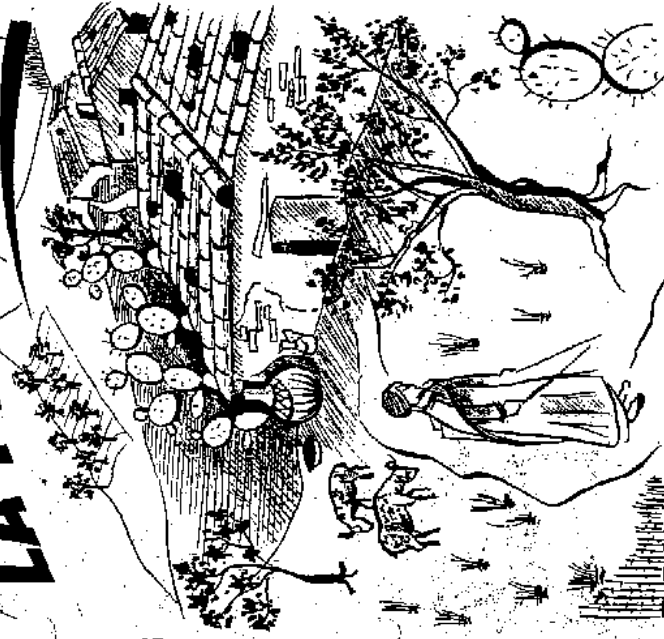
Rangez-vous résolument aux côtés de
**L'ARMEE DE
 PACIFICATION**

بني جميع الاموال التي فان عليكم الولا في
 ما يذبح حتى تنهي
 يذبح اولادكم
 يذبح بيوت اولادكم
 يقطع غنم الطيبون
 يقطع الفلحة
 يقطع القلعة

مروكة يدخل على الاخذ والحزن والدموع
 والجموع والشقاء يعين المورز ويشق
 تكاوتوا هذه الامداد وكما هو ايضا هذه الولا في
 جراد اليوم
 نظموا الولا حكرهم على حنايت جيمشنا الولا ناسي
 حيمشنا انه وا جده ليعينكم

الملحق رقم 52 : منشور فرنسي بطور عمل القورة - "التخريب" - و يجعلها مطبورا لكل الناس التي تقع للشعب

17/01/89
LA FRANCE

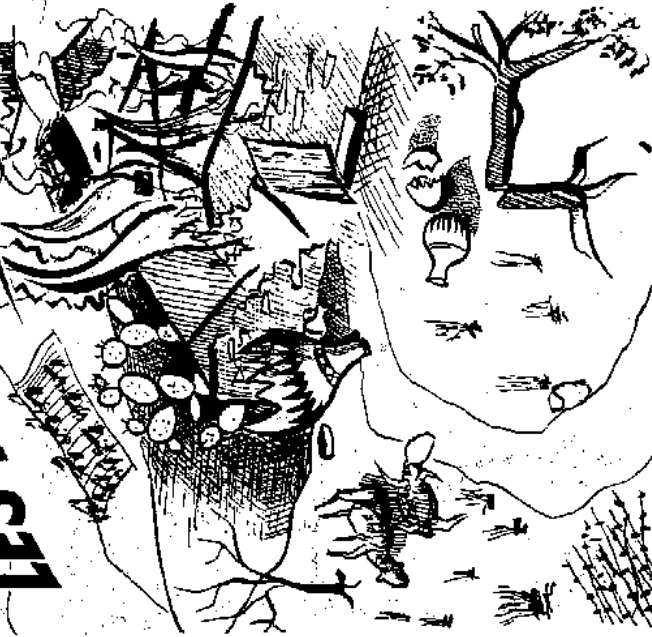


PAIX - JUSTICE - BONHEUR

المسح رقم 53 : يعرب مغارة بين الجيش تحت زاية لورسا و الجيش تحت زاية الفوق-مستشك

AVEC

LES FELLAGA



MORT - MALHEUR - INSÉCURITE

Français-Musulmans...

Il faut choisir :

OU LES FELLAGHAS...



Si vous donnez aide aux rebelles dans vos
vachkas.

Si vous tenez dans la montagne et la forêt
à l'arrivée des Troupes Françaises.

Si vous aidez les rebelles par votre argent
et par votre silence.

**VOUS SEREZ CONSIDÉRÉS COMME LEURS COMPLICES, ET VOUS SENTIREZ COMME EUX,
LE POIDS DE NOS ARMES.**

430

...OU LA FRANCE

Si vous refusez écus vos deniers à l'arrivée des Troupes Françaises.

Si vous donnez des renseignements.

Si vous nous aidez contre les
rebelles.

**ALORS NOUS VOUS AIDERONS
À CHASSER LES REBELLES.**

**NOUS RAYONNERONS VOTRE
DROUE.**



ALORS REVIENDRA LA PAIX QUE VOS PÈRES ONT GAGNÉE.

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

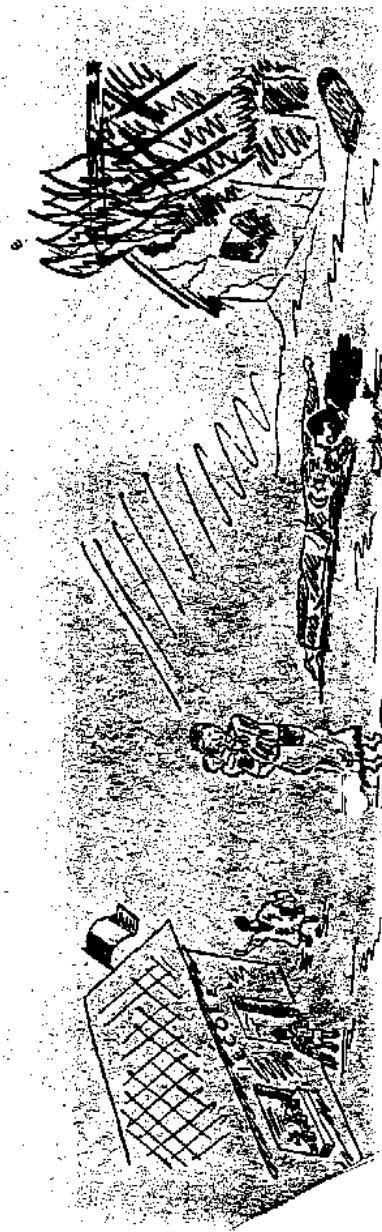
بما التفتت...
بما التفتت...
بما التفتت...

HABITANTS DE CE DOUAR

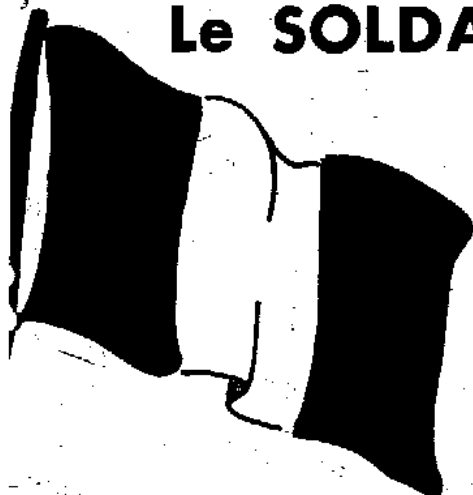
Vous avez reçu les rebelles
Vous leur avez donné votre argent et du ravitaillement
Vous les avez aidés par votre silence
Aussi complices de leurs crimes vous êtes traités comme tels

IL FAUT CHOISIR

La PAIX et la protection **OU** Les crimes et le
de la **FRANCE** **OU** CHATIMENT



الملحق رقم 55 : منشور فرنسي يدعو السكان الجزائريين إلى الاختيار بين « العيش في السلم في كنف و حماية فرنسا » أو « العيش في الجريمة و انتظار العقاب »



Le SOLDAT

FRANÇAIS...

... apporte son aide et sa protection
pour vous donner la LIBERTÉ!

PARTOUT OÙ FLOTTE LE DRAPEAU FRANÇAIS,

partout où l'Armée Française est présente, venez à elle pour lui demander son secours.

QUI QUE VOUS SOYEZ,

et même si vous avez commis le crime de porter les armes contre la France, votre patrie,

VENEZ A NOUS :

Si vous êtes blessé ou malade, vous serez soigné.

Si vous comprenez que l'instruction est un grand bien, amenez vos enfants : ils seront instruits.

Si votre famille est dans la misère et le besoin, elle sera aidée.

Si une injustice a été commise à votre égard, elle sera réparée.

EN ECHANGE DE TOUT CELA,

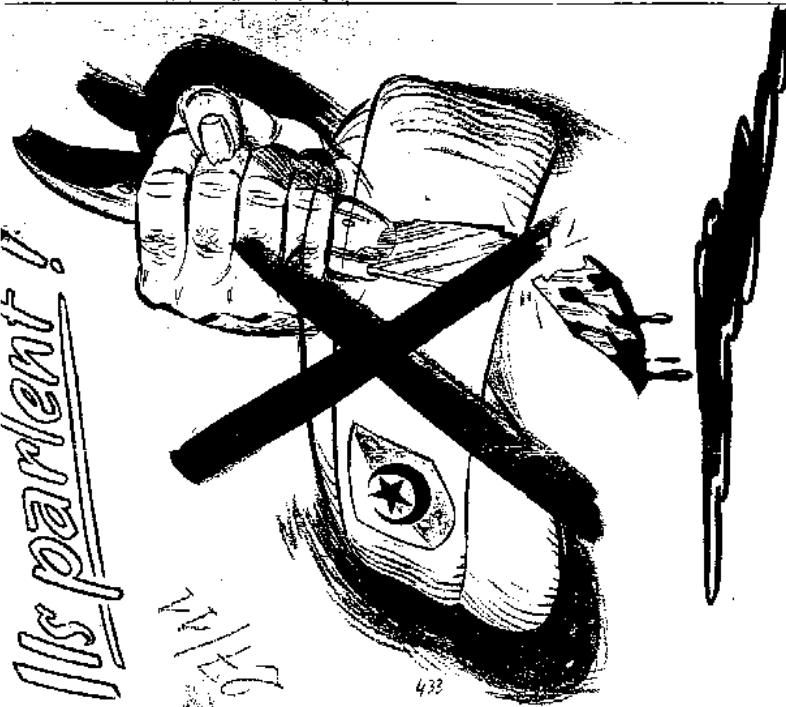
LE SOLDAT FRANÇAIS NE VOUS DEMANDERA

QUE VOTRE AMITIÉ.

الملحق رقم 56 : منشور فرنسي دعائي لصالح الجيش و الجندي الفرنسيين.

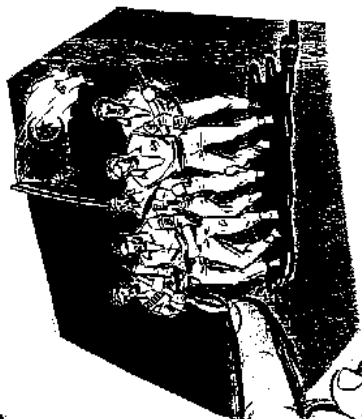
Il~~s~~ parlent!

7/1/79



LA REBELLION A PERDU

*parlez
pour*



DÉFENDRE VOTRE VIE

المحق رقم 57 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى رفض الثورة و الوضعية بعاصرها

SHANT, 24 05 82 / DC

27/12



دخلوا القرى الى المستعبد



يسرقون العبيد ، يهجون النساء
ويطعنون بعض الفلاحين الاثرياء



يصورون مشغرين



قد وصل الجنود الفرنسيون
جانبهم رجل شجاع من السودان



يسرون كذباب



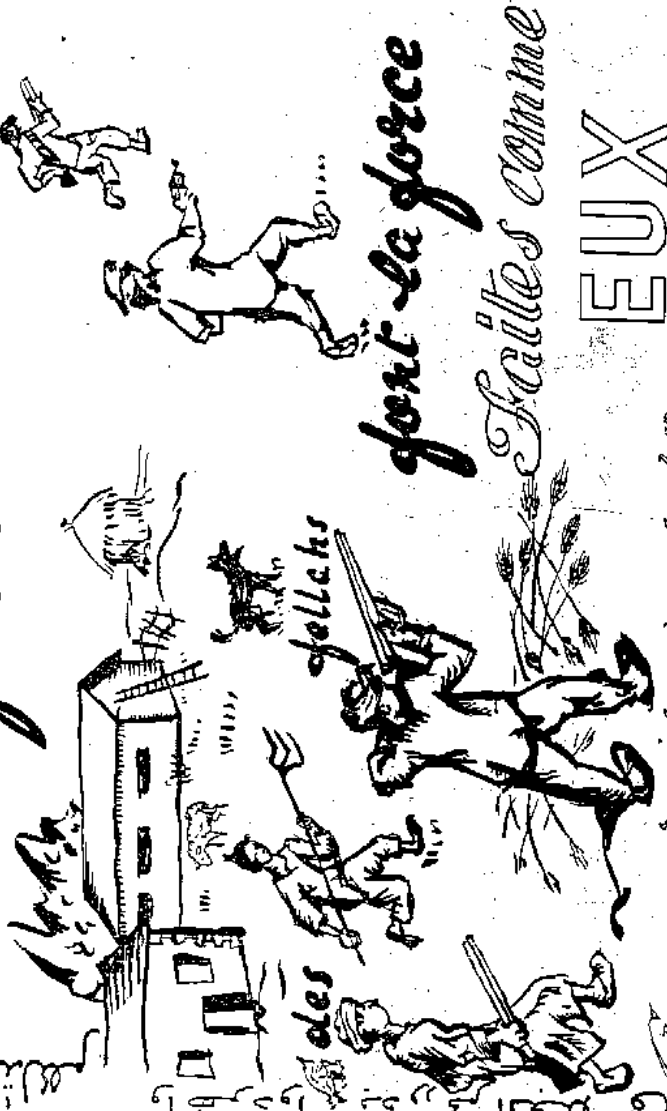
كانت اربعة من قلوب السكان
الذي يقاوا يمشقون جنودنا
اعلموا منهم
وعادوا الجيش الفرنسي
لا تيرا

الملحق رقم 58 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى لبذ الثورة و التعاون مع الجيش الفرنسي



المحقق رقم 588 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى تهاد الثورة و التعاون مع الجيش الفرنسي

٣٣: اتحاد و الامان يمكنوا قوة البلاحة
L'union et la confiance



font la force
Fautes comme
EUX

Chassez à notre tour les fellagas
SHAT, 1H 2509/d.2

١٥/٩
١٥/٩

436

Guerra da Trás-Algarves

LES FRANÇAIS T'ONT RETENU

QUE LOUÉ TEMPS POURQUOI ?

PARCE QU'ILS RECHERCHENT LES BANDITS
QUI SECACHENT PARMI LES HONNETES GENS
ALORS TA TRANQUILITE A ETE TROUBLEE
ET TA FAMILLE A CONNU LA PEUR

AUJOURD HUI LA JUSTICE FRANCAISE
TE RECONNAIT INNOCENT

RENTRE EN PAIX CHEZ TOI

MAIS REJETTE LE FELLAG
QUI AMENE LA MISERE ET LA MORT

RENSEIGNE LES AUTORITES

SI TU VEUX QUE LA PAIX REVIENTE VITE

منذ ورك البرنيسيس
مدّة عكلا نزل؟

على قاطر رايهم يبحثوا على
الملافة التي يتختبأوا عند
اولاء العائل - ذيك الساعة
تهولت عاقتك وعز عمتك
عابتك الخ
اليوم العدلية الفرنسية
عزجتك بارغب

اربع لدارك بالعافية

لداكن رة العلاف
الجايب الشتر والموت

شبه الحكومة

اذا بغت مع العافية على الحين

الملحق رقم 60 - منشور فرنسي يحث السكان الجزائريين على التعاون مع الجيش الفرنسي من أجل العودة السريعة إلى « حياة الأمن والعافية »

19/11/41

AVERTISSEMENT AUX POPULATIONS

Français-Musulmans !

NOTRE APPEL DU MOIS DE JUIN DERNIER, VOUS
DEMANDANT DE NOUS SIGNALER LE PASSAGE DE
"HORS-LOI" DANS VOS DOUARS, A ÉTÉ ENTENDU.

GRACE A VOUS !

L'Armée de Pacification connaît plusieurs repaires et voies de passages !
Des opérations sont et seront menées sans arrêt, afin que ceux qui ne
peuvent espérer le pardon et qui sont les piliers du maquis
soient chassés.

AIDEZ-NOUS !

Dénoncez ceux qui vous menacent de mort !
Dénoncez ceux qui pillent vos récoltes et votre bétail !
Dénoncez ceux qui volent votre argent, fruit de votre travail !

AIDEZ-NOUS !

En restant sur place au cours des opérations,
Les soldats de l'Armée de Pacification ont l'ordre de tirer sur tous ceux
qui fuient et qui ne répondent pas aux sommations.

Français-Musulmans !

UN RENSEIGNEMENT.....
..... C'est un bandit et un voleur de moins !

المحق رقم 61 : منشور فرنسي يدعو بعاون السكان مع الجيش و يدعوهم إلى تعاون أكبر

تنبيه للأهالي

أيها المسلمين الجزائريين !

سعدنا بسلام الذي يهناكم به في شهر جوان الماضي
وطبقتنا بتمك أن نخبروكم بما جاز في دولتكم من
الجهريين .

بعنايتكم !

يعرف الجيش السلام بين الشاوير والطرق الثابت وعلى كل حال كانت
وتكون عمليات سلطة جارية بلا انقطاع لتصف الذين لم لهم سعة
ولا شفقة .

عازونونا !

يكتب الذين يظفونكم السلام !
يكتب الذين يظفونوا غلقتكم وسلاكم !
يكتب الذين يرفقوا داهمكم التي دهموا بختكم !

عازونونا !

اتصدروا في سلاكم ولا تروا في وقت مدته الذي تكون جارية ضدكم
السليبات السادة - كرتروا على بال بأن ساكر العنق المسلم عنكم المر
ليقرصوا على الأشغاش الذين يهينون بعد ما يشرهم بالترقي

أيها المسلمون الجزائريين !

خمس واحد.... يساوي واحد المسومر وواحد السواق بالقتسان !

La révolte ne paie pas...

37/9
Les bandes du F. L. N., traquées, décimées,
NE VEULENT PLUS SE BATTRE :

AMRI AMAR chef de la bande de Smaali Salah S'EST RENDU
AU DJEBEL D'ARMOUN, avec ses 21 hommes.

SAHRAOUI SALAH ben BRAHIM, dit BOULAHIA,
déserteur de l'Armée française et chef de bande H.L.L. SE RALLIE aux Troupes
françaises du POSTE DE BIR EL ATER AVEC SON ARME ET SES MUNITIONS.

LES BANDES, qui n'ont plus confiance en leurs chefs se
battent entre elles.

TOUS EN ONT ASSEZ

De se conduire comme des criminels et des voleurs vis à vis de leurs
frères musulmans d'Algérie.

Des mensonges du F.L.N.

De vivre dans la misère quand leurs chefs, à Tunis, vivent dans la luxure
et se moquent bien de ceux qui se battent.

Les chefs se déshonorent

Il y a quelques jours FAHRI TAHAR, chef rebelle bien connu qui
semait la terreur dans la région de Tébessa et de Chéria s'est déshonoré
en arrachant, au milieu du combat, ses insignes de Commandement et en
passant sa coiffure à un H. L. L. pour ne pas être reconnu : IL EST MORT.

Le F. L. N. ne peut que vous précipiter
DANS LA MISERE ET DANS LA MORT!

الملحق رقم 62 : منشور فرنسي يعني الثورة وأشهر ياخفالنا
المصدر : SHAT, 1H 2509/d.2, Demande de fourniture de tracts :

LA REBELLION EST CONDAMNÉE

APRES LA CAPTURE DES CINQ CHEFS DU F.L.N.

APRES LA REDDITION

d'ADJOL ADJOL

CHEF REBELLE DES AURES

AUJOURD'HUI

ACHOUR ZIANE

qui se disait chef de la région d'OULED DJELLAL

a été TUÉ

HABITANTS DES VILLAGES

vous savez maintenant

QUE TOUS LES ASSASSINS PAIERONT A LEUR TOUR

AIDEZ L'ARMEE DE PACIFICATION

A LES DETRUIRE

ET BIENTOT VOUS RETROUVerez LA PAIX

الطليقي رقم 63 : منشور فرنسي يبيّن الفكرة من خلال زيف أخبار القضاء على بعض عناصرها ورمزها

37/14

تحرير المنشور

بعد التآمر القوي بين رؤساء جماعة التصويب المتحدة
وستلاحق وجمهورية موريتانيا
بجهد اوسع وقتل
مستهدفين

MAIX

السورين بمنطقة أولاد جلال
ايضا الاهالي الكرام هذه الالامه تتحقق لكم تتعذر الفرحه ونظامنا
وما عليكم الا بالاعتقاد وصدقنا وان الله يحاكم كل احد
بيده العاقبة وقدرة القوية
ايضا الشعب الجزائري لنذعان وقت الانضمام الى طرفي تحقيق
الامن كما انضمنا مع بعضنا بعضا ليس اوقات العسر وساطت
اليسر اليوم صبر وقت نصر

و حل الوقت وين

يلزمكم حلوا عيونكم

بعض العميين ما عندهم لادين ولا مله طيحوا الحرب
والميزانية تتلكم ودمتوا البلاد هي الحرب

بلا شك يتحافوا

والعق منهم تعرفوا ما اتوا وهم شارف مله في - حرش تقي
الحرش - سبي عبد الحليل مترو سعيده عيونك
الحرش محمد

ونوبة الاخرت ما حية ويتحافوا ثاني ان شاء الله

جمال عبد الناصر حيب العلاقة وبعثهم جاب الهلاي لبلاد
ميترو ما حال

- اسرائيل ملك نقر ما حير
- فرنسا وبركانية نزلوا في غنات سويس

ساعة العدل وصلت

بين بله وخطم ورافقتهم تحسروا والله غا صبح عذاب شديد
يستنتج هم ولكن فرنسا تحس على من يرجع على دشونه

من هذا الايام محول محول رئيس الثورة في التوريث طاع حبه هو
رؤفالي خونه

« يا اخواني ! رجعوا الى فرنسا تلقوا العفو والامان
وانصنا وانعافية - تحضروا عسكرم هر نصيب »

البارح عباد يومدين التي كان متره في باين رجح رئيس
كثير في نا حيط هتات ط كلب اللسان هو ثاني

دعوتكم سفكت وبعثت بلا امتال

العلاقة خسروا وانغلبوا حلوا عيونكم ما
بقي لكم الوقت ما ش تحضروا

اللهم دكم التي كريف القواب

الملحق رقم 66 : منشور فرنسي ينعي اخفاء الثورة من خلال سر و أسماء عدد من شهدائها
(أعيد كتابة نص الملحق مع احترام ربه)

أيها الإخوان المسلمين الزهراءيين

لازم عليكم تخمضوا مليح في نتيجة عمل القلافة

القلافة ماتوا واحدا بواحد.... ماتوا التي معروفين و التي ما هم شي معروفين... مات من ياح هو
وأصحابه بن علي و عبد الحليق و مات المبدأ هو أصحابه عبد القاضي و بالقاسم و مات
بو كايوس و صافي و عبد الرحمان و حزة و ناصر هم و أصحابهم عبد الحاكم و جمال و البرماكي
و الأحسن و جبلي و حسني المستي الأخضر و مات فوزي هو و أصحابه لوريس و رايح و سي
بجي القريني و الهاشمي و السلوفاكي... و ماتوا المنصور و الأخضر و شعار و بن العزروس و
ماتوا أصحابهم راجي و لاجم و جطاري و محروز و زعاف عباس و المرازري و حزة و مصباح و
عدوان و بلوفة و عبد المجيد و الوؤخ و عدد كبير من غيرهم

.... في الحقيقة القلافة ما ربحوا غير الموت

بعد ما قتلوا عدد كبير من الناس في الباطل

.... و من ينهي يتبع طريق القلافة يموت كما ماتوا هم

لازم عليكم تخمضوا مليح و تلهبوا بلي على كل حال

الخبير لكم ترجعوا لطريق الخزانة الفرنسية

كما رجعوا لها عدد كبير من الناس

الملحق رقم 65 : منشور فرنسي دعائي ضد الثورة يستعمل في صياغته
بعض قوالها التراث (أعيد كتابة نص الملحق مع احترام ربه)

لعنة الله على الظالمين

وين زاهم بن بلا و خيضر و لشرف

و ليت أحمد الرئيس لكبار مع قلافة ؟

هم في السجن بين يدي الدولة

وين راه الباور المعمر بإسلاح المشري

بستمية المليون الي خونوها القلافة

هو بين يدي الدولة

وين راه زيوروت يوسف الرئيس الكبير

مع قلافة عمالة قسطنطينة ؟

هو مقبول

إن الله يعاقب كل يوم جيش الدياحين و الحيان

أيها المسلمون الي اعنتم أعلى خاطر بقنوا في طريق

المستقيم راكم عاديين تهبوا مهينين كما الزمان

لأن الله مع المعبرين و النصر قريب

قوات العدل

34/193

**UNE ALGÉRIE NOUVELLE VA NAÎTRE
LA RÉBELLION EST CONDAMNÉE**

BEN BELLA, KHIDER, BOUDIAF ET LES AUTRES L'ONT RECONNU

LA RÉBELLION A PERDU LA PARTIE

BEN BELLA, KHIDER, BOUDIAF ET LES AUTRES ONT RÉVÉLÉ LES SECRETS
DE VOTRE ORGANISATION NOUS ALLONS DESORMAIS FRAPPER À COUP SUR

FELLA GA

**CESSEZ-LE-FEU
C'EST VOTRE INTÉRÊT**

445

ABANDONNEZ L'ERREUR
DÉBARRASSEZ-VOUS DE VOS MENEURS CRIMINELS
RÉPONDEZ A L'APPEL DU PRÉSIDENT MOLIET
ET DU MINISTRE RÉSIDANT LACOSTE

DÉJÀ ADJOUL ADJOUL LE CHEF REBELLE DES AURES
L'À COMPRIS ET S'EST RENDU

REPRENEZ VOTRE PLACE PARMİ NOUS
AVANT QU'IL NE SOIT TROP TARD

VENEZ TRAVAILLER AVEC NOUS A LA RÉALISATION
DE NOS ASPIRATIONS COMMUNES
DANS

UNE ALGÉRIE NOUVELLE, PROSPÈRE ET HEUREUSE

تأسيس جزيء الجرد يدة

الثورة خسة وفاعت

شاهد هذه العريفة بلة خيصر برفيا ولاز

الثورة انعد مت

كذبت بلم خيصر برفيا وراف خيصر عن ستر نظامكم

كلهس أيتها العلالة

بكلوا الكبحاح واستسلموا

وهذه مصداخكم ولامكم

ارجعوا الى كرفي اللدي

انركوا رؤسا لكم المعبر مي

وانتبعوا سدا الرخيصة مولوي وزدا الفز

المقيم العام لا كويست

هي هذه الاماعة اجول الجول ربيست ولا ق

اوريس اجاب التي هذا السدا وادم الي حيث فرضا

هغوف واما مكم بينا قبل ما اذيع الوقت

بلا فدموا واستسلموا وانشلوا معنا من انا

جرا محمد يدة دسعيدة وظنينة

الملحق رقم 68 : منشور فرنسي عوجه للمجاهدين في الجبال للتل من معوناتهم باستعلان بعض الأحداث دعائهم
المصدر : SHAT. 1H 2408

40/11/11
FELLA GA

HIER

L'ATHOS AVEC 100 TONNES D'ARMEMENTS
TOMBE ENTRE NOS MAINS

AUJOURD'HUI

LES RESPONSABLES DE LA REBELLION
SONT EN PRISON

BEN-BELLA
KHIDER
BOUDIAF
LACHREF
AIT-AHMED

TON TOUR VIENDRA
DEMAIN

أيهذا البولاقف

امعنا يا بنه كل من لا تسلعة مضمولة على مدينة
الطونس وبعثت بيني يد بنا

والبنوع رؤسا لكم

بي بلا

خيف ل

بوضياح

الأشرف

ايت اهد

ايضا بين يد بنا

اين تكون انا

خردا ؟

344: 00.004, 10 juil. 1957



ORDRE D'ARMÉE DES FORCES
STAT-MAJOR - BUREAU PSYCHOLOGIQUE

N° 808 /GAP/57

ORDRE DE SERVICE

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

OBJET : Explication psychologique des opérations des forces de l'ordre.

Il est fait envoi ci-joint en annexe I d'un sommaire de données de propagande établi par le Zone Est Constantinoise et qui est destiné à l'exploitation psychologique de nos succès opérationnels.

Cette exploitation sera d'autant plus efficace qu'elle sera faite logiquement par les unités en contact et utilisant des faits connus des populations. Les émissions sont donc à faire surtout dans les régions où les rebelles ont été secourus et dans les défilés et les boîtes où ils ont passé ou séjourné.

Ces émissions devront également être l'occasion d'une autre propagande - sous prétexte - de l'exploitation que les rebelles ont eue des "démarches d'expansion". Il est recommandé en effet aux populations locales comme un réflexe précepté d'attention à être en permanence de troupes françaises victorieusement attaquées par les rebelles dans une région voisine.

III/ a) - Sur l'abandon des moyens militaires français qui permettront à nos unités d'aller où elles veulent et qu'elles veulent. b) - Sur des questions problèmes posées au sujet des soulèvements victorieux rebelles et sur les informations complémentaires publiées par le Journal "Région Algérienne" (dont des unités ont été données en annexe II).

Le Général de Corps d'Armée Jean ROLLIN
Commandant le Corps d'Armée de Constantine.

P.O. le Colonel de GRENELLE, Chef d'Etat-Major.

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

- M. Le Général Commandant la Zone Ouest Constantinoise - BERTIP - (40 ex)
- M. Le Général Commandant la Zone Nord Constantinoise - CONSTANTIN - (120 ex)
- M. Le Général Commandant la Zone Est Constantinoise - BACHA - (60 ex)
- COLLE A - pour diffusion jusqu'à l'ensemble des unités de la Zone
- M. Le Général d'Armée Commandant le 10^e R.M. - R.M. - Bureau Psychologique
- M. Le Général - à l'usage de P.R.
- M. L'Inspecteur Général de l'Administration en Mission Extraordinaire - GRIFFOIS de Constantine - Bureau Psychologique
- M. Le Général Commandant la Zone Est Constantinoise - MORE -

" NON INFORMÉ "

----- F I N E X E I -----

1.- Le..... (Date) l'Armée Française a soutenu la bande de R..... tout le monde sait le résultat.
 R..... a été tué à son cadavre repose à
 M..... a été blessé il est soigné par les français à.....
 D..... a été fait prisonnier.
 Vous les commissaires tous !
 R était le fils de Z

2.- Pendant que ces jeunes hommes étaient la proie des halles Françaises, des tanks et des avions..... qui faisaient leurs chefs ?
 qui le sait ?
 Que nous qui le savent le disent franchement !
 La tristesse et la honte les empêchant-ils de parler ?
 R..... a été soigné sur un matelot qui a été retrouvé à
 M..... a été soigné dans la secour..... durant la nuit de

3.- Et vous avez donné vos enfants à de tels chefs !
 Exactement qu'ils sont morts, les chefs chefs vont-ils venir vous redonner-
 ter encore d'autres enfants, continuer ce combat perdu !

4.- Les fusils sont tombés entre les mains des Français. Pour avoir les meilleurs soldats, les chefs vont-ils vous redonner encore de l'argent pour acheter des armes ?

5.- Jusqu'à quand vos enfants et votre argent vont aller engraisser des pro-
 fiteurs incapables, des politiciens qui risquent pour leur maison de FURIE.
 Jusqu'à quand ? Nulieu l'A.L.M. n'aura la parole.

6.- L'avenir n'est pas du côté des pillards et des déserteurs, mais du côté de la France, forte et puissante, qui effraiera les hommes de la peur répandue la nuit par des rebelles fanatiques, protégés les femmes et les enfants de la disette créée par la rébellion.

E.A.L.M. n'aura la parole.
 L'O.M.O. n'a dit non à la rébellion.
 Les MATONS ont dit non à la rébellion.
 Rendez les chefs criminels qui vous ont trompés.
 Rejoignez-vous à la FRANCE GÉNÉRALE et BÉNÉVOLE avec LA FRANCE L'AMERKE ROMVALE.

Le paix que vos anciens ont eue, elle est à la portée de votre main.
 Le paix que vos cours. Le paix, le bonheur et la prospérité reviendront dès que les rebelles auront été mis hors d'état de nuire.

المجلس رقم 7 : نموذج عام خطية دعائية تلقى على الحدود المغربية -
 الفرنسي « ر » « هاليم الفار » . الصلح -
 psychologique 1956-1958

SIAT, 1H 2460/d.l.

LAISSEZ-PASSER POUR L'EST

COMMUNIQUÉ : Entre le 4 et le 28 Janvier 1958, 468 Jeunes Gens "recrutés" par le F.L.N. et emmenés en Tunisie par les rebelles sont accrochés par les Forces de l'Ordre, dans le Sud Constantinois, près de la frontière.

**313 ONT ÉTÉ TUÉS
155 SE SONT RENDUS
CEUX-LA SONT DES SAGES**



A l'existence misérable des bandes du F.L.N.

**ILS ONT PRÉFÉRÉ LA VIE
LAISSEZ-PASSER POUR L'EST
LAISSEZ-PASSER POUR LA MORT**

الملحق 72 : منشور فرنسي للبليل من معنويات جيش التحرير حول موضوع « السد المكهرب الذي لا يخترق ».
المصدر : SHAT, 1H 2509/d.1

الملحق رقم 73 : منشور جيش التحرير موجه إلى الجيش الفرنسي ردا على بعض منشوره.

المصدر : SHAT, IH 2587/d.1 « Tracts ALN- militaires »

Tract ALN trouvé ces jours à la fois à Batna, à Timgad et à V. Duruy entre le 11 et le 15 novembre 1956

=====

**Armée de Libération
Nationale Algérienne**

**Front de Libération
National Algérienne**

Aurès : Zone A

Depuis quelques temps vos services psychologiques multiplient les appels aux combattants de l'ALN et reconnaissent par là même l'échec de la politique de force, il est vrai que ces bulletins de victoire n'ont jamais trompé personne.

Hélas les appels ne nous ont pas convaincu et vous attendrez longtemps encore avant que nous venions déposer les armes à vos pieds.

Dans tout vos tracts vous faites allusion à l'arrestation des 5 chefs du FLN : pourtant les circonstances de cet événement devrait vous inciter à plus de pudeur. Mais cette victoire est bien dans la ligne de conduite de l'Armée Française, qui ne peut s'attaquer aux combattants sur le champ de bataille et sans coup férir va les arrêter sur les aérodromes. Cependant, sachez bien que si vous avez arrêté cinq chefs du FLN notre lutte se poursuivra quand même : nous combattons pour une cause sacrée et non pour Ben Belle et Kheider.

Quand à l'Athos, nous n'avons jamais compter sur l'Egypte pour nous armer mais seulement sur vos soldats qui bon gré nous fournissent armes et munitions.

Dormez donc en paix, les combattants de l'ALN sont plus que jamais décidés à se battre pour faire triompher sur cette terre l'idéal de la liberté et de justice ; vous ne les verrez pas venir vous demander l'aman comme vous l'espérer.

Vive le FLN

Vive l'ALN

Vive le combat libérateur

- =====
- Analyse sommaire du tract : Contre propagande
 - Analyse détaillée : Volonté de poursuivre la lutte et refuser l'aman

N. B : réponse à plusieurs tracts amis

ملحق رقم 77 : منشور جيش التحرير بعنوان « بدء إلى الشعب الجزائري » وجه للشعب
للدرد على بعض مناهج الجيش الفرنسي التي بعثت فيه الجماهير بالجزائر (انظر الملحق رقم
47) المنشر : SIAT. IH 2587/II.2. Tracts ALN - populations

ARABES DE LIBERATION NATIONALE ALGERIENNE

APPEL AU PEUPLE ALGERIEN

PEUPLE ALGERIEN : L'impérialisme français a des derniers
jours multiplié ses odieuses provocations à l'égard des combattants qui li
compars aux FRANCAIS oubliant toute sa réalité, sa sauvagerie et sa
barbarie.

N'ayant pu venir à bout de notre farouche résistance qui
s'accentue de jour en jour, l'armée dite de "pacification" a "aspiré" de
l'arme des faibles et des lâches : la TERROUR.

PEUPLE ALGERIEN sois juge et juge les événements d'une
façon objective : qui sont les FRANCAIS ?... qui brule les forêts de BOU-
BAJED, de CHELLA, de BERRIK et de EL MESSITH KABILIE ou la feu des mines,
lance des bombes au MELAL à côté des centaines de milliers d'habitants ?
C'EST L'IMPERIALISME FRANCAIS !

qui volent les bijoux des femmes, les bijoux des paysans
et le salaire des travailleurs ouverts au cours des opérations de "paci-
fisation" qui sont devenues quotidiennes ? CE SONT LES SOLDATS DE L'AR-
MÉE FRANCAISE.

qui bombardent les enfants, les douars et les villages ?
C'EST L'IMPERIEUR IMPERIALISME FRANCAIS.

Avec toute sa répression et ses forfaits l'impérialisme
ose impunément qualifier les véritables défenseurs d'une cause noble
de SAUVAGES ! UN MOT QUE L'IMPERIALISME LIBÉRIENT PORTE DEPUIS CENT
VINGT SIX ANS.

Quant au PEUPLE ALGERIEN, il a su et il sait qui est celui
qui ravage ses biens, tue ses enfants, massacre ses femmes et ses vieill-
lards.

LE PEUPLE ALGERIEN, dans son ensemble a choisi le chemin
de la LIBERTÉ, de la DIGNITÉ et de l'HONNEUR. Et le programme, ni le
slogan, ni les fautes de choix à réalisations différentes que les autres
avaient par dessus les hommes et les machines ne peuvent faire d'effets
sur le moral du PEUPLE ALGERIEN.

PEUPLE ALGERIEN : sois comme par le passé, COURAGEUX PA-
TRIOTE et UNI des véritables défenseurs de TA CAUSE. La victoire sera pro-
che et les brailleurs de forêts, les ravageurs de biens, les tueurs d'en-
fants seront mis en déroute.

VIVE LA MOTTE DU PEUPLE ALGERIEN

VIVE L'ALGERIE LIBRE

VIVE L'ALGERIE DE LIBERATION NATIONALE ALGERIENNE.

الملحق رقم 78 : منشور جيش التحرير هو بمثابة جمع للصدى ليشور لوسي سابق بعنوان
الجزائر (انظر الملحق رقم 47) المنشر : SIAT. IH 2587/II.1

Cette d'un tract traduit le 28-9-56 au 60 à 65 accroché à un panneau, du
côté sud du train avait reçu quelques coups de feu la veille à 19 H30.

O.P.F.E. :

Français,

Vous croyez que vous êtes des hommes, pourquoi vous dites que nous
sommes des souterrains,

Voilà, d'un côté le grand champion, de l'autre côté le train.

Nous, nous sommes des hommes, des hommes de la réalité, et vous,
vous êtes des criminels.

ferde pour la France.

Armée Nationale de la Libération

Voilà pourquoi nous avons dérailé le train.

C'est à cause des méfaits que vous faites au préjudice des femmes
et des hommes.

Nous voulons notre pays, laissez-nous vivre dans l'indépendance.

Vive l'Algérie libre

A-bas la France

Vive l'Armée de la Libération.

ENVOYÉ :

DE LA PART DE L'AR-
MÉE

NATIONALE DE LIBERATION

ALGERIENNE

COM. ALGERIEN.

الملحق رقم 79 : منشور جيش التحرير الوطني أحمد بشكل رسالة خاصة (إلى ضابط فرنسي برتبة نقيب بقرية

إغيل أنالة. بالقطاع العسكري ليجاية. المصدر : SHAT, 1H 2587/D1 "Tracts ALN- militaire"

Document rebelle récupéré sur la mosquée d'Irtil N°Tala, dans la nuit du 11 au 12/11/56, transmis (sous n° 3889/28/S. / par le Secteur de Bougie en date du 22/11/1956.

=====

Armée de Libération Nationale

Etat - Major de Guerre, Kabylie

A Monsieur le Capitaine de d'I Ghil TALA (secteur de Bougie)

J'ose vous écrire en me permettant de vous dire que je suis au courant des tracts que vos hommes ont servi faisant croire que le FLN se méfier des Kabyles. Votre gouvernement se trompe, je voudrai vous dire une chose c'est que le plupart des Kabyles sont officiers dans l'armée de Libération Nationale comme par exemple, je vous cite un :HAMIROUCHE Le DUR.

Si votre gouvernement tenait a ses promesses, il y aurait long temps que nous aurions eu l'égalité, mais puisque ses promesse ne sont jamais favorables, l'heure du chantage est terminée. le peuple algérien en lutte pour sa liberté ne s'arrêtera que lorsque l'indépendance sera proclamée .

Le gouvernement Molet- Lacoste ayant tenté d'obtenir la population entre leur main, en utilisant tous moyens de force, de bombardement de village, mitraillage a l'aide d'avions, exécutions des civils, détruisant les maison et incendiant les village, pillage même des pauvres fellahs de leur pauvre richesse, veulent faire croire au peuple algérien qu'il y aura pas de solution militaire, se retournent maintenant a faire croire que leur gouvernement souhaite une solution pacifique. Mais votre race, votre manière de tourner et de retourner la parole ne s'en va pas de notre tête. Si c'était seulement l'égalité que nous demandions, il y aurait longtemps que ce sera fini . Mais toujours vous ne voulez pas comprendre qu'un peuple luttant pour sa liberté, rien ne l'empêchera en son trajet. Vous avez cédé L'Indochine -le Maroc - la Tunisie et dans quelques jours ce sera l'Algérie. Ce qui me fait la peine, c'est nos femmes ainsi que vos enfant que vous avez laissé en métropole car soldats français : la plupart de vous sont venus debout sur le bateau et sont retournés dans le cercueil. Votre presse ne cesse de vous en courage mais ceux qui sont au courant de ceux qui meurent par jour ont compris que c'est du chantage .Robert Lacoste ne cesse de grossir sa silhouette et sa poche et vous militaire combattez pour le colons, la plupart de vous autre reconnaissent qu'il sont venu pour mourir pour rien. Mais A dieu la France d'autrefois, car maintenant elle a donne pouvoir au juif. Le vrai français reconnaît ce qu'est un être humain et un peuple à disposer de lui-même.

Donc Capitaine : un conseil a vous donner, il faut laisser les civils tranquilles, si en cas vous voulez vous mesurez, ça sera un jour quand nous nous rencontrerons. Je crois que vous êtes au courant du souvenir que j ai laissé le 28.10.56 a TAOURIRT OUABLA. Si vous laissez les civils ça va, sinon un jour viendra où vous aussi je vous laisserai un souvenir. L'Algérie vous la céderez, mieux pour vous de préserver votre tête et de joindre votre famille sain et sauf

A Bientôt capitaine.

Signe Le sergent (paraphe)

الملحق رقم 80 : منشور جيش التحرير يفيض حماسة و فخر، فيه تحذ و معارضة و دعوة إلى الزال مع شيء من التهكم و السخرية. المصدر : SHAT, 1H 2587/d.2, tracts ALN- militaires :

Annex. 1

Copie d'un tract distribué
Mlle. Minou (9 de Kabili)

SOLDATS FRANÇAIS : Réponse rebelle à votre tract du 25.

Votre but en ALGERIE est de chercher quelques bouts de pain et des figues pendant vos sorties en opérations, là où vous ne trouvez que des Algériens à qui vous faites peur. Vous n'êtes pas capable d'honorer votre nation, la population à qui vous donnez des armes, marche sous nos ordres, c'est une bombe qui vous détruira sous notre poussée. Vous savez bien que la loi est dans le maquis.

L'éveillement passé à santé de votre côté, nos yeux sont maintenant ouverts, l'aveugle c'est celui qui meurt pour rien, inutilement pour une poignée de figues. On vous considère comme des femmes, le nombre ne compte pas, malgré que nous sommes une poignée, notre son résonne de l'EST à l'OUEST et du NORD au SUD, votre grand nombre, à côté de nous est anéantissant.

Les portes du paradis nous sont ouvertes, pourvu qu'on tue beaucoup, avec l'aide de Dieu nous finirons par vous détruire et avec vos propres armes. Notre tour de régner est arrivé, tous ceux qui essayeront de mettre l'oeil sur votre sale peau sera guillotiné. La France n'est plus une nation à craindre. Un beau jour éclatera sur vous votre bombe. Pour honorer l'Islam, on cherche la mort, mais vous ne pouvez pas tuer, vous aimez trop les figues, ces figues vous condamneront. Nous Algériens dignes de porter le nom "Islam" avons jeté en une seconde, le 1er Novembre 1954, l'arreur qui nous a plongé dans l'ombre.

L'Algérie, pays de l'Islam, tout jeune et solide n'a besoin d'appui d'aucune nation devant une France pourrie sale France pourqu'on insulte, l'inégalable supériorité de l'Egypte ou de la Russie.

Au temps où Français et Égyptes étaient unis, ces derniers étaient comme des ânes battus. Aujourd'hui nos yeux sont ouverts, notre tour de régner est arrivé, le monde entier sera entre les mains musulmanes.

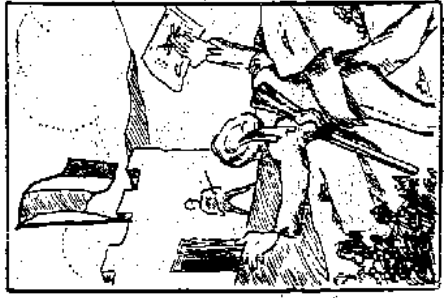
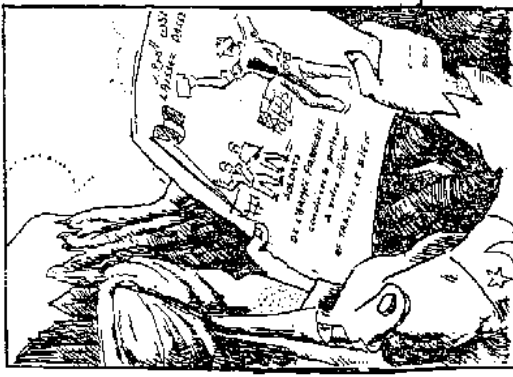
Le perdant se jugera lui-même, nous ne regrettons pas ce qu'on a décidé de faire. Bientôt notre drapeau flottera sur les côtes algériennes.

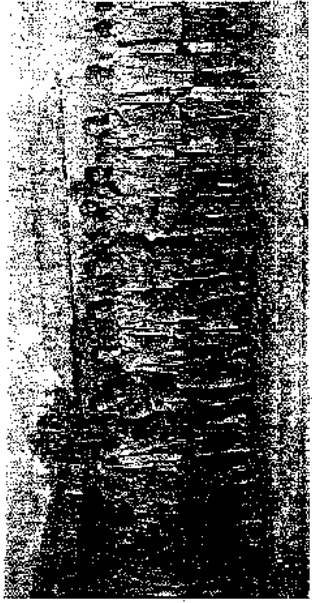
Questions de rendre les armes, tous les samedis, fouille entre les pattes arrière des ânes vous y trouverez des armes lourdes : F.M., mortiers, etc....

DOUAR AÏSEU-MIMOU

PRIERE DE RÉPONDRE.

CHEF DE ZONE





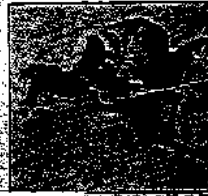
يوم ٧ صيفير ١٩٥٧
 بني جبل زمرور
 حزا تبسة

3/4/59

اسم
 علم خاطر اسم
 سلموا
 باسمهم يغفكول فيعلم
 اصحا بنعم ماتوا بلا شئ
 الحرب بلا فايد
 فاعلموا

الملحق رقم 84 : منشور فرنسي بحث على الاتحاف
 المصدر : SHAT, 1H 2509/d.2. Demande de fourniture de tract

Louange à Dieu !
 Annonce du Dieulement et miséricordieux !
 J'ai écrit moi-même cette déclaration.



Je suis **HADJI MAHMOUD, SURNOMME SI MAHMOUD SERRIR**,
 Koballa, depuis vingt mois, j'étais Moulaïzem (aspirant)
 de la Bahla des Rouars de Béne-Guelma.

J'étais, aujourd'hui 7 juillet 1957 à Béne, cette déclaration de ma propre
 main. Je fus rebelle au mois de septembre 1955, jusqu'au 17 mai 1957, date du
 combat des Beni-Merzefine, où, blessé au pied et au bras, je fus capturé par
 l'Armée Française.

Immédiatement, sur le chemin de bataille, l'Armée Française pansa mes
 blessures puis me fit transporter à l'hôpital de Guelma.

Aujourd'hui, je suis rétabli. Dieu soit loué !

Cette déclaration est spécialement adressée à tous les rebelles, au
 peuple, à la population civile, à tous ceux qui ont été trompés par une
 propagande mensongère.

Moi, Hadji Mahmoud, qui, depuis 1953 et jusqu'à ce jour faisais partie de
 M.I.L.D., je révoque avec certitude que le M.I.L.D. hier, et la F.L.N. aujourd'hui
 suivent une ligne de conduite dictée par les communistes.

Cette manière d'agir ne profite qu'à certaines personnes.

C'est une vérité établie après expérience. Je suis allé à Tunis et j'y
 ai trouvé des gens qui, au nom de la révolution, menaient une vie confortable,
 uniquement préoccupés à se disputer le pouvoir ou à régler leurs affaires
 personnelles. Tous ces gens là fouillaient à leur aise, à Tunis ou ailleurs, des
 trésors qu'ils avaient prélevés sur le peuple.

J'adresse un appel à tous ceux qui sont dans le doute parce que je
 sais qu'ils sont trompés, et que je sais que la France pardonne à celui qui se rallie.

Elle m'a pardonné, avec une grande générosité et en respectant ma dignité.
 Comprenez-moi bien mes frères ! Ces paroles ne sont pas de la propa-
 gande. C'est la vérité que je proclame, après avoir vu et après avoir entendu.

Mais comme eux, vivons à nous avec tout arme

La France tient parole



Ils se sont ralliés à l'Armée
 Française avec leurs armes

LE PARDON LEUR A ETE ACCORDE
 ILS SONT MAINTENANT HEUREUX
 ET ILS ONT CHOISI DE VIVRE AVEC NOUS

LES RECONNAIS-TU ?

Tarzan - Litim Saïd - Amari Amar
 et les autres.....

Mais comme eux, vivons à nous avec tout arme

Vive l'Algérie Française nouvelle.

Salut !

Si Mahmoud Serhir.

1
 24/9/57

الملحق رقم 85 : منشور فرنسي عن استقلال نفسيا لبعض عمليات الاتحاد
 SHAT, 1H 2509/d.2, Demande de fourniture de tract : المصير

SHAT, 1H 2509/d.2. Demande de fourniture de tract

37/5

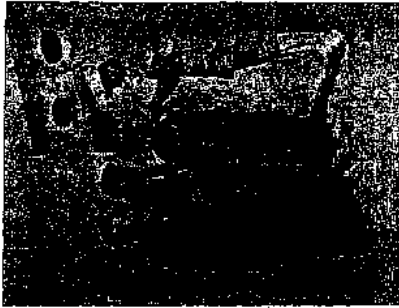
الى جنود شرق افراسيينما

الحمد لله

السلام من سي الحميد من سي حميدة ومن سي
مصطفى لجميع اخوتهم الظالمين والمخذومين
من عند سي الحميد = " التي يوم 2 نفيير طلبت
امان جنود فرنسا واعطيت لهم ضماناتا مكحلتني
(قارانت) وتنايلي في الشفوية "
من جنود ارج حميدة " التي طلبت امان جنود
فرنسا يوم 2 نفيير في دار مودس واعطيت لهم
ضمانا (بازوكتي) وزوج قنايل "
من عند لورا سي مصطفى " التي يوم 11 اديصير طلبت
مفر جنود فرنسا في عين الكوية واعطيت لهم ضماناتا
رشاشتي (توسون) وتنايلي "
فهمنا بالتي كنا في طريق الشرور جينا مع التي
هنا الجنود الصجاج متاع الجزائر الحرة
فهمنا بالتي فلفظنا واليوم مع فرنسا التي
تساح لنا خيبرنا بالحرية الكاملة نضربوا اولاد
الحرام التي داركم
ارواحنا حيا تطلقا والامان ونحجموا نبيروا
مع بعضنا الجزائر الجديدة

الملحق رقم 86 : منشور فرنسي يمثل استغلالا نفسيا لبعض عمليات الالتحاق
المصدر : SHAT, 1H 2509/d.2, Demande de fourniture de tract

POUR EUX LA GUERRE EST FINIE



FELLAGHA !

Vos chefs vous disent que les Français ne font pas de prisonniers.

Regardez bien cette photographie et vous verrez que vos chefs vous trompent.

Vos camarades prisonniers sont actuellement en bonne santé à PHILIPPEVILLE.

Pour eux la guerre est finie !

De gauche à droite on reconnaît
GUENNOUNE Belkacem Ben Rabah,
HADJI Messaoud Ben Mohamed, CHELLI Kaddour Ben Rabah
faits prisonniers par les Troupes françaises

le 23 Avril 1957 à la Mecha 'askuf
près d'EL-MILIA

SHAT, IH 2509/d.2, Demande de fourniture de tract : المنشور رقم 88 : منشور فرنسي يدل على اعتقال قسما لبعض عائلات الصحابة المعتبرين

EMAT-MAJOR INFORMATIONS

N° 1645 EMI/BEL/BEVS ASS

N° 2598 EMI/S.BIVS

Ex. N° 2/30

SECRET

ZINOU ZINORIENTATION

SECRET

camp sont les ~~meilleures~~ ~~meilleures~~ pour assurer l'assistance des services d'information. D'où la nécessité d'exploiter l'information à l'échelon EMI dans les délais les plus brefs possible.

Il faut prescrire au stade initial, toute entreprise de "retournement psychologique" et les consigner d'un écrit détaillé par le bon de l'accueil, le spécifiant de la formulation ESE - PSMA au sein des F.O. L'aspect calme, la bonhomie, "nouveau", de l'Algérie retrouvée.

2.- Les témoignages recherchés doivent être :

- concrets (faits, propos, anecdotes)
- précis : lieu, date, noms,
- significatifs ou pittoresques.
- épurés de ton et d'expression.

Les déclarations générales vagues et banales, les professions de foi lyrique sont de très peu d'intérêt.

3.- Sous réserve de certaines précautions, un individu suspect peut apporter des témoignages exploitables. Les comptes d'incrimination doivent être communiqués à l'EMI/BEL mais ne constituent pas en eux-mêmes un vice rédhibitoire au cas contraire. La publicité donnée à leurs déclarations contribue à les "engager" dans un sens défavorable à la révolte. La FIN dès lors peut hésiter à débiter de faux raillages.

Le Général HERITIER
Chef d'Etat-Major,

Heritier

DESTINATAIRES

- M. Le Général COT Le R.I.
- et le C.A. D'ORAN
- M. Le Général COT Le R.I.
- et le C.A. DE CONSTANTINE

COPIES :

- M. Le Colonel Chef du Centre de Documentation Algérienne
- M. Le Lt-Colonel Chef du S.S.M.A./ALGERIE (2 ex.)

SECRET

DIRECTION INTERIEURE

- M. Le Colonel Chef du R.S./D.M.
- M. Le Colonel Chef du BEL/EMI.

Handwritten notes and signatures in the left margin.

O.B.J.E.I. : Exploitation guerre psychologique de ralliés et prisonniers en provenance de Tunisie et du Maroc.

REFERENCES : - Note Technique N° 6245/FMI/2/0PE/Expl. du 21.10.1959.
- Lettre de Service N° 5999/FMI/2/0.1. du 5.11.60

La note de service en deuxième référence mentionne la conduite à tenir à l'égard des ralliés provenant du Maroc et de Tunisie. Elle indique notamment que "si le rallié s'avère important ou susceptible d'être exploité au point de vue guerre psychologique, il doit être signalé immédiatement à l'EMI/BEL et S.2 et un interrogatoire préalable envoyé par message sous les meilleurs délais".

La présente note est destinée à orienter les officiers qui sont chargés d'apprécier au premier interrogatoire l'intérêt présenté par le rallié ou le prisonnier au point de vue guerre psychologique. Elle vise ainsi à préciser les conditions auxquelles les services d'exploitation doivent être adressés à l'Algérie EMI. Les renseignements à rechercher (Annexe I ci-dessous) ne doivent pas être fournis à l'ennemi. Les officiers chargés de l'opération à l'origine de cette note et résument le résultat de cette investigation dans le message d'interrogatoire adressé à l'EMI/BEL et EM/S.2. Ils feront prendre quelques photographies illustrant l'attitude et l'aspect du ou des intéressés à leurs premiers contacts avec les F.O.

II.- PRINCIPALES QUEREAUX

1.- Au stade initial de leur exploitation en vue de la guerre psychologique les ralliés et les prisonniers sont intéressés en tant que tels. On en connaît le nom, l'adresse, la date de naissance et l'endroit où il a été capturé. Les faits d'accusation et les allusions à l'acte de révolte sont connus. Il est recommandé de maintenir de l'affaire de **SECRET** à se trouver dans l'ordre...

SHAT, IH 2581/d 1. : SHAT, les renseignements et les données de la guerre psychologique : 899 : le 20 novembre 1962

SECRET ~~SECRET~~ ~~SECRET~~

**RENSEIGNEMENTS A RECHERCHER AUPRES DES FAMILLES ET PRISONNIERS
PAR LES OFFICIERS DE GUERRE PSYCHOLOGIQUE**

I.- INCIDENTS INTERNES (en FIN et à L'AIN)

- Désertions - Insoumissions.
- Désobéissance et limogements.
- Condamnations.
- Exécutions.
- Enlèvements et déportations.
- Meurtres suspects.
- Accusations contre les chefs (incapacité, cupidité, vanité, débauche, favoritisme, malversations, dettes de jeu etc...)
- Tensions régionales (régions de la Tunisie, Algérie, Maroc).
- Accusations, émeutes, étudiants, syndicalistes, fonctionnaires, etc...
- Discords entre officiers issus des écoles, anciens officiers français, officiers issus des Ecoles Françaises.
- Propos tenus par des chefs et désobligeants à l'égard de personnes ou d'organisations.
- Concessions de vio des réfugiés : habitation, nourriture, ras- sources, écoles etc...
- Propos tenus par les réfugiés à l'encontre des chefs ou des organisations FM et incidents contre réfugiés et autorisés FM.
- Visites d'adoption dans les unités de l'ADM : propos tenus en public ou en privé.
- Discorde entre les différents services - ADM - Ravitaillement - Liaisons et renseignements etc...

II.- INCIDENTS ENTRE FIN ET PAYS ETRANGERS

- Propos désobligeants tenus par des chefs à l'égard des marocains, algériens, tunisiens, d'autres pays frères.
- Tensions entre rebelles et tunisiens ou marocains.
- Collusion entre individus ou organisation de FM et individus ou organisations marocaines et tunisiennes d'opposition : ALM, UFFP, Syndicat, Youssoufisme.
- Présence dans les camps FIN de ressortissants étrangers susceptibles d'intriquer contre le régime établi au Maroc et en Tunisie.
- Témoignages défavorables sur les pays "frères".
- Propos défavorables tenus par les stagiaires sortis d'écoles étrangères envers réfugiés algériens et autorisés tunisiens ou marocains.

SECRET

.../...

SECRET ~~SECRET~~ ~~SECRET~~

III.- DEMORALISATION DES REBELLES EN DE L'AIN

- Faits et propos marquants :
 - La lassitude de la guerre.
 - La peur du combat.
 - La dégradation du moral (évolution défavorable)
 - La désaffection pour les chefs de la rébellion
 - La désaffection pour la politique du GMA.

IV.- REACTIONS DES REBELLES SUR DES QUESTIONS D'ACTUALITE

- En particulier :
 - Comment les intéressés ont connu les faits ?
 - Quelle version officielle leur a été présentée ?
 - Quelle interprétation personnelle en avaient-ils déduite ?

V.- TENDANCES SUR LES MONTAGES DE LA REPUBLIQUE FM

- Visites organisées d'observateurs étrangers.
- "Rapportages, montages" au profit de presse, radio, photo, cinéma.
- Présentation à la presse - (matériel soi-disant réarmé, blessés, déserteurs des F.O. etc...)
- Montages d'incidents de frontières etc...

VI.- DOCUMENTS RAPOORTES PAR L'ALGERIE

- Photos
- Documents intéressants par leur forme (papier au-tête et signatures d'autorités).
- Cachets d'autorités.
- Documents à publier.

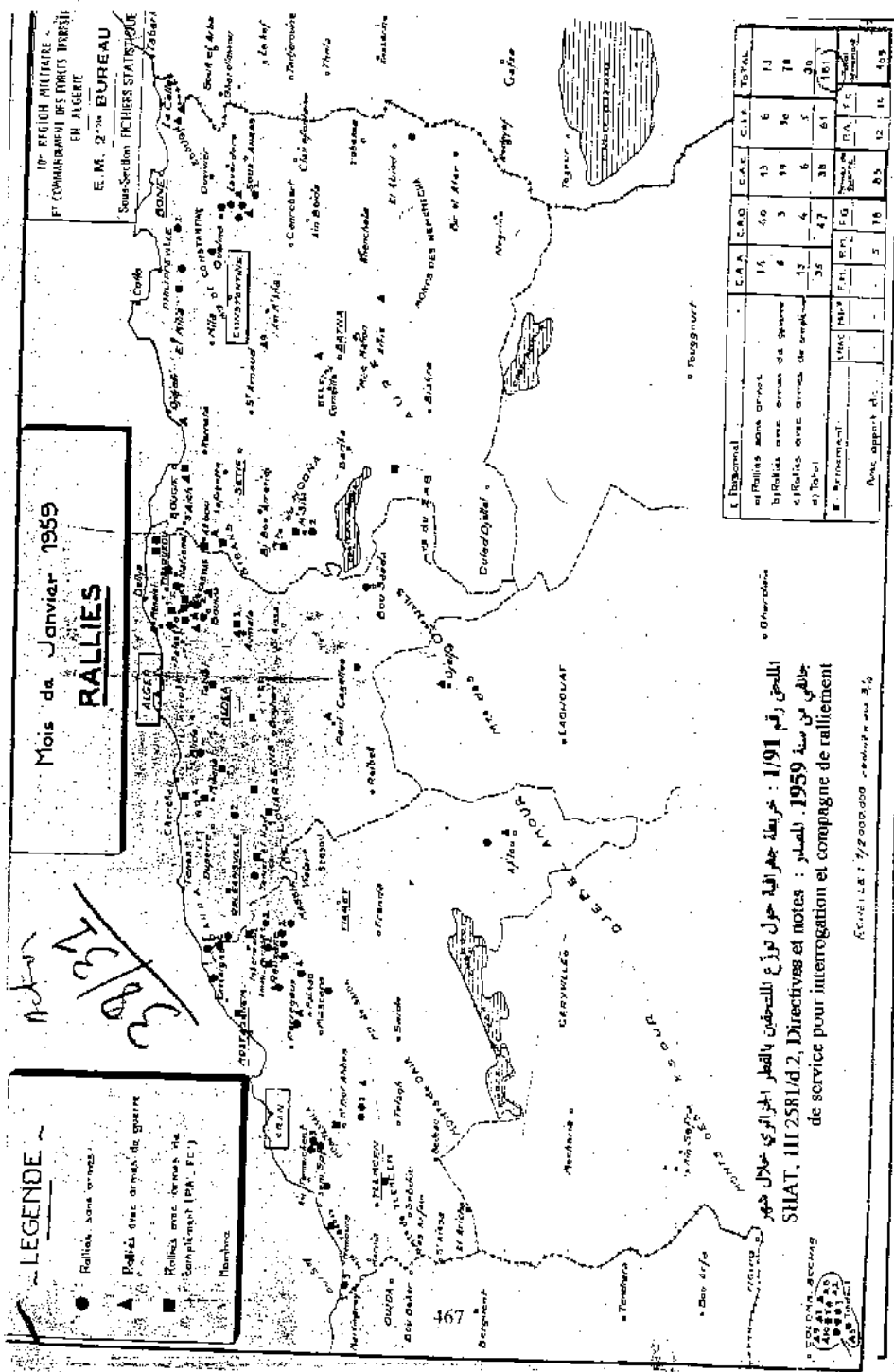
VII.- CONTACTS RUSSILES AVEC INDIVIDUS DANS LA REBELLION

- (Adresses ou autres moyens) en vue :
 - Compromissions.
 - Montages (intoxications)
 - Ralléments.

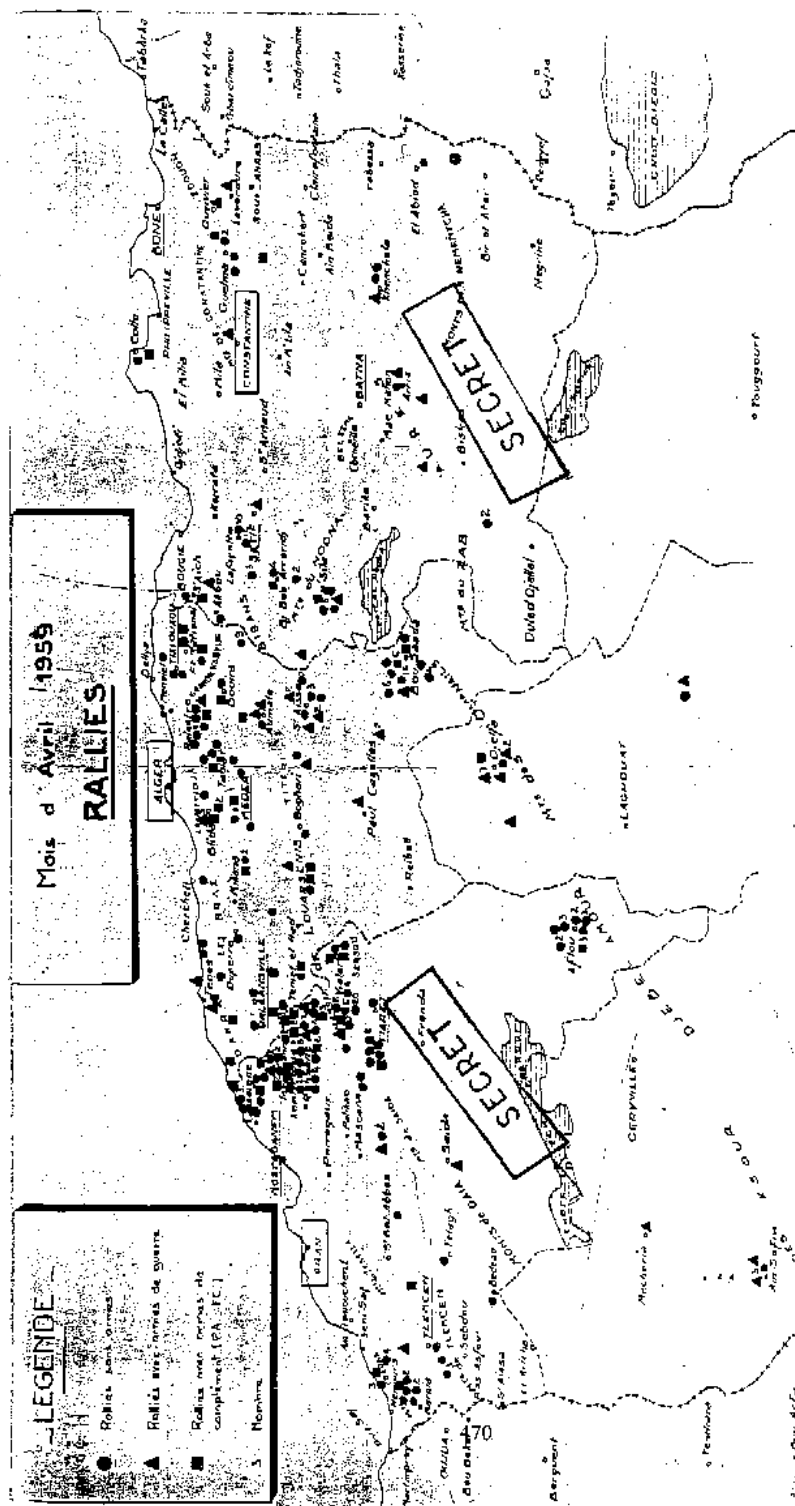
VIII.- DES MOYENS D'INFORMATION (R.A.P. - Presse - Tracts - Divers)

- Emissions entendues (heures d'émission, nature : Informations, tracts, reportages etc...), journaux et tracts lus, autres documents.
- Sources précis conservés par la source.
- Effets constatés par l'observateur en la rébellion.
- Contre-mesures prises par les autorités rebelles.

SECRET



SHAT, 14 2581/De Directives et notes de service pour sondage interrogation et compagnie de ralliement 16-59



Mois d'Avril 1955
RALLIES

LEGENDE
 ● Rallies sans armes
 ▲ Rallies avec armes de guerre
 ■ Rallies avec armes de complément (CA, EC)
 S. Nomme

I. Dispositif	C.A.A.	C.A.G.	C.A.C.	C.V.S.
Rallies sans armes	90	141	51	0
Rallies avec armes de guerre	28	16	11	0
Rallies avec armes de complé	23	18	5	0
Total	141	175	68	0

II. Armement	Arms	EC	CA	CG	CA	CV
Arms	0	0	1	10	55	56
EC	0	0	1	10	55	18
CA	0	0	1	10	55	30

المطلع رقم 4/91 : خريطة جغرافية حول توزيع التجمعين بالقطر الجزائري خلال شهر
 أبريل من سنة 1955. المصادر : Directives et notes de : SIAT, 11.258/412, service pour interrogation et compagne de ralliement
 1. HELLÉ : 72 000 000. réduction sur 3/4

COMMISSARIAT DE L'ÉLEVAGE ET DE LA PÊCHERIE
 DE L'ALGERIE
 BUREAU DES ÉLEVAGES
 2^e BUREAU

ALGER, le 6 SEP 1960

1742
 17/83

N° 1742

- BILAN des RELEVÉS -
 au 1er Août 1960

Année	Arbres plantés	Arbres coupés	Total
1954		4	4
1955		16	16
1956	50	57	147
1957	263	257	519
1958	1 022	655	1 677
1959	982	1 385	2 367
1960 (1 ^{er} semestre) mise à jour	309 25	258 41	567 66
TOTAL	2 650	2 641	5 291

SHAT, 4H 2581/D2

الملحق رقم 92 : حالة رقمية لعدد المنتهين بنهاية أوت 1960 . المصدر : SHAT, 1H 2581/d.2

A M N E X E 2

Rapport d'un officier français à 5^e Bureau de l'Etat-Major de la 10^e Régiment d'Alger au sujet de la formation d'un "groupe propagandiste" de 50 hommes.

SECRET

V.- OBSERVATIONS PERSONNELLES

Cours de 5^e Bureau aux conclusions suivantes :

- a)- La propagande créée sur les marchés, ne peut toujours être faite par le commandant du quartier et le 5^e quartier intéressés, une charge multiple expliquant d'ailleurs en grande partie cet état de fait.
- b)- Les bazars, volontaires ou ralliés ne sont jamais utilisés que comme mercenaires, sans aucun rayonnement politique. La course le volume de spécialisation peut expliquer cette absence.
- c)- Les ralliés ou certains libellés capturés sont utilisés à condition d'être très dans une certaine ambiance et soumis à une éducation soignée.

Ces conclusions ont fait faire l'idée de créer un détachement particulier à l'édifice Soubert, détachement-type destiné à aider les Commandants de Sous-Quartiers et à les inciter à utiliser sur le terrain leurs F.M.A., bazars, présentations et ralliés. Afin de faciliter les différentes opérations, le détachement-type a été constitué de jeunes (de 18 à 25 ans), célibataires. Le commandant de détachement et son officier de liaison ont été nommés.

a)- Un détachement de 50 hommes des autres troupes de la garnison à la suite de l'Etat-Major (solde et équipement) amélioré des prêts d'armes de guerre modernes (F.M. + Great + grenades) et des moyens d'équipement (casques, lunettes, etc.).

c)- Un commandant intérimaire F.F.F., originaire de Bône, intelligent et comprenant fort bien la côté politique de la mission.

IV.- REPERMISEMENT

Les premiers recrus a été un rallié tiré au P.M. d'une compagnie Algérienne. Tout le monde se défiant. Il a un rapport avec le 5^e Bureau intéressé et il se dit un ancien. Plus chaque jour pour une action délicate. Il se dit un ancien et a été l'un des premiers.

Les deux autres ont été recrutés par le 5^e Bureau. Ils ont été recrutés par le 5^e Bureau et ont été recrutés par le 5^e Bureau.

Les trois autres recrus capturés au 1^{er} février, était d'origine algérienne. Interrogé par le 5^e Bureau, il a été interrogé par le 5^e Bureau et a été interrogé par le 5^e Bureau.

Les quatrièmes, lettré et arabe, Taleb, Chef de Groupe de Mousabeha a été arrêté au cours d'une opération. Après deux jours d'attente avec l'équipe, il a accepté de parler aux marchés. Interrogé par le 5^e Bureau, il a été interrogé par le 5^e Bureau et a été interrogé par le 5^e Bureau.

Les cinquièmes djennou, armé P.M., pivotait vers l'opération. Il a été interrogé par le 5^e Bureau et a été interrogé par le 5^e Bureau.

Les sixièmes, se trouvent dans la même situation que le précédent. Il a été interrogé par le 5^e Bureau et a été interrogé par le 5^e Bureau.

Les septièmes, ont été recrutés par le 5^e Bureau et ont été recrutés par le 5^e Bureau.

SECRET

Les 8^e et 9^e ont été recrutés par le 5^e Bureau et ont été recrutés par le 5^e Bureau.

المسجون رقم 93 قدم لاست حالات للتفكير تحت استعانةكم و أصبح يتم الاستعانة بهم في تنفيذ بعض أعمال على السكان المصير :
SHAFI, III 2403/d 1, Annexe n° 2 de la lettre du Général Salan à ... n° 09999/RM. 10/5-OPS-S, Alger, 1^{er} mai 1958.

Pièce n° 3 : Situation comparative de l'Etat d'Esprit des douars et habitants de la zone Pilote

Habitants		Douars	
1 ^{er} mars	1 ^{er} juillet	1 ^{er} mars	1 ^{er} juillet
15.000 Habitants assainis		2 Douars assainis	
17.000 Habitants en instance de ralliement	100.000 Habitants assainis	3 Douars en instance de ralliement	
32.000 Habitants partiellement contaminés		8 Douars partiellement contaminés	21 Douars assainis
	18.000 Habitants en instance de ralliement		4 Douars en instance de ralliement
136.000 Habitants contaminés	50.000 Habitants partiellement contaminés	38 Douars contaminés	18 Douars partiellement contaminés
	32.000 Habitants contaminés		8 Douars contaminés

ZONE PILOTE RECUPERATION ARMEMENT

PIECE N° 4

Mars à Juillet 1957

MOIS	MITRAILLEUSES	FM	PM	FUEL DE GUERRE	FO	PA	CAPACITES	OBSERVATION
Mars	-	-	-	12	70	58	2	
Avril	-	-	-	2	140	56	6	
Mai	-	-	2	6	98	55	4	
Juin	1	-	8	20	120	70	-	
TOTAL	1	-	10	40	428	239	12	

SHAT, IH 2536/d.1, Būan de l'Opération Pilote 1957 : ملحق رقم 94 : نتائج العملية بيلوت. المصلح

94/1

473

CAIRES REBELLES MIS HORS DE COMBAT

- A 1^{er} échelon Zone : 1
 - A 1^{er} échelon Région : 5
 - A 1^{er} échelon Secteur : 11

TOTAL : 17

Nom, Prénom et alias	Fonction nature et localisation (Secteur - Région - Zone Wilaya)	Mise hors de combat		
		Le	Tué, blessé, capturé	à
BEN SAID LARBI dit " SI LARBI "	Responsable politique - Mines du Zaccar - Ex C.P.M. Zonal	15 Mars 57	arrêté, évadé, abattu par les siens	MILIANA
RAMDAN A.E.K. Alias " Si Abdelkader "	C.P. de Miliana RI - Z3 - W4	21 Mars 57	arrêté	MILIANA
Aliif Mhamed, alias " Si Kamef "	C.P.M. SI - R2 - Z3 - W4	29 Mars 57	tué	LY 04
ROUZI Rachid, alias " Si Rachid "	R. & L. SI - R2 - Z3 - W4	28 Mars 57	tué	LY 04
BOUZCUIDIA Nadjib, alias " Si Abdelrahmane "	C.P. de la R2 - Z3 - W4	29 Mars 57	tué	LY 04
" Si Mahmoud "	C.M. du S4 - RI - Z3 - W4	2 Avril 57	tué	D. TACHETA
ALI Ben Cheikh Fellag	Chef de bande du S3-R3-Z3-W4	Avril 57	tué	Medjadja
MCHAMED Ben Tayeb	R. & L. du SI - R3 - Z3 - W4	Avril 57	tué	-D°-

Nom, Prénom et alias	Fonction, nature et localisation (Secteur, région, zone, Wilaya)	Mise hors de combat		
		Le	Tué, blessé, capturé	à
Si Mohamed Boucherdine ALIAS "Si Mohamed "	C.P.M. SI - R3 - Z3 - W4	Avril 57	mort de maladie en captivité	ORLEANSVILLE
BOUDOUARA Ali alias " Si Ali "	Chef terroriste du S3-RI-Z3-W4	4 Juin 57	Capturé	LY 43 G 42
" Si Abdelkader "	C.P.M. RI - Z3 - W4	-d°-	Capturé	- d° -
BELKEBRI A.E.K., alias "Si Belkacen "	R. & L. de la Z2 - W4	4 Juin 57	tué	LY 44 D 85
SOUILAMAS Mohamed alias "Si Mohamed "	Chef service santé de la R3-Z3-W4	- d° -	capturé	- d° -
NOUAS Rachid, alias " Si Rachid "	Infirmier du S2 - R3 - Z2 - W4	- d° -	blessé et capturé	- d° -
" Nour ad-dine "	Cdt de la Cie du S4 - RI-Z3 - W4	12 Juin 57	tué	LY 24 C 32
Charef Moussa Ben Kadour alias "Si Moussa "	C.P.M. de la R3 - Z3 - W4	13 Juin 57	tué	KY 73 F 42
SI KOUIDER le borgne	C.P.M. du S2 - R3 - Z3 - W4	6 Juin 57	tué	KY 82 E 4
HAMID Bou Yarbou alias " Si Hamid "	C.P.M. de la R2 - Z3 - W4	13 Juin 57	tué	KY 73 F 42

4473

ZONE PILOTE

Ralliement rebelles

MOIS	
Mars	1 rebelle sans armes
Avril	4 rebelles
Mai	28 rebelles sans armes - 1 déserteur rallié
Juin	7 rebelles sans armes - 1 avec armes
Total	40 rebelles ralliés

Evaluation des Bandes rebelles

dans la Zone Pilote

<u>Date</u>	<u>Effectifs</u>	<u>Armement Probable</u>	<u>Observation</u>
° Mars 1957	360 Hommes	2 FM 70 armes de Guerre Fusil de chasse - Nombre inconnu PA nombre inconnu	Le nombre de Moussebillines inclus dans l'opération Pilote n'étant que très ap- proximatif il n'a pas été possible de faire une esti- mation exacte des armes de chasse détenues par les re- belles.
° Juillet 1957	480 Hommes	1 mitrailleuse 3 FM III6 Armes de Guerre - Restes Armes de chasse	Grâce à des récupérations d'armes. Grâce à des apports d'armes venues du Maroc, à la conversion des Moussebilli- nes en soldats réguliers, malgré les récupérations opérées et la destruction quasi totale de quelques élé- ments, le nombre des réguli- ers et de l'armement de guerre est en légère augmentation. Ces éléments tendent en gé- néral à gagner l'expérience et ils se sentent plus en sécurité.

PIECE N° 22 bis

SITUATION DES HARKAIS

(A la date du 1 er Juillet 1957)

Secteurs	Effectifs	Unité de rattachement	OBSERVATIONS
ORLÈANSVILLE	22	II/2° R.I.C. - CCAS	
	26	II/2° R.I.C. - 3° Cie	
	44	II/2° R.I.C. - 6° Cie	
	10	II/2° R.I.C. - 9° Cie	
	57	25° Dragons	
	12	8° Chasseurs	
	240	Bent Boudouznas	130 auto-défense à inté- grer
	411		
T E N E S	24	C.C.A.S. II/22° R.I.	
	11	8° Cie "	
	17	7° Cie "	
	18	5° Cie "	
	11	6° Cie "	
	19	C.C.S. 22° R.I.	
	9	10° Cie III/22	
	4	11° Cie "	
	5	I/18° R.A.	
	116		
CHERCHELL	38	596° B.T.	
	138	I/22° R.I.	
	15	II/23° R.I.C.	
	34	2/52° B.T.	
	226		
MILIANA	120	I/131° R.I. (Bou Mead)	
	18	I/131° R.I. (Marguerite)	
	70	14° R.C.P.	
	20	504 B.T.	
	10	28° Dragons	
	15	3/11/30° R.A.	
	253		
TEMLIK	30	II/131° R.I.	
	40	5° R.C.A.	
	50	III/65° R.A.	
	120		
" Force K "	470		
TOTAL	(1526	17 26	+ 130)

ملحق رقم 95 : نتائج العملية بيلوت : وضعية و تعداد فرق الحركة في الأول من جويلية 1957
المصدر : SHAT, IH 2536/d.1, Annexe n° 12

ANNEXE I

PROJET D'ORGANISATION DU SERVICE D'ACTION POLITIQUE DES FORCES ARMÉES ALGÉRIENNES

- 1/- Il est créé au Ministère des Forces Armées algérienne un service dit d'action politique.
- 2/- Le service a pour mission d'exécuter les directives du Ministre des forces Armées en matière d'éducation, d'information et de propagande politique dans le cadre de L'A. L. N.
- 3/- Ce service sera divisé en différentes sections qui auront chacune une tâche Particulière.
 - a) Section d'orientation politique chargée de vulgariser les principes de la politique du Gouvernement et du F.L.N.
 - b) Section d'information sera chargée de mettre à la disposition de L'ALN tous les éléments cinématographiques et de presse, en vue d'éduquer et de former les djouanods algériens.
 - c) Section de propagande chargée de la diffusion des décisions prises par le Ministre des forces Armées dans le cadre politique interne, le morale de l'Armée l'action auprès des masses.
 - d) Section "Ecole" chargée d'organiser et de contrôler la formation des commissaires politiques de L'A. L. N.
 - e) Section d'action psychologique ayant pour mission dans le cadre de la politique définie par le Ministre des forces Armées, de démoraliser l'ennemi de le désunir et d'affaiblir sa base publique, de répondre l'action psychologique ennemie.
- 4/- Le service sera dirigé par un responsable qui travaillera en collaboration étroite avec les assistants politique et militaire du Ministre des forces Armées.
- 5/- la collaboration des différents sections sera étroite afin d'organiser un travail aux buts convergents.
- 6/-
 - a) L'articulation au niveau des différentes Etats- Major de L'ALN se fera par le Ministre ou son assistant militaire pour les questions d'intérêts fondamentale .
 - b) Pour les questions secondaires d'organisation et d'alimentation, une liaison directe pourra exister entre les différentes services d'action politique.
- 7/- Un échange continu devra exister entre les différentes services afin d'obtenir une action constante.

Fait le 18 septembre 1959

Tewfik BOUATOURA

ملحق رقم 96 : مشروع تنظيم مصلحة للنشاط السياسي تابعة للقوات المسلحة الجزائرية. المصدر :

Centre d'Archives National, Fonds du Gouvernement Provisoire de la République Algérienne, boîte n° 25.10, rapport intitulé « l'Action politique de l'Armée de Libération Nationale Algérienne.

ANNEXE II

PROJET D'ORGANISATION D'ECOLE DE FORMATION DE COMMISSAIRES POLITIQUE

1. Il est créé au niveau des commandements des frontières Est et Ouest, des écoles ayant pour but la formation de commissaires politique de L'A. L. N.
2. Les élèves devront posséder des qualités minima sur le plan intellectuel et sur le plan moral et politique.
3. L'école devra leur donner une éducation :
 - a) Politique Général :
(Mouvement national, Révolution algérienne, Maghreb, Nation, Histoire d'Algérie).
 - b) Economique :
(Economie mondiale, économie nationale, principes généraux d'économie).
 - c) Stratégique :
(Guerre révolutionnaire, stratégie mondiale, guerre algérienne etc...).
 - d) Diplomatique :
(Occident, Monde communiste, Monde arabe, Afro-asiatique).
 - e) Culturelle :
(Culture algérienne, doctrines, Islam).
 - f) D'organisation :
(Principes, méthodes, problèmes humaines...).
 - g) Propagande :
(Principes, méthodes etc...).
4. L'école devra développer chez les futurs commissaires politiques, par des méthodes adéquates, les qualités de rédacteurs, d'orateurs et d'observateurs.
5. La discussion, élément dynamique, devra permettre un enseignement actif.

Fait le 18 sept. 1959
Tawfik BOUATIOURA

ملحق رقم 97 : مشروع تنظيم مصلحة للنشاط السياسي تابعة للقوات المسلحة الجزائرية. المصدر :

Centre d'Archives National, Fonds du Gouvernement Provisoire de la République Algérienne, boîte n° 25.10, rapport intitulé « l'Action politique de l'Armée de Libération Nationale Algérienne.

53/26

CHER PEUPLE DES BENI-MISCERA !

Tu as été l'un des premiers bation de la révolution et, depuis le début de cette dernière, l'un des artisans de la victoire .

Quelques hypocrites et voleurs prétendent que des signes d'engourdissement et même de recul se sont manifesté chez toi .

Comment peuvent-ils faire croire cela ? Ne savent-ils pas que l'ennemi à qui ils veulent que tu te rallies , c'est la France ?

La France qui a tué la plupart de tes fils d'une façon odieuse et impie . La France qui t'a déshonoré , qui a bafoué l'honneur de tes femmes et de tes filles après avoir dans ta tribu , répandu la peur , après avoir détruit tes maisons , après avoir forcé tes fils à assister à des réunions tapageuses (HAMMAM EL OUANE) pour les compromettre odieusement et les punir .

Non, par Dieu! Tu es un peu fier ; Depuis toujours tu n'as été qu'un peuple arabe . La révolution est la révolution parce qu'elle est née chez toi , pour qu'elle a grandi dans ton sein . Elle est ton fruit comme tu es le sien .

Cher peuple des BENI-MISCERA !

Tu t'es dressé avec nous comme un seul homme . Tu t'es associé à nous dans le combat pour la liberté , pour libérer notre pays du joug colonialiste , pour libérer nos esprits des railleries et des contraintes des mécréants .

Cette révolution ne nous sert pas à protéger nos ventres elle sert seulement à protéger notre religion et notre qualité d'Arabe .

L'Islam nous a été apporté pur , net , libre et indépendant . Pour nous humilier , la France l'a foulé aux pieds d'une façon sacrilège . Notre religion est devenue prisonnière esclava, et notre amour pour Dieu, pour son envoyé et pour les croyants a été humilié .

Cher peuple de Beni-Miscera !

Par nature , le musulman ne peut s'abaisser devant le mécréant et notre Islam ne sera entier que lorsque nous l'auront libéré de la contrainte du mécréant et son assujettissement à la France .

Cette révolution est celle qui assurera nos buts et qui libèrera notre islam .

Dresse toi peuple des Beni-Miscera , et combat pour la cause de Dieu et du pays .

Sois toujours aux côtés de tes frères dans la lutte comme l'a dit l'envoyé de Dieu : " Le croyant pour le croyant est comme une construction où chacun se tient à l'autre " .

BENI-MISCERA : La nuit de l'esclavage est passée . Dressez-vous et combattez et construisez pour vos enfants " l'Ere nouvelle " .

ملحق رقم 98 : منشور جيش التحرير موجه لسكان بني مسرة
SHAT, IH 2587/d.2, Tracts ALN-population : المصنر

TRADUCTION

TRACT ADDRESS A LA FRACTION DES FROT-
MORALI ROZANT LE CHERIF DE LA. L. N

Au Nom de Dieu le Glorieux, le Muséonien
Armée Algérienne de la Libération Nationale.

L'Algérie Algérienne de la Libération Nationale s'adresse à toutes les
familles victimes de leur agresseur qui sont placées sous l'autorité de la Fra-
ce, qu'elle s'efforce de leur faire.

Ce paysen irrégulier également celles qui se sont gravement com-
promises à condition qu'elles abandonnent leurs domiciles pour rejoindre les
villages qui ne sont pas occupés par les Soldats Français.

Quand vous êtes à votre travail, vous êtes considérés comme nos frères
et nous participons à votre fortune avec lui. Nous lègerons la tâche comme le
père. Le riche vivra de son revenu et nous assurerons la subsistance de par-
tir.

Croyez répondre à Dieu qui vous a donné la vie et un peuple.
Croyez obéir à Dieu, phédon et prophète.

Aidez les musulmans qui veulent généralement leur sang pour la
cause de Dieu, de la religion et du pays.

La seule justice valable pour nous est celle de Dieu, du prophète
du Coran et de la Shari'a.

Le saint de Dieu récompensera le Muséonien.

SHAT, IH 2587/d.z, Tracts ALN- population : 99 ملحق رقم

TRADUCTION

TRACT ADDRESS A LA FRACTION DES FROT-
MORALI.

Au Nom de Dieu, le Glorieux, le Muséonien,
Le Type Haut a dit :

Mais vous interdicit (la vous compromettre avec) ceux qui ont fait
tout votre malheur, ceux qui vous ont exposés, ne ont aidés à vous arracher
de vos demeures. Marchez-vous bien de son aide; car ceux qui les aideront seront
combattus, et leur sang sera répandu en terre.

L'Algérie de la Libération s'adresse à tous ceux qui sont en contact
par la France, d'avoir à se remettre à son commandement dans un délai maximum
de deux jours, sous peine de répression de cet état.

Ceux qui désirent se placer sous la protection de l'Armée (de
Libération) devront rejoindre le 2ème qu'ils ont rejoint, avec tous les membres
de leurs familles. L'Algérie assurera leur subsistance.

Quand vous êtes dans les villages algériens après l'indépendance
de cet territoire vous considérez à partir de votre retour.

Vous qui craignez Dieu, nous en avons besoin. Nous vous
aiderons à rejoindre de la France avec les corps de l'Armée qui se trouvent
sous les ordres de l'Algérie.

Salut à ceux qui suivent le bon droit.

Prenez à Dieu, maître des mondes.

Mais est quel. Faites la liste de vos voisins. Nous espérons
qu'il sera entendu pour éviter toute équivoque au sang.

﴿ بدءاً من الشنبو ﴾

لحمية الشعب الجزائري الذي انتمى اليه من اجل آمنا وحرمان عزيمتكم وبرايتكم ومبريتكم
المطلوبة من اجل رفع علمك الذي دفعته الاستعمار طيلة قرون وبعس الحكي يعرف
عالماتون علماء الجزائر المتفانيون...
أيضا الشعب الجزائري الذي انتمى اليه الاستعمار حتى كان ان يقتدي علمك تماما
على قسطنطين وقواته ودينك ومبادئك التي هي شعارك وتكبر فمنا اسم
الله واولاد ابراهيم والحقائق ويتقنك المهرج القرض فليكن ولكن شيمية الله اية الا
ان تكون حيا على ان تدين الجزائر حياة المجد تحت راية العدالة والمهنية فانتصت
لقد كنت الواضح للمعالم مائة والاعتماد على المجد تحت راية العدالة والمهنية فانتصت
بلاذك الصرة المستقلة ومن اجل ذلك المبدأة نفسك واموالك وتصبح محتاجاتك ايها
الشعب الجزائري وطنك عزيزا كما قال املا لك العرب الاباء
ممن صبرا او مت وانك كنتم تدين طمعنا وكنتي كمنور
ايها الشعب الجزائري انك تبيت للمعالم ايمن فلا واقنا في اتحادك القمين وتحمك
بجهدك وثورتك المباركة والخطة التي رسمها لك ربنا لك المخلصين العاقبين الساهين من
لجعل سعادتكم ايها الشعب الجزائري بجهتك باسمك ومبادئك ومبريتك لانك شعب تفهم
مستحق للحياة وتفهم معنى الاستقلال ونشرت في وجه اعداء المحنة وراعاة الحرية اهداه
الاسلام وشره ايها الشعب مستندا على الله وعلى نفسك ومن بين ان تحتك على غيرك
وتنشد المعركة العنصرية في انتمعار في الاخير مستبني بفرزك المصدق والمهنية
اعداءك المستسخدمين...
تدالي الادم ايها الشعب الامكاني فالله تدارك وسؤيدك فيما تحبوا الله وفتشت
وماشت جزاءك الخالصة تحت راية الخصال... والله اكبر والحرية والتمصر للمعرب في
شرفنا المعنى... وفي ارض المعركة

L'efficacité de notre action importe plus que sa justification.

« [...] Or ce problème militaire malgré les faibles moyens dont ils disposent, les rebelles le règlent mieux que nous.

L'organisation des katibas avec l'armement venu de Tunisie a eu les conséquences suivantes :

- 1°- Les katibas bien équipées, bien armées réduisent notablement notre dynamisme. La formule "on ne peut pas y aller à moins d'une compagnie" fait que, dans chaque secteur, il existe des régions où les compagnies ne se hasardent plus qu'exceptionnellement lors des grandes opérations de secteur ou de zone. Les rebelles y sont les maîtres en temps ordinaire.
- 2°- Individuellement, le combattant des katibas est plus sympathique aux musulmans que notre soldat. Même dans la tenue civile bleue, les moudjahiddines ont souvent une allure plus virile, plus militaire que nos hommes, quelquefois débraillés et indisciplinés.
- 3°- Les cadres rebelles jouissent d'un prestige très grand qu'ils doivent à leur audace, à leur apparente ubiquité et à l'admiration qu'engendre toujours le hors la loi. Nos officiers n'ont souvent pas le souci de s'imposer comme eux à la population musulmane.

Il faut se représenter la vie et la mort d'une katiba pour le comprendre. Formée de combattants éprouvés, elle se déplace en toute quiétude dans un terrain qu'elle connaît parfaitement, couverte par d'innombrables guides ou guetteurs ; la présence des troupes françaises peu actives l'inquiète peu. Les moudjahiddines sont toujours accueillis dans les villages par le plus grand respect (contrairement aux O. P. A.). Ils se sentent admirés et enviés; de temps en temps des petites opérations leur font éprouver des pertes minimes aisément réparées tant est grand le prestige de la Katiba et nombreux ceux qui veulent s'y engager. On ne se prive pas de moquer à cette occasion les Français qui malgré leur aviation, leur artillerie, leurs chars, leurs régiments, leurs déplacements continuels n'arrivent à rien.

Pourtant un jour vient une grande opération de zone à laquelle participent les parachutistes. C'est la fin. La moitié de la katiba est tuée, les autres se dispersent. Mais la disproportion des forces engagées est telle qu'une auréole de gloire entoure les survivants et les reconforte. On multiplie les pertes des Français, le récit de la mort héroïque de tel grand chef est diffusée et commentée. On rengage ; de chaque village, de chaque hameau, partent deux, trois jeunes avides d'aventure dont la disparition ne sera constatée par les autorités françaises qu'après plusieurs mois quand ils se seront montrés en uniforme chez eux.

Cela suffit, qu'on ait des armes, la katiba est reconstituée.

Malgré l'énorme supériorité matérielle dont nous disposons et peut-être à cause d'elle dans cette lutte qui oppose David à Goliath, nous sommes moins efficaces, moins courageux et moins sympathiques que nos adversaires.

Pourquoi ? Quelles sont nos lacunes ? C'est ce que nous allons nous efforcer d'analyser [...] ».

الملحق رقم 105 : مقتبس من تقرير فرنسي يشهد بالسمعة و الشعبية التي يتمتع بها أفراد جيش التحرير لدى الشعب.

Source : SHAT, IH 2410/d.1, « Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, janv.-fév. 1959

Front de libération Nationale

Boycot du Tabac, des débits de boissons alcoolisées et des salles de spectacles

Peuple Algérien : depuis 12 mois tu combats le colonialisme ...

L'heure est venue d'engager le combat sur le plan économique à l'échelle nationale.

Nous l'appelons pour commencer a boycotter :

1° Le Tabac et les Débits de boissons alcoolisées :

Pourquoi ?

Parce que en boycottant le tabac et les boissons alcoolisées tu portes un coup sérieux à l'économie colonialiste

C'est aussi une occasion pour toi de manifester la solidarité aux forces combattantes algériennes.

C'est enfin une occasion pour toi de montrer au monde que tu es sûr, que tu sais surprendre un mot d'ordre et que tu sais ce que tu veux et où tu vas

2° Salle de spectacle :

Au moment où le sang de tes meilleurs fils coule à flot, au moment venues, des orphelins, pleurent leurs époux et leurs pères aucun Algérien digne de ce nom n'a le droit de passer son temps à se rejeter dans les salles de spectacles et d'oublier la lutte légale qui mène sans cesse vers les valeurs combattantes de la CAUSE NATIONALE

Vive la solidarité algérienne

Tracts avril 1958

Ci-après les fonctionnaires : le garde-champêtre, le Président, le cavalier, le militaire de la Djezira, le chef de fraction, le juge (il s'agit peut-être de personnel de la justice) et ceux qui travaillent chez les colonialistes ...

En ce qui concerne les cafés et les employés du bureau l'ordre n'est pas encore reçu...

Le pèlerinage à la Mecque est interdit. Sont interdits également les achats de toute nature à des colons, la location des domaines tout ce qui touche le colonialisme ainsi que tout discussions avec ses représentants sous peine d'être considérés comme usuriers

للحق رقم 106 : منشور بطن و جهة التحرير على السجون والشركات الحكومية.

SHAT, IH 2587/d.1 tracts 1956

D'autre part, la mort de BEMAZOUZ Elmadjidi, Directeur de la Santé, Babou à Constantine, Ziatine à Biskra, terroriste perpétré le 14 août, a provoqué une certaine réaction parmi la population musulmane et est de nature à l'inciter à suivre avec plus de discipline, les mots d'ordre de FLN.

Tract

FRONT DE LA LIBERATION NATIONALE
ARMEE DE LA LIBERATION NATIONALE

A la Nation Algérienne,

Les forces impérialistes oppressives du gouvernement français agouillant après tant de crimes sur notre peuple, le civil, la femme, la jeunesse du silence imposés par leur diabolisme, l'effacement de notre pays redoublé, ces derniers temps sur tous les fronts de combat. Pour toute réponse, les dirigeants se précipitent l'extermination de notre peuple.

L'armée de libération Nationale et le Front de libération national, pour faire face à cette méthode barbare, ont décidé de porter sur leur seule ressource qui se fera prolonger leur agouille : c'est à dire le tabac.

- acheter un paquet de tabac, c'est contribuer à l'alimentation du budget de la guerre.

- acheter un paquet de tabac, c'est mettre une balle dans le canon dirigé sur toi

- acheter un paquet de tabac c'est faire exploser cette balle qui te tuera.

- acheter un paquet de tabac, c'est te suicider

Or, le suicide est un crime puni par Dieu.

Tract de la région en Dec 1975 à Kouliko

53/5

جمعية التحرير الوطني

والا نتخضا بنا تشكيد بعد المجلس الوطني الفرنسي

ايضا الشعب الجزائري

- 1) لقد قررت الحكومة الفرنسية انك ستصوت يوم ثانيا في 1956 . وبعد دراسة عميقة للعامة في بلادنا وفي العالم اجمع وادام عنا د و سنت الا متمسك الفرنسي الذي يريد ان يجعلنا فرنسويين ونسا عنا ، الا سر الذي لا يكون انسانية لم يتبع معنا يا القيمة الجزئية نعتسبيل يكون ايضا انكارا لشخصيتنا وما فيها ورضا وثقا وثا وبخنا . فان جمعية التحرير الوطني بتسليقة مرة اخرى مسروليا تبها امام الله وامام الناس وامام التاريخ بتقرر
- 2) الا متناع الاعيين عن المشاركة في الا نتخضا بنا وتكون ذلك ساي بس
- 3) انشأ طمشتا مع محمد يد جميع الوطنيين (السا ريين في جيش التحرير الوطني والمنا ضلين في جمعية التحرير الوطني ومجيبها) مدة الحملة الا نتخضا بيته
- 4) انشأ طمشتا مع محمد يد جميع الوطنيين (السا ريين في جيش التحرير الوطني والمنا ضلين في جمعية التحرير الوطني ومجيبها) مدة الحملة
- 5) اعداد المتبرعين من امي حشره كما نوا
- 6) اشتطان ، بس مع ا ماة الا نتخضا بنا و ق بسهم
- 7) استقالة ب جميع السورلها انما ليمين ، و الا مظلوعا من عا ولاء ، الا فرق في ذلك بين انما ليمين والبرنساي نى ومضو الجمعا مة تان ، بتكثروا من عا بوريا عديم قيس لنا تاج جاني 1956 ، وكل لنا لرضنا مة قالة بسميتير من دون استثناء ، عا مة تان بولون ومقتبل دون مة كمة .
- 8) ان ضباط جيش التحرير الوطني وحكمام الامنا طلق والصبوات الحربية والموكلاء المية با م بين ا جمعية التحرير الوطني كلل ، مسوول مة مة من تنفيل القرارات .
- 9) وتخطب جمعية التحرير الوطني من كافة العنا ضلين ومجيبها ان يحصلوا على سلاح وان يدر عطلوا في الاممركة ميا شة
- 10) ويلزم على كل مواطن ان يستمير من واجبه فقتل الخونة
- 11) فليجيبا الكفاح التحريرى
- 12) وليجيبا جميع التحرير الوطني
- 13) ولتجيبا جمعية التحرير الوطني

الملحق رقم 109 : منشور لجهة التحرير يتضمن أمرا بمقاطعة الانتخابات الفرنسية بتاريخ جانفي 1956 مع قديد بالوت للمخالفين. المصدر : SHAT, 1h 2588/d.1, Tract FLN- population

Note de Service n° I
date : 22.7.1958

Aux responsables Politiques et Service Social.

Objet : Castration entreprise par l'ennemi.

Il est porté à la connaissance des responsables politiques et du service social ce qui suit :

A savoir les graves dangers qui guettent nos populations consécutivement aux prétendus soins gratuits administrés généreusement par les services sociaux ennemis.

Il s'agit, à la suite de révélations et d'observations irréfutables que l'usage de substances chimiques à action stérilisante peuvent occasionner une castration temporaire ou définitive chez l'homme comme chez la femme etc, malheureusement, depuis fort longtemps répandu dans les camps de "traitements". C'est à l'intérieur de ces camps que l'ennemi se livre impunément et sans vergogne à son expérimentation diabolique.

La stérilisation par des moyens chimiques a l'avantage de passer imperceptiblement à la castration par des moyens physiques, il suffit de rappeler et que subissent des milliers de jeunes gens du sexe masculin au cours notamment des opérations de ratissages - Exemple : Castration de 180 civils dans plusieurs douars (douars Haya et Zaraza, Cne de Fedj-M'Zala et douars Ghehna, Cne Taher).

Il est demandé à nos services psychologique de mettre nos populations en garde contre les méthodes odieuses employées par l'ennemi. Notre population possédant un indice démographique, l'un des plus élevés du monde (50% de jeunes ont moins de 20 ans), il est normal que le colonialisme en soit effrayé et utilise les méthodes propres à accélérer la destruction de notre peuple.

En conséquence, il est demandé aux responsables à tous les échelons et particulièrement aux commissaires politiques et assistantes sociales, d'attirer vivement l'attention de la population sur la gravité de ces faits (en menant une grande campagne d'information) afin qu'elle refuse catégoriquement le moindre soin émanant des services médicaux ennemis (S.A.S. et S.A.U.) de l'ennemi, lui épargnant ainsi les infâmes procédés suscités.

ETAT-MAJOR DE LA WILAYA

الملحق رقم 112 : تعليمة صادرة عن قيادة الولاية الثانية إلى مسؤوليها لتحذير الشعب من الإقبال على المصالح الاستشفائية و العلاجية للعديد لفضادي الإصابة بالعمم من جراء تلقي أدوية مسمومة.

المصدر : SHAT, 1H 2586/d.2, Propagande-population

Tract saisi le 15 mars 1956 à la rue Ben Chench à Alger.

Il est défendu de montrer ce tract à des juifs ou des français, sous peine de mort - ATTENTION -

AVERTISSEMENT SERIEUX

Pour Alger, La Kabylie et le Constantinois, à tous ceux qui musulmans collaborent comme chefs ou éducateur dans les organismes français de jeunesse.

Vous êtes des musulmans et vous ne serez certainement pas rester insensible au sang musulman versé pour la délivrance de notre pays de la tyrannie française et de toutes leurs organisations.

Depuis longtemps, nous vous avons fait surveillé, sans que vous en doutiez. Vous-même dernièrement été interrogé discrètement par un de vos [nos] agents informateurs. Nous sommes donc parfaitement au courant de toutes vos habitudes, de vos lieux et heures de sorties de travail et de réunion ; nous connaissons vos loisirs et vos relations.

Cette comédie pro- française a assez duré. Ou bien vous êtes avec nous et vous nous obéirez, ou bien vous êtes contre nous et vous vous moquez du sang versé.

Nous comprenons que vous tachiez gagner votre vie et que pour cela vous voulez travailler. Nous ne vous défendons pas de travailler pour le moment. Quand l'instant de grève sera arrivé, nous vous donnerons l'ordre d'arrêter votre travail pour le français.

Mais ce que nous vous défendons énergiquement c'est la collaboration morale avec les Français et les juifs, ennemie de notre race et notre religion.

Des soldats musulmans versent leurs sangs pour la liberté de notre chère patrie, l'Algérie musulmane, et vous vous collaborez avec juifs et Français, il est inadmissible que cela continue.

* Pour ces motifs, l'Assemblée Régionale du Front de Libération Nationale (Le FLN) vous interdit formellement à l'avenir, de continuer vos réunions accotés en collaboration avec les Français et les juifs. Si vous voulez faire du scoutisme, il existe un organisme musulman algérien (S. M. A.) où seul les musulmans sont admis et où aucun juif ou Français ne peut entrer.

« Le Front » vous ordonne donc de « donner votre démission immédiatement de cet organisme, de ne plus fréquenter de Juifs ou de Français qui a fait partie de cet organisme avec vous (même si celui-ci a été votre ami. Un musulman qui se respecte et qui respecte le sang versé ne peut avoir d'ami parmi les juifs et les Français.

N'oubliez pas que vous êtes activement observé et que dans le cas où vous ne voudriez pas accepter nos ordres, ce serait un motif grave qui légitimerait un ordre de mort de notre F.L.N. contre vous. Vous avez eu certainement l'occasion de constater que nous n'avons pas l'habitude de discuter avec des traîtres. Des deux choses l'une ; vous obéissez et cessez immédiatement tout contact et tout amitié (même cachée) avec juifs et français ou alors vous préférez une condamnation de mort de notre part et vous l'aurez plus vite que vous le pensez.

Nous spécifions bien : 1) Donner votre démission officielle sous le prétexte que vous voulez. 2) Cessez immédiatement toute amitié avec juifs et français ou tout autre non-musulman (même une amitié cachée) car rien nous nous échappe, nous sommes au courant de tout, mieux que la police française qui sera incapable de vous défendre et qui arrivera comme toujours trop tard pour trouver l'auteur du " crime " surtout qu'il n'y aura pas de témoin.

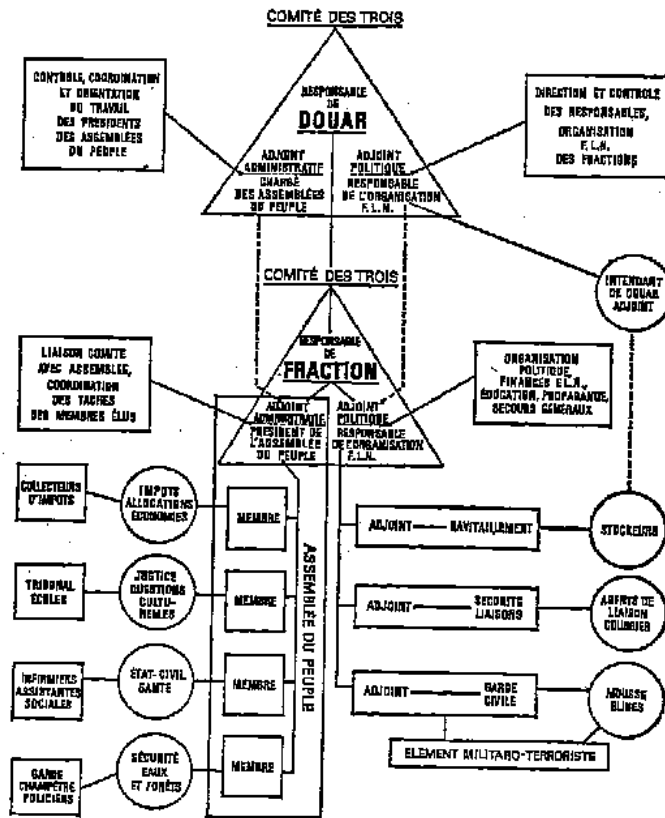
Méfiez vous de ne pas vous moquer de nous, ainsi la mort pour vous et ceux qui vous aideront.

Le Front de Libération Nationale

ملحق رقم 113 : منشور لجنة التحرير موجه للجزائريين العاملين كمنشطين للشباب بالهيئات الفرنسية

للشباب. المصدر : SHAF, 1H 2411/d.2

**ORGANISATION THÉORIQUE DU F.L.N.
AUX ÉCHELONS DOUAR ET FRACTION
ALGÉRIE 1957
"O. P. A."
(ORGANISATION POLITICO ADMINISTRATIVE)**



الملحق رقم 116 : مخطط هرمي للتنظيم الثوري للشعب على مستوى الدوار و العرش.
المصدر : Philippe Tripiet, Autopsie de la guerre d'Algérie, Paris, Ed. France-Empire, 1972.

« [...] Les combattants algériens passent leurs moments de loisir en famille, chez le peuple. Celui-ci les accueille toujours à bras ouverts. En effet, comment peut-il accueillir autrement ses fils ? Dès qu'il franchit le seuil de la maison, le combattant est entouré de tous les membres de la famille. Les uns les embrassent, les autres admirent son équipement et son arme. En fin sans refus, la maîtresse de maison ou sa fille lui enlève ses chaussures et prépare à ses pieds un bain d'eau tiède. On met à sa disposition des vêtements civils et lui propose de lui laver son linge et son tenu militaire. Son hôte est déjà sorti pour retirer de leur cachette, les beaux tapis qu'il voulait préserver du pillage de l'armée française. On l'entoure : il est obligé malgré sa fatigue de raconter ses combats, de donner des nouvelles sur la vie de l'armée. Il chante parfois des chants patriotiques et les membres de la famille l'écoutent avec extase. Le père s'informe sur son fils, qui soldat aussi, a été affecté dans telle ou telle compagnie. Les enfants le tiraillent de tous cotés et essayent de l'intéresser à leur babillage. Le combattant aime jouer avec eux. Il cherche en eux l'innocence et la fraîcheur de la vie. Mais cette enfance est déjà marquée par la guerre est ses souffrances. Il le marque dans leur parole hésitante et leur jeu.

En fin le repas est prêt. Qu'il soit modeste ou princier, ce repas fait la joie du combattant, il est toujours de la part de la famille, la manifestation d'une affection et d'un dévouement que ne se démentiront jamais. Puis le combattant se revêt de sa tenu militaire propre et sèche, et se couche dans un bon lit, son arme près de lui. Mais dehors la garde est déjà installée. Hommes et femmes surveillent, à tour de rôle, les alentours.

Que se soit en famille ou en plein champs de bataille, le combattant est toujours au mille soins de la population civile. Aussi à quels actes de dévouement assiste-t-on lorsque en plein combat, les femmes chargées de leurs outres pleines d'eau ou de lait et dédaignent les balles qui sifflent autour d'elles vont en chantant d'un soldat à un autre pour les désaltérer. Les hommes "civils" remplissent les chargeurs des armes, ramassent celles des combattants tombés, évacuent les blessés ou bien foncent à l'avant pour récupérer les armes de l'ennemi vaincu.

Aussi, chez la population, chaque famille retrouve dans tout soldat algérien, son fils qui est parti combattre quelque part en Algérie. En plus des sentiment patriotiques, il y a donc, dans les relations entre le peuple en lutte et son armée, l'amour et l'affection réciproques, qui peuvent contenir les rapport entre père et fils [...] »

الملاح رقم 117 : « انجاهد يعيش بين الشعب كما تعيش السمكة في الماء » . المصدر :

Centre d'Archives Nationales, fonds du GPRA, boîte n° 17.15.4 « Analyse sur la jeunesse combattante au service du peuple algérien ».

Rapport moral

Notre peuple est admirable, voilà le moins que l'on puisse en dire lorsqu'on a vécu pendant quelques mois avec lui.

Il n'est certes pas sans défaut : combien de vieux et de vieilles simulent la maladie, combien ne viennent-ils pas voir l'infirmier uniquement pour que celui-ci leur donne ce qu'ils considèrent comme un dû ; si je donne vermifuge à l'un d'eux qui on a besoin, tous les autres deviennent malades et comme par hasard ils ont tous le ver solitaire.

Combien d'entre eux ne savent-ils pas que leur seul remède est l'aiguille (l'ébra comme ils disent) et que tout autre médicaments ne peuvent leur guérir. Certains de temps en temps m'énervent et je vais jusqu'à les remettre durement à leur place. Mais qu'importent ces petits défauts à côté des belles qualités de ce peuple.

Ceux-là même que j'ai critiqués plus haut qui viennent demander leur dû en médicaments, se comportent d'une façon extraordinaire, lorsqu'à première vue vous les aurez traités de types sans scrupules et lorsque vous aurez agi en conséquence à leur égard en leur refusant leur "du" et en soignant devant eux les vrais malades, vous serez tout de suite détrompés car vous verrez l'un d'eux venir vous barrer la route à la sortie de la déchra et vous obliger à emporter de la galette, des œufs dur, ou des oranges, quand il ne vous force pas à le suivre chez lui pour goûter à un plat qu'il aura préparé pendant que vous soigniez, plat qui souvent lui aura coûté très cher.

C'est là, la marque d'une noblesse de sentiments que peu soupçonneraient à première vue.

Quant au patriotisme de cette même population il suffit pour s'en rendre compte de vivre entièrement avec elle lors d'un ratissage et d'analyser ses sentiments et son comportement après ce ratissage.

Moi qui avait replié au cours du dernier ratissage, je fus émerveillé d'abord lors de mon retour dans la région, de retrouver un peuple pourtant si meurtri la veille reprendre vaillamment sa tâche, les laboureurs étaient à l'œuvre, les bûcherons aussi, les écoles étaient rouvertes. Et pourtant la plupart de ces cultivateurs, de ces bûcherons aussi, et de ces écoliers ont eu un parent tué par les français, le comble de l'émerveillement c'est lorsque vous allez questionner les parents d'un mort : sans s'émouvoir, froidement ils vous racontent comment le "sale" français dans des conditions atroce a fait mourir leur fils, père ou mère, vous pouvez penser que ses gens n'ont peut-être jamais eu des sentiments vous aurez tort, car s'il vous arrive d'assister aux obsèques d'un montagnard, vous verrez ses proches, se lamenter comme on le fait partout, ce qui change c'est qu'après ces obsèques, tout se passe comme s'il n'y avait rien eu, les parents du mort comme les autres habitants de la dachra vont vaquer à leurs occupations qui sont la plupart prescrites par l'organisation, ils ne parlent plus que de leur devoir de patriote.

Leur cœur n'est pas devenu de pierre, mais ils ont acquis ce que l'on appelle une conscience nationale : celle-ci leur permet de placer la patrie au-dessus de la famille.

المحقق رقم 118 : « عظمة شعب »، تقرير معوي حول الشعب من تحرير طبيب أو ممرض بالمصالح الصحية لجيش التحرير. المصدر : SHAT, IH 2582/d.1, annexe à la note de renseignement n° 2920/EM/10/2/ENI, du 1^{er} juin 57

5414

FRONT DE LIBERATION NATIONALE
ALGERIENNE

ARMEE DE LIBERATION NATIONALE
ALGERIENNE

WILAYA N° V --34-- ZONE N°IV
=====

ALGERIENNE, MA SOEUR

SOLIDAIRE de ton PEUPLE HEROIQUE, meurtrie dans ta chair de MERE, d' EPOUSE et de SOEUR par une terrible répression.
Tu es devenue subitement l'objet des attentions de ton ENNEMI: le colonialisme français.

SOIS VIGILANTE

Charles de Gaulle et ses sbires veulent t'utiliser contre ta GLO- RIEUSE REVOLUTION.

Le "Savant ethnologue"Soustelle veut conquérir ton coeur en te fai- sant représenter dans les manifestations préfabriquées fascistes du " Salut Public" par des prostituées notoires:

Telle cette "Suzanne", pilier des bistrots de Mostaganem et de Re- lizane, débauchée agréée par une police pourrie.

Telles ces "Assistentes sociales" dont la "Noble" vocation est d'as- siser la soldatesque française dans ses bavannes et de "renseigner" des Capitaines de S.A.S. indignes de leur uniforme.

"Mesdames" Salan, Massu et leur congénères t'offrent par la force leur "thé de l'amitié" pour mieux te contrôler et te surveiller.

Et les parachutistes criminels de guerre te déchirent ton voile, protection de ta misère.

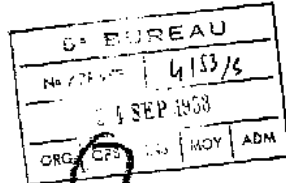
Ces civilisés torquent tes seins, martyrisent l'ENFANT sous les yeux hébétés de sa MERE pour qu'elle "avoue".

Ces CHRETIENS violent les épouses sous le regard chargé de haine de leurs maris enchaînés.

Ma soeur, écoute, je revois encore cette ALGERIENNE, morte, racroque- villée, serrant précieusement dans ses bras le cadavre de son bébé, innocentes victimes de la "France fraternelle".

ALGERIENNE; TON ROLE DANS LE COMBAT SACRE EST CAPITAL
TU RESTERAS SOURDE AUX APPELS IMBECILES ET DESESPERES
DU COLONIALISME FRANCAIS MORIBOND
TU RESTERAS ATTACHEE PAR TOUTES LES FIBRES DE TON COEUR
A TON ADMIRABLE ARMEE DE LIBERATION
TU REFUSERAS DE T'INSCRIRE SUR LES LISTES ELECTORALES ENNEMIES
FAIS TON DEVOIR D'ALGERIENNE
L'ALGERIE COMBATTANTE VIVRA

Ta soeur JAMILA
Combattante de l'ARMEE DE LIBERATION NATIONALE ALGERIENNE



الملحق رقم 119 منشور لجهة و جيش التحرير يحذر المرأة الجزائرية من الاغترار و الانسياق وراء المساعي الفرنسية الراقية إلى جلبها فجرد ضرب الثورة بها و استغلال صوتها في الانتخابات.
المصدر : SHAT, IH 2568/d.1, organisation des EMSI 1957- 1962

58-012 Le 7 Mars 1957

FO BOUTES MILITAIRES
CORPS FEMMES DE COMBATTANTES
DEPARTEMENT DE K.G. & (4) D.L.
ETAT MAJOR - 2^e BUREAU
N° 41.754/490.1/2.

NOTE de RENSEIGNEMENTS

O.R.F.F. : Circulaire N° 9 et 15 de la Wilaya N° 2
RESUME : Notes n° 920, 1022 et 2642 /490.1/2
des 10 Mars, 10 Mai et 19 Juin 1957.

Il est fait envoi ci-joint de la traduction de deux circulaires de la Wilaya N° 2 concernant le corps de MARIAM SMED, responsable politique de la Kabila de JEMRAÏEN (Kabila 2 - Minsk 2), datées le 4 Octobre 1957.

V/- CIRCULAIRE N° 9 DU 2 MAI 1957 -

Cette circulaire se rapporte à l'organisation du corps des femmes combattantes ("Mushahidat").

Indépendamment du rôle d'inspiration " dans les batailles et lors des opérations " qu'il a dévolu aux "Mushahidat", le commandement rebelle entend solliciter également ces dernières en qualité de " chargées de missions " auprès de la femme algérienne sur le plan social et politique. La circulaire fait apparaître que les femmes combattantes sont appelées à devenir, plus que des infirmières, de véritables agents politiques du F.L.N. O'est en que circonstance la circulaire N° 9 en les plaçant sous la dépendance des responsables politiques de Kabila, pour ce qui concerne leurs activités politiques et sociales.

La présence de femmes dans les rangs rebelles a été signalée à plusieurs reprises sur le territoire de la Wilaya 2.

D'autre part, un renseignement récent, recueilli en 2.0.3.1.1, mais non recouré, fait état de dispositions prises par MARIAM KHAMMAM, chef P.M. de la Wilaya n° 1, en vue de faire procéder à l'incorporation d'une cinquantaine de femmes dans les rangs des F.L.N.

Ces nouvelles de faits ont été mentionnées plus haut par les femmes dans les activités rebelles. Nous mentionnons, sans ce dimanche, à une évocation qu'il convient de suivre très attentivement.

L'attention des D.R. devra être attirée sur ce point et tous renseignements touchant les activités féminines sur le plan politique, feront l'objet de G.R. à adresser sous présent titre.

....

La dernière circulaire, datée du 25 Juillet 1957 et portant le N° 15, est consacrée aux regroupements de populations opérés par les Forces de Maintien de l'Ordre.

De même, par ailleurs, il convient de noter :
a) l'interdiction, en règle générale, de tout regroupement
b) la lutte contre les centres de regroupements existants, savoir :
- des "Mushahidat" : établissements des centres par des "Mushahidat" du F.L.N. (responsables politiques) et du F.L.N.M. (groupes armés), - atterages des centres -
- des "Mushahidat" : pourcentage des centres (création d'organisations chargées de la propagande aux populations regroupées ainsi que peut de filiales d'éducation, etc...).

Enfin, la dérogation, par le Comité de Kabila, à un responsable pour former centre de regroupement.

Le tellex mentionne notamment qu'il est strictement interdit de transférer par autres voies de regroupement des "Mushahidat" et transférer la volonté du Commandement rebelle de s'opposer à toute action par tous les moyens.

Le Colonel RESPONSIVUS
Dat le 14 Mars 1957 à Larbi le Bel Casablanca

signé : RESPONSIVUS

المجلس رقم 121 : إنشاء الرابطة الجزائرية لسانك " النساء المقاتلات " من اجل الترشيد
البراءة الجزائرية في عملية تحرير الوطن. الصبر : 1, 2582/د. 1, SHAT, IH

Organisation du corps des femmes combattantes 1957.

18/11/57

DE FAUT A ETE RECU... LE 8.11.1957
DANS LE DOMAINE... LE DROIT...
TRANSIT... DU DOME...
A. S. Z.

LE SERVICI
MUNICIPIAL

La question... d'honneur... de que vous...
avez... de... de... de... de...
à... de... de... de... de...
SOYEZ DISCRET.

A la guerre, une parole de trop... de plus, dans...
de... de... de... de... de...
de... de... de... de... de...
SOYEZ CALME et gardez votre sang froid en présence de l'ennemi. Ne divulguiez
aucun secret, même au prix de votre vie AU EN SACHANT.

Prudence et méfiance. Rien ne doit signaler votre passage SOYEZ HESITÉS.
Le commandant n'est pas toujours celui qui questionne. C'est souvent celui qui
échoit. MEFIEZ-VOUS.

Ne divulguiez pas le passage d'un groupe ou d'un soldat à des amis, parents ou
autres. L'ennemi a des oreilles partout SOYEZ-QUALIFICATEURS.

Soyez disciplinés et ne charriez pas à commettre les secrets. L'ennemi vous
observe, il n'est pas partout. PRENEZ GARDE !

DISCIPLINE UN BRUIT EST UNE FAUTE GRAVE.

(lire et faire lire)

المعلق رقم 122 : الاضبط سر قوة الجيوش " بعض تعليمات جيش التحرير في
جمال الاضبط و السرية لقطع الطريق على الصالح السرية للجيش الفرنسي. المصدر
SHAT, IH 2582/d.1, « PLN... » et IH 2587/d.2 Tracts ALN-
population

15/11

FRONT DE LIBERATION NATIONAL
KAMRILIN

PRETIT PLAN DES REGLES DE CONDUITE DU MILITAIRE
MOUSSEBEL ET KOMMARIK

AU NOM DE DIEU CHERIF ET MISERICORDIEUX

Pour vous, plus que pour tout autre, la conservation de " SERVICI " est une
question d'honneur, d'une extrême importance de que vous avez et de SERVICI...
DANS VOTRE SERVICI, LES AUTRES DOIVENT... de... de... de...
PLUS EST PARTOUT... de... de... de... de...
être sans importance. SOYEZ DISCRET. A la guerre, une parole de trop...
est un DANGER DE VIE. DISCRET.

Ne portez jamais sur vous des paroles qui figurent des noms. L'ennemi peut le
trouver. C'EST GRAVE. Avant de quitter un emplacement, inspectez le terrain pour
voir si vous n'avez pas laissé d'objets compromettants. RIEN NE DOIT REVEALER
VOTRE PASSAGE.

500. L'ENNEMI EST EN VIGILANCE.

Suivez bien votre matériel, fusils et armes. Il est précieux, il est cher.
Vous lui devez tout être la vie. NE LAISSEZ JAMAIS tomber votre matériel dans
aux mains de l'ennemi.

L'ennemi vous surveille. Soyez DISCRETION, CHUIRE ET DISCIPLINE.
Ne craignez pas de tomber en camp d'honneur. L'indépendance vaut plus que votre
vie !

Ilou a dit : " Je croyais pas ceux qui sont étonnés " pour la cause de Dieu
est mortel. Au combat, ils vivent et Dieu verse sur eux ses bienfaits. (Goran)
ALIEZ-VOUS LES UNES LES AUTRES, FAITES QUE VOUS SEYI BRÉSIS DE GORO, DE PARCIS 29
DE BELATION.

DIEU EST AVEC LES HINDOUISTANS
VITE ET ALGERIE HINDOUISTANS
VITE L'AFRIQUE DU NORD
LE COMMANDEMENT DE LA 3e TIRATA

48/12

LIBERATION NATIONALE
ALGERIENNE
COMMANDEMENT GENERAL DE LA WILAYA
D'ORAN
-0-
SERVICE DE RENSEIGNEMENT ET LIANSONS



DR

- N O T E -

Vous trouverez ci-joint des renseignements que nous avons pu recueillir concernant les traîtres qui vous ont dénoncés. D'après ces renseignements, plusieurs de vos actions ont été signalées à l'ennemi avant qu'elle soient entreprises (vous trouverez dans les notes particulières p les précisions nécessaires).

D'après la précision et l'importance des renseignements fournis à l'ennemi, il ressort que ceux qui se chargent d'informer l'ennemi sont des personnes proches de notre Armée. En effet pour parvenir à connaître qu'une telle action allait avoir lieu, il faut être vraiment près des groupes armés de l'Armée de Libération Nationale.

Ainsi apparaît l'importance de l'appareil de renseignements ennemi, et surtout son efficacité. C'est pourquoi, il faut être très vigilant et ne jamais oublier l'importance du secret qui est une des règles principales de la guérilla. Il faut être aussi très ferme. Rechercher avec discrétion tous ceux qui sont susceptibles de renseigner l'ennemi, sans toutefois aller jusqu'à faire la dictature sur le peuple qu'il faut ménager. Nous avons remarqué que ces renseignements sont surtout nombreux dans les régions nouvellement pénétrées par nos groupes. Dans ces régions, il faut être en même temps que ferme, très souple. La première tâche est de travailler les populations et de les éduquer. Délégations spéciales.

L'administration française est décidée à mettre sur pied un appareil administratif important comprenant notamment des personnes musulmanes. L'exemple nous est montré par le lancement de la nouvelle politique des délégations spéciales. Dans plusieurs régions, ces délégations ont été installées avec la participation de certains musulmans. Cette participation est surtout en vigueur dans les régions nouvellement touchées par la Révolution. Là dessus, aucun répit ne doit être laissé à l'ennemi notamment en combattant toutes ses nouvelles tactiques et en recherchant activement les collaborateurs qui doivent être purement et simplement abattus. Pour combattre cette nouvelle politique coloniale française, il faut mettre sur pied aussi les Assemblées Populaires qui seront élues.

- En conclusion: Il faut mener une lutte sur les deux fronts politique (pour combattre l'initiative colonialiste tendant à créer des communes nouvelles avec délégations spéciales) et militaire (pour combattre les traîtres et les collaborateurs qui seront abattus).

Il faut être vigilant et ferme.

LE COMMANDEMENT

الملحق رقم 123 : حجة على نشاط مصالح الاستعلامات للثورة في ميدان حماية الثورة و هباتها.
المصدر : SHAT, 1H 2586/d.1, Action psychologique rebelle 1956- 1958

68/5

REPUBLIQUE ALGERIENNE

FRONT DE LIBERATION
NATIONAL

WILAYA 5
ZONE 4
REGION 3

ARMES DE LIBERATION
NATIONALE

Soldat de France

... qui, bien des fois allongé sur ta misérable paillasse
d'œil au ciel, rêve de la fin de tes maux et d'un prochain
retour dans ta famille, parmi ceux qui te sont chers et qui t'attendent
dans l'angoisse et l'attente de ton retour.
... qui souffre de l'isolement de la jeunesse sur un
exposé au froid, à la pluie, à la boue, à la fièvre, à la mort.
... qui a de la peine à nourrir une nourriture infecte, une discipline
inhumaine, un honneur de crâne ébréché.

T'es-tu demandé pourquoi tu es ici, en Algérie, au milieu
d'une nature et d'un peuple hostiles ?
Acceptes-tu de mourir bêtement, pour rien, alors que le gros
colon s'enrichit et même la belle vie y accepte-tu de mourir bêtement,
comme les centaines de millions de jeunes français qui ont rougi de leur
sang les rivières d'Indochine, les montagnes de Syrie, du Liban, du Maroc,
de la Tunisie, au Casanome, d'Algérie ? A quoi a servi leur sacrifice ?
à rien !... Qui parle d'eux aujourd'hui ? Personne !... Ils ont gardé
leur vie bêtement, pour rien. Pendant qu'ils allaient à la mort, collons
et banquiers s'enrichissent pendant que leurs mères, leurs épouses,
leurs enfants souffraient et pleuraient, collons et banquiers s'enrichissent
tourés de jolies femmes.

Soldat de France !

Acceptes-tu de finir bêtement, loin des êtres qui te sont
chers ? Acceptes-tu d'être un vil outil, un vil esclave de colonisés, un
vil geolier de la liberté ?

Soldat de France !

Les patriotes Algériens n'ont pas de haine pour toi, leur
ennemi est le colonialisme. Ils te détestent !
Si tu veux que finisse cette guerre qui mène la France à la
misère et fauche ses enfants, si tu veux que finisse cette guerre qui
Si tu veux qu'il vaille mieux s'entendre avec nos frères libérés
que chercher à se battre à se massacrer, à se précipiter.
Alors, exige ton retour en France !
Refuse de servir en opération !
Et crée partout autour de toi : "Vive la Paix et la Liberté
en Afrique comme en Europe".

signé : Le Commandant

REPUBLIQUE ALGERIENNE

FRONT DE LIBERATION NATIONAL

ARMES DE LIBERATION NATIONAL

ALGERIE

ALGERIE

WILAYA 5
ZONE 4
REGION 3

WILAYA 5
ZONE 4
REGION 3

LES COMBATS DOIVENT CESSER. FEUQUOI MOURIR EN VAIS
SOLDATS FRANÇAIS DE GUERRE A MOURIR
A L'ALGERIE

Les combats doivent cesser. Feuquol mourir en vain
Soldats français de G.P.R.A. offre le Peix Américain.
Même de combats, la Guerre est maintenant inutile.

Soldats français de GUERRE a MOURIR A L'ALGERIE.
Le Peix Américain veut la Liberté. Hélas la Paix.

Soldats français de GUERRE a MOURIR A L'ALGERIE.
Surtout, pourquoi doit-on mourir en vain.

Soldats français, vos Officiers veulent la Guerre car
elle leur profite. Refusez de leur obéir.

Soldats français, ne mourir pas les Officiers.
Vos Officiers, vos Officiers, vos Officiers, ne mourir pas les Officiers.
Même de combats, la Guerre est maintenant inutile.

Soldats français les Officiers sont vos ennemis, ils veulent
votre sang en remplissant leurs coffres-forts.

Soldats français, ne mourir pas la Paix et la Liberté
qui se battent de votre sang.

SHAT, 1H2586/d.2, 'Propagande FLN' : منشور جيش التحرير مورج للجنود الفرنسيين بالأصالة الصفر : 125 رقم الملحق

ARMEE ET FRONT DE LIBERATION
NATIONALE ALGERIENNE

RECEVEUR
LE GENEAL CREATEUR DES ORGANEZ S.A.S.

23/9

... par la répression qui s'est abattue sur toutes les familles algériennes, ont été touchées
Famille, vos frères, vos sœurs, vos amis sont dans les rangs de
L'ARMEE DE LIBERATION NATIONALE ALGERIENNE. Vous vous êtes tirés sur eux et d'autres
de l'ennemi qui vous dirige.
UNE SEULE ISSUE S'OFFRE A VOUS : VOTRE SAUVETAGE, VOTRE LIBERATION, VOTRE
AVENIR, VOS FAMILLES, VOS ENFANTS, VOS FRERES, VOS SŒURS, VOS AMIS, VOS
L'ALGERIE ENTIERE !
VENIR AVEC ARMEE ET FRONT !
L'ALGERIE SAURA RECONNAITRE SES FILS, SES VERTUEUX FILS, CEUX QUI AURONT
EU UN RÔLE PARTICULIER A L'ACTION ALGERIENNE.
CE SERA TANT PLUS POUR CEUX QUI N'AURONT PAS COMPREIS LEUR INTERET !

M A T T E R N E E N PLUS D O M C E
VIVE VOTRE COURAGEUSE LUTTE DE LIBERATION NATIONALE !
VIVE NOTRE FRONT DE LIBERATION NATIONALE !
VIVE L'ALGERIE LIBRE ET INDEPENDANTE !

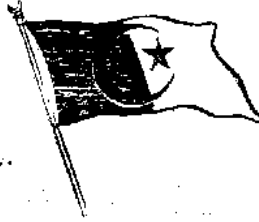
COTE D'UN TRAPAZ PRODUIT LE 25.9.1957 A 10 HES AU S.O. DE ELAMRAN
(COTE EST QUARTIERIER)

المقرر رقم 127 : منشور جيش و جبهة التحرير الوطني موجا للمجاهدين الجزائريين
بالشكايات الفرنسية من عناصر « الجزائر » يدعوهم فيه إلى الالتحاق به قبل فوات الأوان.
المصدر : Tracts FLN- militaires : SHAT, III 2587/d.2.

.../...

SHAT, III 2587/D1 hmc ty subcella

ARMÉE ET FRONT
DE LIBÉRATION NATIONALE
ALGÉRIENNE



جيش التحرير الوطني
الوطني الجزائري

58/20

SOLDATS ALGÉRIENS NOS FRÈRES

—oOo—

C'est à vous que l'on s'est adressé, et que l'on s'adresse toujours pour vous arracher à la servitude des colonialistes, qui malgré que vous soyez leurs boucliers, ne vous accordant pas la moindre confiance.

Jusqu'à quand allez-vous demeurer dans cet immobilisme, dans cette indifférence alors que la Révolution Algérienne est en sa 3ème année et touche à sa fin ?

Pourquoi cette peur et cette méfiance règnent-elles en votre sein, jusqu'à faire de vous les esclaves soumis d'une armée pourrie et traquée par les nôtres en tous lieux.

Ne voyez-vous pas les défaites enregistrées chaque jour par les hordes colonialistes, malgré l'intensité de leur artillerie et aviation.

Que la France le veuille ou pas, la cause ALGÉRIENNE triomphera et l'INDÉPENDANCE de l'Algérie sera très prochaine, grâce aux vaillants de l'A.L.N.A., grâce au peuple courageux et tenace fiable à son armée.

Et vous Messieurs ! Quelle sera votre considération demain si vous persistez à servir dans le clan ennemi.

N'êtes-vous pas Algériens ! N'êtes-vous pas Musulmans ! Vos aînés ne vous ont-ils pas enseigné le chemin de l'Honneur (tels que les sergents chefs A O U A C H E R J A et B E N S A L E M du 3ème tirailleurs) qui ont rejoint nos rangs et dirigent fièrement des unités de l'A.L.N.A.

Avant qu'il ne soit trop tard, vous avez encore une chance de choisir entre les titres de Patriotes (ceux qui contribuent à la cause Algérienne) ou traîtres à la Nation (ceux qui persistent à servir l'ennemi).

Ainsi sera le jugement de demain.

Rejoignez vos frères de l'A.L.N.A. avec armes et bagages, la Patrie sera fière de vous.

VIVE L'ALGÉRIE LIBRE ET INDÉPENDANTE
VIVE L'ARMÉE ET LE FRONT DE LIBÉRATION
HONNEUR AU PEUPLE ALGÉRIEN
MORT AUX COLONIALISTES



الملحق رقم 128 : منشور جيش و جبهة التحرير الوطني موجه للمجندين الجزائريين بالانشكالات الفرنسية
يدعوهم فيه إلى الالتحاق به قبل قوت الأوان. المصدر : SHAT, 1H 2587/d.2, Tracts FLN- militaires

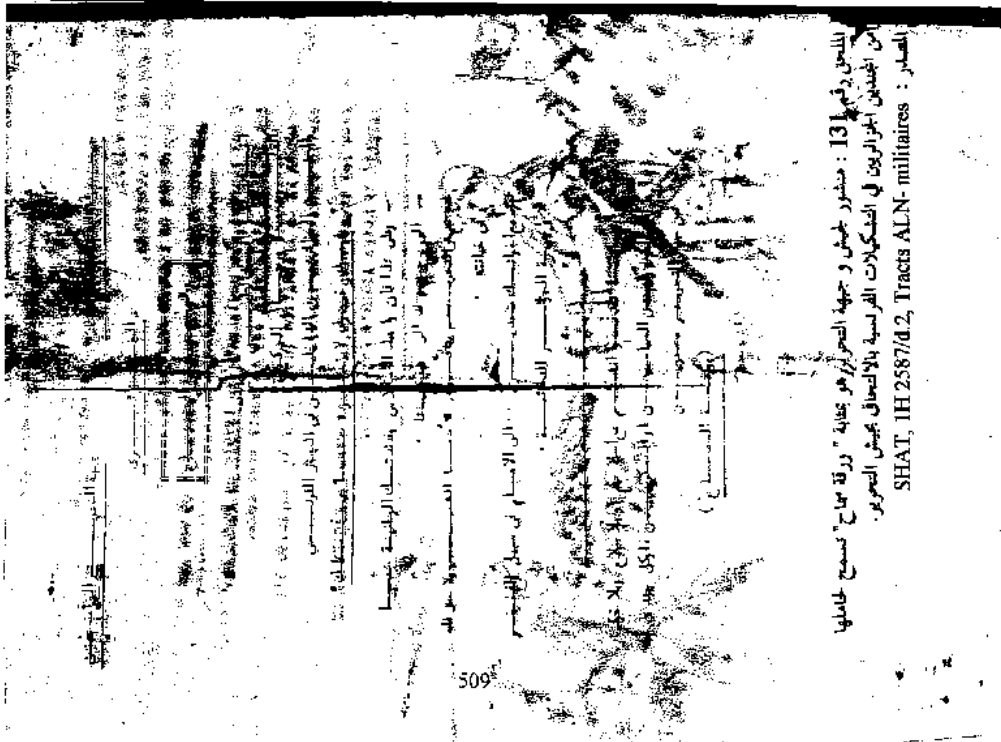
Armée de Libération Nationale

Aux Goumiers traîtres
Aux sauvages maudits

Vous savez que la tête de l'Algérie émerge du sang de vous victimes.
L'Algérie se réjouit de la guerre sainte dans le pays, le colonialisme est ton maître, il démenagera et s'en ira et te laissera.
Mieux vaut que tu nous rejoignes maintenant.
Nous t'avertissons que l'Algérie vivra libre et indépendante. Ceci sera par la force malgré et malgré ceux qui t'ont engagé.
Celui qui veut bien faire vient avec nous, le traître est avec le colonialisme et reste comme un chien. Il cherche s'il trouve quelque chose à rapporter à son maître. Il travaille sans honneur. Il ne mérite pas la gloire.
Pour remplir ton ventre tu abandonnes ton peuple.
Tu es comme le diable et tu fais peur aux hommes et aux enfants par les coups et injures, le pillage chez les civiles. Tu fais cela et tu luttas avec les hommes de guerres.
Ton ouvrage ne te rapporteras rien, mais il ne sera pas oublié.
Tu es comme un berger (tu ne comprend rien) tu tues et tu tues , tu es comme un animal, tu agis contre ton frère, ton père, ton fils, ta fille. Mais ton ennemi est celui qui se réjouit avec toi et qui se réjouit parce que tu t'attaques à ceux de ta race.
Il faut que tu t'éveilles et que tu cesses d'agir ainsi
N'as- tu pas un cœur pour te guider
N'as- tu pas d'âme ?
Le temps viendra où ton maître t'abandonnera
Qui alors te protégera ?
Tu dors, éveille- toi. Aides ton peuple. Cessez de mal agir.
Tu sais que nous (HLL) nous avons pris le maquis pour protéger les maisons et la nation et chasser la honte.
Toi, tu détruis les maisons et tu frappes les gens et les enfants et tu ne crains pas Dieu. Et nous prions Dieu de couper tes mains qui travaillent pour le colonialisme.
Nous prévenons les assassins que les temps changent

L'Algérie vivra et la rébellion
Le colonialisme et les traîtres qui sont avec lui seront vaincus

الملحق رقم 129 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطني موجه « للثغمية ». ويلاحظ عليه استعمال فجة خطاب
مشددة. المصدر : SHAT, 1H 2587/d.1, Tracts rebellion



المسرح رقم 13 : منشور جيش و جبهة التحرير هو عبارة " ورقة برامج " تسمح لخادمها من الجندين الجزائريين في الشكليات الفرنسية بالألتحاق بجيش التحرير.

SHAT, IH 2587/d.2, Tracts ALN- militaires : العسكريين

BARDON

OS. PHILLES BRANES,
GOUINIS AUX HARRIYES,
SOCIATIS ALGERIENS DE L'ANNEE 1954

C'est toujours son espérance
son espoir, son idéal
- L'AMOUR DE LA LIBERTÉ
- Avec les ténants de la
liberté de notre ALGERIE

- Nos héros, nos martyrs, nos héros et nos héros militaires
- Nos héros, nos martyrs, nos héros et nos héros militaires

ملحق 132

TRADUCTION EN ALGERIENNE DE L'ARMEE DE LIBERATION NATIONALE
ALGERIENNE DE L'ALLEMAGNE EN FRANCAIS, TROUVEE LE 13.6.56 PAR LE
5e RAJ AU HAD DE BORDJ EN ALGERIE ET EN FRANCE.

Dessin au Soleil
ALGERIENNE
ARMEE DE LIBERATION NATIONALE
ALGERIENNE
Dessin au Soleil

Mais allemand - légionnaires !
L'Armée algérienne de libération ti'adressa à toi, avec
cette lettre, pour t'expliquer pourquoi et pour qui elle lutte.
Exemple : Depuis 150 années ta Patrie est soumise par
une puissance étrangère, l'occupé-rais-tu encore plus longtemps et
la possibilité te serait donnée à rendre les armes ? Nous ne le croy-
ons pas. Ceci est le cas pour nous. Nous algériens ne voulons plus que l'
nous exploitent et que l'on nous refuse tous l's droits.

On nous prend notre sang - pour nous faire mourir dans
le et on ne nous laisse que des morceaux de terres qui ne valent rien.
Dirais-tu à cela que c'est bien nous ?
Pour cela nous ne ser- es plus d'accord de rester encore
et encore des esclaves. Pour cette raison nous avons pris les armes.

Au début c'était une lutte contre les colonialistes, au-
jourd'hui c'est une lutte d'une Nation contre une autre.
Mais nous ne comprenons pas, pourquoi toi, Allemand, tu
donnes ton sang et ta vie pour l'ennemi de l'Allemagne et aussi notre
ennemi ?

Nous faisons appel à ton Honneur et à ta fierté nationale.
Ne te bas plus pour une poignée d'exploiteurs, qui ne te donnent rien
Pourquoi veux-tu encore rester dans cette Armée d'esclaves, où tu n'es
qu'un numéro. Beaucoup d'Allemands ont compris que les peuples arabes
sont très germanophiles et se sont joints à nous, où ils ont refusé
d'être Russes.

Mais ce qui est défendu à l'Arée, est autorisé pour toi
L'Armée vous donne tous les droits, même après que la guerre sera fini
il te sera permis de rester en Algérie et d'y établir une nouvelle exi-
tence.

Tu pourras aussi retourner dans ta Patrie.
L'Armée algérienne te donne ses moyens. Avec qu'elle
n'est pas une horde envahissante, comme nous appelions les Français.

Nous sommes une Armée régulière, organisée et nationale.
Pour cela, nous, algériens, réfléchis bien. Si tu viens, tu as
les mêmes droits, comme nous, tu nous trouves partout - mais - si
possible - apportés avec toi ton sang.

.../...

ملحق 133

NATIONALIENNES ALLEMANDES A LA LIBERATION FRANCAISE

Quels sont vos buts à la libération ? Quels intérêts défendez-
vous ? Quelles sont les raisons à ce que vous êtes le KAMAROUZOUZ(?)
des Français ? Pourquoi sacrifioz-vous vos parents, femmes, votre fiancée
et enfants, et servez et souffrez au nom de la France occupant
votre Allemagne ?

N'oubliez pas les parties au JOURNEAU et dans les autres
publicités Françaises, lesquelles comptent plus de 50.000 copies de votre
part.

N'oubliez pas les questions posées par les Français
après vous avoir battus à l'aide de tout le monde.

L'armée arabe de libération "DU K. CHEIKH ABASS" vous offre
le retour dans votre patrie et vous donne la même sécurité qui a été
accordée à des esclaves de vos ennemis.

Aujourd'hui tous vos camarades se trouvent dans le cercle
de leur famille, en liberté absolue.

Légionnaires Allemands, réfléchissez à votre situation -
réfléchissez à votre offre de vous retirer pour retourner et pour
votre liberté totale - en vous rendant votre vie.

(1) Chair à canon

L'Armée Arabe de Libération
"DU KAMAROUZ ABASS"

المحرفين 133 و 132 : منشوران لجهة و جيش التحرير الوطني
للجند الألمان من جند الكف الأجنبي.

SHAT, IH 2587/d.2, Tracts ALN- militaires :

58/43

A-22

TRADUCTION D'UN TRACT REDIGE en ALLEMAND.

Nous nous adressons par cet écrit à tous les légionnaires pour vous mettre une fois la vérité devant les yeux. Vous combattez et mettez votre vie en jeu pour une poignée de colonialistes et d'exploiteurs qui vivent depuis 130 ans comme des comtes au dépend d'un peuple entier. Leur vie ne se passe que dans leurs palaces à la façon des châteaux, dans les locaux de club et de nuit. Vous mêmes vous avez déjà bien vu la différence entre la vie de ces Messieurs et celle de la population Algérienne. C'est contre ce système que nous combattons. Nous ne voulons rien de plus que la liberté et le droit de prendre nous mêmes en mains les destinées de notre pays. Nous avons comme tous les autres peuples et nations le droit à la liberté. Comme ce droit nous a été refusé, nous sommes forcés de prendre les Armes. Nous ne sommes pas des rebelles et des bandits, mais une Armée Nationale de la libération dans laquelle chacun, sans distinction de race, de religion, a les mêmes droits. En dépit de toutes les persécutions, nous devenons chaque jour plus grands et plus forts et la victoire nous est certaine.

Jusqu'à présent la vérité et le droit ont toujours été victorieux. Tous les hommes et nations démocratiques aimant la liberté soutiennent notre combat.

Toi aussi, camarade, tu nous es bienvenu de tout coeur, si tu veux combattre avec nous. Tu es entièrement à droits égaux dans nos rangs. Beaucoup d'Allemands ont déjà reconnu où leur place et se sont joints à nous. Mais devrais-tu continuer à vouloir combattre pour quelques exploiteurs sans conscience, nous nous voyons forcés à te considérer comme ennemi et te combattre. Réfléchis bien, tu as le choix, pour ou contre la liberté. Es-tu avec nous, alors tu as le droit de te construire une nouvelle existence dans notre milieu.

Veux-tu cependant retourner en Allemagne, nous prendrons soin de ton rapatriement.

Vive l'Algérie
Vive la démocratie et la liberté.

Nota : traduction littérale.

SHAT, 142587/D2 tracts ALN - Militaires

الملحق رقم 134 : منشور جيش و جبهة التحرير موجه للجنود الألمان المخترطين بتشكيلات اللقيف الأجنبي
المصدر : SHAT, 1H 2587/d.2, Tracts ALN- militaires

58130
 2^e TRACT TROUVÉ LE 25.6.1957 A L'EST DE NEMEA (SECTEUR D'ALGER -
 ANNE 200 COPRANCOIS) - CES TRACTS ONT ÉTÉ TROUVÉS AU RETOUR D'UNE OPÉRATION
 SUR UNE ROUTE QU'IL N'Y AVAIT RIEN A L'ALGER.

ARMÉE DE LIBÉRATION NATIONALE
 PROJET DE LIBÉRATION NATIONALE
 A L O E R I E
 APPEL AUX SOLDATS SPÉCIALISÉS & FUSILIERS
 DANS L'ARME FRANÇAISE

Monsieur vous destinons cet appel dans l'espoir qu'il vous fera entendre la
 voix de la raison.
 Une propagande intensive l'année vous présente l'A.L.N. comme une armée
 de hors la loi, vous pousse à une sorte d'indifférence, les événements actuels en témoignent
 et cela pour le profit de quelques colons.
 L'A.L.N. existe par son organisation par la justice de sa cause, réclame
 finalement à bout de l'armée colonialiste qui lutte sans conviction.
 L'A.L.N. souhaite à bras armés tous ceux qui étaient trompés par une pro-
 pagande mensongère et voudront se joindre à son combat libérateur.
 Il n'est jamais trop tard pour bien faire.

Après les décrets qu'il a émis face aux nationalistes le colonialisme se
 vante par des procédés ignobles sur des innocents demandés de tous pays de défrayer,
 faire le sort de tout peuple qui demande son droit à la liberté, et les soldats
 de représenter employés aujourd'hui en Algérie, pays arabe musulman seront les mêmes
 en Afrique équatoriale, à Dakar et pour tout le peuple qui voudra se libérer du
 joug colonialiste.
 O ! soldats musulmans, méfiez-vous du sourire de mensonge et de barbarie
 et voulez vous entraîner vos enfants de M^e école LACROIX & SCHREY.
 La victoire finale sera la liberté, la vérité, et les soldats qui ont
 pour leurs droits, l'INDOCHINE, TUNISIE, et le 74000, sont un exemple vivant
 l'A.L.N. pour l'engagement colonial de respecter et de venir en aide, tout
 réfugié qui veut se libérer de l'esclavage et de la dictature de l'armée française.
 Apprenez que l'ARMÉE DE LIBÉRATION NATIONALE et ses bases se trouvent par-
 tout en ALGERIE.

VIVE L'A.L.N.
 VIVE LA LUTTE DU PEUPLE ALGERIEN.
 VIVE LE P.L.N.

المسلم رقم 135 : منشور تبيين وجهة التحرير موجه للجنود السباعيين
 SHAT, IH 2587/d.2, Tracts ALN- militaires : المعلن

21
 COPIE DU TRACT DIFFUSÉ BRUXELLES (15-1-1957) DANS LES AERES. CE TRACT SEULE.
 ROMANETTES SUR PAPIER MARC FROMAN ET N. 27, EN FRANÇAIS ET EN ARABE.

ARMÉE DE LIBÉRATION NATIONALE ALGÉRIENNE
 VIVE LA LUTTE NATIONALE - NEMERELLE
 SOLDATS SPÉCIALISÉS

Voilà bientôt deux ans et demi que vous êtes arrivés en terre algérienne.
 Engagé dans une guerre dont les véritables causes vous étaient inconnues, sans com-
 battre les " rebelles " algériens, les colonialistes français, montés dans l'armée colo-
 niale, fondaient de sévères espoirs sur vous pour l'avenir d'un pays, sa politique de réfor-
 mation, vous avez été utilisés hier en Indochine, il le fut aujourd'hui en Algérie.
 Une intense propagande vous cachait les buts réels de notre révolution, afin
 de vous empêcher de comprendre nos aspirations qui, dévoilées se révéleront amba-
 blés aux vôtres.

SOLDATS SPÉCIALISÉS !

L'Algérie, pas plus que le reste de l'Afrique, n'est la France. Nous lutons
 ici pour nous libérer de l'impérialisme français, comme vos patriotes luttent chez
 vous. L'Union des Partis d'Afrique vient de réclamer à son tour l'indépendance de votre
 pays. Les colonialistes français répondent par des massacres et des milliers d'Algériens
 périssent chaque jour, et par l'emprisonnement de personnalités nationalistes. Ce n'est
 que les prisonniers algériens sont pleins de patriotes africains, collés d'Algérie sont
 pleins de patriotes algériens.

SOLDATS SPÉCIALISÉS !

Être seul ennemi, notre ennemi commun, est le colonialisme. Notre cause
 est la vérité.
 CÉSESE d'être les éléments d'une base politique d'assassinat.
 AMBROISE à leur sort ceux qui vous employaient pour obtenir à aucun dans leur
 tâche entreprise.

SECURIZ de vous faire tout pour les intérêts matériels des colonialistes.
 Maisin, vous serez fiers d'avoir contribué à la libération d'un peuple et
 aurez fait un pas dans la conquête de votre liberté.
 L'Armée de la Libération Nationale Algérienne vous invite à rejoindre la
 cause de la justice et de la liberté.
 Des entrées sont accordées à tous les Algériens pour vous amener à fraterni-
 sation sans nous.

VIVE LA LIBÉRATION NATIONALE
 VIVE LA LUTTE NATIONALE
 VIVE LA LIBERTÉ

19/10/77

10^e REGION MILITAIRE
EVALUATION
5^e BATAILLON
T414 4 BOUADOUR 29/10

AS 1.0.3.9/En.10/5 - 083

DEPT. D'INFORMATION

O.E.J.M.T. - Action du F.L.N. sur la Tronpe Moulleaux.
Bata critique d'un cas concret.

Il a été intégralement diffusé à tous les cadres responsables d'unités à subordonner. L'étude d'un cas concret de harcèlement récent d'une unité servait au 10^e Région Militaire.

Les conseils émis dans cette présentation doivent être adaptés par les chefs de corps et les participants de leur unité, mais conservent un caractère impératif de principe. Ils doivent surtout être appliqués en ce qui concerne le système de vigilance indispensable dans la zone de conflit.

Le Général d'Armée RAAF
Commandant la 10^e Région Militaire
Commandant Supérieur Interarmées
F.O.10 Colonel MAJORET Chef d'Etat-Major Adjoint

- Regroupements :
- Bataillon d'Etat-Major
 - C.A.A. - C.A.O. - C.A.S. - C.R.D.S.O.
 - Tous Corps et services implantés des Militaires
 - M.10 Colonel CHAÏB C.R.C.G. /FZEM
 - C.I.
 - D.R.
 - Etudes Médicales.

المسح رقم 136 : قدم لنا حالة عملية اختراق لصفوف الجيش الفرنسي بمساعدة الجيش الجزائري. المصدر : SHAT, IH 2587/d.2, Tracts ALN- militaires

REPARTIR DE BORDJ DANS UN CAS CONCRET
REPARTIR DE BORDJ DANS UN CAS CONCRET

REPARTIR DE BORDJ DANS UN CAS CONCRET

Les lettres rédigées par un grade maintenant découvert sur le cadavre d'un rebelle, ont été envoyées à l'adresse d'une cellule F.L.N. à l'initiative de l'Unité à l'origine de l'opération.

Il résulte de l'analyse effectuée à la suite de cette découverte que :

- l'Unité intéressée est soumise à l'action :
- d'un agent exécutif, commandant politique de l'Unité.
- de propagandistes recrutés dans le sein de l'Unité par cet agent.
- une cellule bien organisée, soumise à l'initiative de l'Unité, assure des liaisons de fonds, de renseignements et de relations au profit du F.L.N.
- la liaison avec l'extérieur est facilement assurée soit par un grade soit par un civil qui vient régulièrement aux réunions aux militaires.

- L'affaire est venue à la connaissance de la Direction des renseignements militaires.
- Le Commandant d'Unité vient de faire procéder à la distribution des lettres individuelles.
- La proposition de P.S. est insuffisante pour faire face à une action efficace de l'ennemi.

II. - ENSEIGNEMENTS A TIRER -
M. - ZEROUK DES CADRES -

- a) Le militaire maintenant est encore trop souvent considéré par ses cadres comme un marionnettiste alors qu'il devrait être traité comme un partisan. (1)
- b) Certains cadres ne s'attachent pas à faire régler une stricte discipline à l'intérieur de leurs unités.
- des documents importants et compromettants ont été découverts dans les pochettes des personnels incriminés.
- des vêtements et des munitions ont pu être détournés sans que les officiers et sous-officiers responsables en aient rendu compte.

(1) Cf. Note pour les Chefs de Corps des Unités Algériennes 1.372/En.10/5/SP/S du 21.12.77.

COPIE

FRONT DE LIBERATION
NATIONALE

ARMEE DE LIBERATION
NATIONALE

WILAYA N° 4

CIRCULAIRE

Le Conseil de Wilaya note avec regret que trop de négligences résident au travail de noyautage dans les casernes ennemies.

Il remarque :

1°/- A travers la Wilaya les Algériens ne demandent qu'à quitter l'armée de l'occupant pour rejoindre les rangs de notre glorieuse A.L.N. Ils recherchent des contacts et ne les trouvent point. Il s'agit par conséquent d'un laissez-aller criminel.

2°/- Lorsqu'un contact est établi trop de frères s'en occupent. Ceci est contraire aux règles de la clandestinité. Il faut donc laisser au frère qui établit le contact, le soin de mener jusqu'au bout le travail commencé. Ceci évidemment n'exclut nullement le contrôle par un responsable. Au contraire, un Chef doit venir étudier minutieusement l'affaire.

3°/- Trop de retard est mis pour faire sortir les frères des Casernes françaises. Nous demandons à tous ceux qui font des contacts de faciliter la sortie des militaires. Il ne faut pas oublier que les Français prennent aujourd'hui beaucoup de précautions et ne laissent pas les soldats dans un même endroit pendant longtemps. Ils craignent les contacts.

4°/- Il n'est pas bon ni intelligent d'attendre longtemps pour faire sortir les nôtres des casernes. Ceci n'est pas bien. Il ne faut pas attendre qu'il y est beaucoup : un militaire ou deux suffisent

5°/- Certains militants demandent aux soldats et aux gendarmes des tenues de combat. Il vaut mieux réclamer des munitions et faciliter l'enrolement dans l'A.L.N.

Fait le 27 MAI 1957
Pour le Conseil de Wilaya
Le Colonel
SI SADDEK

Copie d'un document rebelle récupéré le 23.6.57 au P.C. de la Zone III, Wilaya IV à 8 Km au nord-est de Miliana au sujet de noyautage dans les casernes

الملحق رقم 137: منشور صادر عن مجلس الولاية الرابعة يضيء عملية اخراج الجنود الجزائريين من الكسرات الفرنسية. المصدر: SHAT, IH 2582/d.1, Directives d'organisations 55-59

فهارس البحث :

- فهرس الأعلام
- فهرس القبائل و الجماعات
- فهرس الأماكن
- فهرس الهيئات و الحكومات
و الأحزاب و المنظمات
و التنظيمات و الوحدات
العسكرية

فهرس الأعلام

- بن سالم، عريف أول : 349.
- بن عباس غزالي : 209.
- بواسيو جورج دو، العقيد (George de Boissieu) : 196.
- بورج، بروفييسور (Bourge) : 260.
- بورديو بيار (Pierre BORDIEU) : 130.
- بورقيبة لحبيب : 246.
- بوضياف مُجَّد : 210.
- بوعلام، الباش آغا : 271، 231، 227.
- بونيميزون (BONNEMAISON) : 110.
- بوقرة أُمَّجَّد : 221.
- بيوض إبراهيم : 125.
- ترانكيبه روجيه، العقيد (R, Trinquier) : 196، 222.
- تريكو برنارد (Bernard Tricot) : 221.
- تقية مُجَّد : 319، 294.
- تورنومين (Madame TOURNEMINE) : 181.
- جاكان هنري، العقيد (Henri Jacquin) : 196، 219، 221.
- حري مُجَّد : 298.
- حسان ؟ : 305.
- حسني عبد الحفيظ أمقران ال : 223.
- حنبلي علي، العقيد : 329، 239.
- خير الدين، (سي)، المحافظ السياسي بقطاع مغلَّة (Maala) : 305.
- خيضر أحمد : 210.
- داديون، الرائد، (Cdt. DADILLON) : 60.
- دباغين لمن : 329.
- دو رونو بليسييه (Pellissier de Reynaud) : 129.
- ابن خلدون : 129.
- الحواس مصطفى، العقيد : 329.
- آجرون شارل روبرت (Charles-Robert Ageron) : 337، 312، 294، 280، 342، 346، 347، 350.
- آلاف هنري (Henri Alleg) : 112.
- آيت أحمد : 210.
- أشرف مصطفى ال : 210.
- أوسديق عمر : 228.
- أولحاج، محند : 223.
- إحاددن زهير : 329.
- بارلانج قاستون : 85 (Gaston Parlange).
- باري دو بولاردييه جاك (Général Jacques Paris de Bollardière) : 129، 109، 108.
- بافلوف : 6.
- براكروك عبد القادر، (A. Barakrok) : 100.
- بركات أنيسة : 324.
- بروج أندري، المقدم (André BRUGE) : 92.
- بكري، أبو عبيد ال : 129.
- بلقاسم كريم : 225، 219.
- بن الحاج الجيلالي عبد القادر، المعروف بكوبيس : 219، 224، 227، 236.
- بن السعيد الشريف : 239، 236، 224.
- 303، 242.
- بن الشريف أحمد : 349.
- بن بلة أحمد : 210.
- بن بولعيد مصطفى : 229، 223.
- بن حميدة، محافظ سياسي : 222.

- دو سلان (de Slane) : 129 .
- دو مندیت، جنرال، (Général de Menditte) :
- 83 .
- دوغول شارل، جنرال : 221، 222، 325 .
- رمضان عبان : 329 .
- رودون، جنرال : 130 .
- ريو، بروفييسور (Rio) : 260 .
- زبير (سي ال) : 329 .
- زراري رابح، المعروف بالرائد عزالدين : 83 ،
- 221، 248، 294، 346 .
- زعموم مُجَّد، المعروف بـ : سي صالح : 220 ،
- 221، 221، 224، 329 .
- زكريا، الرائد : 223 .
- زيان عاشور : 201، 210 .
- زيغود يوسف : 329 .
- سالان، جنرال : 80 .
- سرفيه جون (Jean Servier) : 251، 252 ،
- 253، 254، 256، 277 .
- سعدي معمر ال : 209 .
- سعدي ياسف : 222، 248، 323 .
- سهلي إدريس : 351 .
- سوسيبال، العقيد ب. دو (B. de Susbielle) : 26 ،
- 74 .
- سوستيل جاك : 84 ،
- سوفي ناصر آل : 209 ،
- سي صالح، دو الاسم الحقيقي زعموم مُجَّد، المعروف
- بـ : سي صالح : 220، 221، 221، 224 ،
- 329 .
- سي مفتاح : 227 ،
- سيدكاره شريف : 100 ،
- شال موريس، جنرال : 161، 162، 205 ،
- 220، 231، 237 .
- شريف محمود : 219 .
- شيهاني بشير : 329 .
- صن يات صن : 10 .
- ظريف زهرة : 232، 248 .
- عبد الحلي : 329 .
- عجول عجول : 201، 210، 211، 224 ،
- 239، 329، 331 .
- عراب، الرائد : 329 .
- عرباوي : 329 .
- عزالدين، الرائد = زراري رابح : 83 ، 221 ،
- 248، 294، 346 .
- عمار علي، المعروف بعلي لا بوانت : 222 .
- عميروش آيت حمودة، العقيد : 214 .
- عميروش، العقيد : 214، 329 .
- عواشرية، عريف أول : 349 .
- فافر موريس (Faivre Maurice) : 312 .
- فوجور جون (Vaujour) : 227 .
- فورنيي فوش، العقيد (Fournier-Foch) :
- 221 .
- فيشنسكي : 7 .
- قيومار جاك (Jaques Guyomar) : 263 .
- كارْت (Capitaine Carette) : 129 .
- كربادو علي : 239 ،
- كريبان، جنرال : 126 ،
- كواح مراد : 219 ،
- كوارة : 240 ،
- كوييس، عبد القادر بن الحاج الجيلالي المعروف
- بكوييس : 219، 224، 227، 236 .
- كوريار إيف (Yves Courrière) : 254 .

مونوري موريس بورجس : 226،
ميشليه إدموند : 221، (Edmond
(Michelet)،
نھاري الطيب : 350،
نوري حمو محمد عيسى : 125،
نويري خالد : 209،
هانوتو (Hanoteau) : 129.

ھوت، جنرال : 188، (Huet).
ھوشي منه : 10،
يقطان، الشيخ الحاج إبراهيم أبي ال : 125،
يونغ : 6،
قودار، العقيد (Godard) : 196، 217،
254.
قوسو، العقيد (Goussault) : 253.

فهرس القبائل و الجماعات

توابة، قبيلة ال : 254.
شاوية : 84.
شعانية : 67، 69، 70.
يهود : 214.

لاكوست روبرت (Robert Lacoste)، الوزير
المقيم في الجزائر : 56، 60، 72، 94، 96،
99، 100، 102، 103، 104، 117،
126، 127، 128، 133، 175، 211،
214، 232، 251، 277، 292، 310،
313.
بلجيه بول آلان، الرائد (Paul Alain Léger):
196، 217، 222.

لخرش إبراهيم، المدعو غاني : 219.
لخضر، (سي) : 221،
لشرف مصطفى : 210،
لطفی، العقيد : 223،
لعموري، العقيد : 325، 329،
لونيس، محمد بن : 224، 225، 226،
لوفراي، العقيد : 208، (Legray)،
لينين : 07، 10،

ماتون، العقيد : 221، (Mathon)
ماسو، جنرال : 109،
ماو تسي يونغ : 10،

محمد، النبي صلى الله عليه وسلم : 299،
محمود سعيد : 305،
مرشي، آغا : 229،

مسمار بيار، وزير الدفاع الفرنسي : 55،
مصالي الحاج : 24، 35، 208، 225،
300، 208، 225،

معاش مسعود : 209،
مكناش : 240،

ملاح علي، العقيد : 242،

ملاح علي، العقيد : 242، 329،

مولي في، الرئيس : 211.

مونتانيو بيار، العقيد : 221،

(Montagnon)،

فهرس الأماكن و البلدان

- بايزيد، دوار : 273.
بجاية : 214، 237، 299.
برازافيل : 34.
برج منايل : 225.
بسكرة : 202، 203.
بسكرة : 202، 203، 341.
بعش : 258.
بلحيران : 162.
بليدة : 260.
بنزرت : 196، 219.
بني بودوان، دوار : 256.
بني حوى، دوار : 258، 272.
بني عباس، 299.
بني عمران، مركز العبور : 278.
بني لنت، دوار : 273.
بني محرز، دوار : 273.
بني مراحبة : 263.
بني ناوري، دوار : 273.
بني وزان، دوار : 256.
بوحلال، دوار : 258، 263.
بودابست : 34.
بوسعادة : 237، 277.
بوطالب، غابات : 213.
بومعد، دوار : 256، 258.
بوني، دوار : 299.
بيسة : 263.
بينام، غابة : 213.
تابلاط : 277.
تازة، دوار : 273.
تاويرت أوبالة : 214.
تبركانين، دوار : 256.
تبسة : 209، 211.
آريس : 229، 230، 254.
آقاليم الجنوب : 85، 97.
آيت ارزيم، دوار : 299.
أخضرية، باليسترو، ال : 277، 305، 311.
أرزيو : 48، 53، 57، 71، 74، 105،
110، 160، 194، 336.
أسلي، دوار : 256.
أشمول، دوار : 341.
أطلس البيلدي، ال : 277.
أغواط ال : 171.
أقبال، دوار : 256، 258.
أقبو، المدينة : 299.
ألمانيا : 344.
أوراس : 84، 209، 211، 254.
أوروبا : 8.
أولاد عبد الله : 258.
أومال، قطاع : 276.
إسوار (Issoire) : 53، 62، 185، 186.
إغود، دوار : 273.
إغيل أنتالة : 214.
إفلوسن لبحر : 254.
إفيل علي، دوار : 299.
باتنة : 212.
باردو، ملحق ال : 184.
باريس : 34، 130، 207، 253.
باقدورة، دوار : 256، 258.

- تفاسور، موقعة : 210 .
تفلوت، دوار : 256 .
تكوت، دوار : 341 .
تلاسا، 258 .
تمقاد : 212 .
تنس : 237، 256، 258، 262، 263،
272، 274 .
تونس : 8، 80، 110، 196، 201، 208،
209، 210، 211، 214، 223، 231،
240، 245، 313، 329، 339 .
تيارت : 237 .
تيطوان : 34 .
تيفزيرت، دوار : 273 .
تقرين، دوار : 299 .
ثنية الحد : 272، 273 .
جزائر (القطر الجزائري) : 46، 54، 60،
71، 73، 84، 85، 94، 112، 114،
115، 116، 129، 129، 136، 163،
172، 188، 198، 213، 214، 215،
221، 242، 243، 245، 246، 252،
253، 270، 275، 276، 281، 287،
292، 299، 310، 315، 317، 322،
326، 334، 338، 341 .
جزائر (مدينة الجزائر) : 45، 49، 64، 85،
119، 130، 198، 220، 222، 237،
260، 299، 339 .
حاسي مسعود : 162 .
حرم المكّي (ال) : 299 .
حوميز، دوار : 258، 258 .
حُبازة، دوار : 273 .
خميس مليانة : 263 .
خنشلة : 209 .
درايلية، دوار : 272، 274 .
درمون، جبل : 211 .
دمشق : 34 .
دوي حسيني، دوار : 273 .
دوي، جبل : 263، 271 .
رأس العش : 210 .
روايح، دوار : 273 .
روسيا : 200، 215 .
رومل، حي : 184 .
زاتيمة، دوار : 256، 258 .
زيرات، دوار ال : 341 .
زدين، دوار : 256 .
زكار : 263 .
زلفانة : 69 .
ساحل، 254 .
سبسب : 69 .
ستراسبورغ : 34 .
سحالية، دوار : 272 .
سطارة (Catinat)، جنوب شرق الميلية :
231 .
سطيف : 256 .
سطيف، عمالة : 276 .
سكيكدة : 209 .
سنفيتة، دوار : 258 .
سور الغزلان : 201 .
سوريا : 339 .
سوق أهراس : 209، 212 .
سيدي عبد القادر، عرش : 274 .
سيدي مبروك : 184 .
سيدي مسيد : 184 .
شاثو دو فانسان : 161 .
شرشال : 256، 258، 263 .

- شفة، ال : 277.
- شلف، ال : 219، 221، 227، 253، 254، 256.
- شلف، سهل ال : 256.
- شلف، عمالة ال : 256.
- شلف، مدينة ال : 263، 271.
- شلف، منطقة ال : 277.
- شمال إفريقيا : 8، 47، 50، 116، 292.
- شميري : 119.
- شيليا، غابات، : 213.
- صحراء، الصحراء الجزائرية : 162، 172، 173، 348.
- صين الشعبية، ال : 43.
- طرابلس : 39.
- طنجة : 80.
- ظهرة، جبال ال : 258.
- ظهرة، قطاع ال : 277.
- عدلية، دوار : 256، 258.
- عزازقة، قطاع ل : 207.
- عطابية : 184.
- عطاف : 263، 271.
- عماري، دوار : 273.
- عيسى ميمون، دوار : 214.
- عين الدفلة : 263.
- عين الزرقة : 210.
- عين توتة : 341.
- عين عنصر، دوار : 273.
- عين ماضي : 171.
- غرداية : 67، 69.
- فرنسا : 35، 36، 38، 39، 40، 43، 50، 54، 74، 93، 97، 101، 116، 117، 118، 120، 122، 124، 135.
- 136، 137، 144، 149، 163، 165.
- 169، 184، 188، 190، 196، 200.
- 202، 206، 207، 214، 215، 219.
- 224، 226، 227، 228، 229، 230.
- 231، 232، 234، 238، 241، 243.
- 245، 246، 252، 253، 260، 263.
- 266، 270، 271، 272، 275، 276.
- 281، 285، 308، 310، 311، 320.
- 321، 331، 334، 337، 339، 340.
- 348.
- فرومونتان بعش : 272.
- فم الطوب : 230.
- فور لالموند : 162.
- قاهرة : 34، 39، 80، 116، 246، 329.
- قبائل البحرية، ال : 225.
- قبائل الصغرى، ال : 213.
- قبائل الكبرى، ال : 214.
- قبائل، منطقة ال : 203، 207، 208.
- 214، 254.
- قراة : 125.
- قربوسة، دوار : 256.
- قسنطينة : 45، 49، 64، 184، 211.
- قسنطينة، عمالة : 276.
- قصبية، حي ال : 222.
- قصر الإليزيه : 221.
- قصر الشيوخ : 226.
- قصر ماتنيون : 221.
- قلعة بوسع : 181.
- قنطرة، ملحق ال : 184.
- قورين، دوار ال : 258.
- كاب ماتيفو : 113.
- كوريا : 43.

- هند الصينية، ال : 8، 9، 38، 43، 60،
 71، 110، 111، 116، 190، 194،
 214، 222، 333، 339.
 هند، مستعمرة ال : 314.
 واد فضة : 263.
 وادي الشلف : 227، 258، 266.
 وقرام : 301،
 ولايات المتحدة الأمريكية : 43.
 ونشريس، جبال : 256.
 وهران : 45، 49، 64، 71، 85.
 قالملة : 181.
 قطار، دوار : 276.
- كولومب بيشار : 162.
 كيمل، دوار : 209.
 لبنان : 339.
 ليرة، دوار : 273.
 متليلي الشعانية : 67، 68.
 متيجة: 276.
 مداد، دوار : 273.
 مديونة، دوار : 274، 275.
 مرسى الكبير، ال : 196.
 مستغانم : 237.
 مستغانم، عمالة : 276.
 مستغانم، منطقة : 278.
 مصر : 200، 215، 313.
 معسكر، منطقة : 351.
 معلة، قطاع : 305.
 مغرب الأقصى، ال : 8، 110، 113، 196،
 210، 214، 231، 240، 313، 329،
 339.
 مغرب العربي، ال : 292، 293.
 مكة : 299.
 ملوزة : 226، 301.
 مليانة : 256، 258، 262، 263.
 مورست : 82.
 موسكو : 72، 116، 246.
 موسى بوحلوفة، عرش : 274.
 موكا، دوار : 299.
 مونتي كارلو : 34.
 نانت (Nantes) : 177.
 نيس (Nice) : 119.
 نيل، نهر ال : 208.
 هراوات، دوار : 273.
 هليوبوليس : 181.

فهرس الهيئات و الحكومات و الأحزاب و المنظمات و التنظيمات و الوحدات العسكرية

267، 280، 281، 282، 283، 284،
285، 286، 288، 289، 290، 291،
292، 293، 295، 297، 298، 299،
300، 310، 312، 313، 315، 317،
323، 325، 326، 327، 328، 329،
330، 331، 332، 333، 334، 339،
340، 341، 342، 343، 344، 345،
346، 347، 348، 349، 350،
جيش الفرنسي : 198، 199، 200، 201،
202، 203، 205، 206، 207، 209،
210، 215، 217، 221، 224، 226،
227، 228، 229، 231، 232، 233،
234، 238، 239، 240، 242، 246،
247، 248، 249، 251، 252، 258،
263، 265، 266، 271، 272، 282،
292، 294، 300، 301، 304، 313،
314، 318، 319، 329، 330، 332، 333،
335، 336، 337، 342، 344، 345،
348، 349، 350،
جيش الوطني للشعب الجزائري، ال : 226،
حركة الانتصار للحريات الديمقراطية : 219،
225،
حركة التضامن النسوية (Mouvement de
Solidarité Féminine) : 178،
حركة الشباب الجزائري (.M. J. A.) : 183،
حركة الوطنية الجزائرية، ال : 35، 208،
225، 232،
حزبة أولاد بومعد : 254، 271،
حزبة أولاد عبدي : 254،
حزبة بني بودوان، حركة : 271،
حزب الدستور، ال : 14،

اتحاد العام للعمال الجزائريين : 328،

إذاعة الجزائر : 113،

إذاعة و التلفزيون الفرنسي، ال : 34، 113،

بلدية الجزائر : 113،

بناءون الشباب، حركة ال (Les Jeunes)

(Bâtisseurs) : 188،

جبهة التحرير الوطني : 35، 51، 68، 70،

79، 81، 82، 94، 144، 163، 164،

190، 214، 219، 222، 224، 225،

227، 232، 237، 246، 252، 253،

254، 288، 289، 293، 299، 310،

314، 315، 317، 320، 322، 323،

328، 331، 334، 335، 351،

جبهة الجزائرية للعمل الديمقراطي، ال

(.F.A.A.D.) : 224،

جمعية العامة للطلبة الجزائريين : 113،

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : 174،

253، 320،

جيش التحرير الوطني : 35، 80، 83،

171، 196، 205، 207، 208، 210،

211، 212، 213، 217، 218، 219،

220، 221، 223، 224، 225، 226،

227، 228، 229، 230، 232، 234،

235، 237، 238، 240، 243، 251،

253، 258، 260، 263، 264، 266،

- حزب الشعب الجزائري : 227، 225، 219، 331
- حزب الشيوعي الجزائري، ال : 232، 227
- حكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ال : 216، 219، 221، 329
- حلف الأطلسي، ال : 15
- نساء المجاهدات، سلك ال (Corps des femmes combattantes) : 323
- شركة السينمائية للجيش الفرنسي، ال : 36، 38
- صليب الأحمر الدولي، ال : 113، 351
- فرق الحماية الحضرية (D.P.U : Dispositif de Protection Urbaine) : 222، 196
- فرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، (Équipes médico-sociales itinérantes) : 62، 58، 178، 181، 308، 320
- فرق المساعدة الاجتماعية المجانية : (A.M.G. : Assistance Médicale Gratuite) : 58، 84، 101، 146، 194
- فرق مكبرات الصوت و المناشير (Compagnie de Hauts-Parleurs et de Tracts) : 63، 194، 234، 257، 296
- فرقة الأولى للرماة الجزائريين، ال (1^{er} R.T.A.) : 260
- فرقة الحادية عشرة المظلية الصاعقة (11^{ème} demi-brigade parachutiste de choc) : 195، 226
- فرقة السادسة للقناصة الإفريقيين، ال (6^{ème} Régiment de Chasseurs d'Afrique) : 275، 276
- فيات منه (Viet Minh) : 43، 332، 333
- قسمات الإدارية المختصة صاص : 61، 57، 84، 85، 86، 97، 98، 106، 109، 140، 143، 145، 151، 186، 187، 280، 305، 336
- قسمات الإدارية المدنية، ال (S.A.U., Section Administrative Urbaine) : 85، 84، 58 : 97
- قوات الجزائرية الحرة، ال (F.A.L.) : 253
- لجنة الأبحاث العلمية في العلوم الإنسانية : 44
- لجنة الأنشطة الجامعية : 113
- لجنة البحث في الحرب النفسية : 44
- لجنة التنسيق و التنفيذ : 329
- لجنة الثورية للوحدة و العمل، ال : 219، 227
- لجنة الجيش و الشبيبة (Comité Armées- Jeunesse) : 187
- لجنة العمل العلمي للدفاع الوطني : 33، 44، 130
- لجنة المختلطة للنشاط النفسي، ال : 56، 57
- لجنة الوزارة للنشاط النفسي للدفاع الوطني : 43
- لودالوز، كتيبة (Loudalouze) : 271
- مخبر علم النفس التطبيقي لكلية الآداب بجامعة الجزائر : 260
- مدرسة العليا للحربية بباريس، ال : 253
- مراكز تكوين الشباب الجزائري (C.F.J.A.) : 183
- مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات بأرزو (C.I.P.C.G.) : 48، 53، 57، 71، 72، 73، 74، 92، 105، 110، 130، 160، 267

- مركز التربية المدنية و العسكرية (Centre d'Education Civique et Militaire) : 161
- مركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي (C.N.R.S.): 254
- مركز تدريب مسؤولي الدفاع الذاتي (CERAD) : 161
- مركز تدريب مسؤولي الدواوير بأرزيو : 194
- مركز تكوين الإطارات المسلمة بأرزيو : 74، 160
- مركز تكوين الطلاب الرتباء الفرنسيين المسلمين : 160
- مصالح الدعاية و الإعلام (S.P.I.): 281، 282
- مصلحة الاستعلامات و نشاط الحماية (R.A.P.): 194، 77
- مصلحة التوثيق و الجوسسة المضادة (S.D.E.C.E.): 223، 216، 195
- مصلحة الشؤون الجزائرية : 85
- مصلحة أمن الإقليم (D.S.T.): 227
- مفرزة العمليات و الحماية (D.O.P.): 77، 194، 195
- مقاتلو الاستقلال : 227
- مكتب الأول، ال : 55
- مكتب التنسيق بين مختلف الجيوش (C.C.I.): 194، 55
- مكتب الثالث، ال : 83، 72، 55، 46، 171، 184، 194، 215، 273
- مكتب الثاني، ال : 55، 54، 47، 46، 03، 64، 74، 75، 76، 83، 115، 193، 194، 196، 215، 218، 219، 221، 223، 273، 336، 350
- مكتب الخامس، ال : 03، 52، 53، 55، 61، 72، 75، 76، 78، 83، 84، 87، 109، 110، 111، 130، 137، 148، 160، 163، 178، 183، 189، 193، 194، 215، 216، 241، 242، 281، 282، 332
- مكتب الدراسات و التنسيق، بل (B.E.L.): 55، 194، 196، 219
- مكتب الرابع، ال : 46، 55، 171
- مكتب السادس، ال : 53
- مكتب النفسي الإقليمي، ال : 36، 40، 45، 46، 50، 75، 78، 105، 111، 115، 127، 130، 189، 193، 194، 235، 253، 256، 266، 268
- منظمة الأمم المتحدة : 222، 234، 310، 313
- منظمة الخاصة، ال (O.S.): 219، 227
- هيئة أركان جيش التحرير الوطني : 329
- وزارة التسليح و المواصلات العامة : 219
- وزارة الجزائر : 248
- وزارة القوات المسلحة الجزائرية : 283
- ولاية الأولى، ال : 212، 220، 293، 318
- ولاية الثالثة، ال : 196، 220، 222، 225، 254، 295
- ولاية الثالثة، ال : 217، 223، 323، 325، 329، 341
- ولاية الثانية، ال : 308، 318
- ولاية الخامسة، ال : 219، 220، 256، 283، 306، 329
- ولاية الرابعة، ال : 196، 217، 220، 221، 224، 251، 256، 303، 318، 325، 329، 348

ولاية العامة، ال : 36، 49، 56، 112،
115، 178، 227، 251.

ولاية السادسة، ال : 220، 224، 226.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة مصادر و مراجع البحث

الأرشيف

أولا : الأرشيف الجزائري

1- رصيد الحكومة المؤقتة المحفوظ بمركز الأرشيف الوطني - بئر خادم - الجزائر العاصمة

- Boite n° 5.14.1, Rapport sur la situation militaire, (1959 ?). 61 p.
Boite n° 17. 15. 5, La guerre psychologique dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, par le Général GAUSSAULT, chef du 5^e Bureau de la X^e Région Militaire (article paru dans la revue *L'Atlantique Nord*, Paris, juin 1958), 13 p.
Boite n° 17. 15. 03, Analyse sur l'organisation politico- social de l'A.L.N., (s. d.), 7 p.
Boite n° 17. 15. 04, Analyse sur la jeunesse combattante au service du peuple algérien, 6 p. + 2 annexes.
Boite n° 17. 15. 06, Analyse du Ministère des Forces Armées concernant l'action psychologique, 5 p.
Boite n° 25.10, L'action politique de l'Armée de Libération Nationale Algérienne, signé Tewfik Bouattoura, Tunis, 18 septembre 1959, 6 p.
Boite n° 26, Ralliement d'officiers algériens servants dans l'Armée française, 1959
Boite n° 94, déserteurs de l'Armée française 1959.
Boite n° 220, Liste des déserteurs algériens n'ayant pas rejoints leur poste à cette date 1961.
Boite n° 302.3, Note sur les déserteurs de l'ALN, 1961;

2 - أرشيف ولاية ورقلة، رصيد ما قبل 1962،

- علبة رقم : 02،

- Note de service : Pacification et organisation des population, n° 19.019/CIS/RMS/3.PH., Reggan, 2 Décembre 1961.

- علبة رقم 134،

- Note de service : Action à mener sur les femmes musulmanes au Sahara, n° 5928
CIS/DIR/PSY, Alger, 20 Août 1958.

- Note de service : Action à mener sur les Anciens militaires et les Anciens Combattants, n° 5913/CIS/DIR/ PSY, Alger, 20 Août 1958.

ثانيا : الأرشيف الفرنسي

Les archives françaises : Service Historique de l'Armée de Terre,
Château de Vincennes, Paris. (devenu depuis peu SHD : Service historique de la Défense)
ملاحظة : ركزنا في جردنا لهذه البليوغرافيا على الوثائق التي أحلنا إليها في صلب البحث فقط و ليس كل الوثائق التي استفدنا منها.

SHAT, Algérie, Inventaire de la sous- série 1H 1091- 4881, 1945- 1967, tome premier :
Introduction Générale, par Thierry Sarmant avec la collaboration de Philippe Schillinger et de Michel Hardy, Château de Vincennes, 2000, 187 p.

BOITE (?)

1H (?), Note d'information à propos du livre de Henri ALLEG intitulé " La Question ", (s. d.), 3p.

Boite n° 1113

1H 1113/d.1, (document sans titre), n° 2196 / CAC / PY, 2 août 1957, 4 p.

1H 1113/d.2, Annexe n° 1 : exemple d'action psychologique pouvant être menée par une Unité, (1956 ?), 4 p.

1H 1113/D.2, Annexe 4, la recherche du contact, (s. d.), 6 p.

1H 1113/d.1, L'action psychologique en Algérie, 1^{ère} partie, année 1956 et 2^{ème} partie année 1957, (s. d.), 16 p.

1H 1113/d.2, L'action psychologique menée sur la troupe française de souche, n° 1725 EM.10/BP/PA, signé le Général TABUIS, Alger le 20 juillet 1956, 10 p.

1H 1113/d. ?, Action subversive sur le personnel F.S.N.A. des Forces de l'Ordre, 2^{ème} Bureau, Section " O. I. ", (s. d. 1959 ?).

1H 1113/d.1, L'arme psychologique en 10^e Région Militaire, n° 152/RM.10/CEM, (s. d.), 9 p. + 1 annexe.

1H 1113/d.1, Connaissance des Français de souche Nord- Africaine, Annexe à D. M. n° 59 414, T/DCM/ID/INS du 28 Décembre 1959, 5 p.

1H 1113, Directives d'action psychologique : Le rôle de l'armée dans l'action psychologique, signé Robert LACOSTE, Alger, 7 juin 1956, 7 p. [24/11]

1H 1113/d.2, Directive particulière d'Action Psychologique : Attaque du Moral adverse, n° 024/AP, 20 septembre 1955, 2 p.

1H 1113/d.2, Fiche à l'attention de Monsieur le Général Commandant la Division de Constantine et les troupes de l'Est Algérien, sur la mise sur pied du système de propagande et d'action psychologique dans l'Est Algérien, n° 2.068/PY, 2 juillet 1956.

1H 1113/d.2, Fiche de documentation : Engagements de F.S.N.A., 22/11/1958, 2 p.

1H 1113/d.2, Fiche de documentation n° 1 : Définitions générales, 30/3.2.1958/LM, 2p.

1H 1113/d.2, Fiche de documentation n° 7.1 : Nécessité de l'intervention psychologique, 30/3.2.1958/LM, 2p.

1H 1113/d.2, Fiche de documentation n° 8.2 : Plan de recherche de renseignements psychologiques, 30/3.2.1958/LM, 3 p.

1H 1113/d.2, Fiche de documentation n° 14.44 : Action particulière en Algérie : Français Musulmans d'Algérie, 30/ 14.3.1958 /LM.

1H 1113/d.2, Fiche à l'attention de Monsieur le Général Commandant la Division de Constantine et les troupes de l'Est Algérien, sur la mise sur pied du système de propagande et d'action psychologique dans l'Est Algérien, n° 2.068/PY, 2 juillet 1956, 4 p. + annexes. [14/23]

1H 1113/1, Mémento de l'officier d'action psychologique en Algérie, 16 p. + 7 annexes [6/14]

1H 1113/d.2, Nécessité de l'intervention psychologique, 2 p.

1H 1113/d.4, Note d'orientation n° 2 : Directives et documents pour les bureaux psychologiques pour la période du 20 janvier au 29 février 1956, Alger, 21 janvier 1956, 13 p.

1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 4, Alger 13 avril 1956, 16 p.

1H 1113/d.2, Note d'orientation n° 5, Alger, le 7 juillet 1956, 14 p.

1H 1113/d.2, Note de service : Plan d'action psychologique (suite à la note d'orientation n° 6), n° 625/EM.10/ PSY/PR, 22 novembre 1956.

1H 1113/d.2, Note de service n° 625/EM.10/PSY/PR, Alger, le 22 novembre 1956, 3 p.

1H 1113/d.1, Note sur les responsables de la population, n° 3.066/CAA/5/AE, signé par le Général de Division Massu, Alger, le 6 Juillet 1959.

1H 1113/d.2, Rapport spécial sur les résultats obtenus depuis le 1^{er} juin 1955.

1H 1113/d.2, Rapport spécial, n° 006/AP., 6 septembre 1955, 5 p.

1H 1113/d.2, Rapport sur les réalisations et projets du Bureau Régional d'Action Psychologique de la 10^{ème} Région Militaire, n° 007/AP. (s. d.), 3 p. + annexes.

1H 1113/d.2, Schéma de Causerie destiné aux soldats français de souche, 3 p.

1H 1113/d.2, Technique du ralliement- le tract, fiche de documentation n° 11.8, 4 février 1958.

Boite n° 2403

1H 2403/d.1, L'action psychologique, légitimité- limites, 7 p.

1H 2403/d.1, Articulation et attribution du 6^e Bureau du Commandement Supérieur Interarmées et de la 10^e Région Militaire, 9 décembre 1957.

1H 2403/d.1, Action psychologique - Organisation du service - Rôle des autorités civiles, n° 144/ PSY, Constantine 27 août 1957, 9 p.

1H 2403/d.1, Création de 5^e Bureau, D. M. n° 4218 EMA/10, 19 juillet 1957, 3 p.

1H 2403/d.1, Dissolution des 5^e Bureaux, D. M. n° 654/EMA/1.0, du 15 février 1960.
 1H 2403/d.1, Dissolution des 5^e Bureaux, n° 144/EMI/5/ S.C., 29 février 1960, annexe 1.
 1H 2403/d.1, Fiche à l'attention du Colonel S/Chef Logistique, 18 septembre 1957, 4 p.
 1H 2403/d.1, Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel Chef de l'E.M.I., n° 491/R.M.10/5/CB, 8 avril 1959, 4 p. + annexes.
 1H 2403/d.1, Fiche : Evolution des différents problèmes traités par le 6^{ème} Bureau durant la période du 1^{er} Octobre au 31 mars 1958, n° 230 R/M.10/6/Sc, mars 1958, 3 p.
 1H 2403/d.1, lettre du Général d'Armée SALAN au Secrétaire d'Etat aux Forces Armées " Terre ", n° 4235 EM.10/1/ORG., 31 août 1957.
 1H 2403/d.1, Lettre du Général de Division de Menditte au Général Commandant Supérieur des Forces, Alger, le 29 octobre 1961.
 1H 2403/d.1, Note pour le 1^{er} Bureau de l'E.M.A. sur la création d'un organisme d'action psychologique en Algérie, n° 85/EMA.CAB.MOR, Paris, le 1^{er} mars 1955, 1 p. + 2 annexes.
 1H 2403/d.1, Note sur le Bureau Psychologique de la 10^e Région Militaire, 9 novembre 1957, 6 p.
 1H 2403/d.1, Note de service : Recherche et exploitation du renseignement psychologique, n° 2956/ EMI/2/ EG, Alger, le 20 mai 1959, 2 p. + 3 annexes.
 1H 2403/d.1, Note au sujet des officiers Itinérants, Délégation Générale du Gouvernement, Service de l'Information, le Conseiller Technique, Alger, le 24 décembre 1958, 2 p. + annexe.
 1H 2403/d.1, Relations avec l'administration, 18 novembre 1957, 4 p.

Boite n° 2408

1H 2408, L'arme psychologique en 10^e région militaire, (s. d.), 4 p.
 1H 2408, Directives sur la Guerre Psychologique, n° 4802/EMFA/PS, signé KOEING, (s. d.), 4 p.
 1H 2408, Directive d'action psychologique, n° 1209/2.PY, par le Général REDON, Commandant la 2^{ème} Division d'Infanterie Motorisée et la Z.O.E., Guelma, 20 octobre 1956, 5 p.
 1H 2408, Directives d'Action Psychologique, n° 185/EM.10/BP/DR/S, Alger, le 24.4.1956, 4 p.
 1H 2408, Directives sur l'action politique des troupes, n° 6017/ZOAN/3, Batna, 28 septembre 1956, 10 p.
 1H 2408, Etude sur l'Action Psychologique en Algérie, 7 p. + annexes.
 1H 2408, Fiche sur l'organisation des halls d'information et installation de panneaux d'affichage, 24.8.1956, 6 p.
 1H 2408, Fiche- Exposé sur l'Action psychologique en 10^e R. M., 1^{er} octobre 1956, 14 p.
 1H 2408, Lettre du Haut- Commissaire de la République, Gouverneur Général de l'A.O.F. à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie, Dakar, le 22 octobre 1955, signée par le Lt.- Colonel Villard, 2 p.
 1H 2408, Lettre du Général d'Armée Salan à Monsieur le Ministre de l'Algérie sur l'action psychologique sur les camps FLN en Tunisie, (s. d.).
 1H 2408, Note de service : Diffusion de tracts destinés aux rebelles, (s. d.), signée Général. TABUIS.
 1H 2408, Note d'information n° 2 concernant la technique de l'Action Psychologique.
 1H 2408, Note sur la "politique de contact ", Alger, le 22 juillet 1955, 11 p.
 1H 2408, Note de service : Diffusion de tracts destinés aux rebelles.
 1H 2408, Note d'orientation : Militaires Français- Musulmans, maintenus et protection du Moral et de l'état d'esprit, n° 574/EM.10/ BP/AMM.TM, Alger 31 octobre 1956, 2 p.
 1H 2408, Observations concernant la guerre psychologique et l'action psychologique, par le Lieutenant de la CROIX- VAUBOIS, officier itinérant, (s. d.), 8 p.
 1H 2408, Note de service : Plan de recherche de renseignement pour l'action psychologique, n° 348/EM.10/BP.DR, Alger, 11 juillet 1956, 5p.
 1H 2408, Rapport sur les réalisations et projets du Bureau Régional d'action psychologique de la 10^{ème} Région Militaire, n° 007/AP, 6 septembre 1956.
 1H 2408, tract intitulé : « Fellafga, hier..., aujourd'hui... demain... »

Boîte n° 2409

- 1H 2409/d.1, Aspects psychologique du conflit, (Extrait d'un compte- rendu de stage en A.F.N. établi par des officiers stagiaires de la 70° promotion de l'École Supérieure de Guerre), 3 avril 1957, p. 22-37.
- 1H 2409/d.1, Directive n° 2 pour les Généraux Commandants de zone, n° 524/CAA/3. OPE. 6/TS, Alger, 23 mars 1957, 7 p.
- 1H 2409/d.1, Directive Générale n° 6 au sujet de l'activité des Forces du Maintien de l'Ordre en Algérie, signé SALAN, Alger le 5 mars 1957, 5 p.
- 1H 2409/d.1, Directive au sujet de l'emploi des Français- Musulmans ayant suivi le stage d'action psychologique, n° 786B/EM.10/PSY-GP/S, Alger, 8 Septembre 1957, 6 p. + annexe.
- 1H 2409/d.1, Directives n° 2 pour les Généraux Commandants de Zone, Signé le Général de Division ALLARD commandant le Corps d'Armée d'Alger, 23 mars 1957.
- 1H 2409/d.1, Extrait d'un compte-rendu de stage en A.F.N. établi par des officiers stagiaires de la 70° Promotion de l'Ecole Supérieure de Guerre.
- 1H 2409/d.1, Fiche sur l'action psychologique, la propagande chuchotée, 3p.
- 1H 2409/d.1, Fiche de documentation n° 8.2 : Plan de recherche de renseignements psychologiques, 30/3.2.1958/LM, 3p.
- 1H 2409/d.1, Fiche sur l'organisation de l'action psychologique, MC/EJ - 28 septembre 1957.
- 1H 2409/d.1, Fiche au sujet de l'Action Psychologique, 6 mai 1957, 6 p.
- 1H 2409/d.1, L'infrastructure administrative, Alger, 19 août 1957, 3 p.
- 1H 2409/d.1, Instruction sur la rôle de la troupe dans la campagne " RALLIEMENT", 10 Avril 57, p. 2.
- 1H 2409/d.1, Note d'information n° 2 concernant la technique de l'Action Psychologique (1), Cabinet du Ministre Résidant en Algérie, (s. d.), 6 p.
- 1H 2409/d.1, Note de service concernant personnel chargé de l'Action Psychologique, n° 2465/ CAC/PY, 21 Août 1957, 3 p.
- 1H 2409/d.1, Note de service : Rôle de la troupe dans la campagne 'Ralliement', n° 310/EM.10/PSY-GP, Alger, le 10 avril 1957, 4 p.
- 1H 2409/d.1, Note sur l'Armée dans les tâches de pacification, 7 septembre 1957, 7 p.
- 1H 2409/d.2, L'organisations des Forces Armées pour la guerre psychologique, Conférence aux Officiers du Cours Supérieur Interarmées et aux..., par le Colonel ALAZARD, Chef du Bureau Psychologique de l'E.M.F.A., (s. d.), +9 p.
- 1H 2409/d.1, Plan d'action.
- 1H 2409/d.1, Slogans de " RALLIEMENT", annexe à la note de service n° 310/EM.10/PSY/GP du 10.4.57, 11 p.
- 1H 2409/d.1, Rapport d'un Officier Itinérant du 5° Bureau de l'Etat- Major de la 10° Région Militaire au sujet de la formation d'une "équipe psychologique" de secteur, Annexe à la lettre du Général Salan à messieurs les Généraux Cdt des Corps d'Armées d'Algérie, n° 0999/RM.10/5-OPS-S, 1^{er} mai 1958.

Boîte n° 2410

- 1H 2410/d.1, L'action psychologique : légitimité et limite, (1959). [13/9]
- 1H 2410/d.1, Déclarations faites par STAMBOULI Mostépha, (s. d.) 2 p.
- 1H 2410/d.1, Compte rendu du capitaine Jacques MERCIER, Officier Itinérant, sur sa mission en Zone Sud Algérois au cours du mois de mars 1959, 29 mars 1959, 6 p.
- 1H 2410/d.1, Directive générale concernant l'action psychologique, Alger, le 11 Juillet 1960, par le Général CREPIN, Commandant en Chef des Forces en Algérie, 3 p.
- 1H 2410/d.1, Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, 50.CB, janvier- février 1959.
- 1H 2410/d.1, Efficacité et lacunes de notre action en Algérie, janvier- février 1959.
- 1H 2410/d.1, Fiche- Exposé sur l'action psychologique en 10° R. M., (s. d.), 4 p.
- 1H 2410/d.1, Fiche- Exposé sur l'Action Psychologique en 10° R. M., p.3.
- 1H 2410/d.1, Fiche n° 55 à l'attention du chef du 2° Bureau du C.A.C., objet : recherche du renseignement psychologique - Exploitation, Alger, le 7 décembre 1959.
- 1H 2410/d.1, Instruction du Ministre des Armées du 23 juillet 1959.
- 1H 2410/d.1, Instruction : Fondements, buts et limites de l'action psychologique, n° C.2150 MA/CAS/INF/3 D., par Le Ministre des Armées, Paris, le 23 juillet 1959, 5 p.

1H 2410/d.1, Note à l'attention de... : Action de pacification, n° 356/EMI.B5., Alger, le 26 février 1959, par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE, 6 p.
1H 2410/d.1, Note n° 31/R.M./10/5/Et/TS du 14 février 1959, objet : Action des 5° Bureaux.
1H 2410/d.1, Note de service, Recherche et exploitation du renseignement psychologique, 20 mai 1959.
1H 2410/d.1, Note d'orientation : Action sur les bandes du FLN, n° 63/EM.10/5/OPS/SC, Alger, 2 février 1959, 2 p.
1H 2410/d.1, Le Premier Ministre, Algérie : Directives d'information et d'action, Paris le 2 avril 1960.
1H 2410/d.1, Plan d'action psychologique pour les mois de Novembre- Décembre- Janvier, 7 Novembre 1959, n° 1390/EMI/5 ETU/S, 4 p. + annexes.
1H 2410/d.1, Stage de formation (Secteur) d'agents d'influence, (s. d.), 4 p.

Boite n° 2411

1H 2411/d.1, Action psychologique, (s. d.), Général TABUIS, 2 p.
1H 2411/d.1, Comment obtenir des renseignements d'un prisonnier de guerre, 11 p.
1H 2411/d.1, Etude sur les rumeurs, 11 p.
1H 2411/d.1, Extrait du rapport sur la compagnie d'Algérie, par le Général de Division TABUIS commandant la
1H 2411/d.1, La guerre subversive, conférence prononcée le 19 janvier 1957 au Cercle Militaire devant les Officiers de réserve de Constantine, par M. Maurice PAPON, Inspecteur Général de l'Administration en Mission Extraordinaire, 24 p.
1H 2411/d.1, Lettre du Chef d'Escadrons de Chasteigner, Chef du Bureau Psychologique de la D. M.A. à M. le Général Chef du Bureau Psychologique de la X° R. M., n° 1519/SP, Alger, le 19/12/1956.
1H 2411/d.1, Notice d'information sur la défense intérieure du territoire et la guerre psychologique, approuvée le 3 novembre 1956, pp. 43- 54.
1H 2411/d.1, Note personnelle sur la guerre psychologique, par le Général Jean OLIE, 25- 12- 1955, 24 p.
1H 2411/d.1, Note sur l'étude de propagande radio, 4 p.
1H 2411/d.1, Note de renseignement, n° 258/DMA.SP, 15 mars 1957.
1H 2411/d.2, Note de service: Utilisation des arguments de propagande ALN en contre propagande, n° 607/EM.10/BP, Alger 15 novembre 1956, 4 p.
1H 2411/d.1, Message d'action psychologique n° 19, Service d'Action Psychologique et d'Information du Ministère de la Défense Nationale et des Forces Armées, 18 avril 1958.
1H 2411/d.2, Tract ALN- FLN intitulé : « Avertissement sérieux », adressé aux algériens travaillant comme moniteurs de jeunesse dans les organisme français de jeunesse, saisi le 15 mars 1956 à la rue Ben Cheneb, à Alger

Boite n° 2460

1H 2460/d.1, Annexe II à la directive particulière 1521/EMI/5/ACT/S du 9 décembre 1959.
1H 2460/d.1, Circulaire de la préfecture d'Oran, n° 1.200/NA, du 22 mai 1957.
1H 2460/d.1, Commandement civil et militaire de la Kabylie, Note sur la guerre psychologique.
1H 2460/d.1, Compagne " Renseignez-nous ", note de service n° 3778/EM.10/PSY/GP, Alger, le 4 Août 1957, 6 p.
1H 2460/d.1, Directive sur la jeunesse, n° 2590RT/CAC/3/PH, Constantine, le 20 Juillet 1960, p.
1H 2460/d.1, Etude sur quelques aspects de la psychologie Kabyle, Alger, 13 Août 1958, 8 p.
1H 2460/d.1, Extrait sur la note sur la pacification, n° 584/3/5 du 5 mai 1956, du 5° Bureau de la 27° D.I.A.
1H 2460/d.1, Fiche sur le problème de la mentalité des musulmans, Secrétariat permanent du C.A.S.D.N, Paris, 1^{er} juin 1959, 7 p.
1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc, (s. d.). [18/7]
1H 2460/d.1, Fiche sur l'action choc : I action par tracts, (s. d.), 3 p.

1H 2460/d.1, Fiche : Orientation des cadres sur l'Action Psychologique et la Guerre Psychologique, Alger, le 25.2.57, 3 p.

1H 2460/d.1, Introduction à une étude sur l'intégration, suivi de quelques aperçus juridiques et sociologiques sur les concepts d'assimilation et intégration, (Mai 1958 ?).

1H 2460/d.1, lettre du Préfet d'Alger à monsieur le Général de C. A., Cdt le C. A. d'Alger, objet : Action Psychologique. Propagande, n° 4899/CAB/EMMR/AP, 21 octobre 57.

1H 2460/d.1, Lettre du Général GOURAUD, Général de Corps d'Armée de Constantine à Monsieur Le Général de Corps d'Armée Commandant en Chef des Forces en Algérie-Cabinet, n° 39/CAB, Constantine, le 11 Janvier 1961.

1H 2460/d.1, Note de service : Exploitation psychologique des opérations des forces de l'ordre, n° 808/CAC/PY, 27 mars 1957, 2 p.

1H 2460/d.1, Note de service : Compagne " Renseignez- nous ", n° 3778/EM.10/PSY/GP, 4 août 1957, 3 p. + annexes.

1H 2460/d.1, Note de service : Interrogatoires de suspects, n° 1328/EM/10/2/RIDO, Alger, 11 mars 1957.

1H 2460/d.1, Note de service, Recueil de déclarations des Elus municipaux musulmans, 22 juin 1959.

1H 2460/d.1, Note de service n° 611/EM.10/RP/PR du 16 novembre 1956.

1H 2460/d.1, Note d'Orientation n° 6 : Directives d'action psychologique, n° 573/EM.10/BP/DR, 30 octobre 1956, 4 p. + annexe.

1H 2460/d.1, Note au sujet de la création d'une unité algérienne de "cadres" musulmans, (s. d.), 2p.

1H 2460/d.1, Note de service n° 3066 /PY, objet : Rumeur, 3 novembre 1956.

1H 2460/d.1, Note d'information, 3 p.

1H 2460/d.1, Note sur la guerre psychologique, (s. d.), 3 p.

1H 2460/d.1, Note d'information, (s. d.), 3 p.

1H 2460/d.1, (Document sans titre), (fin 1960), 7p., p.3

1H 2460/d.1, (Sans titre précis : rapport sur le Corps d'Armée d'Oran), (fin 1960).

Boite n° 2461

1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, Approuvé par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE Commandant en Chef les Forces en Algérie, le 27 mars 1960.

1H 2461/d.1, Action psychologique féminine, par Madame TOURNEMINE, Juin 1958, 8 p. 8/7

1H 2461/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie par les Équipes Médico- Sociales Itinérants, (présenté le 29 Août 1960 pour le Bulletin des F. O.), 14 p.

1H 2461/d.1, Directives F.L.N. : Propagande et contre propagande à mener vis-à-vis de la femme musulmane (Copie d'un document récupéré dans la sacoche de Si Boumediane, adjoint politique en Nahia 4 Nord, Mintaqua 8, tué le 26 Novembre 1958 en LQ 60 C 9.), (Wilaya 5 ?), (s. d.).

1H 2461/d.1, Étude des "Directives F. L N. ", 12/2/1959, 5 p.

1H 2461/d.1, Fiche concernant une action psychologique à mener sur les rebelles de Kabylie, Alger, 23 janvier 1959, 2 p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Kabyles, soyez clairvoyants ».

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Kabyle, écoute la voix de la raison ».

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Habitants de Biskra », 3 p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Habitants de ce douar »,

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Musulmans réfléchissez », 2 p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « وصل الوقت و ين يلزمكم تحلوا عيونكم ».

1H 2461/d.2, tract intitulé : « الجزائر تبقى فرانسواوية ».

1H 2461/d.2, tract intitulé : « يا سكان الدواوير واش تاكلوا في التاء الجاي... » 2 p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « لعنة الله على الضالمين ».

1H 2461/d.2, tract intitulé : « les " Hors la loi " ne respectent pas le Coran... Dieu ne leur pardonnera pas !..», 2p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « شدوك الفرنسييس مدة علاش ؟ » 2 p.

1H 2461/d.2, tract intitulé : « Français- Musulman... Il faut choisir : », 2 p.

- 1H 2461/d.2, tract intitulé : « Avertissement aux populations », 2 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « La Rébellion a perdu... Défendre votre vie », 3 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « Les rebelles arrivent dans la machta... », 2 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « يا نساء الجزائر », 2 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « Avec la France... Avec les Féllaga... », 2 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « Ô Frères Musulmans ! », 2 p.
 1H 2461/d.2, tract intitulé : « Des mensonges qui rapportent », 2 p.

Boîte n° 2463

- 1H 2463/d.1, Fiche- Problème Humaine : Attitude de l'appelé vis à vis du F.S.N.A. dans l'armée, civil en Algérie, civil en Métropole, (s. d.), 5 p.
 1H 2463/d.1, Fiche de lecture, Etude du Laboratoire des Sciences Humaines Appliquées sur la pénétration de l'Information en milieu musulman, RM/MB/5.9.61, 2 p.

Boîte n° 2509

- 1H 2509, tract FLN- ALN intitulé « سكانين سان شارل ».
 1H 2509/d.2, Rapport d'activité AD/PR du 3^{ème} trimestre- du 15 juin au 15 septembre 1956, JC/- 11.9.1956, 2 p.
 1H 2509/d.2, tracts
 1H 2509/d.2, tract intitulé « أيها الاخوان المسلمين الوهرانيين ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Habitants des douars ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Les sauterelles ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Le soldat Français... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Musulmans d'Algérie, La France ne vous abandonnera jamais... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « ...Où va l'argent volé ? ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Familles Musulmanes... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « La France tient parole ».
 1H 2509/d.2, tract du rallier Si Mohammed Serhir
 1H 2509/d.1, tract intitulé : « Laissez- passez pour l'Est... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « إلى جنود سوق أهراس جميعا ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « راهم سلموا على خاطر راهم فهموا... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « Pour eux la guerre est finie... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « La révolte ne paie pas... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « بينما الفلانة يسقطون و يموتون في الجبال... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « La rébellion est condamnée... ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « الذبوبة تاكل بعضهم بعض ».
 1H 2509/d.2, tract intitulé : « L'union et la confiance des fellahs font la force... Faites comme eux ».

Boîte n° 2518

- 1H 2518/d.1, Causerie faite par le Colonel B. de Susbielle du Bureau Psychologique de l'E.M.F.A. à la Conférence de Brazzaville - 26 Novembre - 1^{er} Décembre 1956, 16 p. + 4 annexes.
 1H 2518/d.1, Définition concernant les formes particulières du conflits, annexe à la causerie faite par le Colonel B. de Susbielle... à la Conférence de Brazzaville, 26 Novembre – 1^{er} Décembre 1956.[12/4]
 1H 2518/d.1, Les fondements de la guerre psychologique, résumé des conférences faites par Monsieur Bonnemaïson du 11 au 14 Novembre 1957, 17 p., annexe à la note de service sur la guerre psychologique, n° 727/ ZSA/5, 19 novembre 1957.

Boite n° 2523

- 1H 2523/d.1, Fiche sur la réorganisation du C.I.P.C.G., 3 août 1957, 4 p. + annexes
1H 2523/d.1, Fiche sur la réorganisation du C.I.P.C.G., 9 août 1957, 3 p.
1H 2523/d.1, Fiche: Centre de Formation des Cadres Musulmans d'Arzew, 7 Décembre 1957.
1H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel Bruge André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, 23 p. + annexes.
1H 2523/d.1, Rapport du Lieutenant-colonel Bruge André, Commandant le Centre d'Instruction de Pacification et Contre Guérilla d'Arzew sur l'activité du Centre, Arzew, 1^{er} septembre 1959.

Boite n° 2533

- 1H 2533/d.1, Etude : problèmes et méthodes de pacification en Algérie, n° 22/X°
RM/PSY/DR, Janvier 1957, 12 p.
1H 2533/d.1, Instruction provisoire sur l'emploi de l'arme psychologique, approuvé par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat-Major Général des Forces Armées, le 29 juillet 1957, 77 p. [12/7]
1H 2533/d.2, Instruction sur la mission et l'emploi des Officiers Itinérants, n° 183/RM.10/5/OPS /SC, Alger le 10 janvier 1959, signée par le Général de C. A. ALLARD, 3 p.
1H 2533/d.2, Instruction sur la mission et l'emploi des Officiers Itinérants : Note à l'attention de MM. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 Janvier 1958, (s. d.).
1H 2533/d.1, Lettre du Ministre résident en Algérie au Général de Corps d'Armée Commandant la 10^{ème} Région Militaire, n° 4385/CM du 15 octobre 1956.
1H 2533/d.2, Note à l'attention de M. les Officiers Itinérants au sujet de la réunion du 8 janvier 1958, 8 p.
1H 2533/d.2, Note pour les Officiers Itinérants, n° 214/RM.10/PSY/G.P., Alger le 11 mars 1957.
1H 2538/d.1, Participation de l'Armée à la pacification, Février 1961.

Boite n° 2534

- 1H 2534/d.1, Compagnie de Haute parleur et de Tracts, étude sur le renforcement des moyens de l'action Psychologique pour l'Algérie et la création de 3 unités tactiques de guerre psychologique, Paris, juin 1956, 4 p.
1H 2534/d.1, Enseignements à tirer de l'emploi des Compagnies de Haut- Parleurs, Bureau Psychologique, n° 4598/RM10/PSY-GP, Alger, 21 septembre 1957, 11 p.
1H 2534/d.1, Eléments de guerre psychologique / la Compagnie de Haut -Parleurs et de Tracts, notice provisoire d'emploi, par le Général d'Armée Ely, Chef d'Etat - Major Général des Forces Armées, Paris, le 26 juin 1956, 29 p.
1H 2534/d.1, Note, emploi des Compagnies de Hauts- Parleurs et de Tracts.
1H 2534/d.1, Les Compagnies de Diffusion et de Production en Algérie : un cas concret : METLIPAX, (1961), 9 p.

Boite n° 2536

- 1H 2536/d.1, Annexe n° 12, Opération Pilote, évolution de la situation des harkas, (s. d.).
1H 2536/d.1, Annexe : Action psychologique sur les retenus au cours opération N. K. 3, (s. d. et s. réf.), 4 p.
1H 2536/d.1, Annexe X : Participation des Officiers des Affaires Algériennes – Chefs de S.A.S. à l'opération "Pilote", (sans date et sans référence).
1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, n° 1/ZOA/5/SC, (juillet 1957), 18 p.
1H 2536/d.1, Bilan de l'expérience " Pilote " au 1^{er} juillet 1957, Orleansville, 12 juillet 1957.
1H 2536/d.1, Bilan de l'opération "Pilote", AF/MB 10.5.1957.

1H 2536/d.1, Bilan Opération " Pilote ", par le Capitaine J. GUYOMAR, Officier Itinérant, (sans date et sans référence), 3 p.

1H 2536/d.1, Bilan de l'opération Pilote menée dans le secteur de Téniet el Haâd jusqu'au 7 juillet 1957, Téniet el Haâd, le 7 juillet 1957, 6 p.

1H 2536/d.1, Circulaire du Monsieur le Ministre de l'Algérie à Messieurs les I.G.M.E. et Préfets, n° 467- DGAP/Sp., Alger, le 7 Décembre 1957, 5 p.

1H 2536/d.1, Constitution d'une organisation politique de base, (sans référence et sans date), 8p.

1H 2536/d.1, Conditions générales de l'Opération "Pilote", annexe à la lettre de M. le Général BREBISSON, Commandant la 9^{ème} Division d'Infanterie et la Zone Ouest de l'Algérois à M. le Général de Division Militaire d'Alger, Etat- Major - 3^{ème} Bureau, n° 441/D9/3/TS, Orleanville, 24 Février 1957, 6 p.

1H 2536/d.1, Conditions générales de l'opération " Pilote", (sans date et sans référence), 3 p.

1H 2536/d.1, Opération Pilote : Douar Drablia (KY 21 GH 3), juillet 1957, 5 p.

1H 2536/d.1, Directives concernant l'interrogatoire des suspects et l'exploitation des renseignements recueillis, annexe n° IX à l'instruction n° 566/ZOA/3/TS du 19.3.1957, 2 p.

1H 2536/d.1, Etude sur la pacification dans le Dahra, 5^{ème} Division Blindée, Antenne Psychologique, (s. d. et s. réf.), 8 p.

1H 2536/d.1, Fiche : Opération "Pilote" de M. Servier, Orléansville, 25 janvier 1957, 6 p.

1H 2536/d.1, Fiche : Opération "Pilote", n° 119/RM.10/PSY-PL, Alger, 10 février 1957, 3 p.

1H 2536/d.1, Fiche : Extension de l'Opération Pilote, (s. réf.), 4 avril 1957, 3 p.

1H 2536/d.1, Instruction pour l'opération "Pilote", n° 556/ZOA/3/TS , Orléansville, le 19 mars 1957, par le Général M. BREBISSON, commandant la Zone Ouest de l'Algérois, 6 p. + 6 annexes

1H 2536/d.1, Instruction générale : Conduite de l'opération "Pilote n° 1", Préfecture d'Alger, n° 5804/CAB/BCAB, 26 mars 1957, 4 p.

1H 2536/d.1, Note sur les regroupements de populations musulmanes, Préfecture de Médéa, 1^{er} mai 1957, 4 p.

1H 2536/d.1, Note au sujet du rapport de Mr. Jean Servier en date du 20 Juin 1957, MG/EJ-28.6.1957, 5 p.

1H 2536/d.1, Ordre du jour de la conférence du 13 mai 1957, (sans date et sans référence), 4 p.

1H 2536/d.1, Plan de l'Opération " Pilote I", 10/5/1957, 4 p.

1H 2536/d.1, Plan pour l'opération "Pilote", annexe à la lettre du M. le Général BREBISSON à M. le Général de Division, commandant la Division Militaire d'Alger, n° 441/D9/3/TS, 24 février 1957.

1H 2536/d.1, Rapport du Capitaine Jacques GUYOMAR sur le fonctionnement du stage d'élèves- gradés Français- Musulmans du 23 Avril au 3 juin 1957. Orléansville, le 4 juin 1957, 12 p.

1H 2536/d.1, Rapport du Capitaine de LA CROIX-VAUBOIS concernant l'Opération " Pilote" dans le secteur de Ténès, Ténès, le 9 juillet 1957, 2 p.

1H 2536/d.1, Testing des français- musulmans (Opération " Pilote"), Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel, Chef du Bureau Psychologique Régional, Alger, 20 février 1957.

Boîte n° 2538

1H 2538/d.1, Annexe à l'instruction pour la pacification en Algérie, (s.d.), 6 p.

1H 2538/d.1, *Guide pratique de pacification*, à l'usage des commandants de sous-quartier, (s. d.), 77 p.

1H 2538/d.1, L'instruction " Pacification " des Forces de l'Ordre, (s.d.), 2 p.

1H 2538/d.1, *Instruction pour la pacification en Algérie*, approuvée par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE, Commandant en Chef les Forces en Algérie, le 10 décembre 1959, 115 p.

1H 2538/d.1, Le Ministre Résident en Algérie à Monsieur le Général Commandant Supérieur Interarmées en Algérie..., 10 juillet 1956.

1H 2538/d.1, Participation des F.S.N.A. à la pacification, (Février 61), 3 p.

1H 2538/d.1, Le problème de la pacification, MM/DP- 3.12.1956, 7 p.

1H 2538/d.1, Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches administratives en Algérie, 1^{er} semestre 1957, 9 p.

Boîte n° 2553

1H 2533/d.1, Aide mémoire pour l'application d'une méthode d'action psychologique dans les unités où servant des F. M. A., (s. d.).

1H 2553/d.1, Bulletin annuel des activités des Forces de l'Ordre dans le Corps d'Armée de Constantine, Annexe 1960, (s. d.), 5 p.

1H 2553/d.1, Directive n° 7 pour la phase de consolidation de la pacification, par le Général de Corps d'Armée Jean Olie, Constantine, 12 Octobre 1959.

1H 2553/d.1, Enseignements tirés de la mission des Officiers Supérieurs de liaison du Général Commandant la Zone Est Constantinois entre le 1^{er} Août et le 10 Décembre 1958, pp. 9- 16.

1H 2533/d.1, Etude, Problèmes et méthodes de pacification en Algérie, janvier 1957, quest.1.

1H 2553/d.1, Note de service : Plan d'information et d'éducation des populations, n° 4.303/CAC/5/ETU, Constantine, 19 décembre 1959.

1H 2553/d.1, Note de service : Recherche, formation et animation des responsables d'autodéfense, n° 4.302/CAC/5/ETU, Constantine, 19 Décembre 1959.

1H 2553/d.1, (Sans titre précis: III Pacification), (fin 1960), 6 p.

Boîte n° 2556

1H 2556/1, *L'action civique par les S.A.S.*, 1958, 23 p.

1H 2556/1, L'action civique par les S.A.S. : Recrutement d'Attachés des Affaires Algériennes chargés de la formation sociale, culturelle et civique.

1H 2556/1, Attributions des Officiers des Affaires Algériennes, Commandement Civil et Militaire de la Kabylie, n° 336/K/EM/Pol., 3 avril 1956, 6 p.

1H 2556/1, Instructions aux chefs de Sections Administratives Urbaines, Alger, 17.1.1957, 5 p.

1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées, Service de l'Information, 14.3.1957, 5 p.

1H 2556/1, Les Sections Administratives Spécialisées et les Officiers des Affaires Algériennes, Alger, mai 1957, 4 p.

1H 2556/1, Mémento Administratif à l'usage de MM. Les Officiers des Affaires Algériennes Chefs de S.A.S.

1H 2556/1, Rapport sur le moral pour l'année 1956 de l'Officier Supérieur en mission auprès de Monsieur le Préfet d'Oran - I.G.A.M.E., 4 p.

1H 2556/1, Echos politiques de la Wilaya 5, *Les S.A.S.*, leur politique, rôle et méthodes, 10 mars 1958, 24 p.

Boîte n° 2557

1H 2557/d.1, Note d'orientation : Action sur les Anciens Combattants du Département d'Alger, n° 1643/2.AP/2° Bureau, 21 février 1957, 2 p.

1H 2557/d.1, Lettre du Général d'Armée SALAN, commandant la 10^e R. M. à M. Le Ministre de l'Algérie sur l'action psychologique sur les Anciens Combattants et Anciens Militaires, 28 septembre 57.

1H 2557/d.1, Fiche à l'attention de M. le Colonel... au sujet de la mise en place d'officiers chargés du contact avec les Anciens Combattants, n° 2352/EMI/5/ACT, Alger, 9 juin 1959.

1H 2557/d.1, fiche concernant l'expérience réalisé par le Corps d'Armée d'Alger, 19 mars 1959, 3 p.

1H 2558/d.2, Note : Comité Armée- Jeunesse et Service Central de la Jeunesse, n° 722/CSIA/CAB/AJ, Alger, 15 Août 1958, p. 6.

Boîte n° 2558

1H 2558/d.2, Note : Rôle et attribution du Comité Armée- Jeunesse, n° 220/IO° RM/F.T/CAB, Alger, 31 Janvier 1959, Signé Allard, 2 p.

1H 2558/d.2, Comité Armée- Jeunesse d'Algérie, groupes d'étude.
1H 2558/d.2, Constitution de Comité Armée- Jeunesse à l'échelon du département, lettre de M. Le Ministre de l'Algérie à Messieurs les Préfets d'Algérie, n° 4.390CC, Alger, 8 Avril 1958.

Boite n° 2568

1H 2568/d.1, Action sur les milieux féminins en Algérie, approuvé par le Général d'Armée Aérienne M. CHALLE Commandant en Chef des Forces en Algérie le 27 mars 1960, 19 p.
1H 2568/d.1, Action psychologique féminine, par Madame TOURNEMINE, Guelma, juin 1958, 8 p. [30/5]
1H 2568/d.1, Fiche à l'attention de Monsieur le Général Chef : Équipes Médico- Sociales Itinérants, Alger, 15 Février 1961, 3 p.
1H 2568/d.1, Lettre du Colonel GOUSSAULT aux EMSI, s. p. 87.186, 11 Juin 1958.
1H 2568/d.1, Lettre du Lt-Colonel FEAUGAS aux EMSI, s. p. 87.186, 20 Septembre 1958.
1H 2568/d.1, Lettre à Monsieur le Délégué Général du Gouvernement, objet : Équipes Médico- Sociales Itinérants, (s. d.), 3 p.
1H 2468/d.1, Note pour l'emploi des Équipes Médico- Sociales Itinérantes, Alger, 24 Novembre 1957, 3 p.
1H 2568/d.1, Note de service : Recasement des personnels des E.M.S.I., n° 0762/CSFA/EMI/MOR, Alger, 20 Mars 1962.

Boite n° 2575

1H 2575/d.2, Centres d'Education Civique et Militaire, lettre n° 925/CIS/5/S. du 5 Février 1960.
1H 2575/d.2, Centre de regroupements (Nouveaux villages).
1H 2575/d.1, Directive d'action psychologique : Organisation des population, n° 213/CIS/5, Alger, 11 Janvier 1960, 3 p.
1H 2575/d.1, Etude : "Union d'Auto- Défense" dans les Secteurs d'Algérie et du Sahara, (s. d.).
1H 2575/d.1, Evolution de l'engagement des populations F.S.N.A. dans l'Auto- Défense, 3 p.
1H 2575/d.2, Fiche à l'attention de Monsieur le Colonel, Chef du 3° Bureau, (08/06/1960 ?), 2 p.
1H 2575/d.1, Instruction sur le contrôle des populations musulmanes d'Algérie, (s. d.), signé par le Général R. SALAN, 3 p.
1H 2575/d.1, *Instruction pour les Centres de Formation d'Autodéfense*, approuvée par le Général d'Armée Aérienne M. Challe Commandant en Chef les Forces en Algérie le 6 avril 1960 sous le n° 331/ EMI/3/P.H., 39 p.
1H 2575/d.1, L'action sur la jeunesse dans le Constantinois, (s. d.), 2 p.
1H 2575/d.2, Message postalise n° 6935/CIS.3.PH, objet : C.F.A.D. du Sahara, 3 août 1960, 2 p.
1H 2575/d.1, Note : Auto- défense des population, n° 4.122/EMI/3.OPE, Alger, 2 Décembre 1959, 7p. + annexe.
1H 2575/d.1, Note : Organisation du Commandement et répartition des responsabilités dans les Auto- défenses et leur rémunération, n° 163/EMI/3/P.H., Alger, 21 Mars 1960, 1 p. + annexes.
1H 2575/d.2, Point de départ : le problème des Responsables de Village, Septembre 1960, 13 p.
1H 2575/d.2, Rapport sur les nouvelles fiches d'instruction destinées aux Centres de Formation des Auto- Défenses, 19 septembre 1960, 5 p.

Boite n° 2577

1H 2577/d.1, Caractères généraux de la guerre insurrectionnelle, par le Chef d'escadron Louis PICHON, (Extrait de la Revue Militaire Générale), Juillet 1957, 22 p.

1H 2577/d.1, Directive générale sur la guerre subversive, 24 février 1959.

1H 2577/d.1, Directives concernant les relations avec les populations musulmanes, n° 601/EM.10/BP, Alger, 30 mars 1956, par le Général de Corps d'Armée LORILLOT, 2p

1H 2577/d.1, Directives pour la 5° section de l'Etat- Major Alger Sahel, Alger 17 Septembre 1957, signé Colonel GODARD.

1H 2577/d.1, Directive générale sur la guerre subversive, n° 478 CAA /3/OPE, signé le Général de Division MASSU, 24 Février 1959, 10 p.

1H 2577/d.1, Directive particulière concernant la lutte contre l'organisation politico-administrative rebelle, signé R . LACOSTE, Alger 18 Août 1956, 3 p. + annexe.

1H 2577/d.1, Directives aux chefs responsables concernant l'organisation et la hiérarchie de l'ALN, Zone n° 4, 16 juin 1956.

1H 2577/d.1, Directives générales sur la guerre subversive, 3° Bureau, n° 478/CAA/3/OPE, Alger, 24 février 1959.

1H 2577/d.1, Directive pour la 5° Section de l'Etat- Major Alger Sahel, Alger, 17 Septembre 1957.

1H 2577/d.1, Exemple d'organisation de la population rurale, (s. d.), 3 p.

1H 2577/D.1, Etude sur l'organisation urbaine du F.L.N. - A.L.N. + annexes, (s. d. 1957 ?), 29 p.

1H 2577/d.1, Instruction pour l'emploi des forces armées dans la lutte contre la subversion.

1H 2577/d.1, Instruction sur la lutte contre l'O.P.A. urbain, n° 1560 RM.I0/3/OPE, Alger, 17 Juillet 1958, Signé Général Jouhoud, 2 p. + annexes.

1H 2577/d.1, Note sur l'organisation des populations non européennes d'Algérie, 20 /12/ 1957.

1H 2577/d.1, Note sur les contacts avec les populations à l'intention personnelle des Autorités civiles et militaires chargées du contact avec la population du Département de Batna et la Zone des Aurès, par le Général Vanuxem, (s.d.), 2 p.

1H 2577/d.1, Note faisant suite à l'inspection du Ministre du 21 au 24 Août en Algérie, n° 02668DN/CAB/ INF/SEC, Paris, le 30 septembre 1957, 2 p.

1H 2577/d.1, Note d'orientation sur la lutte contre l'infrastructure rebelle et la reprise du contact avec la population, n° 187- S/RM.10/5, Alger, le 10 avril 1957, 8 p.

1H 2577/d.1, Directives pour la 5° section de l'Etat-major Alger- Sahel, n° 666/SA5, Alger 17 septembre 1957, 4 p.

1H 2577/d.1, Projet IFA- SUB.1958, instruction pour l'emploi des forces armée dans la lutte contre la subversion, 59 p.

1H 2577/d.1, La technique psychologique, signé par le Général de Division Massu, Alger, 24 mars 1959, 6 p.

Boite n° 2578

1H 2578/d.4, Exposé du Général GOUSSAULT à SHAPE, novembre 1957, 10 p.

1H 2578/d.1, Bulletin quotidien de renseignement psychologique.

Boite n° 2581

1H 2581/d.2, cartes géographiques des Rallies pour les mois de janvier, février et mars 1959.

1H 2581/d.1, Déclarations du nommé Massali Madani, rebelle rallié à Morsott (Zone Est Constantinois), interrogatoire fait le 27.2.1957, 4 p.

1H 2581/d.1, Directive particulière concernant les reddition et les ralliement, signé Robert Lacoste, Alger 15 mars 1957, 2p.

1H 2581/d.2, Directive n° 1 du 9 juin 1958, (sans référence), Constantine 29 juin 1958, 11 p.

1H 5821/d.1, Décisions prises par le Commandement de la Wilaya d'Oran au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957.

1H 5821/d.2, Etat des ralliements au 1^{er} août 1960, n° 1742/ ?/3/P.H., Alger 6 septembre 1960.

1H 2581/d.2, Fiche à l'attention du Colonel Chef du 2^{ème} Bureau de l'E. M. A., (fin 1957), 5 p.

1H 2581/d.1, Fiche à l'attention du Chef de Bataillon COGNIET, 8 décembre 1958.

1H 2581/d.1, Fiche à l'attention du Colonel Chef du 5^{ème} Bureau de la X^{ème} R. M., 26 février 1959.

1H 2581/d.1, Lettre du Général d'Armée Raoul SALAN à Monsieur le Ministre de la Défense National..., n° 311/C.S.I.A./CAB/GJ, Alger, le 1^{er} avril 1958.

1H 2581/d.2, Lettre de Monsieur le Ministre de l'Algérie à Monsieur le Général d'Armée, Commandant la 10^o Région Militaire, objet : Rebelles ralliés, n° 6021/CM, Alger, 5 octobre 1957.

1H 2581/d.1, Lettre du Monsieur le Délégué Général du gouvernement en Algérie à Monsieur les Préfets des départements d'Algérie, (projet, sans référence, s. d.), 2 p.

1H 2581/d.1, Note de service n° 460/EM.10/PSY-GP, Alger 28 mai 1957.

1H 2581/d.2, Note de service, n° 612/EM.10/BP/PR, Alger le 16 novembre 1956, 2 p.

1H 2581/d.1, Note de service n° 612/EM.10/BP/Ph, Alger, 16.11.56, 4 p

1H 2581/d.1, Note de service : Conditions de ralliement, n° 6269 EMP/2/O.I./S, Alger, 19 octobre 1959 ;

1H 2581/d.1, Note de service : Campagne de ralliement, n° 432/5SC, Zone Nord Algérois, 23/1/59, 3 p.

1H 2581/d.1, Note de service : Campagne de ralliement- Tracts " Sauf Conduits", n° 963/CAC/ PY, Constantine, 12 avril 1957, 2 p.

1H 2581/d.1, Note de service : Ralliement au cours de l'Opération JUMELLES, n° 26/ARTHOIS/5/OPS/S, ARTHOIS, 12 septembre (année ?), 2 p.

1H 2581/d.1, Note de service : Directive au sujet de l'exploitation des ralliements, n° 2688/C.A.C./PY, 12 septembre 1957, 2 p.

1H 2581/d.1, Note de service : Action sur les rebelles, n° 2932/CAC/5/ACT, 25 juin 1959.

1H 2581/d.1, Note de service : Reprise de la Campagne Ralliement, (sans référence), (après janvier 1959), 6 p.

1H 2581/d.1, Note de service : Camps d'Internés Militaires, n° 250/RM.10/6/S.C., Alger, 19 mars 58, 2 p.

1H 2581/d.2, Note de renseignements n° 6015, objet : La campagne rebelle de désertion sur les supplétifs français, signé L.-Col. BOURDONCLE, Alger, 8 octobre 1959.

1H 2581/d.2, Questionnaire modèle A et B, 6 p.

1H 2581/d.2, Synthèse trimestrielle concernant les désertions et les tentatives de désertions et de noyautage des FSNA, enregistrées dans les Unités des Forces de l'Ordre en Algérie et au Sahara au cours du 2^o Trimestre 1960, 15 juillet 1960, 9 p. + 7 annexes. [58/6]

Boîte n° 2582

1H 2582/d.1, ALN, « Directives générales », récupéré à Ténès fin janvier 1957.

1H 2582/d.1, Analyse : Organisation féminine de la Z. A. A., n° 5915/EM.10/2/OPE/A, 14 oct. 57.

1H 2582/d.1, FLN- ALN, Annexe IV, Note de service aux Commissaires Politiques, (s. d.)

1H 2582/d.1, Aspects de l'implantation rebelle dans une zone des Aurès, n° 6893/EM/10/2/OPE/P, Alger le 29 novembre 1957, 6 p.

1H 2582/d.1, Bulletin de renseignement, n° 421/ZSA/2.S du 22 février 1958, portant sur des documents appartenant vraisemblablement à un Commissaire Politique et trouvé le 15 février 1958 au douar HAOUARA au cours d'une fouille de terrain, 5 p.

1H 2582/d.1, Circulaire concernant l'organisation rebelle, découverte le 28 janvier 1958 en LY4LB4.

1H 2582/d.1, Circulaire en date du 24.03.1958 adressé aux commissaires politiques par le Lieutenant Moussa de la zone III wilaya IV au sujet de la politisation de l'appareil militaire. (Documents récupérés au cours de l'opération 'BREBIS' le 29 mai 1958 en K. Y. 88), 2 p.

1H 2582/d.1, Circulaire de la Zone n° 6, Wilaya V sur le recensement des pertes civiles, (s. d.).

1H 2582/d.1, Circulaire n° 1, émanant de la Wilaya IV, Zone III, 27 mai 1957.

1H 2582/d.1, Circulaire n° 1 aux comités de Zones, Régions et Secteurs, Wilaya du Nord du Constantinois, 9 décembre 1956.

1H 2582/d.1, Circulaire n° 2 : Règlement du service sanitaire de la Wilaya, Wilaya II, 9/12/1956.

1H 2582/d.1, Circulaire du FLN- ALN, annexe au fiche de renseignements, n° 5.653/EM.10/2/ OPE/P, Alger, 5 octobre 1957.

1H 2582/d.1, Circulaire n° 3 relatif aux attribution des membres des Assemblées Populaires de Douars et Circulaire n° 5 concernant le règlement de Gendarmerie rurale, deux circulaires annexes à la note de service sur l'Organisation politico- administrative, n° 2.829/EM.10/2/ENI, Alger 28 mai 1957.

1H 2582/d.1, Circulaires émanant de la Wilaya IV , annexe au fiche de renseignements sur l'organisation rebelle n° 5653/EM.10/2/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, Circulaire n° 1.

1H 2582/d.1, Copie d'une lettre rebelle récupérée le 16/05/1957.

1H 2582/d.1, Directives générales, document de l'ALN récupéré le 17 avril 1957 au sud ouest de Port- Gyedon, 4 p.

1H 2582/d.2, Directives politiques à tous les commissaires politiques, signé Mahmoud, commissaire politique de la Région IV, Zone II, Wilaya IV, (s. d.), 2 p.

1H 2582/d.1, Directives du C.C.E., 20 août 1956, publiées par la Wilaya VI, novembre 1956.

1H 2582/d.1, Directives politiques émanant de la Wilaya IV, Zone II, Région IV, signées par MAHMOUD, (s. d.), p. 3

1H 2582/d.1, Directives générales FLN- ALN, 30 /11 /1956, (documents récupérés à Ténès fin janvier 1957).

1H 2582/d.1, Directives générales, Armée de Libération Nationale, Wilaya de Kabylie, document trouvé le 14/06/1957 sur des rebelles abattus, 2 p.

1H 2582/d.1, Décisions prises au PC de la Wilaya d'Oran, au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, (documents récupérés le 19 novembre 1957 par la Gendarmerie Française de Ain Temouchent le 19 novembre 1957), 12 p.

1H 2582/d.1, Directives du C.C.E., Congrès 20 aout 1956, 10 p.

1H 2582/d.1, Directives politiques et rapport organique, Wilaya IV, Zone II, Région IV, (s. d.), 4 p.

1H 2582/d.1, « L'organisation est la somme de principes régularisant le travail et la vie des hommes », Document FLN- ALN, Wilaya IV, (s. d.), 8 p. [49/1]

1H 2582/d.1, Etude sur le FLN, n° 474/EM.10/BP/DR, Alger, 20 septembre 1956, 14 p.

1H 2582/d.1, Sécurité militaire : L'espionnage, document FLN- ALN, rédigé par Si Abdelkader du Conseil de Zone (?), Wilaya (?), annexe à la Fiche de renseignement n° 46/DOP/S, 26 juin 1957, 6 p.

1H 2582/d.1, Fiche de renseignements sur l'organisation rebelle, (Etude de documents appartenant vraisemblablement à Si Tayeb, chargé des liaisons et renseignements de la Wilaya IV) n° 5653/EM.10/OPE/P, Alger, 5 octobre 1957, 16 p.

1H 2582/d.1, Instructions, Wilaya d'Oran, (s. d.).

1H 2582/d.1, Lexique français- arabe du vocabulaire militaire utilisé par les rebelles, Alger, le 15 mai 1957, 18 p.

1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de la Zone VII, Wilaya V, au Frère 25, objet renseignements, 29 mars 1958.

1H 2582/d.1, Note de renseignements : organisation territoriale, militaire et politico-administrative de l'A.L.N.- F.L.N., n° 2442/EM/10/2/EMI, Alger le 18 juin 1956, 16 p.

1H 2582/d.1, Note de service, Wilaya n° 3, (s. d.), 2 p.

1H 2582/d.1, Note de service: A messieurs les commissaires politiques, Wilaya IV, Zone opérationnelle n° II, le 2/3/1957.

1H 2582/d.1, Note de renseignements : commentaire de l'organigramme, n° 2442/EM/10/2/EMI, Alger, 18 juin 1956.

1H 2582/d.1, Organisation territoriale, militaire et politico- administrative de l'A.L.N.-F.L.N., p.

1H 2582/d.1, Wilaya V, Décisions prises au cours de la réunion du 2 au 7 octobre 1957, p. 10- 11.

1H 2582/d.1, Lettre du Capitaine Chef de Zone VII, Wilaya V, à tous les Chefs de Régions, 29 mars 1958. (Documents " rebelles" récupérés le 24. 04. 1958).

Boîte n° 2586

1H 2582/d.1, Circulaire concernant l'organisation rebelle, trouvé le 28 janvier 1958,

1H 2586/d.1, Documents FLN- ALN intitulés : « Guide à l'officier de renseignement, conseils pratique, le Conseil régional » et « Sécurité militaire : espionnage », signé Si

ABDELKADER du Conseil de Zone, Zone Ouest Oranais, Wilaya V, annexe à la note n° 461/RM.10/5/ETU/S., 1^{er} Avril 1959, 7p.

1H 2586/d.1, Emploi de l'arme psychologique par le F.L.N.,

1H 2586/d.2, Extraits de deux documents rebelles, annexe à la Note de service n° 861/EM.10/PSY./DR, Alger, 27 février 1957,

1H 2586/d.2, Formes de propagande rebelle, (s. d.).

1H 2586/d.2, Fiche de renseignements, n° 3345/EM.10/2/OPE, Alger, 20 juin 1957

1H 2586/d.1, Fiche de documentation sur l'emploi de l'arme psychologique par le F.L.N. : traduction d'un document F.L.N. émanant de la Section Propagande et Publication du CDT gal. de la Wilaya d'Oran le 12-10-57, 7 p.

1H 2586/d.1, Lettre de M. le Délégué Générale du Gouvernement, objet : Équipes Médico-Sociales Itinérants, (s. d.), 3 p.

1H 2586/d.1, Fiche à l'attention de Monsieur le Général Chef : Équipes Médico- Sociales Itinérants, Alger, 15 février 1961, 3 p.

1H 2586/d.1, Méthodes de guerre psychologique des rebelles algériens (Renseignements fournis par un chef rebelle fait prisonnier), n° 1100/ CSTT/5/E, Tunis, 30 octobre 1956, 6 p. [48/8]

1H 2586/d.1, Note sur la guerre psychologique menée par la rébellion algérienne en Grande Kabylie, par le Général Jean Olie, n° 483/K/Pol/C, Tizi Ouzou, 30 juin 1956, 7 p.

1H 2586/d.1, Note de service, n° 1680/RM. 10/5/OPS/S, Alger, 31 juillet 1958, 3 p.

1H 2586/d.1, Note de service : Recasement des personnels des E.M.S.I., n° 0762/CSFA/EMI/MOR , Alger, 20 mars 1962.

1H 2586/d.2, Propagande sur les militaires d'Afrique Noire, note à l'attention de monsieur le Général TABUIS, n° 867 EMM/P, Alger, le 24 avril 1956. [58/3]

1H 2586/d.2, Tracts découvertes le 15 février 1960 sur les lieux de saccage des orangers de la Société Djabel Doui en LY 42 E 81.

Boite n° 2587

1H 2587/d.2, Tract FLN- ALN intitulé : " Quelques exemplaires parmi tant d'autres"

1H 2587, Tracts FLN- ALN intitulés : « Le génie créateur des Officiers S.A.S. ».

1H 2587, Tracts FLN- ALN intitulés : « Les colonialistes jouent les ruses »

1H 2587, Tracts FLN- ALN intitulés : « Nous sommes de jeunes algériens »

1H 2587, Tracts FLN- ALN intitulés : « Quelques exemples parmi tant d'autres »

1H 2587/d.2, Tracts FLN- ALN dessiné intitulés : « رغم التخويف... رغم الكذبات... »

1H 2587/d.2, Tract FLN- ALN intitulé : « Malgré les mensonges... Malgré la terreur... », tract dessiné émanant de la Wilaya I, Aures- Nememchas, (s. d.).

1H 2587/d.2, Tract FLN- ALN : « La vérité sur les Délégations spéciales », Wilaya III, Zone III.

1H 2587/d.1, Rappelle et appelle, copie d'un tract opposé sur le mur de la compagnie d'appui du 152° R. I. à Souk- Ahras, début septembre 1956

1H 2587/d.1, Tract FLN- ALN, intitulé : « Soldats métropolitains », distribué à Constantine, (s. d.).

1H 2587/d.1, Tract ALN intitulé : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers ».

1H 2587/d.2, Tract ALN intitulé : « Appel aux Goumiers ». [58/46]

1H 2587/d.2, Tract ALN « Appel aux goumiers », tract récupéré le 2.3.1957 par le I/57 R. I. dans la région 15 Kms sud-est Oued Amizour, Secteur de Bougie, (s. d.).

1H 2587/d.2, Tract ALN intitulé : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers ». [58/44p.2]

1H 2587/d.2, Tract dessiné ALN- FLN, Wilaya IV, Zone II, (s. d.).

1H 2587/d.1, Tract ALN : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers », (s. d.).

1H 2587/d.2, « Appel aux goumiers », tract FLN- ALN, Wilaya III, mai 1958.

1H 2587/d.1, Tract FLN : « Appel aux musulmans algériens de l'Armée française ».

1H 2587/d.1, Tract ALN : « Appel aux soldats musulmans et aux goumiers », (s. d.).

1H 2587/d.2, Tract ALN, « Legionnaires Allemands »

المصادر و المراجع المطبوعة

أولا : بالعربية :

بن دارة (محمد)، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952 و 1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص تاريخ الثورة، تحت إشراف الأستاذ جمال فنان، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، بوزريعة، 1999. ص.

التسليح و المواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956-1962، منشورات وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2001، 186 ص.

لخضر الحاج (العقيد، قائد الولاية الأولى)، قبسات من ثورة أول نوفمبر 1954 كما عايشتها، (مذكرات) كتبها: الطاهر حليس، الجزائر، شركة الشهاب، (ب. ت.)، 197 ص.

الصدیق (محمد الصالح)، عملية العصفور الأزرق، منشورات دحلب، 1990، 68 ص.

النوري (حمو محمد عيسى)، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما و حديثا، المجلد الثاني، باريس دار الكروان، ديسمبر 1984.

ثانيا بالفرنسية

1- الوثائق مطبوعة (Documents publiés)

Aspects véritables de la Rébellion algérienne, S. L., Société Anonyme de l'Imprimerie Générale, (s.d.), 155 p.

Cabinet du Ministre de l'Algérie, Algérie 1957, Alger, Baconnier (s.d.), p. 341 p.

Délégation Générale du Gouvernement en Algérie, Rapport sur l'activité de l'administration en Algérie au cours de l'année 1959, Alger, Baconnier, 1960, 214 p.

Les missions de l'Armée française dans la guerre révolutionnaire d'Algérie, Conférence donnée à S.H.A.P. par le Général de Corps d'Armée ALLARD, Commandant le Corps d'Armée d'Alger avec l'assistance des Colonels GODARD et GOUSSAULT le 15 novembre 1957, imprimerie du 5^e Bureau de la 10^e Région Militaire.

15 mois d'action en Algérie, édité par le Gouvernement Général de l'Algérie, Paris, Imprimerie nouvelle, (s.d.), 53 p.

Service de l'Information du Cabinet du Ministre Résidant en Algérie, Programme et action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et de réformes, Alger, Imprimerie officielle, août 1956, 181 p.

Service de l'information du Cabinet du Ministre de l'Algérie, Action du Gouvernement en Algérie : Mesures de pacification et de réformes, Alger, Société Nationale des Entreprise de Presse, octobre 1957, 431 p.

Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches extra militaires de pacification, 1^{er} semestre 1958, édité par le 6^{em} Bureau, 31 p.

Synthèse relative à la participation de l'Armée aux tâches extra militaires de pacification, Etat- Major , 6^e Bureau, n° 710- R. M. 10/6/SC, 1^{er} semestre 1958, 31p.

2. رسائل جامعية (Thèses et Mémoires)

VILLATOUX (Paul), L'armée française et la guerre psychologique en Indochine (1945-1955) : conception et organisation, Mémoire de D.E.A. d'histoire contemporaine des mondes étrangers et des relations internationales, sous la direction de M. le Professeur Maurice VAÏSSE, Université de Paris I - Panthéon- Sorbonne, 1996-1997, 94 p.

3. أعمال المنتقيات العلمية (Colloques)

« Le retentissement de la révolution algérienne », colloque internationale d'Alger, organisé par le Centre Nationale d'Etudes Historiques, 24- 28 novembre 1984 : - LACOSTE- DUJARDIN (Camille), L'opération « Oiseau bleu », pp. 267- 273.

« **La guerre d'Algérie et les Algériens** », Actes de la table ronde organisée à Paris, du 26 au 27 mars 1996, sous la direction de Charles-Robert Ageron, Paris, Armand Colin, 1997, 341 p.:

- Ageron (Charles- Robert), « la « guerre psychologique » de l'Armée de Libération nationale algérienne », pp. 201- 229 ;

- Ageron (Charles- Robert), « Un aspect de la guerre d'Algérie : la propagande radiophonique du FLN et des Etats arabes », pp 245- 259 ;

- IHDADEN (Zahir), « La propagande du FLN pendant la Guerre de libération nationale », pp. 183- 199 ;

- LEFEUVRE (Daniel), « Les réactions algériennes à la propagande économique pendant la guerre d'Algérie », pp. 231- 244 ;

- LACOSTE- DUJARDIN (Camille), « Histoire et représentations de la guerre aux Iflissen lebhar », pp. 71- 91.

« **Militaires et guerrilla dans la guerre d'Algérie** », actes du colloque de Montpellier des 5 et 6 mai 2006, organisé par le Centre d'études d'histoire de la défense St. l'UMR n° 5609, Société, Idéologie, Défense, du CNRS, sous la direction de Jean Charles JAUFFRET et Maurice VAÏSSE, Bruxelles, Editions Complexe, 2001, 561 p.:

- Villatoux (Marie -Catherine) et Villatoux (Paul), « Le 5^e Bureau en Algérie », pp. 399- 419.

4. المذكرات (Mémoires)

ATTOUMI (Djoudi), Le Colonel Amirouche entre légende et histoire, la longue marche du lion de la Soummam, témoignage authentique d'un ancien officier de l'ALN en Kabylie 1956- 1962, Alger, Imprimerie Hasnaoui, (s. d.), 286 p.

Azzédine (Cdt), Les Fellagas, Alger, ENAG, 1997, 313 p.

BENZINE (Abdelhamid), Journal de marche, Alger, Editions ANEP, 2002, 88 p.

BOLLARDIERE (Général Jacques Paris de), Bataille d'Alger, Bataille de l'homme, Editions Désclée de Brouwer, 1972, 168 p.

Centre National d'Etudes Historiques, Guerre de libération nationale : Un témoignage d'Anissa Barkat, née Derrar, 1977, 19 p.

DARBOISE (J.-M.), HEYNAUD (M.) et MARTEL (J.), Officiers en Algérie, cahiers libre n° 11, Paris, François Maspéro, 1960, 113 p.

El HASSANI (Abdelhafid Amokran), Mémoires de combat, (Mémoires et témoignages), Alger, Editions Dar El Oumma, 1998, 192 p.

FLEURY (Georges), La guerre en Algérie, Plon, 1993.

GEORGER (Alphonse), Journal d'un séminariste en Algérie 1960- 1962, les éditions Cana, 2003, 205 p.

HASSANI (Abdelkrim dit El Ghouti), Guerilla sans visage, tome I les premiers réseaux, Alger, Co-édition En. A.P.- O.P.U., 1988, 237 p.

JACQUIN (Henri), La guerre secrète en Algérie, Paris, Olivier Orban, 1977.

KAFI (Ali), Du militant politique au dirigeant militaire, mémoire 1946- 1962, Alger, Casbah Editions, 2002, 412 p.

LACHEROY (Colonel e. r. Charles), De Saint- Cyr à l'action psychologique, mémoires d'un siècle, Charles Lavauzelle, 2003, 203.

LAHRECH (Brahim, dit « Ghani »), La lance et le bouclier, les services secrets du GPRA, Annaba, Imprimerie Centrale, juin 1999, 275 p.

LÉGER (Paul Alain), Aux carrefours de la guerre, Paris, Albin Michel, 1983.

NOEL (Jean), Journal d'un administrateur à Palestro, Alger, Editions Baconnier, 1958, 105 p.

RAHAL (Mansour), Les maquisards, pages des maquis des Aurès durant la guerre de libération, imprémerie Ech Chourouk, Alger, 2000, 444 p.

RAHMANI (Abdelkader), L'affaire des officier algériens, Editions du Seuil, 1959, 174 p.

SERVIER (Jean), Adieu djebels, Paris, Ed. France-Empire, 1958, 287 p.

TRINQUIER (Col. Roger), Le temps perdu, Paris, Albin Michel, 1978, 442 p.

La guerre d'Algérie « 25 ans après », document sonores, 7 cassettes de Radio France, cassettes n° 2, (témoignage du M. Rabah Zerrari, dit Cdt Azzedine).

5. المؤلفات (Ouvrages)

- BORDIEU (Pierre), Sociologie de l'Algérie, Coll. « Que sais-je? », n° 802, Paris, PUF, 1958, 127 p.
- CHOURFI (Achour), Dictionnaire de la révolution algérienne (1954- 1962), Alger, Casbah Editions, 2004. 495 p.
- COURRIÈRE (Yves), La guerre d'Algérie 1954- 1957 : les fils de la toussant, Editins Robert Laffont, Paris, 1998, p.
- ESSEDIK (Mohammed Salah), Opération Oiseau Bleu, Alger, Dar El Oumma, 2002, 172 p.
- EVÉNO (Patrick) et PLANCHAIS (Jean), La guerre d'Algérie, dossier et témoignages réunis et présentés par Patrick EVÉNO et Jean PLANCHAIS, Alger, Laphomic, 1990.
- FAIVRE (Maurice), Les archives inédites de la politique algérienne 1958- 1962, Coll. Histoire et Perspectives Méditerranéennes, l'Harmattan, 2000, 431p.
- FITTE (Albert), Spectroscopie d'une propagande révolutionnaire, Etudes militaires (1), Université Paul Valéry, Comité international des Sciences Historiques, Commission Française d'Histoire militaire, Centre de Montpellier, 1974, 160 + 150 p.
- GUENTARI (Mohammed), Organisation politico- administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962, Alger, OPU, 1994, 2 vol. 949 p.
- HAMOUMOU (Mohand), Et ils sont devenus harkis, préface de Dominique Schnapper, Paris, Arthème Fayard, 1993, 364 p.
- HARBI (Mohammed) et MEYNIER (Gilbert), Le FLN, documents et histoire 1954- 1962, Alger, Casbah Editions, 2004, 893 p.
- HÉDUY (Philippe), Algérie française 42- 62, Paris, Société de Production Littéraire, 1980.
- LACOSTE- DUJARDIN (Camille), Opération oiseau bleu, des kabyles, des ethnologues et la guerre d'Algérie, Paris, Éditions La Découverte, 1997, 308 p.
- LUCAS (P.) & VATIN (J. C.), L'Algérie des anthropologues, Paris, FM/Fondations, 1982, 292 p.
- MADACI (Mohammed Larbi), Les tamiseurs de sable, Aurès- Nememcha 1954- 1959, Alger, Editions ANEP, 2001, 252 p.
- MATHIAS (Gregor), Les Sections administratives spéciales. Une institution ambiguë : entre idéal et réalité. 1955- 1962. (Mémoire de maîtrise à l'Université de Provence. Aix. 1995), Paris, l'Harmattan, IHCC, coll. Histoire et Perspectives Méditerranéennes, 1998, 256 p.
- Mathias Gregor, *Les Sections administratives spéciales. Une institution ambiguë : entre idéal et réalité. 1955- 1962.* (Mémoire de maîtrise à l'Université de Provence. Aix. 1995), Paris, l'Harmattan, IHCC, coll. Histoire et Perspectives Méditerranéennes, 1998, 256 p.
- MONTAGNON (Pierre), La guerre d'Algérie, Paris, Pygmalion Gerard Walet, 1984, 451 p.
- MONTAGNON (Pierre), L'affaire Si Salah, secret d'état, Paris, Pygmalion, 1987.
- NAQUET (Pierre VIDAL), Les crimes de l'armée française, Petite collection Maspero, Paris, F. Maspero, 197.
- PAILLAT (Claude), Dossier secret de l'Algérie, 2^{ème} 1954- 1958, Paris, les Presses de la Cité, 1962, 546 p.
- PLANCHAIS (Jean), le malaise de l'Armée, tribune libre n° 16, Paris, Plon, 1958.
- TABET (Redouane Ainad), Histoire d'Algérie : Sidi-Bel Abbes, de la Colonisation à la Guerre de Libération en Zone 5 - Wilaya V (1830- 1960). Avec la collaboration de Tayeb NEHARI, officier de l'A. L N., Alger, ENAG/Editions, 1999, 405 p.
- TEGUIA (Mohammed), L'Armée de Libération Nationale en Wilaya IV, préface de Madeleine REBÉRIEUX, Alger, Casbah Editions, 2002, 237 p.
- TRUPIER (Philippe), Autopsie de la guerre d'Algérie, Paris, Ed. France- Empire, 1972, 671 p.

6. المقالات (Articles)

- Anonyme, « Les officiers Itinérants d'action psychologique », in Informations Défense Nationale, n° 13 du 22 mai 1957, 5 p.
- AGERON (Charles- Robert), «Complots et purges dans l'Armée de Libération Algérienne (1958- 1961)», in *Vingtième Siècle*, revue d'histoire, n° 59, juillet- septembre 1998, pp. 15- 27.
- BESLAY (F.), Capitaine de l'Infanterie Coloniale, « *Réflexion sur la mentalité musulmane* », Tropique, n° 383, avril 1956.

فهرس المحتويات

فهرس

الجزء الأول

شكر و عرفان
مقدمة

الفصل الأول : السلاح النفسي

2	المبحث الأول : مفهوم السلاح النفسي و أدواته
2	المطلب الأول : كيف و لماذا وجد السلاح النفسي ؟
4	المطلب الثاني : السلاح النفسي من وجهة نظر منظره
7	المطلب الثالث : الجيش الفرنسي و الحرب النفسية
10	المطلب الرابع : تحليل الفرنسيين للثورة الجزائرية
18	المطلب الخامس : مهام و أهداف الحرب النفسية الفرنسية في حرب الجزائر
	المبحث الثاني : الدعاية
20	المطلب الأول : الدعاية، تقنياتها و أنواعها
26	المطلب الثاني : وسائل الدعاية النفسية للجيش الفرنسي
37	المطلب الثالث : مواضيع و محاور الدعاية الفرنسية بالجزائر

الفصل الثاني :

أجهزة و دعائم سلاح الحرب النفسية الفرنسية

45	المبحث الأول : جهاز سلاح الحرب النفسية الفرنسي بالجزائر
45	المطلب الأول : المكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي
52	المطلب الثاني : المكتب الخامس للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي
56	المطلب الثالث : الولاية العامة بالجزائر

57	المبحث الثاني : دعائم النشاط النفسي للمكتب الخامس
	المطلب الأول : دعائم القسم الأول : (ضباط النشاط النفسي و الحرب النفسية؛ سلك الضباط المنتقلين للنشاط النفسي؛
58	فرق مكبرات الصوت و المناشير؛ العملية متليباكس).....
	المطلب الثاني : دعائم القسم الثاني : (مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة لحرب العصابات
71	(C.I.P.C.G.)؛ المكتب الثاني (2 ^{em} Bureau)
84	المطلب الثالث : دعائم القسم الثالث : (القسمات الإدارية المختصة (SAS))

الفصل الثالث : الحرب النفسية و «حرب التهدة»

92	المبحث الأول : «حرب التهدة» كرد شامل على الحرب الثورية
102	المبحث الثاني : المهام الجديدة للجيش الفرنسي في «حرب التهدة».....
102	المطلب الأول : إقناع الجيش بأهمية و ضرورة حرب التهدة و دوره فيها
107	المطلب الثاني : إقناع الجيش بأهمية و ضرورة استعمال السلاح النفسي
126	المطلب الثالث : إقناع الجيش و إعداده للقيام بدوره في مجال الحرب النفسية
129	المبحث الثالث : دراسة و « فهم » عقلية الشعب الجزائري

الفصل الرابع :

النشاط النفسي على السكان : أو استراتيجية « إفراغ الحوض »

135	المبحث الأول : النشاط النفسي على الشعب الجزائري : المذهب الحربي
138	المطلب الأول : إعادة بعث الاتصال مع السكان
141	المطلب الثاني : « إعلام السكان و تربيتهم »
147	المطلب الثالث : تنظيم السكان : نسج التنظيم الهرمي الموازي (les hierarchies parallels)
150	المبحث الثاني : التنظيم العمودي للسكان
157	المطلب الأول : البحث عن زعامات و مسؤولين جدد بين السكان
159	المطلب الثاني : مراكز تكوين مسؤولي السكان
163	المطلب الثالث : برنامج التكوين
167	المطلب الرابع : إعادة زرع المتربصين بوسطهم الأصلي بعد التكوين
169	المطلب الخامس : تشكيل فرق الدفاع الذاتي
174	المبحث الثالث : التنظيم الأفقي للسكان
174	المطلب الأول : النشاط النفسي على المرأة الجزائرية
183	المطلب الثاني : النشاط النفسي على الشباب الجزائري
189	المطلب الثالث : النشاط النفسي على قدماء المحاربين و العسكريين

الفصل الخامس : الحرب النفسية ضد الثورة

- 193المبحث الأول : الأجهزة المكلفة بالحرب النفسية ضد الثورة
- 197المبحث الثاني : عمليات الحرب النفسية ضد الثورة
- 197المطلب الأول : الفصل بين الثورة و الشعب
- 205المطلب الثاني : «حرب المناشير» ضد جيش التحرير الوطني
- 215المطلب الثالث : توجيه « الضربات التحتية » للثورة
- 224المطلب الرابع : تكوين جيوب مقاومة مسلحة مناوئة للثورة (- عملية "العصفور الأزرق"؛ العملية « ابن لويس»؛ العملية « كويس »
- 228المطلب الخامس : تعبئة الشعب و تسليحه ضد الثورة
- 232المبحث الثالث : الاستسلام و الالتحاق (La reddition et le ralliement)
- 242المبحث الرابع : النشاط النفسي على المعتقلين بمراكز الاعتقال أو « استرجاع الأسرى »

الفصل السادس :

العملية بيلوت رقم واحد (Pilote n° 1)

- 251المبحث الأول : العملية « بيلوت رقم:1 » : التصور و المفهوم
- 261المبحث الثاني : نتائج العملية « بيلوت رقم 1 » :
- 276المبحث الثالث : تعميم العملية بيلوت إلى مناطق أخرى

الفصل السابع :

الثورة الجزائرية و رد فعلها على الحرب النفسية لفرنسا

- 280المبحث الأول : « الحرب النفسية» للثورة الجزائرية
- 280المطلب الأول : إنشاء جهاز للدعاية و الحرب النفسية
- 282المطلب الثاني : بلورة مذهب حربي خاص بالحرب النفسية
- 288المطلب الثالث : دور المحافظ السياسي
- 290المبحث الثاني : إمكانيات جيش التحرير الوطني في مجال الدعاية
- 295المبحث الثالث : « النشاط النفسي » للثورة في اتجاه الشعب
- 304المطلب الأول : حماية الشعب
- 312المطلب الثاني : إعلام الشعب
- 313المطلب الثالث : تنظيم و تعبئة الشعب
- 319المطلب الرابع : النشاط النفسي للثورة في اتجاه المرأة الجزائرية
- 324المبحث الرابع : « النشاط النفسي » للثورة على المجاهدين

- 330 المبحث الخامس : « الحرب النفسية » للثورة ضد الجيش الفرنسي
- 337 المبحث السادس : « الحرب النفسية » للثورة ضد الجيش الفرنسي باستعمال المنشور
- 337 المطلب الأول : المنشور الموجه إلى الجندي الفرنسي بالأصالة
- 339 المطلب الثاني : المنشور الموجه إلى المجندين الجزائريين العاملين بمختلف التشكيلات
- 343 المطلب الثالث : منشور جيش التحرير الموجه إلى عناصر اللفييف الأجنبي
- 345 المبحث السابع : تقييم رد فعل الثورة الجزائرية على الحرب النفسية الفرنسية

الخاتمة

- 352 الخاتمة

الجزء الثاني

فهرس ملاحق البحث

- 358 الملحق رقم 1: جردا بالمناسير التي تم إنجازها و توزيعها خلال الثلاثي الثالث من سنة 1956.....
- الملحق رقم 2: نموذج ل " بطاقة ملاحظة " التي يتوجب ملئها من طرف المعنيين بالمصالح الأمنية عقب كل
- 359 عملية لتوزيع للمناشير و الملصقات على السكان.
- 360 الملحق رقم 3 : يمثل رسدا لردود الأهالي على بعض المناشير و الملصقات.
- 361 الملحق رقم 4 : يمثل رسدا لردود الأهالي على بعض المناشير و الملصقات.
- 362 الملحق رقم 5 : تطبيق الدعاية على السكان الجزائريين باستعمال واحد منهم
- 364 الملحق رقم 6 : عينة عن مضمون الدعاية التي كان يتم بثها عبر مكبرات الصوت في الأسواق.
- 366 الملحق رقم 6 مكرر : عينة عن مضمون الدعاية التي كان يتم بثها عبر مكبرات الصوت في الأسواق.
- الملحق رقم 7 : مخطط للنشاط النفسي من ست مراحل، يتم تطبيقه على الشعب و الثوار الجزائريين لتطويعهما
- 368 الملحق رقم 8 : الهيكل الإداري و التنظيمي للمكتب النفسي للمنطقة العاشرة للجيش الفرنسي
- 369 الملحق رقم 9 : جدول تفصيلي بالتربصات التي نظمها مركز التدريب على حرب التهدة و الحرب المضادة
- 370 لحرب العصابات بأرزو مع تواريخ إجرائها و رتب الضباط المشاركين فيها
- 371 الملحق رقم 10 : مخطط للبحث عن المعلومات النفسية .
- 373 الملحق رقم 11 : قائمة الأسئلة التي كان يتم طرحها على الأسرى.
- 376 الملحق رقم 12 : نص الاستجواب الذي تعرض له أحد « الملتحقين ».
- 378 الملحق رقم 13 : بعض الأرقام حول مساعي الإدارة الفرنسية لدمج الجزائريين بأجهزتها و هيئاتها.
- الملحق رقم 14 : حماية معنويات الجيش الفرنسي : عينة على أساليب المغالطة التي يمكن أن تبدها قيادة
- 380

- الجيش الفرنسي للحفاظ على هاته المعنويات.
- 381 الملحق رقم 15 :
- الملحق رقم 16 : يبين لنا المراحل المتبعة في تطبيق النشاط النفسي على الشعب الجزائري كما حددته إحدى
- 382 التعليمات الموجهة إلى ضباط الجيش.
- 386 الملحق رقم 17 : بطاقة مراقبة خاصة بالمنازل.
- 387 الملحق رقم 18 : مركز تكوين الإطارات المسلمة (الجزائرية) بأرزيو.
- 388 الملحق رقم 19 : التقسيم العسكري الفرنسي للجزائر.
- 389 الملحق رقم 20 : تعليمة خاصة بإنشاء " مراكز للتربية المدنية و العسكرية ".
- 390 الملحق رقم 21 : مراكز التربية المدنية و العسكرية بالناحية العسكرية للوسط الجزائري.
- 391 الملحق رقم 22 : مراكز التربية المدنية و العسكرية بالناحية العسكرية للشرق الجزائري.
- 392 الملحق رقم 23 : مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للوسط الجزائري.
- 393 الملحق رقم 24 : مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للغرب الجزائري.
- 395 الملحق رقم 25 : مراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للشرق الجزائري.
- 396 الملحق رقم 26 : برنامج مركز تكوين عناصر الدفاع الذاتي بـ " كريدنر " شمال مدينة بوقطب.
- الملحق رقم 27 : عتية على عمليات غسل الدماغ و الحشو المعتقدي الذي كانت تتم ممارستها على المتربصين
- 398 بمراكز تكوين مسؤولي الدفاع الذاتي.
- الملحق رقم 28 : جدول خاص بعدد فرق الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للوسط الجزائري بتاريخ جوان 1959.
- 401
- الملحق رقم 29 : جدول خاص بالتطور الشهري لعدد فرق الذاتي التي تم تكوينها بالجزائر و الصحراء خلال سنة 1960.
- 402
- 402 الملحق رقم 30 : تعداد فرق الدفاع الذاتي بالناحية العسكرية للجزائر الوسط بتاريخ 5 نوفمبر 1960.
- الملحق رقم 31 : تطور عدد فرق الدفاع الذاتي بالنواحي العسكرية الثلاث : الجزائر، وهران و قسنطينة، خلال سنة 1961.
- 403
- الملحق رقم 32 : الفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة سلاح من أسلحة الحرب النفسية الفرنسية لضرب الثورة.
- 404
- 408 الملحق رقم 33 : مضمون النشاط النفسي للفرق الطبية- الاجتماعية المتنقلة على المرأة الجزائرية.
- 410 الملحق رقم 34 : منشور فرنسي بعنوان : « إخواننا المسلمين ».
- 411 الملحق رقم 35 : منشور فرنسي بعنوان : « الكذب و الصدق يتدفان ».
- 412 الملحق رقم 36 : منشور فرنسي بعنوان : « مسلمين خموا ».
- 413 الملحق رقم 37 : منشور فرنسي بعنوان : « الديوية تاكل بعضهم بعض ».
- 414 الملحق رقم 38 : منشور فرنسي بعنوان : « ياسكان بسكرة : هل تعرفون ما يحدث في الجبل ؟ ».
- 415 الملحق رقم 39 : منشور فرنسي بعنوان : « Kabyle, écoute la voix de la raison ».
- 416 الملحق رقم 40 : منشور فرنسي بعنوان : « Kabyle, soyez clairvoyants ».
- 417 الملحق رقم 41 : التأثير على المجاهدين في الجبل باستعمال نسوة من أهلهم.
- 418

- الملحق رقم 42 : تشويه صورة الثور باستعمال المناشير المغرصة.
- 419 الملحق رقم 43 : منشور فرنسي ينعى المجاهدين بـ « قطاعين الطريق و خدامين البراني »
- 420 الملحق رقم 44 : منشور فرنسي يدعو النساء إلى التأثير على رجالهن حتى لا يلتحقوا بالثورة.
- 421 الملحق رقم 45 : منشور فرنسي موجه إلى سكان الدواوير.
- 422 الملحق رقم 46 : منشور فرنسي موجه إلى سكان الدواوير.
- 423 الملحق رقم 47 : منشور فرنسي ينعى المجاهدين بـ « الجراد »
- 424 الملحق رقم 48 : منشور فرنسي ينعى الثورة و الثوار بـ « سرقة أموال الشعب »
- 425 الملحق رقم 49 : منشور فرنسي ينعى الثورة بـ « بابتزاز أموال الكادحين لصرفها في حياة العريضة »
- 426 الملحق رقم 50 : منشور فرنسي ينعى عناصر الثورة بتونس بـ « العيش عيشة العريضة و اللهو »
- 427 الملحق رقم 51 : منشور فرنسي يصور عمل فرنسا بـ " البناء " و يصور عمل الثورة بـ " الهدم "
- 428 الملحق رقم 52 : منشور فرنسي يصور عمل الثورة بـ " التخريب " و يجعلها مصدرا لكل المآسي
- 429 الملحق رقم 53 : منشور فرنسي يضرب مقارنة بين العيش تحت راية فرنسا و العيش تحت راية الثورة
- 430 الملحق رقم 54 : منشور فرنسي يدعو السكان الجزائريين إلى الاختيار بين « الفلافة » أو " فرنسا "
- الملحق رقم 55 : منشور فرنسي يدعو السكان الجزائريين إلى الاختيار بين « العيش في السلم في كنف و حماية فرنسا » أو « العيش في الجريمة و انتظار العقاب »
- 431 الملحق رقم 56 : منشور فرنسي دعائي لصالح الجيش و الجندي الفرنسيين.
- 432 الملحق رقم 57 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى رفض الثورة و الوشاية بعناصرها.
- 433 الملحق رقم 58 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى نبذ الثورة و التعاون مع الجيش الفرنسي.
- 434 الملحق رقم 59 : منشور فرنسي يدعو السكان إلى رفض الثورة و مقاتلتها بالسلاح.
- 436 الملحق رقم 59 مكرر : منشور فرنسي يقدم عيّنات على « رفض السكان للثورة و التصدي لعناصرها بقوة السلاح »
- 437 الملحق رقم 60 : منشور فرنسي يحث السكان الجزائريين على التعاون مع الجيش الفرنسي من أجل العودة السريعة إلى « حياة الأمن و العافية »
- 438 الملحق رقم 61 : منشور فرنسي ينوه بتعاون السكان مع الجيش الفرنسي و يدعوهم إلى تعاون أكبر معه.
- 439 الملحق رقم 62 : منشور فرنسي ينعي الثورة و يُشهر بـ " اخفاقاتها "
- 440 الملحق رقم 63 : منشور فرنسي ينعي الثورة من خلال زف أخبار القضاء على بعض عناصرها و رموزها.
- 441 الملحق رقم 64 : منشور فرنسي يستغل بعض الأحداث لينعي الثورة و يُبشّر بقرب انتهائها.
- 442 الملحق رقم 65 : منشور فرنسي دعائي ضد الثورة يستعمل في صياغته بعض القوالب التراثية.
- 443 الملحق رقم 66 : منشور فرنسي ينعي اخفاق الثورة من خلال سرد أسماء عدد من شهدائها.
- 443 الملحق رقم 67 : منشور فرنسي موجه للمجاهدين في الجبال للنيل من معنوياتهم و دعوتهم إلى الاستسلام و الالتحاق.
- 444 الملحق رقم 68 : منشور فرنسي موجه للمجاهدين في الجبال للنيل من معنوياتهم باستغلال بعض الأحداث دعائيا.
- 445 الملحق رقم 68 مكرر : منشور فرنسي موجه للمجاهدين في الجبال للنيل من معنوياتهم باستغلال بعض

- الأحداث دعائيا.
- 447 الملحق رقم 69 : منشور فرنسي في شكل مراسلة شخصية موجه إلى الثوار.
- الملحق رقم 70 : قائمة بالوثائق و المستندات التي كان يتم البحث عنها لإظهار الطابع « اللا إنساني » للثورة
- 447 كما يزعمون.
- الملحق رقم 71 : نموذج عام لخطبة دعائية تلقي على الحشود مطعّمة بـ « انتصارات الجيش الفرنسي » و «
- 448 هزائم الثوار ».
- الملحق رقم 72 : منشور فرنسي للنيل من معنويات جيش التحرير حول موضوع « السد المكهرب الذي لا
- 449 يخرق ».
- 450 الملحق رقم 73 : منشور لجيش التحرير موجه إلى الجيش الفرنسي ردا على بعض مناشيره.
- الملحق رقم 74 : منشور لجيش التحرير الوطني بعنوان : « من الكاذب ؟ » يرد فيه على منشور فرنسي
- 451 بعنوان : « إخواننا المسلمون ».
- الملحق رقم 75 : لا يوجد
- الملحق رقم 76 : منشور لجيش التحرير بعنوان : « هذه صورة الفلاف » يرد فيه على منشور فرنسي سابق.
- 451
- الملحق رقم 77 : منشور لجيش التحرير بعنوان : « نداء إلى الشعب الجزائري » وُجه للشعب للرد على بعض
- 452 مناشير الجيش الفرنسي التي تنعت المجاهدين بـ « الجراد ».
- 452 الملحق رقم 78 : منشور لجيش التحرير هو بمثابة رجع للصدى لمنشور فرنسي سابق بعنوان الجراد.
- الملحق رقم 79 : منشور لجيش التحرير الوطني أخذ شكل رسالة خاصة إلى ضابط فرنسي برتبة نقيب بقرية
- 453 إغيل اتالة، بالقطاع العسكري لبحاية.
- الملحق رقم 80 : منشور لجيش التحرير يفيض حماسة و فخرا، فيه تحد و معارضة و دعوة إلى النزال، مع شيء
- 454 من التهكم و السخرية.
- الملحق رقم 81 : منشور فرنسي بمثابة " إذن بالمرور " موجه لجنود جيش التحرير للالتحاق بالجيش الفرنسي
- 455 مرفق بإرشادات خاصة تبين كيفية الالتحاق.
- الملحق رقم 82 : منشور فرنسي موجه لجنود جيش التحري يدعوهم للالتحاق و يمكن استعماله بمثابة " إذن
- 456 بالمرور ".
- الملحق رقم 83 : منشور فرنسي أنجز بقصد تحقيق استغلال دعائي حربي نفسي لاستسلام عجول عجول إلى
- 457 الجيش الفرنسي.
- 458 الملحق رقم 84 : منشور فرنسي يحث على الالتحاق.
- 459 الملحق رقم 85 : منشور فرنسي يمثل استغلالا نفسيا لبعض عمليات الالتحاق.
- 461 الملحق رقم 86 : منشور فرنسي يمثل استغلالا نفسيا لبعض عمليات الالتحاق.
- 462 الملحق رقم 87 : منشور فرنسي يمثل استغلالا نفسيا لبعض عمليات الالتحاق.
- 463 الملحق رقم 88 : منشور فرنسي يمثل استغلالا نفسيا لبعض عمليات الالتحاق.
- الملحق رقم 89 : استغلال الأسرى و الملتحقين في إطار الحرب النفسية : عينة على الأسئلة و المعلومات
- 464 المطلوبة.

- 466 الملحق رقم 90 : حصيدة رقمفة لعدد الملتحقفن و الأسرى ما بفن الففرة من 1957/10/01 إلى 1959/01/30 .
- 467 الملحق رقم 91 : خرفطة جغرافية حول توزع الملتحقفن بالقطر الجزائري خلال الأشهر من جانفي إلى أفرفل 1959 .
- 471 الملحق رقم 92 : حالة رقمفة لعدد الملتحقفن بنهافة أوت 1960 .
- 472 الملحق رقم 93 : فقدم لنا ست حالات لملتحقفن تمت استعادتهم و أصبح فتم الاستعانة بهم فف تنشفط حصص دعائفة على السكان .
- 473 الملحق رقم 94 : نتائج العملية بفلوت .
- 476 الملحق رقم 95 : نتائج العملية بفلوت : وضفة و تعداد فرق الحركة فف الأول من جوفلفة 1957 .
- 477 الملحق رقم 96 : مشروع إنشاء و تنظيم مصلحة للنشاط السفسف فابعة للقوات المسلحة الجزائفة .
- 478 الملحق رقم 97 : مشروع تنظيم مدرسة للنشاط السفسف فابعة للقوات المسلحة الجزائفة .
- 479 الملحق رقم 98 : منشور لجفش التحرفر موجه لسكان دوار بفف مسرة .
- 480 الملحق رقم 99 : منشور لجفش التحرفر موجه لعرش بفف محالف .
- 481 الملحق رقم 100 : منشور لجفش التحرفر موجه للشعب .
- 482 الملحق رقم 101 و 102 : فتناولان بالفرفر الانفصارات العسكرية لجفش التحرفر الوطني على الجفش الفرفسف .
- 483 الملحق رقم 103 : عفة من مناشفر جبهة التحرفر الوطني المخرة بالفرفة الفصحف .
- 483 الملحق رقم 104 : عفة من مناشفر جبهة التحرفر الوطني المنظومة بالفرفة العامة .
- 484 الملحق رقم 105 : مقفبس من فرفر فرفسف فشهد بالسمعة و الشعبية الفف ففتمتع بها أفراد جفش التحرفر لدف الشعب .
- 485 الملحق رقم 106 : منشور لجفش و جبهة التحرفر ففضمن فرفر الإقبال على فعاظف السجائر و المشروبات الكحولفة .
- 486 الملحق رقم 107 : منشور لجبهة التحرفر فدعو التلامفد و الطلبة إلى الإضراب و مقاطعة المدرسة الفرفسفة
- 487 الملحق رقم 108 : أمر جبهة التحرفر بعدم أداء فرفضة الحج .
- 488 الملحق رقم 109 : منشور لجبهة التحرفر ففضمن أمرا بمقاطعة الانتخابات الفرفسفة بتاريخ جانفي 1956 مع التهفد بالموت للمخالففن .
- 489 الملحق رقم 110 : منشورفن لجبهة التحرفر ففمنعان الفدخفن .
- 490 الملحق رقم 111 : دراسة من قسمفن صدر القسم الأول منها ضمن العدد الأول من سلسلة الأصداء السفسفة للولاية لخامسة بعنوان مكاتب لاصاص، سفسفها و أسالففها .
- 491 الملحق رقم 112 : فلعفمة صادرة عن ففادة الولاية الفاففة إلى مسؤولفها فأمرهم بففذر الشعب من الإقبال على المصالح الاستشفائفة و العلاففة للعدو لففادي الإصابة بالعمم من جراء فلفف أدوفة مسومة .
- 492 الملحق رقم 113 : منشور لجبهة التحرفر موجه للجزائرفن العاملفن كمنشطفن للشباب بالهفمات الفرفسفة للشباب .
- الملحق رقم 114 : فلعفمة صادرة بالولاية الفاففة لفصدف للمساعف الفرفسفة الرامفة لفنصفب المنفوففب الخاصة

- 493 و تنظيم الانتخابات.
- الملحق رقم 115 : منشور صادر بالولاية الثانية يعدد التدابير الواجب اتخاذها لمحاربة المندوبيات الخاصة ، بما في ذلك إعدام عناصرها.
- 493 الملحق رقم 116 : مخطط هرمي للتنظيم الثوري للشعب على مستوى الدوار و العرش.
- 494 الملحق رقم 117 : « المجاهد يعيش بين الشعب كما تعيش لسمة في الماء ».
- 495 الملحق رقم 118 : «عظمة شعب» ، تقرير معنوي حول الشعب من تحرير طبيب أو ممرض بالمصالح الصحية لجيش التحرير.
- 496 الملحق رقم 119 : منشور لجبهة و جيش التحرير يحذر المرأة الجزائرية من الاغترار و الانسياق وراء المساعي الفرنسي الرامية إلى جلبها لمجرد ضرب الثورة بها و استغلال صوتها في الانتخابات
- 497 الملحق رقم 120 : تسجيل مؤشرات عدة لجهود حثيثة بدلتها جبهة التحرير لتنظيم فئة النساء الجزائريات
- 498 الملحق رقم 121 : إنشاء الولاية الثانية لسلك " النساء المقاتلات " من أجل إشراك المرأة الجزائرية في عملية تحرير الوطن.
- 499 الملحق رقم 122 : " الانضباط سر قوة الجيوش " بعض تعليمات جيش التحرير في مجال الانضباط و السرية لقطع الطريق على المصالح السرية للجيش الفرنسي.
- 500 الملحق رقم 123 : عتية على نشاط مصالح الاستعلامات للثورة في ميدان حماية الثورة و هيئاتها.
- 501 الملحق رقم 124 : منشور لجيش التحرير موجّه للجنود الفرنسيين بالأصالة.
- 502 الملحق رقم 125 : منشور لجيش التحرير موجّه للجنود الفرنسيين بالأصالة.
- 503 الملحق رقم 126 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطنيين موجّه للمجندين الجزائريين من « القومية ».
- 504 الملحق رقم 127 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطنيين موجّه للمجندين الجزائريين بالتشكيلات الفرنسية من عناصر « المخزن » يدعوهم فيه إلى الالتحاق بهما قبل فوات الآوان.
- 505 الملحق رقم 128 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطنيين موجّه للمجندين الجزائريين بالتشكيلات الفرنسية يدعوهم فيه إلى الالتحاق بهما قبل فوات الآوان.
- 506 الملحق رقم 129 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطنيين موجّه « للقومية ». و يلاحظ عليه استعمال لهجة خطاب مشددة.
- 507 الملحق رقم 130 : بعض الأساليب التي تكون قد لجأت إليها بعض مصالح الثورة للانتقام من بعض العملاء للعدو أو للدفع بهم إلى الفرار و الالتحاق به.
- 508 الملحق رقم 131 : منشور لجيش و جبهة التحرير الوطنيين هو بمثابة " ورقة سماح " تسمح لحاملها من المجندين الجزائريين بالتشكيلات الفرنسية بالالتحاق بجيش التحرير.
- 509 الملحق رقم 132 و 133 : منشوران لجبهة و جيش التحرير موجّهين للجنود الألمان من جنود اللفييف الأجنبي.
- 510 الملحق رقم 134 : منشور لجبهة و جيش التحرير موجّه للجنود الألمان المنخرطين في تشكيلات اللفييف الأجنبي.
- 511 الملحق رقم 135 : منشور لجبهة و جيش التحرير موجّه للجنود السنغاليين.
- 512 الملحق رقم 136 : يقدم لنا حالة حقيقية لعملية اختراق لصفوف الجيش الفرنسي بمساعدة المجندين الجزائريين.
- 513

- الملحق رقم 137 : منشور صادر عن مجلس الولاية الرابعة يضبط عملية إخراج المجندين الجزائريين من ثكنات الجيش الفرنسي. 515
- الملحق رقم 138 : منشور يمثل عملية استغلال نفسي بالمنشور لالتحاق بعض المجندين الجزائريين من صفوف الجيش الفرنسي إلى صفوف جيش التحرير. 516

فهارس البحث :

- 518 -فهرس الأعلام.
- 520 - فهرس القبائل و الجماعات.
- 521 - فهرس الأماكن.
- 525 -فهرس الهيئات و الحكومات و الأحزاب و المنظمات و التنظيمات و الوحدات العسكرية.

فهرس الخرائط

- 255 مجال منطقة العملية « بيلوت رقم 1 ».

فهرس اللوحات

- 153 الشكل 1: التنظيم العمودي و الأفقي للسكان بالمدن.
- 155 الشكل 2 : التنظيم العمودي و الأفقي للسكان بالريف.
- 529 قائمة المصادر و المراجع.
- 548 فهرس المحتويات.